٠٠٣ فصل اما اصلُ فروعها
٠١٠ فصل واما الحلم
٠٣٨ فصل و اما الجود
٥ فصل واما الشجاعة والنجدة
٠٦٤ فصل و اما الحياء
٠٦٩ فصل واما حسن عشرته
٠٨٣ فصل واما لسفقة و الرأفة والرحمة
... بجميع الخلق وقد قال الله تعالى فيه الخ
٠٩٥ فصل واما خلقه صلى الله عليه وسلم
.. فى الوفاء
١٤ فصل و اما تواضعه صلى الله تعالى
... عليه و سلم
١١٩ فصل واما عدله صلى الله عليه وسلم
١٣٠ فصل واما وقاره صلى الله تعالى عليه
.. وسلم
١٣٨ فصل واما زهده فى الدنيا صلى الله
... عليه و سلم
١٥١ فصل واما خوفه ربه
١٦٤ فصل اعلم وفقنا الله واياك ان صفات
... جميع الانبياء والرسل عليهم الصلوة
.. و السلام
١٨٠ فصل قد آتيناك اكرمك الله من ذكر
... الاخلاق الحميدة الخ
٢٠٧ فصل فى تفسير غريب هذا الحديث
.. ومشكله
٢١١ الباب الثالث فيما ورد من صحيح
.. الاخبار ومشهورها بعظيم قدره
... عند ربه
٢١٣ الفصل الاول فيما ورد من ذكر مكانته
... عند ربه
٢٥ فصل فى تفضيله صلى الله عليه وسلم
... بما تضمنته كرامة الاسراء الخ
٢٧٦ فصل ثم اختلف السلف والعلماء
.. هل كان اسراء روحه او جسده
٢٩٨ فصل فى ابطال حجج من قال انها
.. نوم الخ
٣٠٧ فصل واما رؤيته صلى الله عليه
.. وسلم ربه عز وجل
٣٢٦ فصل واما ما ورد فى هذه القصة
.. من مناجاته لله تعالى
٣٣٢ فصل و اما ما ورد فى حديث
.. الاسراء وظاهر الآية من الدنو
... والقرب
٣٣٨ فصل فى ذكر تفضيله فى القيامة
... بخصوص الكرامة
٣٤٩ فصل فى تفضيله بالمحبة والخلة
٣٦٧ فصل فى تفضيله بالشفاعة
٣٩٣ فصل فى تفضيله فى الجنة بالوسيلة
٣٩٧ فصل فاذا قلت اذ تقرر من دليل
. القرآن وصحيح الاثر الخ
٤٠٦ فصل فى اسمائه صلى الله عليه
... وسلم وما تضمنته من فضيلته
٤٤٣ فصل فى تشريف الله تعالى له
.. بما سماه به قال القاضى ابو الفضل
... رحمه الله تعالى ما احرى هذا
... الفصل الخ
٤٦٩ فصل قال القاضى ابو الفضل
.. وههنا نكتة اديل بها
٤٧٥ الباب الرابع فيما اظهره الله تعالى
... على يديه من المعجزات و شرفه به
. من الخصايص والكرامات
٤٨٥ فصل اعلم ان الله عز وجل اسمه
... قادر على خلق المعرفة فى قلوب
... عباده

٤٩٤ فصل اعلم ان معني تسميتنا ما
... جاءت به الانبياء معجزة الخ
٥١٠ فصل في اعجاز القرآن
٥٣٦ فصل الوجه الثاني من اعجازه
... صورة نظمه العجيب والاسلوب
... الغريب
٥٤٩ فصل الوجه الثالث من الاعجاز
... ما انطوى عليه من الاخبار
٥٥٧ فصل الوجه الرابع ما اتأيه من
... اخبار القرون السالفة الخ
٥٦٣ فصل هذه الوجوه الاربعة من
... اعجازه بينة لا نزاع فيها
... ولا مرية
٥٦٨ فصل ومنها الروعة
٥٧٥ فصل ومن وجوه اعجازه المعدودة
... كونه آية باقية لا تعدم ما دامت الدنيا
٥٧٨ فصل وقد عد جماعة من الائمة
ومقلدي الامة في اعجازه
وجوها كثيرة

م

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿فصل اما اصل فروعها﴾ هذا الفصل معقود لبيان اصول الاخلاق صريحا والاشارة الى جميعها تلويحا لتحقق وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بها وصير فروعها الاخلاق المذكورة قبله (وعنصر) هو بضم الصاد وفتحها والاول اشهر والثانى افصح ومعناه الاصل والمادة والعناصر اذا اطلقت يراد بها التراب والماء والهواء والنار لتركب جميع الاجساد منها والينابيع فى قوله (ينابيعها) جمع ينبوع وهو ما ينبع الماء منه كالعين وكل ما يتفجر منه الماء (ونقطة دائرتها) والنقطة جزء من الخط والسطح مركب من خطوط مسطحة فاذا كان السطح مستديرا يكون فى خلق وسطه نقطة جميع الخطوط الخارجة منها الى الخط المستدير الذى يحيط بالسطح متساوية فتلك النقطة تسمى مركزا وذلك السطح يسمى دائرة وكذا الخط المحيط به ويصح ارادة كل منهما هاهنا والعقل الذى سمى الاخلاق عليه بسحرة اصلها العقل وفروعها الاخلاق ونورها وثمراتها ما يظهر منها وينتفع به غيره ثم شبهه بعين تلك الاخلاق كمائها الفائض منها ثم شبهه بنقطة فى الوسط المعتدل يتساوى جميع جوانبها والاخلاق كسطح اوخط محيط بها فقال (فالعقل) وهو مشتق اى مأخوذ من عقاله اذا شده منعه من الحركة لانه يمنع صاحبه مما لا يليق اومن المعقل وهو الملجأ لانتجاء صاحبه اليه وهو كما قاله الراغب يقال للقوى المتهيئة لقبول العلم ويطلق على العلم المستفاد منه ولذا قال على كرم الله وجهه العقل عقلان مطبوع ومسموع ولا ينفع مطبوع اذا لم يكن مسموع كما لا ينفع ضوء الشمس وضوء العين ممتنع وفى الحديث * ما كسب احد شيئا افضل من عقل يهديه

﴿الى﴾

الى هدى او يرده عن ردى (وقال بعض الحكماء هو جوهر وقال آخرون جسم شفاف محله الدماغ او القلب والاصح انه قوة نفسية هى منشأ الادراك وليس المراد به هنا العقل العاشر المسمى بالعقل الفعال كما قيل لان اهل الشرع لايقولون بمثله وقوله (الذى ينبعث منه) اى ينشأ ويخرج وهذا باطل لكونه ينوعا وقوله (العلم والمعرفة) العلم يكون بمعنى مطلق الادراك وبمعنى ادراك الكليات والمعرفة ادراك الجزئيات وقيل انها مسبوق بالجهل وقال البيضاوى انها تكون بمعنى العلم كما ان العلم يكون بمعنى المعرفة كما فى قوله تعالى * وآخرين من دونهم لاتعلمونهم الله يعلمهم * اى الله يعرفهم والعلم بمعنى المعرفة قال الفاضل المحشى معترضا عليه صرحوا بان العلم بمعنى المعرفة لايطلق على الله لاقتضائه سبق الجهل وتبعه فيه السيد فى شرح المواقف فى قوله علم الله لايسمى معرفة لا اصطلاحا ولا لغة اجماعا وخطأه فيه الحافظ العراقى رحمه الله تعالى فى نكته على المنهاج فقال ان امام الحرمين فسر العلم به واطلاق المعرفة على الله ورد فى الحديث وكلام الصحابة واهل اللغة والمتكلمين انتهى فاى اجماع مخالف لهذا ومثله عجيب من السريف (ويتفرع) اى ينبنى ويظهر باطل لكونه اصلا (عن هذا) عداه بعن لتضمين يتفرع معنى ينشو والمعروف تعديته بعلى وهذا اشارة للاصل الذى هو العقل (ثقوب الرأى) اى نفاذ رأيه فيما يفكر فيه وتدرك به عواقب الامور ومنه كوكب ثاقب اى مضئ وقوله (وحودة الفطنة) وهى الحذق وسرعة الانتقال (والاصابة) اى موافقة الصواب فيه تفسير لثقوب الرأى (وصدق الظن) اى موافقته للواقع كاليقين كما قال الالمعى الذى يظن بك الظن * كأن قد رأى وان سمعا (والنظر للعواقب) اى كانه ينظر عواقب الامور ويشاهدها كما قال * وانى لارجو الله حتى كانما * * ارى بجميل الظن ما الله صانع (ومصالح النفس) مجرور معطوف على العواقب ومرفوع معطوف على ثقوب الرأى اى ما فيه صلاح وخيرلها (ومجاهدة الشهوة) اى مدافعتها ومانعتها عما تريده فانه جهاد اكبر واعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك (وحسن السياسة) لغيره بامره من ساسه اذا حكم عليه وهو لف عرفى لقوله وكان ساس الناس والامر امرنا * وليس معربا كما توهمه ابن كمال فى رسالة التعريب كما مر بيانه (والتدبير) النظر فى ادبار الامور وعواقبها وهو عطف تفسير لما قبله (واقتناء الفضائل) اى اكتسابها والتحلى بها (وتجنب الرذائل) اى ترك كل مايذم ويقص به الانسان كالكذب والخيانة (وقد اشرنا) اى ذكرنا فيما تقدم فيما اوردناه فى صفاته والاشارة وان كانت تطلق على مايقابل العبارة قد يراد بها العبارة ايضا لكنة (الى مكانه منه عليه الصلوة والسلام) الضمير الاول لله صلى الله تعالى عليه وسلم والثانى للعقل والمكان المرتبة المعنوية فى الفضائل يقولون فلان بمكان من الفضل يريدون

علو رتبته فيه وقيل المراد مكانه من العقل بمعنى انه حائر له ومالك لامره على طريقة التجريد مبالغة فى تمكنه منه ولايخفى ما فيه من التكلف من غير داع له (وبلوغه منه ومن العلم الغاية التى لايبلغها نسر سواه) كما سنبينه (واد جلالة محله من ذلك) قيل الظرف متعلق بقوله حارت العقول وقت حلوله الى آخره واذ تعليلية اى حارت العقول لاجل الخ وقيل انه علة للاشارة الى مكانه منه وبلوغه غايته اى من اجل ان جلالة محله الخ واذ تعليلية كما فى قوله تعالى ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم وقيل المعنى من اجل ان جلالة محله متحقق يجب اعتقاد ذلك ويجوز ان يكون ذلك لمجرد التحقق ولايخفى ما فى هذا كله من التكلف والذى ظهر لى انه معطوف على ماقبله لانه يعلم من اشارته الى مكان منه لم يبلغه غيره علو ظاهر فيه وكله قال ادعلو قدره فيه محسوس مشاهد واذ جلالة محله امر متحقق بالدليل القاطع فاستدل عليه بالحس والعقل ومثله يسمى العطف على المعنى وهو فى القرأن وكلام العرب متداول قال ابو حيان الحبس فى شرح التسهيل فى قوله * احدك لن ترى بعلات * ولابيدان ناحية ذمولا * ولامتدارك والليل طفل * بعض نواشع الوادى حمولا * متدارك بالجر لان المعنى لست برآء ولامتدارك وحمله ابو حيان من العطف على التوهم كقوله * مشائين ليسوا مصلحين عشيرة * ولا ناعب الابين غرابها * والاولى انه من العطف على المعنى وفرق بينه وبين العطف على التوهم وفيه كلام بيناه فى نكت المعنى وقوله من ذلك اشارة الاصل ولوسلما صحة تعلقه بقوله حارت كان معطوفا على ما قبله ولا وجه له (وما يتفرع منه) من الاخلاق الشريفة وثمراتها (متحقق) لاريب فيه لتواتره بحسب المعنى (عند من تتبع) اى علم وعبر بالسبب عن مسببه كما قالوه فى تتبع خواص التراكيب (مجارى احواله) جمع مجرى او مجرى بالضم واصله مسيل الماء والمراد ما جرت به عادته فى احواله ولايخفى لطفه مع ملاحظة قوله اولا يتابعها فانه جار على مجراها ومنحدر اليها (واطراد سيره) الاطراد افتعال من الطرد وهو الجرى خلف شئ من صيد وغيره ومنه مطاردة الفرسان فى الميدان ومناسبته للسير وان كان المراد بها مطلق الصفات لانها تختص بالعروات وقيل المراد بحسال اطرادها ليوافق قوله مجارى احواله اى محال جريانها والاطراد مصدر اطرد الشئ يتبع بعضه بعضا فجرى والانهار تطرد اى تجرى ومنه الاطراد البديعى لسرد اسماء الممدوح وابائه مرتبة والمعنى جرى سيره فى حد اول الكتب منسجمة فهو استعارة ووجه الشبه فيها الكثرة ولايخفى ما فيه من البعد (وطالع جوامع كلامه) اما جمع جامع والمراد الكتب الجامعة للحديث الشريف او كلماته الجامعة للحكم التى تحير فيها عقول البلغاء والحكماء (وحسن شمائله) بالجر معطوف على كلامه وهى اجمع شمال بمعنى الخلق والصفة قال * ها لمؤمن اخر من شمالها * اى من خلق وعادتى (وبدايع سيره)

اى سيره الذيعة ويدعى ان يراد بها كتب السير حتى لايكون مكررا مع ما مر (وحكم حديثه) بكسر الحاء وفتح الكاف وهى القول المصيب عرض الحق والحديث معروف (وعلمه بما فى التوراة والانجيل والكتب المنزلة) بالتشديد والتخفيف على الانبياء عليهم الصلوة والسلام كالزبور والصحف اى على علمه بذلك والتوراة اصل الكتب المنزلة قيل القرأن واصلها ووريه ابدلت الواو تاء ووزنها تفعلة بفتح العين اوكسرها وقيل ورتها فوعلة والانجيل بالكسر وقد تفتح من النحل وهذا امر تقديرى لتجرى عليه احكام الالفاظ العربية اذ الاشتقاق لايجرى فى غير كلام العرب (وحكم الحكماء) جمع حكمة اى مالهم من الحكم فى كلامهم فانهم كان لهم اعتناء بذلك وقد مر انه جمعها اى مشكويه فى كتاب كبير سماه جاوداں خرد وقد طالعته فرأيت اكثره ورد فى الاحاديث الشريفة ولكن اين الثريا من الثرى فان رونق الالفاظ النبوية لايمكن مضاهاته (وسير الامم الخالية) اى ماوقع فى زمنهم من الاحوال كما كان صلى الله عليه وسلم يحدث عن بنى اسرائيل وما كان من عجايبهم (وايامها) اى وقايعها فى حروبها ومحادلاتها فان الايام شاعت لهذا المعنى كما يقال يوم جليحة ويوم رماث وهو اطلاق شايع صار حقيقة فيه ومما قلته مشيرا لهذا المعنى

* تمنيت من دهرى زمانى تسأتى * زمان به طيف السرور كاحلامى *

* فحاء بايام على ارما مضى * ولكن حروب قد تسمت بايام *

(وضرب الامثال) الامثال جمع مثل وهو كلام شبه مضربه بموردة الذى وقع فيه او مستعار من ضرب الخاتم او اللبن كما حققه اهل المعانى والتفسير وهو مما يعتنى به البلغاء لكشف المعنى الممثل له واراءته فى صورة المشاهد الى غير ذلك والامثال السوية افردت بالتأليف (وسياسات الامام) السياسة ضبط امور العامة باللسان واليسار وتدبير احوالهم وليس المراد حسن المداراة كما قاله التلمسانى والامام الحلق وقيل الامام عبارة عما يعتريه اللوم اوالادس اوالحس اوما على الارض من الخلق فيختلف بحسب ما يضاف اليه (وتقرير الشرايع) اى بيان مايتعلق باحكام الشرع فى المعاملات وغيرها (وتأصيل الاداب النفسية) اى بيان اصول الاداب التى تتأدب بها الناس فى مجالسهم ومحاوراتهم كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم * اكرموا عزيز كل قوم * ونهيه عن الملاحاة والمجادلة كما مر وقوله * تهادوا تحابوا * وسماها نفيسة لانها مما يتنافس فيها المتنافسون (والشيم الحميدة) جمع شيمة وهى العادة قالوا الانصاف من شيم الاشراف اى عاداتهم والحميدة بمعنى المحمودة مصموما مادكر (الى فنون العلم) التى كانت فى الامم السالفة كالطب وغيره لما لم يبه الشرع (التى اتخذ اهلها كلامه عليه الصلوة والسلام فيها قدوة) اقتدوا به فيها واستدلوا به عليها (واشاراته) فى اثناء كلامه لها (تحة) دليلا

عليها (كالعبارة) بفتح العين بضبط القلم والمحفوظ فيه كسرها كما قاله البرهان الحلبي وذكره الازهري والجوهري الا انه لم يضبطه والذي في النسخ كسر العين بمعنى تعبير الرؤيا وهو على قسمين في الرؤيا الصحيحة لانها على ثلثة اقسام رؤيا حلمة من الشيطان ومن عوارض بدن الانسان كمن علمت عليه الحرارة فرأى نارا توقد عنده او البرودة فرأى ماء وبحرا او اكل مأكل عليظة سوداوية كالباذنجان فرأى سوادا ويسمى اضعاث احلام ولا تأويل لها وكذا من غلب فكره في شئ فرأه كما قال المعري * الى الله اشكوا في كل ليلة * اذا عت لم اعدم خواطر اوهامي * فان كان شرا فهو لابد واقع * وان كان خيرا فهو اضعات احلام * ورؤيا من الله يريها له ملك الرؤيا عند اهل الشرع او تدركها الروح اذا انقطعت عنها علايق البدن واتصلت بالملاء الاعلى فتلقيها الى القوة المتخيلة فترتسم في الحافظة وتبقى مشاهدة فيها حتى يستيقظ فان كانت النفس قدسية والقوى قوية وقع ما رأته بعينه ولم يحتج للتأويل وهو الاكثر في رؤيا الانبياء عليهم الصلوة والسلام ومن كان على سننهم ولذا اراد الخليل عليه الصلوة والسلام ذبح ابنه ولم يأول رؤياه بالفداء حتى امره الله تعالى به والا فتأول بما يناسبه معنى او لفظا او محاكيه صورة وفعلها عبر بالتخفيف فعبر بالضم عبارة بالفتح كعلاقة وطلامة او عبارة كرسالة وقد تشدد فيقال عبر تعبيرا قال في الكشاف في سورة يوسف رأيتهم ينكرون عبرت بالتشديد والتعبير والمعبر وقد عبرت على بيت انشده المبرد في الكامل يدل عليه وهو

* رأيت رؤيا ثم عبرتها * وكنت للاحلام عبارا * انتهى

هذا ما ذكره من يوثق به في اللغة كالجوهري وصاحب القاموس وغيره وقال في عدة الحفاظ العبارة بكسر العين تختص بالكلام لعبور الهواء من لسان المتكلم لسمع السامع ولا يستعمل في تعبير الرؤيا انتهى يعني انها فيه مفتوحة لا غير فتوهم بعض الشراح انها بكسر العين لا غير وانه انكر هذا اللفظ مطلقا واساء سمعا فساء ما جاء به ثم جاء من بعده فصار به مضار به العميان فقال انه كلام ضعيف مردود ولم يقف على المراد ولم يأت بما يدفع الايراد فاخطأ في المعنى والعبارة واما تحقيق معنى الرؤيا فليس هذا محله ولعل الموتة تفضي اليه في بحث النبوة وقد افردنا له تعليقة (والطب) وهو مثلث الطاء الا انه لم يستعمل فيما نحن فيه الا بالكسر والمراد به علم يتعلق ببدن الانسان من حيث الصحة والمرض وهو من علوم الاوائل وللعرب فيه اعتناء وقد افرد الطب النوي بالتأليف (والحساب) بكسر الحاء مصدر حسب بمعنى عد ثم صار علما للعلم يعرف به احوال المقادير وهو من العلوم الرياضية القديمة (والفرائض) ذكره بعد الحساب لتوقفه عليه وهو علم يعرف به احوال المواريث وهو جمع فريضة بمعنى مفروضة لان الله فرضه وهو من العلوم الاسلامية واطلاق

هذا اللغط عليه بعد نزول القرآن ومعناه ظاهر (والنسب) اى معرفة انساب الانسان من آدم عليه الصلوة والسلام الى كل عصر وهو من علم التاريخ وكانت العرب تعتنى به وهو اعلم الناس به واعلم الناس به بعد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الصديق رضى الله تعالى عنه وهو من نسبت الرجل اذا عزوته لابيه وماسته للفرائض طاهرة وهذه العلوم كلها شرعية وفرض كفاية لاسيما الفرائض والانساب فان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم امر بالمحافظة عليها ولعن من انتسب لغير نسبه فقال من حرح من نسبه وانتمى لغير قبيلته فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين كما نقله التلمسانى (وغير ذلك مما سنبينه فى معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم فى ابوابه ان شاء الله تعالى) وقد حصل له عليه السلام ذلك (دون تعلم) من احد من البشر والظرف متعلق بقوله علمه السابق (ولا مدارسة) من درس الكتاب اذا قرأه وحفظه اى لم يعرف بأحذه من الافواه وحفظه لشئ من العلوم عن غيره (ولا مطالعة كتب) يقال طالعت الشئ اذا اطلعت عليه اى لم يطلع على شئ من الكتب بقرائتها او سماعها لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان اميا بين قوم اميين لم يره احد قرأ ولا تعلم ممن قرأ واستعمال المطالعة بمعنى القرأة وهو مجاز مشهور قريب من معناه اللغوى (من تقدم) ككتب الانبياء عليهم الصلوة والسلام والحكماء (ولا الجلوس الى علمائهم) اى لم يعرف احد انه جلس عند احد ممن يعلم كتب من تقدم ليأخذها عنه والضمير لمن باعتبار المعنى وكل ذلك الذى حصل له صلى الله تعالى عليه وسلم انما هو علم لدنى غير مكتسب من احد من البشر واما قوله ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر ففيه الرد على قولهم المذكور بانه كذب مجض يبهد العيان ببطلانه وقد تولى الله تكذيبهم فى ذلك كما هو مبسوط فى التفسير (بل) هو صلى الله تعالى عليه وسلم (نبى امى لم يعرف بشئ من ذلك) التعلم والمدارسة والمطالعة والمجالسة اى منبئ عن الله اومنشأ لاعن مخلوق والامى منسوب الى الام لانه كيوم ولدته امه او الى ام القرى او امة العرب لان القراءة والكتابة كانت عزيزة فيهم والامى الذى لا يكتب ولا يقرؤ الكتب (وقيل هو الذى لا يكتب وبما شرحناه علمت مناسبة ذكر النبى هنا وفى الحديث انا امة امية لا نحسب ولا نكتب اى على حلتنا لا نتعلم حسابا ولا كتابة ولا ينافى ما مر من علمه صلى الله تعالى عليه وسلم بالحساب (حتى شرح الله صدره) اى وسعه ونوره بالعلم والحكمة وهداه لكل حوى من العلوم (وابان امره) اى اظهر امره فى العلم للناس بآياته الظاهرة ومعجزاته الباهرة واقامته الحجج المتواترة (وعلمه) من لدنه العلوم المعهودة وغيرها (واقرأه) اى اقدره على القرأة بما القاه او بما اوحاه اليه بواسطة الملك والاسناد مجازى او التجوز فى الظرف كقوله سنقرئك فلا تنسى (يعلم) بالبناء للمجهول (ذلك) اى ما علمه صلى الله عليه وسلم من العقل والعلم من غير تعلم (بالمطالعة) اى بالاطلاع على سيره صلى الله تعالى عليه وسلم

وسمائله من كتب الحديث (والبحث عن حاله) وفى نسخة من حاله والظاهر الاول لتعديه بعن و هو بمعنى التفتيش عنه بالسؤال وغيره (ضرورة) منصوب بنزع الخافض متعلق بيعلم اى من وقف على احواله صلى الله عليه وسلم علم ذلك بمجرد التفات الذهن اليه من غير احتياج الى دليل (وبالبرهان القاطع على نبوته صلى الله عليه وسلم نظرا) اى و يعلم ذلك ايضا بالبراهين القاطعة الدالة على نبوته لمن نظر فيها فقوله بالبرهان معطوف على قوله ضرورة وعلى نبوته حال من البرهان ونظرا تمييز والنظر اصله تقليب البصر للادراك ثم استعمل فى التأمل والفحص والمعرفة الحاصلة منه والاستدلال وهو المراد هنا اى من نظر فى دلائل نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم علم قوة عقله وانه احاط بعلوم لانهاية لها (فلا نطول بسرد الاقاصيص) السرد تعداد امور من القصص ونحوها متتابعة متوالية مستعار من سرد حلق الدرع وخيوط النسج والاقاصيص جمع اقصوصة كاعجوبة بمعنى قصة او جمع قصص على خلاف القياس كما قاله التلمسانى يقال قص واقص بمعنى اخبر والقصص اسم مصدر وقيل انه يحتمل ان يكون جمع اقصاص جمع قصص كانعام واناعيم فى جمع جمع نعم الا انهم تركوا استعمال اقصاص فانه لم يسمع وفيه تكلف لايخفى (واحاد القضايا) احاد بمد الهمزة جمع احد بمعنى مفرداتها وفى العباب سئل ابو العباس عن الاحاد هل هو جمع الاحد فقال معاذ الله ليس للاحد جمع ولكن ان جعلتها جمع الواحد فهو يحتمل كشاهد واشهاد وليس للواحد تثنية ولا للاثنين واحد من جنسه انتهى والقضايا جمع قضية وهى الجملة من الكلام الدالة على معنى من الاحكام وهى قريبة من قول اهل الميزان القول المحتمل للصدق والكذب كالخبر فهى اخص من الكلام والجملة ووزنها فعالى عند الكوفيين وفعايل عند البصريين (او مجموعها) جميع قصصه وقضاياه (مالا يأخذه حصر) اى ضبط واصل معنى الاحد حور الشئ وتحصيله ثم استعمل بمعنى العلة والقهر كقوله لاتأخذه سنة ولانوم كما مر وهذا هو المراد هنا وجعل مجازا او كناية عن انه لايمكن حصره وكذا قوله (ولايحيط به حفظ جامع) اى لايحفظ والاحاطة الاحد مجاز الشئ واريد به ماذكر (وتحسب عقله) قال البرهان هو فى الاصل سكون السيل ويدعى ان يفتح اى بقدر عقله وادراكه وقد جور فيه السكون لكنه ضرورة والذى فى القاموس هذا تحسب ذا اى تعده وقد تسكن ولم يخصه بالضرورة (كانت معارفه صلى الله تعالى عليه وسلم) جمع معرفة اى علومه (الى سائر ماعلمه الله واطلعه عليه من علم مايكون وما كان) اى مضمومة الى الجميع او باقى ما اطلعه الله عليه مما تقدم فى الكون من احوال الامم الخالية وكتبهم وشرايعهم وما اطلعه الله عليه من المغيبات التى ستأتى ولما كانت جلالة قدره بواسطة علمه بما يكون اقوى منها بواسطة علمه بما كان قدم مايكون فى المستقبل على ما كان

فى الماضى مع سبقه اهتماما بشانه ومقتضى الترتيب العكس (وعجايب قدرته وعظيم ملكوته) مجرور معطوف على علم و المراد ما اطلعه الله عليه فى الاسراء من خلق الملائكة والسموات واقداره على ذلك فى برهة من الزمن وقدمر ان الملكوت مبالغة فى الملك كالرحموت والحبروت و يطلق و يراد به عالم الامر و يقابله الملك (قال الله تعالى) ومايضرونك من شئ وانزل الله عليك الكتاب والحكمة (وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما) اى علمك مالم تكن من شانك وفى قدرتك علمه كالمغيبات والاطلاع على احوال الملكوت ولذا امتن عليه صلى الله تعالى عليه وسلم اى فضل عظيم وصله به على مخلوقاته تعالى لانه كقولهم مايكون لك ان تفعل كذا اى لاينبغى ولايليق اولايصح ولايمكن ولذا ختم الآية بهذه المقدمات دون قوله فى الآية الاخرى علم الانسان مالم يعلم الا انه يبقى السؤال حينئذ على الآية الثانية بانه اى فائدة فى ذكر هذا المفعول والتعليم معلوم انه لايكون الا لغير المعلوم وقال فى عروس الافراح بعد ماذكر ان لم النافية يجوز فيها اتصال اللى وانفصاله وانهما اجتمعا فى قوله وعلمتم مالم تعلموا انتم ولا اباؤكم وفائدة ذكر المفعول فى قوله وعلمك مالم تكن تعلم كان الانسان لايعلم الا مالا يعلم التصريح بذكر حالة الجهل التى اتفقوا عليها فانه اوضح فى الامتنان انتهى وفى حاشية السيرامى على المطول ان الشارح قال فى بعض دروسه الاولى ان يقول مالم يكن يعلم كما فى قوله تعالى وعلمك مالم تكن تعلم اذلا فائدة فى ذكر المفعول اذ التعليم انما يكون لما لم يعلم ولم يكن فيه استعداد له لو لم يعلمه لم يحصل العلم لحصانه على غير علام الغيوب وهو بعيد اذ ربما يتوهم حصوله من غير تعليمه تعالى وردبانه كقوله تعالى علم الانسان مالم يعلم الاية فالاولى ان يحمل ذكره على افادة العموم لانه لئلا يتوهم اختصاصه ببعض الافراد كقوله تعالى ومامن دابة فى الارض ولاطائر يطير بجناحيه للتأكيد فتدكر لكن قوله من البيان يأباه ويحتمل انه ذكر للسجع انتهى (اقول هذا كله كلام سطحى والذى ظهر لى فى الاية ان جملة علم الانسان مفسرة للصلة وما الموصولة عبارة عن الكتابة والقراءة فانه لما قال له صلى الله تعالى عليه اقرأ فقال ما انا بقارئ سواء اريد النفى اوالاستفهام قال له كيف لاتقرأ ولك رب اكرم تفضل على عباده بنعم احلها ان كل انسان كان اميا مثلك فى ابتداء امره فعلمه الكتابة وقراءتها بالهامه فكيف لايعلمك وانت اعزهم عليه واقواهم بصيرة فاى فائدة اتم من هذه وكل فعل متعد يدل على فاعل ومفعول ما التزاما ولذا لم يعد ضرب ضارب وضرب لمضروب فان اريد عموم اوخصوص افاد وهما علم انه لو قال مالم تكن تعلم اوعقد عما عقب به تلك الاية لم يصادق محزه وماقيل من انه لم يذكر الكون فى هذه الاية وذكره فى غيرها لانه ورد فى مقام خال عن اعتبار القوة والاحتمال فلا يناسبه ذكر الكون المودن بهما بخلاف تلك و يؤيده قول الكرمانى فى قوله تعالى وماكان الله ليضيع ايمانكم

ان كان ذكرت للتأكيد لان معناه كما فى الكشاف ماصح ويعى به نفى امكان الاضاعة وهو ابلغ من نفى الاضاعة نفسها ومنه يعلم الخبر فى انه اردف قوله وعلمك مالم تكن تعلم بقوله وكان فضل الله عليك عظيما ولم يردف هذه به لما فى الاول من المبالغة والتأكيد انتهى قد علمت ما فيه مما تقدم وقوله (حارت العقول فى تقدير وصفه عليه) المذكور فى هذه الاية لانه لايمكن الوقوف عليه ولذا وصفه بانه عظيم ولكن ومايكون عنده تعالى عظيما كيف يعلمه سواه (وخرست الالسن دون وصف يحيط بذلك) الفصل ومالايدرك كيف يوصف وفى قوله حرست دون سكتت وصمتت مبالغة لانه يقتضى سلب القوة الناطقة ثم ترقى فقال (او ينتهى اليه) اى كيف يحيط بما لم يصل اليه

﴿ فصل واما الحلم ﴾ اى حلمه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو ضبط النفس والطبع من هيجان الغضب وعدم اظهاره (والاحتمال) هو افتعال من الحمل وهو يكون على الظهر وفى الدلو ففرق بينهما لفظا ثم استعمل فى التكليف كقوله لاتحملنا مالاطاقة لنا به وللصبر على المكاره وعدم التأثر منها كما فى الماء لايحمل الخبث وهو المراد هنا (والعفو) عدم المؤاخذة بالذنب ونحوه وهو قريب من المغفرة وبينهما فرق تقدم (مع القدرة) وفى نسخة المقدرة بفتح الدال وضمها وميم مفتوحة مصدر ميمى بمعنى القدرة ومن كلامهم المقدرة تذهب الحفيظة اى الغضب والحمية (والصبر على مايكره) وكان صلى الله تعالى عليه وسلم من هذا بمرتبة لا تدرك (وبين هذه الالقاب) اى بين مسمياتها هذه الالقاب (فرق) يتميز بها عن غيره واحتاجت الى الفرق لتقارب معانيها والمراد باللقب اللفظ الحامد الدال على صفة لما اصطلح عليه النحاة وهو كما قال الراغب اسم يسمى به الانسان غير اسمه الاول ويراعى فيه المعنى بخلاف الاعلام (فان الحلم حالة توقر) بفتح المثناة الفوقية وضم القاف المشددة اى اظهار الوقار وهو السكون يقال هو وقور ووقار ومتوقر اى ساكن غير مضطرب (وثبات عند الانسان المحركات) كالغضب قيل ولابد من اعتبار كون هذا السهولة حتى يخرج التحلم وان كان بعد الاعتبار يصير كذلك (والاحتمال حبس النفس عند) ورود مايعتريها من (الالام) بمد الهمزة جمع الم وهو مايولم فى اى عضو كان (والمؤديات) بالهمزة والواو والدال المعجمة جمع مؤدية والادى كل مايتأذى به والمراد بحبس النفس ضبطها حين تخضع لسلطان العقل وتطمئن لما يأمرها به وفى نسخة العرقى رواية كما قاله التلمسانى المرديات بالراء والدال المهملتين من الردى بمعنى الهلاك (ومثلها) قيل المراد مثل المذكورات وقيل المراد مثل الاحتمال وانما صيره باعتبار انه حال او قال ومثله كان احسن واسلم من التكلف (الصبر) فان معناه لغة الحبس ومنه قتله صبرا اذا امسكه ليقتله فى غير قتال وهذا يؤيد ارجاع الضمير للاحتمالات (ومعانيها متقاربة) قال الراغب الصبر الامساك فى ضيق وحبس النفس عما يقتضيه

العقل او الشرع او عما يقتضيان حبسها عنه فالصبر لفظ عام وربما حولف بين اسمائه بسبب اختلاف مواقعه فان كان حبس النفس لمصيبة سمي صبرا لاغير ويضاده الجزع وان كان في محاربة سمي شجاعة ويضاده الجبن وان كان في نائبة تضجره سمي رحب الصدر ويضاده الضجر وان كان في الكلام سمي كتمانا ويضاده الزلة انتهى ومنه تعلم ان له معنيان خاص وعام فلو حمله المصنف على الخاص لغا راحويه وهو الاولى (واما العفو فهو ترك المؤاخذة) بالهمزة وبالواو غير فصيحة وهي الحراء على ما فعل غيره قيل وفي تفسيره بالترك اشعار بانه لا يكون الا عن قدرة لان من لا يقدر عادم لا تارك فتقييده به اولا للتأكيد كسطر بعينه كقوله

* وان في الحلم ذلا انت عارفه * والحلم عن قدرة فضل من الكرم *

لانه ان لم يكن عن مقدرة فهو عجز وما احسن قول ابن زيدون

* ارى الدهر ان يطس فلك يمينه * وان تبسم الدنيا فانت لها ثغر *

* عطاء ولا من وحلم ولا هوى * وحلم ولا عجز وعفو ولا كبر *

(وهذا كله مما ادب الله به نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم) اي آداب ومحاسن علمها الله لنبيه صلى الله عليه وسلم وارشده بعد ما خلق فيه استعدادا تاما لها كما قال ادبني ربي فاحسن تأديبي وهو احد الحكم في كونه صلى الله عليه وسلم ترى يتيما حتى يعلم ان ربه مربيه من غير حاجة لامه وابيه (فقال خذ العفو وأمر بالعرف الآية) وتمامها واعرض عن الجاهلين وهذه الاية جامعة لمكارم الاخلاق اي تعاط العفو عن الناس وترك مؤاخذتهم وفي عدوله عن اعف الاطهر الاحضر نكتة يعرفها من له المام بالادب كما ان في قوله وأمر بالعرف دون افعل اشارة الى انه متصف به مركوز في جبلته ومن تأمل مثله استخرج منها فوائد لا تحصر ومنهم من فسر العفو بما سهل من اخلاق الناس وافعالهم من غير كلفة وطلب لما يشق واعترض عليه بما غير مناسب لقوله (وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت عليه هذه الآية) بهذا الحديث كما قاله السيوطي رواه ابن جرير وابن ابي حاتم وابو الشيخ في تفاسيرهم وابن ابي الدنيا في مكارم الاخلاق ووصله ابن مردويه من حديث جابر رضي الله تعالى عنه وعزا الشيخ قاسم للبخاري عن عبد الله بن الزبير في قوله خذ العفو الى آخره انه قال ما انزل الله هذه الآية الا في اخلاق الناس وله في رواية اخرى تعليقا عن عبد الله قال امر الله تعالى نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم ان يأخذ العفو من اقوال الناس اومن اخلاق الناس واما قوله (واعرض عن الجاهلين) اي عن معايبهم ولا تمارهم فان كان شاملا لمداراة الكفار فهو منسوخ بآية السيف وان كان امرا بمكارم الاخلاق وعدم مقابلة من سفه فليست منسوخة (قيل ويعين هذا

ما رواه البخاري من ان عيينة بن حصين استأذن له الحر بن قيس من عمر رضي الله تعالى عنه في الدخول فدخل عليه وقال له يا ابن الخطاب اما تعطينا الجزل وتحكم بيننا بالعدل فغضب عمر رضي الله تعالى عنه فقال له الحر يا امير المؤمنين ان الله عز وجل قال لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم خذ العفو الاية وان هذا من الجاهلين فما جاوزها عمر رضي الله تعالى عنه وكان وقافا عند كتاب الله فهذا يدل على انها غير منسوخة وليس كما قال فانه يجوز ان يكون استشهد بها لسمولها غير الكفار لا ان هذا هو معناها فقط (سأل) النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (جبريل) عليه الصلوة والسلام (عن تأويلها) اي تفسيرها وبيان المراد منها فانه احد معنيي التأويل (فقال له حتى اسئل العالم) يعني الله عز وجل والعالم كالعليم من اسماء الله تعالى ويوصف بهما غيره تعالى اما الاول فظاهر واما الثاني في حق الله فظاهر واما في غيره فكقوله * فان تسالوني بالنساء فاني * عليم بادواء النساء طبب * والثاني في حق الله تعالى اشهر وقيل المراد بالعالم الكامل في العلم كما في قوله ذلك الكتاب فيختص به فانه مساو لهذا المعنى للعليم واما العليم فاطلاقه على غير الله لم يسمع والشعر المذكور لابن الوردي وهو من المتأخرين لا يستدل به وهذا الحديث يكفي شاهدا لاطلاق العالم على الله فهو كاف في ثبوته (اقول هذا عجب من مثله وفيه من الخلط ما لا يخفى واما قوله ان الشعر المذكور لابن الوردي فافتراء عليه لانه شعر فصيح لبعض العرب وهو مذكور في الشواهد واما استدلاله على العالم بالحديث وهو مذكور في القرآن كقوله عالم الغيب والشهادة فهما يقتضيان منه العجب واما قول جبريل عليه الصلوة والسلام حتى اسئل العالم دون اسئل الله وكانه تأدب منه لايهام انه لا يسئل الله لذات فكان بينه وبينه واسطة اي من هو عالم بالتفسير وفيه ارشاد لمن سأل عن شئ لا سيما القرآن فينبغي ان يثبت فيه وفي جبريل تسع لغات جبريل بكسر الجيم وجبريل بالفتح وجبرئل بالفتح مهموزا مشدد اللام وجبرائيل بهمزة بعد الالف وجبرئل مفتوحا بهمزة بلا الف وياء وجبريل وجبرين بنون وفتح الجيم وكسرها وفيه لغات اخر وقال الجوهري والازهري وكثير من المفسرين في جبريل وميكائيل ان جبر وميك معناهما عبد وئيل وال اسم الله وقال ابو علي الفارسي هذا خطاء لان ال لم يذكر احد انه من اسماء الله تعالى ولانه لو كان كذلك كان عبد الله يلزم آخره حالة واحدة ولا يعرب بحسب العوامل قال النووي وهو الصواب ولا يخفى ما فيه فان ال اذا كان اسما لله فهو سرياني فلا يأباه عدم معرفة العرب له واما اعرابه فلانه لما عرب غيرعما كان عليه وجعل اسما واحدا ولدا ارجعوه لاوزانهم والعرف هو الخصال المحمودة لا العرف الشرعي كما توهم (فاتاه) اذ فصيحة اي انفصل عنه وفارقه ثم تاه

(وقال يا محمد ان الله يأمرك ان تصل من قطعك) الظاهر ان المراد به صلة الرحم والرحم بمعنى القرابة وصلتهم بالاحسان اليهم وفعل الجميل وقوله كالهدية والزيارة وارسال السلام ونحو ذلك وضده قطع الرحم ويحتمل التعميم لتعليم الخلق وترك التهاجر المنهى عنه كما فى قوله (وتعطى من حرمك) يقال حرمه واحرمه بمعنى اى احسن الى من لم يحسن اليك وهذا ارشاد له صلى الله تعالى عليه وسلم ولامته وان كان لا يرجو غير الله واحسانه (وتعفو عمن ظلمك) هذا معنى قوله حد العفو وما قبله يعنى وأمر بالعرف ولم يتعرض لقوله واعرض عن الجاهلين اما لظهوره واللاشارة الى انه فى معرض التسخ او لان المراد بالجاهلين من قطع وظلم وهذا اشارة الى اصول الاخلاق واعظمها واحسنها الى الله تعالى فتدبر (وقال له واصبر على ما اصابك الآية) وهذه الآية من وصية لقمان لابنه اذ قال له يا بنى اقم الصلوة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر كما قصه الله تعالى فى كتابه الكريم وكل ما قصه الله تعالى من قصص الانبياء عليهم الصلوة والسلام فهو ارشاد لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ولامته فكانه بما امر به ابتداء فلا يتوهم انها ليست فى حقه اى اذا امرت بمعروف ونهيت عن منكر واصابك بسبب ذلك مكروه فاصبر له (وقال فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل) قال العربى عند السلام اولو العزم اولو الجد والجهد والصبر وهم المأمورون بالجهاد او الرسل من العرب وقيل من لم تصبه فترة وقيل من اصابه بلاء يعبر ذنب وهم نوح وابراهيم ومحمد صلى الله تعالى عليهم وقيل نوح وابراهيم وموسى وداود وسليمان وعيسى ومحمد وقيل هم المذكورون فى الانعام فى قوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده الايوبس لقصة الحوت انتهى ولا يذهب عند محمد صلى الله عليه وسلم هذا القوله كما صبروا هم كلهم من الرسل وقد علمت انه اختلف فيهم فقال مجاهد هم خمسة وهم اصحاب السرايع وقيل ثلاثة وقيل ستة وقيل جميع الرسل اولو عزم وقيل كل الانبياء عليهم الصلاة والسلام اولو عزم الايوبس للحلبى والفاء فى قوله فاصبر فصيحة لان قبلها ويوم يعرض الذين كفروا على النار اى اذا كان عاقبة الكفرة ما ذكر فاصبر وقد صبر صلى الله عليه وسلم مثل صبرهم وزاد عليهم ومن فى من الرسل بيانية او تبعيضية والخلاف دائر على تفسير العزم بالصبر كما هو ظاهر الآية او الجد والاجتهاد او الجهاد (وقال وليعفوا وليصفحوا الآية) الاتحبون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم العفو عدم المؤاخذة بالذنب والصفح الاعراض عنه وعن ذكره لان من اعرض عن شئ ولاه صفحة عنقه وهذه الآية وان نزلت فى لاعك وفى حق ابى بكر رضى الله عنه اذ كان ينفق على مسطح لقرابته منه فلما خاض فى لاعك الى ان لا ينفق عليه فقال الله تعالى * ولا يأتل اولو الفضل منكم والسعة ان يؤتوا اولى القربى والمساكين * الى آخره فقال ابو بكر رضى الله تعالى عنه بلى والله انى لاحب ان يغفر الله لى وعاد الى انفاقه عليه فالنبى صلى الله تعالى

عليه وسلم داخل فى عمومها كما فى سائر الخطابات فلا يرد على المصنف ان هذه الاية ليست فى حقه صلى الله عليه وسلم (وقال ولمن صبر وغفران ذلك لمن عزم الامور) اى من اهم الامور التى ينبغى التصميم والعزم عليها واللام موطئة للقسم ان قلنا ان من شرطية اولام ابتداء ان قلنا انها موصولة كما فصله المعربون وهذه الاية مع ما قبلها كما علمت نزلت فى ابى بكر رضى الله عنه وقد شتمه بعض الانصار واستشهد بها المصنف على انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان آخذا بذلك معتمدا عليه (ولاحقاء بما يؤثر من حلمه واحتماله) الباء بمعنى فى و يؤثر بمعنى ينقل و يروى من حلمه وتحمله للاذى فانه سايع غيره حتى على احد (وان كل حليم) اى ولا حقا ان كل حليم غيره صلى الله عليه وسلم (قد عرفت منه زلة) بفتح الزاى المعجمة وهى الخطيئة والسقطة قال الشاعر

* فنى لا تزل زلة لبس بعدها * تحو و زلات النساء كثير *

(وحصصت عنه هموة) بفتح الهاء وسكون الفاء وهى قريبة من الزلة معنى وقال اللسانى هى بالفاء وهو اكثر و بالقاف وهى السقطة وهو غريب منه وهى من هما بمعنى زل وسقط اوتحرك واسرع (وهو صلى الله تعالى عليه وسلم لايزيد مع كثرة الاذى الا صبرا وعلى اسراف الجاهل الا حلما) جملة حالية اى مع انه لابد من الزلة والهفوة فى الغضب والمكاره فهو صلى الله عليه وسلم لايزداد مع ذلك الا صبرا وحلما والمراد بالجاهل ليس ضد العالم وان كان اشهر معنييه بل هو السئ الخلق المجارف فى امور قال الشاعر * لايجهلن احد علينا * فيجهل فوق جهل الجاهلينا *

فالجهل بهذا المعنى خلاف الحلم و يتعدى بعلى وقد تترك تعديته كقول الحماسى * ويعصى الحلم عند الجهل للدلة ادعان * وقال بعض الحكما * لايحملنك سب الجهول لك وجرأة السفيه عليك على الاجابة له و فربه عليه فحلم يعنى صبرك حيرص سفهه ينفى صدرك * وهو مما يدل على مغايرة الحلم للصبر وان كان مقارنا له كما مر وهذا هو المعروف عند العرب فى الجهل والاسراف بمعنى الزيادة ومجاوزة الحد (حدثنا القاضى ابو عبد الله محمد بن على التعلبى وغيره) هو محمد بن على بن محمد بن عبد العزيز بن حمدين ربة عسلين التعلبى بفتح المثناة الفوقية وسكون العين المهملة منسوب لتعلب اسم قبيلة سميت باسم ابيهم كتميم ولامه مكسورة تفتح فى النسب استيحاشا من توالى كسرتين وياء ولد سنة تسع وثلاثين وار بعمائة ومات يوم الخميس لليلتين بقيتا من المحرم سنة ثمان وخمسمائة ودفن يوم الجمعة بعد صلاة العصر وكان فقيها ثقة تولى القضاء فى ايام المرابطين ولاه يوسف بن تاسفين فسار باحسن سيرة و بقى فيها مدة عمره وسمع من شيوخ الاندلس واخذ عنه المصنف فى رحلته لقرطبة (قالوا حدثنا محمد بن عتاب) بفتح العين المهملة وتشديد المثناة الفوقية والف و باء موحدة وهو ابن محسن الخدامى

المحدث العاضل توفى ليلة الثلاثا لعشر بقين من صفر سنة اثنين واربعمائة قال (حدثنا ابو بكر بن وافد وغيره) هو يحيى بن عبد الرحمن بن وافد بالفاء والدال المهملة علم مقول من الوافد بمعنى القادم قال ابن سهل فى احكامه كان ابن وافد مقدما فى اصحاب ابن ذرب ثم سقط بعد موته والزم داره ثم اعاده المنصور بن سليمان الى مرتبته وجعل اماما بجامع الزهراء ثم وقعت له امور اقتضت موته فى الحبس ودفن بمقبرة الربض سنة خمسين واربعمائة وانتصر الله من قاتله بعد ايام وفى بعض الحواشى انه وقع هنا فى اصل السماع وافد بالفاء وفيما سيأتى فى كيفية الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وافد بالقاف وهو الصواب والاول هو الذى صححه البرهان الحلبى والتلمسانى قال (حدثنا ابو عيسى) هو الليثى واسمه يحيى بن عبد الله بن ابى عيسى يروى عن ابيه عبد بن يحيى توفى لعشرين مضين من رمضان سنة ثلاث وثلاثين ومائتين قال (حدثنا عبد الله) قال البرهان الحلبى هو ابو مروان عبيد الله بن يحيى بن يحيى بن كثير قال (حدثنا يحيى بن يحيى) قال البرهان الحلبى هو يحيى بن كثير الليثى مولاهم البربرى المصمودى القرطبى الفقيه ابو محمد عالم الاندلس لم يخرج له فى الكتب الستة شئ والموطأ مشهور به وموطأه اصح نسخ الموطأ وقد سمعته بحلب وقرأته بالاسكندرية اما الذى له ذكر فى البخارى ومسلم والترمذى والنسائى فهو يحيى بن يحيى بن ابى بكر بن عبد الرحمن بن يحيى بن حماد التميمى ابو زكريا النيسابورى احد الاعلام انتهى قال (حدثنا مالك) بن انس بن مالك بن ابى عامر الاصبحى امام دار الهجرة ومن اليه الرحلة بها صاحب المذهب الجليل واختلف فيه هل هو تابعى او من تبع التابعين ولد سنة ثلاث وتسعين وتوفى فى ربيع الاول سنة تسع وسبعين ومائة ومات وهو بن ست وثمانين واختلف فى جده ابى عامر هل له صحبة ام لا (عن ابن شهاب) هو محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهرى توفى سنة اربع وعشرين ومائة وقيل غير ذلك (عن عروة) بن الزبير بن العوام اخو عبد الله بن الزبير احد فقهاء المدينة السبعة روى عن ابويه الزبير واسماء بنت ابى بكر وخالته عائشة رضى الله تعالى عنهم وغيرهم وتوفى سنة اربع او خمس وتسعين بعد الهجرة وولد سنة اثنين وعشرين وهذا حديث صحيح فى الصحيحين والموطأ واختاره المصنف طريق الموطأ فقال (عن عايشة) ام المؤمنين فريدة الصدق ويتيمة الدهر رضى الله تعالى عنها (قالت ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين امرين قط الا اختار ايسرهما) قال البرهان هذا اخرجه المصنف من موطأ مالك عن يحيى بن يحيى وقد اخرجه البخارى ومسلم واصحاب السنن ولم يروه المصنف من غير هذه الطريق لانه امام مذهبه ولاهل العرب اعتناء به وترجيحه على غيره من الكتب الستة ولان سنده فيه من هذه الطريق اعلى من سنده فى غيره

لان بينه و بين ذلك فى هذه الطريق ستة بالسماع بينه و بينه فى رواية الصحيحين سبعة وفى ابى داود ستة الا انه بالاجازة فلذا اختار هذه الطريق على غيرها لما لها من الشان عنده وفى هذا الحديث الاخذ بالاسهل والارفق مالم يكن حراما اومكروها ونقل النووى عن المصنف انه يحتمل ان يكون تخييره هنا من الله فيخيره فيما فيه عقوبتان اوفيما بينه و بين الكفار من القتال عقوبتان واخذ الجزية اوفى حق امته فى المجاهدة فى العبادة والاقتصاد فيها فيختار الايسر واما قوله (مالم يكن اثما) فيتصور اذا خيره الكفار او المنافقون اما اذا كان التخيير من الله اوالمسلمين فيكون الاستثناء منقطعا انتهى قال بعض الشراح انه فهم من قوله مالم يكن الى اخره اى موجب اثم من حرام اومكروه ما يفهم من الاستثناء فسماه استثناء وجعله منقطعا لاستحالة ان يخيره الله اوخلص المؤمنين بين امرين احدهما اثم وهو مبنى على ان مافى معنى الاستثناء له حكم الاستثناء الاترى الى قول النحاة ان قولك لازمك اوتقضينى حقى بمعنى الا ان تقضينى حقى فكانه قال هنا الا ان يكون اثما فان قلت هذا مما ورد ان افضل العبادة احمزها اى اشقها على البدن فكيف يختار غير الافضل قلت انما كان صلى الله تعالى عليه وسلم يؤثر الايسر لامته تخفيفا عليهم لا فى حق نفسه لانه ارسل بالحنيفية السمحة ولذا كان صلى الله عليه وسلم يقوم حتى تورمت قدماه ويؤيده مافى نفس الامر قوله فى بعض الحديث انه صلى الله عليه وسلم ما انتقم لنفسه يعنى ان التخيير بين الاثم وغيره من العباد يتصور واما من الله فلا فاذا اول بما يوجب الاثم او يمضى اليه فى حق غيره صح اوالمراد بالاثم مالا يليق به صلى الله تعالى عليه وسلم لعصمته كما اذا خير بين ملك كسرى الارض وعيش الكفاف ويدل على انه فى حقه قوله (فان كان اثما كان ابعد الناس منه) اقول قال العز بن عبد السلام وتبعه الزركشى فى قواعده ان قولهم الاجر على قدر المشقة وماورد فى حديث عايشة رضى الله عنها اجرك على قدر نصبك كما فى مسلم ليس على اطلاقه انما هو اذا اتحد العملان فى الشرف والشرائط والسنن وكان احدهما شاقا فيثاب على تحمل المشقة وذلك كالغسل فى الصيف والشتاء اما اذا لم يتساويا فلا فان الايمان افضل من الاعمال مع حقته والمختار ان فضل الاعمال انما هو بالمصالح الناشئة عنها فتصدق البخيل افضل من قيامه الليل وانفاق الحاكم مظلوما بكلمة افضل من قيامه الليل وصيامه النافلة انتهى وهذا هو الحق الذى لامحيد عنه فلا حاجة لما تطالوا به من غير طائل (وما انتقم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لنفسه) اى لايعاقب احدا بتقصير وقع منه فى حقه بحيث يكون فاعله لم يخالف امر الله فيما فعله لانه برئ من الخطوط النفسانية والاعتبارات الدنيوية (الا ان تنتهك حرمة لله فينتقم لله بها) اى بسبب حرمة لله وانتاكها وحرمة الله ما حرمه او جعله محترما ممنوعا وانتهاكه التعدى والتجاوز فقد من هتكت الثوب

اذا لسته حتى احلقته و يقال نهكته الحمى اذا اضعفته واضنته فانتهاكها تناولها بما لايحل وانتهك فلان محارم الله اى فعل ما حرم الله فعله عليه لما فيه من ضعف الدين وابتذال حكمه و ليس الانتهاك المبالغة فى اتيان ما حرمه الله تعالى كما توهم حتى يرد انه لايعضب بمجرد فعل محرم اوصغيرة مرة واحدة و يحتاج الى الجواب بان من فعل ذلك فقد بالغ فى الجرأة على الرب العظيم او يقال انه كان يعصى عند فعل الصغائر و يغضب اذا فعلت الكبائر فان هذا مما لايدرى فانه كيف يخطر ببال احد انه عليه السلام يعصى عن الصغائر من غير عذر لها فعلها ولاحاجة ايضا الى حمل هذا على ما يتعلق بالمال فانه عليه السلام اقتص ممن نال من عرضه كما امر بقتل ابن ابى معيط والاحطب واى حرمة لله اعظم من حرمة نبيه عليه السلام ومن اذاه فقد اذى الله وانما المراد ما كان يقع من بعض جفاة الاعراب كالاعرابى الذى امسك رداءه وجذبه حتى اثر فى جيده الشريف وقول بعضهم له اعدل فى القسمة فانك لن تعطى من مال ابيك ونحو ذلك مما صدر منهم لغلظة طباعهم مما لايفضى الى ارتكاب محرم فمن ارتكب شيئا من محارم الله تحصر به عليه السلام التى من جملتها احترامه انتصر وعاقبه الله لا لحق نفسه وان تعلق بها انتقاما لدين الله ورسوله عليه السلام (وروى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما كسرت رباعيته) رباعية بوزن ثمانية بين الثنية والناب من اليمين والاخرى من اليسار وقابلها مثلها من فوق فالرباعيات اربع (وشج وجهه يوم احد) لشجة جراحة فى الوجه او الرأس (نثى دلك) الكسر والشج (على اصحابه شديدا) اى حصل من ذلك فى نفوسهم مسفة وامر اشديدا عظيما (وقالوا) له صلى الله تعالى عليه وسلم (لودعوت عليهم) اى على الكفار بان يهلكهم الله و يستأصلهم باشد العذاب (فقال انى لم ابعث) بالبناء للمجهول اى لم يبعثنى الله (لعانا) اى داعيا على الناس بالطرد والبعد عن رحمة الله (وانما بعثت داعيا) للناس الى الله (ورحمة) للناس اجمعين باخراجهم من الكفر الى الايمان وتأخير العذاب عمن كفر لا اطردهم عن رحمة الله و بعادهم عنه ثم قال: اعيذهم (اللهم اهد قومى فانهم لايعلمون) دعا لهم ان يهديهم الله تعالى الى الاسلام فانهم لايعلمون طريق الحق ولا معرفة قدر نبيه صلى الله عليه وسلم وما يريد بهم من الخير ولو علموا ذلك لم يصدر عنهم ما صدر وفى سيرة ابن هشام وغيره ان عتبة بن ابى وقاص رماه صلى الله تعالى عليه وسلم فكسر رباعيته اليمنى السفلى وجرح شفته السفلى وان عبد الله بن شهاب الزهرى شجه فى وجهه الشريف وان ابن قمئة جرح وجنته فدخلت حلقتان من المغفر فى وجنته السريفة وفى الروض لما سمع انه صلى الله تعالى عليه وسلم اصيب وشج حبيبه وكسرت رباعيته رمى عبد الله بن قمئة وضربه بالسيف على شقه الايمن فجرح وجنته ودخلت فيه حلقتان من المغفر شقت شفته السفلى وصرح ان قمئة ان محمدا قد قتل

وقد اختلف فى اسلام عتبة بن ابى وقاص اخى سعد بن ابى وقاص والصحيح انه لم يسلم وابن شهاب اسلم واما ابن قئة فطحه كلس فتردى من شاهق فهلك ولكل شئ آفة من جنسه ويقال ان حاطبا تبع عتبة فقتله ولم يولد احد من نسل عتبة الا بحراهتم فسرى حر يه لعقمه فبخوا اولاده لايبقى نساء حدهم وقد قالوا ان رباعيته صلى الله عليه وسلم لم تكسر من اصلها وانما شظيت ودهست منها فلقة وكانت فاطمة رضى الله عنها تغسل دمه وعلى كرم الله وجهه يصب عليها الماء بالمجن فلما رأت فاطمة ان الماء يزيد الدم كثرة احذت قطعة من حصير واحرقها ودرتها عليه فامسك الدم وكسرت البيضة التى على رأسه الشريف وقال الامام الحيضرى فى خصائصه ان هذا كان قبل نزول قوله تعالى * والله يعصمك من الناس * او المراد عصمته صلى الله عليه وسلم من القتل لامن مطلق الاذية كما مر بيان ذلك وما احسن قول ابن العارض فى الاشارة لذلك

* عيى حرحت وحسته بالنظر * من رقتها فانظر لحسن الاثر *
* لم اجن وقد جبت ورد الخفر * الا لترى كيف انشقاق القمر *

(وذيل بعضهم فقال)

* وما شق وجنة عابسا * ولكنه آية ساطعة للبشر *
* حلاها لنا الله كيما نرى * بها كيف انشقاق القمر *

وبقية قصة احد وما فيها مفصل فى السير مشهور فلا نكثر السواد به كما فى السرح الحديد (تنبيه) قال الامام السمرقندى فى تفسير قوله عز وجل ويقتلون النبيين بغير حق * طعن الملحدة لعنهم الله وقالوا ان الله اخبر ان الكفار قتلوا الانبياء عليهم الصلوة والسلام وقد قال الله تعالى * انا لننصر رسلنا * وقال انهم لهم المنصورون وما فى معناه من الايات ومن كان الله ناصره فهو منصور ابدا فانا لهم قتلوا فهو تناقض واجيب بوجهين الاول انه لم يثبت فى الكتاب ولا فى خبر متواتر قتل رسول من الرسل الذى اخبر الله بنصرهم وانما ثبت قتل الانبياء لان الرسل هم الذين اوتوا المعجزات لاظهار الدين الحق ودعوة الخلق فكان عصمتهم عن القتل من آياتهم الحسية الدالة على صدق دعواهم الرسالة وولاية القتل مما يوهن دعوتهم بخلاف الانبياء اذ ليس لهم دعوة وشريعة والثانى ان المراد النصرة بالحجج لا بالعصمة انتهى (وعن عمر) رضى الله عنه قال السيوطى رحمه الله ان هذا لا يعرف عن عمر فى شئ من كتب الحديث ولم يصل له السخاوى فى تخريجه لاحاديث هذا الكتاب فكان لم يقف له على اصل ايصا وتقدم ما فيه (انه قال فى بعض كلامه) اى كلام قاله له لما رأى ما اصابه صلى الله تعالى عليه وسلم من كسر رباعيته وشجه فى عروة احد (بابى انت وامى يارسول الله) هذا الجار والمجرور متعلق بمحذوف تقديره افديك و تسمى هذه الباء التعدية ومعناه ابى اجعل ابوى وداء دونك وابذلهما فى حمايتك لقول الرجل لمن هو اعز عليه

من نفسه واهله وماله لانهم كانوا يبذلون الانفس فى صيانة اهلهم وقد تكلم بهذا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهذه الكلمة جارية مجرى المثل فى ذلك وقد يظهر ورود متعلق الجار والمجرور والفداء بكسر الفاء والمد وفتحها مع القصر فكاك الاسير يقال فداه يفديه فداء وفدى وفاداه اذا بذل فداه وعداه بالتشديد اذا قال جعلته فداك وهى كلمة تقال فى التعظيم وتدخل الباء على المبذول المفدى به وقد يعكس كما فى قوله

* فديت بنفسه نفسى ومالى * وما الوك الا ما اطيق * وجعله فى المعنى من المقلوب كعرضت الناقة على الحوض وقد جرى عمر رضى الله تعالى عنه فى هذا على ماتداوله العرب والا فهو صلى الله تعالى عليه وسلم حقيق بان يفدى بالنفوس فضلا عن الاباء والامهات ولقد قال الآخر * نفسى الفداء لقبرانت ساكنه * * فيه العفاف وفيه الجود والكرم * فانظر قصة على كرم الله وجهه اذ افداه بنفسه ونام مكانه لما هموا بقتله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو اول من استرى نفسه من الله كما مر ومقامه دون عمر رضى الله تعالى عنه كما هو معلوم (لقد دعا نوح عليه الصلوة والسلام على قومه فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا * وانما قال عمر رضى الله تعالى عنه هذا لان مشربه كان مشرب نوح عليه الصلوة والسلام كما ان مشرب الصديق رضى الله تعالى عنه كان مشرب ابراهيم الخليل عليه الصلوة والسلام وتدركشدع بمعنى تترك وديار بمعنى احد وهو يختص بالنفى يقال ما فى الدار ديار ودورى اى احد واصله ديوار فاعل اعلال سيد وميت وادغم والهاء عاطفة للمفصل على المجمل (ولو دعوت علينا) اى على الناس كلهم (مثلها) اى مثل دعوة نوح عليه الصلوة والسلاة (لهلكنا من عند آخرنا) هذا التركيب وقع فى كلام العرب والمراد به من اولنا الى آخرنا اى جميعا ولسراح الكشاف فيه كلام فقيل تقديره من اولنا الى آخرنا كما ذكر وعند مقحمة وقيل من بمعنى الى وقيل انه كناية عن هلاك الجميع لانه لا يكون الهلاك عند آخرهم الا اذا شملهم جميعا فان اردت تحقيقه فانظر شروح الكشاف فى اول سورة البقرة (فلقد وطئ طهرك) الوطئ الدوس بالقدم وفى السرح الحديد انه لم ينقل ان احدا من المشركين وطئ ظهر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بقدمه ولعله عبارة عما روى فى السير من انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يصلى عند البيت وثمه كرش ذبيحة فيها قاذورات فقال ابو جهل لعنه الله لجماعة جالسين ثمه ألا رجل يقوم الى هذا القذر فيلقيه على محمد وهو ساجد فانبعث اشقاها وهو عقبة بن ابى معيط فالقاه عليه فقال النبى صلى الله عليه وسلم * اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف وكانوا ابا جهل وعقبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عقبة وعقبة بن ابى معيط وامية بن خلف وعمار بن الوليد وهم المستهزؤن

عاهلكهم الله جميعا فاما ان يكون سمى هذا وطأ لما فيه من الاهانة الشديدة كما سمى الغزو وطأ اووقع هذا فى قصة لم يقف عليها (وادمى وجهك) اى جرح فى وقعة احد يقال ادميته اذا جرحته فاسلت دمه والذى فعل به صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك عتبة بن ابى وقاص اخو سعد كما مر وفيه يقول حسان رضى الله عنه

* اذا الله حازى معشرا بفعالهم * ونصرهم الرحمن رب المشارق *
* واحزاك رب يا عتيب بن مالك * ولقاك قبل الموت احدى الصواعق *
* بسطت يمينا للنبى تعمدا * وادميت فاه قطعت بالبوارق *
* وهلا ذكرت الله والمنزل الذى * يصير اليه عبد احدى الموائق *

(وسح وجهك) وقع فى نسخة التلمسانى زيادة هذا ها وقد شجت وجنته وجبهته باحد فدخل فى وجنته صلى الله تعالى عليه وسلم حلقتا الدرع فنزعهما بفيه ابو عبيدة بن الجراح رضى الله تعالى عنه حتى سقطت ثنيته والذى جرحه عبد الله ابن قئة فقيل نطحه تيس وتردى من ساهق فمات كما مر وقيل اسماهو عتبة بن ابى وقاص فادركه حاطب فقتله كما مر وجاء بفرسه (وكسرت رباعيتك) تقدم بيانه وما فيه وعليه (فابيت ان تقول الا خيرا) اى لم تدع عليهم كما دعا نوح عليه الصلوة والسلام على قومه ثم فسر الخير بقوله (فقلت اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون) الحق ولا يهتدون الى الصواب وفى النسخ المروية ها اللهم اهد قومى وهى مفسرة للرواية الاولى على ان المراد بالمغفرة سببها وهو الهداية اوالتقدير اللهم اهد هم واغفر لهم فلا يرد عليه ما قيل ان الدعاء المذكور صدر منه صلى الله تعالى عليه وسلم باحد وكانت على احد وثلاثين شهرا من الهجرة فكيف يسأل لهم المغفرة وهم كفار وقد نزل * ان الله لا يغفر ان يشرك به * الآية ولو قلنا ان مغفرة الشرك جائزة عقلا عند بعض المتكلمين فانه ممنوع شرعا فاوحه وقوعه فى كلام الشارع صلى الله تعالى عليه وسلم ولا حاجة الى الجواب بان هذه الآية من سورة النساء وهى مدنية بجملتها اوهذه الآية بخصوصها فيجوز ان دعاءه صلى الله تعالى عليه وسلم كان قبل نزولها وقيل علم مع الدعاء لهم بالمغفرة لجواره سواء قلنا المدنى ما نزل بالمدينة او بعد الهجرة او المراد مغفرة ما وقع منهم من كسر الرباعية ونحوه لا مغفرة الشرك وقيل هذا انما صدر من النبى صلى الله عليه وسلم على سبيل الحكاية عن نبى كان قبله كما رواه مسلم فى صحيحه قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما كانى انظر الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يحكى عن نبى من الانبياء ضربه قومه وشجوه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول رب اغفر لقومى فانهم لا يعلمون ومثله فى البخارى والمراد بهذا النبى نوح عليه الصلوة والسلام فانه كان يضرب ثم يلف فى لبد ويلقى فى بيته يرون انه قد مات

ثم يحرح ويد عوهم الى الله تعالى فلما آيس منهم دعا عليهم فالنبي صلى الله تعالى
عليه وسلم لما وقع به ما وقع حكى ذلك عنه تسلية له وللمؤمنين وقوله لقومى ذكر
نسبتهم له تحسا عليهم وبيانا لسبب ذلك ورجاء لرحمة الله تعالى بهدايتهم
واصافتهم اليه موافقة لما فى نفس الامر وان قيل انه لبس من اهلك كما لا يخفى
وقوله فانهم لايعلمون اعتذار لهم بالجهل الحقيقى اوبما هو فى حكمه لعدم جريهم
على مقتضى علمهم كما تقول لتارك الصلوة الصلوة واجبة والجهل واف لم يكن مع
مشاهدة الايات الباهرة عذرا شرعا فليس بمحح من العذاب وقد اختلف فيما قبل
البعثة ايضا كما هو معلوم فى كتب الاصول لكنه جرى فيه على حكم الظاهر
تضرعا الى الله ان لا يعجل عذابهم ويمهلهم حتى يكون منهم مؤمنين اومن ذريتهم
وقد حقق الله تعالى رجاءه لا انه جعل ذلك عذرا حقيقيا لهم فلا يردهما شئ كما
توهمه بعضهم (قال القاضى ابو الفضل) اى المصنف عياض رحمه الله (انظر ما
فى هذا القول) المذكور فى كلام عمر رضى الله تعالى عنه فى الحديث الذى قبله (من جماع
الفضل) الجماع بكسر الجيم ما يجمع كل امر كالخمر جماع الاثم ومطنته
(ودرجات الاحسان) بالجر معطوف على الفضل اى ما يجمع مراتب الاحسان
وكذا قوله (وحسن الخلق وكرم العشر وغاية الصبر والحلم) ففيه مايدل على
نهاية هذه الصفات (اذ لم يقتصر على السكوت عنهم) مع مافعلوه معه صلى الله
تعالى عليه وسلم مما لا يتحمل بعضه احد فضلا عن اعز الناس نفسا واشرفهم
واعلاهم حسبا ونسبا * وجرح دوى القربى اشد مضاضة * على النفس من وقع
الحسام المهند (حتى عفا عنهم) مع عظيم جرمهم فى حقه اذ قال انى لم ابعث لعانا
(ثم اشفق عليهم) اى ابدا شفقته ورحمته لهم (ودعا وشفع لهم فقال اغفر واهد)
كما مر بيانه مفصلا (ثم اظهر سبب الشفقة والرحمة بقوله لقومى) فان الطبع البشرى
يقتضى العطف والحنو على الاهل والاقارب باى حال كانوا (ثم اعتذر عنهم بجهلهم
فقال فانهم لايعلمون) وقد تقدم بيانه ونسبتهم اليه ليبلغهم ذلك فتنشرح صدورهم
لاحلها فيختاروا الايمان على الكفر ولذا لم يعبر بالجهل بل بعدم العلم تحببا
للعبارة ليجذبهم برمام لطفه الى الايمان ويد حلوا حرم الامان وان كان جهلهم
لا يعتد به بعد اتضاح برهان التوحيد وقيام الحجة الباهرة بالمشاهدة والتواتر الا انه
اعتذار ظاهرى اعتبره سعيا فى تسخير قلوبهم والا فهم عالمون حاحدون مكابرون
وليس لهم عذر يقبل شرعا كما مر تفسيره (ولما قال له الرجل) هو ذو الخويصرة
التميمى ويقال له حرقوص بن زهير رأس الخوارج قال البرهان قتل يوم النهروان
كما فى تجريد الذهبى وفى صحيح البخارى هو عبد الله بن ذى الخويصرة التميمى قال
فى المقتفى ولعلهما قالاه والصواب ان والده هو القائل و النهروان بفتح النون والهاء

اسم موضع فارسى معرب (قال الطرماخ) قل فى شط نهروان اعتماضى * ودعانى هوى العيون المراضى * وحكى الجوالقى انه سمع من العرب ضمهما وكان حرقوص مع على كرم الله وجهه فى حروبه ثم اتبع الخوارج وزعم بعضهم انه ذوالثدية ولبس كذلك ومقول القول (اعدل فان هذه قسمة ما اريد بها وجه الله) اى كن عادلا فيما قسمته فان هذه القسمة ليست عادلة موافقة لامر الله ولرضاه والمقسوم كان من غنائم حنين او تبرا ارسله على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه من اليمن وهذا الحديث رواه مسلم عن جابر رضى الله تعالى عنه ونحوه فى صحيح البخارى واخرجه البيهقى وهو حديث صحيح وفى الفاظه اختلاف والمآل واحد (لم يرد) النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فى جوابه ان بين له ما جهله) اى لم يرده على ان بين له ما جهله من عدالته فى قسمته حيث قال من يعدل ان لم اعدل (ووعظ نفسه وذكرها) التذكير والوعظ بمعنى فعدل عن وعظ القائل الى وعظ نفسه وهو نهاية الحلم منه صلى الله تعالى عليه وسلم (فقال ويحك) ويح كلمة ترحم وتوجع لمن وقع فيما لا يرضى وقيل انها كلمة مدح وتعجب وهى منصوبة على المصدرية مضافة وقد ترفع وتترك اضافتها للترحم له لما حالف رضاء الله تعالى عليه او تعجب من صدور مثله من مسلم ووقع فى رواية ويلك (من يعدل ان لم اعدل) وفى مسلم اولست حق اهل الارض ان اطيع الله عزوجل وعضب صلى الله تعالى عليه وسلم حتى احمرت وجناته (خبت وخسرت ان لم اعدل) روى بفتح التاء فيهما على الخطاب وضمها على التكلم واقتصر بعضهم على الفتح اى خبت وخسرت ايها القائل ان لم اعدل انا لاتباعك واقتدائك بغير عادل وعلى الضم اقتصر الشمنى رحمه الله لانه معلق بعدم العدل الذى عصمه الله تعالى عنه وهو المناسب لقوله ووعظ نفسه وذكرها (ونقل النووى فى شرح مسلم الوجهين وفسره بما تقدم وقال الفتح اشهر وقيل المعنى على الفتح ان لم اعدل خبت لانى اقتلك لنفاقك ونطقك بما يبقى الاسلام لكنى عدلت نظرا لظاهر اسلامك وان ما وقع من سوء ادبك جهلا منك غير مخل بعقائدى (ونهى من اراد من اصحابه قتله) وهو عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كما فى البخارى فقال عمر يا رسول الله ايذن لى اضرب عنقه فقال صلى الله تعالى عليه وسلم معاذ الله ان يتحدث الناس انى اقتل اصحابى وفى مسلم ان القائل خالد بن الوليد رضى الله عنه وجمع بينهما بان كلا منهما اراد ذلك وقد صرح به فى مسلم وان عمر رضى الله تعالى عنه لما قال ذلك فقال دعه وادبر فقام اليه خالد بن الوليد فهذا نص على ان كلا منهما قال ذلك وقال المصنف فى شرح مسلم من سب النبى صلى الله عليه وسلم كفر وقتل وسيأتى ذلك فى آخر الكتاب وهذا الرجل لم يقتل (قال الماوردى تحتمل انه يفهم منه الطعن فى النبوة وانما سمه

بترك العدل بناء على تجويز صدور المعاصي من الانبياء عليهم الصلوة والسلام عند هذا القائل وان لم يصب اوانه لم يسمعه منه وانما نقل له و لم يثبت عنده لان المحرله واحد ومثله لا تراق به الدماء وهدانا أو يل باطل فاين المروى يا محمد اتق الله بخطاب المواجهة بحضرة الصحابة رضى الله تعالى عنهم حتى استأذنوه صلى الله تعالى عليه وسلم فى قتله وانما الوجه انه صلى الله تعالى عليه وسلم سلك به مسلك غيره من المنافقين استبقاء لانقيادهم وتأليفا لقلوب غيرهم لئلا يتحدث الناس بانه صلى الله تعالى عليه وسلم يقتل اصحابه فينفروا و يرتدوا فاختيراهون الامرين لحكمة والحديث مصرح بهذا (ولما تصدى له صلى الله تعالى عليه وسلم غورث بن الحارث) تصدى بالتاء المفتوحة والصاد المهملة كذا والدال المشددة والف اى اتاه وتعرض له وغورث بغين معجمة مفتوحة وتضم ايضا وواو ساكنة وراء مهملة مفتوحة وثاء مثلثة وقال بعضهم يجوز اهمال عينه كما نقله البرهان الحلبى قال و عند بعضهم مصغر يعنى غورك كفورك وزبرك فانه تصغير بالفارسية ولم يرد انه كتصغير العرب عويرب وقال التلمسانى انه تحويرب ايضا وفى بعض الروايات تسميته دعثور وانه اسلم لكن قيل انهما روايتان (ليفتك به) الفتك مثلث الفاء ساكن التاء هو ان يأتى رجل احر وهو غافل فيهجم عليه فيقتله وقد فتك به بالفتح يفتك بالكسر والضم وهذه القصة كان فى غزوة ذات الرقاع فى السنة الرابعة من الهجرة (ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منذ) بضم الميم وسكون النون وفتح المثناة الفوقية وكسر الموحدة وذال معجمة اى حالس فى ناحية مختل وحيد يقرب من الناس (تحت سمرة وحده) ليستريح بظلها وتلك السمرة سمرة عضاة وهى التى تسمى ام غيلان وهى شجرة عظيمة ذات شوك وكان ذلك دأبه صلى الله تعالى عليه وسلم فى سفره (قايلا) حال اى مستريحا فى وقت القيلولة وهى وسط النهار اذا استداحر وان لم ينم (والناس قايلون) اى كل منهم فى قيلولته منفردا عن اصحابه (فى عراة) هى غزوة ذات الرقاع كما علم والاختلاف فى رسمها ووجه تسميتها مفصل فى السير والعراة اسم مصدر بمعنى العرو (فلم يشعر) اى لم يدر به صلى الله تعالى عليه وسلم لحينه او لم يدر به من نومه (الا وهو) استثناء من اعم الاحوال وضمير هو لغورث (قائم والسيف صلتا) بفتح الصاد المهملة او ضمها ولام ساكنة ومثناة فوقية اى مسلولا مجردا من غمده ويجوز فى السيف رفعه على انه مبتدأ ونصبه على انه مفعول معه وصلتا حال على كل حال (فى يده فقال) غورث له صلى الله تعالى عليه وسلم (من يمنعك منى) لانه وحده خاليا ليس معه احد و لا سلاح وهو جالس و غورث قائم عليه بسيفه المجرد وفى رواية انه كرر مراجعته ثلاث مرات (فقال الله) اى يمنعنى منك الله الذى عصمنى من الناس كافة (فسقط السيف من يده) اى لما ارعده قوله الله وفى رواية ان جبريل عليه الصلوة والسلام طهره فسقط سيفه

وفى رواية فسام سيفه اى اغمده فهو من الاضداد وكان عورث من اسجع الناس يتوعد ان يقتل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقيل له امكنك الله من محمد فاختار سيفا من سيوفه واقبل حتى قام على رأسه صلى الله تعالى عليه وسلم (فاخذه) اى السيف الذى سقط منه رسول الله صلى الله عليه وسلم (وقال من يمنعك منى) اى من ان اقتلك والسيف بيدى (فقال كن خير آخذ) بالمداسم فاعل اى خير رجل احد خصمه وتمكن منه فتكرم عليه (فتركه وعفا عنه) مع القدرة عليه و قيل الاحد الاسر و الاخيذ الاسير كما فى النهاية وهو غير بعيد ايضا و فى البخارى مسندا ان رسول الله صلى الله تعالى عليه و سلم قفل لغزوة ذات الرقاع ونحن معه فادركتنا القايلة فى واد كثير العضاة فتفرق الناس يستظلون بالشجر ونزل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تحت سمرة علق بها سيفه فنمنا نومة فاذا رسول الله صلى الله تعالى عليه و سلم يدعونا فجئناه فاذا عنده اعرابى جالس فقال ان هذا احترط سيفى و انا نائم فاستيقظت وهو فى يده صلتا فقال من يمنعك منى قلت الله فها هو ذا جالس ثم لم يعاقبه فقالوا ولما رأى كرمه وحلمه صلى الله تعالى عليه وسلم اسلم وهو من عظماء ما نزل الله تعالى * يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم * الاية (وجاء) عورث (قومه) و فى نسخة فجاء قومه (وقال جئتكم من عند خير الناس) حلما وكرما (ومن عظيم خيره) صلى الله تعالى عليه وسلم فى العفو (عموما عن) المرأة (اليهودية) وهى زينب بنت الحارث بن سلام وقيل امرأة سلام بن مشكم اخت مرحب اليهودى كما ورد فى الحديث الصحيح الذى اخرجه الشيخان عن انس رضى الله تعالى عنه (التى سمته) اى جعلت له صلى الله عليه وسلم السم (فى الشاة) المسوية من السم (بعد اعترافها) بوضع السم له صلى الله تعالى عليه وسلم فى الشاة (على الصحيح من الرواية) متعلق بقوله عفوه لا باعترافها لعدم اختلاف الرواة فيه ولذا قيل كان الاحسن ان يقدم هذا على قوله بعد اعترافها لانها اهدت له صلى الله تعالى عليه وسلم شاة مصلية اى مشوية لم تحر فقال ما هذه فقالت هدية لك ولم تقل صدقة لانه صلى الله تعالى عليه و سلم لا يأكل منها فاكل هو و اصحابه من تلك الشاة ثم قال صلى الله تعالى عليه وسلم امسكوا و قال لها هل سممت هذه الشاة قالت من اخبرك بهذا قال هذا العظم اشار لساق يده قالت نعم قال لم قالت اردت ان كنت كاذبا ان نستريح منك والناس وان كنت نبيا لم يضرك فاحتجم رسول الله صلى الله تعالى عليه و سلم ثلاثا على كاهله لقربه من العلت وقد احتلف فيها فقيل عماعنها وقيل لا وروى ابو داود انه صلى الله عليه وسلم قتلها وصلبها ونقل البرهان عن كتاب شرف المصطفى ذلك وجمع بين الروايتين بانه صلى الله تعالى عليه وسلم صفح عنها لحق نفسه لانه كان لا ينتقم لنفسه كما مر فلما مات بشر بن البرا

من اكله منها قتلها قصاصا به لانه لم يزل معتلا الى الحول حتى مات وقيل انه مات في الحال (وروى معمر في جامعه عن الزهري انها اسلمت فتركها وغيره يقول انه قتلها ولم تسلم وفي جامع معمر ايضا ان ام بشر بن البراء قالت له صلى الله تعالى عليه وسلم في مرض موته اني لااتهم لبشر تعني ابنها الا اكلة خيبر فقال وانا لااتهم لفسي الا ذلك وهو ظاهر في ان المرض الذي مات منه صلى الله تعالى عليه وسلم كان من تلك الاكلة على سبيل الطن لا القطع لكن ذكر صاحب المواهب في الطب النبوي انه صلى الله تعالى عليه وسلم احتجم من السم فخرجت المادة السمية مع الدم لاخروجا كليا بل بقي اثرها مع ضعفه فاثر فيه لما يريد الله له صلى الله تعالى عليه وسلم من تكميل مراتب الفضل بالشهادة زاده الله فضلا وشرفا وفي الرواية اختلاف في ما مر ان الذي اكله صلى الله تعالى عليه وسلم ساق الشاة وفي اخرى انه كتف او ذراع لانها سألت عن احب اللحم اليه صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا الذراع فاكثرت فيه السم وانه لاك منها مضغة ولم يسغها واساغ بشر لقمته وهذا يؤيد عدم القطع بتأثيره فيه لكن يؤيد ما في المواهب ماورد في الحديث ايضا انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال في مرض موته ما زالت اكلة خيبر تعاودني حتى قطعت ابهري فانظر في التوفيق بين الروايتين في الاكل وعدمه (واعلم ان في هذه المسئلة اختلاف للفقهاء فيمن وضع طعاما مسموما لغيره فاكل منه ومات هل عليه قصاص ام لا وهو مبني على انه اذا اجتمع السبب والمباشرة ايهما يقدم فالاكثر على تقديم المباشرة وقولهم انها اسلمت فتركها على بعض الروايات فيه ان الاسلام لايسقط حقوق العباد الا ان يكون هذا من خصايصه صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه نظر (وانه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يؤاخذ لبيد بن الاعصم) اعصم بزنة احمر بمهملات ويقال له عصم بدون الف ولام وهو رجل من بني زريق وهم بطن من الانصار وكان بينهم وبين اليهود حلف قبل الاسلام فلما جاء الاسلام برؤا منهم واختلف في لبيد هذا ففي الصحيحين انه يهودي وهو المشهور وقيل انه منافق كان مخالفا لليهود وسيأتي عن المصنف رحمه الله تعالى انه حكم باسلامه وقال البرهان لااعلم احدا عده من المنافقين فلعل المراد بالنفاق معناه العرفي كما ورد في الحديث آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان وقد يطلق النفاق على الكفر ايضا (اذ سحره صلى الله تعالى عليه وسلم وقد علم به واوحي اليه بشرح امره) اي بيانه مفصلا في سحره ومافعله (ولاعتب عليه فضلا عن معاقبته) تقدم الكلام على فصلا وذلك كما رواه النسائي والبيهقي في الدلائل عن زيد بن ارقم رضي الله تعالى عنه قال سحر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رجل من اليهود فاشتكى لذلك اياما فجاء جبريل عليه الصلاة والسلام فقال ان رجلا من اليهود سحرك

عقد لذلك عقدا فى بئر كذا فعث فاستخرجها فجاءه بها فحلها فقام صلى الله تعالى عليه وسلم كانما نشط من عقال فما ذكر ذلك لليهودى حتى مات وكانت له امرأة يهودية تسمى بزينب تفعل ذلك قال التلمسانى وهو من افعال النساء فى الاكثر ولذا قال الله تعالى من شر النفاثات دون النفاثين تغليبا وقال الواقدى لما رجع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الحديبية فى ذى الحجة سنة ست جاء اليهود الى لبيد بن الاعصم وقالوا له انت اسحرنا وقد سحر بنا محمدا فاصنع له سحرا ونحعل لك جعلا فصنع ما سيأتى فاقام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اربعين يوما وقيل ستة اشهر يخيل اليه انه فعل الشئ وما فعله فبينما هو ذات يوم اذ قال لعائشة رضى الله تعالى عنها ان الله افتانى فيما استفتيته اتانى رجلان فقعد احدهما عند رأسى والاخر عند رجلى وقال احدهما ما وجع الرجل قال مطبوب اى مسحور قال من طبه قال لبيد بن الاعصم قال فى اى شئ قال فى نشط ومشاطة وجف طلع نخلة ذكر فى بئر ذروان اوذى اروان فاتاها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مع بعض اصحابه وماؤها كنقاعة الحناء ونخلها كأنه رؤس الشياطين وقيل انه صلى الله عليه وسلم ارسل عليا والزبير وعمارا رضى الله تعالى عنهم اجمعين فنزحوا ماءها واستخرجوا السحر من تحت صخرة بها وتحتها مناطة من رأسه واسنان مشطة ووتر عقد فيه احدى عشر عقدة قيل وتمثال من شمع مغروز فيه ابر فنزل عليه المعوذتان وكان كلما قرأ اية انحلت عقدة واخرجت ابرة حتى زال المه والرجلان الذين رأهما فى منامه صلى الله عليه وسلم جبريل وميكائيل عليهما الصلاة والسلام وما كان يخيل له صلى الله عليه وسلم من انه فعل ولم يفعل من امور الدنيا وجماع زوجاته لا مما يتعلق بالنبوة والوحى فانه معصوم فيه واعلم انهم اختلفوا فى السحر كما يأتى هل هو امر حقيقى ام محض تخيل لا اصل له والصحيح انه حقيقى يفعل الله بواسطة ان كان بمجرد توجه النفس فهو سحر وان كان باستعانة بخواص سفلية فعلم الخواص وان كان بعرض الكواكب ودعوتها فدعوة الكواكب وان كان باستراح القوى السفلية والعلوية فالطلسمات فان اعتقد تأثيرها بالذات فكفر والافحرام وفاعله لاصرار الناس يقتل شرعا على تفصيل فيه ذكره الفقهاء ليس هذا محله (وكذلك لم يؤاخذ صلى الله عليه وسلم عبد الله ابن ابى) هو عبد الله ابن ابى بن سلول بن مالك بن الحارث بن عبد الله بن مالك ابن سالم بن غنم بن عوف بن الخزرج كان قبل هجرة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم للمدينة رأس الانصار مرشحا لان يكون حاكما عليهم فلما هاجر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اسلم ظاهرا وكان كاظمهم وفيه عصبية الجاهلية وعلة حب الرياسة وكان بسبب ذلك رأس المنافقين يصدر عنه امور يكرهها الله ورسوله وكان يبلغ النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك فيعفى عنه لانه صلى الله تعالى عليه وسلم

كان يداري المؤلفة قلوبهم بامر من الله لئلا يتحدث الناس بانه يقتل اصحابه وكان ابنه عبد الله من كبار الصحابة وخلص المؤمنين فكان صلى الله تعالى عليه وسلم يكرمه لاجله وسلول علم لام ابي ممنوع من الصرف فابي منون وابن بعده يرسم بالف لانه لم يقع بين علم ابن وعلم اب على الاصح وهو رأس المنافقين هلك في السنة التاسعة بعد مقدمه عليه الصلوة والسلام من تبوك مرض في شوال عشرين ليلة وهلك في ذي القعدة فصلى عليه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وكفنه في قميصه قبل نزول النهي عن الصلوة على المنافقين كرامة لابنه رضي الله تعالى عنه (واشباهه) جمع سه بمعنى شبيه اي لم يؤاخذه صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يؤاخذ من يشبهه (من المنافقين بعظيم ما نقل) بالبناء للمجهول (في جهته) اي في حقه صلى الله تعالى عليه وسلم وفي حق ام المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها (قولا وفعلا) كقوله ليخرجن الاعز منها الاذل يعني بالاعز نفسه وبالاذل نبي الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كان المنافقون من الرجال ثلاثمائة ومن النساء مائة وسبعين كما فصله البرهان الحلبي في شرح سيرة ابن سيد الناس وشرحه البخاري في تفسير سورة المنافقين (بل قد قال) صلى الله تعالى عليه وسلم (لمن اشار بقتل بعضهم) وهو عمر رضي الله تعالى عنه لما هزم بنو المصطلق فلعه قول ابن ابي وقد لطم حليفا له يقال له جعال رجل من فقراء المهاجرين مساعدة لاخيه لعمر رضي الله تعالى عنه ما صحبنا محمدا الا للطم والله ما مثلنا ومثلهم الا كما قيل سمن كلبك يأكلك اما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ثم قال لقومه والله لئن امسكتم عن جعال وذويه فضل طعامكم لم يركبوا رقابكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فقال له زيد بن ارقم رضي الله تعالى عنه انت والله الذليل القليل المبغض في قومك ومحمد صلى الله تعالى عليه وسلم في عز من الرحمن ومودة من المسلمين ثم اخبره الله بذلك وقال عمر رضي الله تعالى عنه يا رسول الله دعني اضرب عنقه فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (لا) اذن لك في ذلك (لئلا يتحدث الناس) من قبائل العرب (ان محمدا يقتل اصحابه) فهو علة لتركه رعاية للظاهر من اسلامه وصحبته وفي نسخة يتحدث بدون ذكر الناس مبني للمفعول ولا هما ليست لهي التحدث اذ هو مستأنف معلل لما قبله كما علم مما قرر به وهذا الحديث رواه الشيخان عن جابر رضي الله تعالى عنه وروى الطبراني ان ابنه رضي الله تعالى عنه لما بلغه مقالة ابيه قال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دعني اقتله وآتيك برأسه فقال لا تقتل اباك وفي الكشاف فان قلت كيف جاز له صلى الله تعالى عليه وسلم تكفين المنافق وتكفينه في قميصه قلت كان ذلك مكافاة له على صنيع له لان عمه العباس لما اسر ببدر لم يجدوا له قميصا يستروه به وكان رجلا طويلا فكساه ابن سلول قميصه

وكان جاريا على عادة العرب فى المكافاة وروى ان ابنه قال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما مات ابوه اسئلك تكفينه ببعض قصانك وانت تقوم على قبره ولا تسمت به الاعداء ففعل ذلك فقيل له عم لم فعلت ذلك وهو كافر فقال ان قميصى لن يغنى عنه من الله شيئا وانى لارجوان يدخل فى الاسلام كثير بهذا السبب فقيل انه اسلم الف من الخزرج بسبب ذلك (وعن انس رضى الله تعالى عنه كنت مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) قال السيوطى رحمه الله تعالى هذا الحديث رواه الشيخان الى قوله الا تى من مال الله الذى عندك قال فضحك وامر له بعطاء واخرجه بلفظ المصنف لبيهقى فى الادب من حديث ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ولفظ مسلم كنت امشى مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعليه برد نجرانى عليظ الحاشية فادركه اعرابى فجذبه جبذة شديدة الخ (وعليه برد عليظ الحاشية) البرد والبردة كساء كانت العرب تلتحف به والحاشية جانب الثوب وفى رواية الاوزاعى عليظ الصنعة بفتح الصاد المهملة وكسر النون وبالعاء وهى طرف الثوب ايضا (فجذبه اعرابى) جذبة فى جذب اومقلوب منه وهما بمعنى (بردائه جبذة شديدة) وهذا يقتضى انه كان عليه بردا ورداء فوقه وان الجذب وقع بهما (حتى اثرت) بتشديد المثلثة مبنى للفاعل اى اظهرت اثرا وعلامة (حاشية البرد فى صفحة عاتقه) الصفحة الجانب اوالعرض والعاتق ما بين العنق والكتف اوموضع الرداء من المنكب وهو بؤنث ويذكر وفى رواية ان البرد انشق (ثم قال) الاعرابى (يا محمد) قيل مخالفته صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا تقتضى انه لم يكن مسلما والسياق يقتضى خلافه وليس فيه ما ينافيه غير ندائه باسمه فلعله كان قبل تحريمه والنهى عنه بقوله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم الخ وان الاعرابى كان قريب عهد باسلام فى طبعه غلظة وجفاء فهو معذور وطلبه عطاء الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم واخذه من الزكاة يدل على انه من المسلمين المؤلفة قلوبهم وفى كتاب الامتاع من خواصه صلى الله تعالى عليه وسلم انه لا يجوز لاحد ان يناديه باسمه فيقول يا محمد يا احمد ولكن يقول يا نبى الله يا رسول الله قال تعالى لا تجعلوا الخ قال تعالى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض اى لا تدعوه باسمه فان قيل ثبت عن انس رضى الله تعالى عنه ان رجلا من اهل البادية جاء فقال يا محمد الخ اجيب بانه يحتمل ان ذلك صدر منه قبل اسلامه اوفى حال اسلامه قبل النهى اوقبل بلوغه فلو ناداه بالكنية هل يحرم ام لا فيه نظر انتهى (اقول الظاهر ان هذا فى حياته مواجهة اما فى غير ذلك فلا يحرم الا ذكره بما لا يشعر تعظيمه فلا يرد انه وقع كثيرا فى المدائح النبوية وغيرها كقول حسان رضى الله تعالى عنه

* هجوت محمدا فاجبت عنه * وعند الله فى ذاك الجزاء *
* فان ابى ووالده وعرضى * لعرض محمد منكم وقاء *

ولا حاجة الى ان يقال انه مخصوص بعير الشعر لانه قد يقتضيه الورد ومما قيل
هنا ايضا ان الرسول و يارسول بدون اضافة لله كما سمعه حتى اعترض على قول
ابن مالك فى الفيته مصليا على الرسول المصطفى ولا وجه له لما مر (احمل لى) قال
التلمسانى همزته همزة قطع رباعى اى اعنى على الحمل ويجوز ان يكون معنى احمل لى
اى اعطنى ما احمل والاول اولى لوجوده المحمول انتهى وتبعه بعض المحشين
فيجوز فيه الوصل ايضا الا ان فيما رجح به الاول قطعا (على بعيرى) بالتثنية
مضافا الى ياء المتكلم (هديت من مال الله الذى عندك فانك لاتحمل لى) بضم التاء
وفتحها على ما مر وروى لاتحملنى اى لاتعطينى (من مالك ولا من مال ابيك) وقيل
انه اسند الحمل اليه لانه سبب آمر به فهو مجاز عقلى وعلى هذا همزته همزة وصل
ايضا ثم رد على من قال ان همزته مقطوعة بانه طن انه من احمل اجمالا اى جعل
البعير حاملا فلم يستبعد اسناده له وهو مجاز مشهور وليس بشئ لان ما ذكره
معنى آخر حقيقى صرح به الجوهرى وكان الرواية عليه (وسكت رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم ثم قال المال مال الله وانا عبده) اتصرف فى ماله باذنه واعطى
من يأمرنى باعطائه فرد صلى الله تعالى عليه وسلم عليه بالطف رد (ثم قال ويقاد
منك) بالبناء للمجهول وتقدير همزة الاستفهام اى اويقاد منك من القود وهو
القصاص وهو هنا مجاز عن مطلق المجازاة اى اتجازى على ترك ادبك ولم يقل
اقيد نفسى منك كراهة ان يذكر ما يشعر بانتصاره صلى الله تعالى عليه وسلم لنفسه
ولو مستفهما وقيل انما بناه للمجهول للتعميم فيمن يستوفى القود اهو الله ام من عنده
من المسلمين وقوله (يا اعرابى) اشارة الى انه معذور لما فيه من غلظ الاعراب وهم اهل
البادية (ما فعلت بى) من جذب بردى بان يفعل به مثله و يعزر بما يليق به وسيأتى
تحقيقه فى القصاص باللطمة (قال لا قال لم) لايقاد منك (قال لانك لا تكافئ) بهمزة
من المكافاة وهى المجازاة او بالياء اصلية او مبدلة منها (بالسيئة السيئة) فيه مشاكلة
لان الجزاء ليس بتشبيه او استعارة لانها مثلها بحسب الصورة (فضحك النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم) سرورا بما رآه من حسن طبه به وانه لم يفعل ذلك
بقصد التنقيص منه وتعظيما لقدره اذ ابدى المسرة بمقالته (ثم امر ان يحمل له على
بعير شعير وعلى آخر تمر) وفيه من حلم صلى الله تعالى عليه وسلم وتحمله الاذى
وعدم التضجر ما لا يخفى وهو ارشاد لامته لاسيما من يتولى منهم امور المسلمين ثم اتى بما
يدل على ما فى الحديث من خلقه العظيم فقال (قالت عائشة رضى الله عنها) فى حديث
اخرجه الشيخان واحمد والترمذى فى الشمائل مع مخالفة يسيرة فى لفظه (ما رأيت
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) رأى بصرية او علمية (منتصرا) اى
منتقما وناصرا لنفسه على غيره (من مظلمة) اى ظلم وهى بفتح الميم وكسر اللام

وفتحها وانتصر فى التقريب على الاول (ظلمها) مبنى للمفعول وهو مؤكد او دفع لتوهم كون الظلم لغيره (قط) لاستغراق مامضى كما مر (مالم تكن حرمة من محارم الله) اى مالم تكن المظلمة بارتكاب امر حرمه الله وليس لمصرف حق له ولايرد عليه انه قتل ابن الاحطل والقينتان اللتان كانتا تغنيان بهجو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فانه حق لله فان ابن اخطل ارتد وهجو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وسبه كفر كاذيته بخلاف الاعرابى فانه مسلم حمله على ما فعله علطة طبعه وظهر من جوابه انه لم يقصد بذلك الاهانة مع مافيه من حكم خفية كاستعطاف قلوب اهل البادية ولوكست فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك (وماضرب) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (بيده شيئا قط) من دابة وانسان وغيره (الا ان يجاهد فى سبيل الله) كما فى ضربه ابى بن خلف باحد بحربة تناولها من بعض اصحابه اما الحارث بن الصمة كما يأتى اوالزبير بن العوام فخدشه بها فى عنقه خدشا غير كثير فاحتقن الدم اى لم يخرج بسبب ذلك الخدش فقال قتلنى والله محمد ووقع من تلك الضربة مرارا من على فرسه التى كان اعدها ليقتل عليها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما يأتى وجعل يخور كما يخور الثور اذا ذبح وفى رواية انه ضربه تحت ابطه فكسر ضلعا من اضلاعه ثم مات عدو الله وهم قافلون به الى مكة بسرف بفتح السين وكسر الراء المهملتين وهو مناسب لموضعه لانه مسرف وقيل ببطن رابغ ولم يقتل صلى الله تعالى عليه وسلم بيده الشريفة قط احدا الا ان بن خلف هذا لاقتل ولابعد وجاء اشد الناس عذابا من قتله حى وفى لفظ اشتد غضب الله على رجل قتله رسول الله صححا لاصحاب السير وفى لفظ اشتد غضب الله عز وجل على رجل قتله رسول الله فى سبيل الله اى لان الانبياء عليهم الصلوة والسلام مأمورون باللطف والشفقة على عباد الله فايحمل الواحد منهم على قتل شخص الا امر عظيم ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اكملهم لطفا ورفقا وشفقة بعباد الله (قالوا) واحترز بسبيل الله عمن قتله صلى الله تعالى عليه وسلم حدا اوقصاصا لان من يقتله فى سبيل الله كان قاصدا قتله وقد اتفق ذلك لابى بن خلف لعنه الله كما يأتى بيانه (وماضرب خادما) له (ولامرأة) من نسائه وفيه دليل على جواز تأديب الرجل امرأته وضربها ولولا ذلك لم يمدح به صلى الله تعالى عليه وسلم (وحى اليه صلى الله تعالى عليه وسلم برجل) هذا الحديث اخرجه احمد والطبرانى بسند صحيح ولم يسميا الرجل (فقيل له هذا اراد ان يقتلك فقال) له (صلى الله تعالى عليه وسلم لن تراع لن تراع) اى لاتخف منى وكرره ليطمئن قلبه والروع الخوف والفزع ولن هنا بمعنى لا اى لاخوف عليك منى ولامن غيرى (ولواردت هذا لم تسلط علىّ) لان الله عصمنى فلن تنالنى ما اردته

انت ولاعيرك فان قلت قوله لواردت يقتضي انه لم يرده مع انه اراد ذلك لقولهم اراد قتلك قلت المراد بالارادة سببها وهي مباشرة ماهم به لومددت يدك الى لم تصل الي (وجاءه صلى الله تعالى عليه وسلم زيد بن سعنة) بفتح السين وسكون العين المهملتين وفتح النون وقيل انها مضمومة وهو عربي وهو حبر من احبار اليهود كما في الاكمال والتهذيب هو صحابي من احبار اليهود الذين اسلموا وهو من اكثرهم مالا وعلما حسن اسلامه وشهد المشاهد وتوفي مرجعه صلى الله تعالى عليه وسلم من تبوك ويقال انه سعية بالياء التحتية حكاه ابن عبد البر وقال النون اشهر وعليه اقتصر الجمهور وقال الذهبي انه اصح واما اسيد بن سعية فالتحتية فيه اصح واسيد بفتح الهمزة اوهو مصغر وهو حديث طويل رواه البيهقي مفصلا عن ابن سلام ووصله ابن حبان والطبراني وابو نعيم عن عبد الله بن سلام ايضا وسنده صحيح كما قاله السيوطي (قبل اسلامه يتقاضاه دينا عليه) اي يطلب منه صلى الله تعالى عليه وسلم دينا كان له عليه والتقاضي بمعنى المطالبة من كلام العرب قال الحماسي

* لحى الله دهرا شره قبل حينه * تقاضى فلم يحسن الينا التقاضيا *

قال الشراح اي طالبنا ومثله كثير في كلامهم وكلام اهل اللغة فقول شيخنا المقدسي في الرمز التقاضي معناه لغة القبض لانه تفاعل من قضى يقال تقاضيت دين واقتضيته بمعنى احدته وفي العرف الطلب انتهى لاوجه له والذي غره قصور كلام القاموس فظنه غير لغوي بل معنى عرفي وهو غريب منه وفي رواية عن زيد المذكور كنت اريد ان اعلم حال النبي صلى الله عليه وسلم ليطابق ما في التوراة من حلمه فخرج يوما ومعه علي فجاءه رجل كالبدوي فقال يارسول الله ان قرية بني فلان اسلموا واملهم انهم ان اسلموا اتتهم ارزاقهم رغدا وقد اصابتهم سنة وشدة واني مشفق عليهم ان يخرجوا من الاسلام قال رأيت ان ارسل اليهم شيئا يعينهم فقال زيد بن سعنة يارسول الله انا ابتاع منك بكذا وكذا وسقا فاعطيته ثمانين دينارا فدفعها الى الرجل وقال له عجل عليهم بها واعنهم فلما كان قبل الاجل بيوم او يومين او ثلاث خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى جنازة في نفر من اصحابه فلقيه وتقاضاه (وجبذ ثوبه عن منكبه واخذ بمجامع ثيابه) ضمنه معنى ازاله فعداه بعن ومنكب بكسر الكاف مجمع الكتف والعضد والمجامع جمع مجمع وهو اطرافه وحواشيه وقيل هو التلبيب اي اخذه بطوقه وما تحت لبته ونحره وهذا هو الصحيح المعروف لا ما قيل انه ما بين الكتفين فان الثياب كلها كالرداء والقميص تجتمع هناك (واغلظ له) اي قال له كلاما غليظا حسا مع نفس وتجهم وجهه (ثم قال الم تفعل يابن عبد المطلب) مفتعل من الطلب واسمه شبية على الاصح لانه ولد وفي رأسه شبية ظاهرة في ذؤابتيه (مطل) بضم الميم والطاء جمع ماطل والمطل التطويل

فى تأخير الحق اوحلف الوعد فيه مرارا من مطل الحداد الحديد اذا مده وفى القاموس المطل التسويف بالعدة والدين (فانتهره عمر) رضى الله تعالى عنه بالزاء المهملة افتعال من النهر وهو الزجر ونهره وانتهر بمعنى وقال ابن فورك الانتهار الاعلاط فى القول مع صياح وقيل النهر عن الشئ بفظاظة (وشدد له فى القول) فقال له عمر رضى الله تعالى عنه اى عدو الله اتقول هذا لرسول الله وتصنع به ما ارى وتقول له ما اسمع فوالذى بعثه بالحق لولا ما اخاف فوته لسبقنى رأسك (والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم يتبسم) من مقالهما لشدة حلمه ولعلمه كشفا بمراد بن سعنة وان عمر رضى الله تعالى عنه لو كسف له العطاء لم يصعب عليه ذلك (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انا وهو) اى ابن سعنة صاحب الحق (كنا الى غير هذا) المقال الذى قلته (منك احوج يا عمر) اى اكثر حاجة وهو افعل تفضيل من حاج بمعنى احتاج ولبس من احتاج على حذف الزوائد شذوذا كما توهم فان ثلاثيه مسموع والمفضل عليه محذوف وهو خبرانا وما عطف عليه ثم بين الغير الذى هما احوج اليه من هذا التشديد بقوله (تأمرنى بحسن القضاء) اى وفاء ماله على (وتأمره بحسن التقاضى) والطلب بلطف (ثم قال) صلى الله تعالى عليه وسلم دفعا لما عسى يتوهم انه وقع مطل اوتأخير منه (لقد بقى من اجله) اى من تأجيل دينه (ثلاث) اى ثلاثة ايام فلما لم يحسن تقاضيه بخلاف قضاء النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فانه وقع على احسن وجه فانه فعل ما وعده وزيادة كما اشار اليه بقوله (وامر عمر يقضيه ما له ويزيده) على حقه (عشرين صاعا) من تمر (لما روعه) ما مصدرية اى لاجل ترويع عمر له اذ هم بقتله وقال له ما مر (فكان) فعل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (سبب اسلامه) لانه كان عالما بالتوراة ورأى فيها ذكره صلى الله تعالى عليه وسلم وعلاماته فحقق تلك العلامات كلها غير علامتين لشدة حلمه فلما رأهما تيقن امره وزالت شبهته فحسن اسلامه واراد الله سعادته (ودلك انه كان يقول) لمن عنده من اليهود (ما بقى من علامات النبوة) اى علامات نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم المذكورة فى التوراة التى قرأها وعرفها (شئ الا وقد عرفته) اى شاهدته فيه صلى الله تعالى عليه وسلم وفى نسخة الا وقد عرفتها باعتبار ان الشئ بمعنى العلامة (الا) علامتين (اثنتين لم اخبرهما) اى لم اعرفهما وهم بضم الباء يقال خبرته اخبره خبرا اذا اختبرته فصدق الخبر الخبر ثم فسر الثنتين اللتين لم يعرفهما بقوله (يسبق حلمه جهله) تقدم ان الجهل فى كلام العرب قديما بمعنى المبادرة للغضب ومقتضاه عدم المبادرة بالايقاع بمن يغضبه وهو مقابل للحلم لا للعلم كقوله *الا لا يجهلن احد علينا* فيجهل فوق جهل الجاهلينا * كما مر لان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان يغضب لحظ الله وينتقم فلا يتوهم من لا يعرف كلام العرب هذا ما لا يليق بصفاته

صلى الله تعالى عليه وسلم فالمراد ان حلمه صلى الله تعالى عليه وسلم يعلب حدته كما في قوله سقت رحمتي على عضبي والسبق على ظاهره فقال المعنى يعلب حلمه على جهله لو كان له جهل كقوله فتبارك الله احسن الخالقين وليس المراد ان له صلى الله تعالى عليه وسلم جهلا يسبقه حلمه لانه لقصه لا يصلح ان يعد من علامات النبوة وحينئذ فليس من قبيل سقت رحمتي والجهل هنا وفيما بعده مصدر جهل عليه لا به انتهى لم يصب مع ما في كلامه من التناقض (ولا يريده شدة الجهل الا حلما) هذه هي العلامة الثانية اي جهل غيره بمعنى سفاهته واذيته كلما ازدادت واشتدت عليه زاد حلمه صلى الله تعالى عليه وسلم وصبره ما لم تتجاوز حدود الله وتوقى حرماته فانه حينئذ يغضب لله لا لنفسه وهذا من صفاته صلى الله تعالى عليه وسلم الخارقة للعادة كما عرفته في هذه القصة مع زيد بن سعنة ولذا قال زيد لعمر رضي الله عنه لما قصاه وزاده اشهد ان لا اله الا الله وانه رسول الله وما حملني على ما رأيتني صنعت يا عمر الا اني كنت رأيت صفاته التي في التوراة كلها الا الحلم فاخترت حلمه اليوم فوجدته على ما وصف في التوراة واني اشهدك ان هذا التمر وشطر مالي في فقراء المسلمين واسلم اهل بيته كلهم الا شيخا علت عليه الشقوة والى هذا اشار المصنف بقوله (فاختبره بهذا فوجده كما وصف والحديث) اي الاخبار المستفيضة بين الناس وليس المراد المصطلح عليه ولذا عداه بعن فقال (عن علمه وصبره وعفوه عند القدرة) قيده به لانه هو المحمود كما مر (اكثر من ان تأتي عليه) يقال اتى على الكتاب قرأه والمال انفقه اذا استوعبه كله وهذا التركيب كقولهم اكثر من ان تحصى والكلام عليه مشهور فالمعنى انه لا يمكن استيعابه لاستقصاؤه (وحسبك مما ذكرناه مما في الصحيح والمصنفات الثابتة) اي يكفيك ما تقدم مما ثبت بنقل الثقاة عن مالا يدرك كله لا يترك كله فيكفي هذا مصمم (الى ما بلغ) لك وعندك (متواترا) تواترا معنويا عن مجموعهما (مبلغ اليقين) اي وصل بالتواتر مرتبة اليقين الذي لا يشك فيه احد واوقال مبلغ الضروري كان اولى والقول بانه اراده لا يخفى ما فيه ثم بين ذلك بقوله (من صبره) صلى الله تعالى عليه وسلم (على مقاسات قريش) لمقاساة معالجة امور صعبة شاقة تحيب لا يتحمل مثلها وهذا في اول بعثته صلى الله تعالى عليه وسلم كما يعرفه من طالع السير (وادى الجاهلية) اي تحمله صلى الله عليه وسلم ادى الجاهلية اي اهل الجاهلية وهم الكفار (ومصابرته الشدايد الصعبة معهم) في الحروب الواقعة بينه وبينهم وهي وان كانت سجالا الا انه صب عليهم العذاب فالمصابرة مفاعلة من الصبر عن شدايد الحروب وهم صناديد كان لهم صبر على اصطلاء نارها لكنه صلى الله تعالى عليه وسلم علمهم وصابرهم وزاد عليهم حتى ظفر وانتصر (الى ان اظهره الله تعالى عليهم وحكمه فيهم) اي جعله الله تعالى ظاهرا

غالبا لهم وهم فى قبضة تصرفه يحكم فيهم بما يريد من قتل واسر وعفو ان شاء (وهم لا يشكون فى استيصال سأفتهم) الاستيصال قطع الشئ من اصله وازالته بالكلية وسأفة بسين مهملة مفتوحة وهمزة ساكنة وفاء فليها هاء تأنيث وتبدل الهمزة الفا وهى قرحة تخرج فى اصل القدم فتكوى فتذهب وان قطعت مات صاحبها فضرب مثلا وقد يدعى به والمراد ازالة الله تعالى من اصله بحيث لا يبقى له عين ولا اثر ولا فرع وفيه اشارة الى حتفهم وانهم كقرح فى البدن حبثه مهلك لصاحبه فنبه هلاكهم اجمعين بقطع تلك القرحة وفيه بلاغة لا تخفى (وابادة خضرائهم) الابادة بالدال المهملة بمعنى الاهلاك وهذا مثل كالذى قبله والخضرة كالسواد تطلق على الناس والقوم فمعنى ازالة سوادهم وخضرائهم هلاكهم قال فى النهاية ابتدت خضراء قريش اى دهماؤهم وسوادهم والمراد الجماعة وذهب بعض اهل اللغة الى ان صوابه عضراؤهم بعين مهملة وهى عصارتهم وخيرهم وخصبهم اوطيبتهم التى حلقوا منها والمراد على كل حال استيصالهم والصواب ما تقدم رواية ودراية والمعنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم ظفر بهم فى حال تيقنوا هلاكهم باسرهم بحيث لا يبقى منهم باقية (فاراد) صلى الله عليه وسلم (على ان عفا وصفح) اى مع شدة اذاهم ونصره عليهم بحيث صاروا فى قبضة تصرفه وقد احاط بهم الهلاك من كل جانب مارادما كان عليه من حاله الا العفو والصفح لاشفاء النفس بالانتقام وفعل ما يستحقون بحيث لو فعل لم يلم والعفو والصفح متقاربان عدم المؤاخذة بالذنب (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) تلويحا للطفه بهم مستدرا منهم كما فى ضمائرهم مفوضا ذلك اليهم تكرما منه صلى الله تعالى عليه وسلم (ماتقولون) ما استفهامية والقول بعدها بمعنى الظن كما صرح به النحاة فقوله (اى فاعل بكم) بفتح همزة ان وهى وما معها سادة مسد مفعوليه وهذا متعين وجعل القول على اصله بناء على انه سألهم عما قالوا فى انفسهم او فيما بينهم تكلف مخالف للاستعمال الفصيح (قالوا خيرا) منصوب بمقدر يدل عليه فاعل قبله اى تفعل خيرا اوانت فاعل خيرا (اخ كريم) اى انت الى آخره كريم وهى جملة مستأنفة لبيان انه يفعل الخير (وابن اخ كريم) هذا على عادة العرب فى تسمية القريب اخا قال تعالى * والى عاد اخاهم هودا * والكريم الجامع للخير والفضائل كما فى الحديث الكريم بن الكريم الخ (فقال اقول كما قال اخى يوسف) قيد بلاغة وطى بديع ابلغ من قوله * نهيت من الاعمار ما الوحويته * لهيبت الدنيا بانك خالد * لما فيه من الايماء الى سقمهم عصا القرابة بينهم وحسدهم له وكذبهم عليه وقطع رحمه مع ماله صلى الله تعالى عليه وسلم من الشرف الباذخ فانه الكريم بن الكرام وابن حسدهم و بغيهم كان سببا لعلو مقامه وتملكه لنواصيهم ودانتهم له معترفين بقصورهم (لا تثريب عليكم) اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم

الراحمين * التثريب التعيير والتوبيخ اى لا أو بخكم واعيركم بما بجعلكم و يحتمل ان المراد لا اعتب عليكم لعدم مبالاتى لكم من الترب وهو السحم الذى يغشى الكرس ومعناه ازالة العرب كما ان التجليد ازالة الجلد لانه اذا ذهب كان غاية الهدال فضرب مثلا للتقريع الذى يمزق العرض و يذهب بماء الوجه وفيه جواز الاقتباس من القرآن ولو مع تغيير ما فى المعنى وقد حور الوقف على قوله عليكم والظرف متعلق بيقعد وفيه المسارعة بالمغفرة فى وقت يرجى فيه خلافه واليوم بمعنى مطلق الوقت و يجوز ان يوقف على اليوم اى لا تعيير لكم اليوم لان المقدرة تذهب الحفيظة اذا بدل الله من العسر يسرا ومن الحزن سرورا من الفرقة الفة ومن العربة ملكا وبسطة ولا تثريب فى زمان فيه مثل هذا الخير و بهذا الوقف قرأ القراء و يغفر جملة دعائية او خبرية مبشرة لهم بذلك (اذهبوا فانتم الطلقاء) بالمدجع طليق وهو الاسير يطلق و يخلى سبيله قيل وهو مخصوص بمن كان من قريش ومن ثقيف يقال لهم العتقاء تمييزا بينهم وهذا بعض حديث طويل وهو انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما نزل بمكة واطمأن الناس جاء البيت وطاف به سبعا على راحلته يستلم الحجر بمحجنه فلما قضى طوافه دعا عثمان ابن طلحة فاخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت له فدخلها ثم وقف على بابها وقال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا معشر قريش انى قائل لكم قولا ان انتم صدقتمونى فيه تبررتم وان كذبتمونى فيه كذبتم قالوا بل نصدقك قال فانى اقول كما قال اخى يوسف لا تثريب عليكم اليوم اذهبوا فانتم الطلقاء فتعجبوا كلهم من ذلك وقال انس رضى الله تعالى عنه هبط ثمانون رجلا من التنعيم صلاة الصبح) منصوب على الظرفية اى وقت صلاة الصبح (ليقتلوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) الهبوط النزول من علو لسفل وهو يتعدى ولا يتعدى قال العباس رضى الله تعالى عنه ثم هبطت البلاد لا بسر و باؤه مفتوحة فى الماضى مكسورة فى المضارع وضمها لغة سادة وقال ابن عطية ان الضم كثير فى غير المتعدى وقيل عليه انه لا يوجد الفرق بين المتعدى وغيره يعنى بحركة عين المضارع وحدها والتنعيم بفتح التاء اسم موضع عن يمينه جبل يقال له نعيم وعن يساره جبل يقال له ناعم والوادى هو نعمان وقيل فيه التنعيم لذلك وقالت امرأة تذكره * ياحبذا نعمان بالله حليا * نسيم الصبا يخلص الى نسيمها * وهو على اربعة اميال من مكة وهو طرف الحرم من جهة المدينة (فاخذوا فاعتقهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فانزل الله) فى هذه القصة (وهو الذى كف ايديهم عنكم الآية) وايديكم عنهم ببطن مكة من بعد ان اظفركم عليهم اى اظهركم ونصركم عليهم فهزمهم حتى ادخلهم بطنها وحديث انس رضى الله تعالى عنه المذكور رواه مسلم والترمذى وابو داود والمراد ببطن مكة الحديبية وضمير الخطاب للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ومن معه وكان ذلك فى اصل الشجرة كما هو كذلك اخرج ثلاثون رجلا وقال ابن هشام رحمه الله تعالى

سعون او ثمانون واحدوا اسراء والسمراء يسعون فى الصلح فاطلقهم وهم العتقاء
وقيل ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اخبر ان عكرمة ابن ابى جهل خرج
اليه فى خمسمائة فارس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد هذا ابن عمك خرج
فى خمسمائة فارس فقال انا سيف الله و بذلك سمى يومئذ فقام اليه فى خيل فهزمه
الى حوائط مكة وقيل انه كان يوم فتح مكة و بهذا استدل بعض الحنفية على انها
فتحت عنوة وردبان الآية نزلت قبل الفتح وان الكف يناسب الصلح وهو بصيغة
الماضى والآية نزلت بالحديبية قيل ومن العجب قول ابى السعود ان الآية نزلت
لما خرج عكرمة بن ابى جهل فى خمسمائة فارس الى الحديبية فبعث رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم خالد بن الوليد بجند فهزمهم حتى ادخلهم حيطان
مكة يوم الفتح انتهى وهو كلام متناقض لان الحديبية كانت سنة ست فى ذى القعدة
وفتح مكة كان فى رمضان سنة ثمان وقصة خالد كانت يوم الفتح (اقول من قال
المراد فتح مكة فهو ضعيف فان السورة مدنية نزلت قبل الفتح والحمل على ان لما ضى
اعنى كف للتحقق بمعنى المضارع وعدا بعيد جدا وايضا ماذكر ان عكرمة ابن
ابى جهل خرج فى عسكر فبعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خالد بن الوليد
الى الحديبية فهزمهم حتى ادخلهم حيطان مكة غلط فان خالد بن الوليد لم يكن
اسلم يومئذ بل كان طليعة للمشركين كما فى البخارى ولا حاجة لتأويل كلامه بانه اراد
بالصحح قصة الحديبية لانها سميت فى القرآن فتحا مع انه تابع فى هذا الغلط لغيره
وعهدته على من قاله اولا وليس ما نقله ايضا مطابقا لما قاله فى تفسيره وفى فتح مكة
خلاف فى كتب الفقه وفى الكشاف كف ايديهم قصى بينكم وبينهم بالمكافة
والمحاجزة وهى نزعة اعتزالية ولذا تركه القاضى رحمه الله تعالى (وقال)
صلى الله تعالى عليه وسلم (لابى سفيان) صخر بن حرب بن امية بن عبد شمس
ابن عبد مناف (وقد سيق اليه) جملة حالية اى قال له القول الاتى وسيق مبنى للمجهول
ساقه اتى به وقاده والسائق له هو العباس عم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
لما اشال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لفتح مكة وبرز من الظهران عشاء واوقد
عشرة آلاف نار وجعل على الحرس عمر رضى الله تعالى عنه واراد دخولها قهرا
لقتل الكفار فرقت نفس العباس رضى الله تعالى عنه لاهل مكة فخرج على بغلة
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حتى اتى الاراك فقال لعلى اجد ذا حاجة يأتى مكة
فيخبرهم برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى يخرجوا و يستأمنوه قبل ان
يدخلها عنوة فسمعت صوت ابى سفيان يقول لبديل ما رأيت كالليلة سرايا ولا عسكرا
فقلت ابا حنظلة فقال ابو الفضل قلت نعم قال ما لك فداك ابى وامى قلت
هذا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى الناس واصباح قريش قال ما الحيلة قلت

والله لئن طفر بك ليضربن عنقك فاركب بعجز هذه البعلة حتى اتى بك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هاستأمنه لك فركب خلفي فكنت كلما مررت باحد قال بعلة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها عمه حتى مررت بعمر رضي الله عنه قال ابو سفيان عدو الله الحمد لله الذي امكن منك بلا عقد ولا عهد وخرج يستد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم فركضت البعلة ودخلت عليه وعمر معه فقال هذا ابو سفيان دعني اضرب عنقه فقلت اني قد اجرته وجلست فلما اكثر عمر رضي الله تعالى عنه في سابه قال صلى الله تعالى عليه وسلم مهلا يا عمر اذهب به يا عباس الى رحلك فاذا اصبح وأتني به فغدوت به صباحا فلما رآه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم علم انه جاء ليسلم فقادا (بعد ان جلب اليه الاحزاب) جلب بالجيم والموحدة بمعنى ساق وجمع واصله من الجلبة وهي اصوات المحاربين والاحزاب جمع حزب وهي الناس المجتمعة من قبائل شتى للحرب ويقال تحزبوا تجمعوا وهذه غزوة الخندق التي كانت في سنة خمس واسناد جلب الاحزاب اليه لانه كان قائد جيشهم وصاحب رايهم والا فسبب التحريب انما كان جماعة من اليهود دعوا القبايل وحركوا قريشا لذلك كما فصل في السير (وقتل عمه حمزة) سيد الشهداء رضي الله تعالى عنه (واصحابه) اي اصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعود الضمير لعمه وان صح بعيد (ومثل بهم) بالتشديد اي شوهت حلقتهم بقطع الاطراف وشق البطن واجراح القلب ونحوه وهو من المثلة بضم الميم وهي العقوبة الشديدة ومن قد جعلت من قبلهم المثلات ويقال مثل بالتخفيف ايضا ونسب قتل حمزة رضي الله تعالى عنه وقتل اصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لابي سفيان مع ان قاتل حمزة وحشي بن حرب واسلم بعد ذلك ولم يباشره ابو سفيان الا انه هو الباعث والسبب لذلك القتال والمهيج له ولكون قتل حمزة رضي الله تعالى عنه مشهورا انه ناحد لا يقال ان عبارة المصنف توهم انه بالاحزاب والمراد الاصحاب من قتل باحد وكانوا اكثر من سبعين ولذلك نسب التمثيل له مع ان الممثل زوجته هند لان فعل اهل الرجل كفعله لاسيما النساء وقد مثل بجماعة غيره ايضا كما اشار اليه المصنف بقوله بهم فمن مثل به انس بن النضر وعبد الله بن جحش كما فصل في السير (فبقاعه) ما سبق منه في كفره لان الاسلام يجب ما قبله (ولاطفه في القول) اذ خاطبه بقوله (ويحك يا ابا سفيان) اي اتعجب لك ما عقلك ودهائك وظهور حقية الاسلام وعبر بما عن لطف كل منهما في مقابله واللطف الرفق والرو يكون بمعنى الدقة والصغر (الم يأن لك) اي الم يبدن وقت علمك يقال اني يأني اذا حان وقته وجاء زمانه (ان تعلم ان لا اله الا الله) اي توحد الله وتصدق به فتسلم اسلاما صحيحا (فقال) ابو سفيان (بابي انت وامي ما احلمك واكرمك واوصلك) لرحمك اذ خاطبني بلطف وهديتني الى الحق

مع ما قاسيته مني ثم اجابه مصدقا فقال لقد ظننت ان لو كان مع الله اله غيره لقد اغنى
شيئا بعد فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويحك يا ابا سفيان الم يأن لك
ان تعلم اني رسول الله فقال بابي انت وامي اما هذه ففي النفس منها شيء فقال له العباس
ويحك اسلم واشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله قبل ان يضرب عنقك
فشهد شهادة الحق واسلم والحديث مذكور بتمامه في السير وامر ابي سفيان رضي الله
عنه مشهور وفي بعض النسخ بدل ما احلمك ما احملك من الحمال ويحتمل انه من التجمل
وهي صيغ تعجب وكل هذا جائز وفي تاريخ قزوين للامام القزويني روى عن علي
ابن احمد بن صالح قال حدثنا ابو العباس العبدي القزويني حدثنا الحسن بن الفضل
حدثنا محمد بن عزوان البغدادي حدثنا الاصمعي حدثنا مالك بن مغول عن الشعبي
عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال لطم ابو جهل لعنه الله فاطمة بنت رسول الله
صلى الله عليه وسلم ورضي عنها فسكت الى ابيها فقال لها ايتي ابا سفيان فاتته
فاخبرته فاخذ بيدها حتى وقف بها على ابي جهل لعنه الله وقال لها الطميه كما لطمك
ففعلت فجاءت الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبرته فرفع يديه وقال اللهم
لا تنسها لابي سفيان قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ما شككت ان كان اسلامه
الا لدعوة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى نقله السيوطي في كتاب تحفة الادب
ومن خطه نقلت (وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ابعد الناس غضبا
واسرعهم رضى) اي غضبه بعيد لا يكون منه الا بعد امور كثيرة بخلاف رضاه
فانه رضي ما قل شيء سريعا لكرمه وحلمه صلى الله تعالى عليه وسلم ويأتي فيه الكلام
مبسوطا وهذا لانه متخلق باخلاق الله وهو رحمة من الله ورحمته قد سبقت غضبه
وفي الحديث المؤمن بطيء الغضب سريع الرضى وهذا في غير حقوق الله وفي غير
ما يؤدي الى عدم الحمية والمروة فلا ينافي هذا قول الشافعي من استغضب فلم يغضب
فهو حمار ومن استرضى فلم يرض فهو شيطان (فصل واما الجود والكرم والسخاء
والسماحة) جواب اما قوله الآتي وكان صلى الله تعالى عليه وسلم لا يوازى الى آخره
وما بينهما جمل معترضة (ومعانيها متقاربة) بعضها قريب من بعض حتى توهم
بعضهم لذلك انها مترادفة (وقد فرق بعضهم بينها بفروق) واهل اللغة يعرفون
الفرق في امثاله بمقابلها واضدادها كما قيل * وبضدها تتميز الاشياء * ولاين
هلال كتاب في الفروق مفيد جدا وتقدم ان فرق تخفيف الراء وتشديدها بمعنى
الا ان بعضهم قال الاكثر في التفريق استعماله في الاجسام والفرق في المعاني وهذا
لا ينكر استعمال احدهما مكان الآخر فهو كلام قليل الجدوى وجمع فروق باعتبار
وقوعه بين كل واحد وغيره والا فهو في الحقيقة فرق وبدأ المصنف بالجود اولا
وفي التفريق اخره لانه عده بمعنى السخاء ولذا قيل كان الاولى تركها وعطفه على

السخاء وتأخيره (فجعلوا الكرم الانفاق بطيب النفس فيما يعظم) عظم يعطى بضم العين فيهما جل مقداره و (خطره) بفتحتين وقد تسكن الطاء قدره ووقعه (ونفعه) لمن يعطى له وذلك انما يكون بكثرته وهذا يختلف باختلاف المعطى والآخذ وكان هذا معنى الكرم فى عرف اللغة والا فالكرم بمعنى الشرف والمجد وهو لا يختص بالاعطاء ولذا قال (وسموه ايضا حرية) بضم الحاء وكسر الراء المهملتين المشددة تليها ياء تسمى ياء المصدرية وهى اذا لحقت الاسماء الجامدة والصفات تصيرها مصدرا ولا بد فى آخرها من هاء تأنيث ولم تفصل النحاة حال هذه الاسماء الا انها سايغة فى الاستعمال وما وقع فى بعض النسخ هنا من انه جرأة بجيم مضمومة وراء ساكنة تليها همزة وهاء كما فى حواشى ابن رسلان فهو من تحريف الكتاب فانه لا مناسبة له هنا وان كانت الجرأة والكرم اخوان لا يفترقان لا سيما فى زمان فيه غاض الكرام وفاض اللئام واما تسمية الكرم حرية فلان الحر خلاف العبد فالحرية الخلاص من منن الناس فاذا طوقهم منه خلصت له الحرية لان الانسان عبد الاحسان وهذا من كلام الصوفية فانهم قالوا الحرية صفة يتولد عنها الايثار ونهاية السخاء لانه بذل ماله اليه حاجة وهو نهاية السخاء واعلى منه قول بعضهم الحرية ان لا يكون العبد يقلبه تحت رق شئ من المخلوقات ولا من اعراض الدنيا والآخرة ويكون فردا لم تسترقه دنياه ولا هواه ولا حظ ما يتمناه وقال القرطبى فى كتاب المتقى من كلام اهل التقى فى التصوف الحرية المحضة هى الخروج من ملك سلطان الشهوة والغضب والقهر بالصبر والعبودية المحضة هى طاعة الارادة فيما لا يضطر النفوس اليه الا بسوء العادة وايثار اللذة وكل من خدم فى زمن الحداثة الشهوة والغضب سق عليه فى زمن الشيخوخة ما يلحقه من ضعف بدنه عن خدمة لذته ومن خدم فى الرأى والادب شق عليه ذلك فى الحداثة وكان فى زمن الشيخوخة مستريحا انتهى (وهذا ضد الدالة) بفتح الدال والذال المعجمة واللام هى الجسة والحقارة وهى من لوازم البخل المقابل للكرم كما قيل وفيه اشارة الى انه ليس مقابلا له حقيقة (والسماحة) والسماح (التجافى) تفاعل من الجفاء وهو غلظة الطبع وحقيقته التباعد والترفع يقال جفا السرج عن ظهر الدابة اذا باعده كما قال عز وجل تتجافى جنوبهم عن المضاجع * اى لا يكترثون اليوم اى العفو عما يستحقه المرء عند غيره بطيب نفس (وهو ضد الشكاسة) بشين معجمة وكاف وسين مهملة بينهما الف وهو كما قاله التلمسانى سوء الخلق وفى القاموس انها البخل والاول انسبها والثانى بتفسير السماحة بالجود كما قاله ابن القوطية (والسخاء سهولة الانفاق وتحب اكتساب مالا يحمد) من الصنايع المذمومة كالحجامة واحد مما لا يحل له (وهو الجود) وفرق بعضهم بينهما قال بن عصفور فى الممتع السخاء مأخوذ من الارض السخاوية وهى الرخوة ولذا

وصف الله تعالى بجواد دون سخي لانه اوسع في معنى العطاء وادخل في صفة العلاء انتهى وقد تقدم ذلك فعلى هذا هو اخص منه وقال ابن مالك في الكفاية السخي هو الجواد فهو موافق لما قاله المصنف وقال سقراط الجواد هو الذي يعطي بلا مسئلة صيانة للآخذ من ذل السؤال وقال الشاعر * وما الجواد من يعطي اذا ما سألته * ولكن من يعطي بغير سؤال (وهو ضد التقتير) المعروف في اللغة ان الجود ضد البخل والتقتير التضييق في الانفاق وهو ضد الاسراف والتبذير وهما بمعنى وفرق بينهما صاحب الكشف في سورة الاسراء يقال قترت الشيء واقترته اي ضيقت الانفاق فيه وقال تعالى (والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما * والبخل والتقتير متلازمان لا مترادفان حتى يكون كلا منهما ضد للسخاء (واعلم ان كلام المصنف هنا غير موافق للغة ولا للعرف ولا ادري من اين اخذه ولكن الامر في مثله سهل وهو محتاج للتهذيب وسنكر عليه مرة اخرى (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم لا يؤازى) بالهمزة مبنيا للمفعول اي لا يساوى ولا يقابل يقال فلان يارى فلانا اي يحاذيه ويساويه وقال الكرماني موافقا للجوهري يقال اريته اي حاذيته ولا يقال وازيته والذي عندنا في النسخ موازيه بالواو المبدلة من الهمزة وقد اجازه بعضهم بقلب الهمزة واوا اذا انفتحت وانضم ما قبلها نحو جؤن وقد جزم البرهان الحلبي بانه في كلام المصنف بالواو ويحتمل انه في كلامه بالهمزة ورسمت واوا على قاعدة الرسم في مثله اي هو صلى الله تعالى عليه وسلم لا يساويه احد (في هذه الاخلاق الكريمة) والاوصاف الحسنة من الجود والسخاء والكرم والسماحة

* فاق النبيين في خلق وفي حلق * ولم يدانوه في علم ولا كرم *

(ولا يبارى) بالباء للمجهول وهو بالموحدة والراء المهملة ومعناه يعارض والمعارضة ان تفعل مثل ما يفعل وهما متقاربان (بهذا وصفه كل من عرفه) بالمشاهدة او بما اشتهر عنه شهرة لا يبقى معها ريب ولا شبهة (حدثنا القاضي الشهيد ابو علي الصدفي) هو الحافظ ابو علي بن سكرة وقد تقدمت ترجمته وهو منسوب لصدف بفتح الدال وهي قرية بقرب القيروان قال (حدثنا القاضي ابو الوليد الباجي) تقدمت ترجمته قال (حدثنا ابو ذر الهروي) تقدم ايضا قال (حدثنا ابو الهيثم الكسميهني) قال البرهان الحلبي هو بضم الكاف وسكون السين المهملة وكسر الميم وسكون المثناة التحتية وفتح الحاء بعدها نون كما في لباب الانساب لابن الاثير وضبطه بالقلم الحافظ عبد الهادي في طبقاته بفتح الكاف وكذا صحح في نسخ الشفاء والصواب ما ذكرته والنسبة لقرية من قرى مرو قديمة خرج منها جماعة وقد خربت انتهى وفي آخره ياء نسبة لم يصرح بها لانه معلوم من السياق كما في بعض النسخ من انه لا ياء في آخره وان النسبة فيه على خلاف القياس مما يقصى

منه العجب (وابو محمد السرخسي) نسبة لسرخس بلدة عظيمة بخراسان وقد تقدمت ترجمته (وابو اسحق البلخي) ابراهيم بن احمد بن ابراهيم بن احمد بن داود المستملي الامام المشهور كما تقدم منسوب لبلخ بلدة عظيمة فى ماوراء النهر (قالوا حدثنا ابو عبد الله الفربرى) تقدمت ترجمته وفربر بزنة سجلّ بلدة ببخارى قال (حدثنا البخارى) تقدم وسهرته تعنى عن ذكره قال (حدثنا محمد بن كثير) بلفظ كثير ضد القليل العبدى البصرى الحافظ روى عنه اصحاب السنن وتوفى سنة اثنين وعشرين ومائتين وله ترجمة فى الميزان فيها كلام لابن معين وقال الذهبى انما هو ابن كثير الفهرى وفيه تعقب لكلام المزى لانه قال العبدى قال (حدثنا سفيان) هو ابن سعيد الثورى كما تقدم وهذا الحديث رواه ايضا سفيان بن عيينة عن ابن المنكدر عن جابر كما هنا واخرجه مسلم والبخارى والترمذى فى الشمائل وهو حديث صحيح (عن ابن المنكدر) وهو محمد بن المنكدر بن عبد الله التيمى المدنى الحافظ عن ابيه وعن عايشة وابى هريرة رضى الله تعالى عنهما واخرج له اصحاب الكتب الستة (قال سمعت جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما يقول ما سئل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شيأ فقال لا) وقد علمت ان هذا الحديث اخرجه الترمذى فى الشمائل وغيره وفى معناه قول حسان * ما قال لا قط الا فى تشهده * لولا التشهد لم تسمع له لا * ومعنى الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم اذا اتاه مستحق يطلب عطاءه لا يخيبه ويقول له لا قط بدليل اوله حتى اذا لم يجد شيئا اقترض او قال ايتنى عدا ونحوه وهذا هو الذى عناه حسان وهو باعتبار الغالب فان النادر كالعدم فهو مسالمة معروفة مألوفة ولم يرد انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يتلفظ بلا اصلا حتى يرد عليه ان الاحاديث المصدرة بلا نحو لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين كثيرة لا تحصى كما قيل ويجاب عنه بما لا حاجة له ثم قال واما قوله فى البردة * نبيا الامر الناهى فلا احد * ابر فى قول لا منه ولا نعم * فهو انما يقتضى صدورلا عنه مطلقا وذا لا ينافى انه لم تكن لتصدر عنه اذا سئل عن شئ من متاع الدنيا لجواز صدورها منه فى غير تلك الحال (اقول قد عرفت ما فيه اولا بقى هنا فى البيت اشكال كان يحول فى الصدر قديما وهو ان الامر والنهى انشاء لا يجاب بلا ونعم فالتفريع بلا لا يصادف محله ها ولم يحم حول هذا احد من الشراح مع ظهوره وقد ظهر لى ولله الحمد وجهه فعنى نبينا الآمر الى آخره انه لا حاكم سواه فهو حاكم غير محكوم فاذا قال فى امر لا او نعم وهو لا يقول الا صوابا موافقا لرضى الله فحينئذ لا يخالفه الا تقسر قاسر وليس غيره حاكم يمنعه عما حكم به ويرد احكامه فهو اصدق القائلين فيما يقوله (وعن انس) بن مالك رضى الله تعالى عنه (وسهل بن سعد مثله) اى مثل الحديث السابق المروى فى الصحيحين وحديث انس رضى الله تعالى عنه هذا فى مسلم وذكره

فى الوفاء ايضا ولفظه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حيى لا يسئل شيئا الا اعطاه والاحاديث فى معناه كثيرة وسهل هو الساعدى الانصارى الصحابى (وقال ابن عباس رضى الله عنهما كان النبى صلى الله عليه وسلم اجود الناس بالخير) اى بما فيه نفع الناس (واجود ما كان فى شهر رمضان) رمضان اسم للشهر ويقال رمضان وشهر رمضان يكون العلم المضاف دون المضاف اليه او هما كلام لا حاجة لذكره ولا يكره ان يقال رمضان وما روى من حديثه لا تقولوا رمضان فان رمضان من اسماء الله ولكن قولوا شهر رمضان ضعيف لا يعمل به لصحة ما يخالفه كما فصله شراح البخارى وهذا الحديث رواه الشيخان وروى فيه احود مايكون ووقع فى بعض النسخ هما وايضا احود الثانى يجوز رفعه مبتدأ ونصبه عطفا على خبر كان وعلى الاول خبره محذوف وجوبا كما قرره النحاة فى نحو احطب مايكون قائما والكلام عليه طويل الذيل ليس هذا محله وما مصدرية وكان تامة ولقد تصرمن القلادة على ما احاط بالعنق واعاز اد جوده صلى الله عليه وسلم فى رمضان لحاجة الصائمين ولانه موسم الخيرات الذى تفضل فيه الله على خلقه بما لم يتفضل فى غيره فاتبع سنة الله فى عباده وتخلق باخلاقه (وكان) صلى الله عليه وسلم (اذا لقيه جبريل احود بالخير من الريح المرسلة) لانه عليه الصلوة والسلام يسرى بملاقاته وامداده له بالسرى والكرامة فيحس كما احس الله اليه وكان يكثر مجيئه له فى رمضان ليدارسه القرآن ويعارض به بقراءة كل منهما على صاحبه بالتجويد ووجوه القراآت اجود بالخير من الريح المرسلة قال الكرمانى الجود اعطاء مايسخى لمن ينبغى والخير يشامل لجميع انواعه مما يقرب العبد الى الله وارسال الرياح اطلاقها باذن الله وترسل بالرحمة والمطر قال تعالى * وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته وقال والمرسلات عرفا اى الرياح المرسلة بالمعروف على احد التفاسير وهو من التشبيه البليغ على سبيل الترقى فجعله اجود الناس ثم ذكر ان جوده فى رمضان وعند ملاقاة جبريل اريد منه فى غيره والمراد بالمرسلة خلاف العطية قيل وفى قوله اجود من الريح جمع بين الحقيقة والمجاز وفيه بحث يعلم من كلام اهل المعانى فى تحقيق وجه الشبه فى قولهم كلامه احلى من العسل وتقديم قوله بالخير اهتماما به وللدلالة على تقدير مثله فيما بعده او اشتراكهما فيه لاندفع توهم تعلقه بالريح المرسلة وليس من الاكتفاء وفى تشبيهه بالريح اشارة الى سرعته ومبادرته له وقد اعلم او المراد بالريح المرسلة التى لم ترسل بالعيث لاطلاقها لانها فى القرآن مخصوصة بها فان قلت ذكر الريح وقد قيل انها اذا كانت مفردة تكون فى العذاب والشر واذا جمعت فهى للنفع والخير قلت هذا قيل انه مخصوص بما وقع فى القرآن بالاستقراء لا مطلقا فلا ينافيه ماوقع من هذا الحديث وغيره ويؤيده ما اخرجه ابن ابى حاتم عن ابى بن كعب انه قال كل شئ فى القرآن من الرياح فهو رحمة وكل شئ فيه من الريح فهو عذاب

وماورد فى الحديث كما رواه البيهقى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه ماهبت الريح الا جثا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على ركبتيه وقال اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذابا اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا لا يدل على عدم اختصاصه بما وقع اتفاقيا فى القرآن لانه قيل انه صلى الله عليه وسلم اراد اللهم اجعلها من جملة رياح القرآن ولا تجعلها من ريح اى مما ذكر بهذه العبارة دلالة ايماء كما قيل الا ترى الى قوله تعالى ارسلنا عليهم الريح العقيم وريحا صرصرا ونحوه وقوله تعالى وارسلنا الرياح لواقح ويرسل الرياح مبشرات وقد قرئ فى بعض آيات الرحمة بالافراد والجمع وورد مفردة فى ذلك فكانه اعلى واما تأويل رياحا فى الحديث بما حار فيه الجمع فتعسف وقيل يحتمل انه صلى الله تعالى عليه وسلم انما قال ذلك لان ماهب ان كان ريحا واحدة لم تلقح السحاب ويرسل المطر غالبا وان كان رياحا فهو بخلافه ويحتمل ان يكون معناه لا تهلكنا بريح واحدة لا تهب بعدها ريح اخرى وطول اعمارنا حتى تهب علينا رياح كثيرة (وعن انس رضى الله تعالى عنه) كما رواه مسندا مسلم فى صحيحه (ان رجلا) هو صفوان بن امية الآتى بيانه كما فى سيرة ابن سيد الناس وغيرها (سأله) صلى الله عليه وسلم (فاعطاه غنما) كثيرة كانت (بين جبلين) اى مائة واديا بين حنين كما يفهم منه ذلك بحسب العرف وان كان يقال للغنم السارحة بينهما قليلة او كثيرة ذلك فان كان اسلم قبل سؤاله فهو ظاهر وقوله (فرجع الى قومه) وهم قريش لانه من اهل مكة وفى نسخة الى بلده (وقال اسلموا) لا يبالى فيه وان كان قبل اسلامه فاما انه كان فى صدر الاسلام يجوز اعطاء المؤلفة قلوبهم من الكفار من الزكاة او من بيت المال ثم نسخ وقول الصرصرى

* واتاه اعرابى التمس الندا * اعطاه شاء ضمها جبلان *

لعله قصة اخرى فان الرجل المذكور هنا من اكابر قريش ويؤيده قوله (فان محمدا يعطى عطاء من لا يخشى فاقة) فان قريشا كانوا يعلمون كرم حبيبه وحزبل عطاياه صلى الله تعالى عليه وسلم فانه لا يخشى فاقة وما بارى احدا فى الجود الا فاقه والفاقة الفقر او اشده وهكذا اولياء امته فى الحديث دعائم امتى عصائب اليمن وارهبوا رجلا بالسام كلما مات رجل منهم ابدل الله مكانه آخر اما انهم لم يبلغوا ذلك بكثرة صلاة ولا صيام ولكن بسخاء النفس وسلامة الصدر والنصيحة للمسلمين (واعطى غيره احد مائة من الابل) الابل اسم جنس جمعى لا واحد له من لفظه كخيل وغنم والذين اعطاهم صلى الله تعالى عليه وسلم مائة ناس كثير منهم ابو سفيان وابنه معاوية والحارث ابن هشام وقد عدهم البرهان الحلبى وقال انهم يبلغون ستين من المؤلفة قلوبهم وكذلك ذكر السيد قاسم فى تخريج احاديث هذا الكتاب (واعطى صفوان بن امية مائة ثم مائة ثم مائة) وصفوان بن امية هو بن حلف بن وهب بن خزاعة بن جمح قرشى له صحبة وكنيته ابو وهب اسلم يوم الفتح وشهد حنينا والطائف وهو مسرك

فلما اعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفيء ما ذكر قال اشهد بالله ما طابت بهذا الا نفس نبي فاسلم وروى له اصحاب الكتب الستة وتوفي في خلافة معاوية سنة ثنتين واربعين بمكة وعلى هذا فاعطاه مرارا عما واولا فلا منافاة بينه وبين ما سبق وعطاؤه له الصادق كان من غنائم حنين وهذا الحديث رواه مسلم (وهده) اي الخصلة والسجية في الكرم والعطاء (كانت حاله صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث) اي نبيا او يرسل (وقد قال له ورقة بن نوفل) ورقة بواو وراء مهملة مفتوحتين وقاف وهو ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزى كان من اعقل اهل زمانه واعلمهم شاعر بليغ متأله وكان يقرأ ويكتب الكتب القديمة بالعربية والعبرانية ويتأله ويتعبد ولما سمي القس وتهود في اول امره ثم تنصر وهو بن عم خديجة ام المؤمنين رضي الله تعالى عنها وله اشعار كثيرة في التوحيد ولترهبه لم يكن له عقب وورد في الحديث لا تسبوا ورقة فاني رأيت له جنة او جنتين يعني بذلك ما ورد من طريق اخر انه صلى الله تعالى عليه وسلم رآه في منامه في الجنة وعليه حلة خضراء او بيضاء او نحوه كثياب من حرير وحلة من سندس وكان حيا في ابتداء الوحي الى ان تنبأ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واجتمع بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وآمن به كما في اول البخاري وقال لئن ادركت زمانك لانصرنك نصرا مؤزرا وكان صلى الله تعالى عليه وسلم اذ ذاك نبيا ولم يؤمر بالدعوة ومات ورقة بعد نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم وقبل رسالته ولذا قالوا انه اول من آمن بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم من الرجال وهو تال بالنسبة لخديجة رضي الله تعالى عنها وصحابي ولذا عدوه بانه الصحابي من اجتمع بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم مؤمنا به ولم يقولوا بالرسول وهذا مما ينبغي التنبه له وفي نظم السيرة للعراقي في ذكر ورقة

* فهو الذي آمن بعد نابيا * وكان براصادقا مؤاتيا *
* والصادق المصدوق قال انه * رأى له تخضخضا في الجنة *

وهذا المذكور هو الصحيح من انه صحابي وقيل انه ليس بصحابي لانه لم ير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يؤمن به بعد بعثته وعليه جماعة محققون وقول المصنف رحمه الله تعالى وقد قال الخ ان كانت الجملة معطوفة على ما قبلها فهو صادق على القولين وان كانت حالا من الضمير في قوله قبل ان يبعث يكون على القول الثاني وهو مؤمن على كل حال ولذا رآه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في الجنة والاكثر من علمائنا على انه صحابي (انك تحمل الكل) هذا بعض من حديث صحيح رواه الشيخان لكن قال السيوطي في تخريجه القائل له صلى الله تعالى عليه وسلم هذا انما هو خديجة رضي الله تعالى عنها في قصة مكالمتها لورقة في شان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما رأى جبريل عليه الصلاة والسلام في اول امره وخاف على نفسه منه وكذا

اعترض عليه الشيخ قاسم فى تخريجه ايضا فقال لا اعلم هذا من قول ورقة رضى الله تعالى عنه والذى فى صحيح البخارى وغيره انه من قول خديجة رضى الله تعالى عنها وما قيل من ان القاضى جليل القدر لا يخفى عليه مثله ولا يبعد صدوره من ورقة لا يجدى نفعا مع نقل الصحيحين خلافه وليس مثله محل بحث ولكل صارم نبوة ولكل جواد كبوة والكل بفتح الكاف وتشديد اللام مصدر بمعنى الكلال وهو الاعياء وفسر بالثقل فقيل انه لازم معناه وهو المناسب للحمل لانه لا يقال حمل الاعياء والذى فى البخارى قبل هذا من قولها ايضا حين قال لها صلى الله تعالى عليه وسلم لما رأى جبريل عليه الصلوة والسلام لقد خشيت على نفسى وهى التى قالت كلا والله لا يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل (وتكسب المعدوم) وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق وتصدق الحديث وتؤدى الامانة والحديث فى اول البخارى والكلام عليه يفصل فى شروحه وحمله الكل هو كقول العرب فى المدح هو حمال اثقال اى يحمل ثقل غيره من الضعفاء والعيال واعانة الخلق بالانفاق عليهم واطعامهم واعطائهم كل ما يحتاجون اليه وكفالة الايتام وغيره من وجوه البر وهو استعارة شاع فى هذا المعنى وتكسب قال ابن قرقول بفتح التاء وكسر السين المهملة هى اكثر الروايات واصحها اى تكسب لنفسك بتحصيله ما يهم وقيل تكسب غيرك اى تعطيه لان كسب جاء لازما ومتعديا وانكر الفراء وغيره اكسبه فى المتعدى وصوبه ابن الاعرابى وانشد * فاكسبنى مالا واكسبته حمدا * فيتعدى بالهمزة لمفعولين وكسب يتعدى لمفعول وقيل يتعدى لمفعولين كاكسب والمعدوم الشئ الذى لا وجود له واما الفقير فيقال له معدم كمكرم قال الشاعر * قالت بنات العم يا سلمى وان * كان فقيرا معدما قالت وان * قيل و يطلق عليه معدوم ايضا لانه كالمفقود لفقره فاحد المفعولين محذوف ان بنى للمعلوم ومذكوران بنى للمجهول والمراد على الوجهين انك تعطى الناس الفقراء ما لا يجدونه عند غيرك لما فيك من مكارم الاخلاق وقول الخطابى رحمه الله تعالى صوابه المعدم بلا واو يريد انك تعطى العادم الفقير الذى لا يجد شيئا خطأ لان هذه الرواية صحيحة مشهورة عند رواة الحديث وفيما خشيه صلى الله تعالى عليه وسلم على نفسه وجوه واصحها انه خشى الهلاك من شدة الرعب او تعبيرهم اياه فاراد ت خديجة رضى الله عنها دفع ذلك الذى خشيه بقولها المذكور اى لا تخف فانك لا يصيبك مكروه لما فيك من جميل الصفات ثم ذكر قصة هوازن وهى صحيحة رواها البخارى وغيره فقال (ورد على هوازن سباياها وكانوا ستة آلاف) نفس من النساء والذرية غير الاموال التى من عدائهم لما عراهم وكانت اربعة وعشرين الفا من الابل واكثر من اربعين الف شاة من الغنم واربعة آلاف اوقيه من الفضة والاوقية اربعون درهما وعن ابن فارس انه قوم ما وهبه لهوازن وكان خمسمائة الف الف وقيل ستمائة الف الف

وهوازن اسم قبيلة منسوبة لهوازن بن اسلم وكان يسكن حنينا وهو كما يأتي موضع سمي بحنين ابن نابة بن مهلاييل وغزوته صلى الله تعالى عليه وسلم لهم تسمى غزوة حنين وغزوة هوازن وكانت في شوال اوفي رمضان وامرها معروف مفصل في السير ولما عراهم وحار عائمهم قدم وفدهم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهم اربعة عشر رجلا رئيسهم زهير بن صرفة وفيهم ابو برقان عم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الرضاع وسألوه ان يمن عليهم بما احذ منهم لما بينهم وبينه من مناسبة الرضاعة فقال لهم ابناؤكم ونساؤكم احب اليكم ام اموالكم قالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئا فقال صلى الله تعالى عليه وسلم اما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم وما للناس يسئل منهم فقال المهاجرون والانصار ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقال جماعة من المؤلفة اما ما لنا فلا فاحذه صلى الله عليه وسلم منهم فرضا على ان يعوضهم عنه من اول مال يجئ فسلموهم جميعا وكان صلى الله عليه وسلم كساهم وانما فعل ذلك لانه كان بعد القسم وليس للامام ان يمن بعده لتعلق حق الغير به والسبايا جمع سبية يعني مسبية قال التلمساني ولا يكون السبي الا في النساء (واعطى) ايضا (العباس) بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه البخاري عن انس تعليقا (من الذهب ما لم يطق حمله) وقد اتي بمال من البحرين وكان اكثر مال اتي فنثر في المسجد واتاه العباس رضي الله تعالى عنه وقال اعطني فاني فاديت نفسي وعقيلا فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم خذ فحثا في ثوبه ثم ذهب يقله فلم يستطع فقال من يرفعه فقال لا فقال فارفعه انت علي فقال لا فنثر منه ثم ذهب يقله فلم يقدر فقال له كالاول فنثر منه ثم احتمله على كاهله وانطلق فاتبعه صلى الله عليه وسلم ببصره تعجبا منه ولم يقم عن حتى فرقه فلم يبق منه درهم وانما اعطاه لانه خرج لبدر مكرها وكان يحب اسلامه ثم فدى نفسه وعقيلا كما فصلوه (وحمل اليه صلى الله عليه وسلم تسعون) بتقديم المثناة الفوقية (الف درهم فوضعت على حصير ثم قام اليها فقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها) رواه الحسن بن الضحاك في سمائله مرسلا الا انه قال ثمانون الفا واخرجه ابن الجوزي في الوفاء وقال سبعون الفا كما قال الشيخ قاسم في تخريج احاديث الشفاء والسيوطي في تخريجه بلفظ سبعين بتقديم السين على الموحدة ويوافقه قول الصرصري في مديحه * سبعون الفا فضها في مجلس * لم يبق منها عنده فلسان * وقوله حتى الى آخره غاية لقوله فقسمها وقيل لقوله فما رد سائلا وليس المراد انه يرد بعد الفراغ فهو على حد قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله لا يمل حتى تملوا (وجاءه رجل فسأله) عطاء شيئ يحسن به له (فقال ما عندي شيء) ولم يقصد منعه بذلك حتى لا ينافي مامر من انه صلى الله تعالى عليه وسلم ما قال لسائل لا قط لان المراد انه لم يمنعه ما سأل من متاع الدنيا وانما مراده اخباره بعذره في عدم

التعجيل له بدليل قوله (ولكن ابتع علي) بموحدة ساكنة بعد همزة الوصل ومثناة فوقية مفتوحة وعين مهملة افتعال من البيع بمعنى الشراء فانه يطلق عليهما وفي القاموس ابتاعه اشتراه اي اشتر بمن يكون ذلك الثمن علي وفي ذمتي كذا ثبت في الحديث وفي شرح الدلجي انه بتقديم المثناة الفوقية على الموحدة اي اشتر واستلف ما يختار انتهى وليس هذا ضمان بل وعد منه الا ان وعده صلى الله تعالى عليه وسلم كان ملتزم الوفاء لان وعد الكريم دين ولذا صح انه لما توفي نادى ابو بكر رضي الله تعالى عنه من كان له عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عدة او دين فليأتنا فجاءه جابر رضي الله تعالى عنه وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدني كذا فاعطاه له (فاذا جاءنا شيء) مما من الله به من الغنائم او غيرها وفي قوله جاءنا يعني معاشر المسلمين اشارة الى انه مال الله لعباده لالي وحدي (قضيناه) اي اديناه ويحتمل الضمير هما وفيما قبله للتعظيم اي قضيته قضاء اتال به التعظيم منه تعالى واختاره بعضهم واذا لم يقل جاءني وقضيته مع قوله على فتأمل والقضاء يشعر بانه لزم ذمته كالدين (فقال له عمر رضي الله عنه ما كلمك الله ما لا تقدر عليه فكره صلى الله عليه وسلم ذلك) اي بدا في وجهه الشريف اثر عدم رضاه به لان فيه كسر خاطر السائل ولان مثله لا يعد تكليفا لما قدره له لما عوده الله من فيض نعمه عليه (فقال رجل من الانصار) كان حاضرا لما رأى من كراهة رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك (يا رسول الله انفق ولا تخف من ذي العرش اقلالا) قال البرهان هذا الرجل لا اعرفه وفي حفظي ان القائل بلال رضي الله عنه لكنه مهاجري لا انصاري فيكون قد قال ذلك بلال والانصاري فان الذي فيه ذكر بلال قصة اخرى المأمور فيها بالانفاق بلال وهو ما رواه الطبراني والبزار مسندا عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال دخل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على بلال وعنده صبرة من تمر وروى انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال له يوما اطعمنا يا بلال فقال ما عندي الا صبرة حبأ تهالك ولضيفانك فقال اما تحتسي ان نقدف بها في نار جهنم انفق يا بلال ولا تخش من ذي العرش اقلالا ومن العجب ايراد هذا هنا ولا مناسبة له بما نحن فيه ووقع في بعض كتب الحديث انفق بلا لا ووجه بتوجيهات منها ان اصله بلالي بالاضافة لياء المتكلم وحذف حرف النداء وابدل الياء الفا كيا علاما وقيل بلالا هنا ليس علما لفعال من البلل اي ابعاقا رطبا تبل به قلوب آكليه ولو قيل انه رد لاصله من النصب واطلق لمشاكلة اقلالا لم يبعد وقد اخرجه العسكري في الامثال مرفوعا وفيه الطبراني انفق يا بلال ومعنى اقلالا ان يقل الله الرزق ويجعله قليلا لان لكل منفق حلفا وقوله لا تخش نصف بيت وقع اتفاقا وقيل بلا لا كلمتان اي بعير لا ويأباه رواية يا بلال بحرف النداء والذي رواها المصنف رحمه الله ولا تخف دون لا تخس كما مر وقول بعض الشراح الصواب

لاتخس ليصير مورونا غير صواب من وجهين (فتبسم صلى الله تعالى عليه وسلم وعرف البشر في وجهه) بانبساطه وتهلل اساريره (وقال بهذا امرت) اى بالانفاق من غير مخافة فقر والتبسم انفتاح الفم من غير قهقهة وهي مبادى الضحك وقد استشكل هذا بان الله امره بقوله ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا قال في الكشاف لاب الاسراف غير محمود وكان صلى الله عليه وسلم ينفق جميع ماعنده ويجوع حتى يربط الحجر على بطنه واجاب القاضي ابو يعلى بان المراد بهذا الخطاب غيره صلى الله تعالى عليه وسلم وغير خلص المؤمنين الذين كانوا ينفقون جميع ماعندهم عن طيب قلب لتوكلهم وثقتهم بما عند الله اما من كان ليس كذلك يتحسر على ماذهب منه فالمحمود منهم التوسط وهم الذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا لانهم لاصبر لهم على الفاقة ولذا صعب عليه صلى الله تعالى عليه وسلم كلام عمر رضى الله تعالى عنه لما راعى ظاهر الحال وامره بصيانة المال شفقة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لعلمه بكثرة السائلين له وتهافتهم عليه ولكل مقام مقال والانصاري راعى حاله صلى الله عليه وسلم فلهذا سره كلامه فقوله بهذا امرت اشارة الى انه امر خاص به وبمن يمشي على قدمه وقوله (ذكره الترمذي) اشارة الى من روى هذا الحديث (وذكر عن معوذ بن عفراء) ذكر بالبناء للمجهول قال السيوطي ذكر هذا الحديث الترمذي في الشمائل والطبراني عن الربيع بنت معوذ وسنده حسن يعني ان المذكور انما هو الربيع بنت معوذ بضم الراء المهملة والتصغير فهو مشدد الياء التحتية اسم امرأة منقول من مصغر الربيع وكذا قال البرهان وقال لعله سقط من النسخ لفظ الربيع اووقف عليه القاضي رواية عن معوذ الا ان معوذا لا اعلم له رواية ووقع في نسخة على الصواب ومعوذ بضم الميم وفتح العين المهملة وكسر الواو المشددة وحكى ابن قرقول فتحها وغيره لا يجيزه وكذا ضبطناه عن الصدفي ثم ذال معجمة وقال التلمساني قيل ان الدال مهملة مع الفتح والكسر والاول اولى وعفراء بعين مهملة وفاء ساكنة وراء مهملة وهمزة ساكنة ممدودة اسم امه وهي عفراء بنت عبيد بن ثعلبة وشهر بذلك واسم ابيه الحارث بن رفاعة بن الحارث بن سواد ومعوذ استشهد ببدر قتله ابو مسافع وقيل انه هو الذي قتل ابا جهل وفيه كلام في السير (قال اتيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بقناع) بقاف مكسورة او مضمومة فنون والف فعين مهملة ويقال له قنع بكسر القاف وقيل قناع جمع قنع وظاهر قوله (من رطب يريد طقا) انه مفرد وكذا قوله في حديث آخر يهدى لنا القناع فيه كعب حبيب افرده (واحمر رعب) بفتح الهمزة وسكون الجيم وكسر الراء واصله احرى فسقطت ياؤه كادل في جمع دلو وهو جمع جرو بكسر الجيم يورد علم وهو صغير القثاء ورعم ابن قرقول ان جروا جمعه احرا على افعال وهو جمع

جرو وزعب بضم الزاى وسكون العين المعجمتين جمع ارعب وهو ما عليه رعب والرعب صغار الريش والشعر فشبه به ما يكون على العاكهة ونحوها من الصغير وقوله (يريد قثاء) بكسر القاف وضمها وتشديد المثناة والمد وهى معروفة وهى ضرب من الخيار والفه للتأنيث اوللالحاق وهو اسم جنس يطلق على الواحد وغيره واذا فسر به الجمع ولاحاجة لتقدير من جنس هذه وعلى كل حال فلا يقال اى رعب هما كالدينار الصفر كما توهم و هو تفسير لقوله احمر وروى الهروى اجر بالنون بدل احمر وهو جمع حمار وهو العصير الرطب والمسهر الاول وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يحب القثاء (فاعطانى ملء كفه حليا ودنانير) بالواو العاطفة وفى الترمذى اوقال ذهبا مما كان عنده مما جاءه من البحرين وهذا مما يدل على الوهم فى رواية معوذ فانه قتل بدر و مال البحرين انما اتاه صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ظهور الاسلام والحلى بضم الحاء المهملة وسكون اللام بزنة ضرب و جمعه حلى بضم الحاء وكسرها ووزنه فعول وهو كل مصاغ من الذهب والفضة وضبطه التلمسانى بالمفرد هنا فان كانت الرواية به فواضح والافيجوز قراءته بالوجهين (وعن انس رضى الله عنه كان النبى صلى الله عليه وسلم لايدخر شيئا لغد) اخرجه الترمذى وشيئا اعم من المال والقوت وهذا بالنسبة لاغلب احواله صلى الله عليه وسلم وقد وقع خلافه تعليما وتطييبا لقلوب اهله وهو لاينافى التوكل كما لايخفى (والخير بجوده) اى فى بيان جوده (وكرمه كثير) لايحصى فهو كالبحر جدب ولاجزر (وعن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه اتى رجل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) هذا الرجل لم يبين والحديث لم يخرجه السيوطى ولاغيره (يسأله فاسلف له صلى الله تعالى عليه وسلم) اى اقرض والسلف والقرض بمعنى (بنصف وسق) بفتح الواو وكسرها وهو ستون صاعا وعند اهل الحجاز ثلثمائة وعشرون رطلا وار بعمائة وتمانون رطلا عند اهل العراق على اختلافهم فى مقدار الصاع والمد كما قاله البرهان الحلبى رحمه الله تعالى والوسق ايضا مصدر بمعنى ضم الشئ (فجاءه الرجل) الذى اقترض منه (يتقاضاه) اى يطلب منه كما مر (فاعطاه وسقا) صعفا ما اخذ منه (وقال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم له (نصفه قضاء) لما آخذت (ونصفه نائل) اى عطاء وهبة (لك) ووقع فى بعض النسخ هنا زيادة سقطت من اكثر النسخ وهى (وقد قال ابو على الدقاق من سوح لما صوفة الساهير وعمائهم المحارير وتكلم فى اعتبره وهى عباءة الكرم والايثار على رأيهم واصطلاحهم فى اعاطهم ان هذه الحلة لايكون بكماله الا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فان كل احد فى القيامة يقول نفسى نفسى ويقول هو صلى الله تعالى عليه وسلم امتى امتى) انتهى مايريد هنا و بقيتها محمدى مرد وقف فى شرحه

وتبعه الشلمساني وشرحها فلتتم الفائدة ببعض فوائدها و بيان مافيها فاعلم ان الدقاق هو ابو علي الحسن بن علي شيخ القشيري تفقه في اول امره على القفال وغيره ثم انقطع حتى صار سيد وقته والمتصوفة والصوفية واحده صوفي ويقال تصوف اذا انقطع الى الله تعالى كما يقال قبسي اذا انتسب لقبس وهذا لفظ مولد واصطلاح حدث بعد القرن الاول فقال بعضهم الصوفي هو المنقطع بهمته الى ربه وهم مقتدون باهل الصفة رضي الله تعالى عنهم وهي سقيفة اتخذها ضعفاء الصحابة في مسجد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وكان قبل الاسلام حي يقال لهم صوفة يخدمون الكعبة فقيل الصوفي نسبة لهم وقيل لانهم تجمعوا كما تجتمع الصوف وقيل انهم لخشوعهم كصوفة مطروحة على الارض اوهم منسوبة للصوفة لينهم وسهولة اخلاقهم اوللبسهم الصوف لاختيارهم الفقر وهذا اظهر الاقوال لغة ومعنى وقيل منسوب للصفة والاصل صفي فابدل احد حرفي التضعيف ياء وقيل انه من الصفاء ففيه قلب وصحح هذا بعضهم لقول البستي * تخالف الناس في الصوفي واختلفوا * جهلا فصوه مشتقا من الصوف * ولست انحل هذا الاسم غير فتى * صافى فصوفي حتى سمي الصوفي * ولا اهدي فيه لانه على مذهب الشعراء وقد بين المصنف رحمه الله تعالى معنى الفتوة ﴿ فصل واما الشجاعة والنجدة فالشجاعة فضيلة قوة الغضب وانقيادها للعقل) هذا معنى ماقاله الحكماء في علم الاخلاق ان الله تعالى ركب في الانسان قوة هي مبدأ الاقدام على الاهوال والمهالك لتصوره ان من خاطر بالنفس ربما هلك وانه لايعنى حذر من قدر وهي القوة الغضبية السبعية والشجاعة انقياد هذه القوة لسلطان العقل والنفس ناطقة ليكون اقدامها على حسب الروية من غير اضطراب حتى يكون فعلها جميلا محمودا وافراطها التهور وهو الاقدام حيث لاينبغي وتفريطها الخور وبهذا عرفت معنى الشجاعة والجراءة اعم منها وهذه تختص بالانسان وفسرها ابن القوطية بالاقدام وهو تفسير لغوي بالاعم (والنجدة) بفتح النون وسكون الجيم ودال مهملة كما في النهاية وهي شدة البأس ويقال هم انجاد انجاد اي اسداء شجعان والواحد نجد ككتف واكتاف وقيل انه جمع الجمع جمع نجد على نجاد ونجاد على انجاد وفسرها اهل اللغة بالشجاعة على عادتهم في التسامح فلا ينافي تغايرهما كما توهم ويؤيده ماني الحديث الاتي عن ابن عمر ما رأيت اسمح ولا انجد ولا اجود ولا ارضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتهرت النجدة في معنى المساعدة (ثقة النفس) في بعض الشروح وثق الشيء بالضم وثاقة صلب واستدومه الوثاق وثقت به بالكسر اثق ثقة اعتمدت عليه واتمنته كما في التقريب والمصنف رحمه الله تعالى استعمل الثقة موضع الوثاقة ولم اظفر به قلت هذا عجيب منه فانه بمعنى اعتماد النفس على ربها واعتماده على نفسه (عند استرسالها) اي انطلاقها

واخذها فيما يؤدى (الى الموت) اى استبناسها و طمانينتها بلاخوف كما ورد
فى الحديث ايما مسلم استرسل الى مسلم فعنه الخ وحديث عبس المسترسل ربا (حبب بحمد
فعلها دون حوف) قيل ومنشاؤه قوة الدمس وسدتها ولبست عين الشجاعة ففسر
الشدة بما يشاؤه عنها انتهى وكلامه ماش على تعابرهما والشراح لم يفرقوا بينهما
والفرق مثل الصبح ظهر فان الشجاعة حرارة واقدام يخوض به المهالك كما ينبغى
والنجدة ثباته على ذلك مطمئنا من غير حوف من ان يقع على الموت او يقع الموت عليه
حتى يقضى الله له باحدى الحسنيين لظفر او الشهادة فيحيى سعيدا او يموت شهيدا
فتلك مقدمة وهذه نتيجتها ولذا احرها المصنف فى الذكر (وكان صلى الله تعالى
عليه وسلم منهما) اى من الشجاعة والنجدة (بالمكان الذى لايجهل) اى كان
متصفا بهما على اعظم وجه ومشتهرا بذلك اشتهارا لايخفى على احد وعدم جهل
المكان لعلوه وشرف بنائه كالجبل والقصر وكنى بذلك عن علو قدره صلى الله تعالى
عليه وسلم و شهرته على حد قوله * ان الشجاعة و السماحة والندى * فى قبة
ضربت على ابن الحشرج (قد حصر المواقف الصعبة) اى مواضع القتال
الشديدة ومصافها فجعلها نفسها صعبة لصعوبة مافيها (وفر الكماة والابطال
عنه غير مرة) الفرار الرجوع بسرعة والكماة بزنة قضاة جمع كمى على خلاف
القياس لانه مخصوص بفاعل المعتل اوهو جمع كام بمعنى كمى وان لم يسمع وهو من
الكمى اذا تستر فاصله التشجع اللابس للدرع والبيضة ثم استعمل فى مطلق الشجاع
كالمسعر فان قيل انه سمى به لانه يستر شجاعته و وقايعه كان الثانى حقيقة ايضا
لكن المعروف هو الاول والابطال جمع بطل كحمس وهو الشجاع المعروف بالشجاعة
سمى به لانه يبطل عنده دماء الاقران وغير مرة بمعنى مرات والعرب تجعل غير مره
بمعنى مرات مع صدقه على مرتين للابهام ونحوه من الفوائد (وهو) صلى الله عليه
وسلم (ثابت لايبرح) اى لايفارق مكانه كقوله فلن ابرح الارض اى لافارقها (ومقبل
لايدبر ولايتزحزح) اى لايزول عن مقره قال تعالى * فمن زحزح عن النار * وهذه
الجمل الاربع تدل على ثبته صلى الله تعالى عليه وسلم اى تارة يقبل على الحرب وتارة
ثبت كالجبل الراسى ولايتحرك فان اريد باقباله مجرد توجهه بوجهه وبعدم ادباره
تغايرهما فهما حال واحدة واصل معنى التزحزح التباعد والتنحى عن المكان قال
زيد رحه اذا دفعه وكذلك زحزحه وقيل هو من راحه يزيحه اومن الروح
وهو السوق الشديد ويقال زحزحته فتزحزح وازاح اذا تباعد ومنه المزاح والصحيح
الاول وعطفه على الادبار من عطف الخاص على العام وكان من حصايصه صلى
الله تعالى عليه وسلم انه يحب عليه مصابرة العدو وان كثروا وزاد على ضعف عسكره
ويأتى ما فيه و اما الامان فان راى العدو على ضعف المسلمين حاز انصرافهم

عن القتال والا فلايجوز الا بالتحيز او التحرف الى فئة فان الفرار من الزحف كبيرة كما فصله الفقهاء والمفسرون (وما سحاع الا وقد احصبت له مرة) احصبت بالبناء للمجهول من الاحصاء وهو العد والحفظ والمرة المرة من الفرار وهو الهزيمة والفار الهارب (وحفظت عنه حولة سواه صلى الله تعالى عليه وسلم) الحولة بفتح الحاء المهملة وسكون الواو واللام المرة من الجولان في المكان وقيل هي الانكشاف والزوال عن الموقف من غير تقييد بالمرة وفي النهاية حال واجتال اذا ذهب وجاء ومعنى الجولان في الحرب والجايل الزايل عن مكانه وقول الصديق رضي الله تعالى عنه للباطل ثروة وللحق حولة يريد به علة من جال على قرنه يحول انتهى والحولة هنا صفة ذم بمعنى مرة لاعلة وفي الحديث للباطل حولة ويصحل والحاصل ان الحولة تكون بمعنى الفرار وبمعنى الذهاب ليعود والتردد في المكان ويصح ارادة كل منها هنا ويكون صفة ذم ومدح ثم ذكر مايدل على ماذكروه فقال (حدثنا القاضي ابو علي الحياني فيما كتب لي) هو الامام الحافظ ابو علي الغساني الجياني بفتح الجيم وتشديد المثناة التحتية ثم الف ونون وياء نسبة لبلدة منها ابن مالك وابو حيان وغيرهما من الائمة وقوله كتب لي دون الى يشعر بانه وقع له ذلك مع ملاقاته بدليل قوله حدثنا فان الكتابة تكون للغائب والحاضر وتتضمن الاجازة وابن الصلاح رحمه الله تعالى لم يفرق بين كتب له واليه اذ قال كثيرا مايوجد في مسانيدهم ومصنفاتهم كتب الى فلان وهو معمول به عندهم معدود وفي المسند الموصول وفيه اشعار قوي من الاجازة وان لم تقترن بها وعند السمعاني وامام الحرمين انه قوي من الاجازة المجردة قال (حدثنا القاضي سراح) بكسر السين كالسراج المنير وهو سراح بن عبد الملك بن سراح بن عبد الله بن محمد بن سراح الاموي توفي لست بقين من جمادى الاولى سنة ثمان وخمسمائة والذي روى عنه الجياني وهو جد سراح بن عبد الملك كما قال التلمساني قال (حدثنا ابو محمد الاصيلي) هو ابو محمد عبد الله بن ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن جعفر الاصيلي ويقال الاريلي بالراي والسين ايضا نسبة لاصيلة بلدة بالغرب معروفة كما قاله ابن فرقول وقال الصاغاني في الذيل والصيلة اصيل بلد من اعمال الاندلس قال (حدثنا ابو زيد الفقيه) هو ابو زيد المروزي وقد تقدمت ترجمته قال (حدثنا محمد هو ابن يوسف) الفربري قال (حدثنا محمد بن اسمعيل) هو الامام البخاري وقد تقدمت ترجمته قال (حدثنا ابن بشار) الامام الحافظ ابو بكر محمد بن بشار بفتح الموحدة التحتية وتشديد السين المعجمة والف وراء مهملة المعروف بندار روى عنه اصحاب الكتب الستة عاش ثمانين سنة ومات سنة اثنين وخمسين ومأتين وقيل احدى وخمسين وترجمته مفصلة في الميزان قال (حدثنا غندر) بضم الغين المعجمة وسكون النون وفتح الدال المهملة وتضم وراء مهملة وهو محمد بن جعفر

الهذلى مولاهم البصرى الحافظ روى له اصحاب الكتب الستة توفى سنة ثلاث وتسعين ومائة وترجمته فى الميزان ايضا (عن ابى اسحق) عمر بن عبد الله السبيعى الهمدانى الكوفى احد اعلام الحديث اخذه عن عدة من الصحابة وعدة من التابعين وروى عنه خلق كثير وله نحو ثلاثمائة شيخ وهو شبيه الزهرى فى الكثرة وكان صواما قواما عابدا مات سنة سبع وعشرين ومائة وله خمس وتسعون سنة واخرج له اصحاب الكتب الستة وله ترجمة فى الميزان (سمع البراء) بن عازب الصحابى المشهور (و) قد (سأله رجل) وهذا الحديث اخرجه القاضى كما ترى عن البخارى فى الجهاد فى موضعين باختلاف فى بعض الفاظه ورواه مسلم فى المغازى والنسائى فى السير (افررتم) معاشر الصحابة (يوم حنين عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال نعم) وحنين بالنون مصغرا وبه سمى الموضع المعروف وسميت غزوة حنين واوطاس باسم الموضع الذى كانت فيه الوقعة سنة ثمان من الهجرة فى شوال وقع فى البخارى انه صلى الله تعالى عليه وسلم خرج الى حنين فى رمضان والمعروف انه فى شوال وما ذكره المصنف ورد فى بعض طرق الحديث وفى بعضها افررتم ولم يذكر عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهى رواية مسلم وعلى هذه الرواية قال النووى جواب البراء رضى الله تعالى عنه من بديع الادب لان تقديره افررتم كلكم فيقتضى انه صلى الله تعالى عليه وسلم وافقهم على ذلك فقال البراء لا والله ما فر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولكن جماعة من اصحابه حرى لهم كذا وكذا انتهى وهذا الجواب لا يتأتى الا على الرواية الثانية وكان ينبغى للمسيح ان يجيب بجواب غير هذا لان هذا الفهم احترز عنه السائل بقوله عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يجئ انه صلى الله تعالى عليه وسلم انهزم قط ولم ينقله احد وقد نقل الاجماع على انه لا يجوز ان يعتقد انه صلى الله تعالى عليه وسلم انهزم ولا يجوز ذلك عليه بل كان العباس وابو سفيان رضى الله تعالى عنهما آخذين بلجام بغلته يكفانها عن اسراع التقدم الى العدو كما يأتى وقد صرح به البراء فى حديثه كذا قال البرهان وقيل عليه انه يأتى الجواب على ما رواه المصنف ايضا لان قول السائل عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وان دفع وهم انه ما فر معهم لا يدفع انه فر بعد فرارهم فكان ثابتا فى ما طواه البراء فى الجواب الذى تقديره فر من فر عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الذى دفعه بقوله (لكن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم يفر) لانه استدراك لدفع ما توهم من الكلام السابق وان لم يصرح به وما قيل من انه يمكن ان يقال قصد البراء ان يبين ان فرارهم لم تكن بالكلية وانما معناه تحولا عن وجه العدو فحلا حولة ثم عدنا وكيف ندع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو اعز من انفسنا

اوهو من الاسلوب الحكيم فكانه لما سأله عن فرارهم قال له هذا لا يهمك شانه وانما الذى ينبغى ان تعتقده انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يفر تكلف لبس فى الكلام مايدل عليه (ثم قال لقد رأيته على بغلته البيضاء) السهاء يقال لها فضة اهداها له فروة بن نفاثة كما فى مسلم وفروة بفتح الفاء واسكان الراء ونفاثة بضم النون وبالفاء المخففة وبالمثلثة الجذامى بضم الجيم وبالذال المعجمة وفى رواية ابن اسحق بن نعامة بالعين والميم والمعروف الاول وقال بعضهم ركب صلى الله تعالى عليه وسلم فى حين ابغلة تسمى دلدل وكذا قال النووى فى شرح مسلم والمعروف الاول ودلدل اهداها له المقوقس وكبرت و بقيت الى زمن معاوية رضى الله تعالى عنه ويقال انه وهبها صلى الله عليه وسلم لابى بكر رضى الله تعالى عنه وكان له صلى الله عليه وسلم ست بغلات اوخمس كما ذكره الحفاظ وذكروا من اهداها له (وابوسفيان) ابن الحارث بن عبد المطلب هو ابن عم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واسمه المغيرة واسمه كنيته وكان اخاه من الرضاع وآلف الناس به قبل النبوة وكان يشبهه صلى الله تعالى عليه وسلم ايضا وكان شاعرا مطبوعا فلما ظهر الاسلام اظهر العداوة وهجا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واحابه حسان رضى الله تعالى عنه بما هو مذكور فى السير ثم اسلم وحسن اسلامه وابلى بلاء حسنا يوم حنين وتوفى سنة عشرين وصلى عليه عمر رضى الله تعالى عنه وهو احد من ثبت يوم حنين وهم عشرة او اكثر كما فصله اصحاب السير (اخذ بلجامها) اى بمسك عنان بغلته صلى الله تعالى عليه وسلم والعباس رضى الله تعالى عنه من الجانب الاخر لئلا تلفت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لابى سفيان وقال له من انت قال اخوك ابو سفيان بن الحارث فداك ابى وامى فقال نعم اخى باولى حصا من الارض فداولته ورمى به فاصاب اعينهم كلهم وانهزموا وانما امسكا باللجام لئلا يسرع للاتصال بالعدو لما رأياه من اقدامه صلى الله تعالى عليه وسلم ومسارعته فاسعفا عليه بمقتضى المحبة الاسلامية والرحم وان علما عصمته صلى الله تعالى عليه وسلم وحماية الله تعالى له (والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقول انا النبى لا كذب وراد غيره انا ابن عبد المطلب) هذه الرواية المشهورة بسكون الياء للوقف ويروى بتحريك الياء فيهما وروى لا كذب وعلى هاتين الروايتين لا اشكال وعلى الرواية المشهورة اشكال مشهور وهو انه يكون موزونا من مجزوء بحر الرجز والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لا يصدر منه الشعر لقوله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغى له وكيف يصدر عنه صلى الله تعالى عليه وسلم هذا ونحوه كقوله* هل انت الا اصبع دميت *وفى سبيل الله ما لقيت* ووقع مثله فى كتاب الله تعالى (واجيب عنه بان الرجز ليس من الشعر كما ذهب اليه بعضهم استدلالا بهذا وبان العرب تسمى قائله راجزا لا شاعرا وبان المراد بالشعر المنزه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ان يكون بنظم

انواعه فيكون سجعية وماوقع نادرا لايعد قائله شاعرا ونظيره ما قاله الباقلاني في كتاب الاعجاز ان القرآن يقع فيه ذلك حتى يكون جامعا لانواع الكلام وبمثله لايكون القرآن سعرا كالبيت والمصراع اذا وقع في اثناء رسالة اوخطبة والجواب المشهور ان الشعر هو الكلام الموزون المقفى بالقصد وما وقع في الحديث كهذا وفي القرآن كقوله يريدان يخرجكم من ارضكم بسحره لم يقصد وزنه فلا يسمى شعرا وهذا في الحديث الصحيح واما في القرآن فلاانا اذا سلمنا وقوعه فيه لابد ان يكون بالقصد والارادة لانه لايمكن ان يقع شئ في الخارج بغير ارادته وقد ذكرت هذا لبعض مشايخي فاستحسنه ثم رأيته في بعض شروح المفتاح وقد اجبنا عنه في كتابنا طرار المحالس وكان ابن قدامة في كتاب التكملة لحظ هذا فذهب الى انه ليس في القرآن موزون لانا لانحوج ان يقرأه على هذه الطريقة بل نصل الكلام ولا نقف على ما يسمه العروض والضرب وحينئذ لا يكون موزونا وهو كلام حسن وقوله لا كذب اذا حرك يلزمه الوقف على متحرك وهو لحن لايصدر عمن هو افصح الناس وفيه نظر ونفيه الكذب عنه لانه صلى الله تعالى عليه وسلم مصون عنه مطلقا اومعناه لا كذب في اخطر والنصر وما وعدني الله تعالى اولا اكذب في دعوى النبوة لظهور آياته ووضوح برهان معجزاته والمقصود تثبيتهم حتى لايفر احدمنهم وقوله رادغيره ان كان الضمير راجعا للبحاري اقتضى صنيعه ان هذه الزيادة لم ترد في البخاري مع انها فيه في محلين من كتاب الجهاد فكان ينبغي له اسقاط قوله وراد غيره ان رجع لغيره ممن سمع البراء فالامر واضح وقوله انا ابن عبد المطلب كما يقول المحارب انا فلان اشارة الى شجاعته وصولته وانما انتسب صلى الله تعالى عليه وسلم لجده دون ابيه لاشتهاره بذلك لان اباه مات شابا في حياة جده وهو طفل فكفله فكانوا يقولون له ابن عبد المطلب لعلو مقامه وكونه سيد اهل مكة اوخصه بالذكر وقد انهزموا عنه تثبيتا لثبوته صلى الله تعالى عليه وسلم وازالة للشك فيها لما عرف من رؤياه المبشرة لذلك كما انشأ مدلك الاحجار والكهان فكأنه يقول انا ذلك الموعود به فلابد مما وعدت به لئلا يفروا ويظنوا انه مقتول اومغلوب وكان عبد المطلب رأى في منامه ان سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها طرف في السماء وطرف في الارض وطرف بالمشرق وطرف بالمغرب ثم عادت كأنها شجرة على كل ورقة منها نور فاذا اهل المشرق والمغرب كأنهم يتعلقون بها فقصها فعبرت بمولود له من صلبه يتبعه اهل المشرق والمغرب ويحمده اهل السماء والارض فلذلك سماه محمدا كما قاله حين قيل له لم سميته بهذا وليس لاحد من ابائك ولا قومك مثله فقال رجوت ان يحمده اهل الارض وقيل ان امه لما حملت به قيل لها انك حملت بسيد هذه الامة هاذا وضعته فسميه محمدا وقوله انا النبي الى آخره ليس من الافتخار المنهي عنه لانه جائز في الجهاد لارهاب العدو وكان

صلى الله تعالى عليه وسلم ينصر بالرعب كما مر وهذا جار على عادتهم كقوله
* اقول له والرمح يأطر متنه * تأمل خفافا انني اتذكا *

(قيل فما رؤى يومئذ احد كان اشد منه) صلى الله تعالى عليه وسلم اى لم ير فى حرب هوازن اقوى واسجع من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقد ركب بغلته وقد ظاهر عليه درعا ومغفرا وطاف على الصفوف يحضهم على القتال ويبشرهم بالفتح ان صدقوا وصبروا وكانوا يرزوا للقتال فى كتائب لم ير المسلمون مثلها عدة وعدة وحملوا حملة واحدة وكانوا ارمى الناس بالسهام واعرفهم بالقتال فانهزم الناس والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ثابت يلتفت يمنة ويسرة لمن فر منهم وهو يقول يا انصار الله وانصار رسول الله انا عبد الله ورسوله ثم تقدم بحربته امام الناس فلم يمض قليل حتى هزمهم الله واما قال المصنف قيل لان هذه اللعطة بعينها لم تثبت عنده بطريق صحيح واما كونه صلى الله تعالى عليه وسلم اشد من حضر تلك الوقعة واسجعهم فهو مما لا سهمة فيه ولا يمكن احد انكاره (وقال غيره) اى غير البخارى الذى الحديث السابق من روايته لكنه لم يذكر فيه انه صلى الله تعالى عليه وسلم (نزل عن بغلته) فانه فى رواية مسلم رواه سلمة بن الاكوع رضى الله تعالى عنه قال لما غشوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نزل عن البغلة ثم قبض قبضة من تراب الارض ثم استقبل بها وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق احد منهم حتى امتلأت عيناه من تلك القبضة ترابا وهزمهم الله ولا شك ان النزول فى وقت المحاربة فيه من الشجاعة ما لا يخفى وتسميه العرب نزالا (فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين) هذه حال مؤكدة وهى قد تكون موافقة لعاملها معنى كهذه الآية ولى مدبرا وقد تكون موافقة له لفظا كقوله * اصح مصبحا لم ابد ى نصيحته * والاول اقوى لما فيه من ترك التكرار بحسب الظاهر وفى قوله ولى المسلمون ان اريد جميعهم مجاز بجعل الاكثر بمنزلة الجميع والا فلا يجوز خلافا لمن طعن وقد ثبت جماعة من المسلمين اختلف فى عددهم كما مر وقد صنف فى السير وكتب الحديث (وذكر مسلم) فى صحيحه رواية (عن العباس) رضى الله تعالى عنه عم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (قال فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى جعل وشرع فى فعل ذلك (يركض بغلته نحو الكفار) اى يسوقها ويسرع بها والركض الضرب بالرجل فتى نسب الى الراكب فهو اعدا مركوبه نحو ركضت الفرس ومتى نسب الى الماشى فوطؤ الارض نحو قوله اركض برجلك ونحو منصوب على الظرفية اى فى جهتهم (وانا آخذ بلجامها) اى امسكه (اكفها) اى امنعها من السرعة (ارادة ان لا تسرع) اى لاجل ارادة ان لا تسرع نحو العدو وتقتحم به (وابو سفيان) بن الحارث ابن عمه (احذر كابه) هذه رواية وفى اخرى ان ابا سفيان

كان يقود بغلته صلى الله تعالى عليه وسلم آخذ بلجامها مما احد جانبيها فلعله تارة كان يفعل كذا وتارة كان يفعل كذا فلا تعارض بين الروايات (ثم نادى) اى العباس رضى الله تعالى عنه وكان جهورى الصوت (يا للمسلمين) بفتح اللام الاولى لدخولها على المستغاث به فان دخلت على المستغاث له كسرت نحو يا لله يا للمسلمين وكان نداؤه رضى الله تعالى عنه بامر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذ قال له يا عباس ناد اصحاب السمرة فناداهم فعطفوا وقاتلوا حتى هزم الله اعداء الدين وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الآن حمى الوطيس وهذا الحديث نقله المصنف رحمه الله تعالى عن مسلم بالمعنى اذ ليس فيه نداء العباس وخص العباس رضى الله تعالى عنه بذلك لانه كان صيتا يسمع صوته من ثمانية اميال واصحاب السمرة هم اصحاب الشجرة وانما خصهم بالنداء لانهم لما بايعوه تحتها بايعوه على الموت وان لا يفروا فذكرهم بذلك وفى خصايص الحبضرى كان يجب عليه صلى الله تعالى عليه وسلم مصابرة العدو وان كثروا والامة انما يلزمهم الثبات اذا لم يزد عدد الكفار على الضعف كذا قالوه من غير دليل لكن ذكر الماوردى ان من خصايصه صلى الله تعالى عليه وسلم انه اذا بارز رجلا لم ينكف عنه وانه لا يغير من الزحف وخوفه من القتل غير جائز لان الله عصمه انتهى (وقيل كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا عصف ولا يعصف الا الله لم يقم لعصفه شئ) اى لهيابته كل احد له صلى الله تعالى عليه وسلم وخوفه منه لا يتحرك عنده وقال شئ دون احد مبالغة فان العاقل وغيره سواء فى ذلك ففى هذا اشارة الى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يعتريه العضب والحدة احيانا ولكن ذلك غيرة على حدود الله لا لنفسه ومناسبة هذا لما نحن بصدده من ذكر الشجاعة ان العضب مقتضى للبطش والاقدام وهو من نمطها وهذا بعض من حديث صحيح فى شمائل الترمزى (وقال ابن عمر رضى الله تعالى عنهما) من حديث صحيح رواه الدارمى مسندا (ما رأيت اشجع ولا انجد ولا اجود) تقدم الفرق بين الشجاعة والنجدة فلبس عطفه عليه عطف تفسيرى كما توهم وبين الافضل هما يفيد بنى المساوى بطريق الكناية كما تقول ما فى البلد اعلم من زيد كما تقدم تحقيقه (ولا ارضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم) اى اكثر رضى منه لانه صلى الله عليه وسلم كان يرضى بكل شئ من ملبوس ومأكول وغيره ويحتمل ان المراد بالرضى عدم الغضب اى كان اكثر حاله عدم الغضب لان الرضى يكون مقابلا للسخط ويكون بمعنى الارادة وعدم الكره وبكل منهما فسر الرضى اذا كان صفة لله وعلى ذلك مبنى اختلاف الاشاعرة والماتريدية فى رضى الله للكفر فى قوله ولا يرضى لعباده الكفر والظاهر ان هذا مراد المصنف لانه المناسب لما قبله وهذا الحديث رواه احمد والنسائى والطبرانى والبيهقى قيل عطفه احود

على الجد لما بينهما من المناسبة فان الجواد لا يخاف الفقر والسخاء لا يخاف الموت كقوله * ان الذي جمع السماحة والنجدة والبر والتقى جمعا * ولان الاول بذل النفس والثاني بذل المال والجود بالنفس اقصى غاية الجود (وقال علي رضي الله تعالى عنه كنا اذا حمي البأس) بالموحدة وبهمزة او الف وهو الشدة والمراد به الخوف او الحرب وحمي ربة علم او وقد ففيه استعارة مصرحة او مكنية اي اشتد القتال وهذا معنى ما وقع في الرواية الاخرى حمي الوطيس فان الوطيس التنور كما مر وذلك ابلغ مع نكتة لانه صلى الله تعالى عليه وسلم قاله في غزوة اوطاس على ما تقدم مع الكلام عليه مما لا مزيد عليه (ويروى اذا استد البأس) وهذه الرواية مفسرة للاولى (واحمرت الحدق) جمع حدقة وهي ما تحت الاجفان واحمرارها يكون عند الغضب لان الدم يهيج فيه وفي الحديث الغضب جمرة تتوقد في قلب ابن آدم اما ترى انتفاخ اوداجه واحمرار عينيه وفسر شدة الغضب وهو غير مناسب هنا وان كان كل عدو غضبان على عدوه ولذا فسره بكثرة الموت والظاهر انه كناية عن زيادة هيجانها لانه يقال استعلت واوقدت ومن قرب من النار ولا رمها تحمر عينه فالمعنى استد القتال ودام مدة (اتقينا برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اي جعلناه وقاية لنا من العدو بان يتقدم علينا فيدفع العدو ونحن خلفه كما يسير اليه قوله (فما يكون احد اقرب الى العدو منه) ولذا امسكوا بغلته صلى الله تعالى عليه وسلم يوم حنين كما مر ولم يكر عليهم وقد صارت هذه سنة في الملوك وقت القتال حتى ان آل عثمان يقيدون فرسه (ولقد رأيتني) بضم التاء وهذا من حصاص افعال القلوب وما الحقت بها من رأى البصرية والحلمية ان يكون فاعلها ومفعولها متصلين بشيء واحد ورأى هذه بصرية كما في قوله

*ولقد اراني للرماح دريئة * من عن يميني تارة وامامي *

وقد اختلف في تعليل هذا كما فصله في كتب النحو وكان الظاهر لقوله بعده (يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم) ان يقول رأيتنا وكأنه عدل عنه اشارة الى ان كل واحد مشغول بنفسه لا يرى غيره ومعنى يلوذ يستتر ويلتجئ اليه قال عز وجل قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا (وهو اقربنا الى العدو) مبالغة في شجاعته صلى الله تعالى عليه وسلم والمراد بالعدو الكفار (وكان من اشد الناس يومئذ بأسا) اي كناية في العدو كقوله تعالى * والله اشد بأسا واشد تنكيلا كما قاله الراغب وهذا الحديث اخرجه احمد والنسائي والطبراني والبيهقي في الدلائل من طرق عنه واخرج مسلم بعضه من حديث البراء ان عاش رضي الله عنه كما قاله السيوطي في مناهل الصفا (وقيل كان الشجاع هو الذي يقرب منه صلى الله تعالى عليه وسلم اذا دنا العدو) اي قرب من المسلمين وقت المقاتلة (لقربه) اي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (منه)

اى العدو وهذا من كلام البراء بن غازب رضى الله تعالى عنه الذى رواه مسلم فى صحيحه ولذا قيل ان قول المصنف رحمه الله قيل ليس فى محله لايهامه ضعفه (وعن انس رضى الله عنه) هذا حديث صحيح اتفق عليه الشيخان (كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم احسن الناس) كلهم خلقا وخلقا (واجود الناس) اى اكثرهم عطاء واحسانا (واسجع الناس) افعل تفضيل ولا وجه لما قيل انه للتعجب ثم ذكر ما يدل على سدة سجاعته صلى الله تعالى عليه وسلم فقال (لقد فزع اهل المدينة) اللام فى جواب قسم مقدر والمدينة مدينة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم علم لها بالغلبة والفزع انقباض ونفار يعترى المرء مما يخاف وهو قريب من الجزع ولذا يقال جزعت الله ولا يقال فزعت من الله تعالى كما قاله الراغب قال تعالى لا يحزنهم الفزع الاكبر اى من دخول النار ويكون الفزع بمعنى الاستغاثة قال * كانا اذا ما اتانا صارخ فزع * (ليلة) منصوب على الظرفية اى فى ليله (فانطلق ناس) اى خرجوا من المدينة (قبل) بكسر القاف وفتح الباء بمعنى الجانب والجهة طرف اى نحوه يقال ذهب قبل السوق قال الله تعالى * فما للذين كفروا قبلك مهطعين * ويكون بمعنى عند يقال لى قبله حق ويستعار للوسع والطاقة نحو فلا طاقة لهم بجنود لا قبل لهم بها (الصوت) اى الذى سمعوه وخرجوا ليعرفوا خبره لظنهم انه عدو غار على من هناك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج قبلهم وحده لذلك فعرف ذلك ورجع (فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم) حال كونه (راجعا) من جانب سمع الصوت منه (فسبقهم الى الصوت) اى المكان الذى سمع الصوت من جهته (وقد استرأ الخبر) بهملة ومثناة فوقية وموحدة وهمزة وقد تبدل الفا اى وقف صلى الله عليه وسلم على حقيقته وفى الاساس استرأت التى ظلمت آخره لاقطع السهمة عنى واسترأ الارض قطعها انتهى حال كونه راكبا (على فرس لابى طلحة) زيد بن سهل بن الاسود بن حرام الانصارى الصحابى وكان ذلك الفرس يسمى المندوب اى المطلوب اولانه كان فيه ندب اى ارتجاج (عرى) بضم العين وسكون الراء المهملتين مجرور صفة فرس ويقال فى الآدمى عريانا اذا لم يكن له لباس ولغيره عرى وقيل انه عرى بضم العين وكسر الراء وتشديد المثناة التحتية بمعنى عرى وليس فى اللغة ما يساعده اى ليس على ظهره شئ من سرج اوغيره قال فى المغرب فرس عرى لا سرج عليه ولا لبد وجمعها عرى لا يقال فرس عريانا كما لا يقال رجل عرى واعرورى الدابة ركبها عريانا ومنه كان عليه الصلوة والسلام يركب الحمار معروريا وهو حال من ضمير الفاعل المستكن ولو كان من المفعول لقيل معرورى (والسيف فى عنقه) اى حمائله معلقة فى عنقه السريف متقلدا به صلى الله تعالى عليه وسلم (واعلم ان هذا هو السنة فى حمل السيف كما قاله ابن الحورى لا شده فى وسطه كما هو المعروف الآن (وهو يقول) لمن لقيه من اهل الفزع (لن تراعوا) لن هنا بمعنى لم ومعنى الروع بفتح الراء

بمعنى الخوف والمراد نفى سببه اى ليس هناك شئ تخافونه واستدل بهذا الحديث على طهارة عرق الخيل وهذا حديث صحيح فى الصحيحين (وقال عمران بن حصين) بكسر العين المهملة وسكون الميم وراء مهملة و حصين بمهملتين كتصغير حصن وهو صحابى خزاعى كان من فقهاء الصحابة وفضلائهم رضى الله تعالى عنه (مالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم كتيبة) بفتح الكاف وكسر التاء المثناة فوق وبالمساة التحتية وباء موحدة هى الجيش المجتمع وقيل جماعة الخيل المغيرة من تكتبوا بمعنى تجمعوا ومنه الكتاب لجمعه الحروف (الا كان اول من يضرب) بسيفه ويقاتل وهو من قصر الصفة على الموصوف وهذا الحديث رواه الشيخ فى الاحلاق وفيه راو مجهول (ولما رآه) صلى الله تعالى عليه وسلم (ابى بن خلف يوم احد) هو ابى بن خلف بن وهب بن حذافة ابن جمح الكافر المشهور الذى طعنه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بحربته فى وقعة احد فوقع عن فرسه ولم يخرج منه دم وكسر ضلعه كما يأتى فهلك عدو الله وقول المزى فى تهذيبه انه صلى الله تعالى عليه وسلم اخبر بانه يقتل ابى ابن خلف فخدشه يوم بدر واحد فمات ذكره بالتردد بين بدر واحد لاوجه له و يوم احد طرف لرؤيته (وهو يقول) حال من ابى (ابن محمد) سؤال عن المكان فان قلت كيف يسئل عن مكانه وهو قال انه رآه قلت ان السؤال ليس على حقيقته بل مجاز عن تمكنه منه وظفره به اوالتقدير اين يذهب محمد اوالظرف ممتد وقع جميع ذلك فيه فهو فى وقت واحد وان تقدم وتأخر (لانجوت ان نجا) دعا على نفسه بالهلاك ان نجا الله تعالى حبيبه ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد اجاب الله دعاءه فاهلكه ونجا رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم والفال موكل بالمنطق (وقد كان) ابى (يقول حين اقتدى يوم بدر) قيل يوم بدل من حين واقتدى مبنى للفاعل ومفعوله محذوف اى اقتدى اسيرا له وهو ابنه عبد الله والاقتداء اعطاء الفدية لانفكاك الاسير فالمراد بحين الاقتداء يوم بدر بتمامه لا الزمان الضيق الذى وقع الاقتداء يوم بدر فيه لان الظاهر انه لم يقل وعيده له صلى الله تعالى عليه وسلم الا فى قبل ان يقتدى لا حين الاقتداء وقبل يوم بدر فهو متعلق باسيره اى من اسر يوم بدر وهو ابنه ولا يستقيم كونه بدلا من حين لان الاقتداء وقع بعد وقعة بدر بالمدينة وابى قال ما قال حين اقتدى لا بعده وكأن من قال ان ذلك وقع قبل ان يقتدى ظن ان الكفار لم يكونوا يدخلوا المدينة بالامان فالاسر وقع ببدر والاقتداء بالمدينة فلا تتأتى البداية فتأمل (عدى فرس اعلفها) الفرس يقع على الذكر والانثى وانثاها لانها كانت انثى وقد ورد فى الحديث تذكيرها وتأنيثها بحسب المراد والقرائن وقال التلمسانى اعلفها هو الصواب وفى السير اعلفه بضمير المذكر واصل الفرس الانثى وقد يقال للانثى فرسة وهو كلام منوس والذى فى الصحاح

انه يقع على الذكر والانثى ويصغر على فريس وان اردت الانثى خاصة لم تقل الا فريسة بالهاء عن ابى بكر بن السراج انتهى فلا وجه لقوله الصواب واسم فرسه العود بوزن الضرب وعينه ودال مهملتان والعلف مأكول الحيوان (كل يوم فرقا) بفتح الفاء والراء المهملة ويجوز تسكينها وقيل لايجوز وهو مكيال يسع ستة عشر رطلا وتحريكه وتسكينه بمعنى وقيل المسكن مائة وعشرون رطلا والمحرك ستة عشر رطلا (من درة) بيان للفرق بضم الذال المعجمة وفتح الراء المهملة المخففة وهى نوع من الحبوب معروف وقيل ان عزوة احد كانت فى سوال سنة ثلاث وقيل الظاهر ان المراد هنا الفرق بالتحريك لان الفرس لا يعلف ذلك المقدار كما لا يخفى (اقتلك عليها) صفة بعد صفة اوهى حالة مستأنفة فى جواب مقدر وقيل انها حال وهو بعيد وان صح ان يكون حالا منتظرة (فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انا اقتلك ان شاء الله) فحقق ما اوعده وكان انما علف فرسه لتسوقه لهلاكه سريعا كالحافر بطلفه على حتفه ولكل باغ مصرع (فلما رآه) اى رأى ابى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (يوم احد) اليوم على ظاهره او بمعنى مطلق الزمان والمراد به الواقعة على حد قولهم ايام العرب (سد) ابى بن خلف الشق اى عدا واسرع قال الراعب يقال سد فلان واستد اذا اسرع ويجوز ان يكون من قولهم اشتدت الريح واصل معنى الشد القوة (على فرسه على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) الجاران متعلقان بشد وان كان لايجوز تعلق حرفى جر بمعنى بمتعلق واحد اما لانه قيد الشد والعدو بانه على فرسه لا على رجليه ثم قيده به بعد تقييده بالاول ويتغاير المتعلق معنى لان الاول يقيد به وهو مطلق والثانى تعلق بالمقيد كما حققه صاحب الكشاف فى قوله تعالى * كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا * والاول مستقر حال اى راكبا على فرسه والثانى لغو وسد جواب لما الثانية دالا على جواب الاولى (فاعترضه رجال من المسلمين) اى حالوا بينه وبين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليدفعوه ويصدوه عنه اى قصدوا نحوه وجهته (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هكذا) اى تنحوا ولاتحولوا وتعترضوا بينى وبينه فهكذا هنا اسم فعل امر بمعنى اتركوا سبيله قال السهيلى رحمه الله تعالى فلايعمل فيه ماقبله كما اذا قلت جلس هكذا اى على هذه الحالة او يقدر له عامل تقديره ارجعوا هكذا ثم استعير عنه وقام هكذا مقامه واصله مركب من هاء التنبيه وكاف التشبيه وذا اسم اشارة والى كونه اسلح عن معناه اشار بقوله (اى خلوا طريقه) اى اجعلوها خالية من حائل بينى وبينه (وتناول) اى احد صلى الله تعالى عليه وسلم بيده (الحربة) بوزن الضربة وهى واحدة الحراب بوزن رحال وهى قناة صغيرة سميت بها لانها من آلات الحرب وقيل

ان هذه الحربة كانت للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لانه كان لايرى مسارکة في جهاده وسفره في سبيل الله ولهذا استرى من ابى بكر رضى الله تعالى عنه راحلته التي هاجر بها والاظهر انها كانت للحارب وربما استعار بعيره من اصحابه كما اشار اليه بقوله (من الحارث بن الصمة) بكسر الصاد المهملة وفتح الميم المشددة وهاء تأنيث ومعناه الشجاع المصمم في اموره ثم نقل علما وهو اخى الحارث بن الصمة بن عمرو ابن عتيك الانصارى الصحابى شهد مع رسول الله صلى تعالى عليه وسلم بدرا وغيرها من المشاهد وقتل شهيدا معونة وذكر ابن الاثير ان الذى تاول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الحربة كعب بن مالك وبين الروايتين مخالفة وجمع بينهما بانه تناولها من احدهما فسقطت منه فتناولها له الاخر اوان احدهما وهو الذى معه الحربة كان بعيدا منه فتاولها آخر قريبا منه فسلمها له بيده ولابد من التوفيق فان الروايتان صحيحتان والقصة واحدة (فانتفض بها انتفاضة) اصل معنى النفض بالنون والفاء والضاد المعجمة ازالة الغبار ونحوه عن ثوب اوشعر قال ابوذويب

* تنفض مهده وتدود عنه * وما تعنى النمايم والعكوف *

ويقال نفض وانتفض اذا اهتز ونفض الصبع اذا ارتعد في غيره وذكر بسبب عن ساته فقال * نفضت عليهن ثوبى * وقلت في اول قصيدة * نفضت على صناعها ايام * نفض البياض بها قليل قيام * وهو هنا استعارة اى قام بها قومة سريعة وضمير بها للحربة وما قيل انه مستعار من انتفاض الطائر قال * كما انتفض العصفور بلة القطر * غير مناسب هنا الا ان يقال باءه للتعدية والمعنى انه هزها وقيل معناه تحرك وحركها والابلغ الاحسن ان يقال انه استعارة تمثيلية يلزمها تشبيههم بانهم كالدباب المؤذى الواقع المتهافت فيعيد هجومهم عليه وتشديد بهوصه لهم بمحل اهتز ليزيل ذبابا وقع عليه لقوله (تطايروا عنه تطاير الشعراء عن ظهر البعير اذا انتفض) وتطايروا بمعنى تفرقوا فارين بسرعة كالطيور والشعراء بفتح الشين المعجمة وسكون العين المهملة وراء مهملة بعدها همزة ممدودة دباية لها ابرة وفى نسخة البرهان بفتح العين الا انه لم يثبت وقال القتيبى الشعر جمع شعراء وهى دباب صغار حمر تؤذى الدواب وقيل زرق وقيل كثيرة الشعر وفى رواية تطاير الشعاير وهى جمع بمعنى الشعر وقياس واحده شعرى وقيل هى دباب تجتمع على دبرة البعير وفى الروض الانف الشعراء ذباب صغير له لدع وفى المثل قيل للدبر ما تقول فى عجمة تحرسها حويرية قال سحيم فى طفر قيل ما تقول فى عجمة يحرسها عليم قال شعراء فى انطى احسى خطواته وهى سهام تتعلم الغلمان بها الرمى وروى فرحل بالحربة اى رمى بها انتهى قيل رواية الشعراء اشبه لان الواحد لايتطاير (اقول هذه رتبة القيل والقال وما انكر من فتح العين لاوجه له

To: www.al-mostafa.com

فان تحريك حرف الحلق لغة قال بعض النحاة انها تطرد فيقولون في بحر وشعر بحر وشعر والشعراء ليس مفردا بل اسم جمع كالطرفاء فلا وجه لما قيل ان الانسب الشعر وقول بعضهم الشعراء جمع شعر كما به تحريف واعلم ان ضمير تطايروا للكفار الذين كانوا همموا مع ابى وقيل انه للصحابة رضى الله تعالى عنهم وتطايرهم عنه صلى الله تعالى عليه وسلم باذنه ليكسعوا له عن ابى ولا يخفى انه لا يناسب هذا بوجه تشبيههم بالشعراء ولا تطايرهم كما لا يخفى (ثم استقبله) اى قام النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ومشى اليه بالحربة (فطعنه فى عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه مرارا) تدأدأ تمشى فوقية ودالين مهملتين وهمزتين اى تدحرج وسقط وقيل مال وصار منها للطعنة ومثله تدهده وقيل الهاء بدل من الهمزة وفى رواية تردى اى وقع (وقيل) لم يطعنه صلى الله تعالى عليه وسلم فى عنقه (بل كسر ضلعا من اضلاعه) بكسر الصاد المعجمة وفتح اللام ويجوز تسكينها مع كسر الضاد وفتحها عظم معروف وقال الاحمس فى الحلب الايمن تسع اضلاع وفى الايسر ثمان وما نقص منه تام فى النساء وهو الذى خلقت منه حواء ولذا روى عن ابى حنيفة فى الخنثى المشكل انه يحكم فيه بانه ابى بتمام اضلاعه وعكسه وقال التلمسانى رواية طعنه اقوى لان المعروف الطعن بالرمح وفيه نظر وقيل انه صلى الله تعالى عليه وسلم طعنه فوقع عن فرسه فكسر ضلعه وفيه جمع بين الروايتين وهو حسن (فرجع) ابى (الى قريش) وهو (يقول قتانى محمد) حالة يقول حالية اى قائلا وعبر بالماضى لتحققه الموت (وهم يقولون لا بأس بك) البأس بهمزة ساكنة وتبدل الفا كما مر وهو اسم لامنى على الفتح والبأس الشدة والموت والالم وهذا هو المناسب ويقال لا بأس عليك ولا بأس بك للتسلية او الدعاء له بان لا يصيبه شئ من البأس وفى نسخة عليك بدل بك وهما بمعنى (فقال لو كان مابى) من الالم والشدة التى احدها فى نفسى موزعا وحالا (بجميع الناس لقتلهم) فكيف اتحمل انا وحدى هذا واسلم منه (اليس قد قال) صلى الله تعالى عليه وسلم حين توعده (انا اقتلك) قيل اصله اقتلك انا فقدم المسند اليه للحصر اى انا لا غيرى اقتلك وحدى لا يشاركنى احد ولا يساعدنى فى قتلك الا الله حتى قيل ان قوله تعالى * وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى * نزلت فيه فالقصر قصر اراد والظاهر انه قصر قلب فهو المناسب للرد عليه اى انا اقتلك لا انت تقتلنى فتدبر (والله او بصق على لقتلنى) البصق رمى ماء الفم ويقال بالصاد والسين والزاى وانما قال ذلك لتحقق صدقه صلى الله عليه وسلم فيما قاله (فمات) الملعون من تلك الطعنة (بسرف) بسين مهملة مفتوحة وراء مهملة مكسورة وفاء اسم موضع وقيل اسم جبل قريب من مكة على ستة اميال او سبعة او تسعة او اثنى عشر على اختلاف فيه واسم مكان موته مناسب له لانه كان مسرفا على نفسه كما قال

* احتبر الارض باسمائها * واختبر الصاحب بالصاحب (فى قفولهم) اى الكفار (الى مكة) اى مات وقد رجعوا من احد الى مكة والقفول معناه الرجوع وتسميتهم القافلة قافلة تفأ ولا برجوعها كما سمى الملدوغ سليما فانكار الحريرى وتخطئته فيه لاوجه له وهذا الحديث صحيح رواه البيهقى فى الدلائل عن عروة بن الزبير وسعيد ابن المسيب مرسلا وعبد الرزاق فى مصنفه والواقدى فى معازيه وابن سعد فى طبقاته وقيل انه قال هذه المقالة بمكة لما خلص ابنه من الاسر ورجع به وكان ابن عمر رضى الله تعالى عنهما يقول انه مات بطن رابغ وان اسيرا من المسلمين مر وهو اسير برابغ فرأى نعد هدوء من الليل نارا فهابها فلما دنا منها خرج رجل فى سلسلة يصيح العطش ومعه رجل يقول لاتسقه فانه ابى بن خلف قتيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت سبحانه ﴿ وصل واما الحياء والاعصاء ﴾ الحياء ممدود وهو فى اللغة ضد الوقاحة وفعله استحيا يستحيى ياثين وتحذف احداهما تخفيفا والاعضاء اصل معناه ارخاء الحفون قريبا من الانطباق وهما متعايران لغة وعرفا ويدل عليه قول العرزدق يعضى حياء ويعضى من مهابته * فما يكلم الاحين يبتسم (فالحياء رقة) الرقة ضد الغلظ ورقة القلب ان لايكون فيه قسوة وجفاء قال الراغب الرقة كالدقة لكن الدقة تقال باعتبار جوانب الشئ والرقة باعتبار عمقه وهى فى الجسم ضد الصفاقة وفى النفس تضاد الجفوة والقسوة (تعترى) اى تعرض وتحدث (وجه الانسان) فيكون فيه مايدل عليه كحمرته عند الخجل (عند فعل مايتوقع كراهته) لم يقل مايكره لان من يراه قد لايكرهه فالمراد مامن شانه ان يكره (اومايكون تركه خيرا من فعله) وان لم يكره وقال الراغب الحياء انقباض النفس عن القبائح وتركها وفى الحديث ان الله يستحى من ذى الشيبة المسلم ان يعذبه * وليس المراد به انقباض النفس لتنزه الله سبحانه وتعالى عنه وانما المراد به ترك تعذيبه وقال النووى هو خلق يمنع من القبيح ومن التقصير فى الحقوق وقال الرمحشرى هو تغير وانكسار يلحق من فعل اوترك مايذم به وله تفصيل فى تفسير البيضاوى كما بيناه فى حواشيه فانظره (والاعصاء) فى عرف اللغة (التعاقل) اى اظهار الغفلة عما لبست فيه والمراد التحاور (عما يكرهه الانسان بطبيعته) وان لم يكره شرعا (وكان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اشد الناس حياء واكرههم عن العورات) جمع عورة وهى كل مايقبح اظهاره ولذا كنى عن سوأة الانسان وعن المرأة بالعورة وهى مأخوذة من العار (اعصاء) اى سكوتا وتحاورا والاعصاء يتعدى بعن وعلى وعبر فى حاب الحياء بالاشدية وفى الاعضاء بالاكرمية لان الحياء كيفية نفسانية تنشاء عنها كيفية جسمية تقبل الشدة والضعف والاعضاء فعل من الافعال يكثر ولاتريد كيفيته من حب هو وقيل لان الاعضاء نوع احتمال وحلم وعفو عمن وقع فى مكروه وهو مسبب عن الحياء والسبب

اقوى باعتبار انه منشاء للسبب عنه وفيه نظر ثم استدل على ان هذه الصفة الحميدة موجودة فيه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال (قال الله سبحانه ان ذلكم) اى مكثهم فى بيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مستأنسين لحديث بعضهم لبعض (كان يؤذى النبى فيستحيى منكم الآية) والله لايستحى من الحق وكان صلى الله تعالى عليه وسلم بنى بزينب بنت جحش و اولم بساة وتمر وسويق وامر انسا يدعو الصحابة لذلك فدعا هم فجعلوا يجيئون و يأكلون ويخرجون و يجئ آخرون الى ان بقى ثلاثة نفر فاطالوا المكث يتحدثون فتأذى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك وكان شديد الحياء فنزلت الآية فى حقهم اى ان ذلكم اللبث كان يؤذى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لضيق منزله فيستحيى منكم ان يأمركم بالخروج منه وهذا من الاداب الشرعية فيستحب لمن زار احدا ولو بدعوة ان يظهر القيام للذهاب ثم يذهب مالم يقل له امكث عندى وقد قال السلف رحمهم الله تعالى من زار خفف وقيل لبعضهم هل يرى فى الثقلاء قرأن فقال نعم فاذا طعمتم فانتشروا وللسيوطى تأليف لطيف فى هذا (حدثنا ابو محمد بن عتاب قراءتى عليه) تقدمت ترجمته وقيد روايته عنه بقرائته عليه وهو يسمع وهو العرض والصحيح صحة ذلك الا انه اختلف فى كونها دون قراءة الشيخ اومثلها اوفوقها على ثلاثة اقوال وتفصيله فى ابن الصلاح (قال حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد) بن عبد الرحمن ابن حاتم المعروف بابن الطيالسى وتكنيته بابى القاسم غير مكروهة لاختصاصه بحياته صلى الله تعالى عليه وسلم اولانه انما يكره الجمع بين الاسم والكنية والخلاف فيه مشهور كما سيأتى قال (حدثنا ابو الحسن القابسى) ابن محمد بن حلف الامام الحافظ منسوب لقابس بلدة بالمغرب وقد تقدمت ترجمته قال (حدثنا ابو زيد المروزى) بفتح الميم وسكون الراء المهملة وفتح الواو والزاى تقدم الكلام فيه وفى نسبته قال (حدثنا محمد بن يوسف) هو الفربرى وقد تقدم قال (حدثنا محمد بن اسمعيل) هو البخارى وقد روى هذا الحديث مسندا فى صفته صلى الله عليه وسلم وكذا اخرجه مسلم فى خصائله قال (حدثنا عبدان) بفتح العين المهملة وسكون الموحدة والدال المهملة والف ونون و هو عبد الله بن عثمان بن جبلة بن ابى رواد العتكى المروزى ابو عبد الرحمن الحافظ توفى سنة احدى وعشرين ومائتين وخرج له اصحاب الكتب الستة قال (انبأنا عبد الله) بن المبارك بن واضح الحنظلى التميمى الزاهد شيخ خراسان ومسندها له مناقب مشهورة وروى عنه اصحاب الكتب الستة وغيرهم وتوفى سنة احدى وعمانين ومائة وولد سنة عمانية عشر ومائة وقيره بهمت برارقال (اخبرنا شعبة) تقدمت ترجمته (عن قتادة) تقدم ايضا (قال سمعت عبد الله مولى انس) هو ابن ابى عتبة مولى انس رضى الله تعالى عنه وقيل اسمه

عبدالله مصغرا وذكره ابن حبان فى الثقاة مكبرا وهو يروى عن انس وعايشة رضى الله تعالى عنهما وروى عنه كثير واخرج له اصحاب الكتب الستة وهو بصرى صدوق ثقة (يحدث عن ابى سعيد الخدرى) ابن مالك بن سنان الخدرى وقدتقدم الكلام عليه وان الخدرى بدال مهملة (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اشد حياء من العذراء فى خدرها) وهذا الحديث صحيح اخرجه الشيخان والترمذى وابن ماجة والمصنف اخرجه من طريق البخارى وحياء ممدود تقدم معناه وبالقصر المطر وهومنصوب على التمييز المحول عن الفاعل والعذراء بعين مهملة وذال معجمة وراء مهملة ومد البكر الباقية بعذرتها وهى جلدة يلتحم بها الفرج فاذا جومعت زالت فيقال اقتضتها وازال عذرتها ومنه يقال لمن فعل مالم يسبق اليه ابوعذره وابوعذرته والخدر بكسر الخاء المعجمة وسكون الدال وبالراء المهملتين هوالبيت اوستر فى جانب البيت اوقبة تضرب لها فان قلت البكر فى حيائها بين اهلها وابويها وهى لاتخجل عنهم ولاتستحى منهم كاستحيائها من الاجانب فكان الظاهر ان يقال العذراء فى غير خدرها لما فيه من المبالغة قلت المراد بكونها فى خدرها انها لم تخرج تسببا وتروح ونحوه لانها اذا خرجت بذلك قل حياؤها وزال حجابها وقيل المراد التعميم وان العذراء فى خدرها اشد حياء لكونه مظنة الاجتماع بها والظاهر ان المراد تقييد • بما اذا دخل عليها فى خدرها لا حيث تكون منفردة قاله اى حجر ولايخفى مافيه فانه لا دلالة فى اللفظ على ما قاله فالحق ماسمعته اولا (وكان) صلى الله تعالى عليه وسلم (اذا كره شيئا عرفناه فى وجهه) اى عرفنا انه كرهه بعلامات تلوح فى وجهه الشريف كتغيره وعض بصره ونحوه والمراد انه اذا لم يكن فى حدود الله تعالى وحقوقه فلايؤاخذ احدا مما يكره كما قال البصرصرى

* فاق العذارى فى الخدور حياؤه * لاحيد فيه لصاحب اوشانى *

(وكان صلى الله تعالى عليه وسلم لطيف البشرة) تقدم معنى اللطف والبشرة بفتح الباء الموحدة والشين المعجمة والراء المهملة هى ظاهر جلد الوجه والجسد كله ومنه البشارة لظهور آثار الفرح بها فى الوجه وهذا كالعلة لمعرفة ذلك فى وجهه الشريف لانه صلى الله تعالى عليه وسلم للطف بشرته يظهر فيها ذلك وكذا قوله (رقيق الظاهر) اى مايظهر من بدنه رقيق يظهر فيه بسرعة آثار الانفعالات النفسية ولاوجه لتفسيرها بانه يستحيى كما قاله التلمسانى (لايسافه احدا) اى لايكلم صلى الله تعالى عليه وسلم احدا ولايواجهه (بمايكرهه حياء وكرم نفس) منصوب مفعول له اى يترك ذلك تكرما منه صلى الله تعالى عليه وسلم لاحوفا ومداراة (وعن عايشة رضى الله تعالى عنها) هذا حديث رواه ابوداود فى سننه مسندا (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا بلغه عن احد

مايكرهه لم يقل ما بال فلان يقول كذا) البال هو الحال والشان وما استفهامية مبتدأ او خبر عن بال وجملة يقول حال اومفسرة للبال (ولكن يقول ما بال اقوام يصنعون او يقولون كذا) اشارة وكناية عما يكره فلا يعين الصانع اوالقائل وفلان وفلانة كناية عن اسماء الآدميين والفلان والفلانة كناية عن اسماء غيرهم (ولا يسمى فاعله) تصريح باسمه بل يكنى عنه وتنبيه عما انكره مأخوذ من الاستفهام الانكاري وسياق الكلام في قوله ما بال فلا يقال انه ليس في الكلام نهي (وروى انس رضي الله تعالى عنه) هذا الحديث رواه ابوداود والترمذي والنسائي قالوا (انه) صلى الله تعالى عليه وسلم (دخل عليه رجل به اثر صفرة) الصفرة اللون المعروف والمراد بها لون الورس والزعفران يعني انه كان خضب بذلك فبقي عليه بقية منها ولم يسم هذا الرجل (فلم يقل له شيئا) من نهيه عن ذلك ونحوه مما يكرهه كما اشار اليه بقوله (وكان) صلى الله تعالى عليه وسلم (لا يواجه احدا بما يكره) اي لا يخاطبه شفاها ويقول له في وجهه شيئا يكرهه وان قال له احيانا في غيبته (فلما خرج) ذلك الرجل من مجلسه صلى الله تعالى عليه وسلم (قال لو قلتم له يغسل هذا) اي اثر الصفرة والخضاب (او ينزعها) بفتح الزاي المعجمة يقال نزعه ينزعه كسأله يسأله اذا ازاله والضمير للصفرة والشك من الراوي وهما بمعنى ولو شرطية جوابها محذوف لتذهب النفس كل مذهب وتقديره اصلحتم ونحوه وقيل انها مصدرية اي ودت قولكم هذا وخضاب هذا الرجل ان كان في لحيته دل على منع خضاب اللحية بالحناء ونحوها ولا يعضده ما في البخاري عن قتادة رضي الله تعالى عنه انه قال سألت انسا هل خضب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لا انما كان شيء في صدغيه اي شيء قليل من الشيب لا يحتاج للخضاب لانه لا يدل على تركه لانه منهي عنه شرعا لعدم الحاجة اليه وكذا ما روي عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يخضب قط اي لعدم الحاجة اليه الا انه روي عن انس رضي الله تعالى عنه انه رأى شعر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مخضوبا يعني بعد موته كما نقله ابن الجوزي اما قبله فاختلفت فيه الروايات وروى جماعة انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يخضب بالصفرة والورس والزعفران وكان عمر رضي الله تعالى عنه يفعله وجمع الكرماني بين الروايات بانه صبغ في وقت وتركه في معظم الاوقات فاخبر كل عما رأى وقد امر صلى الله تعالى عليه وسلم بالخضاب بالصفرة وحث عليهم وفعله وتبعه على ذلك اكابر الصحابة فهو سنة من تركها فقد ترك سنة واما تركه بعضهم لما فيه من التكلف وهو احب للنساء وارهب للعدو وكذا الخضاب بالسواد وقيل ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم نهى عن الخضاب بالسواد وحمل على ما اذا كان فيه تدليس على النساء فان في هذا الحديث محمول على غير خضاب اللحية بان يخفي يديه ورجليه او يجعل الصفرة في ثوبه

عنه منهى عنه و فى فتاوى شيخ سيوحتا ابن حجر الهيتمى انه ان من غير حاجة كضرب ونحوه حرام لما فيه من التشبيه بالنساء وصنف فيه رسالة مستقلة وقوله صلى الله عليه وسلم المتقدم يعسله او ينزعها فيه دليل على انه كان فى ثوبه ولو لم نحمله على هذا اشكل الحديث والشراح لم يتعرضوا له (وقالت عايشة فى الصحيح) اى فى الحديث الصحيح المروى عنها كما اخرجه الترمذى و صححه (لم يكن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا) الفحش كل امر قبيح اوشديد القبح قولا اوفعلا والفاحش من يصدر عنه ذلك والمتفحش من يتعمده و يبالغ فيه و الظاهر ان المراد به بذاءة اللسان هنا و يؤيده قوله (ولا صخابا بالاسواق) صخاب بفتح فتشديد صيغة مبالغة من الصخب وهو رفع الصوت بمبالغة فيه و هو بالصاد والسين وهكذا كلما كان معه حرف حلق يجوز ابداله قياسا مطردا وخص الاسواق لانه فيها اقبح ولانها محله واما فى المنزل ونحوه فلا حاجة اليه (ولا يجزى بالسيئة السيئة) لانه احق بالاجر من الله على ذلك لانه المنزل عليه هذى وعلى واصلح فاجره على الله ولما كان العفو غير لازم من عدم المجازاة بالعمل اتى بالاستدراك فى قوله (ولكن يعفو و يصفح) يعنى انه صلى الله عليه وسلم كثير العفو فيما لا يكون من الحدود وحقوق الله والعفو ترك المؤاخذة بالذنب والصفح الاعراض عن المسئ بحيث لا يحمله وقد تقدم شرحه وهذا الحديث مروى فى الصحيحين بطريق آخر عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهما عن عطاء ابن يسار انه قال له اخبرنى عن صفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى التوراة فساقه له فى حديث طويل واليه اشار بقوله (وقد حكى) بالبناء للمجهول (مثل هذا الكلام) الذى قالته عايشة رضى الله تعالى عنها (عن التوراة من رواية عبد الله بن سلام) بفتحتين مخفف اللام وهو الصحابى المشهور رضى الله عنه (وعبد الله بن عمرو بن العاصى رضى الله تعالى عنهما) وهو وان كان قرينيا لكنه قرأ الكتابين وكان عالما بما فيهما ولذا سألوه عن صفة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيها وقد اختلف فى تحريف اهل الكتاب كتبهم هل كان بتغيير عبارتها بنقص وزيادة او انه انما كان بمجرد التأويل وصرف ما فيها عن ظاهره والصحيح ان كلا منهما واقع واذا كان كذلك علم وجه المنع من قراءتها وانه حرام ولا يرد عليه ان بعض الصحابة رضى الله تعالى عنهم كان يقرؤها لانهم يعلمونها قبل اسلامهم وهم لا يخفى عليهم ما غير منها و الظاهر انه لا يسمع منه من عرف ذلك وقصد الرد عليهم (وروى عنه) اى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا ذكره الامام العراقى فى الاحياء وقال الحافظ انه لم يجده فى كتب الحديث وكذا قال السيوطى رحمه الله تعالى (انه) صلى الله تعالى عليه وسلم (كان من حيائه لا يثبت بصره فى وجه احد) ثبات البصر بمعنى اطالة النظر من غير تحلل اغماض بخفض ونحوه حتى

كان بصره صار قارا في المرئي كما قال المتنبي

* وحصر تثبت الابصار فيه * كأن عليه من حدق بطاقا *

فتخيل حقيقة الثبات فيد ثم بنى عليه جعله كالبطاق وان كان فيه للادباء كلام (وانه) صلى الله تعالى عليه وسلم (كان يكنى عما اضطره الكلام اليه مما يكره) اى يورد المعنى القبيح عادة بطريق الكناية لشدة حيائه صلى الله تعالى عليه وسلم كقوله حتى تذوق عسيلته ويذوق عسيلتك لان الجماع وذكره للمرأة يستحيي منه ومثله في الحديث كثير (وعن عايشة) الصديقة بنت الصديق (رضى الله تعالى عنها ما رأيت فرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قط) مع انه يجوز رؤية كل احد من الزوجين فرج الآخر وان كان مكروها وفي حديث رواه ابن حبان النظر الى الفرج يورث الطمس اى العمى فقيل عمى الباطر وقيل عمى اولاده وقيل المراد عمى القلب والمعنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم لشدة حيائه لم يكشف عورته عند احد قط كما ورد من كرامتي على الله انه لم يطلع لي على عورة احد قط فاذكر مطلق على ما سبق له الكلام فان عايشة رضى الله تعالى عنها زوجته صلى الله تعالى عليه وسلم واقرب الناس واحبهم اليه وكان يضاجعها وينام عندها فاذا لم تر ذلك منه صلى الله تعالى عليه وسلم لزم عدم كشفه عندها فاذا لم يكشف عندها فالطريق الاولى عند غيرها وانما كنت عن ذلك ولم تصفه تأدبا منها والله درها فهذا كقولهم لا اريتك هنا ولا رفع الثياب الا وقد لاصقها فيكون سترة له حينئذ وهذا معنى قوله تعالى هن لباس لكم وانتم لباس لهن فلا يتوهم ان عدم رؤيتها ذلك لغض بصرها حياء منه صلى الله تعالى عليه وسلم لانه لا ينكشف عندها فافهم * فصل واما حسن عشرته * بكسر العين المهملة وسكون الشين المعجمة اى اختلاطه المرء مع اهله واصحابه ومعاملتهم (وادبه) بالرفع معطوف على حسن ويجوز جره ورفعه بعض السارحين فلما ورد عليه ان الادب لا يكون الا حسنا دفعه بان منه ما لا يحسن كادب اهل الدنيا مع كبارهم وهو انسب بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ادبني ربي فاحسن تأديبي والادب استعمال ما يحمد قولا وفعلا والاخذ بمكارم الاخلاق من المأدبة وهي الطعام الذي يدعى له الناس (وبسط خلقه) تقدم معنى الخلق وانه بضمتين اوضم فسكون والبسط نشر الشيء وتوسيعه ومنه البساط وورد البسط بمعنى المسرة وعليه استعمالهم وورد في الحديث فاطمة مني يبسطني ما يبسطها فلبس من كلام المولدين كما توهم ومن امثال العامة البسط صدق والمعنى هنا سعة خلقه صلى الله تعالى وسلم ويجور رفعه وجره ايضا والاول اولى ولبس بمتعين كما توهم وانما كان معنى بسط الخلق هنا سعته لانه صلى الله تعالى عليه وسلم نال من الاخلاق الحميدة اقصاها وغايتها قوله (مع اصناف الخلق) تنازع فيه الالفاظ الثلاثة فهو قيد لجميع

ماقبله (فبحيث انتشرت) اى كثرت و اشتهرت وهوجواب اما وهو خبرمبتدأ مقدر اى فهو يحيب اى بمحل معلوم لكل احد (به الاحاديث الصحيحة) قال على رضى الله تعالى عنه فى وصفه عليه الصلوة والسلام) فى الحديث الصحيح الذى رواه الترمذى فى شمائله (كان اوسع الناس صدرا) المراد بسعة صدره تحمله صلى الله تعالى عليه وسلم مشاق الناس وكثرة تكاليفهم قال تعالى *فلايكن فى صدرك حرج* اى ضيق (واصدق الناس لهجة) فى الصحاح اللهجة اللسان وقد تحرك فاطلق واريد به الكلام مجازا مرسلا من اطلاق المحل على الحال ووضع فيه الظاهر مقام الضمير لان كلا منهما صفة مستقلة ولايافيه حديث ماامن ذى لهجة اصدق من ابى ذر لان المراد تفضيله رضى الله تعالى عنه على امثاله والصدق ضد الكذب و هو معروف ثم ان فى التفضيل فى الصدق سؤالا وهو ان الصدق هو المطابقة للواقع فاطابق فهو صادق ومالم يطابق كذب فكيف يتصور التفاوت فيه حتى يكون هذا اصادق وذاك اصدق وهذا امايرد لوكان التفضيل فى كلام واحد اوانواع منه محصورة اما لوارید كل كلام صدر عن متكلم فلايرد ماذكر (واليهم عريكة) اى اسهل الناس طبعا فهو صلى الله تعالى عليه وسلم دائما سلس مطاوع منقاد قليل المخالفة لاتهور فيه واصل العريكة السنام فهو فى الاصل مجاز حتى صار حقيقة فيما مر (واكرمهم عشرة) اى يعامل الناس فى معاشرته ومخالطته بكريم الاخلاق فيعظم من يستحق التعظيم و يتلطف مع من دونهم (حدثنا ابوالحسن محمد بن مشرق) بضم الميم وفتح الشين المعجمة وفتح الراء المشددة وقاف اسمه على وله ترجمة فى الميزان وسمع منه السلفى وفيه كلام (الاعماطى) جمع عمط وهوثوب من صوف يطرح على الهودج و النسبة الى الجمع على رأى اولانه ملحق بالعلم كالانصارى لان المراد به صيغة مخصوصة وقيل انه على خلاف القياس (فيما اجازبه وقرأته على غيره) فيه بيان لطريق التحمل وانه رواه عن غيره فالحكم الطعن فيه وهذا الحديث رواه ابو داود والنسائى (قال حدثنا ابواسحق الحبال) بفتح الحاء المهملة وتشديد الباء الموحدة والف ولام وهو الامام الحافظ المتقن محدث مصر ابواسحق ابراهيم بن سعد بن عبدالله بن النعمان التجيبى البراء الوراق المصرى ولد سنة احدى وتسعين ومائة وسمع من احمد بن عبد العزيز صاحب المحاملى وغيره ومات فى سنة اثنتين وثمانين وثلثمائة وله احدى وتسعون سنة وترجمته مشهورة قال (حدثنا ابومحمد بن النحاس) بحاء مهملة مسددة وهو الامام ابومحمد عبدالرحمن بن عمر بن محمد بن سعيد بن اسحق المصرى النحوى سمع اباسعيد بن الاعرابى وسليمان بن داود العسكرى و جماعة كثيرون وكان ثقة كما قاله ابن ماكولا (حدثنا ابن الاعرابى) هوالامام ابوسعيد الذى يروى سنن ابى داود عنه قال (حدثنا ابو داود) سليمان بن الاشعث صاحب السنن المشهورة قال

﴿ حدثنا ﴾

(حدثنا هشام ابو مروان ومحمد بن المثنى) هشام بن خالد بن يزيد بن مروان الاررق الدمشقي الثقة الثبت توفي سنة تسع واربعين ومائتين وترجمته في الميزان ومحمد بن المثنى ابو موسى العنزي الحافظ توفي سنة اثنين وخمسين ومائتين قالا (حدثنا الوليد بن مسلم) الحافظ احد الاعلام اخرج الجماعة الا انه رمي بالتدليس قال (حدثنا الاوزاعي) هو عبد الرحمن بن عمرو بن محمد نسب للاوزاع وهي قبيلة من حمير او اسم قرية وهو عالم فقيه زاهد روى عن عطاء ومكحول وروى عنه كثيرون واخرج له اصحاب الكتب وهو ثقة وله ترجمة مشهورة (قال سمعت يحيى بن ابي كثير) بزنة كثير ضد القليل وهو من العباد وائمة الحديث توفي سنة تسع وعشرين ومائة واخرج له الستة وترجمته في الميزان قال (حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن اسعد بن زرارة) بضم الزاي المعجمة وهو محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن اسعد والي المدينة وهو فقيه اخرج له الستة وتوفي سنة اربع وعشرين ومائة (عن قيس ابن سعد) بن عبادة بن دليم الخزرجي سيد الخزرج وصاحب شرط رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اخرج له الستة واحمد وكان من الدهاة وذي الرأي طويل القامة جميلا جوادا توفي بالمدينة في آخر خلافة معاوية رضي الله تعالى عنه (قال زارنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) على عادته في تفقد اصحابه وكان سعد بن عبادة دعاه رجل ليلا فحرج له فصرنه بسيفه فاشتواه فجاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يعوده (وذكر قصة) هي ما وقع له مع عبد الله بن ابي ابن سلول اذ مر به وهو جالس مع اخلاط المسلمين وغيرهم فغشي المجلس غبار دابته صلى الله تعالى عليه وسلم فحمر ابن سلول انفه بردائه وقال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تغبروا علينا ارجع الى رحلك فمن جاءك منا فاقصص عليه فاستن المسلمون مع المشركين حتى هموا ان يتواثبوا فسعهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ركب دابته حتى دخل على سعد رضي الله تعالى عنه وذكر ذلك له فقال له يا رسول الله اعف عنه واصفح فلقد اتقق اهل هذه البحيرة على ان يعصبوه فلما رد الله ذلك بالحق الذي جئت به شرق بذلك فعفا عنه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (في اخرها) اي اخر القصة (فلما اراد الانصراف قرب له سعد) رضي الله تعالى عنه (حمارا) ليركبه (وطاء عليه بقطيفة) هي كساء له وبر وخمل وضعه على ظهر الحمار وطاءة له ليركب عليه ووطاء بتشديد الطاء المهملة وهمزة (فركب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال سعد) لانسه (يا قيس اصحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اي كن معه في خدمته وفي هذا الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما جاء كان على حمار فردفه اسامة بن زيد فسعد رضي الله تعالى عنه انما اعطاه حمارا ليركبه وحده ويبقى اسامة على الحمار الذي جاء به ووهب

سعد له صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك الحمار (قال قبس فقال لى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اركب) معى على الحمار (فابيت) الركوب معه تأدبا وفوزا بالمشى فى خدمته (فقال اما ان تركب واما ان تنصرف) اى ترجع ولا تمشى معى (فانصرفت) امتثالا لامره صلى الله عليه وسلم (وفى رواية اخرى) انه عليه السلام قال له (اركب امامى فصاحب الدابة احق بصدرها) وهذا وقع هنا فى بعض النسخ والمراد بصدرها تقدمها وفيه دليل على جواز الارداف ولو صاروا ثلاثة اذا لم تكن الدابة ضعيفة لا تطيق ذلك وقيل ما فوق الاثنين مكروه وقوله صاحب الدابة باعتبار ما كان او هو صلى الله تعالى عليه وسلم لم يعلم بانه وهمها له (وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يؤلفهم) اى يؤلف المسلمين بايناسهم ومدارتهم ليزداد ايمان من كان قريب عهد بالاسلام وليحسن من كان مخلصا بخبره خاطره والتودد اليه (ولا ينفرهم) اى لا يتلقاهم بما يصير سببا لفورهم وذهاب من كان قريب عهد من المؤلفة قلوبهم (ويكرم كريم كل قوم) برعايته بما يليق به كما فعل مع عدى بن حاتم وغيره مما فصل فى السير (ويوليه عليهم) اى يجعل شريف القوم واليا عليهم اذا رجعوا من عنده صلى الله تعالى عليه وسلم لديارهم كما ولى على وقد همدان مالك بن نمط (ويحذر الناس ويحترس منهم) لانه من الحزم ان لا يركن لكل احد حتى يخبره (من غير ان يطوى عن احد منهم بشره) اى كان صلى الله تعالى عليه وسلم مع احتراسه منهم يلقاهم ببشرته وبشاشته ولا يغير حاله معهم فشبه بشره وايناسه ببساط ممهد لهم فلا يطوى عنهم ما داموا عنده كما قال الشاعر * انما مجلس الندا من بساط * فاذا ما مضى طوينا بساطه *

(ولا حلقه) المعهود منه صلى الله تعالى عليه وسلم (يتفقد اصحابه) اى من فقده من اصحابه رضى الله تعالى عنهم يسأل عنه او يزوره او يرسل اليه من يتعهده قال الراغب الفقد اخص من العدم لانه العدم بعد الوجود والتفقد التعهد لكن حقيقة التفقد تعرف فقدان الشئ والتعهد تعرف العهد المتقدم (و) كان صلى الله تعالى عليه وسلم (يعطى كل جلسائه نصيبه) اى يعطى كلا منهم ما يليق به وما يسره (ولا يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه منه) اى لما يراه من لطفه به يظن ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحبه اكثر من غيره (من جالسه) اى جلس عنده فى ناديه (او قارب له لحاجة) اى كان معه حال مسه او مسيره (صابره) اى صبر على سؤاله وذكره حوائجه (حتى يكون هو المنصرف عنه) اى الراجع عن مقارنته او مجالسته (ومن سأله حاجة لم يرده الا بها) اى باعطائه حاجته التى سألها منه صلى الله تعالى عليه وسلم (او بميسور من القول) كوعده او تسليته واولمع الحلو قال تعالى وقل لهم قولا ميسورا (وقد وسع الناس بسطه وخلقه) بسطه مصدر

برنة صرب مضاف لضمير عائد له صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مرفوع فاعل وسع برنة علم وكذا خلقه المعطوف عليه وقد تقدم معنى الخلق والجملة فعلية بسطه بمعنى توسعته على الناس او بمعنى بشره كالمكان الرحب وكذا خلقه الحسن جعله لبد له لهم كالمكان الذى يتمكنوا فيه (وصار لهم ابا) اى صار صلى الله تعالى عليه وسلم لجميع امته بمنزلة الاب فى اللطف بهم والشفقة عليهم وهو لا ينافى قوله تعالى *ما كان محمد اباا احد من رجالكم* لان المنفى عنه الابوة الحقيقية الا ان بعض علماء الشافعية ذهب الى انه لا يجوز ان يقال له صلى الله تعالى عليه وسلم اب المؤمنين كما يقال لنسائه صلى الله تعالى عليه وسلم امهات المؤمنين عملا بظاهر هذه الآية وانما يقال انه كالاب ونص الشافعى رضى الله تعالى عنه على جوازه وهو الحق وكذا كل نبى من الانبياء عليهم الصلوة والسلام اب لامته ذكورا واناثا وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم ليس ابا حقيقيا معلوم بالبداهة وانما نفاه فى الآية ردا على من انكر تزوجه صلى الله تعالى عليه وسلم بامرأة زيد الذى تبناه (وصاروا عنده فى الحق سواء) لان الله عصمه صلى الله عليه وسلم ففى الاعراض النفسية الحاملة له على الميل مع الهوى وكذا وصفه به صلى الله تعالى عليه وسلم ابن ابى هالة ربيبه فى الحديث الصحيح المروى عنه كما اشار اليه المصنف رحمه الله تعالى بقوله (بهذا وصفه بن ابى هالة) ابن خديجة ام المؤمنين رضى الله تعالى عنها بنت خويلد واسمه هند وابوه ابو هالة حليف عبد الدار اختلف فى اسمه فقيل بناش ابن زرارة وقيل مالك بن الياس بن زرارة وكان زوج خديجة رضى الله تعالى عنها قبل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فولدت له هندا ولهند ولد يسمى هندا ايضا عده ابن مندة وابو نعيم فى الصحابة وابوه هند من كبار الصحابة قتل مع على كرم الله وجهه فى وقعة الجمل وتقدمت ترجمته بالبسط من قبل هذا (قال) ابن ابى هالة رضى الله عنه فى وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم فى هذا الحديث (وكان دائم البشر) بكسر الباء وسكون المعجمة اى طلاقة الوجه وبشاشته لا يعبس فى وجه احد (سهل الخلق) لا صعبا ولا حربا (لين الجانب) استعارة مصرحة شبه وصول كل احد له صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يريده منه بشئ لين يأخذ منه من يجانبه بطلبه وقيل شبهه بجانب لين من الارض ليس بحزن (ليس بفظ ولا غليظ) الفظ الكريه الخلق مستعار من الفظ اى ماء الكرش وهو مكروه لا يتناول الا فى شدة الضرورة كما قاله الراغب والغلظ ضد الرقة واصله فى الاجسام فاستعير للمعانى كما تقدم (ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب) اى لا يطفق بالصخب كالبستم ولا يعيب احدا اى يذكر عيوبه (ولا مداح) لاحد بما يؤدى الى اطرائه ولا لغيبه السريعة وهذه كلها صيغ مبالغة والمقصود بها النسبة كتمار ولبان او المبالغة راجعة للنبى كما قالوه فى قوله تعالى *ومار بك بظلام للعبيد* وقيل

المقصود به اصل الفعل وقول انس لعمر رضى الله تعالى عنهما اتت افط واغلظ من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقتضى سوت ذلك له فقيل المقصود وجود اصل الغلظة فيه ونفيها عنه صلى الله تعالى عليه وسلم لاحقيقة التفصيل اوالمراد اثبات ذلك على المشركين كما فى قوله تعالى * وليجدوا فيكم غلظة * كما ان المدح قد يستحسن فى مقام دون مقام اذا كان فى محله بخلاف ما اذا كان كذابا ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم احثوا التراب فى وجوه المداحين على احد الوجوه فيه (يتعاقل عما لايشتهى) اى اذارأى صلى الله تعالى عليه وسلم شيئا لايرضاه تعاقل عنه حتى يظن انه ما رآه اذا كان ذلك مما لايترتب عليه اثم (ولا يؤيس منه) مبنى للمفعول وضمير منه لله صلى الله تعالى عليه وسلم اى والحال انه صلى الله تعالى عليه وسلم تعامله لايأس احد منه وروى مبنيا للفاعل بضم المثناة التحتية وكسر الهمزة التى كانت مفتوحة ومفعوله محذوف لقصد التعميم اى لايؤيس احدا منه اى يجعله ذا يأس بحيث لايرجوه فالضمير لما تعامل عنه وعلى هذا اقتصر ارباب الحواشى (وقال تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولوكنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) ما زائدة للتأكيد وقيل نكرة موصوفة ورحمة بدل منه وقيل استفهامية تعجبية اى باى رحمة عظيمة لنت لهم ورده فى المغنى بثبوت الف ماوقال ان ما قبله ايصالايتجه كما فصله شراحه وليس هذا محل تفصيله والمعنى انك لوكنت فظا غليظ القلب انفضوا عنك اى تفرقوا ولم يجتمعوا عليك ولكنك لين جانبك لهم وشفقتك عليهم تؤلف قلوبهم وتزيد محبتهم وهذا امتنان عليه عاجله الله عليه من الاخلاق الحسنة وقد تقدم الكلام عليه (وقال ادفع بالتى هى احسن) التى هى احسن الصفح والتجاوز والاحسان فى مقابلة السيئة ولاحاجة لتقييدها بما لم يكن فيه وهن فى الدين لانه لايكون دفعا بالاحسن فان المراد به الاحسن عند الله تعالى وقيل التى هى احسن كلمة التوحيد والسيئة الشرك وقيل الامر بالمعروف والسيئة المنكر وقدم الجار والمجرور على المفعول الصريح للاهتمام وقصد الحصر اى ادفع بهذا لا بغيره (وكان) صلى الله تعالى عليه وسلم (يجيب من دعا) لطعامه او لمنزله جبرا لخاطره وتعليما وتسريعا لامته صلى الله تعالى عليه وسلم سواء كان المدعو اليه وليمة عرس اوغيرها وفى الحديث اذا دعا احدكم اخاه فليجب وماقيل من ان اجابة دعوة العرس واجبة عينا اوكفاية لورود الامر بها فى الاحاديث الصحيحة ولا يكون ذلك من التفضل ومكارم الاخلاق غير وارد لانه قيل بعدم الوجوب فيها عند الشافعية ايضا كما صرح السبكى ولوسلم فهذا محمول على الاعم من الولائم وغيرها وليس فى العبارة مايقتضى التخصيص ولا يجب اجابة لغير وليمة عرس ومنه وليمة السرى كما هو ظاهر وقيل تجب واختاره السبكى لاخبار فيه (و) كان صلى الله تعالى عليه وسلم

(يقبل الهدية) لا الصدقة (ولو كانت كراعا) لانه مقتض للتحاب وكراع بضم الكاف وفتح الراء المهملة المخففة والعين المهملة وهي ما تحت الركبة الى الحافر والظلف ولو وصلية هنا تفيد التقليل كاتقوا النار ولو بشق تمرة وقيل الكراع ما دون الكعب من الدواب وقيل كراع كل شئ طرفه وفي الترمذي عن انس بن مالك قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لو اهدي الي كراع لقبلت ولو دعيت الى كراع لاجبت وكراع الثاني اسم مكان وهو كراع الغميم موضع بين مكة والمدينة والصحيح انه بالمعنى السابق والمقصود المبالغة في ذلك اي اقبل الهدية ولو كانت حقيرة واجب الدعوة ولو كانت الى مكان بعيد ويطلق الكراع على الشاه نفسها وفي الحديث اذا دعي احدكم فليجب فان كان مفطرا اكل وان كان صائما دعا بالبركة وقوله (ويكافئ عليها) بالهمزة اي يجازي على الهدية بشئ مثلها او اكثر لان المكافاة اصل معناها المساواة والمماثلة ومن قوله صلى الله تعالى عليه وسلم المسلمون تتكافى دماؤهم اي تتساوى في القصاص وفي البخاري كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها واستدل به بعض المالكية على وجوب عوض الهدية اذا اطلق الواهب وكان ممن يرجو الثواب كالفقير الذي يهدي للغني ولم يوافق عليه (وقال انس رضي الله تعالى عنه) وهو خادم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (خدمت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عشر سنين) وفي رواية لمسلم تسع سنين ولا منافاة بينهما لانه خدمه تسع سنين واشهرا فتارة نظر للكسور وجعلها سنة وتارة ألغاها وكان عند عمه ابي طلحة فانطلق به الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال له ان انسا غلام كيس فليخدمك (فما قال لي اف قط) هي كلمة تقال لما يكره ويتضجر منه وهي اسم فعل فيه لغات نحو الاربعين اشهرها ضم الهمزة وكسر الفاء المشددة وللسيوطي في نظم لغاتها ابيات مشهورة حيث قال

* اف ربع احيره ثم خفف * مبتداه مشدد ومخفف *
* وبتسويه وبالترك افى * لاثمالا وبالامالة مضعف *
* وبكسر ابتداء وافى مثلث * وزد الهاء في اف اطلق لا اف *
* ثم مدا بكسر اف واف * ثم افوا فاحفظ ودع ما يريف *

قال الراغب اصل الاف كل مستقذر من وسخ وقلامة ظفر ومايجري مجراهما ويقال لكل مستقذر يستخف به وافقت لكذا اذا قلت له اف والحاصل مما تقدم ان همزته مثلثة وكذا فاؤه مع التنوين وعدمه وقد فصل لغاتها في البحر ومن لطائف السراج الوراق رحمه الله تعالى في مدح ابنه رحمه الله * بي اقتدى بالكتاب العزيز * فردت سرورا وزاد ابتهاجا * وما قال لي اف في عمره * لكوني انا ولكوني سراجا *

اى لم يتضجر من امر غير مرضى وقع منى وفيه دليل على زيادة حلمه صلى الله تعالى عليه وسلم (وما قال لشئ صنعته لم صنعته ولا لشئ تركته لم تركته) وهذا الحديث رواه الشيخان (وعن عائشة رضى الله عنها ماكان احد احسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم) ثم يثبت بعض ذلك بانه (ما دعاه احد) اى ناداه فقال يارسول الله (من اصحابه ولا اهل بيته) خصهم لان العادة جارية بالمسامحة معهم (الا قال لبيك) قال السيوطى رواه ابو نعيم فى دلائل النبوة بسند واه ولبيك كلمة يجاب بها المنادى فالتلبية اجابة المنادى من دعاه من لب والب اذا اقام بما كان ولم يفارقه فكانه يقول انا باقٍ على اجابتك ولا تستعمل الا بلفظ التثنية كانه قال اجابة بعد اجابة والمراد التكثير كقوله فارجع البصر كرتين وهو منصوب على المصدرية بعامل لا يظهر وتعلب اضافته لضمير المخاطب وقد يضاف لغيره كما فصله النحاة ولا يجاب به الا من يعتنى باجابته وتعظيمه ولذا يقوله الحاج فى اجابة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم اتباعه بذلك رعاية مقامهم وتعظيمهم وهو من خلقه العظيم كما كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يخاطب القادم مرحبا كقوله مرحبا بام هانئ (وقال جرير بن عبد الله) بن جابر بن مالك البجلى سيد قومه قدم على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سنة عشر من الهجرة على الصحيح لاقل موته بأربعين يوما كما قيل ولما قدم قال صلى الله تعالى عليه وسلم يطلع عليكم خير ذى يمن وكان رضى الله تعالى عنه جميلا حتى قال عمر رضى الله تعالى عنه فيه انه يوسف هذه الامة وارسله النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لذى الخلصة وهى الكعبة اليمنية وكان فيها صنم فحرقه وقتل من عنده (ما حجبنى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منذ اسلمت قط) اى ما منعنى من الدخول عليه فى بيته وقد استأذنته لا مطلقا حتى يقال كيف يدخل على غير محرم وحتى يجاب بان المراد فى مجلس مختص بالرجال او المراد ما منعنى شيئا سألته واسلامه رضى الله تعالى عنه كان فى رمضان سنة عشر كما مر (ولا رآنى الا تبسم) وفى رواية الا تبسم فى وجهى وهذا الحديث رواه الشيخان والتبسم مبادى الضحك بحيث يبدو مقدم الاسنان فان زاد بلا صوت فضحك فان كان بصوت فهو قهقهة وضحكه صلى الله تعالى عليه وسلم فى اعلى احواله التبسم وربما زاد على ذلك كما ورد انه ضحك حتى بدت نواجذه وقيل انه اريد مجرد المبالغة لا الحقيقة ساء على انه لم يقع منه ذلك والاصح الاول وكثرة الضحك تذهب الوقار وهو مكروه لحديث كثرة الضحك تميت القلب فان لزمه استهزاء بأحد وسخرية حرام (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يمازح اصحابه) الممازحة تكون بالكلام والفعل ملاطفة ولكنها انما تحمد من الكبار احيانا بحيث لا تؤدى الى اذية صاحبها والمداعبة قريبة منها ولكن بينهما فرق سيأتى وكان صلى الله

تعالى عليه وسلم يمزح احيانا ولايقول الاحقا ولكنه يوارى فى كلامه كما قال لبعض العجائز لايدخل الجنة عجوز لانهم يعودون فى سن الشباب ولله در القائل

* افد طرفك المكدود بالهم راحة * بانس وعلله شئ من المزح *
* ولكن اذا اعطيته المزح فليكن * بمقدار مايعطى الطعام من الملح *

(والمزاح بضم الميم اسم وبكسرها مصدر كالمزح وكثرته مذمومة كما قال

* فاياك اياك المزاح فانه * يجرى عليك الطعن والرجل الدلا *
* ويذهب ماء الوجه من كل سيد * ويورثه من بعد عزته ذلا *

والصحيح انه جائز وقيل انه مكروه والاصح الاول بشروطه وكان كبار السلف يمزحون وقد قيل الناس فى سجن مالم يتمازحوا وورد فى الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان اضحك الناس وكان مزاحا ولايقول الاحقا (ومحالطتهم ويحادثتهم) تأنيسا لهم وجبرا لقلوبهم (ويداعب صبيانهم) يداعب بالدال المهملة والمداعبة الممازحة مع لعب ولداحصه بالصبيان كما قال محمود بن الربيع الحزرجى رضى الله تعالى عنه عقلت منه صلى الله تعالى عليه وسلم مجة مجها فى وجهى وانا ابن خمس سنين (ويجلسهم فى حجره) كما فعل صلى الله تعالى عليه وسلم مع ام قيس اذاتته بابن لها صغير لم يأكل الطعام فاجلسه فى حجره فبال على ثوبه فدعا بماء فصبه ولم يغسله وحجر بكسر الحاء المهملة وفتحها معروف وهو ما كان من ثدييه على فخذيه وهو جالس (ويجيب دعوة) بفتح الدال المهملة (العبد والامة والمسكين) قال السيوطى احاديثه صلى الله تعالى عليه وسلم دعوة العبد رواها البزار عن جابر رضى الله تعالى عنه والترمذى وابن ماجة عن انس رضى الله تعالى عنه فلاوجه لما قيل انى لم اقف عليه الا فى صحيح البخارى من انه صلى الله تعالى عليه وسلم اتى بعلاما حياطا فاتاه بقصعة فيها دباء فجعل يتتبعه وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يعلم طيب انفسهم بما يملكونه لهم فلايقال كيف اكل مما فى يد العبد وهو وما يملكه لسيده او يقال كان مكاتبا او المراد بالعبد من مسه الرق ولو قل دعوته وقدم العبد اهتماما بشان انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يجيب دعوته مع حقارته بالنسبة للحر (و) اخرج الترمذى بسنده عن انس رضى الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (يعود المرضى) ويشهد الجنازة ويركب الحمار ويجيب دعوة العبد وروى البيهقى دعوة المملوك (فى اقصى المدينة) اى فى ابعد مكان منها وعيادة المريض سنة مؤكدة لاسيما ممن يتبرك بعيادته لما فيه من السلية وتأليف القلوب وقيل انها فرض كفاية ولا تختص بمرض وقيل ثلاثة لاعيادة فيها رمد العين ووجعها ووجع الضرس وقيل انه لايعاد المريض الا بعد ثلاثة ايام وورد فى ذلك حديث ضعيف والصحيح انه لافرق والحديث

قال سيحنا الرملي انه موضوع واختلف في عيادة الذمي فقيل يجوز اذا كان يرجى اسلامه او تضمن مصلحة (ويقبل عذر المعتذر) المعتذر كل من ابدا عذرا سواء كان له حقيقة ام لا وسواء كان من شانه انه يقبل ام لا ولذا لم يقبل المعذور لانه من له عذر وعدم قوله منه مذموم وقبول اعتذاره عقوبة حمايته وعدم مؤاخذته بها لانه من تمام المروة وهذا كما قبل صلى الله تعالى عليه وسلم عذر من تخلف عن تبوك ووكل سرائرهم الى الله تعالى وكقبوله عذر حاطب بن ابي بلتعة رضي الله تعالى عنه لما كتب لاهل مكة يخبرهم بمسيره صلى الله تعالى عليه وسلم لفتح مكة وقبل صلى الله تعالى عليه وسلم اعتذار المنافقين حتى كذبهم الله تعالى (وقال انس) رضي الله تعالى عنه قال السيوطي هذا الى قوله بين يدي حلبس له رواه ابوداود والترمذي والبيهقي في الدلائل واخرجه البزار عن ابي هريرة وابن عمر رضي الله تعالى عنهم (ما التقم احد اذن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اي ما جعل احد اذنه محاذية لفمه فتحاذيه وقال السمنى اي ما حدثه احد عند اذنه فجعله استعارة ولم يحمله على حقيقته وان فعله للتبرك كما وقع لجابر رضي الله عنه في التقامه لخاتم النبوة لان لعطه مشعر بكثرة ذلك ووقوع مثله كثيرا مستبعد بخلاف قصة جابر رضي الله تعالى عنه لما اردفه صلى الله تعالى عليه وسلم خلفه وامكنه ذلك بسهولة وايضا في مثله سوء ادب ومنافاة لعرضه فانه اذا ادخل اذنه في فيه لم يمكنه ادارة لسانه ومناجاته وفي النهاية في الحديث ان رجلا التقم عيبه حصاصة الباب اي جعل السق الذي في الباب محاذي عينه فجعله للعين كالقسة في العم انتهى فجعله استعارة كما هنا وهذا لا ينافي ما في الصحيح عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه انه قال والله لاتين النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاتيته وهو في ملاء فسارر ته فغضب حتى احمر وجهه وقال رحم الله موسى لقد اوذي باكثر من هذا فصبر لانه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يغضب من المسارة بل مما كلمه به والاذن بضم الهمزة والذال المعجمة وقد تسكن (فيحي رأسه) عنه اي يبعدها ويجعلها في ناحية منه (حتى يكون الرجل وهو الذي ينحي رأسه) اي حتى يفارقه اوينفصل منه قليلا (وما احد احد بيده) اي امسكها (فيرسل يده) اي يطلقها ويتركها من يده وهو مجاز من ارسل الرسالة اذا بعثها وظاهر كلام ابن القوطية انه معنى حقيقي ان كانت اليد الثانية يد الآخذ فليس من وضع الظاهر موضع الضمير والا فهو منه وقوله (حتى يرسلها الآخذ) غاية لترك ارسالها اي الى ان يرسلها الآخذ وهو بالمداسم فاعل من الاخذ وفي نسخة الاحر بالراء المهملة وفي البخاري ان كانت الامة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فتطلق به حيث شاءت وعن احمد ما ينزع يده من يدها وهو عبارة عن الانقياد

لسدة تواضعه وتنزهه من التكبر صلى الله تعالى عليه وسلم وقوله (ولم يرصلى الله تعالى عليه وسلم مقدم ركبتيه بين يدى جليس له) من جملة حديث انس رضى الله تعالى عنه فى المصابيح انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا صافح الرجل لم ينزع يده من يده حتى يكون هو الذى ينزع يده ولا يصرف وجهه عن وجهه حتى يكون هو الذى يصرف وجهه اوهو رواية اخرى والظاهر لما بينهما من المخالفة ومعنى لم يرمقدما الى آخره انه يخفض ركبتيه تعظيما لجليسه وقيل المراد بالركبتين الرجلين اى كان لا يمد رجليه فى مجلسه لما روى فى حديث آخر انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يرقط مادام رجليه بين اصحابه كما سيأتى يعنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يساوى جليسه ولا يتقدم عليه بركبتيه حتى كان الغريب يجئ فلا يعرفه و يسأل عنه (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يبدأ) اى يبتدئ (من لقيه بالسلام) من تفيد العموم اى كل احد لقيه صغيرا اوكبيرا من المسلمين الا فى مواضع لا يستحب السلام فيها واما الكفرة فلا يسلم عليهم وجوز بعضهم ابتداءهم بالسلام ايضا (و يبدأ اصحابه بالمصافحة) مفاعلة من الصفح اى يجعل صفحة يده اليمنى على صفحة يده وفى الحديث تمام تحيتكم بينكم المصافحة وهى سنة عند التلاقى وكانت الصحابة رضى الله تعالى عنهم تفعله واذا قدموا من سفر تعانقوا وكانت الصحابة رضى الله تعالى عنهم تقبل يده ايضا وهى مستحبة للكبير وكرهها مالك اما اذا كان على وجه التكبر فيكره وقال الدوانى انه مستحب ايضا لاهل الشرف والصلاح واما لاهل الدنيا فكروه وقال فقهاؤنا لا بأس بالمصافحة لانها سنة متوارثة لما ورد فى الحديث ايضا تصافحوا وقيل انه من الصفح وهو العفو اى ليصفح احدكم عن عثره ولا يناقشه والمشهور الاول واما بعد صلاة الجمعة والعيد فقالوا انه بدعة وهو من فعل المسايخ لانهم كانوا فى الصلاة عائبين عن حضرهم ومن كان هذا حاله لا يكره منه (ولم يرصلى الله تعالى عليه وسلم قط مادا رجليه بين اصحابه حتى يضيق بهما على احد) هذا اشارة الى انه كان ذلك فى مجلس يكثر فيه الناس اما اذا كان وحده او فى قليل من خواصه فكان صلى الله تعالى عليه وسلم قد يتكئ وقد يضع احدى رجله على الاخرى كما ورد فى بعض الاحاديث (يكرم من يدخل عليه) بالقيام له و يلاطفه كقيامه صلى الله تعالى عليه وسلم قوموا لسيدكم وكره بعضهم القيام مطلقا لحديث من احب ان يتمثل له الناس قياما وحمل هذا على عادة الاعاجم فى وقوف الناس بين ايديهم اما قيام للعلماء والصلحاء فمستحب كما يأتى وكان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا جاء قام له الصحابة وممن ذهب لكراهته ابن حجر رحمه الله تعالى وقال فى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم قوموا لسيدكم انما كان لانه قدم على جماعة وكان مريضا وفى رواية قوموا لسيدكم فانه لو ورد انه لو كان كذلك لم يأمر جميع الناس الحاضرين بالقيام له ولذا استدل

النووي وفيه نظر (وربما بسط له) اي لمن يدخل عليه (ثوبه) تعظيما له كما جعل ذلك لعدي بن حاتم ولاخته عليه السلام من الرضاعة لما اتته كما يأتي (ويؤثره بالوسادة) الايثار تقديم غيره على نفسه في بعض الامور والوسادة مايتوسد اي يوضع تحت الرأس وهي التي تسمى مخدة ويقال اسادة بالهمزة ووساد بدون هاء (التي تحته) كما في البخاري انها فراش يجلس عليه وكانت محشوة بالليف وقضبته قال عدي ابن حاتم دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فقال من الرجل فقلت عدي ابن حاتم فقام وانطلق بي الى بيته فوالله انه لعامد بي اذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة واستوقفته فوقف بها طويلا بكلمة في حاجتها فقلت في نفسي والله ماهذا بملك ثم مضى حتى دخل بيته فتناول وسادة كبيرة من ادم محشوة ليفا فقذفها وقال لي اجلس على هذه فقلت بل انت فاجلس عليها فجلس على الارض وصارت الوسادة بيني وبينه فانظر لمكارم هذه الاخلاق فقلت والله ماهذا بملك وهذا يدل على ان الوسادة فراش لامخدة ولاعبرة بتفسير الجوهري لها بالمخدة فقط (ويحرم عليه في الجلوس) اي يقسم عليه ان يجلس على وسادته بان يقول له بالله اجلس انت قال في التهذيب يقال عزمت عليك لتفعلن كذا اي اقسمت انتهى وهو مأخوذ من العزم وهو التصميم في الامر وقوله (عليها) اي على الوسادة (ان ابى) اي امتنع من الجلوس حياء من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (ويكنى اصحابه) اي يضع لهم كنية كابي فلان ويدعوهم بالكنية تكريما (ويدعوهم) اي ينادي (باحب اسمائهم تكرمة لهم) اي يفعل ذلك صلى الله تعالى عليه وسلم لاجل اكرامهم وتعظيمهم تلطفا بهم وتأدبا معهم فان نداء المرء بكنيته تعظيم وكذا كان صلى الله تعالى عليه وسلم يكنى من لا كنية له كما قال للطفيل الذي كان معه طائر يسمى نغيرا يا اباعمير ما فعل النغير وفيه دليل على جواز تكنية من لا ولد له على عادة العرب تفاؤلا بان يعمر ويرزق اولادا خلافا لمن منع ذلك وقال انه خلاف الواقع فهو كذب واخرج الطبراني عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اباعبد الرحمن قبل ان يولد لي وسنده صحيح وعن بعض السلف بادروا اولادكم بالكنى قبل ان يغلب عليهم الالقاب وكره بعضهم تكنية المرء نفسه الا لقصد التعريف وقال النووي يجوز تكنية الكافر بشرطين الاول ان لا يعرف الا بكنيته الثاني ان اخر يخاف من ذكر اسمه فتنة فالاول كابي طالب والثاني كابي جهل لابي سلول وفيه نظر وقد تكون لامر آخر كابي لهب فانه اشارة الى انه جهنمي وقيل كني بذلك لحسن وجهه (ولا يقطع على احد حديثه) اي من يحدث عنده يصغي اليه ولا يقطع حديثه بتكلمه بكلام آخر او قيامه او نهيه عن الكلام فان مثله يؤذي المتكلم (حتى يتجوز) بياء وتاء مفتوحتين وجيم مفتوحة وواو مشددة وزاي معجمة غاية لتركه قطع حديثه اي حتى يكنز فيتجاوز الحد او يجرح

الى مالا يليق من الكلام فهو من التجاوز والحواز كما يأتى (فيقطعه بنهى) عن الكلام (اوقيام) من مجلسه اعراضا عنه وهو مفيد لنهيه عنه (ويروى بانتهاء اوقيام) فالنهى بمعنى الانتهاء اذ الروايات تفسر بعضها بعضا وهذا وقع فى بعض النسخ فالمعنى حتى يجوز ذلك فى حديثه فيقطع حديث نفسه اما بسبب انه انتهى ولم يبق منه شئ اولقيامه عن المجلس والتجوز على هذا بمعنى التجفيف له والتعليل سند وقيل معناه ينطق بما هو غير حقيق كان يتكلم بما لا يليق من الكلام (وروى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان لا يجلس اليه احد) اى لا يجلس متوجها اليه والمراد لا يجلس عنده صلى الله تعالى عليه وسلم (وهو يصلى الا خفف صلاته) اى اسرع فيها فقطعها والتخفيف ضد التطويل وسيأتى بيانه (وسأله عن حاجته واذا فرغ) صلى الله تعالى عليه وسلم من كلامه وبيان حاجته (عاد) صلى الله تعالى عليه وسلم (الى صلاته) التى كان فيها وقال البرهان الحلبى هذا الحديث منكر وقد ذكره فى الاحياء فى ادب المعيشة وقال العراقى فى تخريج احاديث الاحياء لم اجد له اصلا انتهى ولذا قيل لو اورد حديث الصحيحين الاتى انى لاقوم الى الصلاة اريد ان اطول فيها فاسمع بكاء الصبى فاتجوز فى صلاتى كراهة ان اشق عليه كان اظهر فانه متفق عليه وهو فى معنى حديث الاحياء - (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم اكثر الناس تبسما) وقد تقدم معنى التبسم وما يتعلق به (واطيبهم نفسا) اى لم يكن مقطبا وعبوسا فى مجلسه لطيب نفسه وهذا ومابعده حديث رواه احمد والترمذى بسند حسن (مالم ينزل عليه قرآن او يعظ او يخطب) قال الشيخ قاسم بن قطلوبغا فى تخريج احاديث هذا الكتاب عن عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدى قال مارأيت احدا اكثر تبسما من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رواه الترمذى وقال غريب وقد تقدم وعن على كرم الله وجهه اوالزبير رضى الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا كان حديث عهد بجبريل عليه الصلوة والسلام لم يتبسم ضاحكا حتى يرتفع عنه اخرجه احمد وابو يعلى من حديث الزبير رضى الله تعالى عنه من غير شك وعن جابر رضى الله تعالى عنه كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا نزل عليه الوحى قلت بدير قوم فاداسرى عنه فاكثر الناس ضحكا اخرجه الطبرانى فى مكارم الاخلاق وفيه ابن ابى ليلى سئ الحفظ وعن على والزبير كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فيذكرنا بايام الله حتى يعرف ذلك فى وجهه وكانه بدير قوم يصبحهم الامر غدوة اخرجه احمد وابو يعلى من حديث الزبير رضى الله عنه من غير شك وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما كان صلى الله عليه وسلم اذا خطب احمرت وجنتاه واشتد غضبه رواه مسلم والحاكم من حديثه كان اذا ذكر الساعة احمرت

وجناته واستد عضه انتهى وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم لا يتبسم فى هذه الحالات لتوجهه عند نزول الوحى وتأدبه معه وفيما بعده لانه مقام انذار وخوف وتخويف
(قال عبد الله بن الحارث) بن جزء بن عبد الله بن معدى كرب ابى عمر الزبيدى الصحابى سكن مصر ومات رضى الله تعالى عنه بها سنة خمس او سبع وثمانين وهو آخر من مات بها ببلدة تسمى سفط قرية من سمنود بالعربية وقيل مات باليمامة حكاه ابن منده عن ابن يونس وقال انه شهد بدرا ولابن حجر فيه كلام
(ما رأيت احدا اكثر تبسما من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) لان طلاقة الوجه من مكارم الاخلاق وفى الحديث تبسمك فى وجه اخيك صدقة (وعن انس رضى الله تعالى عنه كان خدم المدينة) خدم بفتحتين بزنة حسن جمع خادم وفعل فى جمع فاعل جاء فى القاط محصورة نظمها ابن مالك رحمه الله تعالى وقيل انه اسم جمع وهو بالتاء كثير نحو كملة جمع كامل والمراد بالخدم العبيد والحوارى وهذا الحديث رواه مسلم وهو حديث صحيح (يأتون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا صليت الغداة) اى الصبح (بآنيتهم فيها الماء) والآنية جمع اناء كغطاء واكسية وهو ما يوضع فيه الشىء والاوانى جمع الجمع وكثير من الناس يظن ان الآنية مفرد اوظاهر قوله (فما يؤتى بانية الا غمس يده فيها) يوهم ذلك (وربما كان ذلك) اى اتيانهم بالاوانى وغمس يده فيها (فى الغداة الباردة) والغدوة والغداة اول النهار وقوبل فى القرآن الغدو بالاصال والغداة بالعشى ووصفها بالباردة اشارة لما فيه من زيادة تحمل المشاق لاجل التلطف مع الناس وانما فعلوا ذلك تبركا باثاره صلى الله تعالى عليه وسلم وماسته يده الشريفة وقوله (يريدون التبرك به) يحتمل انه من كلام المصنف قال البغوى رحمه الله تعالى رواه فى مصابيحه بدون هذه الزيادة وفيه ارشاد للتبرك باثار العلماء والصلحاء
﴿ فصل واما الرأفة والرحمة لجميع الخلق) والفرق بين هذه الثلاثة ان الشفقة رحمة ورقة القلب وخوف من نزول مكروه عمن يشفق عليه كما فى الاساس والرأفة

التلطف بمن يريد اكرامه بالبشر والايناس كما قال قيس الرقيات

* ملكه ملك رأفة ليس فيه * جبروت يرى ولا كبرياء *

فقابلتها بالجبروت صريحة فيه وليست اشد الرحمة كما توهمه بعضهم وان استعملت بهذا المعنى كما مر تحقيقه وما قيل انها ارق من الرحمة ولا تكاد تقع فى الكراهة كالرحمة غير موجه وقوله لجميع الخلق يعنى انها لا تختص باحد كرحمة غيره لقوله وما ارسلناك الا رحمة للعالمين (فقد قال الله تعالى عنه) اى فى حقه وصفته عليه الصلوة والسلام (عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم) عزيز من عز بمعنى اشد وصعب والعنت المشقة اى يصعب عليه مشقتكم ومايل لكم لرأفته ورحمته وقد تقدم الكلام على هذه الآية وقوله بالمؤمنين لا يناسب قوله لجميع الخلق فالانسب

ان يقتصر على قوله (وقال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) وقد اشار المصنف رحمه الله تعالى لدفع هذا في الفصل الاول من ان صدر الآية عام والرحمة المخصوصة بالمؤمنين لا تنافي العموم فكانه يشفق عليه لعموم رحمته صلى الله تعالى عليه وسلم كل ما يقع بهم لحرصه على هدايتهم وارشادهم وهي مطابقة لهذه الآية كما يعلم من كلامه هناك وقد تقدم ما ذكر لانه اسم وذكره هنا لعرض آخر كالايات المكررة في القرآن فلا وجه لما قيل انه تكرار لا فائدة فيه لزيادته على المقصود ولو سلم على ما قلنا كان اولى به لكنه حريص على العفو كما لا يخفى لمن سبره (قال بعضهم من فضله عليه الصلوة والسلام ان الله اعطاه اسمين من اسمائه فقال بالمؤمنين رؤف رحيم) تقدم الكلام على هذا واعاده هنا لمعنى آخر فلا تكرار بل فيه فائدة قال السيوطي رحمه الله تعالى ظاهر كلام المفسرين ان الرحيم يوصف به غير الله بخلاف الرحمن لكن اخرج ابن ابي حاتم الرحيم لا يستطيع الناس ان يتحلوه ويظهر لي ان مراده المعرف باللام دون المنكر والمضاف انتهى (وحكى نحوه الامام ابو بكر بن فورك) تقدم الكلام عليه وعلى اسمه واسم ابيه وهو امام جليل بلغت تصانيفه اكثر من مائة مصنف جليل توفي سنة ست واربعمائة قال (حدثنا الفقيه ابو محمد عبد الله بن محمد الحشني بقراءتي عليه) وهو عبد الله بن ابي بكر بن ابي جعفر بن محمد الحشني بضم الحاء وفتح السين المعجمتين ونون نسبة لحشيبة مصغرا اسم قبيلة ولد سنة تسع واربعين واربعمائة ومات بمرسيه من بلاد المغرب سنة ست وعشرين وخمسمائة وتقدم الكلام على قوله بقراءتي عليه (قال حدثنا امام الحرمين ابو علي الطبري) هو الامام ابو عبد الله ويقال ابو الحسين ابن علي شيخ الحسين ومحتده مكة والطبري منسوب لطبرستان او لطبرية والاول اصح قال (حدثنا عبد العافر الفارسي) الامام الزاهد العدل ابو محمد عبد العافر بن محمد الفارسي احد رواة مسلم المشهور بالرواية عن الخلودي ولد سنة احدى وخمسين واربعمائة وتوفي سنة سبع وعشرين وخمسمائة وعمره نيف وسبعون سنة قال (حدثنا ابو احمد الخلودي) تقدم الكلام عليه وعلى نسبته وانه يحور فيه فتح الخاء وضمها وقد قيل ان هما ان عبد العافر لم ير الخلودي ولا روى عنه صحيح مسلم وانما الراوي عنه ابو امامه واسمه عبد العافر ايضا كجده لكنهما اختلفا كنية وانما كان كنية لابي ابو الحسن وهذا ابو الحسين مصغرا واسم ابي الاول محمد وهذا اسمعيل وتاريخ موتهما مختلف فيه وهذا لم يدرك الخلودي وقال السبكي رحمه الله تعالى في طبقاته بين هذا وبين الخلودي ثمان وهذا مما لم يدله عليه البرهان مع اطلاعه وهو مما ينعى الناقد له قال (حدثنا ابراهيم بن سفيان) تقدم ايضا وان سفيان مسنة قال (حدثنا مسلم بن الحجاج) الامام المشهور صاحب الصحيح وقد تقدمت ترجمته (قال حدثنا

ابو الطاهر) احمد بن عمرو بن عبد الله عمرو بن سرح مهملات بزنة ضرب الاموى مولاهم المصرى روى عنه اصحاب السنن وغيرهم ووثقه النسائى وقال ابو حاتم لا بأس به وكان فقيها صالحا مات توفى فى ذى القعدة سنة خمسين ومائتين قال (اخبرنا ابن وهب) ابو محمد عبد الله العهرى احد الاعلام روى عنه الستة وتوفى سنة سبع وتسعين ومائة (اخبرنا يونس) بن يزيد الايلى بفتح الهمزة وسكون المثناة التحتية واللام وياء السنة احد الاثبات روى له اصحاب الكتب الستة وهى ثقة مات توفى سنة تسع وخمسين ومائة وله ترجمة فى الميزان وفى يونس ست لغات تثليث النون مع الواو والهمزة (عن ابن شهاب) الامام ابو بكر بن مسلم الزهرى وقد تقدم (قال غزا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عروة وذكر حنينا) تقدم الكلام على حنين قال البرهان الحلبى الراوى اذا قدم الحديث على السنة كأن يقول قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كذا اخبرنى به فلان ويذكر سنده او قدم بعض الاسناد مع المتن كما نحن فيه قال بعد هذا قال ابن شهاب حدثنا سعيد بن المسيب ان صفوان ابن امية الى آخره فهو اسناد متصل ولا يمنع ذلك الحكم باتصاله كما لو ذكر الاسناد تمامه اولا وقال ابن الصلاح ينبغى ان يكون فيه خلاف كتقديم بعض المتن على بعض وحكى الخطيب المنع من ذلك على القول بان الرواية بالمعنى لا تجوز والجواز على القول بانها تجوز ولا فرق بينهما فى ذلك انتهى وفى جعله كالرواية بالمعنى حقا (قال فاعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفوان بن امية) بن وهب بن حذافة بن جمح القرشى الجمحى الصحابى وكنيته ابو وهب اسلم بعد الفتح وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينا والطائف وهو مشرك ثم اسلم وحسن اسلامه بعد ما كان من المؤلفة قلوبهم وكان رئيس بنى جمح وكان يعادى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ويؤذيه اذية بالغة معروفة بهما من الرحم فجازاه على اساءته بالاحسان الزائد اليه (مائة من النعم ثم مائة ثم مائة) والنعم اسم جمع للابل لا واحد له من لفظه وجمعه انعام وقال العزيزى هو الابل والبقر والغنم (قال ابن شهاب حدثنى سعيد ابن المسيب ان صفوان قال والله لقد اعطانى ما اعطانى وانه لابغض الخلق الى فما زال يعطينى حتى انه لاحب الخلق الى) بعد ما كان اشد الناس عداوة له لقتل ابيه يوم بدر ولما شهد وهو كافر حنينا ثم رجع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى الجعرانة فبينما هو يسير فى العشى يطر اليها ومعه صفوان جعل صفوان يطر الى شعب ملىء نعما وشاء وادام النظر اليها ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يرمقه فقال له ابا وهب يعجبك هذا الشعب قال نعم قال هو لك وما فيه فقال صفوان ما طابت بهذا الا نفس نبى اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وكانت زوجته اسلمت قبله فاقر

النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بكاحه عليها و اختلف فيما كان يعطيه صلى الله تعالى عليه وسلم للمؤلفة هل هو من خمس الخمس الذى هو حقه او من الخمس او من الغنايم واما اعطاء مؤلفة الكفار فكان حائزا فى صدر الاسلام و هل هو من الزكاة او من بيت المال ثم منعوا منه فى خلافة الصديق او فى خلافة عمر رضى الله تعالى عنهما فان قلت ما مناسبة الحديث لما نحن فيه قلت لانه صلى الله تعالى عليه وسلم اعطى صفوان لما بينه و بينه من الرحم حوفا عليه ان يستمر على عداوته وكفره فيهلك فاحسن اليه حتى يحسن اسلامه شفقة عليه من ان تحل به النقمة والعذاب وقد تقدم اعطاؤه اكثر من ذلك (وروى ان اعرابيا جاء يطلب من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم شيئا فاعطاه) هذا الحديث رواه البزار عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه بسند ضعيف وكذا ابن حبان و لم يسموا الاعرابى (ثم قال احسنت اليك قال الاعرابى لا و لا احملت) الذى فى النسخ احسنت بهمزة واحدة فهمزة الاستفهام مقدرة كقوله * ثم قالوا تحبها قلت بهرا * عدد الرمل والحصا والتراب * ومثله كثير نعم والاستفهام استفهام تقريرى وقوله لارد لقوله احسنت و احملت بمعنى فعلت فعلا جميلا محمودا وقال بعضهم معناه ما اعتدلت فى الاحد والعطاء اوما اكثرت وهذا اولى انتهى واللغة لاتساعده وانما حمله عليه الهرب من التكرار ولاتكرار فيه لانه من ذكر العام بعد الخاص ومثله لايعد تكرارا لما فيه من المبالغة و فى ذلك غلطة وسوء ادب (فعجب المسلمون) من كلامه وجرائته عليه صلى الله تعالى عليه وسلم (وقاموا اليه) ليضربوه ويجازوه بما يستحقه (فاشار اليه ان كفوا) اى اشار بيده اليهم اشارة يفهم منها الامر بكفهم اى تركهم ما ارادوه وان تفسيرية اومصدرية على الخلاف المشهور عند اهل العربية وهذا من حلمه صلى الله تعالى عليه وسلم وسعة تأليفا له ليحسن اسلامه (ثم قام) من مجلسه (ودخل منزله وارسل اليه) عطية (وزاد) اى زاده على ما اعطاه اولا (ثم قال احسنت اليك) فيه مقدر وهو مزح وقال له ذلك (قال نعم) احسنت الى (فجزاك الله) على احسانك ولطفك بى (من اهل وعشيرة خيرا) مفعول جزاك و مابينهما اعتراض والفاء تفريعية و سببية لما تضمنه وقيل انها فصيحة فى جواب شرط مقدر اوعاطفة على مقدر اى احسنت واحملت فجزاك الى اخره ومن فى من اهل قيل انها بدلية مثلها فى قوله لجعلنا منكم ملائكة فى الارض اى بدلكم فالمعنى بدلا من اهلى وعشيرتى الذين لم يحسنوا الى وقيل ليس هذا مراده بل مراده انه صار اهلا له و عشيرة اى قبيلة اما لفعله فعل العشيرة وهذا كما يقولون للقادم اهلا وسهلا اولما تقدم من ان له صلى الله تعالى

عليه وسلم فى كل قبيلة قرابة وعرفاء اما تعليلية كقوله فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اى لاجل ذكر الله واما كونها للفصل والتمييز كما فى قوله تعالى اتأتون الذكران من العالمين اى ممتازين من بين العالمين بهذا الفعل القبيح فعيد جدا نم اشار المصنف رحمه الله تعالى الى انه صلى الله تعالى عليه وسلم زاد لطفا فارسده بقوله (فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انك قلت ما قلت) فى جوابك وردك على (وفى انفس اصحابى من ذلك شئ) تكبره اما للتحقير اى شئ حقير لا يعتد به عندى او للتعظيم اى امر عظيم عندهم لاذيته صلى الله تعالى عليه وسلم ووضع اسم الاشارة موضع الضمير لجعله كالمشاهد المحسوس لاستحضاره فتذكيره بما وقع منه من الامر العجيب (فان احببت فقل بين ايديهم ما قلت بين يدى) علق قوله على محبته و ارادته لطفا منه صلى الله تعالى عليه و سلم واى لطف مع انه ذنب عظيم ينبغى التنصل له وفيه من الشفقة بالامة مالا يخفى و بين الايدى كناية عن حضوره وتمثله لهم وليس المراد البينية الحقيقية بل المقابلة مع القرب وقد يعبر به عن المستقبل نحو يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم (حتى يذهب ما فى صدورهم عليك) اى الغضب والالم الذى فى قلوبهم بسبب ما قلته اولا (قال نعم) اى اقول لهم ما قلت لك (فلما كان الغد او العشى) المراد بالغد صبيحة اليوم الذى بعد اليوم الذى كلمه فيه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والعداة من طلوع الفجر الى الزوال والعشى ما بعد الزوال الى الغروب والشك هنا من الراوى (جاء) اى الاعرابى الى مجلس النبى صلى الله تعالى عليه و سلم (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) لاصحابه الحاضرين عنده (ان هذا الاعرابى قال ما قال) لى اولا اساء ادبه لغلظة طبعه ولذا وصفه بالاعرابى لما عرف من حال الاعراب (فردناه) على عطائه الاول (فزعم انه رضى) بحملة ما اعطيناه له والزعم هنا بمعنى القول الحق وهو يستعمل بهذا المعنى كقول الشاعر * هلكنا ولكن ان هلكت فانما * على الله ارزاق العباد كما زعم *
و يكون بمعنى القول الباطل كقوله تعالى هذا لله بزعمهم و لذا قالوا زعم مطية الكذب وفى التعبير ايماء الى ما فى نفسه من الحرص والطمع ثم التفت صلى الله تعالى عليه وسلم الى الاعرابى وقال له (أكذلك) فالاستفهام متوجه منه صلى الله تعالى عليه وسلم الى الاعرابى اى الامر كذلك من انك رضيت وان كان ما قبله كلاما منه متوجها لاصحابه رضى الله تعالى عنه فالخطاب والمحاورة حينئذ اى الامر كذلك (قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا) تقدم ما فيه (فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مثلى ومثل هذا) الاعرابى المثل يكون بمعنى القصة و بمعنى الكلام المشبه مورده بمضربه ويكون استعارة تمثيلية او تسييرها تمثيليا مركبا كقوله تعالى مثلهم كمثل الذى

استوقدنارا * الآية و يكون ذلك لزيادة التوضيح والتقرير فانه اوقع فى النفس لانه يريك المحيل محققا والمعقول محسوسا لما فيه من الشان الغريب وهو فى الكلام الالهى والاحاديث النبوية كثير (مثل رجل له ناقة شردت عليه) اى نفرت منه وذهبت فى الارض يقال شردت الدابة والانسان اذا نفر وجرى حريا سديدا لا يلحق شرودا وشرادا واصل الشراد الفراق حوفا قال الله تعالى فشرد بهم من خلفهم قاله ابن عرفة اى افعل بهم فلا يحيف من وراءهم فبشردهم (فاتبعها الناس) افتعال من الاتباع اى مضوا وحروا حلفها ليمسكوها (فلم يردوها الا نورا) اى لم يحصل باتباع الناس لها الا زيادة هربها و نفورها لخوفها منهم (فاداهم صاحبها) اى الناقة (خلوا بينى و بين ناقتى) اى وقال لهم خلوا الى آخره فهو مفعول نادى لتضمينه معنى القول اومقول قول مقدر كما عرف فى امثاله اى لا تتبعوها واتركوها و اتركونى احتال فى امساكها (فانى) و فى نسخة فانا (ارفق منكم واعلم) اى انا اشفق عليها واعلم بحالها منكم (فتوجه لها بين يديها) اى جاء ها من امامها (فاخذ لها من قمام الارض) القمام جمع قمامة ككناسة لفظا ومعنى والمراد بها السات الذى ترعاه الدواب سمى به لحسته ولانه مما يطرح كالقمامة فاستعير لذلك (فردها حتى جاءت) فيه مقدر اى فدنت منه لتأكل ما بيده من الحشيش فامسكها ورد ها حتى اتى بها محله (واستناخت) اى بركت ومكثت عنده من ناخ الجمل ونوحه اذا بركه (وشد عليها رحله) الرحل للابل كالسرج للفرس وهو معروف (واستوى عليها) اى على ظهرها اى ركبها يقال استوى على الدابة اذا علا على ظهرها وركبها (وانى لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال) اى اولم اكفكم وامنعكم عنه حين قال لى الرجل مقالته السيئة (فقتلتموه دخل النار) عقوبة له باساءته على ابى صلى الله تعالى عليه وسلم وشبه المال لحسة الدنيا عنده بالقمامة وشبه نفسه بالرجل وشبه الاعرابى بدابة شاردة عن ربها وشبه الصحابة لما عصوا وقاموا له بالناس التابعين لها الذين نفروها عن ربها وشبه قوله كفوا عنه بقوله خلوا بينى و بينها وفى قوله فانى ارفق بها منكم بيان لانه اعطفهم رفقا و اقواهم شفقة على خلق الله تعالى وهو تنبيه فى اعلى طبقات البلاغة لتضمنه هذه المعانى اللطيفة قيل و يحتمل ان الرجل انما قال اولا ما قال ليطلع على حلمه صلى الله تعالى عليه وسلم لانه سمع صفاته من اهل الكتاب والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم علم بذلك وقيل ان حرمه بدخوله النار لكفره بما قاله للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم والنبى تلطف به حتى امن ونجا من النار فتأمل وهذا الحديث رواه البزار وابو الشيخ بسند ضعيف عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه وابن حبان فى صحيحه وابن الجوزى فى الوفا (وروى عنه) بالبناء

للمجهول وضمير عنه للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم والراوي له ابو داود والترمذي عن ابن مسعود وفي نسخة وروى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال (لا يبلغني احد منكم عن احد من اصحابي شيئا) هذا نهي عام من الغيبة و النميمة ونقل ما يكره نقله من قول او فعل او ترك (فاني احب ان اخرج اليكم وانا سليم الصدر) سلامة الصدر كناية عن كونه ليس في قلبه بغض لاحد ولا عصيان على احد ومثله صلى الله تعالى عليه وسلم يقال له سليم القلب قال الله تعالى *الا من اتى الله بقلب سليم *اي بريء من الكفر والنفاق وهذا معنى آخر وقد صح عن انس فيما رواه ابن مسعود قال قسم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قسمة فقال رجل من الانصار والله ما اراد محمد بهذا وجه الله فاتيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبرته فتمعر وجهه وقال رحمه الله اخي موسى لقد اوذي باكثر من هذا فصبر رواه البخاري والمراد سلامة صدره للمقول عنه او القائل كما قيل سلك من بلعك والاول ابقاؤه على اطلاقه ليشملهما وغيرهما وكل من النميمة و الغيبة حرام الا في اماكن استثناها الفقهاء وقد نظمها الحوجري من فقهاء الشافعية في قوله

* ست غيبة جائزة فخذها * منظومة كامثال الجواهر *
تظلم واستعن واستفت حذر وعرف واذكرن فسق المجاهر*

ويأتي لذلك مزيد بيان ايضا (ومن شفقته صلى الله عليه وسلم على امته تخفيفه) عنهم التكاليف الشاقة التي كانت في الامم السابقة ورجاؤه صلى الله عليه وسلم من ربه ان يجعل الصلاة خمسا بعد ما كانت خمسين (وتسهيله) في امورهم كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لمالك عليك حق ولزوجك عليك حق لمن اراد قيام الليل كله (وكراهته اشياء مخافة ان تفرض عليهم) الكراهة والكراهية من المكروه ضد المحبوب والكره ضد الطوع والمخافة بمعنى الخوف منصوب على انه مفعول له ثم بين ذلك بقوله (كقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم (لولا ان اشق على امتي) اي لولا مخافة المشقة عليهم (لامرتهم بالسواك) اي امر ايجاب والا فامر الاستحباب ورد في الحديث كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم عليكم بالسواك واستاكوا حتى تمسك بهذا الحديث بعضهم فجعله واجبا ورد بهذا الحديث فهو سنة واختلف في محل سنيته في الوضوء فقيل حال المضمضة وقيل قبل الوضوء وقيل مطلقا من غير تعيين وقت له وهو من سنن الدين لا من سنن الوضوء كما اختاره الزيلعي رحمه الله تعالى والسواك مصدر بمعنى الاستياك واسم العود نفسه والمراد هنا الاول او الثاني بتقدير مضاف اي استعمال له وهو مذكر وحور بعض اهل اللغة تأنيثه (مع كل وضوء) وفي مسلم عند كل صلاة وهذا الحديث رواه اصحاب الكتب الستة والوضوء بضم الواو مصدر وبفتحها ما يتوضأ به كالطهور واجاز بعضهم في المصدر الفتح وقد جاء في المصادر الفتح ايضا وقال

ابو شامة رحمه الله تعالى فى كتاب السواك السواك مأخوذ من قولهم تساوكت الابل اذا اضطربت من الهزال فيما قلقت من الضعف لما فيه من الحركة وقوله مع كل وضوء روى مع كل صلاة وعند كل صلاة كما علم وهل هو عام لكل صلاة فرضا اونفلا او الصلوات الخمس ذهب الى كل جماعة وقال الشافعى احب السواك للصلاة وعند كل حال تغير فيها الفم كالاستيقاظ من النوم وهو يسمل الصائم وفيه كلام للفقهاء فيكره له بعد الزوال فلا يحصل له تغير بنحو نوم بعده ورواية الموطأ مع الوضوء قال ابو سامة يحتمل معنيين اى لامرتهم بالسواك مصاحبا للوضوء او لامرتهم به كما امرتهم بالوضوء وله فيه كلام طويل وقوله (وخير صلاة الليل) هو ما قال السيح قاسم بن قطلوبغا فى تخريجه لاحاديث الشفاء ومن خطه نقلت عن زيد بن ثابت رضى الله تعالى عنه قال احتجر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حجيرة بخصفة او حصير فى المسجد فى رمضان فخرج فصلى فيها قال فسمع رجال وجاؤا يصلون بصلاته قال ثم جاؤا فحضروا فابطأ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يخرج اليهم فرفعوا اصواتهم وحصبوا الباب فخرج اليهم مغضبا فقال لهم ما زال بكم صنيعكم حتى ظننت انه سيكتب عليكم فعليكم بالصلوة فى بيوتكم فان خير صلاة المرء فى بيته الا المكتوبة رواه البخارى وفى رواية حشيت ان تفرض عليكم فتعجزوا عنها انتهى وهذا هو المناسب للمقام ولما قبله واليه اشار السيوطى ايضا فى مناهل الصفاء فى تخريج احاديث الشفاء لا ما قيل انه اراد به حديث صلاة الليل مثنى مثنى وبه استدل على ان الافضل فى النفل ليلا ان يكون ركعتين ركعتين وعند حنيفة رحمه الله تعالى الافضل ليلا ونهارا الاربع لدليل لاح له وقد علمت ان الاول هو المناسب لها ويناسبه ما روى خذوا من العمل ما تطيقون اذا نعس احدكم وهو يصلى فليرقد حتى يذهب عنه النوم وهذا هو الذى قاله التلمسانى فى حواشيه ايضا فان قلت كيف يحسن صلى الله تعالى عليه وسلم افتراضه بعد فرض الصلاة فى الاسراء وقول الله لا يبدل القول لدى قلت قيل يحتمل ان الله اوحى اليه انك ان واظبت على هذه الصلاة بجماعة افترضتها عليهم او انه وقع فى نفسه صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك او المعنى انى حشيت ان تطيقوها فرضا اذا داومت عليها ولا يخفى بعده وان قيل ان ما فى الاسراء هى وظيفة كل يوم وهذه مخصوصة برمضان او انه لما كان قيام الليل فرضا عليه صلى الله تعالى عليه وسلم حشى ان يستوى به غيره من الامة وقيل ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا واظب على شئ من اعمال البر واقتدى الناس به يفترض وفيه انه صلى الله تعالى عليه وسلم واظب على اشياء كثيرة ولم يفترض كرواتب الفرائض والسنن المؤكدة وقيل ان المراد بالفرض فرض الكفاية وقول الكرمانى ان قوله لا يبدل القول لدى معناه نفى النقص لان الزيادة بعيد جدا وهذا لا يقبل التسمح لانه خبر واحتمال انهم لرغبتهم فى العبادة يفرضون ذلك على انفسهم كما لبد رهبنوق على

من بعدهم بعيدا يضا وعلى كل حال فالقيام لايخلو من الاشكال (ونهيهم) مصدر مضاف للمعول اى نهى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الصحابة رضى الله تعالى عنهم (عن الوصال وكراهته) اى نهيهم عن الوصال فى الصوم وهو ان يصوم يومين فاكثر من غير اكل وشرب بينهما ونهيه عن الوصال ثابت فى الصحيحين فانه صلى الله تعالى عليه وسلم لما واصل واصل الناس وشق ذلك عليهم فلما بلغه ذلك نهاهم عنه فقالوا له انك تواصل فقال انكم لستم مثلى انى ابيت عند ربى يطعمنى ويسقينى فى خواصه صلى الله تعالى عليه وسلم انه يجوز له الوصال ويمنع منه غيره واختلف فيه هل كراهته تحريمية او تنزيهية او يفرق بين من يطيق ومن لا يطيق وعلم من الحديث وجه اختصاصه ومعنى كون الله يطعمه ويسقيه انه يعطيه قوة روحانية ويعديه بانوار ربانية بحيث لايضعف بدنه بترك الطعام والشراب بل يزداد قوة وذلك باتصال روحانية بعالم الغيب حتى يحصل له بدل ما يتحلل بحيث لايشعر ولبس هذا حاصلا له فى كل الاوقات الا ترى ان المريض مدة طويلة لايأكل ولايشرب ولو فعل ذلك فى حال صحته لم يطقه لاشتغال روحه عنه وقد اتفق على هذا علماء الشرع والحكماء كما فصله ابن سينا فى مقامات العارفين ولايرد عليه انه صلى الله عليه وسلم كان فى بعض الاحيان يجوع جوعا شديدا حتى يشد الحجر على بطنه والترمذى الحكيم لما لم يقف على هذا انكره لتوهم ان بين الحديثين تنافيا حتى ادعى انه تصحيف وتحريف ممن رواه وانما هو الحجز بضم الحاء المهملة وفتح الجيم والزاى المعجمة جمع حجزة وهى مرتشقة فى الحزام وقال مايعنى شد الحجر ولم يدر انه بفعله وبرده يجمع الامعاء ويبردها ويقيم الصلب الضعيف وانكاره للحديث الصحيح وحمله على غير ظاهره كما قيل بان يعديه حقيقة من طعام الجنة يأباه المقام لانه كذلك لم يكن وصالا (وكراهته دخول الكعبة) اى من سبقت صلى الله تعالى عليه وسلم على امته كراهته دخول الكعبة فى الحديث الذى رواه ابوداود والترمذى عن عايشة رضى الله تعالى عنها وصححاه وكذا رواه ابن خزيمة والحاكم عنها مصححا مسندا وهو انه صلى الله تعالى عليه وسلم خرج من عندها وهو قرير العين ثم رجع وهو كئيب محزون فسألته عن ذلك فقال حسبت ان اكون سبقت على امتى اى بدخول البيت وكان ذلك فى حجة الوداع وكانت عايشة رضى الله تعالى عنها معه وبهذا جزم الطبرى والبيهقى واختلفوا هل صلى فيه ام لا وفى بعض شروح البخارى يحتمل ان يكون دخوله صلى الله تعالى عليه وسلم الكعبة وقع مرتين صلى فى احديهما ولم يصل فى الاخرى وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم دخل الكعبة متفق عليه قال ابن عمر رضى الله تعالى عنهما دخل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم البيت هو واسامة بن زيد وبلال وعثمان بن طلحة رضى الله تعالى عنهم واغلقوا عليهم الباب فلما فتحوه كنت اول من ولج فسألت

بلالا هل صلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيها قال نعم بين العمودين اليمانيين فكان ابن عمر اذا دخل مشى قبل الوجه ويجعل الباب قبل ظهره حتى يكون بينه وبين الجدار قريب من ثلاثة اذرع فيصلي يتوخى المكان الذي صلى فيه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا بأس على احد ان يصلي في اي جهة شاء وهذه الرواية مرجحة على رواية اسامة بن زيد انه دعا فيه ولم يصل لان المثبت مقدم على النافي لزيادة علمه وكان صلى الله تعالى عليه وسلم قدم مكة بعد الهجرة ثلاث مرات الاولى في عمرة القضاء ولم يدخل فيها الكعبة لما فيها من الاصنام والكفر باق بها والثانية في فتح مكة وفيها دخل الكعبة وامر باغلاق بابها فلبث فيها مليا ثم فتح الباب قال عبد الله بن عمر فاقبلت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خارجا وبلال على اثره فقلت له هل صلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال نعم قلت اين قال بين العمودين تلقاء وجهه ونسيت ان اسأله كم صلى والثالثة في حجة الوداع واختلف في انه دخل الكعبة فيها ام لا واما كره دخولها في حجه لئلا يجعله الناس من المناسك اقتداء به صلى الله تعالى عليه وسلم وقد لا يتيسر لهم ذلك وقد اختلفوا في كونه من المناسك والصحيح انه ليس منها تمسكا بهذا الحديث وقوله (لئلا تتعنت امته) بتاءين مفتوحتين وعين مهملة مفتوحة ونون مشددة ومثناة فوقية تفعل من العنت وهو المشقة والاثم ووقع في بعض النسخ تتعب من التعب كما قاله التلمساني وامته فاعل عليهما وروي يعنت بضم التحتية وسكون العين وكسر النون من اعنته بمعنى عنته وامته منصوب مفعول وبالتحتية والتشديد ايضا ونصب امته ففيه وجوه مروية (ورعته) اي طلبه صلى الله تعالى عليه وسلم (ان يجعل سبه لهم) اي لامته اي لاحد منهم (رحمة لهم) والسب والشتم بمعنى واصله من السبة وهي مخرج العرق من الدبر فنقل لما ذكر وسيأتي بيان هذا (وانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يسمع بكاء الصبي) وهو في صلوته (فيتجوز في صلوته) التجوز تفعل من الجواز والمراد به هنا انه يخففها ويسرع فيها مستعار من تجوز عن ذنبه اذا لم يؤاخذه به كتجاوز او هو من الجواز في السير والصبي المراد به الطفل الرضيع وهذا رواه ابن السني في حديث صحيح عن انس رضي الله تعالى عنه كما قاله السيوطي وروى السيخان عن انس انه صلى الله عليه وسلم قال اني لادخل في الصلوة واناا ريد اطالتها فاسمع بكاء الصبي فاتجوز في صلاتي مما اعلم من شدة وجدامه من بكائه ولا دليل فيه على جواز دخول الصبي والنساء في المسجد لاحتمال ان يكون ذلك من بيوت مجاورة له ولا دليل فيه ايضا على جواز تطويل الصلوة لاجل من يلحق الجماعة كما قيل والمراد بالتخفيف ما لا يؤدي الى عدم تعديل الاركان والاخلال بالواجبات كما لا يخفى (ومن سعفته صلى الله تعالى

تعالى عنه فيكون ماقاله التابعي مرسلا وفي بعض الشروح نعم هو مرسل الا ان ارساله لايمنع من قوله اذ مرسل اصحاب القرون الثلثة مقبول عندنا وعند مالك بل هو فوق المسند لبرهان قام عليه عنده وعند الشافعي مرسل الصحابي مقبول لكنه دون المسند وفي التنقيح الاصولي حكاية قبول مرسل الصحابي بالاجماع وفيه نظر لمخالفة ابي اسحاق الاسفرائني فيه كما نقله العراقي وقيل انه خلاف طرا بعد انعقاد الاجماع في العصر الاول ومثله لايضر وفيه نظر ولنا في اطلاق هذه المسئلة بحث ذكرناه في حواشي النخبة (ان الله امر السماء والارض) والجبال (ان تطيعك) المراد باطاعة السماء له صلى الله تعالى عليه وسلم انه ان اراد ان تخرصواعقها على من عصاه فتهلكهم كان ذلك والارض ان اراد خسفها بهم وانطباقها عليهم كان ذلك من غير مهلة ووحد ضمير تطيعك مع عوده على سبئين معطوفين بالواو لجعلهما كشيء واحد لتأويلهما بالعالم اوالدنيا وكان الظاهر تطيعاك وفي بعض النسخ والجبال وعلى هذا لاحاجة الى التأويل لان الجمع يجوز عود ضمير المؤنث المفرد عليه وفي مراعاة التطير وحسن الترتيب اي بان تطيعك في كل ما تريد (فقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (اؤخر عن امتي لعل الله ان يتوب عليهم) وجاء انهم يتوبون عن مخالفتي ويوفقهم للايمان فيتوبون ويقبل الله منهم ذلك او يكون منهم من يعبد الله ولايشرك به واصل معنى التوبة الرجوع فهي من العباد الرجوع عن المعاصي ومن الله قبول ذلك او من الرجوع عن العضب عليهم والعقوبة لهم ولامنافاة بين هذا وبين قوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم ولا بين ماوقع منه صلى الله تعالى عليه سلم في غزواته من القتل والسبي كما توهم لانه عذاب مخصوص ولان التأخير لاينافي ماوقع كما لايخفى والاحسن ان جوابه معلوم من قوله الآتي مالم يكن اثما فتدبر (قالت عائشة رضي الله تعالى عنها ماخير رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بين امرين الا اختار ايسرهما) تقدم هذا الحديث وانما اعاده هنا تأييدا لما قبله وايسرهما اي اسهلهما واهونهما على الامة سهلة ورحمة منه صلى الله تعالى عليه وسلم عليهم وبقية الحديث (مالم يكن اثما) فان كان اثما كان ابعد الناس منه كما سيأتي وكذا رواه الشيخان وتقدم الكلام عليه (وقال ابن مسعود رضي الله عنه) في حديث رواه الشيخان (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة) بفتح المثناة التحتية وفتح التاء الفوقية والحاء المعجمة والواو المشددة المفتوحة واللام والضمير للصحابة اي يتعهدنا يقال فلان خائل مال وهو الذي يصلحه ويقوم عليه ومنه الخولي لراعي الغنم والمواشي وقيل الصواب يتحولنا بالحاء المهملة اي يطلب الحال التي ننشط فيها للاستماع الموعظة فيعظ فيها ولايكثر منها (مخافة السأمة علينا) اي لئلا نكل ونسأم وقيل

انه يتخوننا بوبين اى يتعهدنا كما يتعهد الضيوف بالخوان والمائدة والرواية الصحيحة بالاعجام مع اللام والنون كما مر وكان فعل ماض اذا اخبر عنه بالمضارع الدال على الاستمرار التجددى دل على التكرار عرفا والموعظة مصدر ميمى بمعنى الوعظ وهو التذكير والتخويف من سوء العاقبة ومخافة منصوب مفعول له وهو مصدر بمعنى الخوف كما مر والسأمة بالمد وعلينا متعلق بمخافة وتعلقه بالسأمة بتضمين المشقة تكلف وان جاز وقيل انه حال من السأمة وهو الارجح اوصفة لانه فى معنى النكرة كقوله كمثل الحمار يحمل اسفارا وفى افادته كان التكرار كلام مفصل فى كتب الاصول (وعن عايشة رضى الله عنها انها ركبت بعيرا وفيه صعوبة) اى سدة بحيث لاينقاد راكبه اذا اوقفه واذا سيره (فجعلته تردده) اى تمشى به وترجع واصل التردد عدم البقاء على حالة ومنه تردد الانسان فى الاماكن لحاجة تعرض له ومنه التردد فى الخواطر وانما فعلت ذلك لتروضه حتى ينقاد لها (فقال) صلى الله تعالى عليه وسلم لعايشة (عليك بالرفق) اى استمسكى بالرفق فى امورك ولاتنعى الدابة التى ركبت ففيه دلالة على شفقته صلى الله تعالى عليه وسلم على خلق الله حتى الحيوانات وعليك بكسر الكاف اسم فعل يتعدى بنفسه وبالباء كما ذكره النحاة والبعير بفتح اوله وبكسر وكذا كل فعل ثانيه حرف حلق ويطلق على الجمل والناقة وقيل هو الجمل الذازل وهو الموافق للاستعمال وهذا الحديث اخرجه البيهقى فى سننه عن المقدام عن ابيه عن عايشة رضى الله عنها انها كانت على جمل فجعلت تضربه فقال لها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا عايشة عليك بالرفق فانه لم يكن فى شئ الازانه ولانزع من شئ الاشانه وختم بهذا الحديث لما فيه من العموم فهو كالعلة لكله لهذا الفصل ﴿فصل واما خلقه صلى الله عليه وسلم فى الوفاء) هو ضد الغدر ونقض الذمة (وحسن العهد) اى ما عهد عليه والتزمه وهو عطف تفسير لما قبله (وصلة الرحم) هو الاحسان الى الاقارب والاصهار والرفق بهم وعفو زلاتهم ونصحهم والتودد اليهم وضده قطع الرحم وهذا اذا لم يكونوا كفارا اعداء الله كابى لهب وابى جهل والرحم اصله مقر الولد ثم استعمل بمعنى القرابة بعيدة اوقريبة بواسطة وبدونها (حدثنا القاضى ابو عامر محمد بن احمد بن اسماعيل) بن ابراهيم الامام المحدث الطليطلى ولد سنة ست وخمسين واربعمائة ومات بقرطبة فى ربيع الاول سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة (بقراءتى عليه قال حدثنا ابو بكر محمد بن محمد) تقدم (قال حدثنا ابو اسحق الحبال) بفتح الحاء المهملة وتشديد الموحدة وهو ابراهيم بن سعيد بن عبد الله المهدى الثقة المشهور وقد تقدم (قال حدثنا ابو محمد بن النحاس) تقدم ترجمته قال (حدثنا ابن الاعرابى) تقدم ايضا قال (حدثنا ابو داود) صاحب السنن المشهور وقد تقدم قال (حدثنا محمد بن يحيى) بن عبد الله بن خالد بن فارس النيسابورى الامام الحافظ الجليل القدر توفى سنة ثمان وخمسين ومائتين اخرج له

اصحاب السنن وغيرهم قال (حدثنا محمد بن سنان) بكسر السين ونونين بينهما الف العوقى بفتح العين المهملة والواو وتسكن وبالقاف نسبة للعوق بطن من عبد القيس غير مشهور قال (حدثنا ابراهيم بن طهمان) بفتح الطاء المهملة وسكون الهاء وهو الامام ابو سعيد الخراساني المشهور روى عنه اصحاب الكتب الستة توفى فى بضع وستين ومائة وترجمته مبسوطة فى الميزان (عن بديل) بضم الموحدة وفتح الدال المهملة وسكون الياء المثناة التحتية ولام ابن ميسرة العقيلي (عن عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق) العقيلي الامام الثقة (عن ابيه) عبد الله بن شقيق الامام المعروف توفى فى زمن الحجاج (عن عبد الله بن ابى الحمساء) بحاء مهملة مفتوحة وميم ساكنة وسين مهملة ومدة العامرى الصحابى وفى المقتنى انه غير ابى الجدعاء وسيأتى حديثه فى انتظاره عليه الصلوة والسلام الى يوم بالث وشقيق ولد عبد الله اخرج له ابو داود فقط قاله المزى بعد ان بين طرقه عند ابى داود وليس هو عبد غيره وذكر كلام ابى داود الذى نقله عن محمد بن يحيى شيخه وذكر زيادة على ما فى نسخة عندى من السنن والظاهر انه من بعض النساخ وليس هو من كلام ابى داود ما لفظه كذا وهو من زوائده ورواه عثمان بن حرزاد عن محمد بن سنان هكذا وقال قال عبد الرحمن بن مهدى ما اظن ابراهيم بن طهمان الا اخطأ فى عبد الكريم وانما هو عبد الكريم بن عبد الله ابن سقيق عن ابيه عن ابى الحمساء ورواه ابو عون الزيادى عن ابراهيم بن طهمان فلم يذكر عبد الكريم فى اسناده وقال عن بشر بن السرى رواه عن عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق وقال البراز اظن فيه غلطا من الناقل لان سقيقا والد عبد الله جاهلى لا اعلم له اسلاما انما عبد الكريم بن عبد الله بن سقيق عن ابيه قال اذ لا نعلم انه روى عبد الله بن ابى الحمساء الا هذا الحديث ووقع فى السماء بسحتان اخذ بهما الحمساء بمعجمة ونون والاخرى وعن ابى الحمساء باسقاط عبد الله والاولى تصحيف والثانية خطأ لان ابا الحمساء لا اسلام له ولا رواية وانما الرواية لولده عبد الله بن ابى الحمساء انتهى (قال بايعت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ببيع) اى باع مبيعا للنبى صلى الله عليه وسلم (قبل ان يبعث و بقيت له) اى لذلك المبيع (بقية) لم تسلم له (فوعدته ان آتيه بها فى مكان) اى فى مكان وقع فيه البيع (فنسيت) الوعد الذى جرى بينا (ثم ذكرت بعد ثلاث) اى ثلاثة ايام ولم يقل ثلاثة لان المعدود اذا حذف يجوز تذكيره مع المذكر وتأنيثه مع المؤنث كما قالوه فى قوله صلى الله عليه وسلم واتبعه ستا من شوال وانما تلزم قاعدة العدد اذا ذكر المعدود (فجئت فاذا هو فى مكانه) اى مستقر صلى الله تعالى عليه وسلم فى مكانه لم يفارقه (فقال يا فتى لقد شققت على انا هاهنا منذ ثلاث انتظرك) وفى هذا الحديث دليل على وفائه صلى الله تعالى عليه وسلم بعهده ووعده وهذا الحديث رواه ابو داود وهو من افراده واخرجه ايضا ابن مندة فى المعرفة

﴿ والحرا ﴾

والخرائطي في مكارم الاخلاق (وعن انس رضي الله تعالى عنه كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا اتى بهدية) مبني للمجهول اي اتاه احد بهدية (قال اذهبوا بها الى بيت فلانة) لم يسمها الرواة لعدم تعلق غرض بتعيينها (فانها كانت صديقة لخديجة) رضي الله تعالى عنها وفي رواية انها كانت تحب خديجة) وهذا الحديث رواه البخاري في الادب المفرد (وعن عايشة رضي الله تعالى عنها انها قالت ماغرت على احد) وفي نسخة امرأة من نسائه صلى الله تعالى عليه وسلم (ماغرت على خديجة) يقال غار الرجل والمرأة اذا غضب من فعل يقتضي امرا لايرضاه وغيرتها كانت من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لشدة محبتها له وارادتها الصرف محبته لها دون غيرها وهذا امر طبيعي لا لوم فيه واما كون الغيرة من خديجة فلاوجه له بعد موتها (لما كنت اسمعه صلى الله تعالى عليه وسلم يذكرها) تعليل للغيرة وما مصدرية اي لسماعي ذكرها ولو سددت لما وجعلت حينية جاز ولكن النسخ متفقة على الاول وعلى على اصلها وقيل انها بمعنى الباء كما في قوله اركب على اسم الله وقال اي المصنف في الاكمال معاصسة عايشة رضي الله عنها لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الغيرة التي عرض عنها النساء حتى ذهب مالك الى اسقاط الحد عن المرأة اذا قذفت زوجها غيرة منها ولولا هذا لكان على عايشة رضي الله تعالى عنها في معصيتها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اعظم الخرج لانه كبيرة عظيمة وقد صرحوا بانها معفوة عند الله وفي الشرع (وان) بكسر الهمزة وسكون الواو وهي مخففة من الثقيلة (كان ليذبح الشاة) ليس المراد انه يذبحها بنفسه (فيهديها) بضم الياء الاولى والمراد انه يهدي منها او يهديها تمامها والظاهر الاولى لانه في الحديث فيهدي مايسعها ويشبعهن (الى خلائلها) بالخاء المعجمة جمع خليلة بمعنى الصاحبة والصديقة (واستأذنت عليه) اي طلبت الاذن في الدخول له (اختها) اي اخت خديجة وهي هالة بنت خويلد بن اسد وهي ام ابن العاص ابن الربيع الصحابية المشهورة رضي الله تعالى عنها (فارتاح اليها) اي حصلت له صلى الله تعالى عليه وسلم راحة اذ دخلت عليه واظهر السرور ليسرة برؤياها وهذا الحديث في البخاري وفي رواية ارتاع بالعين بدل ارتاح بمعنى ال اليها واعجبه محيئها فجاءا (ودخلت عليه امرأة فهش لها) اي تبسم قليلا وظهر المسرة بدخولها كما يفعل الناس باصدقائهم ومن يحبونهم يقال يهش ويبش به اذا فعل ذلك استبشاشا ويقال هو هش بش اذا كان طلق المحيا غير عبوس سامح الانف كما يفعله المتكبرون (واحسن السؤال عنها) فيه مضاف مقدر بعضه لمقام وال في السؤال للعهد او بدل من المضاف اي احسن اليها بسؤاله عن حالها وما هي عليه كما تقول لمن رورك ماحالك وما انت عليه تلطفا به واعتناء بشانه كما هو عادة

لمن يحبونه ووقع فى الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لها كيف حالكم كيف انتم فقالت بخير وهو معسر لها (فلما خرجت) من عنده صلى الله تعالى عليه وسلم وذهبت من مجلسه (قال) بيانا لسبب معاملته معها وهى امرأة اجنبية (انها كانت تأتينا ايام خديجة) اى انها كانت فى حياة زوجته خديجة تدخل منزله صلى الله عليه وسلم لانها من معارفها واصدقائه (وان حسن العهد) اى رعاية العهود لقديمة ورعاية من يحبك او يحب من يحبك (من الايمان) اى من شعب الايمان ومقتضياته لان من كمال الايمان مودة عباد الله ومحبتهم كما انه من تعظيم السيد اكرام عبيده وجاسة هذا لما عقد له الفصل طاهرة (ووصفه بعضهم) اى وصف بعض الصحابة النبى صلى الله عليه وسلم فقال (كان يصل ذوى رحمه) اى من صفته التى كانت منه دائمة وكان يدل على التكرار والدوام كثيرا وان لم يكن موضوعة لذلك نحو كان حاتم يقرى الضعيف وكان الله غفورا رحيما كما فصل فى الاصول اى يحسن اليهم ويوادهم ولما كان هدايوهم لاختصاص بهم احترز عنه فقال (من غير ان يورثهم) اى يخصهم ويقدمهم (على من هو افضل منهم) من سائر الناس وهذا ايضا من حسن العهد (وقال النبى صلى الله عليه وسلم ان آل بنى فلان ليسوا لى باولياء) الاول بمعنى الاهل والاتباع وفلان كناية عن الاعلام الى للعقلاء والمراد به هنا كما مر ابو العاص بن امية بن عبد شمس ابن عبد مناف والكناية من الراوى لا من كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم وابو العاص هو ابو الحكم بن ابى العاص وكان منافقا فى اول امره ثم حسن اسلامه وهو عم عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه وما ذكر كذا هو فى نسخة البرهان الحلبى قال اى قرقول وفى الحديث المشهور ان آل ابى ليسوا باولائى بفتح همزة ابى وبعده بياض فى الاصول كانهم تركوا من الاسم بقية وعند ابن السكن ان آل ابى فلان بالكناية عن ذكر وفى بعض الروايات اسقاط آل والاولياء جمع ولى وهو القريب ومن يتولى امره اى لا تولاهم ولا احسنهم من اوليائى لما علمت منهم والمراد به القدح كقوله تعالى ذلك بان الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم اى لا مولى لهم ولا ناصر (غير ان لهم رحما) اى قرابة (سأبلها ببلالها) لان ابا العاص احد بنى امية وهم قريش مناف بن وولد امية العاص وابو العاص والعيص وابو العيص وهم الاعياص وحرب وابو حرب وسفيان وابو سفيان بن واسمه عنبسة وعمرو وابو عمرو وابو سفيان هذا هو صخر بن حرب بن امية وهو عم ابى معاوية رضى الله تعالى عنهما وقوله سأبلها اى سأصل رحمها بصلتها اللائقة بها والبلال بكسر الباء الموحدة مصدر كالقتال او جمع بلل كحمل وحمال وهو الاصح والاصح رواية وروى بفتح الباء ايضا والمعنى واحد وهو الرطوبة والبداوة وهو كل مايبل الحلق من المايعات كالماء واللبن فاستعير للصلة والاحسان كما استعير اليبس للقطيعة والشح وفى الحديث بلوا

ارحامكم ولو بالسلام لان الرطوبة والنداوة تجمع الاشياء واليبوسة تفرقها وايضا ان بل الارض جعلها منتة فاستعيرت لما ذكر لتألفها للقلوب وتنمية المودة كما قال

* كيف اصبحت كيف امسيت مما * يبت الود في قلوب الرجال *

ففيه استعارة مصرحة او مكنية وتخييلية (وقد صلى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى دخل في الصلاة (بامامة) بضم الهمزة وميمين عم (ابنت ابنته زينب) اكبر بناته صلى الله تعالى عليه وسلم وتوفيت سنة ثمان من الهجرة وتزوجها ابو العاص بن الربيع لا ابن ربيعة كما في البخاري فانه غلط مشهور وولد له منها امامة وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يحبها وتزوجها على كرم الله وجهه بعد فاطمة رضي الله تعالى عنها ثم تزوجها بعده المغيرة بن نوفل فماتت عنده قال البرهان الحلبي ليس لزينب بنت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا رقية ولا لام كلثوم عقب وانما العقب لفاطمة رضي الله تعالى عنها والدا سادت جميع بناته وامها خديجة وهي سيدة نساء اهل الجنة الامر كذلك وقال السهيلي فصلت عن اخواتها لانها نصفة منه وروحة حليفة وام ريحانة ولانها اصيبت بزوج لا يساويه زوج وهو موت ابيها صلى الله تعالى عليه وسلم في حياتها فصبرت واحتسبت ومن ذريتها المهدي وهذا الحديث رواه البخاري في صحيحه كغيره وفيه كما يأتي انه كان اذا سجد وضعها واذا قام رفعها اعتبره عن الحمل الاتي وقد استدل هذا على الفقهاء لان هذه اعمال كثيرة متتالية للصلاة فقيل انه من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل انه منسوخ وقيل انه لا عمل له لانها لحبتها له كانت تتعلق به وتعلو عليه من غير عمل منه وقوله رفعها ووضعها يأباه وقيل انه كان في نافلة ضرورة لانه لم يكن ثمة من يكفيه امرها وقال بعضهم انه كله باطل لانه وقع بعد الهجرة وتحريم الاعمال وكان في صلاة الصبح وهو يؤم الناس كما ورد التصريح به فالصواب انه عمل قليل لا يبطل الصلاة وكانت طاهرة مطهرة ليس معها ما يبطل الصلاة قبل فانما فعل ذلك صلى الله تعالى عليه وسلم ارغاما للعرب في عدم محبتهم البنات (يحملها على عاتقه) اى كتفه وعلى متعلق بيحمل لا حال من امامة او من ضميره كما قيل (فاذا سجد وضعها) على الارض (واذا قام حملها) بيانا للحوار وقال الخطابي اساد وضعها وحملها مجاز فانها كانت تابعة فاذا سجد جلست على عاتقه فلا يدفعها فتبقى محمولة حتى يركع ويرسلها واذا سجد فعلت كذلك وتقدم ما فيه (وعن ابي قتادة) الصحابي الانصاري فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلف في اسمه فقيل الحارث بن ربعي بكسر الراء ابن عمرو وقيل النعمان توفي بالمدينة سنة اربع وخمسين وقيل ثمان وثلاثين وهو ابن سبعين سنة وروى له احمد واصحاب السنن (وفد وفد للنجاشي) وفد بمعنى قدم ويخص بقدوم الرسول وفد بسكون الفاء اسم جمع بمعنى الوافدين والنجاشي

بفتح النون وكسرها وتشديد الياء وتخفيفها واسمه اصحمه وقيل صحمة بفتح الصاد وسكون الحاء المهملتين وقيل صمحة بتقديم الميم وقيل خاؤه معجمة وقيل اسمه مكحول ابن صعصعه وقيل سليم وقيل حارم وهو اسم لكل من ملك الحبشة وكان رضي الله تعالى عنه ممن اعان المسلمين لما هاجروا اليه وكاتب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واهدى له الهدايا وزوجه بام حبيبة رضي الله تعالى عنها وكتب له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كتابا يدعوه فيه الى الاسلام فاسلم على يد جعفر ابن ابي طالب سنة ست وكان بينه وبين النبي صلى الله تعالى عليه وسلم محبة عظيمة فلما توفي في رجب سنة تسع اتاه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وصلى على جنازته وبه استدل الشافعي رضي الله تعالى عنه على الصلوة على الغائب على ما تقدم وقصته مشهورة ولما توفي خلفه بحاشي آخر دعاه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم للاسلام فابى ومات كافرا (فقام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يخدمهم بنفسه) تواضعا منه وارشادا لغيره (فقال له) اي للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم (اصحابه نكفيك) اي نحن نخدمهم ونكفيك من تعاطي خدمتهم (ف) ابى صلى الله تعالى عليه وسلم و (قال انهم كانوا لاصحابنا) الذين هاجروا لارضهم (مكرمين وانى احب ان اكافيهم) اي اجازيهم على اكرامهم لاصحابنا باكرامهم ولا اكرام اعظم من تعاطيه صلى الله تعالى عليه وسلم امورهم بنفسه وهذا الحديث رواه البيهقي في دلائله مسندا (ولما جئ) مبني للمفعول اي جاء الصحابة رضي الله تعالى عنهم (باخته من الرضاعة) بفتح الراء وكسرها بمعنى الرضاع (السمياء) بفتح المعجمة وسكون المثناة التحتية والميم وهمزة ممدودة ويقال لها السماء بتشديد الميم من غير ياء كما قاله المحب الطبري ويحتمل ان تكون السمياء اصلها سماء فابدلت احدى الميمين كما قيل في اماايما فيكون صفة بمعنى ذات سمم ثم نقل وجعل علما لها وهي بنت حليمة السعدية التي ارضعت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل اختها وزوج حليمة هو الحارث ابن عبد العزى وحليمة اسلمت وعدت من الصحابة على ما يأتي واسمها حذامة بحاء مضمومة ودال مهملة وقيل حذافة بحاء مهملة ودال معجمة وفاء وقيل حذافة بمعجمتين واختلف في زوجها ابو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من الرضاعة فلم يذكر احد من اهل السير اسلامه ولكن ذكره يونس بن بكير في روايته فقال حدثنا ابن اسحاق عن ابيه عن بعض بني سعد بن بكر ان الحارث عبد العزى ابو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الرضاع قدم عليه بمكة بعد بعثته فقالت له قريش يا حارث ما يقول ابنك هذا فقال ما يقول قالوا يزعم ان الله يبعث الخلق بعد الموت وان الله دارين يعذب فيهما من عصاه ويكرم من اطاعه وقد ستت امرا وفرق جماعتنا فاتاه فقال يا بني ما لك ولقومك يسكتونك ويزعمون انك تقول ان الناس يبعثون بعد

الموت ثم يصيرون الى حنة اونار فقال نعم ولوكان ذلك اليوم يا امت اخذت بيدك حتى اعرفك حديثك اليوم فاسلم وحسن اسلامه وكان يقول حين اسلم لوقد احداني بيدي فعرفني ماقال لم يرسلني ان شاء الله حتى يدخلني الجنة انتهى (في سبايا هوازن) السبايا جمع سبية بمعنى سبية اى مأسورة وهوازن اسم قبيلة من بني سعد بن بكر سميت باسم لاب الاعلى كتميم وهو هوازن بن نصر بن عكرمة بن حفصة ابن قيس عيلان ابن نصر والمراد بكونها فيهم انها كانت مسبية معهم ايضا (وتعرفت له) يقال تعرف له اذا اعلمه باسمه وشانه فهي اعلمته صلى الله تعالى عليه وسلم انها اخته رضاعا فقال لها صلى الله تعالى عليه وسلم ماعلامة ذلك فقالت عضة كنت عضيتنيها في ظهري فعرف ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وصدقها حواب لما (بسط رداءه) اى فرشه لها لتجلس عليه اكراما لها (وقال لها) بعد ماجلست عنده (ان احببت اقمت عندي) معمول احببت مقدر تقديره احببت الاقامة عندي وهذا يدل على انها اسلمت كما تقدم (مكرمة محببة) بالنصب على الحالية فيهما ومكرمة بضم اوله وسكون ثانية وتخفيف رائه اسم مفعول اكرمه اذا فعل به مايحبه من احسان قولا وفعلا وكذا محبة فانه اسم مفعول من احبه ويقال حبه واحبه بمعنى والاكثر الافصح في اسم المفعول ان يكون من الثلاثي فيكثر فيه محبوب ويقل محب اكسه هذا احسن لاقترانه بمكرم وعليه الاستعمال كقول عنترة

*واذا رلت فلا تطئي غيره * مني بمنزلة المحب المكرم*

وقولها جارية حدثة مكرمة محببة وجبروا ذلك فصاغوا اسم الفاعل من المزيد فقالوا محب ولم يقولوا حاب (او متعتك ورجعت الى قومك فاختارت قومها فمتعها) ورجعت لقومها وتفصيله ما قاله اصحاب السير انه لما قدمت اخته السيماء بنت الحارث بن عبد العزى وعرفته صلى الله تعالى عليه وسلم نفسها فعرفها وبسط لها رداءه واجلسها عليه وخيرها فاختارت الرجوع لقومها وارضها وان يمتعها بالاحسان اليها فاعطاها اعبدا وجارية وقال ابن عبد البر رحمه الله انها اسلمت فاعطاها ثلاثة اعبد وجارية ونعما وشاء وهذا مما صلى الله تعالى عليه وسلم صلة لرحمه لان الرضاع له حكم النسب والقرابة واللبن كالابوين (وقال ابو الطفيل) بضم الطاء المهملة وفتح الفاء منقول من مصغر الطفل جعل علما لعامر بن واثلة بالثاء المثلثة الكناني الصحابي وهو آخر من مات من الصحابة ووقع في بعض النسخ ان ابي الطفيل ولبس بصحيح كما قاله البرهان الحلبي (رأيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وانا علام) العلام كما في كفاية المتحفظ عن بعض اهل اللغة الصبي اذا فطم الى سبع سنين ثم يصير يافعا الى عشر حيح وقد يطلق العلام على الشاب التام الرجولية والمراد هنا الاول (اذا قلت امرأة حتى دنت منه) اى قربت من مكانه

الجالس فيه فسرد رداءه فجلست عليه فقلت من هذه قالوا امه التي ارضعته وفي بعض النسخ تأخير قوله واما علام عن قوله اذا قبلت الى آخره وهذا الحديث رواه ابو داود في سننه بسند حسن فقال حدثنا ابن المثنى قال حدثنا ابو عاصم قال حدثني جعفر بن عمارة قال اخبرنا عمارة بن ثوبان ان ابا الطفيل اخبره قال رأيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقسم لحما بالجعرانة وانا يومئذ علام احمل لحم الحرورادا قلت امرأة وساقه وقوله اذ يحتمل ان يكون طرفا لرأيت اي رأيته وقت اقبال المرأة ويحتمل ان يكون للمفاجأة بتقدير بينا اي رأيته يقسم لحما وبينا هو كذلك اذا قبلت الى آخره وهو معنى قد والوجه هو الاول وفي هذا دليل على قبول رواية الصغير وفيه كلام مفصل في مصطلح الحديث قالوا وهذه المرأة هي حليمة امه صلى الله تعالى عليه وسلم من الرضاع ومجيئها له صلى الله تعالى عليه وسلم كما في الاستيعاب كان في يوم حنين وقال الحافظ الدمياطي رحمه الله وروحها لا يعرف له صحبة ولا اسلاما وما قاله ابن عبد البر من انها اتته صلى الله تعالى عليه وسلم يوم حنين وبسط لها رداءه وروت عنه وروى عنها عبد الله بن جعفر لم يصح وان جعفرا لم يدركها وانما التي جاءته هي بنتها السيماء واما حليمة فانها جاءته صلى الله تعالى عليه وسلم بمكة قبل الهجرة في رمضة حديجة رضي الله تعالى عنها فاعطاها اربعين شاة وجملا ثم انصرفت لاهلها وماهنا يقتضي مجيئها له صلى الله تعالى عليه وسلم بعد الهجرة بالجعرانة بعد انقضاء حرب هوازن ومجيء وفدهم وليس كذلك اما هي ابنتها وحور الذهبي رحمه الله تعالى ان تكون هذه المرأة التي جاءته بويد مولاة ابي لهب الآتي ذكرها ويرده انها ماتت سنة سبع قبل هوازن ولما فتح مكة سأل عنها ايها مسروحا فاخبره وصحح بعضهم خلافه وذهب ابن الجوزي في الوفاء وصنف الحافظ مغلطاي جزءا في اسلامها سماه النعمة الحسيمة في اثبات اسلام حليمة وارتضاه علماء عصره وممن انكره ابو حيان (وعن عمرو بن الساثب) عمرو بفتح العين وبالواو وهو ابن واش المصري وقيل انه عمر بالضم وحذفها قال الحلبي والفتح غلط وصوابه الضم كما ذكره ابن حبان وقال انه من الثقات وروى عن اسامة ابن زيد وروى عنه جماعة واخرج له ابو داود فقط كذا قاله التلمساني في حواشيه وهو من احلة التابعين وهذا الحديث رواه ابو داود بلاغا كما قاله السيوطي في تخريجه (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان جالسا يوما) قيل ظاهره ان عمرو شاهد هذه القضية وهو تابعي والحديث من مرسل زيد كما في سنن ابي داود قال عن احمد بن سعيد الهمداني قال حدثنا ابن وهب قال حدثني عمرو بن الحارث ان عمرو بن الساثب حدثه انه بلغه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان جالسا الى آخره فلو ذكره المصنف كما قاله ابو داود كان اولى (فاقبل ابوه من الرضاعة) وهو الحارث بن عبد العزى وقد تقدم الكلام فيه

وفى اسلامه وكون الروح المرضعة يسمى ابا ويثبت بارضاع روحته معنى له حكم النسب كما ان المرضعة امه لان الفحل محرم وان لم يكن له حكم النسب من كل وجه ولذا ذهب الفقهاء كافة غير الظاهرية والكلام عليه مفصل فى كتب الفروع (فوضع له) صلى الله تعالى عليه وسلم (بعض ثوبه) وفرسه له فى الارض ليجلس عليه (فقعد عليه ثم اقبلت امه) وهى حليمة كما مر (فوضع لها ثوبه من جانبه الاخر فجلست عليه ثم اقبل اخوه من الرضاعة فقام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاجلسه بين يديه) يعنى انه اجلس اباه عن يمينه وفرس له جانبا من ثوبه واجلس امه حليمة عن يساره وفرس تحتها اجانبا من ثوبه اكراما لهما فلما قدم اخوه وهو عبد الله اى الحارث ان عبد العزى لم يبق جانب من ثوبه يفرسه فقام له صلى الله تعالى عليه وسلم لئلا يقصر فى توقيره عن ابويه وفيه دليل على انه يجوز القيام تعظيما لمن يستحق التعظيم خلافا لمن قال انه مكروه مطلقا وللنبى صلى الله عليه وسلم عدة مرضعات منها حليمة هذه وثويبة مولاة ابى لهب الآتية وحولة بنت المنذر بن زيد اى لبيد وام ايمن وثلاث نسوة من سليم تسمى كل واحدة منهن عاتكة وهو احد الاقوال فى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم انا ابن العواتك وقيل انهن حدات له ومعنى عاتكة متصفة بالطيب (وكان) صلى الله تعالى عليه وسلم (يعتد الى ثويبة) علم منقول من تصغير الثوب وهى (مولاة ابى لهب مرضعته) اى جارية معتقة له وابو لهب كنيته واسمه عبد العزى وكنى بذلك لتوقد لونه وذكر نهده الكنية فى القرآن للاشارة الى انه جهنمى كما مر (بصلة) اى عطية يحسن بها (لها وكسوة) بضم الكاف وكسرها اى ثياب يلبسها (فلما ماتت) بمكة بعد هجرته عليه الصلاة والسلام (سأل من بقى من قرابتها) اى عمن بقى فهو منصوب بنزع الخافض او تقديره وقال من بقى فهى اما موصولة او استفهامية والقرابة مصدر بمعنى قرب النسب وسمع اسم جمع بمعنى الاقرباء كما ذكره ابن مالك وغيره خلافا للحريرى اذ انكره وقال لا يقال للاقرباء قرابة وانما يقال دو قرابة كما قال الشاعر * يبكى عليه غريب ليس يعرفه * ودو قرابته فى الحى مسرور (فقيل لا احد) اى لا احد من قرابتها باق واحد مرفوع بفعل مقدر اى لم يبق احد او مرفوع اسم لا العاملة عمل ليس او مفتوح اسمها والخبر مقدر عليهما وقوله وكان الى هنا سقط من بعض النسخ وما ذكر من حسن الوفاء وصلة الرحم وفيه من مكارم اخلاقه وحسن عهده صلى الله تعالى عليه وسلم ما لا يخفى وهذا الحديث رواه الواقدى وغيره واما ارضاع ثويبة له صلى الله تعالى عليه وسلم فثابت فى الصحيحين وهى اول من ارضعته مع ابنها مسروح المتقدم ذكره اياما قبل حليمة وارضعت قبله عمه حمزة وابا سلمة واختلف فى اسلامها فاثبته بعضهم وعدها فى الصحابة وانكره ابو نعيم وكان ابو لهب اعتقها

لما بشرته بولادة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ورئى فى المنام وهو يقول خفف عنى العذاب باعتاقى توبية لما بشرتنى به وفى السير انه اعتقها قبل ولادته بدهر طويل وهو المروى فى غير السير وفى المواهب ما يخالفه والذى رأه فى المنام بسرحية بفتح الحاء المهملة او بكسرها وياء متناة تحتية وباء موحدة وقيل انه بحاء معجمة وقيل بجيم وهو تصحيف او بسوء حال فهو من الحوبة وهى المسكنة والحاجة قالوا وانقلبت ياء لانكسار ما قبلها اوعلى حلاف القياس وتخفيف عذابه بسبب ما ذكر لايعارض قوله تعالى فى اعمال الكفرة فجعلناه هباء منثورا * لانه بعد الحسر او لانه لما لم ينجهم من النار فكانه لم يفدهم اصلا وتفصيله فى حواشينا على القاضى (وفى حديث خديجة رضى الله تعالى عنها) الذى رواه الشيخان عن عائشة رضى الله تعالى عنها بسند صحيح (انها قالت له) صلى الله تعالى عليه وسلم فى ابتداء امره لما رأى جبريل عليه الصلوة والسلام فحصل له منه رعب شديد (ابشر) امر بفتح الهمزة وهى همزة قطع يقال ابشر وبشر بمعنى ويجوز وصلها وفتح الشين من بشر بشر كعلم يعلم وهو امر المقصود منه تعجيل المسرة بالبشرى التى بعده وهو انشاء اريد به الخبر اى انى مبشرة لك والبشرى الخبر السار الذى يظهر اثره فى البشرة (فوالله لايخزيك الله ابدا) وهذا الحديث تقدم شرحه فى فصل الجود والكرم ومر ان فى يخزيك روايتين ضم الياء واجحام الحاء من الخزى وهو الخكال والفضيحة وبه روى لفظ المصنف هنا كما ذكره البرهان الحلبى واهمال الحاء من حزن واحزن وهى دون الاولى فلذا تركها المصنف رحمه الله تعالى وروى لا يحزيك الله ادعى الزهرى بزيادة ابدا (انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتقرى الضيف وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الحق) وقد مر ذلك مبينا * فصل واما تواضعه صلى الله تعالى عليه وسلم * التواضع بضم الصاد المعجمة اظهار انه وضيع وهو اشرف الناس فالضيعة للتكلف فى الاصل (على علو منصبه) قد قدمنا لك ان المنصب فى كلام العرب بمعنى الاصل والحسب كما فى قول ابى تمام * ومنصب عماه * ووالد سماه * وان استعماله فى تولى الاعمال السلطانية كقول ابن الوردى * نصب المنصب اوهى حلدى * وعسى مر مداراة السعل * مولد لم يسمع من العرب ولذا عطف عليه قوله (ورفعة رتبته) فهو كالتفسير له ولرتبة كالمنزلة رفعة القدر (فكان صلى الله تعالى عليه وسلم اسد الناس تواضعا) منصوب على التمييز (واقلهم كبرا) وفى نسخة واعدمهم كبرا وفى نسخة بالجمع بدلهما وهو افعل تفضيل من العدم وهذا انسب بمقامه صلى الله تعالى عليه وسلم لان اللايق به عدم الكبر لاقلته ووجه هذه البرهان بان القلة بمعنى النفى وقال ابو حيان فى قوله تعالى * فقليلا مايؤمنون * ان التقليل يراد بمعنى النفى المحض كما فى قولهم

اقل رجل يقول ذلك وقل رجل يقول ذلك وقلما يقوم زيد وقليل من الرجال يقول ذلك وقال الحافظ السخاوى فى كتابه جواهر الدرر فى مناقب شيخه ابن حجر ان ابن حجر رحمه الله تعالى سئل عن هذه العبارة وان بعضهم شنع على المصنف فيها ومحاها من النسخ فاجاب بان الاعتراض باطل لانهم تكلموا على الحديث الذى رواه النسائى عن عبد الله بن ابى اوفى قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يكثر الذكر و يقل اللغو فقالوا يقل اللغو بمعنى لايلغو اصلا قال ابن الاثير فى النهاية لان قل يستعمل فى النفى كما فى الآية السابقة فمعنى هذه النسخة انه لايقع منه صلى الله تعالى عليه وسلم كثر اصلا كما فى الحديث الصحيح وليس افعل فيه للتفضيل فانه قد يخرج عنه كما فى قوله تعالى * اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا * ومثله افظ واغلظ فانه بمعنى فظ غليظ اى كامر وقال المصنف فى شرح مسلم يصح حمله على المفاضلة والقدر الذى فيه منه اغلاظه على الكفرة والمنافقين كقوله تعالى * جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم * لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يغلظ عليهم ويغضب عند انتهاك حرمات الله انتهى فقوله اقلهم كبرا بمعنى انتفاء الكبر عنه البتة او يحمل على شدته على الكفار والمنافقين كما فى الذى قبله لان تواضعه صلى الله تعالى عليه وسلم ورأفته كانت بالمؤمنين لقوله تعالى * بالمؤمنين رؤف رحيم * وقوله فى التورية ليس بفظ ولاغليظ اى بالمؤمنين ونظيره * اشداء على الكفار رحماء بينهم * بمعنى ادلة على المؤمنين عاطفين عليهم اعزة على الكافرين مكرمين عليهم يعادونهم فلا معنى لمحو النسخ واتلافها انتهى واستدرك عليه عز الدين الحنبلى بان تأويله الشدة والغلظ بكونها على الكفار والمنافقين فيه ان شدته وغلظه على نحو هؤلاء كانت اشد من عمر رضى الله تعالى عنه بلاشك انتهى (اقول الجواب الحق هو الثانى لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان متخلقا باخلاق الله تعالى ومنها المتكبر فاتصافه صلى الله تعالى عليه وسلم بهذه الصفة فى محلها مدح ولذا قيل التكبر على المتكبر صدقة فالتكبر على الكفرة والمنافقين احيانا فى محله ممدوح وهو فى صفاته تعالى ذاتى دائم لايدارعه احد ردائه الاقصمه الله والجواب الاول تعسف وليس من قبيل قوله * فقليلا ما يؤمنون * واما تأويل التفضيل بالنفى وخلع المفاضلة منه فجار على محاورة وضعت على ابائه واما اعتراض الحلبى فلا وجه له ولعل الشراح والمحشين هنا كلام ركيك تركه خير منه (وحسبك) اى يكفيك فى اثبات ما ذكر (انه صلى الله تعالى عليه وسلم خير بين ان يكون نبيا ملكا) بكسر اللام اى سلطانا وخير مبنى للمجهول اى خيره الله على لسان ملائكته فى الحديث المشهور (او نبيا عبدا) فاختار ان يكون نبيا عبدا) فخيره الله بعد تفصيله بالرسالة ان يكون شؤنه كالملوك فى اتخاذ الجنود والحجاب والخيول والخدم والقصور فاختار مع الرسالة العامة

مقام العبودية والخدمة بنفسه في مهنة اهله تواضعا منه صلى الله عليه وسلم وزهدا في الدنيا ولذا وصف الله تعالى بالعبودية في عظيم مقاماته كقوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده * وهذا من حديث صحيح رواه احمد عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه والبيهقي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما (فقال له اسرافيل عند ذلك) اي حين اختار العبودية على الملك (فاز الله قد اعطاك) هذه الفاء فصيحة عاطفة عن مقدر اي اصبت وحزت الله خيرا ممن تركته (بما تواضعت له) الباء سببية وما مصدرية اي بسبب تواضعك له (انك سيد ولد آدم) بفتح همزة انك وهي وما بعدها مفعول اعطى والسيد من يفوق غيره في السرف وهو يطلق على الله تعالى وعلى غيره في اصح الاقوال المشهورة وخصه بقوله (يوم القيامة) لانه لا اعلى من هذه السيادة حيث يسود صلى الله تعالى عليه وسلم فيه على الرسل وسائر البشر وفيه نكتة وهي اضمحلال كل ملك لفنائه حيث يقول الله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد في ملكه القهار لسائر مخلوقاته وتدبيره (واول من تنشق عنه الارض) معطوف على سيد حزان وانشقاق الارض لخروج الموتى من قبورهم للبعث فلا يتقدمه صلى الله تعالى عليه وسلم احد حينئذ واما حديث فان الناس يصعقون اي يغشاهم غشية كالموت يوم القيامة فاصعق معهم فاكون اول من يفيق فاذا موسى باطش بجانب العرش فلا ادري اكان ممن صعق او كان ممن استثنى الله تعالى بقوله الا من شاء الله فلا ينافيه لان هذه الصعقة كما قاله التوربشتي صعقة فزع بعد البعث ويؤيده قوله يوم القيامة (واول شافع) يوم القيامة او في الجنة لرفع درجات الناس لان مقام الشفاعة متعدد وفي قوله اول اشارة الى ان غيره من الملائكة وغيرهم يشفعون بعد ذلك (واعلم ان سفير الوحي بين الله وبينا صلى الله تعالى عليه وسلم جبريل عليه الصلوة والسلام وعن الشعبي ان اسرافيل عليه الصلوة والسلام كان يأتيه صلى الله تعالى عليه وسلم بالوحي في اول بعثته ويتراءى له ثلاث سنين ويأتيه بالكلمة والشيء ثم وكل به جبريل عليه الصلوة والسلام قال ابن عبد البر في الاستيعاب انزلت عليه صلى الله تعالى عليه وسلم النبوة وهو ابن اربعين سنة فقرن بنبوته اسرافيل عليه الصلوة والسلام ثلاث سنين فكان يعلمه الكلمة والشيء ولم ينزل عليه القرآن على لسانه فلما مضت ثلاث سنين قرن به جبريل عليه الصلوة والسلام فنزل بالقرآن عليه عشر سنين وفي شرح البخاري لابن السبكي ميكائيل بدل اسرافيل ونقل البرهان عن ابن الملقن ان المشهور ان الذي ابتدأه بالوحي جبريل عليه الصلوة والسلام وانكر الواقدي كون غير جبريل وكل به وقال السيوطي رحمه الله تعالى في كتاب الخصائص لم اقف على ان جبريل افضل او اسرافيل ثم نقل احاديث متعارضة في ذلك وفيه ايضا ان اسرافيل نزل عليه صلى الله عليه وسلم بآية ذكرها (حدثنا العقيه ابو الوليد ابن العواد)

بفتح العين المهملة وتشديد الواو والف ودال مهملة وهو هشام ابن احمد القرطبي وقد تقدمت ترجمته (بقراءتي عليه بقرطبة سنة سبع وخمسمائة) وفي هذه السنة توفي رحمه الله تعالى (قال حدثنا ابو علي الحافظ) العساني وقد تقدم والحافظ اذا اطلق يراد به حافظ الحديث بالرواية قال (حدثنا ابو عمر) يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي الامام الجليل صاحب التأليف المشهوره كما تقدم قال (حدثنا ابن عبد المؤمن) ابو محمد عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن كما تقدم قال (حدثنا ابن داسة) ابو بكر بن محمد بن بكر وقد تقدم وان داسة بدال وسين مهملتين مفتوحتين بينهما الف قال (حدثنا ابو داود) صاحب السنن المتقدم قال (حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة) عبد الله بن محمد بن ابي شيبة العبسي احفظ اهل عصره له ترجمة في الميزان مفصلة واخرج له الائمة الستة قال النووي ابو بكر بن ابي شيبة منسوب الى جده هو عبد الله بن محمد بن ابراهيم بن عثمان بن خواستي بخاء معجمة مضمومة ثم واو مخففة ثم الف ثم سين مهملة ساكنة ثم تاء مثناة من فوق مكسورة وابو شيبة هو ابراهيم وعلب على اولاده لنسب اليه وهم ثلاثة عبد الله هذا وهو مشهور بكنيته وعثمان وقاسم فاما عبد الله وعثمان فاما مان حافظان من احفظ اهل عصرهم وهما شيخا البخاري ومسلم واما القاسم فليس كهما بل ترك التحديث عنه ابو زرعة وابو حاتم الرازيان الحافظان وابوهم محمد ثقة وجدهم ابراهيم ضعيف قال (حدثنا عبد الله بن نمير) بالنون كصعصعة النمري الهمداني هشام بن هشام بن عروة الاعمش الحافظ اخرج له اصحاب الكتب الستة وتوفي سنة تسع وتسعين ومائة (عن مسعر) بكسر الميم وسكون السين وفتح العين المهملتين وراء مهملة ومعناه موقد النار ويقال هو مسعر حرب للسجاع وهو مسعر بن كدام ابو سلمة الهلالي الكوفي المسمى بالمصحف لاتقانه وحفظه ومن اخرج له الستة وتوفي سنة خمس وخمسين ومائة وله الف حديث (عن ابي العنبس) بفتح العين المهملة وسكون النون وفتح الباء الموحدة وسين مهملة وهو الحارث بن عبيد بن كعب العدوي الكوفي لم يخرج له غير ابي داود وذكره في الميزان ولم يذكر فيه شيئا (عن ابي العدبس) بفتح العين والدال المهملة وتشديد الباء الموحدة المفتوحة وسين مهملة وهو تبيع بن سليمان الاسدي ويقال الاسعري الكوفي وتبيع بضم المثناة الفوقية ثم باء موحدة وعين مهملة بزنة المصغر كما في الميزان وتهذيب الذهبي والاكمال الا ان ابا خليل الحافظ كتب في حواشيه ان هذا وهم منه وانما هو منيع بالميم بدل المثناة كما قاله البرهان الحلبي (عن ابي مرزوق) التجيبي واسمه كنيته وله ترجمة في الميزان قال فيها ان ابن حبان انه قال لا يحتج بما انفرد به (عن ابي عالب) الراسبي واسمه حرور وقيل سعد بن حرور وقيل نافع وروى عنه اصحاب السنن واختلفوا في ضعف روايته ومنهم من وثقه (عن ابي امامة) الباهلي او السهمي وهو

صدى بن عجلان بن وهب توفى سنة احدى اوست وثمانين واخرج له الستة وهو من بقايا الصحابة بحمص وهذا الحديث رواه ابو داود وابن ماجه مسندا (قال خرج علينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم متوكئا) بكاف مشددة مكسورة وهمزة اى معتمدا متحاملا وهو منصوب على الحال (على عصا) وقال ابن عباس التوكؤ على العصى من سنن الانبياء وكان له صلى الله تعالى عليه وسلم عصى منها قضيب ومخصرة قصيرة ومحجن وكانت فى يده اذا خطب وكانت عند الخلفاء وقال فيها الصرصرى رحمه الله تعالى كما مر * وعصاة لما مسها بيمينه * فضلت عصا صارت الى ثعبان (فقمنا له) تعظيما واجلالا (فقال لا تقوموا كما يقوم الاعاجم يعظم بعضهم بعضا) هذه الجملة بدل مما قبلها اومستأنفة استينافا بيانيا والاعاجم جمع اعجم اوعجمى اوعجم على خلاف القياس اوجمع اعجام جمع عجم وهم من عدا العرب وقد يختص بفارس وقد اختلف العلماء فى القيام للتعظيم المعتاد هل هو مكروه ام لا فقيل مكروه استدلالا بهذا الحديث وبحديث من احب ان يتمثل له الناس قياما وحت له النار ونحوه حتى ذهب بعضهم الى حرمته والاحسن ما قاله القاضى زكريا فى شرح الروض انه مستحب لاهل العلم والصلاح وللحكام العدول بل قد يجب اذا حسى من تركه ضرر اكبار قالملوك ويستحب لمن قدم من سفر ولذوى الارحام تكريما وبرا لهم ويدل على ذلك قوله صلى الله تعالى عليه وسلم للانصار لما قدم عليهم سعد رضى الله تعالى عنه قوموا لسيدكم والنهى عنه انما هو ما كان على سبيل الرياء والتكبر وحمل حديث سعد على انه كان مريضا وقد مر راكبا فامرهم صلى الله تعالى عليه وسلم بالقيام ليعينوه فى النزول عن دابته خلاف الظاهر كما مر وقد فعله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان يقوم لفاطمة رضى الله تعالى عنها اذا جاءته وانما نهاهم لئلا يطئوه سنة ويتحدوه عادة (وقال) صلى الله عليه وسلم (انما انا عبد) الحصر فيه اضافى اى لست بسلطان ثم انه ان اريد بالعبد معناه العرفى وهو الرقيق المملوك للناس فهو استعارة فسمه نفسه تواضعا لله لا رقيق لتعاطيه خدمة نفسه فى بيته فانه صلى الله تعالى عليه وسلم كما يأتى كان يخصف نعله ويرقع ثوبه ويكنس بيته ويلبس العليط فقوله (آكل كما يأكل العبد واجلس كما يجلس العبد) بيان لوجه الشبه وان اراد عبد الله وكل الناس عبيد الله الملوك وغيرهم سواء فى ذلك فالمراد انه متمحض لهذه العبودية لا يشوبها شئ من امور الدنيا ولا تحلق بشئ من اخلاق اهلها فى لباسهم ومآكلهم ومشربهم وفراشهم فانه صلى الله عليه وسلم كان يجلس على الارض ولا يأكل على خوان ولا يعلق عليه بابا ولا يتخذ حجابا (وكان صلى الله عليه وسلم يركب الحمار) وكثير من الانبياء يأنف من ركوبه وكان له حمار يسمى عفيرا واخرى يسمى يعفورا وهو مأخوذ من العفرة وهى التراب لسمه لونه له ولبسا سمين لحمار واحد كما توهم

كان عفيرا اهداه له المقوقس ويعفورا اهداه له فروة بن عمرو وقيل بالعكس ومات يعفور منصرفة من حجة الوداع وقيل القى نفسه فى بئر ابى النيهان يوم موته صلى الله عليه وسلم وقيل انه كان من جنس من الحمير لم يركبه الا نبى وانه كان صلى الله تعالى عليه وسلم يرسله للرجل فيأتى بابه ويقرعه برأسه فيعلم انه يطلبه (ويردف خلفه) عيره ويردف بضم المثناة بمعنى يجعله رديفا له اى راكبا خلفه على دابته التى ركبها ويقال ردف واردف واصله الركوب على الردف وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يجعل عيره قدامه ايضا ولم يذكر المصنف من ارد فه اشارة لعمومه فيشمل الذكر والانثى والصغار والكبار وقد ذكروا ان من ارد فه صلى الله تعالى عليه وسلم بلغ اربعين فى سفره وحضره وهذا من تواضعه صلى الله عليه وسلم وهم اسامة بن زيد رضى الله عنهما مرجعه من عرفة والصديق رضى الله عنه فى الهجرة وعثمان رضى الله عنه راجعا من بدر وعلى كرم الله وجهه فى حجة الوداع وعبد الله بن جعفر رضى الله عنهما بين يديه وسطه مع غلامين من بنى هاشم واولاد عباس الثلاثة رضى الله تعالى عنهم فى رواية من المزدلفة * والحسن والحسين رضى الله تعالى عنهما * ومعاوية رضى الله تعالى عنه * ومعاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه على عفير وابوذر رضى الله تعالى عنه على حمار * وزيد بن حارثة رضى الله تعالى عنه * وبابت بن الضحاك رضى الله تعالى عنه * والسريد بن سويد رضى الله تعالى عنه * وسلمة بن الاكوع رضى الله تعالى عنه * وزيد بن سهل رضى الله تعالى عنه * وابو طلحة الانصارى رضى الله تعالى عنه * وسهيل بن بيضاء وعلى ابن امنه زينب رضى الله تعالى عنهما وعبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنهما * وغلام مطلبى * واسامة بن عمير رضى الله تعالى عنه * وصفية بنت حيى رضى الله تعالى عنها لقدومه من خيبر وابو الدرداء رضى الله تعالى عنه وآمنة بنت ابى الصلت وابى اياس وابو هريرة وقيس بن سعد وحوات بن جبير رضى الله تعالى عنهم وجبريل على البراق فى الاسراء * وام حبيبة الجهنية * وزيد بن ارقم رضى الله تعالى عنه وجابر بن عبد الله رضى الله عنهما وزاد ابن مندة غير هؤلاء واظنهم ابو زرين موفق الدين فقال

* واردافه جم غفير فقهم * على وعثمان شريد وجبريل *
* واولاده ذوو الرشد والتقى * اسامة والدوسى وهو نبيل *
* معاوية قيس بن سعد صفية * وسطاه ماذا عنهم سأقول *
* معاذ ابو الدرداء سويد وعقبة * وآمنة ان قام ثم دليل *
كذا حوات طريف وسطه * على ووجه القل فيه جميل *
اسامة والصديق ثم ابن جعفر * وزيد وعبد الله ثم سهيل *
كذا نت قيس حولة وبن اكوع * وقد رهم فى العالمين حليل *

* كذلك زيد جابر ثم بابت * فى حبهم و الله لست احول *
* ثلاثة علمان وزد معهم ابا * اناس وحسبى الله وهو وكيل *

(و) كان (يعود المساكين ويجالس الفقراء) الفرق بين المسكين والفقير مشهور فى محث الزكات الاان كلا منهما يطلق على الاخر من غير فرق فى العرف والعيادة سنة للغنى والفقير وانما خصها هنا لانه يعلم منه غيره بالطريق الاولى والمسكين بكسر الميم وفتحها مأخوذ من السكون ويكون بمعنى المتذلل الخاضع ومنه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم احينى مسكينا وامتنى مسكينا وتقدم انه لايجوز ان يطلق على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه فقير او مسكين وان اطلقه على نفسه السريفة (ويجيب دعوة العبد) اذا علم انه يحور له اطعام غيره لكونه مأذونا ونحوه (ويجلس مع اصحابه مختلطا بهم) فلا يختار مكانا رفيعا ولا يتقدم عليهم قال ابو هريرة رضى الله تعالى عنه حتى كان الغريب اذا اتى ناديه لا يعرفه حتى يسأل عنه ثم ان الصحابة رضى الله تعالى عنهم سألوه صلى الله تعالى عليه وسلم ان يجعل له مكانا مخصوصا حتى اذا اتاه الغريب عرفه وسأله ففعله من طين تارة يجلس عليه وتارة يجلس بجنبه (حيثما انتهى به المجلس جلس) حيثما يفيد العموم اى اى مكان وجده خاليا وقت مجيئه يجلس فيه صدرا وغير صدر وكل هذا لتواضعه صلى الله تعالى عليه وسلم وارشاد امته (وفى حديث عمر عنه) صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا الحديث رواه البخارى (لاتطرونى) مضارع اطراه اذا بالغ فى مدحه وتجاوز الحد فيه قال * لايلحق الواصف المطرى مدايحه * وان يكن محسنا فى كل ما وصفا * اى لاتمدحونى قال الجوهرى والز يدى اطريت الرجل مدحته وقال ابن فارس فى المجمل اطريته مدحته باحسن ما فيه وقال الهروى الاطراء مجاوزة الحد فى المدح والكذب فيه وبه فسر الحديث وقد علمت ان الذى قاله الهروى هو معنى الحديث وهو مأخوذ من الطراوة يقال طراوة وطراءة ومدحه صلى الله عليه وسلم مطلوب من كل احد والمنهى انما هو عما لايليق به ولذا قال (كما اطرت النصارى) جمع نصرانى منسوب لناصرة او نصرة او نصورية على خلاف القياس وتلك القرية كان فيها فى اول امره (ابن مريم) فانهم قالوا فيه انه ابن الله وغيره مما هو مشهور وهذا كقول الابوصيرى رحمه الله تعالى * دع ما ادعته النصارى فى نبيهم * واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم * وما احسن قول العارف بالله عمر بن الفارض نفعنا الله تعالى به * وعلى تعين واصفيه بحسنه * يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف * (انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله) ولا تقولوا ما قاله اهل الكتاب ونحوه فالحصر اضافى (وعن انس) رضى الله تعالى عنه رواه مسلم (ان امرأة) من الصحابة تسمى ام رفر وهى ماشطة خديجة ام المؤمنين رضى الله تعالى عنها وتردد البرهان الحلبى رحمه الله تعالى فيها هل هى

هذه او عيرها وجزم به عيره (كان فى عقلها شئ) من الحمق ولم يصرح به اسارة لحمقه وانها لم تستعرق فيه فان لفظ شئ يشعر بالقلة (جاءته صلى الله عليه وسلم فقالت ان لى اليك حاجة) اى لى حاجة اريد ان انهيها اليك واعلمك بها (قال) لها (اجلسى يا ام فلان) الابهام من الراوى لانه لم يحضره اسمها (فى اى طريق المدينة شئت اجلس اليك) مجزوم فى جواب الامر والى بمعنى عند عبر به للمشاكلة حتى اقضى حاجتك (فجلست فجلس اليها حتى فرغت من حاجتها) التى اعتلت بها تواضعا منه صلى الله تعالى عليه وسلم وملاطفة وفيه استحباب الملاطفة بعملها لا من كان فيه جنون مطبق وكان جارية سوداء تصرع احيانا فشكت ذلك للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقالت انى اصرع وانكشف فادع الله لى فقال ان شئت فاصبرى ولك الجنة وان شئت دعوت الله ان يعافيك فقالت اصبر ولكن ادع الله ان لا انكشف فدعا لها وكان ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يقول الا اريكم امرأة من اهل الجنة فبشير اليها وقيل ان التى كانت تصرع سعيرة الاسدية (وقال انس) رضى الله تعالى عنه فى حديث رواه بتمامه ابو داود والبيهقى (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يركب الحمار ويجيب دعوة العبد) كما تقدم بيانه (وكان) صلى الله تعالى عليه وسلم (يوم بنى قريظة) يوم واحد الايام واليوم هنا بمعنى الوقعة والغزوة شايع بحيث اذا اطلقوه انما يفهم منه هذا وبنو قريظة تصغير القصير والقاف والراء المهملة والظاء المشالة ثم هاء قوم من اليهود بقرب المدينة غزاهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قبل غزوة الخندق كما فصل فى السير راكبا (على حمار) وهو صاحب الرياسة والرسالة العظمى تواضعا منه ومن هو من اقل عبيده يركب الخيل فى مثله ويحب الجائب اظهارا لشوكته وعظمته بداته لا لعرض الدنيا الدنى لا يستقر وما فى بعض الشروح هنا نقلا عن بعض الحواشى فى ضبط يوم من انه بفتح الياء التحتية والهمزة المضمومة المرسومة واوا والميم المشددة بمعنى بقصد تحريف لا وجه له (مخطوم بحبل من ليف) اسم مفعول من الخطام بخاء معجمة وطاء مهملة وهو ما يقاد به الدابة كالرسن والليف بكسر اللام والفاء شئ يتخذ من النخل ويفتل حبالا (وعليه) اى على الحمار (اكاف) بكسر الهمزة وكاف والف وفاء بربة كتاب ويضم كغراب ويقال وكاف بالواو وهو رحل يوضع على ظهر الحمار للركوب عليه او بعض ادواته وهو البردعة وهذا من حديث رواه ابو داود والبيهقى كما مر (قال) انس بن مالك رضى الله تعالى عنه (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يدعى الى خبز الشعير والاهالة السنخة) الاهالة بكسر الهمزة وتخفيف الهاء ولام وهو كل ما يؤتدم به من الدهن او ما يذاب من الالية او الدسم الجامد وسنخة بفتح السين المهملة وكسر النون وفتح الخاء المعجمة وهاء

بمعنى متغيرة الرايحة يقال سنخ الدهن وزنخ اذا تغير (فيجيب) دعوة من دعاه وهذا الحديث رواه الترمذي في شمائله وابن ماجة في سننه (قال) انس ايضا رضي الله تعالى عنه (وحج صلى الله تعالى عليه وسلم) بعد الهجرة في حجة الوداع كما في البخاري و يدل عليه قوله الاتي و قد فتحت عليه الارض (على رحل رث) الرحل للحمل كالسرج للفرس فيختص به ورث بفتح الراء المهملة وتشديد المثلثة بمعنى بال حلق (وعليه قطيفة) اى كساء من صوف له حمل (ماتساوى اربعة دراهم) اى او قومت لم يكن قيمتها اربعة دراهم و يقال هذا يساوى و يسوى كذا قيمته والحج من اعظم شعائره التواضع و اظهار الافتقار الى الله تعالى ومنع النفس من التلدد والملابس ولذا شرع الاحرام فيه والتجرد في الموقف ليذكر الموقف الحقيقي والعرض على الله وهذا من محاسن التسريع والارشاد الى الاخلاص و لذا قال ثمة فقال اللهم اجعله) اى اجعل حجي هذا (حجا مبرورا لارياء فيه ولاسمعة) بل خالصا لوجهك الكريم والرياء مشتق من الرؤية وهو مايفعل من عبادة ونحوها لاجل ان يراه الناس فيمدحوا صاحبه به والسمعة بضم فسكون مايفعل ليشيع ويسمع الناس به وهما بمعنى بحسب المفاهيم و ان اختلف مفهوما هما و منهم من فرق بينهما فان عمد السلطان اذا عمل عملا ليراه سيده وحده رياء لاسمعة ومن اشاع امرا لم يرسمعة لارياء فيه وقال القرافي في قواعده الرياء موجب للاثم والبطلان عند كثير لصاحبه لقوله وما امروا الاليعبدوا الله مخلصين* وهو ان يعمل لله مع قصد يقع من العباد وهذا رياء الشرك او ان يعمل للناس فقط و يسمى رياء الاخلاص وهو لاعراض شتى والتشريك كمن جاهد طاعة لله مع قصد الغنيمة وهذا يضر بنقص الثواب ولايحرم بالاجماع بخلاف من فعل ليقال انه شجاع اوليحظى عند الامام او يكثر عطاؤه وهو محرم ليس كقصد الغنيمة من العدو ومن حج وشرك مع الحج التجر لا يأثم ولايقدح ذلك في صحة حجه ولوكان جل قصده اوكله التجارة كمن صام ليصح بدنه ويحتمي فهذا لايقدح في فعله لان الشارع امر به في حديث يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء اى قاطع للشهوة فامر بالصوم لعرض آخر غير العبادة ولوكان قادحا لم يأمر به كمن توضأ للتبريد و التنظيف فان فيه اعراضا ليس فيها تعظيم غير الله بفعله فانه هو المضر انتهى والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم معصوم من الرياء والسمعة وانما دعا بذلك تعليما لامته وتواضعا كقول يوسف عليه الصلاة والسلام وما ابرئ نفسي لان التعسف قد يدخله الرياء باظهار الزهد (هذا) اى فعله صلى الله تعالى عليه وسلم هذا و احتياره رث الثياب و المركب ليس عن عجز (وقد فتحت الارض عليه) صلى الله تعالى عليه وسلم وفتح يتعدى فعلى

لما جاء كثيرا بسهولة من الله كانه اماصه عليه وفتح الارض ان اريد به بعضها كالحجاز فظاهر وان اريد جميعها فعد تمكسه صلى الله تعالى عليه وسلم منها بمنزلة وقوعه ومر في الحديث عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال اتيت بمفاتيح الدنيا على فرس اللق عليه قطيفة سندس وفي رواية بمفاتيح خزائن الارض فوضعت بين يدي وهو محمل على ظاهره وعده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو اوهو كناية عن ان الله مكنه من ذلك ولو ان الله تعالى اراده صرفه بالفعل فيها وقاد جمع اهلها له (واهدى في حجه تلك مائة بدنة) اهدى بمعنى يعني الهدى دون الرمي مخفف الياء وقد تشدد فتكسر دال والهدى ما يرسل للبيت الحرام ليتحر فيه ويتصدق به من الابل والبقر وكذا البدنة تطلق على الجمل والناقة والبقرة واكثر ما تطلق على الابل وقد يسمى الابل مطلقا هديا وسميت بدنة لكبر بدنها وفي البخاري لما حج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حجة الوداع اهدى مائة بدنة نحرها وقسم لحمها وجلودها وجلالها ونحر بيده منها ستة ثم امر عليا كرم الله وجهه بنحر باقيها واشتلف فيما نحره صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة اهو ثلاثون ام ستون (ولما فتحت عليه مكة دخلها الجيوش من المسلمين) وذلك في شهر رمضان ثالث عشرة او سادس عشرة او ثامن عشرة وصحح النووي انه تاسع عشرة واختلف في الجيوش ايضا فقيل اثنا عشر وقيل عشرة آلاف وقيل عامة (طأطأ على راحلته رأسه حتى كاد يمس قادمته) الرحل له مقدم ومؤخر مرتفع عن محل الراكب وفيها العلاة قادم وقادمة ومقدم ومقدمة بكسر الدالي المخففة وفتحها مشددة وكذا اخرة الرحل (تواضعا لله تعالى) ومن تواضعه صلى الله تعالى عليه وسلم انه ركب الجمل دون الفرس وعلى رأسه معفر فوقه عمامة سوداء واردف خلفه اسامة رضي الله تعالى عنه كما مر (ومن تواضعه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تفضلوني على يونس بن متى) قال شيخ مشايخنا الجلال السيوطي لم اقف عليه بهذا اللفظ والذي في البخاري عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه لا يقولن احدكم انا خير من يونس بن متى وفي سنن ابي داود ما يدعي لنبي ان يقول انا افضل من يونس بن متى وفي الصحيحين لعبد لا ينبغي وفي رواية لا اقول ان احدا افضل الى آخره انه سبح الله في الظلمات وفي البخاري ونسبه لابيه فقيل اشارة الى ان متى بفتح الميم وتشديد التاء مقصورا اسم ابيه وقيل معناه انه ذكر اسم ابيه بدل متى اسم امه وهذا هو المشهور وانه لم ينسب لامه الا يونس وعيسى عليهما الصلوة والسلام واختلف في المراد منه فقيل انه صلى الله تعالى عليه وسلم قاله تواضعا منه وان كان هو افضل من جميع الرسل بالاتفاق وكلام المصنف رحمه الله تعالى يميل لهذا فان الافضل قد لا يطلب تفضيل احد له وقيل انه كان قبل ان يعلم تفضيله والاذن فيه لقوله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض

وحص صلى الله تعالى عليه وسلم يونس لئلا يتوهم احد تنقيصه اذا سمع قصته وقوله ولا تكن كصاحب الحوت و قصته مفصلة فى التفسير (و) قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (لا تفضلوا بين الانبياء) لا ينافى هذه الآية لان المنهى عنه تفضيل يؤدى الى التنقيص او الخصومة و النزاع او التفضيل من سائر الوجوه لانه قد يكون فى المفضول ما ليس فى الفاضل او التفضيل فى نفس النبوة لا فى الخصائص وعموم الرسالة والا فيجب علينا اعتقاد افضليته صلى الله تعالى عليه وسلم لقوله انا سيد ولد آدم وقوله ان الله تعالى اختارنى على جميع العالمين من الانبياء والمرسلين (ولا تخيروني على موسى) صلى الله عليه وسلم اى لا تقولوا انى خير منه و افضل وخصه لئلا يظن احد تنقصه لقوله وكره موسى وقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان وسيأتى بيان ذلك اقول الظاهر ان المعنى لا تفضلونى تفضيلا يؤدى للنزاع والمخاصمة فان هذا من بعض حديث فى الصحيحين ان رجلا من المسلمين استب مع يهودى فقال اليهودى و الذى فضل موسى على العالمين فلطمه فاشتكى للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ذلك وسيأتى الكلام على هذا (ونحن احق بالشك من ابراهيم) اذ قال رب ارنى كيف تحيى الموتى وحمله بعضهم على ظاهره و انه كان قبل البعثة فى سن الطفولية ومن قال بعصمة الانبياء مطلقا قال انه نبى للشك لا اثبات له وانما قاله صلى الله تعالى عليه وسلم على سبيل التواضع اى نحن احق بالشك منه لو شك ولكنه لم يشك فكيف قال انا لا اشك فكيف بابراهيم و قيل انما قاله جوابا لمن قال شك ابراهيم ولم يشك نبينا ولا ينافى بين القولين وسبسير اليه المصنف رحمه الله تعالى فى القسم الثالث و قيل لا يصح ان يكون المراد احق بالشك منه لقوله اولم تؤمن قال بلى الى آخره وتسميته شكا بالنظر للظاهر لاقتضائه عدم الاطمئنان وهو ينافى عدم التردد والشك ولذا احتيج لتأويله بان الخليل عليه الصلوة والسلام قطع بالقدرة على احياء الموتى بدليل قطعى لكنه استاق لمشاهده كيفية هذا الامر العجيب الذى حرم منه وفقد نفسه لا تطمئن حتى تشاهده قال ابن ابى شريف رحمه الله تعالى وهذا لتأويل يسير الى ان المطلوب بقوله ولكن ليطمئن سكون قلبه عن المسارعة الى رؤية الكيفية المطلوبة التى تمناها ليحصل له العلم البديهى بعد العلم النظرى ولما كان هذا الشك ظاهريا جائزا على الانبياء عليهم الصلاة و السلام قال صلى الله تعالى عليه وسلم ما قاله كناية عن انه جائز منه لانه اورده بهذه الصورة تأدبا مع الله تعالى وان لم يكن احق بذلك الشك منه وكيف يتصور حواره عليه وعلى كرم الله وجهه يقول لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا الا ان فى هذا اشكالا اورده ابن العماد لاقتضائه تساوى علمه البديهى والنظرى فيتحاور المقام الخليلى وقد اجاب عنه فى كتابه كشف الاسرار وقال قال العز بن عبد السلام المراد ما ازددت يقينا بالايمان وان كان اداراها انضم

من التفاصيل والهيئات مالم يحط به قبل ذلك علما وكذلك ابراهيم لما رأى كيفية الاحياء لم يرد د يقينا بالايمان بقدرته تعالى على الاحياء وان وقف بمشاهدة كيفية الاحياء على مالم يقف عليه من الايمان كمن رأى بناء عجيبا وعرف صانعه علم قدرته وصنعه وتحققه وان لم يعرف كيفية بنائه وصنعة عمله فاذا طلب مشاهدة عمله ورأه لم يزده علمه بقدرته وصنعته وهيئته بذلك وكمال اطمأنانه قلبه لحصول ماطلبه من كيفية صنعه وقال السبكي رحمه الله تعالى سئل العراقي رحمه الله تعالى عن هذا فقال اليقين يتصور عليه الحدود كما قال تعالى وحدوا بها واستيقنتها انفسهم والطمانينة لايتصور عليها الحدود وهو جواب حسن في الفرق بين اليقين والحدود انتهى وفيه نظر وقول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هذه الآية ارجى آية في القرآن معناه ان سؤاله الاحياء في الدنيا يدل على انه يحيي ويتنعم في الآخرة اوان الايمان بالغيب اجمالا كاف لنا (ولو لبثت مالبث يوسف في السجن لاجبت الداعي) لبث في السجن بضع سنين اي لبث خمسا ثم سبعا بعد رؤيا الفتيين الذين دخلا معه السجن وقيل غير ذلك وورد في الحديث رحم الله اخي يوسف لولم يقل اذكرني عند ربك مالبث في السجن سبعا بعد خمس اي لولم يستعن بغير الله تعالى ماطالت المدة والمراد باجابة الداعي اجابة رسول الملك الذي دعاه للخروج منه قال الكرماني وصفه بالصبر حيث لم يبادر الى الخروج وقال ذلك تواضعا لانه كان فيه مبادرة وعجلة لوكان مكان يوسف والتواضع لايصغر كبيرا بل يزيد قدره اجلا لاوذلك منه صلى الله تعالى عليه وسلم اشارة الى مقام التعويض وتلقي كل ما يأتي من الله بالقبول ورفض الوسائط والمعنى لوكنت مكانه تلقيت دعوة الداعي مستعينا بالله تعالى معوضا امري له وقد كان يوسف عليه الصلاة والسلام عبر رؤيا الفتيين ثم رؤيا الملك فطلبه فلما جاءه الرسول ليخرجه من السجن لم يبادر للخروج فطلب الكشف عن امره حتى يعلم انه مظلوم وقال القرطبي الوجه عندي في ذلك انه صلى الله تعالى عليه وسلم احد لنفسه وجها آخر من الرأي وهو ان يفعل امر اليقتدى به فيه وهو ان يخرج سريعا ثم يبرئ ساحته بالتبرئة من غير الحاح وهو الحزم ويوسف عليه الصلوة والسلام سلك مسلكا آخر وهو الصبر وقيل انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يلتفت لما التفت له من براءة الساحة اكتفاء بعلم الله واعتقاده لانه يبرئ ساحته من غير طلب منه لهذا المقام وكنه قال ماقال تواضعا وفي يوسف ست لغات بتثليث السين مع الهمزة وعدمها (وقال للذي قال له ياخير البرية دالك ابراهيم) وهذا من تواضعه ايضا صلى الله تعالى عليه وسلم والا فهو خير البرية من غير شك وليس فيه اخبار بغير الواقع اذا المعنى لا اقول ذلك اطراء لعيسى والبرية الخلق من برأ

معى حلق لكن همزته متروكة كما فى الرويه والبى والخاينة وهذا الحديث رواه مسلم فى صحيحه وغيره وخص ابراهيم لان الله امره باتباع ملته فى قوله تعالى ان اتبع ملة ابراهيم (وسيأتى الكلام على هذه الاحاديث بعد هذا ان شاء الله تعالى) من غير تطويل واعتساف (وعن عايشة والحسن وابى سعيد وغيرهم فى صفته) صلى الله عليه وسلم (وبعضهم يزيد على بعض) قدم عائشة رضى الله تعالى عنها لانها ادرى بحاله صلى الله تعالى عليه وسلم فى بيته ولداعقها بالحسن بن على رضى الله تعالى عنهما لانه من اهل البيت ايضا وابو سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه كان يخدمه صلى الله تعالى عليه وسلم ولهذا خص هؤلاء ورتبهم الاقرب فالاقرب (كان فى بيته فى مهنة اهله) خبر بعد خبر او بدل مما قبله بدل اشتمال والمهنة بكسر الميم وفتحها الخدمة مأخوذة من الاستهانة واختلف فى ايهما الافصح والاكثر على انه الفتح والاشهر انه الكسر لتوافق الخدمة لغطا ومعنى وانكر بعضهم الكسر ولاصح انه لغة وانه ثابت بالوجهين (يفلى ثوبه) بان هو وما بعده لما قبله لان هذا مما يسعى ان يفعله اهله ويفلى بفتح الفاء المثناة التحتية وسكون الفاء يقال فلاه يفليه كرماه يرميه اذا فتش ما فيه من قمل وغيره هذا اصله وهو يقتضى ان يكون فى ثوبه صلى الله تعالى عليه وسلم قمل وقد قالوا انه لا يكون تكريما له صلى الله تعالى عليه وسلم ولانه يتولد من العفونة والعرق وجسده وعرقه طيب لا يكون فيه عفونة والقول بان فيه قملا تنقيص لا يدعى ان يقال الا ان بعضهم نقل انه لم يكن الدباب يعلق عليه وان القمل لا يؤذى بدنه تعظيما له صلى الله تعالى عليه وسلم وتكريما كما سيأتى بيانه قبيل فصل قد اتينا اكرمك الله قيل المراد نفى اذيته نفيه لانه من لوازمه وقيل ان كان فيه ولكن لا يؤذيه الاول مما يضعف لحديث المتن ولما روى ان ام حرام كانت تفلى رأسه والقمل شاهد لخلافه نعم نفى اذاه مستلزم لنفيه لان اذيته بتعديه من البدن فاذا امتنع عداؤه لم يحس وحينئذ لم يكن فى وجوده الا مدارته والاحتياج لفليه ولهذا قيل المراد بفليه تفتيشه لحرق فيه او تعلق شئ به من شوك ونحوه وكل ذلك للمسارع واظهار التواضع واحتمال ان يكون القمل جاءه من غيره لكثرة مجالسته الفقراء كما سيأتى ثم لا يأباه فلى ام حرام لرأسه كما قيل على انه يحتمل انها كانت تفحص عن هذا وان لم تجده (ويحلب شاته ويرقع ثوبه) بفتح الياء وسكون الراء المهملة وفتح القاف المخففة ويجوز الضم والتشديد الا ان الضبط بالاول لمناسبة ما بعده ورقع الثوب ان يضع فيما تخرق منه رقعة لغيره يسده بها (ويخصف نعله) اى يخرزها به وفى العمدة انه تطبيق بعض جلود النعل على بعض وهو فى قوله تعالى يخصفان عليهما من ورق الجنة * استعارة من هذا واصل معنى الخصف الضم والجمع (ويقم البيت) اى يكنسه ويزيل قاذوره من قم يقم بضم القاف اذا كنس (ويعقل البعير) اى يربطه من رجله

بالعقال و يعقل بوزن يضرب (و يعلف باضحه) بنون وضاد معجمة وحاء مهملة وهو البعير الذى يستقى عليه من الصحح (و يخدم نفسه) اى يفعل ذلك كثيرا لادائما مع كثرة عبيده وخدمه و تشوق الناس لخدمته صلى الله عليه وسلم لكنه يحب فعل ذلك بنفسه تواضعا وتسريعا (ويأكل مع الخادم) الخادم متعاطى الخدمة ذكرا كان اواثى حرا اوعبدا واكل الانسان مع خادمه سنة قال القاضى زكريا فى شرح الروض ان السنة ان يجلس خادمه للاكل معه ويلبسه من لباسه فان ابى فليناوله مما يأكله ومن العرب ماقل عن الشافعى انه واجب للامر به فى الحديث وفيه نظر (و يحمى معها) الضمير للخادم لانه يطلق على الانثى كما مر والعجين من عمل النساء (و يحمل بضاعته) بكسر الموحدة وهو مايشتريه (من السوق) وفيه دلالة على انه صلى الله عليه وسلم كان يدخل السوق قالوا وهو عادة الانبياء عليهم الصلوة والسلام قال الله تعالى * وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام و يمشون فى الاسواق وكذا كان دأب الصحابة رضى الله تعالى عنهم ولا يافيه احب البقاع الى الله المساجد وابغضها اليه الاسواق لان المراد بعض مافيها او النهى عن الجلوس فيها من غير حاجة وعن انس بن مالك رضى الله عنه خادم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا الحديث رواه البخارى تعليقا ووصله ابن ماجة (ان كانت الامة من اماء المدينة) بكسر همزة ان المخففة من الثقيلة كقوله و ان كانت لكبيرة وهى مهملة او اسمها ضمير شان مقدر (لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت) اى تمسك يده الشريفة وتذهب به الى اى محل تريده لاجل حاجتها (حتى يقضى حاجتها) وليس فيه افراط فى التواضع المذموم لان قضاء حاجة المسلمين امر محمود (ودخل عليه رجل فاصابته رعدة) بكسر فسكون لخوفه من مهابته اذ كان لم يره قبلها واعاد هذا الحديث لما فيه من الزيادة والرعدة ان يرتجف و يضطرب (فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم هون عليك) امر من التهوين اى عد مارأيته امرا هينا غير صعب تحسى منه اى لاتخف ولا تفزع (فانى لست بملك) من الملوك الجبارة الذين يخشى بوادرهم (انما انا ابن امرأة تأكل القديد) هو اللحم الذى قطع ويجعل فى الشمس حتى يبس وكان عادة العرب اكله وهكذا عادة فقرائهم وكنى به عن عدم تكبره وتجبره وترفعه صلى الله تعالى عليه وسلم (وعن ابى هريرة) رضى الله تعالى عنه قال السيوطى هذا الحديث رواه الطبرانى فى الاوسط بسند ضعيف (قال دخلت السوق مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاشترى سراويل) فى حواشى السمنى ذكر المصنف رحمه الله تعالى اشتراه صلى الله تعالى عليه وسلم للسراويل الا انهم قالوا انه لم يثبت انه صلى الله عليه وسلم لبسها ولكنه اشتراها ولم يلبسها وقال ابن القيم فى الهدى انه لبسها فقالوا انه سبق قلم وقال السيوطى

فى فتواه قد رأيت الذى ذكره المصنف رحمه الله تعالى فى معجم الطبرانى الاوسط ومسند ابى يعلى وفيه انه صلى الله تعالى عليه وسلم لبسها ولفظه عن ابى هريرة انه قال دخلت يوما السوق مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فجلس الى البزازين فاشترى سراويل بار بعة دراهم وكان لاهل السوق وزان فقال له زن وارجح واخذ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم السراويل فذهبت لاحمل عنه فقال صاحب الشئ احق بشيئه ان يحمله الا ان يكون ضعيفا فيعجز عنه فيعينه اخوه المسلم فقلت يارسول الله انك لتلبس السراويل قال اجل فى السفر والحضر وبالليل والنهار فانى امرت بالستر فلم اجد شيئا استر منه اخرجه من طريق ابن زياد الواسطى واخرجه احمد وفى سنده ابن زياد وهو وسيخه ضعيفان انتهى (اقول انجبر ضعفه بتعدد طرقه ومنه يعلم ان تخطئة ابن القيم لاوحه لها وكون الثمن اربعة دراهم هو المروى الا ما فى الاحياء من انه بثلاثة وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم استراها ولم يلبسها بعيد جدا وقد لبسها عثمان رضى الله تعالى عنه وهو محاصر ايضا والسراويل تذكر وتؤنث ولم يعرف فيه الاصمعى الا التأنيث وجمعه سراويلات وهى مصروفة فى النكرة عند سيبويه فان سمى بها رجل لم تصرف وكذا ان صغرت بعد التسمية لانها مؤنثة على اكثر من ثلاثة احرف كعناق فان صغرت من غير علمية صرفت وقال الجوهرى من النحويين من لا يصرفه فى النكرة ايضا لانه عنده جمع سروالة وانشد * عليه من اللؤم سروالة * ويقول ابن مقبل * فتى فارس فى السراويل رامح * والعمل على الاول والثانى قوى انتهى ومن ثم رد قول من قال انه ممنوع من الصرف بالالحاق وقول المحدثين انه لم يصح انه جمع فى الاصل كحاصر للصبع فيعتبر فيه الجمعية الاصلية قال ولذا اضطربوا فيه فقيل انه اعجمى معرب سروال حمل على موازنه فى العربية كصابح وقيل عربى جمع سروالة تقديرا وهى لغة فى سراويل ويقوى عجميته انه لا نظير له فى العربية وعلى هذا اقتصر الجواليقى فى معربانه الا انه قيل انه معرب سلوان بالمعجمة والاشبه انه معرب سراوين اى بدل الرأس لان سر معناه الرأس واوين معناه يدلى (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (للوزان) الذى يزن الدراهم ويعقدها وهو الصيرفى (زن وارجح) اى زن لصاحب السراويل ثمنها وزد عليه حتى ترجح الميزان بزيادة الكفة التى فيها الدراهم وبهذا استدل الامام مالك على جواز رهنة المجهول وفيه نظر لانه من جنس القضاء وكلام ابى حنيفة رحمه الله تعالى فى الرهنة المحضة والرجحان بزول كفة الميزان لزيادة ما فيها (وذكر القصة) كما سمعتها آنفا (قال) ابو هريرة رضى الله تعالى عنه راوى هذا الحديث فقال الوزان هذه كلمة ما سمعتها من احد فقال له ابو هريرة كفى بك من الوهن والحماء فى دينك انك لا تعرف نبيك (ف) طرح الميزان و (وثب)

اى قام بسرعة (الى يد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقبلها) اى قام ليقبل يده الشريفة لما رأى منه ولمعرفته انه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (فجذب) اى نزع صلى الله تعالى عليه وسلم (يده) من يده (وقال هذا) اى تقبيل اليد امر (تفعله الاعاجم بملوكها ولست بملك انما انا رجل منكم) معا شر العرب والناس وهذا من تواضعه صلى الله تعالى عليه وسلم او لانه علم انه انما قبل يده لامر دنيوى والا فتقبيل يد الرجل لعلمه اوصلاحه اوشرفه سنة مستحبة وقد كان الصحابة رضى الله تعالى عنهم يقبلون يده الشريفة ويد الخلفاء رضى الله تعالى عنهم وقبل لبعض المشايخ اتقبل يد المشايخ فقال انهم رياحين الله فسموها بالتقبيل (ثم اخذ) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بيده الشريفة (السراويل) ليحملها بنفسه (فدهست لاحمله) اى شرعت فى حملها عنه يقال ذهب يفعل كذا وقام يفعله اذا شرع فى الفعل ولذلك عدت من افعال المقاربة فليس المراد بالذهاب معناه المشهور وضمير لاحمله للسراويل لانه يجوز تذكيره وتأنيثه كما علم (فقال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لابى هريرة (صاحب الشئ احق بشيئه ان يحمله) دل من شيئه اى احق بحمله من غيره وهذا من تواضعه صلى الله تعالى عليه وسلم واقتدى به الصحابة رضى الله تعالى عنهم فكان الخلفاء منهم يحملون امتعتهم فى السوق كما فصله العراقى فى الاحياء ﴿فصل واما عدله صلى الله تعالى عليه وسلم﴾ العدل مصدر معناه العدول عن الظلم والجور ويكون بمعنى العادل فيستوى فيه الواحد المذكر وغيره ويجمع على عدول (وامانته) فى كل شئ يحفظه قولا كان اوفعلا اوغير ذلك مما يجعل عنده وكونه موثوقا به فى اموال الناس واحوالهم (وعفته) فى نفسه بترك كل قبيح وترك السؤال والمراهة عن كل شئ (وصدق لهجته) اللهجة للسان والكلام وقد يقال لهج بكذا اذا ولع به ولا يخفى تقارب معانى ما ذكر ولذا جمعها فى فصل فان فى العدل عفة عن الظلم وفى الصدق امانة على ما سمع وعفة عن الكذب وهذا ظاهر لمن له بصيرة (فكان صلى الله تعالى عليه وسلم آمن الناس) آمن بمد الهمزة بمعنى اكثرهم واشدهم امانة (واعدل لمسا واعف الناس واصدقهم لهجة هذا كان) اى من ابتداء خلقته الى نهايتها وكان تامة بمعنى وجد (اعترف له بذلك محادوه) جمع محاد بتشديد الدال المهملة بمعنى المعادى والمخالف له الذى فى حد وجانب عنه ويكون بمعنى المحارب قال تعالى ومن يحادد الله ورسوله (وعداه) بكسر العين جمع عدو واسم جمع وهو فى الصفات وقد تضم عينه (قال ابن اسحق) محمد بن اسحق بن يسار صاحب السير كما تقدم وهذا حديث صحيح رواه احمد فى مسنده والحاكم والطبرانى عن على كرم الله وجهه (كان صلى الله تعالى عليه وسلم) ابتداء امره قبل نبوته (يسمى الامين) لامانته وصدق قوله فى جميع احواله

(بما جمع الله له من الاخلاق الصالحة) اى بسبب ما جمعه الله فيه من الاخلاق الصالحة الذى ايتمنه الله اياها او الباء بمعنى مع اى ما جمعه الله من الصالحات التى عرف بها عندهم (وقال تعالى مطاع ثم امين اكثر المفسرين على انه) اى المطاع الامين فى هذه الآية (محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) وكثير منهم على انه جبريل عليه الصلوة والسلام كما يشهد به سياق النظم ولذا ارتضاه المحققون لكونه عليه الكثير وفيه نظر (ولما اختلفت قريش وتحازنت) بالحاء المهملة والزاى المعجمة والباء الموحدة اى صارت احزابا وفرقا لاختلاف آرائهم ولو قيل تحاربت بالراء المهملة لما فى السير انهم تخالفوا حتى اعتدوا للقتال ثم بدا لهم فتشاوروا صح الا انه بعيد والسمع مضبوطة خطا بخلافه (عند بناء الكعبة) قال السهيلي كان بنؤها خمس مرات الاولى حين بناها شيث بن آدم والثانية حين بناها ابراهيم عليه الصلوة والسلام على القواعد الاولى والثالثة حين بنتها قريش قبل الاسلام بخمسة اعوام والرابعة حين احترقت فى عهد ابن الزبير بنار طارت من ابى قبيس او نسر طار من مجمر امرأة ارادت ان تجمرها فتعلق باستارها واحرقها فتشاور من حضرها فى هدمها فهابوه وقالوا يصلح ما انهدم منها فقال رضى الله تعالى عنه لو احترق بيت احدكم لم يرض له الا بكل صلاح ولا يكمل صلاحها الا بهدمها فهدمها حتى افضى الى قواعد ابراهيم عليه الصلوة والسلام فامرهم ان يزيدوا فى الحفر فحفروا حجرا منها فرأوا تحته نارا امزعتهم فامرهم ان يقروا القواعد وان يبنوها من حيث انتهى الحفر واستمرت على ذلك الى ان قام عبد الملك ابن مروان فهدمها وبناها فهذه المرة الخامسة ولا مخالفة بينه وبين ما فى التواريخ من ان الخامسة بناء الحجاج لانه كان بامر عبد الملك لانه اميره وكان ارسله لمحاربة ابن الزبير رضى الله عنهما وقيل غير ذلك والكلام فيه مفصل فى تاريخ مكة (فمن يضع الحجر) الاسود فى موضعه ويرفعه بيده لما فى مباشرة ذلك من الشرف والجار والمجرور متعلق باختلف (حكموا) بفتح الحاء وتشديد الكاف جواب لما اى ارتضوا بان يكون الحاكم فى ذلك (اول داخل عليهم فاذا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم داخل) اى فجأهم دخوله عليهم بغتة من غير طلب وميعاد منهم (وذلك قبل نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم وهو ابن خمس وثلاثين وقيل ابن خمس وعشرين حين بلغ الحلم ولا شك فى ان هذا كان قبل النبوة والاول اصح (فقالوا هذا محمد هذا الامين قد رضيناه) حكما فى هذه القضية فلما انتهى اليهم ذكروا له ذلك فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لهم ايتوا بثوب وضعوا فيه الحجر وارفعوه جملتكم من كل بيت رجل فلما فعلوا وضعه صلى الله تعالى عليه وسلم بيده الشريفة ثم بنى عليه فكان شرف الوضع له وكان مع العباس رضى الله تعالى عنه

ينقلان الحجارة فقال له العباس اجعل ازارك على رقبتك ليقيك الم الحجارة فلما فعل بدا منه مالابد من ستره فخر معشيا عليه وطمحت عيناه الى السماء فقال ازارى فشد عليه اراره لانه بودى يامحمد عط عورتك فلم تره عورة بعده ولاقبله وروى انه وقع له مثله وهو يلعب صغيرا (وعن الربيع بن خثيم) رضى الله تعالى عنه بضم الخاء المعجمة وفتح المثلثة وسكون الياء المثناة التحتية والميم وهو الربيع بن خثيم بن عايذ بن عبدالله بن وهب ابو يزيد الثورى ينسب الى ثور بن عبد مناة ابن ادبن طابخه بن الياس بن مضر وينسب اليه سفيان وغيره والربيع يروى عن ابن مسعود وابى ايوب وروى عنه خلق كثير وكان ثقة عابدا واخرج له اصحاب الكتب الستة وتوفى سنة سبع وستين (كان يتحاكم الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى الجاهلية) وفسر الجاهلية بقوله (قبل الاسلام) لانها تطلق بهذا المعنى فى لاكثر وهذا شاهد لعدله صلى الله تعالى عليه وسلم والمراد قبل بعثته وتطلق الجاهلية كما فى النهاية على صفاتهم وان كانت فى الاسلام كقوله فى الحديث انك امرؤ فيك جاهلية وحقيقتها الاول وهذا معنى مجازى اللهم الا ان يراد بها المعنى اللغوى وهو النسبة الى الجهل مطلقا فيكون حقيقة والى هذا اشار ابن حجر فى شرح البخارى ويتحاكم بضم المثناة مجهول اى يتحاكم اليه قريش والعرب وقول الربيع هذا رواه ابن مسعود وله حكم الرفع وتحاكمهم اليه صلى الله تعالى عليه وسلم يدل على عدله وانصافه (وقال صلى الله عليه وسلم والله انى لامين فى السماء) و(امين فى الارض) يعنى انه مشهور بذلك بين الملأ الاعلى وبين اهل الارض لانه لم يتهم قط بكذب وجور فى احكامه وهذا الحديث رواه ابن ابى شيبة فى مسنده عن ابى رافع وفيه دليل على جواز مدح الانسان نفسه مؤكدا بالقسم واعادا ميما لاختلاف الامانتين (حدثنا) ابن سكرة (ابو على الصدفى الحافظ بقراءتى عليه) وقد تقدمت ترجمته وحكمه قال (حدثنا ابو الفضل ابن حيرون تقدم انه احمد بن الحسين ابن احمد بن حيرون الحافظ وابن حيرون ممنوع الصرف قال (حدثنا ابو على بن روح الحرة) تقدمت ترجمته قال (حدثنا ابو عيسى السيجى) تقدم ضبطه وترجمته قال (حدثنا ابو محمد المروزى) محمد بن احمد بن محبوب راوى جامع الترمذى كما تقدم قال (حدثنا ابو عيسى الحافظ) هو الامام الترمذى كما تقدم (قال ابو كريب) بضم الكاف وفتح الراء المهملة وياء تصغير وباء موحدة وهو الامام الحافظ محمد بن العلاء الهمدانى اخرج له الستة ووثقه النسائى وغيره توفى سنة ثمان واربعين ومائتين قال (حدثنا معاوية بن هشام) القصار الكوفى الثقة وقال ابن معين صالح وليس بذاك توفى سنة خمس وعشرين ومائة (عن سفيان) الثورى فيما يظهر الا ان المرى والدهبى لم يقيداه الى آخره (عن ابى اسحق) عمرو بن عبدالله الهمدانى السبيعى احد الاعلام (عن ناجية) بنون وجيم (بن كعب) العبرى او الاسدى

الثقة وتوقف ابن حبان في توثيقه وله ترجمة في الميزان وقال الذهبي في المعنى ما ادري لما ذا توقف فيه ابن حبان انتهى (عن علي) بن ابي طالب كرم الله وجهه ورضي الله تعالى عنه وهذا الحديث رواه الترمذي كما ذكره المصنف وانفرد باخراجه من طريقين احدهما ما ذكره المصنف والثانية عن اسحق بن منصور عن ابن مهدي عن سفيان عن ابي اسحق عن ناجية قال وهذا اصح وكذا رواه عبد العزيز بن ابي عمان (ان اباجهل) ابن هشام لعنه الله ورعون هذه الامة (قال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب ما جئت به فانزل الله) فيما قاله وهو سبب نزول هذه الآية (فانهم لا يكذبونك الآية) ولكن الظالمين بايات الله يجحدون وروى ابو ميسرة انه صلى الله عليه وسلم مر بابي جهل واصحابه فقالوا والله يا محمد ما نكذبك وانك عندنا لصادق ولكنا نكذب ما جئت به فنزلت هذه الآية وقرئ يكذبونك مخففا ومشددا وقيل معناهما واحد لانه يقال كذبته وكذبته واكذبته كحزنته واحزنته واختار ابو عبيده قراءة التخفيف وهي مروية عن علي كرم الله تعالى وجهه وقيل معنى يكذبونك بالتشديد ينسبونك الى الكذب ويردون ما قلته ومعناه بالتخفيف يجدونك كاذبا كما بحلته اذا وجدته بخيلا والمعنى على التشديد لا يكذبونك بحجة وبرهان قيل وفي كلام المصنف اشارة الى دفع التناقض في الآية فانه قال اولا انهم لا يكذبونه ثم اخبر انهم يجحدون ما جاء به من الآيات وحاصل كلامه مكذب له ويجحدون متضمن معنى يكذبون ولذا عداه باللام وهو متعد بنفسه ويدل على انهم كذبوه قوله بعده ولقد كذبت رسل من قبلك فلبس المراد بقوله لا يكذبونك نفي تكذيبه مطلقا فاما ان يقال في دفع توهم التناقض ان معنى لا يكذبونك بالتشديد لا يحكمون عليك بان سجيتك الكذب لانك موصوف بالصدق عندهم في جميع شؤنك ما عدا قولك الذي جئت به من عند الله وهو الآيات فانهم يجحدونه وهذا مراد المصنف في استشهاده بهذه الآية او يقال المراد انهم لا يكذبونك في الحقيقة ونفس الامر وفي عوسجهم اذا خلوا ولكنهم يظهرون التكذيب حسدا وبغيا او انهم لا يكذبونك اذا امعنوا النظر وتدبروا ولكنهم عموا عن نور الهداية انتهى وفي الآية كلام فصلناه في حواشي القاضي البيضاوي (وروى غيره) اي روى غير الترمذي او الصدفي في هذا الحديث زيادة وزيادة الثقة مقبولة (لا نكذبك وما اتيت فيما يكذب) اي معروف بالكذب في غيرهذا (وقيل ان الاخنس بن شريق) بن بعلة الثقفي الصحابي واسمه ابي وهو بهمزة وخاء معجمة ونون وسين بزنة افعل التفضيل وشريق بفتح السين المعجمة وكسر الراء المهملة وقاف على وزن فعيل وهو قديم الوفاة كذا قاله البرهان الحلبي وقال التلمساني انه حليف قريش قتل يوم بدر كافرا يعني به شريقا لا الاخنس وهذا الحديث رواه

ابو اسحق والبيهقي عن الزهري واخرجه ابن جرير عن السدي (لقي ابا جهل يوم بدر) وكان يوم الجمعة سنة اثنتين من الهجرة في تاسع عشر رمضان (فقال له يا ابا الحكم) بفتحتين وهذه كنيته القديمة ثم عاب عليه كنيته بابي جهل (ليس هنا غيري وغيرك يسمع كلامنا فخبرني عن محمد) جملة خبرية والمراد اخبرني عنه (صادق ام كاذب) يعني اصادق فحذفت الهمزة تخفيفا والاستفهام حقيقي او تقديري (فقال ابو جهل والله ان محمدا لصادق وما كذب محمد قط) هذا يدل على انهم لا يعتقدون كذبه (وسأل هرقل عنه) هرقل بكسر الهاء وفتح الراء وسكون القاف ويقال باسكان الراء بين كسرتين كما سيأتي وهو علم غير منصرف قال البرهان هلك على كفره وفي الاستيعاب انه صحابي قيل وهو مأول (ابا سفيان) صخر بن حرب بن امية القرشي الاموي اسلم يوم الفتح فكان من المؤلفة قلوبهم ثم حسن اسلامه وكان رئيس قريش واكثرهم مالا وتوفي سنة اربع وثلاثين وسنه ثمان وعانين في المدينة وقصة ابي سفيان مع هرقل مشهورة مروية في الصحيحين مفصلة في اول باب في البخاري وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كاتبه في سنة ست فلقيه رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمص فلما قرأ الكتاب امر مناديا ينادي الا ان قيصر قد اسلم واتبع محمدا وترك النصرانية فهاج جنده وتسلحوا فامر منادي ناديا الا ان قيصر راض بدينه وهو راض عنكم ثم قال لرسول رسول الله صلى الله عليه وسلم ابي معلوب على مملكتي وكتب الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اني مسلم ويعتذر له بدنانير فقال كذب عدو الله لانه علم انه ليس قوله عن صميم قلبه ولو سلم فداؤه بانه راض بدينه ردة فلذا قالوا ان القول باسلامه بناء على ظاهر قوله واه كيف وقد قاتل المسلمين يوم موتة وواعدهم ان يأتيهم في العام المقبل ورد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لاجله الى تبوك فلم يجئ واحدث منه البلاد وهلك سنة عشرين بالقسطنطينية على نصرانيته وقوله (فقال) اي هرقل لابي سفيان (هل تتهمونه بالكذب) اي هل وقع في قلوبكم انه صدر منه كذب في اقواله قال في الاساس وهمت الشيء اهمه وهما وتوهمته وقع في خلدي وشيء موهوم ومتوهم انتهى واما سألهم عن توهم الكذب ولم يقل هل علمتم وتحققتم لانه يعلم من انتفاء التوهم انتفاء غيره بالطريق الاولى (قيل ان قال ما قال قال لا) فقال هرقل قد عرفت انه لم يكن ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله واما لم يقل انه يكذب لئلا يأثر الناس عليه الكذب وهو عار عند العرب او يقول ما لا يقبل منه ثم قال ابو سفيان الا اخبرك عنه خبرا اكذب فيه قال ما هو قال انه زعم انه خرج في ليلة من الحرم الى مسجد ايليا ثم رجع فيها قبل الصباح وكان عنده بطريق ايليا فقال صدق اني كنت لا انام حتى اغلق ابواب المسجد فلما كانت تلك الليلة اغلقت ابوابه غير باب منها علي فاستعنت عمن حضرني فلم يمكنهم

نحركه وقالوا انه سقط عليه الساء فلما اصبحت عدوت عليه فاذا الحجر الذى فى راويته
معقوب فيه اثر ربط دابة فقلت ياحرس هذا الباب الليلة الا على قد صلى فى مسجدنا
فقال قيصر يامعشر الروم الم تعلموا ان بعد عيسى عليه الصلوة والسلام نبيا بشركم
به وكان رجوان يكون فيما فعله الله تعالى فى عيرنا وهو رجمة من الله يضعها حيث
ساء ولم يعتدوا بتصديقه حتى يكون يوما لتلبسه بما يخالفه قولا وفعلا قلت و بهذا
علم ان مربط البراق بالمسجد الاقصى صحيح وسأل اباسفيان عنه صلى الله عليه وسلم
اسئلة اخرى مذكورة فى اول البخارى (وقال النضر) بنون مفتوحة وضاد
معجمة ساكنة وراء مهملة (بن الحارث لقريش) فى حديث رواه ابن اسحق
والبيهقى عن ابن عباس والنضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بفتح الكاف بن عبد
مناف القرشى وكان شديد الاذية للمسلمين فطفر به النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم ببدر فقتله كافرا صبرا كما يأتى فرثته اخته قتيلة بابيات مشهورة اولها

* يارا كبا ان الاثيلى مظية * من صبح خامسة وانت موفق *

الخ وقيل انها مصنوعة وقتيلة بالمثناة الفوقية مصغرة اختلف فى اسلامها
وكونها صحابية (قد كان محمد فيكم علاما حدثا) بفتحتين قال
الجوهرى حدث شاب فان ذكرت السن قلت حديث السن من الحدوث
لقرب عهده بالوجود والعلام الذى لم يلتح (ارضاكم فيكم) اى اكثركم
رضا وصبرا وافعالا مرضية (واصدقكم حديثا واعظمكم امانة) منصوب
هو وماقبله على التمييز وهذه شهادة العدو فما بالك بغيره (حتى اذا رأيتم فى صدغيه
الشيب) الصدغ ما بين لحظ العين والاذن والشعر الذى فيه من اعلى العذار
وجانب الرأس كثيرا مايبدو الشيب فيه قبل غيره وكنى بذلك من انه تمت رجوليته
وكمل عقله صلى الله تعالى عليه وسلم بمجاورته سن الشباب وهذا اشد فى الانكار
عليهم (وجاءكم بما جاء كم به قلتم ساحر) اى قلتم انه ساحر فهو خبر مبتدأ مقدر
اى هو ساحر بدليل قوله (لا والله ماهو بساحر) وهذا منه غاية الانصاف واكن
غلب عليه الشقاء فقتل صبرا بالصفراء كافرا فى مصرفه صلى الله تعالى عليه وسلم
من بدر كما ذكره السبحان عن عائشة رضى الله تعالى عنها وهذا الحديث رواه
ابن اسحق والبيهقى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما والذى قال انه ساحر
الوليد بن المغيرة وسبب قول النضر المذكور ان اباجهل لما اراد ان يرضخ رأس
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بحجر فتمثل له جبريل عليه الصلوة والسلام
فى صورة فحل ففرهار باويدست يده على الحجر كما سيأتى فلما سمع ذلك النضر قال
يامعشر قريش والله قد نزل فيكم امر ما ايتم فيه بحيلة بعد قد كان فيكم محمد الى قوله
ماهو بساحر وقد رأينا السحرة نفثهم وعقدهم وقلتم انه كاهن والله ماهو بكاهن

وقد رأيا الكهنة وسمعا سجعهم وقلتم ساعر والله ما هو بشاعر وقد رأيا النعر وسمعا اصنافه هزجه ورجزه وقلتم مجنون لا والله ماهو بمجنون فما هو بخنقة ولاتخليط ولاوسوسة فاخطروا فى شانكم فانه والله قد نزل بكم امر عظيم والنضر بن الحارث كان من شياطين قريش وهو الذى جاء بقصة رستم واسفنديار وكان يجلس يحدث بها ويقول ماجاء به محمد لبس باحسن مما جئت به ان هو الا اساطير الاولين فنزل فيه * واذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين * فى آيات اخر (وفى الحديث عنه صلى الله تعالى عليه وسلم مالمست يده يد امرأة قط لاتملك رقها) وهذا من عفته صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا الحديث رواه السيحان عن عائشة رضى الله تعالى عنها وسكت عن زوجاته لان جواز مسهن معلوم وانما يحرم مس الاجنبية التى لبست محرم فيعلم ذلك من الرقيق بالطريق الاولى وقيل انه داخل فى ملك الرق لتملكه البضع وقد سمى بذلك فى قول اسماء رضى الله تعالى عنها الترويج رق المرأة فلينظر اين يضع رقها ولايافى هذا مامر من ان الامة من اماء المدينة كانت تأخذ بيده صلى الله تعالى عليه وسلم فلايدع يده من يدها حتى يقضى حاجتها لانه كان بحائل من كمه اوكمها وكلام عائشة رضى الله تعالى عنها هذا ورد فى مبايعته صلى الله تعالى عليه وسلم للنساء فان بعضهم توهم انها كمبايعة الرجال باليد من غير حائل فقالت رضى الله تعالى عنها انما كان يقول لمن هاجر من المؤمنات ماامره الله تعالى به فى قوله * ياايها النبى اذا جاءك المؤمنات يبايعنك الى قوله غفور رحيم فمن بايعهن على ذلك فقد اقر به قال قد بايعتك كلاما من غير مس لايديهن وماورد فى المبايعة من امساك ايديهن فان كان هذا من غير مصافحة فبها والا فهو بحائل لانه ورد انه صلى الله تعالى عليه وسلم اتى بثوب وضعه على يده وقال لا اصافح النساء وروى انهن كن يأخذن بيده من فوق ثوب وفى المعارى عن ابان بن صالح انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان فى المبايعة يغمس يده فى ماء فى اناء وتغمس من بايعته يدها فيه وقيل انه صلى الله تعالى عليه وسلم بايع النساء بواسطة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وكلام عائشة رضى الله تعالى عنها يقتضى انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يبايعهن الا بالكلام فلعله تعدد (وفى حديث على رضى الله تعالى عنه فى وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم اصدق الناس لهجة) رواه الترمذى فى شمائله وتقدم بيانه لعصمته صلى الله تعالى عليه وسلم عن الكذب ولوسهوا لمنافاته للابلاغ ووجوب تصديقه فى كل ما يقول كما سيأتى (وقال فى الصحيح) اى فى الحديث الصحيح اوفى صحيح البخارى لانه حيث اطلق الصحيح انصرف اليه وهذا اولى (ويحك فمن يعدل ان لم اعدل حبت وخسرت ان لم اعدل) وتقدم ضبطه على الخطاب والتكلم والكلام عليه الا ان الذى فى البخارى فى باب الادب ويلك بدل ويحك

وقد فرق بينهما يقال ويل كلمة رحر وتويخ وويح كلمة ترحم وويس مترحم دون ترحمها وهو معنى قول الاصمعي انها تصغيرها وقيل اصل ويل وى زيدت فيها اللام وقد تقدم انه صلى الله تعالى عليه وسلم قاله لمن قال له لبست قسمتك بعدل وانه اختلف في اسمه وانه عبد الله بن ذي الخويصرة التميمي اوحرقوص بن زهير الحارجي اوذوالثدية وقد مر الكلام فيه مفصلا فتذكره (قالت عائشة رضي الله تعالى عنها ماخير رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في امرين الا اختار ايسرهما مالم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس منه) اعاد المصنف هذا الحديث وقد تقدم بعينه لما فيه من عدالته صلى الله تعالى عليه وسلم وعفته فلا وجه للاعتراض عليه والامران من امور الدنيا والمخيران كان الناس فلا اشكال فيه وان كان الله وهو الظاهر والمراد بالاثم مايؤدي الى وقوع امته فيه لان الله لايخيره صلى الله تعالى عليه وسلم بين اثم وغيره كاختياره الرزق الكفاف على فتح الكنوز له ولامته فان الدنيا تشغلهم عن العبادة وتوقعهم في المهالك وقد تقدم تفصيله (قال ابو العباس المبرد) وهو محمد بن يزيد بن عبد الاكبر امام العربية وترجمته مشهورة في التواريخ وما نقله المصنف هنا عنه انما ذكره ليعلم بذلك جلالة قدره صلى الله تعالى عليه وسلم ومباينة حاله لحال اهل الدنيا وماهم عليه من اللهو فلا يرد عليه ماقيل انه لافائدة فيه (قسم كسرى ايامه) بكسر الكاف وقد تفتح وهو كما تقدم اسم لكل من ملك الفرس معرب خسرو لانه لقب كسرى ابوشروان الذي ولد في زمنه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لانه اسهرهم واعظمهم (وقال يصلح يوم الريح للنوم) والتعطي حتى يسلم من مس الريح الشديد المصدع (ويوم الغيم للصيد) الذي كان يتقيده الملوك لعدم اذية الشمس وحرها ويقال له يوم فاحتي وسيل (ويوم المطر للسراب واللهو) لقلة المصالح فيه والسلامة من الذل والنطافة من الوحول والمراد باللهو سماع الغناء ومنادمة الندماء (ويوم الشمس للحوايج) وروي يوم الصحو اي خلو الجو من المطر والغيم والمراد بالحوايج مصالح الناس وهو جمع حاجة على خلاف القياس اوجمع حايجة وانكره بعض اهل اللغة ورده الحواليقي بانه ورد في كلام الفصحاء كثيرا وفي الحديث اطلوا الحوايج بعد حسان الوجوه فلا وجه لانكاره كما فصلناه في شرح الدرة وانما اختير ذلك اليوم للحوايج لعدم المانع فيه ومما اشتهر من انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ولدت في زمن الملك العادل كسرى قد قال الحافظ السخاوي والسمعاني انه لاصل له فهو موضوع ولو صح لم يكن في وصفه بالعادل بأس كما توهم فانه كان لايجور على احد من رعيته ولايظلمهم في حقوق الدنيا فعدله بالنسبة لذلك لايافي كفره وظلمه لنفسه لجهله ومحبته للدنيا وقيل انه وصف بذلك لشهرته به ادعاء منهم لا انه شهد له بالعدالة

حقيقة وذكر قصته توطئة لقوله (قال ابن خالويه) بفتح اللام و الواو و سكون المثاة التحتية والمحدثون يضمون اللام مع سكون الواو وفتح الياء وهو الحسين بن محمد بن حالويه النحوى اللغوى الاديب الهمدانى دخل بغداد ثم انتقل للشام وصحب سيف الدولة لتأديب اولاده واخذ العربية عن ابى بكر بن الانبارى والسيرافى وتصدر للافادة وله تآليف جليلة وسعر حسن ومات بحلب سنة سبعين وثلاثمائة (ما كان اعرفهم) اى العرس الدال عليهم ذكر كسرى (بسياسة دنياهم) اى تدبير امورها لان هذا معنى السياسة لغة قال * فبينا نسوس الناس والامر امرنا * اذا نحن فيهم سوقة نتقصف * وقول ابن كمال فى رسالة التعريف انه معرب خطاء كما تقدم (يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) يعنى انهم عرفوا امر شرهم و اكلهم و حركتهم و تقيدوا بذلك وغفلوا عن المعاد ومايليق به وهذا مراده فيما اقتبسه كما قال الشاعر * ومن البلية ان ترى لك صاحبا * * فى صورة الرجل السميع المبصر * فطن لكل مصيبة فى ماله * و اذا يصاب بدينه لم يشعر * و يقرب ماقاله المفسرون نقلا عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انهم يعلمون امر معايشهم ودنياهم متى يزرعون ومتى يحصدون وكيف يعمرون ويبنون (ولكن نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم جزأ نهاره ثلاثة اجزاء) يعنى انهم قسموا ايامهم لما ذكر والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم قسم اوقاته وهو اكبر حرما لعدم ضياع جزء و وقت من عمره فيما لايعنيه وستأتى بين القسمين والمقسمين وفى نسخة لكن بدون واو (جزأ لله) اى لعبادة الله وتلقى وحيه (وجزأ لاهله) اى لمصالح اهله وبيته (وجزأ لنفسه) مخصوصا باكله وشربه ونحو ذلك من اموره الدنيوية وجزأ فى المواضع الثلاثة بحور نصبه ورفعه كذا روى (ثم جزأ جزءه بينه وبين الناس) اى جعله قسمين قسما لخاصة نفسه وقسم الخاص به قسم له فى نفسه وقسم ينظر فيه امور الناس وحوائجهم (فكان) صلى الله تعالى عليه وسلم (يستعين بالخاصة) من اصحابه وهم جلساؤه وورراؤه رضى الله تعالى عنهم ومن يقرب منهم (على العامة) من المسلمين (ويقول) للخاصة (ابلغوا حاجة من لايستطيع ابلاغى) اى احبرونى وقولوا لى مايطلبه العوام ممن لايقدر ان يبلغنى حاجته اما لعدم الجراءة على كلامه لمهابته صلى الله تعالى عليه وسلم اولعجزه عن الوصول الى ثم رغب فى ذلك بقوله (فانه من ابلغ حاجة من لايستطيع ابلاغها امنه الله يوم الفزع الاكبر) وهو يوم النفخ والحشر وحين يكون الناس كلهم فى فزع اى خوف من العذاب وقيل هو يوم النفخة او يوم الانصراف الى النار وهذا من حديث هدس اى هالة وآمنه بالمد بمعنى جعله فى امن من اهوال القيامة (وعن الحسن) ابن على رضى الله عنهما كما رواه ابو داود فى مراسيله (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

لايأخذ احدا بقرف احد) الاحد مجاز عن العقوبة من احذه السلطان اذا حبسه وحاكم اراه على ماصدر منه والقرف بفتح القاف وسكون الراء المهملة والفاء التهمة واساد الذنب لغيره وقال البرهان الحلبي يقال قرفت الرجل اى عنته واتهمته فهو مقروف وفى نسخة بقدف بدال معجمة بدل الراء وكتب عليها صح (ولا يصدق احدا على احد) اى لايحكم بصدق مقالة صدرت من احد فى حق احد غيره باسناده اليه امرا يقتضى عقوبة او حقا من الحقوق بمجرد قوله من غير اثبات لمقاله وهذا من عدله صلى الله عليه وسلم ولكن هذا ليس على عمومه فانه ربما كان المخبر ممن يعلم صدقه ويعتمد على خبره و يكتسف بنور النبوة جلية الحال له (وذكر ابو جعفر الطبرى) هو الامام محمد بن جرير الطبرى المشهور وقد تقدمت ترجمته وهذا الحديث رواه البزار الى قوله برسالته الاتى (عن على) كرم الله وجهه (عنه صلى الله عليه وسلم ماهممت بسوء) وقد تقدم هذا الحديث والكلام فيه وانما اعاده المصنف لعرض آخر وهو بيان عفته صلى الله تعالى عليه وسلم عن اللهو و ان الله عصمه عن ذلك من اول امره وقيل انما اعاده لزيادة فيه لم تذكر اولا وهى قوله غير مرتين الى آخره (مما كان اهل الجاهلية يعملون به) كما تقدم بيانه (غير مرتين كل ذلك يحول الله بينى و بين ماارید من ذلك) استعار الحائل الحاجز بين شئ وشئ للمانع كما فى قوله تعالى يحول بين المرء وقلبه قال ابو عبيد اى يملك عليه قلبه فيصرفه كيف يساء وذلك الثانى اشارة لما كان عليه اهل الجاهلية و المعنى انه عصمه صلى الله تعالى عليه وسلم عنه (ثم ماهممت بسوء) اى صرف الله قلبى عن ان يهم بسوء اى بقبيح شرعا كاللهو (حتى اكرمنى الله برسالته) اى حتى من الله على بالعصمة وحملنى بيا رسولا ثم بين ماهم به فى المرتين فقال صلى الله تعالى عليه وسلم (قلت لغلام كان يرعى معى) يعنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يرعى غنما لبعض قريش فى صغره وهكذا كان الانبياء عليهم الصلوة والسلام يرعون لغيرهم ايضا والغلام كان اجيرا ايضا يرعى معه ويرافقه فى البادية وفى هذا تحصيل كسب حلال وتدريب لرعاية الخلق كما ورد كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته مع مافيه من الانس بالوحدة والخلوة وفى الحديث مامن نبى الا رعى الغنم قيل ولا انت يارسول الله قال نعم كنت ارعاها على قراريط بمكة وقيل حكمته ان الغنم جاهلة فصعبة السياسة فكان ذلك ليأنس بسياسة الخلق والقراريط جمع قيراط وهو سدس درهم و قيل انه اسم جبل بمكة وانكروه لانه لم يسمع به غيره وفى الحديث ستفتح عليكم مصر فاستوصوا باهلها خيرا الحديث والقيراط فيه قيل انه بهذا المعنى وقيل انه نساب بينهم وقيل غير ذلك وعدى انه بمعنى مقدار الارض المعروف بينهم فى المساحة لانه مخصوص بها واما غيره فلا اختصاص له بها وفى هذا معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم لاخباره بالغيب وقوله (لو انصرت لى

عنى) اى لوحرستها وحفظتها لان الصبر والطير يستعار لذلك (حتى ادخل مكة فاسمر بها) سمر يسمر كقتل يقتل والسمرا لتحدث بالليل واصل معناه ضوء القمر بين السمرة وهي السواد لقلبل فسمى به حديث سمر ليلا لجلوسهم له فيه قال * كان لم يكن بين الحجون الى الصفاء * انيس ولم يسمر بمكة سامر (كما يسمر الشاب) والشاب بعنج الشين مصدر شب بمعنى صار شابا واسم جمعه كالعقوده الشاب حديث السن كالفتى (فخرجت) من البادية التى فيها الغنم (حتى حئت اول دار من مكة) غاية لمجيئه من المرعى (سمعت فيها عرضا) بعين مهملة وراى معجمة وهاء بزنة ضرب وهو مايلهى به الانسان وفى مختصر العين العرف اللعب بالمعرف وهي الملاهي . واحدها عزفى على خلاف القياس او معزف والمعزف الطنبور او الدف وقيل كل لعب عرف (بالدفوف) جمع دف بضم اوله اوفتحه وتشديد الفاء وهو الذى يضرب به النساء وهو معروف ويسمى عند العامة دراحا وطارا وفيه شبه الخلاجل قال

* كان فى الدف الذى يفصله * رما ردف تتعير حلحله *

واختلف فيه فحوره بعض الشافعية وكرهه مالك (والزمار يلعرس بعضهم فجلست انظر) مايلعبون به والذين يلعبون (فضرب على اذنى فمت) بكسر الميم واذن بضمتين وضم فسكون تخفيفا وضرب الله على اذنه ان يغشاه النوم واصله من السمع لان من نام لا يسمع وهو مستعار من ضرب الخيمة العظيمة المعطية لمن تحتها فكان اذانهم تحت غطاء محجوبة عن السمع قال الراعب ضربت عليهم الذلة التحفتهم التحاف الخيمة لمن ضربت عليه ومنه استعير فضربنا على اذانهم فى الكهف وفيه لطف هنا لانه ذهب ليسمع ضرب الدف فضرب على اذنه صيانة من الله له صلى الله عليه وسلم (مما يقطى الانس السمس) اى مس حرها فكانها مسته حتى حرقته وحبسته حتى نبهته ففيه استعارة ولطف كما فى قول ابن المعتز

* والريح تجذب اطراف الغصون كما * افضى الشعيق الى تنبيه وسنان *

وكما قيل * نمت تحت اذيال النسيم حتى * القت عليّ الشمس رداءها *

(فرجعت) من المكان الذى ضرب فيه الدفوف (ولم اقض شيئا) من قضى وطره اذا كان مايريده يعنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم جلس قبل تعاطيهم اللهو فعلمه النوم حتى لم يسمع شيئا من ذلك لعصمة الله له صلى الله تعالى عليه وسلم ومجرد همه بذلك وارادته لا حرج فيه والفاء شاهدة بعدم سماعه على انه لم يكن حرم عليه شيء من ذلك وكره محرما فى شرح من قبلنا اوهو صلى الله تعالى عليه وسلم شرع به غير مسلم (واعلم ان المعازف حرام فى ملتنا للنهى عنها فى الاحاديث المشهورة كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ليكونن فى امتى اقوام يستحلون الخمر والمعازف واختلف فى بعضها فمنهم من حوز الدف فى العرس ومنهم من حوز ضرب

لسلية الاحران كما لماوردى وكان الاستاذ الشيخ محمد الكرى رحمه الله تعالى
ونعما به يقول عطروا مجلسا بالعود الماوردى لكنه قول ضعيف وفى منظومة
الدميرى رحمه الله تعالى

* ونعمات العود فى الاحيان * قالوا تزيل اثر الاحران *
*فاحرم على التحريم اى حزم * والحزم ان لاتتبع اى حزم*
* فقدا يحت عنده الاوتار * والعود والطنبور والمزمار*

(م عراقى) اى طرا على وعرض لى وعشبى (مرة اخرى) فى وقت آخر (مثل
ذلك) من الهم بالسماع والذهاب له (ثم لم اهم) قال السمى هو بضم الهاء وعليه
اقتصر الجوهرى رحمه الله تعالى (بعد ذلك سوء) اى عافيه اسم فسماه سوء لانه
يكرهه ويؤلمه *فصل واما وقاره صلى الله عليه وسلم* اى سكونه وطمأنينته
ورزانته يقال وقر يقر وقرا ووقارا وفسروه هنا بالحلم وهو غير مناسب هنا كما
لا يخفى ويجئ الوقار بمعنى العظمة كما فى قوله مالكم لاترجون لله وقارا *واصله من
الوقر وهو الثقل (وصمته) اى سكوته وهو من الوقار (وتؤدته) بضم التاء الفوقية
وفتح الهمزة والدال المهملة وهى التأنى يقال اتأد فى فعله اذا اتأنى ولم يعجل وتاؤه
مبدلة عن واو (وحسن هديه) بورن صرد بمعنى سيرته وطريقته وسيرته وسلوكه
(وحدثنا ابو على الجيانى) بالجيم وتقدم ضبطه وترجمته (الحافظ احارة) قال ابن
فارس فى مجمله وهى من حوار الماء الذى تسقاه المشية يقال منه استحرت فلانا
فاحارنى اذا سقاك الماء لا رصك وما سيك قال القطامى وقالوا فلان قيم الماء
فاستحر عادة ان المستحير على قتر اى على ناحية وحزت الموضع سرت فيه واحرته
حلقته وقطعته واحرته بعدته قال امرئ القيس

* ولما احرنا ساحة الحى وانتحى * ساطى حتت دى قعار عقنقل *

وقوله حتى يقال احيروا آل ضوء فانما يمدحهم بانهم مجيرون الحاح انتهى قال ابن
الصلاح قلت فللمجير على هذا ان يقول احرت فلانا مسموعاتى اومروياتى فيعديه
بغير حرف جر من غير حاجة الى ذكر الرواية اونحو ذلك ويحتاج الى ذلك من يجعل
الاحارة بمعنى البيع والاذن والاباحة وذلك هو المعروف فيقول احرت لفلان
رواية مسموعاتى مثلا ومن يقول منهم احرت له مسموعاتى فعلى سبيل الحذف
الذى لايخفى نظيره انتهى (اقول اعلم ان اصل الاجارة فى كلام العرب قديما
كما ذكره اهل اللغة الاذن فى الانصراف ولما كان من يأخذ عن شيخه ينصرف
عنه اخذت منه كما يقتضيه الاستعمال وكلام اهل اللغة قاطبة لانها من مجاز المكان
اذ تجاوره ومر عليه ثم عدى بالهمزة للمفعول الثانى وقد يقتصر على احد مفعوليه
لانه من باب كسا ومعنى احاره اذن له فى الجوار والمرور ثم استعمل فى مطلق الاذن

وشاع حتى صار حقيقة فيه بمعنى اجازة الشيخ اذنه فى الرواية عنه وهذه لفظة قديمة كما سمعته وكذا الجائزة بمعنى العطية ليست محدثة كما قاله الحافظ ابن حجر الا انه يحتمل انها من هذا لان المعطى كانه يأذن لمن اعطاه فى الانصراف عنه ولا تختص بالماء كما يوهمه كلام المحمل المتقدم وهو الذى عزاه الصلاح فقوله مأخوذة من جواز الماء لا وجه له بل من اجازه اذا جعله جائزا ثم نقل لمعنى اذنه وكذا قوله وقد تبين انه تجوز به عن معنى لفظ آخر وما بينهما مخالفة فى التعدية فتجوز حمله على حقيقته وعلى مجازه فلك حينئذ ان تعديه لمفعولين ولك ان تعديه لواحد بحرف وبدونه فتحمل على اذن واجاز من غير تكلف (وعارضت بكتابه) اى قابلت نسختى بنسخته حال القراءة لانه يقال عارضه اذا قابله والكلام على هذا مبنى فى مصطلح الحديث فالمعنى انه حدثه به قراءة منه وهو مقابل له وفى يده كتابه (قال حدثنا ابو العباس الدلائى) بكسر الدال المهملة مشددة وتخفيف اللام المفتوحة ثم الف ممدودة وياء مشددة نسبة الى دلاء جمع دلو وقال البرهان الحلبى ان لامه مشددة وو وحد فى بعض النسخ مضموم الهمزة والظاهر انها مكسورة بعدها ياء نسبة انتهى والظاهر انه مفتوح الدال وهو صانع الدلو وهو ابو العباس احمد بن ادريس العدرى المعروف بابن الدلاء من مدينة يابسة قال (اخبرنا ابو در الهروى) تقدمت ترجمته وهو عبد الله بن احمد بن محمد الهروى قال (اخبرنا ابو عبد الله الوراق) ابو الحسن عبد الله بن محمد بن على الابطالى المعروف بابن العورا الوراق قال (حدثنا الولوى) ابو على محمد بن احمد بن عمرو المشهور برواية السنن عن ابى داود قال (حدثنا ابو داود) سليمان بن اشعث صاحب السنن الامام الحافظ المشهور قال (حدثنا عبد الرحمن بن سلام) بفتح السين المهملة وتشديد اللام وهو جد عبد الرحمن نسب اليه وابوه محمد بن سلام البغدادى الثقة روى عنه ابو داود والنسائى وقال لا بأس به (قال حدثنا حجاج بن محمد بن عبد الرحمن بن ابى الزناد) هو الاعور المصيصى الحافظ الثقة احرج له اصحاب السنن الاربعة قال ابن حزم توفى سنة اربع وستين ومائة (عن عمر بن عبد العزيز بن وهب) ويقال اهب الهمزة وهو بدل قياسى وهو انصارى مولى لزيد بن ثابت وهو يروى عن حارجة واحرج له ابو داود فى المراسيل هذا الحديث وقال الذهبى لا يعرف من هذا كما فى الميزان (سمعت حارجة بن زيد) هو حارجة بن زيد بن ثابت الانصارى المدنى التابعى احد فقهاء المدينة السبعة وهم سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير والقاسم بن محمد وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وحارجة ابن زيد وسليمان ابن يسار وفى السابع اقوال فقيل هو سالم بن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهم وقيل ابو سلمة ابن عبد الرحمن وقيل ابو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث ابن هشام ثم ان الفقهاء بالمدينة وان كانوا كثيرا فانما حصر هؤلاء لاجماع الناس على رأيهم

وانتهائهم لفتواهم لمعرفتهم بالفضل والصلاح حتى كان لا يقضى فى امر حتى يرفع اليهم وكان الناس يتبركون بهم حتى قيل ان اسماءهم اذا علقت على محموم برئ واذا وضعت فى الرمل لم يدخله سوس ولم يفسد وقد نصمهم القائل فى قوله

* الا كل من لا يقتدى باءمة * فقسمته ضيزى عن الحق خارجه *
* فخذهم عبيد الله عروة قاسم * سعيد ابو بكر سليمان خارجه *

وهذا الحديث من مراسيل ابى داود (يقول كان النبى صلى الله عليه وسلم اوقر الناس فى مجلسه) اى اعظمهم وقارا ذا بر للناس وجالس معهم بخلاف ما اذا جلا مع اهله او مع خاصته ينبسط معهم ويلاطفهم يعنى ان هذا كان عادته ودأبه صلى الله عليه وسلم بحيث لا يصدر عنه خلافه وكان وان كانت بحسب الاصل فعلا ما ضيا لكنها قد تستعمل للاستمرار نحو وكان الله غفورا رحيما وللتكرار نحو كان حاتم يقرئ الضيف لقرينة وهو استعمال سايغ ولكثرته عده بعض الاصوليين معنى لها وان لم يحققه احد كابن حى فى كتاب الحصايص فان اردته فانظره (لا يكاد يخرج شئ من اطرافه) اى اطراف بدنه كرجليه ولا يكاد يخرج فيه مبالغة اى لا يخرج ولا يقرب من الخروج ولذا عدل عن لا يخرج وهو احصر ويخرج بفتح اوله مضارع خرج يخرج كقتل يقتل وشئ فاعله او بضمه مضارع اخرج وشيئا مفعول الا ان حل السبك على الاول (وروى ابو سعيد الخدرى) هو سعد بن مالك بن سنان الخدرى رضى الله تعالى عنه وقد تقدم (كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا جلس فى المجلس احتبى بيديه وكذلك كان اكثر جلوسه صلى الله تعالى عليه وسلم محتبيا) وفى رواية بثوبه بدل بيديه والاحتباء بالحاء المهملة ان يجمع ظهره وساقيه بيديه او عمامته ونحوه والحبوة بضم وكسرها ويقال حبية وحبية ايضا ويقال الاحتباء حيطان العرب لانهم اهل برارى لا حيطان لهم يستندون اليها فالاحتباء قائم مقامها وليس هذا معارضا لما ورد فى الحديث من انه صلى الله تعالى عليه وسلم نهى عن الاحتباء فى ثوب واحد اذ النهى فيه لم يرد عن الاحتباء وانما ورد عن كونه فى ثوب واحد لانه ربما تحرك فيزول الثوب وتنكشف عورته واما قوله * واذا احتى قربوسه بعناله * علك السكيم الى انصراف الزئر * فاستعارة ونهى عن الاحتباء يوم الجمعة والخطب يخطب لانه يؤدى الى النوم وهذا الحديث رواه ابو داود والترمذى فى شمائله (وعن جابر بن سمرة رضى الله عنه) رواه مسلم وابو داود (انه) صلى الله عليه وسلم (تربع) اى جلس متربعا وهو ان يقعد الرجل على وركيه ويمد ركبته اليمنى الى جانب يمينه وقدمه اليمنى الى جانب يساره ويمد ركبته اليسرى الى جانب يساره وقدمه اليسرى الى جانب يمينه وهذا فى غير الصلاة كما

فى الحديث كان صلى الله تعالى عليه وسلم اذا صلى الفجر جلس متربعا حتى تطلع الشمس وهو فى الصلاة كما صرح به الفقهاء واما حارحها فلا يكره وقيل انه سنة وقول بعض فقهائنا انها جلسة الحابرة مع فعله صلى الله تعالى عليه وسلم لها فيه نظر (وربما جلس القرفصاء) بضم القاف والفاء ويجوز كسرهما ويمد ويقصر وهو جلوس على اليتيه كجلوس المحتبى بيديه من غير احتباء كما يدل عليه ما بعده وقال الفراء اذا ضممت مددت واذا كسرت قصرت (وهو) اى جلوسه صلى الله تعالى عليه وسلم القرفصاء ورد (فى حديث قيلة) بفتح القاف وسكون المثناة التحتية ولام وهى بنت مخرمة العنبرية كما فى المقتفى وقال السمنى العدوية وقيل العزية وهو الصحيح وفى حديثها انها رأت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى المسجد وهو قاعد القرفصاء وفى رواية فلما رأت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المتخشع فى الجلسة ارعدت من الفرق وليس هذا فى رواية الترمذى ومسلم التى ذكرها المصنف وفى كلامه اشارة الى انه زيادة عليها والمتخشع ان كان صفة فالرؤية بصرية وان كان مفعولا ثانيا فهى علمية ورعدتها من مهابته صلى الله تعالى عليه وسلم لا من تجسمه (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم كثير السكوت لا يتكلم فى غير حاجة) تدعوه للكلام ولم يكن يسرد الحديث كسردكم ليفهم عنه وهذا مروى عن عائشة رضى الله تعالى عنها (يعرض عمن تكلم بغير جميل) لارضاه فيعلم باعراضه عنه انه غير مرضى له صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا من وقاره ايضا وليس المراد به ان يكون حراما كما قيل لانه صلى الله تعالى عليه وسلم لا يقر على مثله (وكان ضحكه تبسما) بدون قهقهة لسنة وقاره صلى الله تعالى عليه وسلم والضحك انبساط الوجه حتى يظهر منه السرور وبدو الثنايا فقط واما ما ورد من انه صلى الله تعالى عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه فمحمول على المبالغة لزيادته فيه على ما عهد منه او هو نادر لا يعتد به (وكلامه فصلا) بفاء وصاد مهملة اى فاصل بين الحق والباطل او مفصل لتمهله فيه قال تعالى انه لقول فصل وما هو بالهزل (لا فضول) مصدر اى لا زيادة فيه وقيل انه فى الاصل جمع فصل بمعنى الزيادة فخص بما ذكر ولذا قيل فى النسبة له فضولى ويبنى للجمع (ولا تقصير) فيه حتى يخل بفهم السامع (وكان ضحك اصحابه عنده) صلى الله تعالى عليه وسلم (التبسم توقيرا له واقتداء به) لتخلقهم باخلاقه وتأدبهم بادابه (مجلسه مجلس حلم) بكسر الحاء وسكون اللام وفى نسخة حكم بضمها مع الكاف (وحياء) منه ومن اصحابه (وخير) لاحسانه ولطفه وتعليمه (وامانة) بأمن المتكلمين فيه على اسرارهم فلا ينقل منه ما لا يحسن افشاءه كما ورد فى الحديث المجالس بالامانة (لا ترفع فيه) اى فى مجلسه (الاصوات) لادبهم وتوقيرهم له وكان ذلك محرما عليهم لقوله تعالى * يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى *

و اما كونه وقع مثله بحضرته فى قصة الافك فامر لا يعتد به (ولا تؤبن فيه الحرم) بضم المثناة الفوقيه وهمزة ساكنة وتبدل واوا وتؤبن من آبه يأبنه اذا عابه ورماه بقبيح اصله الابنة وجمعها ابن وهى العقدة فى القسى تفسدها وتعاب بها ووقع فى بعض الحواشى توءر براء بدل الون وفسره بما ذكر على انه مأخوذ من المأرة التى واحدتها ميرة اومن ابرته العقرب اذا لدغته بارتها وهى آخر عقد ذنبها وهو تصحيف كابه وحده فى بعض النسخ فاتبعه والمذكور فى كتب اللغة كالنهاية والجوهرى وغيرهما هو الاول وصرح ابن فارس فى المجمل بان الحديث مروى هكذا والحرم جمع حرمة وهى كل ما يحرم هتكه واما استعماله بمعنى المرأة وعامية وان كان لها وجه وقيل انها صحيحة مراد به هنا النساء لانه ورد فى الحديث نهيه صلى الله تعالى عليه وسلم عن شعر تؤبن فيه النساء وفى حديث الافك * اشيروا علىّ فى اناس آبوا اهلى * انتهى يعنى انه محفوظ من الرفث واعوا لقول فهو من وقاره ايضا لقوله (اذا تكلم اطرقوا جلساؤه) اى طأطؤا رؤسهم توقيرا له صلى الله تعالى عليه وسلم منصتين لكلامه (كانما على رؤسهم الطير) وصفهم بالسكوت وعدم الحركة والطيش لان الطير لاتكاد تقع الا على شئ ساكن ولك ان تقول انه شبههم بعصون معروسة فى رياض محلسه كما قال فى البردة * كانهم فى ظهور الخيل بيت ربا * من سدة الحزم لا من سدة الحزم * وقلت فى المقصورة * كانما الطير على رؤسهم * من كل عصن فى ربا المحدعا * والطير جمع اوا سم جمع لطائر وهو معروف (وفى صفته صلى الله تعالى عليه وسلم) فى مشيه وهو خبر مقدم وقوله (يخطو تكفأ) مبتدأ لانه اريد به لفظه فهو كقوله لاحول ولاقوة الا بالله كبر من كسور الحكة اى قيل فى وصفه هذا ويخطو مضارع خطا المعتل اذا مد رجله ومشا والخطوة بالضم ما بين القدمين وبالفتح المرة وتكفأ بفتح المساة والكاف وفاء مضمومة مسددة بعدها همزة مصدر كتقدم تقدما بمعنى مال الى قدام والاصل فيه الهمز وبه روى فان اعتل كسرت الفاء وكان بالياء كتسمى تسميا وقال سمر معناه مال يمينا وشمالا كسى المحتال والصواب تفسيره بمال الى جهة ممشاه كما يدل عليه قوله كانما يحط من صبب اى من علو لا تمايل فانه غير مناسب وقد ورد فى حديث ابن ابى هالة انه صلى الله تعالى عليه وسلم ذريع المشية اذا مشى متى نقلعا اى يرتفع عن الارض بحملته وروى قلعا بفتح القاف وكسر اللام وهو ادل على التثبت والشجاعة وهكذا كان اولو العزم عليهم الصلوة والسلام (ويمتى هونا) بفتح الهاء وسكون الواو اى برفق ولين من غير تمايل مع التزفق والتثبت قال الله تعالى * يمشون على الارض هونا * قال مجاهد بالسكينة والوقار (كانما يحط من صبب) بفتحتين اى ينزل من صبب وهو الموضع المنحدر وفى رواية كانما هو من صبب

بالضم والفتح وهو مايصب من ماء ونحوه اى لم يكن صلى الله تعالى عليه وسلم يستعجل واما قول ابى هريرة رضى الله تعالى عنه مارأيت احدا اسرع من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كأنما نحهد الارض وهو غير مكترث فانما هو لسعة خطوته صلى الله تعالى عليه وسلم حتى لا يلحق مع تئدته وتمهله (وفى الحديث الآخر اذا مشى مشى مجتمعا) اى يقل اعضاءه كلها دفعة واحدة من غير تحريك رأسه الشريف وبدنه فهو صلى الله عليه وسلم فى مشيه قوى غير مسترخ (يعرف فى مشيته) بكسر الميم وفتحها (انه غير عرض) بفتح العين المعجمة وكسر الراء المهملة والصاد المعجمة اى غير قلق ولا ضجر ولا ملل (ولا وكل) بفتحتين وهو البليد والجبان والعاجز الذى يكل امره لغيره وحكى سمر فيه كسر الكاف كما قاله التلمسانى والدلجى وهو اسب هنا لمواريته لما قبله وفسره بكسلان وقوله (اى غير ضجر ولا كسلان) يعنيه فان ظاهره انه تفسير لما قبله على اللف والنشر المرتب وضجر كحذر من الضجر وهو القلق والكسلان من الكسل وهو الفتور وعدم انبساط من العم ويكون بمعنى سوء الخلق ويكون عرض بمعنى ساق كقوله * اذا صحرت الى تناصف وجهها * * عرض المحب الى الحبيب العائب * وليس مرادهنا (وقال عبد الله بن مسعود) رضى الله تعالى عنه رواه البخارى واصحاب السنن (ان احسن الهدى هدى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) والهدى بدال مهملة يورن الرمى السمت والسيرة والطريقة والحالة التى تكون عليها وهذا الحديث وان كان موقوفا على ابن مسعود فله حكم المرفوع وكذا سائر الاحاديث المتعلقة بالشمائل فان مثلها لا يقال من قبل الراوى وقد روى مرفوعا ايضا وكان ابن مسعود رضى الله تعالى عنه اسمه الناس هديا بهدى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكذا عمرو ابنه رضى الله تعالى عنهما فلما كان الصحابة رضى الله تعالى عنهم يتنسهون به فى هديهم وبقية الحديث وشر الامور محدثاتها وهو حديث طويل قال ابن قرقول وروى بضم الهاء وفتح الدال ضد الضلال (وعن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما) اخرجه ابو داود والامام احمد فى الزهد (كان فى كلام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ترتيل او ترسيل) كذا فى النسخ باو اشارة الى انه روى بكل منهما على حدة وفى المصابيح بالواو لتقارب معناه فالعطف تفسيرى فلا منافاة بينهما كما قيل اى بين الكلام من غير عجلة وعموض حتى يسبق فهم السامع اليه وقيل الترتيل التبيين والترسل التؤدة فالترتيل من قولهم ثغر مرتل وهو المفلج كالاقحوان (قال ابن ابى هالة) المتقدم ترجمته (كان سكوته) صلى الله تعالى عليه وسلم (على اربع) اى يقع على اربع خصال فيه (على الحلم) اى يسكت تارة لحلمه على من تكلم عنده عما يقتضى المؤاخذة (والحذر) اى الاحتراس من كلام رما ادى لامر يحسى منه

(و التقدير) اى يقدر صلى الله تعالى عليه وسلم فى نفسه و سكوته مايليق به و بغيره (والتفكر) فى مصنوعات الله ونحو ذلك (قالت عائشة رضى الله تعالى عنها) كما رواه الشيخان عنها (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحدث حديثا لو عده العاد احصاه) اى لو اراد عده عده بسهولة اولو عده حصره بحيث لايفوته منه شئ لقلته وتثبته وعدم سرعته فيه (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يحب الطيب و الرايحة الحسنة) الطيب كل مايتطيب به من بخور ومسك و زعفران ونحوه و الرايحة الحسنة تشمل رايحة غيره كالريحان و سائر الزهور العطرة ولذا كان صلى الله تعالى عليه وسلم لايرد هديتها (و يستعملهما كثيرا) فى اكثر اوقاته لملاقاته الملك فانها تقوى الحواس و الملائكة عليهم الصلاة و السلام تحبها وتكره الرايحة الخبيثة بعكس الشياطين (و يحض عليهما) بضمير التثنية للطيب والرايحة وفى نسخة عليها فالضمير لها لانها المقصود من الطيب لانها اعم كما قيل لتعايرهما اى كان صلى الله تعالى عليه وسلم يحب الناس و يحرصهم على استعمال ذلك لما لهم فيه من العوائد و لحضور الملائكة المحفظة والكتبة عندهم ولملاقاتهم له بمايحبه ومن مروة الانسان نظافته و طيب رايحته (و يقول حبب الى من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عينى فى الصلاة) وقد تقدم هذا الحديث وان لفظ ثلاث الموجودة فى التفاسير كالاحياء والكشاف غير ثابتة عن اكثر المحدثين ومافى عطف جعلت فان محبة النساء من هدى الانبياء عليهم السلام كداود وسليمان وكان فيه صلى الله تعالى عليه وسلم من قوة الجماع مالبس فى غيره وقال فضلت على الناس باربع بالسماحة و الشجاعة وقوة الجماع و شدة البطش وكان فيه صلى الله تعالى عليه و سلم قوة اربعين رجلا من رجال الجنة وكل رجل منهم فيه قوة مائة رجل من اهل الدنيا وهذا مع قلة اكله وشربه صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا الحديث اخرجه اصحاب الكتب الستة وكان اكثر طيبه صلى الله تعالى عليه وسلم الذريرة وهو طيب يجئ من الهند معروف مركب وتقدم انه انما قال حبب النساء للمجهول لان تلك المحبة جعلها الله فيه طبيعة لاشهوانية وعلى تسليم رواية ثلاث اما ان يكون اكتفى باثنين منها وحذف الثالث لتذهب نفس السامع كل مذهب والعرب تفعله كقوله * كانت حنيفة ثلاثا فثلثهم * من العبيد وثلث من موالينا * او الثالث الصلاة و قرة عينه صلى الله تعالى عليه و سلم فيها و جعلها من الدنيا لوقوعها فيها ويكون تعبيره العبارة اشارة لتعايرتهما فاقتصارها وانها ليست من حبها ووقع فى بعض النسخ هما زيادة لفظ ثلاث بعد قوله من دنياكم ومر الكلام فيها وانها ليست ثابتة وان ابتها الزمخشرى والغزالى فى الاحياء وكذا المصنف رحمه الله تعالى تبعالهم وقد افرد بها هذا الحديث بتعليقة مستقلة والحديث رواه ايضا النسائى

فى سننه وفى روايته له بلفظ حبب الى من الدنيا النساء والطيب وجعلت قرة عينى فى الصلاة ومن هذا الوجه اخرجه احمد وابو يعلى فى مسنديهما وابو عوانة فى مستخرجه على الصحيح والطبرانى والبيهقى وآخرون كالحاكم فى مستدركه بسند جيد بدون لفظ وجعلت وقال صحيح على شرط مسلم واخرجه ابن عدى فى كامله وقال العقيلى انه صعيف (ومن مروته صلى الله تعالى عليه وسلم نهيه عن القمح فى الطعام والسراب) المروة من المرء وهو الانسان فهى بمعنى الانسانية ومعناها التلبس بما يليق بالرجال وترك مايخل به فارتكاب مايكرهه الصاحب مخل بالمروة والقمح فيما ذكر اما للتبريد او راحة قذر على وجهه وقد يخرج معه ريق المرء فيكره تناوله او يكون النفس متعيرا فيؤثر فيه ولو توهما والعرض منه يحصل بالصبر واماطة ماعليه باراقة وحلال ونحوه ولذا نهى عن التنفس فى الاناء حال الشرب واما ماورد من انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يتنفس اذا شرب مرتين ونحوه فلبس معناه ذلك بل انه يقطع الشرب ويبعد الاناء ويتنفس خارجه فانه يستحب عدم التنفس والقطع فى الشرب وقد ورد ان القمح فى الطعام يذهب البركة منه كما ورد ابردوا بالطعام فان الحار لا بركة فيه وفى لفظ عيردى بركة وليس المراد ما اراده نفخه حتى يبرد بل اكله باردا ان يصبر عليه حتى يبرد فلا مساغاة بينهما كما توهم وقلة بركته لانه لا يلتذ عضعه وبلعه او ان لذة حرارته يهضم سريعا فلا يشبع غيره (و) من مروته صلى الله عليه وسلم (الامر بالاكل مما يليه) كل احد من الطعام لحديث عمر بن ابى سلمة ربيب رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كنت غلاما فى حجر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كانت يدى تطيش فى الصحفة وقال لى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك اى لا من الوسط ولا مما يلى غيره فهذا امر منه صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك وورد مثله فى احاديث اخر وقال ايضا تنزل البركة فى وسط الطعام فكلوا من حافته ومن حاشيته وهذا امر ندب وذهب بعض الشافعية الى انه للوجوب وقال الشيخ تاج الدين السبكى من الفوائد الفقهية فى هذه المسئلة التى لا تكاد تعرف ان الشافعى رضى الله تعالى عنه نص فى الام فى الجزء السادس عشر فى باب صفة النهى عن اكل الانسان مما يليه واجب ولو لم يفعله اثم ان كان عالما بالنهى انتهى ولعله اذا علم عدم رضاء صاحبه وجلبسه بذلك قيل وهذا اذا لم يكن الاكل من ذلك بقصد الترك بمس يده وعليه حمل ما فى حديث الذباب انه صلى الله تعالى عليه وسلم جعل يتبعها وهو ايضا فى غير الفاكهة فان له الاكل والاخذ منها من اى جانب قال بعض المدققين واليه الاشارة بقوله وفاكهة مما يتخيرون وفيه لطف خفى (والامر بالسواك) امر ندب وسدد بعض الشافعية فاوجبه للصلاة والسواك اسم للعود الذى يستاك به وللفعل وهو الاستياك

والمراد الثانى او الاول بتقدير مضاف اى استعمال السواك وعده من المروة لما فيه من الطاعة وطيب رايحة الفم (واقتاء) بكسر الهمزة وسكون الواو وقاف بعدها مدة من اقتاه اذا تبعه كستقاه (البراجم) بباء موحدة وراء مهملة والف وجيم وميم جمع برجم او برجمة بضم الباء والجيم وهى مفاصل الاصابع التى بينها والسلاميات من ظهر الكف التى ترتفع اذا قبض الانسان كفه فهى المفاصل الظاهرة والبراجم الباطنة وقيل هى مفاصل الكف كلها والاباجع جمع اسجع وهى اصول الاصابع المتصلة بالكف (والرواجب) براء مهملة وواو والف وجيم وباء موحدة جمع راجبة على القياس وقيل جمع رجبة بضم فسكون على خلافه وهى المفاصل التى تلى الانامل وقيل هى مفاصل اصول الاصابع وقيل قصب الاصابع وقيل السلاميات وقيل ما بين البراجم والسلاميات وقيل ظهور السلاميات وقيل مفاصل الاصابع وواحد السلاميات سلامى بضم السين وفتح الميم مقصورة وتفصيله فى كتاب خلق الانسان وحزم البرهان الحلبى بان البراجم العقد المتشنجة فى ظهور الاصابع وهى مفاصلها ونقل عن ابى عبيد ان البراجم والرواجب جميعا مفاصل الاصابع كلها وهى اللايق بكلام المصنف فيدل عليه لا على ما فى الصحاح من ان البراجم مفاصل الاصابع التى بين الاباجع والرواجب وهى رؤس السلاميات من ظهر الكف اذا قبض القابض كفه تسرت وارتفعت والراجبة فى الاصابع واحدة الرواجب وهى المفاصل التى تلى الانامل ثم البراجم ثم الاباجع التى تلى الكف انتهى لئلا تكون المفاصل التى تكون الكف حارجة اذ هى على ما فيه عبرهما وعند ابى عبيد داخلة فيهما مع ان الظاهر انها تبقى كما تبقى التى بين الانامل والتى بينهما كما قيل (واستعمال خصال الفطرة) الخمس فيما رواه السبعان الختان والاستحداد اى حلق العانة بالحديد وقص الشارب وتقليم الاظفار ونتف الابط وزاد مسلم رحمه الله تعالى المضمضة واعفاء اللحية والاستنجاء وابو داود الاستنشاق وزاد غيره عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فرق الرأس كما تقدم تفصيله المغنى عن اعادته والفطرة بكسر الفاء معناها الخلقة كما قال تعالى فطرة الله التى فطر الناس عليها والمراد السنة التى امر بها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما مر ﴿ فصل ﴾ (واما زهده صلى الله تعالى عليه وسلم فى الدنيا) الزهد معناه ترك الدنيا ولذاتها رغبة فيما عند الله وهو ثلاثة اقسام ترك الحرام وهو زهد العوام وترك فضول الحلال وهو زهد الخواص وترك كل ما يشغل عن الله وهو زهد العارفين واما من لم يرض وصف اولياء الله به فضلا عن انبيائه عليهم الصلوة والسلام لان الدنيا لا تساوى عند المتخلقين باخلاق الله جناح بعوضة وما يالى اعظم ملوكها بعض منها بل اقل قليل من اقيها وعنده معنى الزهد ترك ما يرغب نفسه فيه فى لا رغبة له فى شئ منها

لايسمى زاهدا وغيره يعرفه بترك الدنيا مطلقا او بترك ما من شانه ان يرغب فيه والى هذا اشار العراقى فى الاحياء فى وصفه باعلى طبقات الزهد نظرا الى الاول وخنح الى انه من مقامات المكاملين وله منه الحظ الاوفر ومن نفاه عنه ولا يرضى وصفه به نظرا الى الثانى واما طلبه صلى الله تعالى عليه وسلم للدنيا الضرورية فى المعاش فلبس لرغبته فيها بل لدفع ضعف بدنه المانع عن اداء حق العبودية فلا ينافى فى الزهد ايضا واليه يشير صاحب البردة بقوله * واكدت زهده فيها ضرورته * ان الضرورة لاتعدو على العصم * ومن شرط الزهد ايضا القدرة وقال ابن المبارك لما قيل له يا زاهد الزاهد عمر بن عبد العزيز اذ حاءته الدنيا راغمة فتركها (فائدة قال ابو يزيد البسطامى قدس سره بفتح الباء قد مر علينا شاب من بلخ حاجا فقال لى ما علامة الزهد عندكم فقلت له اذا فقدنا صبرنا واذا وجدنا شكرنا فقال هذه حالة الكلاب عندنا بلخ قلت فما الزهد عندكم قال اذا فقدنا شكرنا واذا وجدنا آثرنا (فقد تقدم من الاخبار) التى فى صفاته فى اول الباب (فى اثناء) اى فى خلاله وما بينه جمع ثنا مقصور كما قاله ابن هشام اللخمى فى شرح المقصورة ومعناه ما اتى ودخل بعضه فى بعض (هذه السيرة) اى هذا الكتاب المتضمن لسيرته وطريقته صلى الله عليه وسلم او المراد سيرة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وصفاته (مايكفى) طالب سيرته ويغنى عن اعادته ها (وحسبك من تقلله) اى يكفيك فى معرفة تقلله اى قنعه بالقليل (منها) اى من الدنيا لزهده صلى الله تعالى عليه وسلم فيها واكتفائه فى ضروراته بالامر الزهيد القليل وهذا لاينافى زهده (واعراضه عن زهرتها) اصل معنى الزهرة النضارة والزينة مستعار من الزهر بفتحتين وهو نور النبات ويسكن الثانى اى تركه صلى الله تعالى عليه وسلم مايرغب فيه الناس من زخرف الحياة الدنيا ومما قلته فى الرباعيات

* من حرصك بالعباءكم تستعل * والعمر مضى فما يفيد الامل *
* ما زهرة هذه الحياة الدنيا * للفرك باعمل المنا تحتمل *

(وقد سيقت اليه) اى ساق الله تعالى اليه صلى الله تعالى عليه وسلم الدنيا مستعار من سوق البهيمة للتسخير والتمكن منها (بحذافيرها) اى بجملتها وكليتها من جميع نواحيها يقال ملك كذا بحذافيره اى جميعه بحيث لم يبق منه شئ جمع حذفور او حذفار وهو الناحية وفى النهاية الحذافير الجوانب وقيل الاعالى وكنى به عما ذكر وهو اشارة لما تقدم من ان زهده صلى الله تعالى عليه وسلم فيها ليس لعجزه عن تحصيلها بل هو مع غاية القدرة عليها والتمكن منها وهذا هو الزهد الممدوح كما تقدم (وترادفت عليه فتوحها) اى تتابعت وتوالت فاتته الدنيا راغمة مايسر الله له من الغنائم والاموال والارزاق الواسعة الطيبة بحيث لو اراد توسع فيها وانفق واقتطف زهرتها فلم يرضها واكتفى باقل قليل منها والحمد لله حالتى ان اومعترضتان

بين المبتدأ وخبره افادتا كمال زهده صلى الله تعالى عليه وسلم لان من كان هذا حاله وزهده فزهده ابلغ زهد واتم عفاف اى كافيك مما ذكر حال حصول ما ذكر (الى ان توفى) بالبناء للمجهول اى حضرت وفاته صلى الله تعالى عليه وسلم (ودرعه مرهونة عند يهودى) اى والحال هذه والدرع معروفة تذكر وتؤنث والاكثر تأنيثها واليهودى كان يسمى ابا الشحم من ظفر من موالى الانصار وهذا الحديث صحيح رواه الشيخان عن عايشة رضى الله تعالى عنها واما عامله صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يطلب من الصحابة رضى الله تعالى عنهم لانه لم يحصره اذ ذاك منهم من يقترض منه ولانه لو طلب صلى الله تعالى عليه وسلم منهم واعلمهم بضرورته وهنوه ذلك ولم يرضوا باقتراضه منهم فاحى حاله مع ما فيه من بيان جواز معاملة الكفرة واهل الذمة (فى نفقة عياله) فى للتعليل كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان امرأة دخلت النار فى هرة عذبتها والعيال اهل البيت ومن تلزمه نفقته والذى اقترضه صلى الله عليه وسلم ثلاثون صاعا وروى عشرون صاعا من الشعير (و) كان فى حال اقتراضه (هو يدعو ويقول) كما رواه الشيخان (اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا) القوت كل ما يتقوت به الانسان من الطعام اى اجعله بمقدار ما يسد الرمق من غير زيادة وقد اسس كل هذا بانه صلى الله تعالى عليه وسلم مات وله حصون واراضى وعبده مما افاء الله عليه ارض مخيريق وفدك وغيرهما فكيف مع ذلك يكون به صلى الله تعالى عليه وسلم فاقة تحوجه الى رهن درعه على اصوع شعير واجاب عنه ابن الصلاح فى فتاواه بانها كانت معدة لنوائبه موقوفة ولذا لم تورث عنه وقال انا لا نورث ما تركناه صدقة فلا يقدح فيه ما كان فى ملكه وقد اعده لمصالح المسلمين واجراحه ما يحصل منها فى ذلك والفقراء يدخلون الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام فاختار صلى الله تعالى عليه وسلم الفقر ولم يتصرف فيما عنده لنفسه وعياله ولذا لا يجوز ان يقال فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم انه فقير كما مر (واقول هما دقيقة وهى ان رياضة النفس بالجوع تصفى الذهن وتقوى الروح وتجعل النفس قدسية ملكية وقد كان اهل الملل يتعبدون بذلك ولما لم تكن فى الدين المحمدى لما فيها من الجرح فعل ذلك صلى الله تعالى عليه وسلم واختاره لنفسه خاصة وابرزه بصورة الفقر لئلا تقتدى به امته فيه ولمحبته لذلك طلبه من الله تعالى له ولاهله فافهمه فانه دقيق جدا (حدثنا سفيان بن العاصى) هذا الحديث رواه مسلم والبخارى وسفيان هذا هو ابن سكرة لان المصنف سمع منه صحيح مسلم وليس هو العسانى لانه لم يسمع منه وانما روى عنه بالاجازة (والحسين بن محمد الحافظ) بن عيسى قاضى سبتة شيخ المصنف احد الاعلام وقد اكثر المصنف رحمه الله تعالى الرواية عنه توفى فى جمادى الاخرة سنة خمس وخمسمائة (والقاضى ابو عبد الله التميمى قالوا حدثنا احمد بن عمرو) قد تقدمت ترجمتهما (قال

حدثنا ابو العباس الرازى قال حدثنا ابو احمد الجلودى) بفتح الجيم نسبة لقرية بامر يقية وقيل بالنسام وقيل انه بضم الجيم وقد تقدم قال (حدثنا ابن سفيان حدثنا ابو الحسين بن الحجاج) مسلم صاحب الصحيح وقد تقدم هو ومن قبله قال (حدثنا ابو بكر بن ابى شيبة) تقدم ترجمته قال (حدثنا ابو معاوية) محمد بن حازم بمعجمتين الضرير الحافظ احد الائمة الاعلام الا انه كان مرجئا روى له الستة وتوفى سنة خمس او اربع وتسعين ومائة وترجمته مفصلة فى الميزان (عن الاعمش) ابو محمد سليمان ابن مهران الكاهلى احد الاعلام روى عن انس وابن ابى اوفى وغيرهما وروى عنه شعبة ووكيع وكثيرون نحو الف وثلثمائة حديث وعاش نيفا وثمانين سنة ومات فى ربيع الاول سنة ثمان واربعين ومائة واخرج له الستة وترجمته فى الميزان (عن ابراهيم) بن يزيد بن قيس بن الاسود بن عمرو بن ربيعة النخعى الكوفى الفقيه الزاهد رأس عصره رأى عائشة رضى الله عنها واخرج له الستة وتوفى سنة ست وتسعين (عن الاسود) بن يزيد النخعى العالم حج ثمانين مرة وصام حتى اصفر جلده وكان يختم القرآن فى كل ليلتين وتوفى سنة اربع او خمس وسبعين وهو نقة اخرج له الستة (عن عائشة رضى الله عنها قالت ماشبع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثة ايام تباعا) اى متتابعة متوالية (من خبز) برا كان اوشعيرا وفى نسخة من حنطة (حتى مضى لسبيله) اى حتى توفى لان الموت طريق يسلكه كل احد واول منزل منه القبر (وفى رواية اخرى) رواها البخارى (من خبز شعير يومين متواليين ولو شاء) الدنيا وزهرتها ونعيمها (لاعطاه الله عز وجل مالا يخطر ببال) البال القلب والعقل والفكر وخطر يخطر بضم الطاء وكسرها خطورا اذا ذكر وتصور اى يعطيه منها كل امر نفيس لم يتصوره احد من الناس لجلالته وعظمته وكونه لم يعهد مثله حتى يعرف (وفى رواية اخرى) رواها مسلم (ما ترك) اى ماخلف تركة (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دينارا ولاشاة ولابعيرا) وفى رواية ولاشيئا ولذا قال عبد الله بن ابى اوفى ماوصى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عند موته لانه لامال عنده يوصى به وانما اوصى بكتاب الله وادعاء الشيعة انه اوصى وان عليا كرم الله وجهه وصى لااصل له ولم يثبت (وفى رواية) فى الصحيحين (ما شبع آل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من خبر حتى لقى الله عز وجل) وفى البخارى ماشبع آل محمد منذ قدم المدينة من طعام ثلاث ليال حتى قبض وهو المراد بلقاء الله وهذه روايات كثيرة متقاربة المعنى وانه ماجمع بين غداء وعشاء وفى رواية من خبر وزيت وفى رواية ما اكل اكلتين فى يوم قيل وهذا مشكل عما ثبت انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يرفع لاهله قوت سنة وانه ساق مائة بدنة ووهب قطيعا من الغنم والف بعير ونحوه كما مر وان اصحابه كابى بكر وعمان وطلحة كان لهم اموال كثيرة رضى الله عنهم وهم يبذلون له صلى الله

تعالى عليه وسلم اموالهم وانفسهم واجيب بان ذلك كان في حالة دون حالة وان ذلك للارشاد وكراهة الشبع لالضيق اليد وعن عايشة رضى الله تعالى عنها من حدثكم انا كنا نشبع من التمر فقد كذبكم فلما فتحت قريظة اصبنا سيئا من التمر والودك وروى لما فتحت خيبر قلنا الان نشبع من التمر والحق ان كثيرا منهم كانوا في ضيق قبل الهجرة وبعدها واساهم الانصار بالمنايح فلما فتحت سواد النضير وما بعدها رد واذلك عليهم (اقول هذا ينافيه ما من انه صلى الله عليه وسلم مات ودرعه مرهونة فكيف تكون العسرة قالت بعد الهجرة فالحق الاحق بالاتباع ما قاله ابن الصلاح رحمه الله تعالى كما مر قريبا وما قاله هذا الشارح لا يسمن ولا يغني من جوع (وفي حديث عمرو بن الحارث) الذي رواه البخاري (ما ترك) اي ما خلف صلى الله عليه وسلم تركة لاهله (الا سلاحه وبغلته وارضا جعلها صدقة) هذا بعض حديث اوله ما ترك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عند موته دينارا ولا درهما ولا عبدا ولا امة ولا شيئا الا بغلته البيضاء وسلاحه وارضا جعلها صدقة وتفصيله في السير فانهم قالوا كان له صلى الله تعالى عليه وسلم تسعة اسياف لكل منها اسم ودروعه سبع وقسيه ست وثلاثة اتراس وحربة رماح وقال معلطاي اربعة ومعغران ورايته سوداء يقال لها العقاب مربعة ورايته بيضاء او صفراء وكان مكتوبا على راياته صلى الله تعالى عليه وسلم * لا اله الا الله محمد رسول الله * وفي الميزان انها لم تكن الا بيضاء ولم يبين ما وجد منها عند موته واما بغلته صلى الله تعالى عليه وسلم فهي الدلدل التي اهداها له المقوقس وعاشت بعده صلى الله تعالى عليه وسلم حتى دهمت اسنانها فكان يجبس لها الشعير ثم ماتت بالبيع وقيل انها بقيت لخلافة معاوية رضى الله تعالى عنه وان عليا كرم الله وجهه قاتل عليها واما بغلته قصة فوهبها لابي بكر الصديق رضى الله تعالى عنه والارض المذكورة فدك والصفي وارض بخيبر وهي معصلة ومعنى كونها صدقة انه وقفها لمصالح المسلمين والوقف يسمى صدقة وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يأخذ منها نفقته ونفقة عياله بقدر الحاجة ويتصدق بباقيها فكل ما عنده صلى الله تعالى عليه وسلم كان مرصدا لا ملكا فلذا لم يورث عنه كسائر الانبياء عليهم الصلوة والسلام واما قوله * يرثني ويرث من آل يعقوب * فالمراد منه انه يرث علمه وحكمته وشرفه كما صرح به وضمير جعلها للارض والجملة صفة او مستأنفة استيناقا بيانيا او الضمير للمذكورة (وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها) في حديث رواه السبحان (ولقد مات رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وما في بيتي شيء يأكله ذو كبد) هو كناية عن كل حيوان انسانا او غيره والكبد معروف وهو احد الاعضاء الرئيسة وخصه لان منه يصل العذاء الى الجسد كله وهذا منافٍ لقولها ما ترك درهما ولا دينارا ولا شيئا ووفق بينهما بان المنفي ما كان مختصا بها من بقية نفقتها او المراد بالشيء وان كان عاما ما كان من جنس المال والمتاع او هو لعدم الاعتداد

بما ذكر لقلته (الا شطر شعير) الشطر النصف كالشطير او العض مطلقا وفي النهاية اراد به نصف مكوك او نصف وسق والمكوك المد وقيل الصاع (في رف لي) بفتح الراء المهملة وتشديد الفاء سمه الطاق في الحائط ويطلق على حشبة عريضة ترفع عن الارض تعد لوضع ما يراد حفظه وهو الرفوف ايضا والاول اقرب لان الخمسة لا تحتمل وضع هذا المقدار عليها وتمة الحديث فاكلت منه طويلا ثم كلته فعي وفيه اشارة الى ان الكيل كالعد يذهب البركة وقد وردت وله نظائر كما في مسلم عن جابر رضي الله تعالى عنه ان رجلا اتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يستطعمه فاطعمه شطر وسق شعير فما زال هو وامرأته وضيفه يأكل منه حتى كاله فاتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واخبره فقال لو لم تكله لم يفد قيل لما فيه من الحرص وعدم التوكل والتمسك بالاسباب المعتادة واما ما ورد في حديث المقدام كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه فاجيب عنه بانه عند التبايع لحق المشتري فتأمل (وقال) اي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (لي) اي لعائشة وفي شرح ان اقترض وقال بي الي بدل اللام اي ادن واقرب الي فطلب صلى الله تعالى عليه وسلم دنوها منه لبسارها وقال حكاية لحال ماضية (اتى عرض علي) بالبناء للمجهول وفي رواية عرض علي ربي يقال عرض له وعليه اذا اظهره له واراه اياه والمراد اعلمه بالوحي (ان يجعل لي بطحاء مكة ذهبا) البطحاء والابطح واد تجري فيه السيول او بطن واد فيه رمل وحصى او مكان لا ينبت لانه مسيل وهو مما غلب عليه الاسمية والمراد بجعله ذهبا ان يملأه به او ان يقلب حصاه ورماله ذهبا وقلب الاعيان كانشائها من العدم غير مستحيل لوقوعه والله قادر على كل شئ (فقلت لا يارب) اي لا اريد جعل البطحاء ذهبا (اجوع يوما واسبع يوما) استيناف كانه قيل له فماذا تريد فقال اريد العاقبة وان اكون تارة جايعا وتارة سعبان لزوما لمقام العبودية والافتقار الى الله ثم بين ما يكون عليه فقال (فاما اليوم الذي اجوع فيه فاتضرع اليك) فيه والتضرع الدعاء بتذلل وانكسار من الصراعة وهي الدالة والالتجاء (وادعوك) اي اطلب منك وفي الدعاء مساحاة والتجاء ومعاملة مع الله وان كان عالما بذلك (واما اليوم الذي اشبع فيه فاحمدك واثني عليك) لما انعمت به علي ولاوجه لما قيل هما من انه تعليم لفقراء امته والا فلو جعلت له الدنيا ذهبا لم يشغله ذلك عن الله طرفة عين الى غير ذلك مما اطال فيه بغير طائل على عادته وهذا الحديث رواه الترمذي عن ابي امامة رضي الله تعالى عنه بلفظ فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك فاذا شبعت شكرتك وحمدتك (وفي حديث آخر) قال السيوطي لم اجده هكذا ولكن البيهقي رحمه الله تعالى اخرجه في الزهد من طريق عطاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال يوما ما امسى لال محمد كف سويق ولا سعة دقيق فاتاه اسرافيل عليه السلام فقال ان الله سمع ما ذكرت فبعثني اليك بمفاتيح الارض

وامرنى ان اعرض عليك ان احببت ان اسير معك جئتك تهامة دمردا وياقوتا وذهبا وفضة فقلت الى اخره واخرج ابن سعد وابن عساكر فى تاريخه من حديث عائشة رضى الله تعالى عنها انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لو شئت لسارت معى جبال الذهب ولاحد فى الزهد عنها والله لو شئت لاجرى الله معى جبال الذهب والفضة وللطبرانى نحو منه من حديث ام سليم رضى الله عنها عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لو سألت الله ان يجعل تهامة كلها ذهبا لفعل واخرج احمد حديث الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له قد يجمعها من لا عقل له مختصرا عن عائشة رضى الله تعالى عنهما (قلت هذا ذكره المصنف رواية بالمعنى من عدة احاديث (ان جبريل نزل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له ان ربك يقرئك السلام) اى يسلم عليك ويحييك تحية اكراما قال فى الاكمال اقرأته السلام وهو يقرئك السلام بضم الياء من المزيد واذا قيل يقرأ عليك السلام دعلى فيفتح الياء لا غير وقيل هما لغتان وهو مهموز لا معتل وجوز ابدال همزته واوا وياء ومعنى اقرأه حمله على ان يقرأ عليه سلامه اى يبلغه اياه فهو مجاز مرسل لمطلق التبليغ مأخوذ من القراءة ومعنى قرأه عليه ذكره له (ويقول لك اتحب ان اجعل لك هذه الجبال ذهبا وتكون معك حيث ما كنت) اى تسير معك وتتوجه انى توجهت (فاطرق ساعة) اى طأطاء رأسه يفكر فيما يجيبه به صلى الله تعالى عليه وسلم (ثم قال ياجبريل ان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له) الدنيا مقابل الآخرة لانها فعلى من الدنو وهو القرب ويطلق على هذا العالم المشاهد وكل ما فيه من المال وغيره وعلى الارض التى هى مقر العالمين وبهذا الاعتبار تسمى دارا وقوله دار من لا دار له اى لا بقاء لها غاية لا يقيم فيها احد ولذا شبهت بالخان الذى ينزله المسافرون وبالقنطرة بل بالسفينة كما قال * وانما الدنيا كركب سفينة * نطس وقوفا والزمان بنا يسرى * وقوله مال الى آخره اى انما يملكه المرء فيها سبيل منه فهو عارية او وديعة فصاحبه لا مالك له حقيقة فكل غنى فيها فقير وليس هذا من قبيل فرط من لا فرط له وذخر من لا ذخر له (قد يجمعها من لا عقل له) قد للتحقيق لان من جمع الدنيا كثيرا وهى لتقليل جمعه وحيازته لها فانه يجمعها بعد بلوغه ورشده لموته ثم يعقدها الى ما لا نهاية له اولتعلق الفعل فان متاع الدنيا بالنسبة لغيره قليل او على هذا حمل قوله قد يعلم ما اتم عليه واعاهم عليه بالنسبة لبقية معلوماته اقل قليل وهى مستعارة تهكما للتكثير كقوله * قد اترك القرن مصفرا انامله * وان كان فى البيت براع * ليس هذا محله وجعله لا عقل له لتنزيل وجود عقله منزلة العدم اذ لم يصرفه فيما يتعلق بالآخرة ويهديه الى الاكتفاء من الدنيا بزاد المسافر الذى يبلغه منزله فان العاقل من كان كذلك ولذا قال الفقهاء لو اوصى لا عقل الناس

صرف للزهاد وقال الشاعر

* ان لله عبادا فطنا * طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا *
* نظروا فيها فلما علموا * انها ليست لحي وطنا *
* جعلوها لجة واتخذوا * صالح الاعمال فيها سفنا *

(فقال له جبريل عليه الصلوة والسلام سلك الله يا محمد بالقول الثابت) المراد بالقول الثابت الحق لانه دائم لايزول والمراد به حق مخصوص عقائده وهو اما دعاء له او اخبار بان الله امتن عليه فانه محض وصل الله واطعمه فانه الذي نبته على هذا (وعن عائشة رضي الله تعالى عنها) في حديث صحيح رواه السيخان انها (قالت ان كان آل محمد) المراد بآله اهل بيته عليه الصلاة والسلام وله معان اخر مشهورة وان مخففة من الثقيلة (ليمكث شهرا ما نستوقد نارا) اي ما نوقد نارا فالسين لتأكيد او المراد مايطلب من احد نارا لتوقدها وهذا كناية عن انه ليس لهم مايطبخ (ان هو الا التمر والماء) وان نافية وهو ضمير الطعام والمأكول اي ماعندنا مايؤكل ويتعدى به الا التمر والماء وربما هو الاسودان التمر والماء قيل هذا كان في بعض الاحوال (وعن عبد الرحمن بن عوف) الصحابي المشهور رضي الله تعالى عنه وهذا الحديث رواه عن الترمذي والبزار وغيرهما بسند جيد (هلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اي توفي والهلاك بمعنى الموت مطلقا مستعمل في حق النبي وغيره قال الله تعالى * كل شيء هالك الا وجهه * واما اختصاصه بميتة السوء كالقتل فعرف طارئ واكثر استعماله في الاعداء فيقال هلك عدو الله وقد ورد في الحديث والاهانة عدتهم من ذكر العدد ونحوه (قلت فلا يحور لنا لان اطلاقه على من كرمه الله والصحابة ونقتصر فيه على ماورد منه من غير نكير كما ورد في حق يوسف عليه الصلاة والسلام حتى اذا هلك وكذا ورد في حق غيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولايختص بمن استحق العذاب الابقرينة (ولم يسمع هو واهل بيته من حر الشعير) واول الحديث عن يوفل بن اياس الهذلي قال كان عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه جليسا لي وكان نعم الجليس وانه انقلب الي ذات يوم حتى اذا دخل بيته دخل فاغتسل ثم خرج واتانا فجعل فيها حبر ولحم فلما وضعت بكى عبد الرحمن بن عوف فقلت يا ابا محمد مايبكيك قال هلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يشبع هو واهل بيته من حر الشعير فلا ارانا حبرا لما هو خيرا وقد تقدم انه ورد في نعماه احاديث كثيرة متقاربة المعنى وتقدم فيه من الاشكال ومحوله والى تقية هذا اشار بقوله (وعن عائشة رضي الله تعالى عنها وفي رواية وابن عباس رضي الله تعالى عنهم نحوه) اما حديث عائشة رضي الله تعالى عنها ففي الصحيحين عنها انها قالت ماشبع رسول الله صلى الله

تعالى عليه وسلم من حين شعير يومين حتى قبض وحديث ابى امامة رضى الله تعالى عنه فى الترمذى بهذا اللفظ ايضا وحديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عنه هو المذكور عقب هذا بقوله كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الى آخره كما قاله السيوطى رحمه الله تعالى وسياق كلامه يأباه ولو كان مراده هذا اكتفى بذكره والاحسن انه ما فى الصحيحين ايضا عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان عمر رضى الله تعالى عنه حدثه انه دخل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وقد اعتزل نساءه فاذا هو مضطجع على حصير قد اثر بجنبه فقلت عينى فى حزانته فاذا هى ليس فيها شئ غير قبضتين من سعير وقبضة من قرظ فابتدرت عيناى فقال ما يبكيك يا ابن الخطاب فقال مالى لا ابكى وانت صفوة الله من خلقه وهذه الاعاجم فى التمارق والابهار وانت هكذا قال يا ابن الخطاب اما ترضى ان تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا فقلت بلى يا رسول الله قال فاحمد الله عز وجل (قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يبيت هو واهله الليالى المتتابعة طاويا) حال من ضميره صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يقل طاويين لان المقصود حاله صلى الله تعالى عليه وسلم وحال اهله يعلم من حاله لانهم يتبعونه فى كل حال وطاويا بمعنى جايعا لان الطوى الجوع كما ذكره الجوهرى والليالى منصوب على الظرفية وقوله (لا يجدون عشاء) بفتح العين والمد الطعام الذى يقابل الغداء وخصه لقوله يبيت والمراد به مطلق الطعام وهذا الحديث اخرجه الترمذى وابن ماجة (وعن انس رضى الله تعالى عنه) فى حديث رواه البخارى (قال ما اكل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على خوان) بكسر الخاء المعجمة وضمها فارسى معرب ويقال اخوان بزنة اكرام وهو والمائدة والمبدة بمعنى وان فرق بينهما فى الاصل بان الخوان ما يوضع عليه الطعام قبل وضعه وبعده يسمى مائدة والاكل عليه عادة المتكبرين حتى لا يحتاجون للانحناء اذا اكلوا وقيل انه عربى من التخون وهو النقص ويجمع على اخونة وخوان واما السفرة بالضم فالطعام المعد للسفر وتكون بمعنى ما يوضع عليه الطعام من الاديم ايضا (ولا فى سكرجة) قال الخوالقى هى بضم السين المهملة وضم الكاف وفتح الراء المهملة المشددة وجيم وهاء وهى اعجمية معربة وقيل الصواب اسكرجة بهمزة مضمومة قد جاء فى الحديث الصحيح بدون همزة ومعناه مقرب الحل ولذا قيل معناها قصعة صغيرة يوضع فيها الكوامخ والجوارشات فى الجوانب المائدة فيها ما يعين على الهضم وقيل قصعة مدهونة وقيل انها مائدة صغيرة وعلى كل فهى مما يصنعه العجم والمقلدون لهم من المتكبرين والجيم والهاء علامة التصغير عندهم وقيل فيها ايضا سكيرجة (ولا خبز له مرقق) بالبناء للمجهول ومرقق بوزن معظم رقيق الخبز كالرقاق وقيل هو المبسط الرقيق وقيل

هو الحوارى والسميد بدال مهملة او معجمة وفى رواية مرققا بالنصب تمييزا ومفعول ثان لخبز لتضمنه معنى الجعل والمراد ان خبزه صلى الله عليه وسلم لم يجعل من بياض الدقيق لانهم لم يكن لهم مناخل (ولا رأى شاة سميطا قط) سميط فعيل بمعنى المفعول اى لم يطبخ له صلى الله تعالى عليه وسلم شاة بتمامها بعد سمطها اى علكها فى الماء الحار حتى يذهب شعرها ثم تشوى وظاهر كلامهم انها لم تسلخ وان مادكر فى الحملان الصغيرة (وعن عائشة رضى الله تعالى عنها) فى حديث رواه السيحان (انما كان فراشه صلى الله تعالى عليه وسلم الذى ينام عليه ادما) بفتح الهمزة والدال المهملة والميم اسم جمع لاديم وهو الجلد المدبوغ اللين وقيل انه مخصوص بالاسود (حشوه ليف) والليف مايكون من النخل وهو معروف (وعن حفصة رضى الله تعالى عنها) بنت عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ام المؤمنين وحديث حفصة رواه الترمذى فى الشمائل منقطعا وحديثها لايافى حديث عائشة المتقدم لجواز كون ان كلا منهما ذكرت فراشه صلى الله تعالى عليه وسلم الذى كان عندها (كان فراش رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى بيته مسحا) بكسر الميم وسكون السين المهملة وبعدها حاء مهملة وهو ثوب مستعد للفراش شبه الكساء ويقال له حبل وقيل هو ثوب اسود من سعر يلبسه الزهاد وقيل هو ثوب من الشعر والوبر والصوف يلبس ويجلس عليه وجمعه مسوح وعلى كل حال فهو شئ غليظ يتميز عن مثله اصحاب الترفه (نثنيه ثنتين فينام عليه) اثنى بكسر فسكون والمثنى مافى بعضه على بعض وعطف اى نجمع بعضه على بعض مرتين حتى يكون اخف واوطأ للنوم عليه وتثنيته ثنتان وجمعه اثناء وروى تثنين بمثناة فوقية مكان الياء المثناة التحتية والمعنى واحد والصحة الاولى اصح واشهر (فثنيناه له ليلة بأربع) طاقات ليكون الاين مهادا من الثنيين (فلما اصبح صلى الله تعالى عليه وسلم قال ما فرشتم لى الليلة قد كرنا ذلك له) وهو انهم جعلوا فراشه اربع طاقات (فقال ردوه بحاله) الاول وهو الثنيان (فان وطاءته) بفتح الواو والطاء المهملة والمدة وباء تأنيث مضاف لضمير الفراش فورده فعالة او فعله بفتح فسكون وهمزة غير ممدودة على وزن فعله اى ليسه تحت حتى لكثرة طاقاته وتصعيدها (منعتنى الليلة صلاتى) اى ان ليسه لذلك عليه السلام النوم فى اكثر من معتاده لان فراشه مهد لم يؤذه حتى ينبهه فانقطع عن بعض القيام لتهجده ليلا زيادة نومه (وكان صلى الله عليه وسلم ينام احيانا على سرير مرمول) ونومه الاول على فراش على الارض ومرمول براء مهملة وميم بمعنى مسوح (بشريط) او غيره والشريط بشين معجمة وراء وطاء مهملتين بينهما ياء مثناة تحتية حبل مفتول من خوص النخل او سعف مع حبال وواحده شريطة (حتى توثر) حبال شريطه (فى جنبه) لكونه غير فراش يحول بينه وبينه وهذا من حديث طويل رواه السيحان والترمذى وفيه وتحت رأسه وسادة من ادم

حشوها ليف وفى معناه احاديث اخر (وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت لم يمتلئ جوف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم شبعا قط) قال التلمسانى فيه اربع لغات فتح السين المعجمة وكسرها مع سكون الموحدة وفتحها وقال البرهان هو بفتح الموحدة بقبض الجوع و سكونها مايسع و اظاهر هو الاول وقيل عليه ان كان ظهوره امابحسب الرواية فسلم واما بحسب الدراية فالظاهر الثانى لانه اسم عين وعلى الاول اسم معين و لامتلاء منه محزى كامتلاء غضبا وقيل عليه ان المجاز ابلغ من الحقيقة فهو اولى رواية و دراية فالبرهان مع البرهان وفيه نظر وهذا يقتضى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يشبع ولكنه لايمتلئ جوفه تمامه منه فان المطلوب تقليل الطعام والاقتصار على مايقوم به الاود ثم ملأ ثلث بطنه فان ثلثها للزاد وثلثها للماء وثلثها للنفس فان زاد فصفها ومازاد على ذلك حرص و بطنه غير ممدوحة وقد يحرم ان وصله للضرر والتخمة قصدا كما ان اول امرتبه واجب (وما يشكوى لى احد) بفتح الياء التحتية وضم الباء الموحدة وتشديد المثلثة بمعنى يذكر و يظهر يقال شكا الحر وابثه اذا نشره ويقال ايضا ثه بالنون و بهما روى قول قيس

*اذا حاوز الاثنين سر فانه * يبث وتكثير الحديث قمين*

والشكوى مذمومة فالذى يليق بمقام العارفين الصبر وكتم مابهم لاسيما والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان يسر بكل مايأتيه من الله ولايعده مؤلما بل يتلذذ به فكيف يتصور شكواه والى هذا اشار بقوله (وكانت الفاقة) وهى الحاجة والفقر (احب اليه صلى الله تعالى عليه وسلم من الغناء) قيل هذا يقضى ان الفقر افضل من الغناء وقد اختلف فيه على قولين ولكل منهما ادلة كقوله تعالى *ووجدك عائلا فاغنى * حيث امتن عليه صلى الله تعالى عليه وسلم بالغنى ولادليل فيه لانه امتن عليه بقضاء حاجته و المفضول قد يكون فى مقام له مزية تزيد على الفاضل ولافى قوله ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى فانه لم يذم الغناء بل ماقد يترتب عليه وكذا كون حساب الفقير اخف والمحقق فيه هل الغنى الشاكر خير ام الفقير الصابر فذهب الى كل منهما قوم من العلماء لحديث ذهب اهل الدثور بالاجور وحديث ان الفقراء يدخلون الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم من ايام القيامة و هو خمسمائة عام الى غير ذلك من الاحاديث الواردة فى الجانبين وقال العزالى رحمه الله تعالى قد اكشف ان الفقر هو الافضل لكافة الخلق الا فى موضعين عى يستوى فيه الوجود والعدم ويستعان به دعاء المساكين و قضاء حوايجهم كغنى بعض الصحابة رضى الله تعالى عنهم وفقر يكون مع الضرورة حتى يكاد يكون كفرا فالاول خير محض وهذا الاخير فيه وجه من الوجوه والممدوح غى النفس لاغى المال من حيث هو والفضل كله فى الكفاف والاقتصار على مقدار الحاجة و لذا طلبه صلى الله تعالى عليه وسلم

له ولآله (وان كان ليظل حايعا) ان مخففة من ان المكسورة الهمزة المثقلة النون والجملة حالية ويظل بفتح المساة التحتية والطاء المشالة من اخوات كاد واصل معنى ظل فعله نهارا لانه زمان يبدو فيه الظل ثم استعمل لدوام الفعل ليلا ونهارا وهو المراد (يلتوى طول ليلته من الجوع) بتقديم اللام على التاء الفوقية وواو مخففة مكسورة وفى نسخة يتلوى بياء مثناة مفتوحة وفوقية مفتوحة ولام كذلك وواو مشددة مفتوحة يليها الف ومعناه ينقلب على فراشه من الم الجوع من لواه ليا اذا صرفه عن جانب لآخر قال تعالى لووا رؤسهم وهذا زهده صلى الله تعالى عليه وسلم فى الدنيا وصبره على مشاقها ليقمع شهوته ويقهرها ويرشد امته كذلك كما بينه بعد وقوله (فلا يمنعه ذلك اوجوعه (صيام يومه) بالنصب بينع او ينزع الخافض اى عن صيام يومه يقال منعت الرجل عن الشئ فامتنع وقوله (ولو شاء) صلى الله تعالى عليه وسلم العى اوالشبع وشاء كثيرا ما يحذف مفعولها بعد لو لدلالة جوابها عليه (سأل ربه جميع كنوز الارض وثمارها ورعد عيشها) ما بعد الكسور يجور جره عطفا عليه ونصبه عطفا على جميع والكسور جمع كنز وهو معروف والثمار جمع ثمرة وهى ما يحصل من الاشجار ونحوها وقد يراد به كل ما يستفاد من غيره كما يقال ثمرة العلم العمل ويجوز ارادة هذا هنا ورعد بفتحتين وقد يسكن ثانيه يقال فيه رعيد وارعد والعيش بمعنى المعيشة والمراد ما يتعيش به واصل معنى الرعد الواسع يقال ارعد فلان اذا اصاب رعدا اى سعة وخصبا وغيره (ولقد كنت ابكى له رحمة مما ارى به) وفى نسخة لما ارى به اى مما اشاهده به اومما اعلمه به (وامسح بيدى على بطنه) كانه يمسحه تستريح بذلك كما كان يضع الحجر عليه ليبرده ويسد صلبه وهذا للشفقة (مما به من الجوع) اى من المه ثم تبين ان ذلك شفقة بقولها (واقول بنفسى بك الفداء) تقدم ان الفداء بالكسر والفتح والقصر والمد وهو ما يفدى به الاسير ونحوه فيجعل عوضا عنه ويقال افديه بنفسى وبامى وبابى ومالى وقد يقال بنفسى من غير ذكر للفداء وتسمى الباء باء التعدية وهذا جائز بل مستحب لصدوره منه صلى الله تعالى عليه وسلم فيقال لمن له شرف كالحكام والعلماء والصلحاء واعزة الاحوال قصد التوقير واستعطافه ولو كان محظورا كما قيل ما قاله صلى الله تعالى عليه وسلم ونهى عنه من قاله له وقد قال له ابو بكر رضى الله تعالى عنه فديناك بآبائنا وامهاتنا وقال صلى الله تعالى عليه وسلم لسعد ارم فداك ابى وامى ومعه قوم لحديث مالك بن فصالة ان الزبير رضى الله تعالى عنه دخل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو سالك وقال كيف نجدك جعلنى الله فداك وقال له صلى الله تعالى عليه وسلم مازلت على اعرابيتك بعد قيل ولا حجة فيه لما ادعوه لان هذا الحديث الواحد لا يقاوم الاحاديث الصحيحة الكثيرة الواردة بخلافه ولا احتمال انه انما نهاه عنه لورود ذلك فى غير

محله لانه لاينبغى ان يقال ذلك للمريض بل يتوجع له ويقال لابأس عليك وعافاك الله وشفاك ونحوه ولكل مقام مقال لا لان القائل له كان ابواه مشركين ولا لانه من خصوصياته لان من قائليه ليس كذلك والاصل عدم الخصوصية (لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك) التبلغ مفعل من البلاغ وهو مقدار الكفاية يقال تزود من دنياك بالبلاغ مأخوذ من الزاد الذى يبلغ به المسافر منزله وضمنه هنا معنى اكتفيت اى لو اكتفيت منها بالكفاف من القوت من غير ضرورة ومخمصة ولو للتمنى (فيقول) صلى الله تعالى عليه وسلم لعائشة رضى الله تعالى عنها (مالى وللدنيا) قيل ما نافية اى ليس لى الفة ومحبة مع الدنيا حتى ارغب فيها او استفهامية اى اى الفة ومحبة ورغبة لى فى الدنيا وهذا من آثاره صلى الله تعالى عليه وسلم الزهد واطهاره لعنى القلب ومحبة تركه لها ثم بين انه مقام عظيم سبقه به الرسل عليهم الصلوة والسلام فجرى على طريقتهم فقال (اخواتى من اولى العزم من الرسل) تقدم انهم نوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلوة والسلام على خلاف فيهم وفى وجه تسميتهم بذلك (صبروا على ماهو اشد من هذا) كالحبس والعرض على القتل او غير ذلك مما علم من التعاسير (مضوا على حالهم) اى استمروا عليه راضين بقضاء الله لهم الى ان ماتوا (فقدموا على ربهم) اى لاقوه وشهدوا ما انكشف لهم من احوال الاخرة فى البرزخ (فاكرم مآبهم) اى اكرمهم الله فى مرجعهم اليه يقال آب يؤب اذا رجع فهو اسم مكان او مصدر ميمى (واجزل ثوابهم) اى اكثر لهم العطاء والجزاء فى دار المقام (فاحدنى استحيى من الله عند لقائه (ان ترفهت فى معيشتى) اى ان تنعمت وتوسعت فى العيش والترفه تفعل من الرفاهة والرفاهية وهى كارغد السعة وقد كان الله خيره صلى الله تعالى عليه وسلم قبيل موته بين الخلد فى الدنيا ولقائه فاختار لقاءه كما قاله ابن العربى وان شرطية ويجوز فتحها على المصدرية بتقدير لام قبلها اى لترفهى ووقع فى نسخة فى معيشتهم اى فى جنس معيشتهم والاصح الاولى (ان يقصر بى عدا) يقصر مبنى للمفعول مع التشديد اى يقع التقصير او المقصر بالكسر حاله وعمله (دونهم) اى فيكون مقامى دون مقامهم لتنزل مرتبتى عن مرتبتهم والمعيشة تفعلة وجمعه معايش بلا همزة وقد تهمز قليلا كما بينه النحاة وهى مايتعيش به وعدا بالمهملة اليوم الذى بعد يومك والمراد به الاخرة جعل الدنيا بمنزلة اليوم الحاضر والاخرة لكونها بعدها بمنزلة عدا استعارة (وما من شئ هو احب الى من اللحوق باخوانى واخلائى) بالمد مضاف لياء المتكلم جمع خليل وهو قياس فى المضاعف والمراد بالاخوان والاخلاء الانبياء عليهم الصلوة والسلام السابق ذكرهم (والرفيق الاعلى) وعن عائشة رضى الله تعالى عنها عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لم يقبض نبى حتى يرى مقعده فى الجنة ويخير بذلك فلما حضرته صلى الله تعالى

عليه وسلم الوفاة تخص بصره وهو يقول اللهم اغفر لي وارحمني والحقني بالرفيق الاعلى كما في البخاري وفي النهاية الرفيق الاعلى جماعة النبيين الذين يسكنون اعلى عليين والمراد به الله عز وجل والرفيق بمعنى الرؤف وهو من اسماء الله كالاعلى والمحوق بهم بمعنى كونه معهم (قالت) عائشة رضي الله تعالى عنها (فما اقام بعد) بالباء على الضم اي بعد مقالته هذه (الا شهرا حتى توفي صلى الله تعالى عليه وسلم) اي انتقل الاخرة واستوفى ايام عمره ﴿فصل واما خوفه ربه﴾ عز وجل ولما كان الزهد ترك الدنيا باختياره وحبسه نفسه عن الشهوات وذلك انما يكون بعد تحقق الخوف والرجاء عقب الزهد بالخوف من الله وربه منصوب مفعول المصدر واعلم انهم اختلفوا في خوف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من عقاب الله فقال الامام ابو الحسن الاسعردي في كتاب الايجاز كان صلى الله تعالى عليه وسلم يخاف الله بلا خلاف الان خوفه كان لما ذا فقال اهل الحق كان خوفه قبل ان آمنه الله من عقابه وبعده كان من عتابه ولومه في الدنيا كما قيل له صلى الله تعالى عليه وسلم لما اعرض عن ابن ام مكتوم عبس وتولى الاية فاما بعد ان آمنه الله تعالى من عقابه فلا يجوز ان يخاف عقابه مع علمه بانه آمنه منه فاخبره بانه لا يخاف عقابه خلافا للرافضة والقدرية حيث زعموا انه هو وسائر المكلفين ما داموا المكلفين في الدنيا لا بد ان يخافوا عقابه سواء امنهم ام لا دليلنا ان الخوف من شيء لا يجوز الامع تجويز وروده به واما مع القطع بانه لا يحصل ابدا فمحال حصول الخوف منه عند عاقل فلو قلنا انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يخاف عقاب الله مع تأمين الله من ذلك لادى الى كونه شاكا في غيره وانه صدق او كذب في اخباره بانه لا يتعلق به عقاب ولما بطل هذا بالاتفاق علم ان الخوف لا يصح مع القطع بانه لا يعاقب اصلا انتهى وسئل شيخ مشايخنا ابن حجر الهيتمي عن الانبياء والملائكة عليهم الصلوة والسلام والعسرة المسرة بالجنة هل كانوا يخافون عقاب الله تعالى بعد اخبار الله لهم بانهم لا يعذبون فاجاب بان نفي الخوف وثبات الامن لمن ذكر مطلقا باطل بل مصادم للنصوص من وجوه احدها ان حقيقة الخوف كما في الاحياء الم القلب لتوقع مكروه في المستقبل وهو اقسام منها خوف ضعف القوة عن الوفاء بحقوق الله على ما ينبغي والخوف بهذا المعنى محقق في جميع الانبياء عليهم الصلوة والسلام ويلزمه عدم الامن من مكر الله ولا يأمنه احد الا ان كان المأمون منه الانسلاخ عن النبوة والملكية والايمان في العسرة على انه قيل بوقوعه لبعضهم والرجاء والخوف متلازمان واستواط الرجاء والخوف مما هو مشكوك فيه لا تأييد فيه لانهم لا يخافون لانهم على بينة ويقين من ربهم كما قيل بل هو حجة عليه لما مر من معنى الخوف فالكل على يقين من اصل الكمال وقد تعتريهم استشعارات قدرة الله واستغنائه عن خلقه وانه لا يسئل عما يفعل ولا يجب عليه شيء وقد يشترط

ما اخبرهم به بما انطوى عن علمهم فيوجب الخوف حتى من سلب اصل الكمال
(الثاني) ان الشافعي رضي الله تعالى عنه صرح بان الملائكة داخلون في قوله
لا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون لما اخرج ابن ابي حاتم عن ابي الله تعالى قال لهم
ما هذا الخوف الذي بلغ منكم وقد اريتكم منزلة لم ينزلها غيركم فقالوا ربنا لا يأمن
مكرك الا القوم الخاسرون (الثالث) ما في الاحياء ان الانبياء عليهم الصلوة والسلام
يخافون المكر لما روى ان النبي و جبريل عليهما الصلوة والسلام بكيا جوعا
من ان يكون تأمينهم امتحانا ومكرا وهذا هو الذي قطع قلوب العارفين فلا اسهمة
في ذلك لقوله ما ادري ما يفعل بي ولا بكم (فان قلت يرده ما روى عن الحسن انه
قال لما نزلت هذه الآية خاف صلى الله تعالى عليه وسلم رمانا فانزل انا فتحنا الخ حد
صلى الله تعالى عليه وسلم في العبادة وقال افلا اكون عبدا شكورا وروى انه قال في الآية
ان ذلك في الدنيا اما في الآخرة فعاذ الله لانه اخبر بانه في الجنة فالمعنى ما ادري ما يفعل
بي في الدنيا فاخبره بنصره واظهار دينه (قلت المراد حوفه صلى الله تعالى عليه وسلم
من امور الدنيا واستيصال امته فامنه الله منه واما الخوف من الله فلا يأمنه احد
(الرابع) انه ورد في ادعيته صلى الله تعالى عليه وسلم كثيرا ما يدل عليه نحو اللهم
اني اعوذ برضاك من سخطك و معافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك وقوله اللهم
اني اعوذ بك من عذاب النار وفتنة المحيا والممات وليس هذا تسريعا لامته ان يقولوه
لانه لم يقل قولوا ولا قرينة على تقديره انتهى وقد اختلف الفقهاء في الامن من
مكر الله واليأس من رحمته فقالت الشافعية انهما من الكبائر وقالت الحنفية انهما كفر
لقوله تعالى لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ولا يأمن مكر الله الا القوم
الخاسرون وتمسك الشافعية بعدهما من الكبائر بما ورد في حديث ابن مسعود رضي الله
تعالى عنه وقال ابن ابي شريف ان اريد باليأس انكار سعة الرحمة الذنوب وبالامن
انه لا مكر فهو كفر وفاقا لانه رد للقرآن وان اريد استعظام الذنوب واستبعاد العفو
استبعادا يدخل في حد اليأس وغلبة الرجاء المدخل له في حد الامن فهو كبيرة لا كفر
فان ورد اطلاقه عليه فللتغليظ او ارادة كفران النعمة انتهى و بهذا وفق بينهما
ابن بحيم في رسائله وعلى ما مر عن الاشعري يخص الامن بغير من مر وعلى غيره
هو باق على عمومه هذا حاصل ما قاله الفقهاء والاصوليون في هذه المسئلة وههنا
بحث فيما قاوه وهو ان الاشعري امام اهل السنة وقد حرم بانهم عموما ذهبوا الى
انهم من العقاب كان دون العتاب وقوله افلا اكون عبدا شكورا يؤيده وما ذكر من
الخوف والادعية فالظاهر الذي يقتضيه النظر الدقيق ان مكر الله ليس بمعنى عقابه
بل بمعنى ان يقدر عليهم امرا يقتضيه اذا صدر منهم لانه تعالى وان كان له ان يعذب
كل احد لكن عدله وحكمته يقتضي ان لا يقع ذلك منه بل يجور حوارا عقليا ومن علم

هذا وبطر لعظمته واستعلائه عن جميع مخلوقاته خاف منه وخشي منه وهذا مقام الكملين ولذا قال انما يخشى الله من عباده العلماء وهذا الخوف لابد منه لكل احد واما خوف العقاب بدون هذا مادام على حال العصمة والتقوى فلا يجوز عليهم فانه يلزم عدم الوثوق بخبره تعالى وعلى هذا يحمل كلام الاشعري وهو صاف لما قاله ابن حجر رحمه الله تعالى اذا عرفت هذا فقوله في شرح جمع الجوامع الامن من مكر الله تعالى معناه الاسترسال في المعاصي اتكالا على العفو ليس بسديد وليس محلا للخلاف (ثم اقول الحق ما قاله الاشعري والذي ندين الله به انا نعتقد ان العقاب لا يقع وان الانبياء خصوصا نبينا عليهم الصلاة والسلام بعد عصمته ومغفرة ما تقدم وما تأخر له لا يخشى احد عليه العقاب ولا يجوز تجويزه عليه انما هو قلعظمة الله ومهابته عنده وعلمه بانه عني عن خلقه له ان يفعل بهم ما اراد فيخافه خوفا شديدا ويستعيذ من عقابه وان لم يجوزه نحن وفي قوله تعالى * لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * ايماء لذلك دقيق وما قاله ابن حجر لا دليل فيه وكلام الغزالي لا حجة له فيه والآية التي ذكرها مخصوصة بالدنيا او منسوخة كما في الكشاف (ولك ان تقول انه لشدة خوفه صلى الله تعالى عليه وسلم من الله قد يذهل عن تأمين الله له لا سيما مع مامر ونظيره ما قاله السيوطي رحمه الله تعالى في اخوية الاسئلة التكرورية في قول يوسف عليه الصلوة والسلام توفني مسلما وهو يعلم ان كل نبي لا يموت الا مسلما انه دعى بذلك في حال غلبة الخوف عليه حتى اذ هلته عن علمه ساعة الدعاء او غير ذلك اظهارا للعبودية والافتقار وشدة الرغبة في طلب سعادة الخاتمة وتعليمها للامة انتهى ثم رأيت ما قلناه صرح به ابن عربي في سراج المريدين فالحمد لله على الوفاق وانما اطلنا الكلام في هذا المقام لانه من مزال الاقدام فعليك باعادة النظر فان مورده لم يصف من الكدر ولنا عودة الى الكلام فيه آخر الكتاب ان شاء الله تعالى (وطاعته له وشدة عبادته) قربهما مع الخوف لتلازمهما معه (فعلى قدر علمه بربه) قال القشيري رحمه الله تعالى العلم والمعرفة عند العلماء بمعنى وعند القوم معرفة الحق باسمائه وصفاته ومن عرفه صدق في معاملاته وتنقى من ردي اخلاقه وآفاته ومن امارات المعرفة حصول الهيبة وهي الخوف مع الاجلال ولذلك اشار المصنف فان من قدر الله حق قدره اشتد خوفه منه واطاعه وعبده على قدر طاقته وانما يعصي الله من جهل ربه ونفسه فان الايمان محبة الله ومن احب اطاعه وتحت الرعوة اللبس الصريح (ولذلك قال) حدثنا وفي نسخة حدثني (ابو محمد ابن عتاب قراءة مني عليه) تقدم ترجمته قال (حدثنا ابو القاسم الطرابلسي) حاتم بن محمد بن عبد الرحمن التميمي المعروف بابن الطرابلسي كما تقدم عن البرهان فالنسبة اليه طرابلسي واطرابلسي بزيادة همزة في اوله وهي مدينة بالشام وبالمغرب والمشهور فيها

تراليس بالتاء الفوقية وهو صحيح ايضا لانه اعجمي عرب بابدال التاء طاء فلك حكاية اصله والنطق بمعربه قال (حدثنا ابوالحسن القابسي) علي بن محمد بن خالد المعافري الامام الفقيه الحافظ وقد تقدم قال (حدثنا ابو زيد المروزي) تقدم ايضا قال (حدثنا ابوعبد الله الفربري) تقدم ضبطه وترجمته قال (حدثنا محمد بن اسمعيل) الامام البخاري صاحب الصحيح وقد تقدم قال (حدثنا يحيى بن بكير) المخزومي الحافظ ابوزكريا المصري روى عنه البخاري وغيره وهو ثقة وان ضعفه بعضهم توفي سنة احدى وثلاثين ومائتين (عن الليث) بن سعد بن عبد الرحمن بن حمزة عالم مصر واصله من اصبهان وكان نظيرا لامام مالك وكان اسخى الناس فقيل انه كان دخله في كل يوم الف درهم ولم تجب عليه زكاة توفي يوم الجمعة منتصف رمضان سنة خمس وسبعين ومائة وقيل غير ذلك وادرك ناسا من التابعين (عن عقيل) مصغر وهو عقيل بن خالد الحافظ احرج له الائمة الستة وله ترجمة في الميزان توفي سنة احدى واربعين ومائة (عن ابن شهاب) تقدم انه ابو بكر بن محمد الامام المشهور بالزهري (عن سعيد بن المسيب) تقدم ضبطه وترجمته (ان اباهريرة رضي الله تعالى عنه) تقدم ايضا (كان يقول قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم) من عظمة الله وجلاله وكبريائه هذا هو المناسب للترجمة او ما اعلم من احوال الآخرة واهوالها وما سيلقاه الانسان (لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا) يأتي بيانه وفي الحديث طباقان او ثلاثة بين قليل والبكاء والعلم وبين الكثرة والضحك وعدم العلم فتدبر وهذا الحديث رواه المصنف رحمه الله عن صحيح البخاري وله فيه رواية اخرى عن الترمذي اشار اليها بقوله (زاد في رواية عن ابي عيسى الترمذي رفعه) بصيغة الماضي اي زاد هذا الكلام او مصدر فهو مفعول زاد (الى ابي ذر رضي الله تعالى عنه) يعني ان رواية البخاري السابقة رواية ابي هريرة رضي الله تعالى عنه وهذه رواية ابي ذر عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقد خالف المصنف في عبارته ما اصطلح عليه المحدثون فان المرفوع عندهم ما اتصل بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم بان يذكر صحابية قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كذا فيقال رفعه الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا الى الصحابي وقيل الجار والمجرور متعلق بحال مقدرة تقديره عاريا الى ابي ذر فلا مخالفة فيه لاصطلاحهم وسيأتي تتمته (اني ارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون) المراد بما الموصولة فيهما مغيبات وامور في الملاء الاعلى اطلعه الله عليها وغيره لا يراها كرؤية الملائكة والجنة والنار وعذاب القبر والاطلاع على الموتى واحوال البرزخ وسماعه لاصوات المعذبين في القبور ولا طيط السماء المشار اليه بقوله (اطت السماء) اصل معنى الاطيط صوت الابل اذا حملت والقتب اذا ضغطه ثقل ما عليه ونحو ذلك اي ان السماء لكثرة

ما فيها من الملائكة اذا تحركوا يسمع لها صوت سمعه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (وحق لها) بالبناء للمجهول اوهو مصدر مرفوع خبره مقدم لقوله (ان تئط) اى تصوت يسمع لها صرير لثقل ماعليها وعلى الاول هو نائب الفاعل وقد قيل ان صريرها يسمع منه الحان متناسبة مطربة منها اخذ الحان الموسيقى ولذا تطرب الارواح لسماعه لتذكرها معاهد حماها وقيل انه انين من خشية الله وقال التلمساني هذا ايدان بكثرة ما في السماء من الملائكة وان لم يكن ثمه اطيط والمراد تقرير عظمة الله ثم استأنف صلى الله تعالى عليه وسلم مابين سبب اطيطها فقال (مافيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا لله) اى لبس فيها مكان خال منهم ومن هنا علم ان الملائكة اكثر المخلوقات (والله لوتعلمون ما اعلم) من احوال الدنيا والاخرة الدال على عظمة الله تعالى وقدرته (لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا) اى لضحكتم ضحكا قليلا اذا سررتم برجاء عفو الله ونظرتم ما انعم الله به عليكم ولبكيتم للخوف منه حتى يشغلكم ذلك عن التنعم والتفكه بلذائذ الدنيا (وما تلذذتم بالنساء على الفرش) بضمتين جمع فراش وكني بذلك عن مضاجعة النساء ومخامعتهن (ولخرجتم الى الصعدات) بضم الصاد والعين وفتح الدال المهملات جمع مؤنث سالم لصعد بضمتين جمع صعيد كطريق وطرق لفظا ومعنى اى لخرجتم من دوركم للطريق وممر الناس وقيل جمع صعدة كظلمة وهي فناء الدار (تجأرون الى الله) اى تصيحون وتصيحون من الجؤار بضم الجيم وفتح الهمزة والف وراء مهملة وهو الصياح ورفع الصوت اى تستغيثون الله وتتركون اهلكم ومساكنكم (لوددت اني سجرة تعضد) اى تقطع من اصلها يقال عضدت الخشب والنبات اذا قطعته واللام في جواب قسم مقدر ووددت ربة علمت بمعنى تمنيت والعرب تقول وددت ويودي اذا تمنيت (قال البحتري) وبودي لواستطعت لحفت * بصبر عن سيدي حين ملاء * وهو مستعار من المودة المعروفة قال الراغب الود محبة الشيء وتمني كونه موجودا ويستعمل في كل واحد من المعنيين على ان التمني يتضمن معنى الود لان التمني يشتهي حصول ما يوده انتهى والمراد تمنيه ان يكون غير ذي روح فلا يبعث ولا يسأل وعضد الشجر موته وآخر العهد به (وروى هذا الكلام) يعني قوله (وددت اني سجرة تعضد) فهو بدل من الكلام مبين له (من قول ابي ذر نفسه) لا من الحديث وكلام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (وهو) اى كونه منه قول ابي ذر (اصح) وفي نسخة واضح بالضاد المعجمة والصحيح اصح اى كونه من الحديث مرفوعا له صلى الله تعالى عليه وسلم وهو اليق بحاله وانسب بكلامه بخلاف ماقبله فانه من الحديث بلا خلاف والى هذا اشار المصنف رحمه الله تعالى بقوله سابقا زاد في روايتنا عن ابي عيسى الترمذي رفعه الى ابي ذر

واذا كان من كلام ابي درفهو مدرج في الحديث اذلم يميز لفظه عن لفظه فاعتراض البرهان الحلبي عليه بانه كان ينبغي له ان يقول انه مدرج لاوجه له نعم في عبارته السابقة كدر لايخفى قيل وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم تمنى ماذكر مشكل لانه مقطوع له بالزلفى آمن من كل سوء موقن بالدرجات العلى وخوفه انما هو خوف اجلال وهيبة كخوفنا من غضب الله وسوء الخاتمة وقول بعض الصحابة المبشرين بالجنة لينى طائر ولينى لم اخلق بشرا اوليتنى كبشا يذبح ويؤكل لحمه ليس لعدم الوثوق بالوعد بل لم يكن الا خوفا من مخالفة امره فانهم يجلونه ويخافون من مخالفته وان لم يعاقبهم وهذا كلام من لم يحقق المقام وقد تقدم في اول الفصل مافيه كفاية (وفي حديث المغيرة رضي الله عنه) المتفق عليه في رواية الشيخين والمغيرة بضم اوله وتكسر اتباعا اى ابن شعبة من الصحابة وهو احد دهاة العرب (صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم) اى صلاة التطوع والتهجد لان الزيادة المذكورة في بعض الروايات انما تأتي فيها (حتى انتفخت قدماه) اى ورمت من طول القيام (انه كان يصلي حتى ترم) بفتح المثناة الفوقية وكسر الراء المخففة المهملة وميم مخففة مضارع ورم اذا انتفخ لانصباب المادة لقدميه من طول وقوفه صلى الله تعالى عليه وسلم ووقع في بعض النسخ ترم بتشديد الميم اى تصير رمما وهي غير صحيحة رواية ودراية (قدماه) وفي رواية ساقاه وروى تورمت وترلعت بزاى معجمة وعين مهملة اى تشققت (فقيل له اتكلف هذا) بهمزة استفهام وفتح التاء الفوقية واصله اتتكلف فحذفت احدى التائين تخفيفا اى تتحمل مشقته وكلفته (وقد غفر لك ماتقدم من ذنبك وماتأخر) جملة حالية معترضة بين الاستفهام وجوابه وسيأتي مافي اضافة الدسله صلى الله تعالى عليه وسلم مع انه معصوم عن الصغائر والكبائر على الاصح بان المراد لو صدر منك اومايعد من الذنوب بالنسبة لغيرك لتبرهك وعلو مقامك وستسمع تفصيله في محله (قال افلا اكون عبدا شكورا) لما انعم الله علي من جلائل النعم التي لاتحصى ومن اجلها عصمته لي ومغفرته لذنبي قبل وقوعه والاستفهام انكاري والفاء سببية اى اترك الصلاة لمغفرته وهي سبب موجب للعبادة لالتركها وقوله شكورا لانها نعم جليلة تستوجب مزيد شكره وقوله عبدا تلويح لغاية اكرامه له صلى الله تعالى عليه وسلم بتقريبه ونسبته لسيده وكله يقتضي اجل الشكر وهو العبادة (ونحوه عن ابي سلمة) رحمه الله تعالى واسمه عبد الله او اسمعيل او اسمه كنيته ابن عبد الرحمن بن عوف الزهري التابعي احد الفقهاء السبعة المشهور رواية عن ابي هريرة وغيره وفي الصحابة ابو سلمة عبد الله ابن عبد الاسد المخزومي مات في حياة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يعرف له الاحديث واحد واحران غير مشهورين ولا الرواية عنهم مشهورة (وابي هريرة رضي الله تعالى عنه) قال البرهان هكذا في النسخ قال المحبي

واما اخشى ان يكون هذا غلطا والصواب فيه ان يكون عن ابى سلمة عن ابى هريرة رضى الله عنه فانه وقع هكذا فى السمائل فى باب عيادة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان ذكر حديث المغيرة الذى ذكره المصنف هنا فقال بعده حدثنا الفضل ابن موسى عن محمد بن عمرو عن ابى سلمة عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه كان يصلى الخ الا ان يكون المصنف وقف على حديث آخر لابى سلمة الصحابى ولم نره قلت ويحتمل ان يكون مراده عن ابى سلمة عن ابى هريرة ولكنه عطف احدهما على الاخر وهو بعيد ايضا (وقالت عائشة رضى الله عنها) كما رواه الشيخان (كان عمل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ديمه) بكسر الدال وسكون الياء المنقلبة عن الواو لانه من الدوام ومعناه الدائم واصل معناه المطر الدائم فى سكون وهدو وفى الحديث احب الاعمال الى الله تعالى مادووم عليه وان قل لان ترك الشئ بعد فعله كالاعراض عنه بعد الاقبال ولذا وقع الوعيد لمن حفظ القرأن ثم نسيه (وايكم يطيق ما كان يطيق) اى ايكم يقتدران يعبد الله كما عبده صلى الله تعالى عليه وسلم كما وكيفا (وقالت) عائشة رضى الله تعالى عنها (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يصوم حتى نقول لايفطر ويفطر حتى نقول لايصوم) روى نقول بالنون والتاء الفوقية وبرفع يقول ونصبه كما قرئ به فى قوله تعالى وزلزلوا حتى يقول الرسول بمعنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان فى بعض الازمنة يوالى الصوم حتى يتوهم انه صائم الدهر وتارة يكثر الفطر حتى يظن انه لايصوم ماقلة وقيل المراد انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يصوم من اول الشهر ووسطه وآخره حتى يتوهم من صادف ايام صومه انه دائم الصوم ومن صادف افطاره كذلك وهو بعيد وهذا لاينافى كون عمله صلى الله تعالى عليه وسلم ديمة لانه بالنسبة لما كان راتبا كصوم ثلاثة ايام من كل شهر وهذا بالنسبة لغيره ولك ان تقول الاول فى صلاته وقيامه وهذا فى صيامه ويؤيده لفظ العمل لكن يأباه قوله (ونحوه عن ابن عباس وام سلمة وانس رضى الله عنهم) اسم ام سلمة هند على الصحيح وقيل رملة والاحاديث التى رواها هؤلاء بمعنى ما تقدم مع اختلاف فى بعض الفاظها وكلها صحيحة مروية فى الصحيحين وابن حبان وقد ذكرها بعض الشراح هنا ولكن لاحاجة بنا لايرادها هنا كما فى الشرح الجديد (وقالت) عائشة (كنت لاتشاء ان تراه) صلى الله عليه وسلم (من الليل مصليا الا رأيته مصليا ولا نائما الا رأيته نائما وقال عوف بن مالك) هو عبد الرحمن الاشجعى الصحابى الجليل القدر رضى الله عنه سكن الشام وتوفى فى ايام عبد الملك سنة ثلاث وسبعين وهذا الحديث رواه ابو داود والنسائى (كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فاستاك ثم توضأ ثم قام وصلى ففعلت معه) اى اتهجد واقتدى به وفيه دليل على صحة الاقتداء فى صلاة النافلة من غير نزاع واليه ذهب الشافعى رحمه الله وبعض الحنفية (وبدأ) الصلاة وفى نسخة

فابتدأ بالفاء اى شرع فى الصلاة (فاستفتح البقرة) اى شرع فى قراءتها وفيه دليل على انه يقال البقرة وسورة البقرة من غير كراهة كما ورد فى احاديث لاتحصى واسماء السور توقيفية على الاصح خلافا لمن قال انه يكره وانما يقال السورة التى يذكر فيها البقرة السورة التى يذكر فيها التين وهكذا لما روى الطبرانى والبيهقى عن انس مرفوعا لا تقولوا سورة البقرة ولا سورة آل عمران ولا سورة النساء ولكن قولوا السورة التى يذكر فيها البقرة وهكذا وهو ضعيف بل قال ابن الجوزى انه موضوع والاحاديث المعارضة له صحيحة فهى ارجح وعليه العمل او نقول ان هذا كان فى اول الاسلام ثم نسخ لان المشركين كانوا يستهزؤن بهم اذا قالوا سورة العنكبوت ونحوها فلما كفاه الله المستهزئين وكف السيف ايديهم والسنتهم قيل ذلك من غير حرج (فلا يمر) صلى الله تعالى عليه وسلم (بآية رحمة الا وقف فسأل) الله الرحمة (ولا يمر بآية عذاب الا وقف وتعوذ) بالله من العذاب وهذا الحديث اخرجه ابو داود والنسائى ويؤخذ منه ينبغى لمن قرأ القرآن ان يتدبره ويتذكر فى معانيه وان الدعاء بما يناسبه مستحب ومستحاب فيدعو بما يناسبه واذا ذكر الايمان بالله يستحب ان يقول آمنت بالله ونحوه ونحو هذا ما ورد ان من قرأ سورة تبارك فبلغ فى يأتيكم بماء معين فليقل الله رب العالمين واذا قرأ سورة التين فبلغ اليس الله باحكم الحاكمين فليقل بلى وانا على ذلك من الشاهدين واذا قرأ لا اقسم بيوم القيامة وبلغ قوله اليس ذلك بقادر على ان يحيى الموتى فليقل بلى واذا قرأ والمرسلات وبلغ فبأى حديث بعده يؤمنون فليقل آمنا بالله واذا قرأ سبح اسم ربك فليقل سبحان ربى الاعلى واذا قرأ سورة الرحمن فليقل عند كل فبأى الاء ربكما تكذبان ولا بشئ من نعمك ربنا نكذب وكل ذلك ورد فى الاحاديث الصحيحة وهذا نظير سجود التلاوة الا ان من الناس من فعل امورا زائدة على ما ورد كالدعاء بين الحلالتين فى سورة الانعام وقد قال القاضى انه بدعة لم يرد فى اثر ولا حديث (ثم ركع فمكث) بضم الكاف وهى لغة القرآن وتفتح فى لغة عنه ومعناه انتظر وتوقف (بقدر قيامه يقول سبحان الله ذى الجبروت والملكوت والعظمة) هذه الصيغة مر انها صيغة مبالغة كالرهبوت والرحموت والرغبوت وهى مصادر فى الاكثر ووردت فى الاسماء ايضا كالجالوت والجبروت مبالغة فى الجبر وهو القهر والملكوت الملك العظيم وعقبهما بالعظمة لانهما كالدليل عليهما ولانها اعم ويكون صلى الله تعالى عليه وسلم كرر ذلك مرارا كثيرة حتى يكون بمقدار قيامه كما لا يخفى (ثم سجد فقال مثل ذلك ثم قرأ آل عمران) اى السورة التى ذكر فيها قصة آل عمران وقد تقدم جوازه وما فيه (ثم سورة سورة) اى قرأ فى صلاته فى كل ركعة سورة بعد سورة وهما منصوبان على الحالية كما قرره النحاة فى قولهم قرأت النحو بابا بابا وجعله التلمسانى منصوبا مفعولا لقرأ المقدر وفيه نظر والسورة مهموزة من السؤر وهو بعض الماء الباقى فى الاناء وتبدل همزته واوا

لسكونها وانضمام ماقبلها وقيل ان واوه اصلية على انه من السور لاحاطتها بالايات اومن السوار اومن التسور لرفعتها والسورة مقدار من القرأن مشتمل على آيات اقلها ثلاثة مسماة باسم ولايرد عليه آية الكرسي لذكر الاية (يفعل مثل ذلك) المذكور من القراءة والتسبيح (وعن حذيفة) بن اليمان الصحابي المشهور رضي الله تعالى عنه وهذا الحديث رواه مسلم عنه (مثله) اى مثل الحديث السابق (وقال) حذيفة رضي الله تعالى عنه (سجد نحوا من قيامه وجلس بين السجدتين نحوا منه) اصل معنى النحو القصد ومنه علم النحو ويقال هذا نحو هذا اى مثله او قريب منه (فان قلت) ذكر الفقهاء ان الجلوس بين السجدتين ركن قصير غير مقصود لذاته بل للفصل بين السجدتين حتى قال بعض الشافعية ان تطويله قصدا مبطل للصلاة ومخل بالموالاة وحديث حذيفة صحيح رواه مسلم كما مر وهو مناف لما ذكر (قلت قالوا انه انما يضر ادا طول بسكوت او بذكر غير مشروع فلو طول بغير ذلك كما فى صلاة التسبيح فلا يضر وقد يستحب كما ذهب اليه النووى تبعا لامام الحرمين استدلالا بحديث حذيفة هذا ولايشترط ان يكون بمقدار اكل التشهد (وقال) حذيفة رضى الله تعالى عنه (حتى قرأ البقرة وآل عمران والنساء والمائدة) اى قرأ فى ركعة بسورة من هذه السور (وعن عائشة رضى الله عنها) فى حديث صحيح اخرجه احمد والنسائى عن ابى ذر والآية التى ذكرت فى قولها (قام برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بآية من القرأن) اى رددها طول ليلة وتكررها فى كل ركعة وهى كما صرح به ان تعذبهم فانهم عبادك الآية فى سورة المائدة وانما اكثر ترددها للتدبر والتفكر فيها فان القرأن له بطون سبعة فى كل قراءة يظهر له صلى الله تعالى عليه وسلم مالم يظهر قبل والله تعالى تجلى لخلص عباده فى كلامه ولكن لاتبصرون كما روى عن جعفر الصادق رضى الله تعالى عنه فى كل قراءة يتجلى له الله فى مرآة كلامه ومثل هذا الاتى به العبارة اللهم نور مشكاة قلوبنا حتى تطبع فيها صور الحقايق (وعن عبد الله بن السخير) بكسر السين والخاء المعجمتين المشددتين ومثناة تحتية ساكنة وراء مهملة وهو ان عوف بن كعب العامرى الصحابى البصرى المخضرم الذى ادرك الجاهلية والاسلام وروى له اصحاب الكتب الستة وهذا الحديث رواه ابوداود والترمذى والنسائى (اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى ولجوفه ازيز كازيز المرجل) جوف كل شئ باطنه والمراد به ماتحت صدره واضلاعه والازيز بهمزة مفتوحة وزايين معجمتين بينهما ياء مثناة تحتية ساكنة وهو صوت العليان اذا اشتد وهو المشبس والمراد انه صلى الله عليه وسلم لشدة خوفه وخشيته من الله يسمع حركة قلبه اذا رق صدره وقيل صوت الحزين مع البكاء والمرجل بكسر الميم وسكون الراء المهملة وفتح الجيم واللام القدر مطلقا وقيل من نحاس (قال ابن ابى هالة) الصحابى المتقدم رضى الله تعالى عنه (كان صلى الله عليه وسلم

متواصل الاحزان) اى حزينا حزنا يتصل بحيث لايفصل بينهما فرح مسرة ووهذا يقتضى الدوام ولذا فسره بقوله (دائم الفكرة) اى تفكره دائما فى امره وامر امته ومن كان هكذا (لبست له راحة) لاستغراق اوقاته فى الذى كلفه من اعباء الرسالة وتبليغ الاحكام وتدبير الحروب والوقايع ومن نيط به امور جميع الخلايق كيف يعصى من الهم فان الامور يقدر الهمم والظاهر ان هذا حاله صلى الله عليه وسلم اذا لم يكن متكلما مع الناس فى مصاحبته لهم وحكمه بينهم وملاقاة من يقدم عليه من الوفود وعرض الناس عليه امورهم وفى عشرة اهله واما ذلك حال سكونه وهو بين الناس وفى خلوته بنفسه ومشيه وتعبده اما فى غير ذلك فكان طلق المحيا متبسما متلقيا بالبشر ودوام كل شئ بحسب زمانه *فاقسم لكل زمان مايليق به * فان لارند حليا لبس للعنق* فسقط ما قيل انه وصف فى غير هذا الحديث بانه صلى الله تعالى عليه وسلم دائم البسر وهذا مناقض له وقد اورد عليه ايضا ان الحزن فضلا عن دوامه غير محمود وقد نهى الله تعالى عنه فقال ولاتنهوا ولا تحزنوا وقال لاتحزن ان الله معنا وقال انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا واستعاذ صلى الله تعالى عليه وسلم منه فقال اللهم انى اعوذبك من الهم والحزن وتقدم الفرق بينهما بان الهم لمايقع فى المستقبل والحزن لما مضى وكلاهما مفتر للعزم مضعف للقلب غير معدود من مقامات العارفين ولذا قال اهل الجنة الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم مايصيب المؤمن من هم ولا نصب ولا حزن الا كفر الله به من خطاياه يدل على انه مصيبة يؤجر المرؤ عليها وسيأتى الكلام عليه والحديث الذى ذكره المصنف رواه الطبرانى والقضاعى وقال ابن القيم كما سيأتى انه لم يثبت وفى سنده من لايعرف ولا اعلم صحته وفى التورية اذا احب الله عبدا جعل فى قلبه نايحة واذا ابغضه جعل فى قلبه مزمارا فقال ابن القيم اجمع اهل السلوك على الحزن لبس من مقامات السائرين الى الله الا ابو عثمان الخيرى فانه قال الحزن فضيلة وزيادة كمال للمؤمن مالم يكن على معصية لانه ان لم يوجب تخصيصا اوجب تمحيصا فهو بلاء ومحنة كالمرض لامقام كما قاله الجلى وحزنه صلى الله تعالى عليه وسلم لما اودعه الله فيه من الرحمة ورقة القلب فكان يحب هداية الامة فاذا رأى ماهم عليه من العناد هم وتحلفهم حزن لذلك وخاف من أن ينسب اليه قصور فى دعوتهم وبما قررناه ظهر انه ليس فيما ذكر اشكال بوجه من الوجوه ولاحاجة لتفسير دوام الفكرة بادمها فى ذات الله وصفاته حتى يرد عليه انه منهى عنه فيجاب بان المنهى غير الكمل كما قيل (وقال عليه الصلاة والسلام انى لاستغفر الله فى اليوم مائة مرة وروى سبعين مرة) هذا حديث صحيح وسيأتى الكلام عليه وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم استغفر الله بمعنى اطلب منه المغفرة او اذكر هذا اللفظ بعينه والسبعون عدد معلوم وقد يراد به مجرد التكثير وعلى هذا يكون الروايتان بمعنى

وطلب المغفرة وان اقتضى الذنب وهو صلى الله تعالى عليه وسلم معصوم من الكبائر والصغائر مطلقا على لاصح المراد به انه مع كماله صلى الله عليه وسلم يشهد فى نفسه قصورا بل منزلة الذنب فاستغفر له او عد اشتغاله بما يحل له كالاكل واستغاله بامور الناس ذنبا لعوقه عن السهود او هو تشريع لامته او كان استغفاره صلى الله عليه وسلم لذنوبهم اوانه لم يزل مترقيا فى المقامات وكلما ترقى لمرتبة رأى ما دونها نقصا فاستغفر منه وستأتى تتمته (وعن على كرم الله وجهه سألت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن سيئته) اى طريقته التى هو عليها وهذا الحديث ذكره فى الاحياء وقال الحافظ العراقى انه لا اصل له وقال السيوطى رحمه الله تعالى انه موضوع وآثار الوضع لائحة عليه وهو يشبه كلام الصوفية (فقال المعرفة رأس مالى) رأس المال هو المال المعد للتجارة وما يكتسب به هو العائدة والمراد بالمعرفة معرفة الله وصفاته والوقوف على عوارض الامور مما لم يكن يعلمه وهى تختص بالعلم المسبوق بالعدم او بالجزئيات ولذا قيل ان علم الله لا يسمى معرفة ولا يقال لله عارف الا بما جاء تسمى العلم ايضا والمراد هنا الاول لمقابلتها بالعلم وهذا تشبيه بليغ كما قيل * اذا كان رأس المال عمرك فاحترس * عليه من الانفاق فى غير واجب * وقد تقدم (والعقل اصل دينى) مراد العقل قوة غريزية فى الانسان يستعد بها لادراك العلوم اى دينه وشرعه اى ما تعبد به وتدين قبل البعثة او قبلها وبعدها مبنى على ما اودعه تعالى فيه من كمال عقله الذى هداه الى النظر فى مصنوعات الله الدالة على وحدانيته وعظمته وانه هو الحقيق وفى الحديث ان عائشة رضى الله تعالى عنها قالت يا رسول الله بم يتفاضل الناس قال بالعقل فى الدنيا والآخرة فقالت ليس يجزون باعمالهم فقال يا عائشة هل يعمل الا من له عقل فبقدر عقولهم يعملون وبقدر عملهم يجزون وقد اتفقوا على ان ما اعطى الناس من بدء الدنيا الى آخرها من العقل بالنسبة لعقله صلى الله تعالى عليه وسلم كنسبة ذرة من الرمل الى رمال الدنيا كلها (والحب اساسى) اى محبة الله بعد معرفته لان من لم يعرف لا يحب فهى اساس بنى عليه اموری فى اتباع اوامر الله ونواهيه كما انه موجب لاتباع الناس لى كما قال تعالى * قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ولا تكمل ايمان احد حتى يكون الله احب اليه من نفسه واهله وماله كما سيأتى بيانه وجمع هذه الامور فى نسق واحد لان رأس المال والاساس والاصل من واد واحد وتغاير العبارة انما هو تلوين الخطاب (والشوق مركبى) اى ستوفى الى المطالب العلية والى لقاء الله تعالى هو الذى حركنى حتى وصلت لمرادى (كما قيل)

* وقالوا قد اتيت لهم سريعا * مجدا على سبلى للتلاق *
* ركبت على البراق فقلت كلا * ولكنى ركبت على اشتياق *

والشوق اعلى من المحبة لانه يسؤ عنها فانه انجذاب النفس لشدة ميلها الى لقاء

من يشتاقه (وذكر الله ايسى) وفى نسخة انسى يعنى انه يأنس فى حلوته وخلوته بذكر الله لانه اذا اكثر من ذكره صار يصعب عليه حتى كلامه معه ومن كان الله معه آنس به واستوحش مما عداه ومن كان له ورد فى الصباح والمساء كان من الذاكرين الله والذاكرات لقوله اذكرونى اذكركم وقال سمنون حقيقة الذكر ان ينسى ماسواه ويستغرق الاوقات فيه

* لالانى انسالك اكثر ذكرك * ولكن بذالك يجرى لسانى *

(والثقة) بكسر المثلثة مصدر كالسعة بمعنى الوثوق بما عند الله ومايطلب منه (كنزى) الكنز المال المكنوز اى المدفون وفيه بلاغة وبكتة بديعة لان من له مال مدفون لايراه ولكنه انفع مما يراه فكذا ماترجوه من الله قبل حصوله انفع من الحاصل عند الثقة كما قيل

*وانى لارجو الله حتى كانى * ارى بتحميل الطلب ما الله صانع *

وعلامة الثقة بالله بذل الوجود وترك طلب المفقود (والحزن رفيقى) اى لايفارقنى وذكره مع الايئس لان الرفيق ايئس وهذا بمعنى ماتقدم من قوله متواصل الاحزان وقد علمت مافيه (والعلم سلاحى) اى علمى بالله وبما علمنى من لدنه واوحاه الى ادفع به من يجادلنى ويخاصمنى وادفع الشيطان ووسواسه كما يدفع العدو بالسلاح وآلات الحرب (والصبر) فى المكاره وتحمل المشاق وعدم العجلة فى الامور (ردائى) الرداء مايكون فوق اللباس وبه يتجمل ظاهر المرء ولما كان الصبر فيه سكون وتجمل وعلم ووقار يساهده الناس شبهه بالرداء لتجمله به ودفعه ضرر البرد فاقيل من انه لوشبهه بالدرع واللحاف صح كما قيل * تدرعت صبرى والتحفت صبروه * وقلت لنفسى الصبر اولى فاهلكى * ايس بسيئ (والرضاء) بالقصر مصدر رضو بالمد اسم كما فى الصحاح والذى فى النسخ بالمد (عصيتى) جعل عصية لانه يقهر به عدو نفسه اللوامة ويأسرها ادالراضى بما قسم الله لايتمنى مالم يكن فيحصل له عمى القلب والراحة كما قيل

* هل هى الامدة وتمضى * مايعلب الايام الا من رضى *

ولاشك ان الرضاء بماقدره الله واجب وقوله فى السرح الجديد واختلف العلماء فى الرضاء هل هو واجب اومستحب قيل هو مستحب لانه لم يرد الامر به وانما ورد الثناء على المتصف به والى هذا ذهب محققوا العلماء مما لايدعى ذكره (والفقر فخرى) وفى نسخة البرهان وغيره والصبر بدل الفقر اى اظهار انه عاجز ضعيف وان القدرة والقوة لله وهو مقتضى مقام العبودية كما قال تعالى وخلق الانسان ضعيفا والبخل المذموم الذى استعاذ منه الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فى قوله اللهم انى اعوذ بك من البخل والكسل بمعنى ؤخره وهو التثاقل عن العبادة والتوانى كما قيل

* اذا ما التوانى انكح العجز بنته * فساق اليها حين اصدقها مهرا *

* فراشا وطاء ثم قال لها اتكى * فصار اهما لاشك ان تلدا الفقرا *

وقال ابن تيمية الفقر فخرى ليس بحديث ومن قال انه حديث فقد كذب وقيل الظاهر

ان المراد بالعجز بفتح فسكون هو العجز عن طلب الدنيا والتمكن فى الثروة والتوكل وارد به لازمه وهو العقر ولا وجه له فانه صلى الله تعالى عليه وسلم لبس بعاجز عما ذكر وانما تركه واعرض عنه باختياره كما مر والاوجه ان المراد به ما مر كما فى حديث لايدخل على الاعجزة الناس اى ضعفاؤهم وفى آخر اهل الجنة كل ضعيف متضعف وفى حديث هرقل ضعفاء الناس اتباع الرسل وفى حديث الاسراء امتك اضعف الامم وهم اكثر اهل الجنة قيل فقوله العقر فخرى قد يقال انه رواية بالمعنى فليس بكذب وفيه نظر ولذا قال الحافظ بن حجر انه باطل موضوع فانه ورد مدح العقر فى الحديث كحديث تحفة المؤمن فى الدنيا العقر وقد روى بسند لا بأس به واثبات المحرله وقوله فى قوله لا فخر لانه ليس من شانه لان المراد به الخصلة الحسنة التى من شانها الافتخار بها او المراد فخرى او كسر الفخر كما قيل فى قراءة انما يخشى الله من عباده العلماء برفع الجلالة اى انما يخشاهم لو كان يخشى غيره وان كان المشهور ان المراد الخشية لازمها وهو التوقير والتعظيم والعقر مع الصبر وسف محمود قال العبد هو الله كما قال تعالى * يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغنى الحميد (و الزهد حرفتى) الحرفة بكسر الحاء وسكون الراء المهملتين والفاء هى الصناعة التى يرتزق منها الانسان والزهد ترك ما يرغب فيه من الدنيا قال الحميد الزهد خلو الايدى من الاملاك والقلوب من التعلق وليس الزهد عدم الملك قال سليمان عليه الصلوة والسلام كان راهدا مع ان الدنيا كلها فى قبضته والتعبير بالحرفة ليس فى محله فانه يوهم انه جعلها مكسبا وفيه شاهد للوصيع وما قاله فى مشايخ زماننا

* قد قام فى سوق الرياء احرا * و باع للسرقة ارشاده *
* حرفته الزهد وذكاته * بيع فيه الكذب سجاده *

(واليقين قوتى) اليقين الاعتقاد الجازم وهو قوت القلب من قام به لاطمئنانه وعدم خوفه من غير الله وهذا شامل لحق اليقين وعين اليقين والفرق بينهما مشهور فى التفسير وكتب الكلام (والصدق سعيى) الصدق بمعنى مطابقة الخبر والمراد به ما اصطلح عليه المشايخ من انه استواء السر والعلانية والوفاء لله عز وجل بكل ما عهده اليه ويصح ارادة المعنى الاول والمراد بكونه سعيه انه سبب صالحه عند الله او المراد تعليم امته (والطاعة حسبى) بفتحتين هو ما يعده المرء من مفاخر آبائه اى طاعة الله فى السر والعلانية هى التى افتخر به واعده مأثرة لا ما يفتخر الناس به او هو بسكون السين اى الطاعة تكفينى (والجهاد) فى سبيل الله او مجاهدة النفس بمخالفتها (حلى) اى طبعت على محبته (وقرة) بضم القاف وتشديد الراء المهملة (عينى) الباصرة اى مسرتها وفرحها فى الصلاة لما تشاهد فيها من التجليات الالهية فانها المعراج الاصغر والقرة مأخوذة من القر وهو البرد لان دمعة السرور باردة او من القرار لان نظر

الامية برؤية مايسر تسكن به العين فلا تستشرف لغيره وقد تقدم ما فيه (وفى حديث آخر) لم يذكره المخرجون لاحاديث هذا الكتاب (ومرة فؤادى فى ذكره) الفؤاد القلب وداخله وهو محل العقل على الاشهر فجعله كشجرة مثمرة وجعل ذكر الله المقصود منه (وغمى لاجل امتى) رأفتى عليهم فى الدنيا والآخرة (وشوقى الى لقاء ربى) ومناجاته والتوجه اليه ﴿ فصل اعلم وفقنا الله واياك ﴾ تقدم الكلام عليه (ان صفات الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام) هو من عطف الخاص على العام اعتناء لشانهم وبيانا لسر فهم وسيأتى تفصيله (من كمال الخلق وحسن الصورة) الخلق بفتح فسكون والمراد خلق مادة جسمه واعضائه والصورة هيئة بدنه وتناسب اعضائه ومقاديرها ولون بسرته (وشرف النسب) اى شرف آبائه وامهاته واجداده وجداته الى ان ينتهى الى آدم عليه الصلوة والسلام فليس فيهم خسيس ولا وضيع (وحس الخلق) بضمتين او ضم فسكون وقد تقدم بيانه (وجميع المحاسن فى هذه الصفة) كذا فى بعض النسخ وفى غيرها وعليه السراح هو بالضمير بدل فى الجارة قال القسطلانى هذه الصفة خبر ان ووقع بين اسم ان وخبرها ضمير الفصل لقصر الصفة على الموصوف كان زيدا هو المطلق اى لاغيره واتى بها على لغة الافراد لتغاير بين المبتدأ والخبر فان الاتحاد غير جائز وعرفها بالالف واللام ليشعر بان المراد استغراق ما ذكره من كل الصفات المذكورة انتهى وتبعه بعض السراح ولم يبينه غيرهم وجميع المحاسن على هذا معطوف على اسم ان فهو منصوب فالمعنى ان كمال الخلق وحسن الصورة وشرف النسب وحسن الخلق صفات جامعة لجميع المحاسن وهى صفة الرسل عليهم السلام وهى على الوجه الاتم الاكمل لاتجتمع فى غيرهم ومن بيانية مبينة لصفات جميع الانبياء والرسل والصفة بمعنى الصفات المذكورة ولا يخفى ما فيه من الغلاقة والحشو وان قوله هذه الصفات هذه الصفة ركيكة جدا ولو قيل ان قوله من كمال الخلق الخ خبر ان ومن ابتدائية وجميع مرفوع مبتدأ وفى هذه الصفة خبره والمعنى جميع صفات الانبياء عليهم السلام ناشئة من كمال الخلق الى آخره وجمع المحاسن مجموعة فيها كان اطهر واحسن (لانها صفات الكمال) اى صفات بها يكمل البشر (والكمال والتمام البشرى) تقدم الفرق بين الكمال والتمام (والفضل الجميع) مبتدأ وكان الاحسن ان يقول والفضل جميعه (لهم) خبره اى ثابت للانبياء عليهم الصلوة والسلام (درجتهم اشرف الرتب ودرجاتهم ارفع الدرجات) فيه اشارة الى تفضيلهم على الملائكة كما سيأتى (ولكن فضل الله بعضهم على بعض) استدراك لدفع ما عسى يتوهم من تساويهم رتبة ثم اشار على طريق اللف والنشر المشوش الى الدليل على عدم تساويهم بقوله (قال الله تعالى تلك الرسل) المذكورين فى سورة البقرة فالتعريف عهدى او جمع الرسل الذى يعلمهم فهو استغراقى

(فضلنا بعضهم على بعض) بمواهب سنية ومراتب علية غير اصل النبوة والرسالة منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وهو محمد او ابراهيم عليهما الصلاة والسلام واشار الى فضلهم على من عداهم بقوله (وقال تعالى ولقد اخترناهم على علم) مبنا باحوالهم (على العالمين) وهذا من المصنف رحمه الله تعالى مبنى على ان الضمير للانبياء مطلقا و المراد بالعالمين جميع العالم لا على ما اختاروه من انه لبنى اسرائيل والعالمين عالمى زمانهم لكثرة الانبياء فيهم (وقال عليه الصلوة والسلام) فى حديث رواه الشيخان عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه (ان اول زمرة) اى طائفة وجماعة (يدخلون الجنة على صورة القمر) اى وجوههم مشرقة مضيئة وليس المراد انها مثله فى الاستدارة وغير ذلك ولذا قال (ليلة البدر) وهى ليلة اربعة عشر وهى اضواء ما يكون فيها وسمى بدرا لامتلائه بالنور او لمبادرته مغيب الشمس بالطلوع وهو يسمى هلالا فى اول الشهر ثم يسمى بدرا اذا تم * ان الهلال اذا رأيت نموه * ينبيك ان سيعود بدرا كاملا * و القمر يطلق عليه دائما كما بينه اهل اللغة وتمام الحديث ثم الذين يلونهم كاشد كوكب درى فى السماء اضاءة (ثم قال اخر الحديث قلوبهم على قلب رجل واحد) لاختلاف بينهم ولا تباغض لكل امرئ منهم زوجتان من الحور العين يرى مخ سوقهن من وراء العظم واللحم يسبحون الله بكرة وعشيا لا يسقمون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون ولا يحيضون آنيتهم الذهب والفضة وامشاطهم الذهب ووقود مجامرهم الالوة ورشحهم المسك وفى اثر ان له من الحور العين اثنين وسبعين حورية سوى ازواجه من الدنيا وان الواحدة منهن لتأخذ مقعدها قدر ميل من الارض (على خلق رجل واحد على صورة ابيهم آدم عليه السلام طوله ستون ذراعا فى السماء) والمراد بهذه الزمرة الانبياء عليهم الصلاة والسلام و بالذين يلونهم الاولياء والعلماء الراسخون وقيل المراد بهم الانبياء و الاولياء و بالذين يلونهم بقية المؤمنين الاتقياء وقوله آنيتهم الذهب والفضة اما على اللف و النشر فاية الفرقة الاولى من الذهب و الثانية من الفضة او هما لهما بقرينة جعل امشاطهم كلها من الذهب ويحتمل ان يكون اكتفاء اى من الذهب والفضة ورجح بعضهم ان يكون هؤلاء كلهم من امة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لحديث الصحيحين يدخل الجنة من امتى سبعون الفا تضئ وجوههم اضاءة القمر ليلة البدر ويعلم منه حال الانبياء بالطريق الاولى او هم مسكوت عنهم و علمهم عند الله و جعلهم على صورة آدم عليه الصلوة والسلام لانه كان اجمل الناس واتمهم خلقا والستون ذراعا اما ذراعه نفسه او بذراع معهود عند المخاطبين والاول اظهر لكن روى ابن ابى الدنيا عن انس يرفعه يدخل اهل الجنة الجنة على طول آدم ستون ذراعا بذراع الملك على حسن يوسف وعلى ميلاد عيسى ثلاث وثلاثين سنة وعلى لسان محمد صلى الله عليه

وسلم جردمردا مكحلين وورداد عرضه سبعة اذرع والحديث يدل على تبدل الوانهم فمن كان اسود اواشقر صار ابيض بياضا معتدلا وروى الامام احمد عن ابى هريرة يرفعه يدخل اهل الجنة الجنة جردا بيضا جعادا مكحلين ابناء ثلاث وثلاثين وهم على خلق آدم ستون ذراعا فى عرض سبعة اذرع وقوله فى السماء يحتمل ارادة الحقيقة منه اى كابتداء خلقه وصورته اذ كان فى السماء اوالمراد جهة العلو اى طوله دلك اذا كان منتصبا قائما (فائدة) استنبط بعضهم من اثران مقعد الحوراء فى الجنة ميل ان كل آدمى يدخل الجنة يكون طوله اثنا عشر الف دراع بذراع السرع الذى هو شبران لان مقعد الحوراء ميل فيكون طولها ثلاثة اميال ومقعد الواحد مما ثلث قامته تقريبا والعالم ان الذكر كالانثى فى الخلقه فيكون طول الرجل اثنا عشر الف ذراع كما تقدم يقسم على الستين الواردة فى الحديث فيكون كل دراع من الستين ما يأتى ذراع شرعى تقريبا

(وفى حديث ابى هريرة رضى الله تعالى عنه الذى رواه الشيخان ابصار أيت موسى عليه الصلوة والسلام) ليلة الاسراء عيانا لامناما لان لانبياء عليهم الصلوة والسلام احياء لاتبلى اجسادهم (واذا رجل ضرب) اذا فجائية اى فاذا هو رجل ضرب بفتح الصاد المعجمة وسكون الراء المهملة والموحدة ورجل هنا بفتح فضم بمعنى المشهور وهو الذكر من بنى آدم ومعنى ضرب بالفتح والسكون ان جسمه بين الهزال والسمن وقال الخليل رحمه الله تعالى انه القليل اللحم ووقع فى رواية الاصيلى بسكون الراء وكسرها والاصح الاول وروى مضطرب وهو الطويل غير الشديد الطول وفى مسلم عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما انه جسيم وسط وحمل هذا على ما يوافق رواية مضطرب لا على كثير اللحم كما وقع فى صفة الدجال فهو من الاضداد (رجل) بفتح المهملة وكسر الجيم وجاء فتحها فى لغة قليله اى شعره متكسر قليلا ليس بسبط لاتكسر فيه ولا جعد متكسر كثيرا (اقنى) بقاف ونون من القنى بالفتح والقصر وهو طول الانف ودقة ارنبته يقال رجل اقنى وامرأة قناء وقيل القناء احديداب فى الانف فعناه محدوب وليس بعيب فى الناس وفى النهاية القناء فى الانف طوله ودقة ارنبته مع حدب فى وسطه واما قول كعب رضى الله تعالى عنه

* قناء فى حرمتها للصير دها * عتق مبين وفى حديه تسهيل *

فعنى آخر لاحاجة بنا به هنا (كانه من رجال سوءة) بفتح السين المعجمة وضم الواو وواو ساكنة وهمزة وقد تبدل الهمزة واوا ودغم وهاء على وزن فعولة وهى اسم قبيلة ويقال لها اردسوءة واسد سوءة وهى بالميم مشهورة وهى من الشناء وهو التباعد مما يدنس يقال رجل سوء اذا كان ظاهر الدنس دا مروة سميت بذلك لعلو نسبهم وحسن سيرتهم وافعالهم وهذا الحديث متفق عليه وفى رواية البخارى كانه من رجال الزط وهم نوع من السودان اوالهنود طوال الاجسام مع نحافة وهذا هو

وجه الشبه اى انه طويل غير جسيم (ورأيت عيسى عليه الصلاة والسلام) يقظة
فى الاسراء كما سيأتى (فاذا هو رجل ربعة) بفتح الراء المهملة وسكون الباء الموحدة
وفتحها اى بين الطول والقصر معتدل القامة (كثير خيلان الوجه) بكسر الخاء
المعجمة وسكون المثناة التحتية جمع خال وهو الشامة السوداء المعروفة وما قيل من
ان كثرة الخيلان مذمومة غير مسلم واختلفت الرواية فى لونه فروى انه آدم اى اسمر
وروى (احمر كانما خرج من ديماس) بكسر الدال المهملة والمثناة التحتية وميم
والف وسين مهملة وهو الحمام والكن واصله السرب فى الارض والمراد صفاء لونه
مع حمرة فيه فرواية آدم بمعنى شديد الحمرة لا تنافى هذه (وفى حديث آخر) لم يعرف
راويه (مطس) بالتشديد والطاء المهملة اى ضامر الطى كما يفسره قوله (مثل
السيف) اى فى استوائه ودقته وقد تعددت الرواية برؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم
للانبياء عليهم الصلاة والسلام يقظة فى السماء والارض لانهم احياء وصنف
البيهقى فى هذا جزأ مستقلا (قال) صلى الله تعالى عليه وسلم (وانا اشبه ولد
ابراهيم به) فخلقته صلى الله تعالى عليه وسلم ولونه كاربه فهو اكثر شبها به من
سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام والناس كلهم (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم
(فى حديث آخر فى صفة موسى عليه الصلاة والسلام) كما رواه البخارى فى صحيحه
(كاحسن ما انت راء من ادم الرجال) ما موصولة والعائد محذوف اى الذى انت
رائيه وآدم من الادمة وهى سمرة اللون قيل وهى فى الابل بمعنى الباص وفى الظباء سمرة
الظهر وبياض البطن ومؤنثه ادماء وادمها بضم الهمزة وسكون الدال المهملة
وبالميم جمع آدم كاسمر وسمراء وهى السمرة مطلقا او الشديدة وقيل انها البياض
والاول اصح واستدل عليه بقوله تعالى تخرج بيضاء من غير سوء اى عيب كالبرص
وانما يكون هذا اذا كان اسمر وخالف لونها لونه ويحتمل انها تخالفه لشدة بياضها
كما قيل انها كانت ذات شعاع كشعاع الشمس (وفى حديث ابى هريرة رضى الله
تعالى عنه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم) رواه ابو يعلى وابن جرير من طرق
واخرجه سعيد بن منصور فى سننه عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما موقوفا
(ما بعث الله تعالى من بعد لوط عليه الصلاة والسلام نبيا) وهو لوط بن هاران
وهو ابن اخى ابراهيم وخص ما ذكر بما بعده لانه من السام بعثه الله تعالى الى اهل
قرية يقال لها سدوم لبست من بلاده ولبست موطنا لقومه ومن بعده من الانبياء
لم يبدأ (الا فى ذروة من قومه ويروى فى ذروة اى كثرة) والذروة بكسر الدال المعجمة
وضمها وسكون الراء المهملة اعلى كل شىء اى بين قوم له دوى حدة وسعة وشرف
لا عرباء ولا من قوم ليسوا كذلك واشار بهذا الحديث الى ان الانبياء عليهم الصلاة
والسلام كلهم شاركوا نبينا صلى الله عليه وسلم فى علو النسب وشرف القوم

والذروة بمعنى الكبرة مطلقا وقد يختص بالمال وقيل الذروة المكان المرتفع وهي مثلثة الذال (ومنعة) بفتح الحروف اى ميم و نون وعين مفتوحات جمع مانع كخدمة جمع خادم ويجوز تسكين نونه او هو اسم مصدر فى الاصل كصدقة اى قوم يمنعونه ويحمونه وقصة لوط عليه الصلاة والسلام مفصلة فى كتب التفسير وفى قوله تعالى * قال لو ان لى بكم قوة او آوى الى ركن شديد * اشارة الى ما ذكر من انه لم يبعث فى قومه الذين ينصرونه و يحمونه (فان قلت كيف يكونون فى منعة وذروة وقد قال تعالى فى بعضهم وما آمن معه الا قليل وقد عاداهم قومهم وقتل بعضهم وما مناسبة ما ذكر لما عقد له الفصل من محاسن الخلق و الخلق من الصفات الذاتية (قلت قد توهم بعضهم ورود ما ذكر وليس كذلك لان ما ذكر من شرف القوم والاصالة يدل على المحاسن الذاتية لاستلزامه لها وكونهم كثيرون لا ينافى عداوتهم واما المنعة فاعتبار من اتبعه منهم ولذا ورد رحم الله اخى لوطا لقد آوى الى ركن سديد وهو لا ينافى الاية لان المراد الملائكة وما ساءه الله تعالى به (وحكى الترمذى عن قتادة ورواه الدارقطنى من حديث قتادة عن انس رضى الله تعالى عنه) تقدم ترجمة الترمذى وقتادة وان الدارقطنى منسوب لدار القطن وهى محلة ببغداد كان يسكنها وهو الحافظ الامام الجليل المشهور امام عصره فى الحديث والفقه والقراآت وغيرها من العلوم الشرعية والحديث المذكور فى الشمائل وغيرها مرسلا (ما بعث الله نبيا الا) وقد خلقه (حسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم) من ابتداء وجوده وخلقته (احسنهم) اى الانبياء عليهم الصلاة والسلام (وجها واحسنهم صوتا)لان حسن الصورة يدل على كمال الخلق والخلق اذا ظاهر عنوان الباطن كما قيل

* يدل على معروفه حسن وجهه * وما زال حسن الوجه اهدى الدلائل *

(وقال الاخر)

* يدل على فجج الطوية ما ترى * نصاحتها من قبح بعض ملامحه *

وحسن الصوت بكونه جهوريا يسمع من بعيد مع لطف فيه يدرك بالذوق ولا يلزمه كونه على رسم الموسيقى وهذا يدل على انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان اجمل من يوسف واحسن صوتا من داود عليهما الصلوة والسلام وكانت قراءته صلى الله تعالى عليه سلم فى بيته ليلا تسمع عند الكعبة وفيما بعد من منازل المدينة وما ورد فى حديث الطبرى فى يوسف فاذا انا برجل احسن ما خلق الله قد فضل الناس بالحسن المراد منه تفضيله على من عداه صلى الله تعالى عليه وسلم لاسيما ان قلنا ان المتكلم لا يدخل فى عموم كلامه كما ذهب اليه بعض الاصوليين ويدل عليه ما ورد انه صلى الله تعالى عليه وسلم اعطى الحسن كله واعطى يوسف عليه الصلوة والسلام شطره اى نصفه اى ان الحسن كله جمع له صلى الله تعالى عليه وسلم من تناسب اعضاء

وصفاء لون وغيره مما يدرك ولا يوصف ويوسف اعطي من جلس الحسن الكامل فيه نصفا وجميع الخلق وزع بينهم مايعدل نصفه الآخر فدل ذلك على انه احسن الناس كلهم كما صرح به في الحديث الذي نحن فيه وما قاله السخاوي في كتاب الامتاع من ان الجلال الدين المحلي رحمه الله سئل عن حديث اعطي نبينا جميع الحسن ويوسف شطره فقيل كيف يكون الشيء الواحد جميعه في شيء ونصفه في آخر فقال لم يظهر لي جوابه وكذا قال ابن حجر وقد تأملت قوله في البردة البوصيرية

* منزه عن شريك في محاسنه * فجوهر الحسن فيه غير منقسم *

فبان لي منه جوابه وهو ان حسن النبي صلى الله عليه وسلم غير منقسم بينه وبين غيره بخلاف حسن سائر الناس فانه منقسم بينهم وبين يوسف عليه الصلوة والسلام انتهى فيه نظر وهذه مغلطة وزهرة لاتحتمل الفرك ومنشاؤه عدم الفرق بين تقسيم شيء بعينه وتقسيم افراد نوع من الانواع فتدبر (وفي حديث هرقل) مرضبطه الاضافة لادنى ملابسة لذكره في الحديث كما يقال حديث الشفاعة والاصل اضافته كرواية الصحابي او التابعي او من خرجه كالبخاري ومسلم وهذا الحديث رواه الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما وابن عباس نقله عن ابي سفيان حين ارسله اليه هرقل وهو بالشام للتجارة في ركب من قريش في مدة محادة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لكفار قريش فاتوه بايليا فدعاهم وحوله عظماء الروم فسألهم عن احواله صلى الله تعالى عليه وسلم فكان اول ماسأله عنه ان قال كيف نسبه فيكم فقال هو فينا ذو نسب الى آخره فقال له كما اشار اليه بقوله (وسألتك عن نسبه فذكرت انه فيكم ذو نسب) اي نسب عظيم فالتنكير للتعظيم لشرف اصوله صلى الله تعالى عليه وسلم وانه ليس في امهاته سفاح ولا شيء من نكاح الجاهلية كما مر وتقلبه في الاصلاب الطاهرة من الانبياء وقبيلته اشرف القبائل وبيته اشرف بيوتهم (وكذا الرسل) عليهم الصلوة والسلام (تبعث في انساب قومها) اي كل نبي له نسب عال في قومه لان من اختاره الله لنبوته يختار له عنصرا مناسبا ولم يتخذ وليا من الذل فشبه اتصاله باتصال الطرف بمظروفه (وقال تعالى في ايوب) صلى الله عليه وسلم وكان ببلاد حوران وقبره مشهور عندهم بقرية قرب نوى وعليه مسجد وقرية موقوفة على مصالحه وعنده عين جارية فيها ارقدم في حجر يقال انه اثر قدمه عليه الصلوة والسلام والناس يسربون من عينه ويغتسلون منها بالتبرك ويقولون انها المذكورة في القرآن (انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب) كثير الرجوع لربه بمراجعة دعائه وامتثال اوامره ونواهيه واستشهد بهذه الآية على حسن خلق الانبياء عليهم الصلاة والسلام فان الصبر امر عظيم وخلق كريم ولذا اثنى الله عليه بقوله نعم العبد الى آخره ووصفه بالعبودية المناسبة للصبر وقد صبر على ما ابتلاه الله

به كما صبر يعقوب وغيره من الرسل ونبينا صلى الله تعالى عليه وسلم صبر على قومه وما قاساه منهم وقصة ايوب عليه الصلوة والسلام ونسبة مذكورة في التفسير واختلف في زمن نبوته فقيل كان قبل موسى عليه السلام وانه من بني اسرائيل ومده بلائه ثلاث عشرة سنة او ثلاث سنين وامرأته اسمها اليا وقيل رحمة بنت يوسف (وقال تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة الى قوله ويوم يبعث حيا وقال ان الله يبشرك بيحيى الى الصالحين) واستشهد المصنف رحمه الله تعالى بما ذكر على محاسن الانبياء واحلاقهم اذ تلقى يحيى عليه الصلوة والسلام الكتاب التوراة او غيرها بقوة فهم وعزيمة على العمل بما فيها وقد اتاه الله الحكم صبيا وهو يدل على سلامة فطرته وخلقته وكان حانا في طبعه الرحمة وانه كان تقيا برا بوالديه مطهرا من النقايص وانه سلم الله من يوم ولد الى مماته (وقال ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين الايتين) استشهد بهاتين الايتين على ما حواه الانبياء عليهم الصلوة والسلام من الصفات الجليلة ومكارم الاخلاق وانه تعالى جعلهم صفوة خلقه فآل ابراهيم اسحق واسمعيل واولادهما وآل عمران عيسى ومريم بنت عمران ذرية بعضها من بعض على سنن واحد (وقال في نوح) عليه الصلوة والسلام (انه كان عبدا شكورا) لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان لا يفعل شيئا الا قال بسم الله والحمد لله (وقال ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح الآية) استشهد بهذه الآية على ما لعيسى صلى الله تعالى عليه وسلم من النعوت السنية والمحاسن الجلية التي وصفه الله تعالى بها من انه وجيه اى شريف قدره في الدارين وانه تكلم في مهده وقد تقدم ذكر من تكلم في المهد غيره والكهل الشاب وقيل من وخطه الشيب او من جاوز الثلاثين الى خمس وخمسين وكونه رفع ابن ثلاث وثلاثين وان حزم به القاضي في تفسيره غير متفق عليه فقد ذكر ابن حجر في الاصابة اقوالا اخر منها انه بلغ المائة او زاد عليها وتقدم معنى كونه كلمة الله (وقال اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا الى ما دمت حيا) قيل انه بحيّ وهو صبيّ والهم حفظ التوراة والانجيل ووصف نفسه بالعبودية ردا لما اعتقده فيه النصارى وكان نطقه بما ذكر تبرئة لامه (وقال تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها) وذلك لانهم عابوه عليه الصلاة والسلام لشدة تستره حياء من الله بان في بدنه برصا او به ادرة فبرأه الله من ذلك وبين انه كامل الخلق والخلق ولذلك ساق المصنف الاية وقال (قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان موسى رجلا حييا) بحاء مهملة وياءين ثانيتهما مشددة بزنة صبي اى كثير الحياء (ستيرا) بكسر السين المهملة وكسر التاء المثناة المشددة بزنة سكين اى شديد الستر لبدنه وقد اشار لتفسيره بقوله (ما يرى من جسده شيء استحياء) وهذا يدل على عفته وحيائه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو خلق حميد وقال البرهان ان ستيرا بفتح السين وكسر التاء الفوقية

الحفعة فعيل بمعنى فاعل والذى احفظه انه بكسرها وبتشديد التاء الفوقية كسكيت وكذا ضبط فى نسخ البخارى انتهى ومن كان يستحى من كشف عورته وبدنه فهو اشد حياء من كشف غيره (الحديث) بالنصب اى اقرأ الحديث الذى رواه البخارى عن ابى هريرة اوتذكره وتمته انه لما كان يكثر الستر ويغتسل وحده قالوا انه انما يفعل هذا لبرص او ادرة به فذهب مرة ليغتسل ووضع ثوبه على حجر فلما اراد ان يلبسه فر الحجر وجرى خلفه يقول ثوبى حجر ثوبى حجر حتى مر على نبى اسرائيل فرأوه اكمل الناس واصحهم بدنا فبرئ مما سمعوه وآذوه به (وقال تعالى عنه) ضمنه معنى حكى فعداه بعن اى عن موسى عليه السلام ففررت منكم لما خفتكم (فوهب لى ربى حكما الاية) اى علما ونبوة وفراره صلى الله عليه وسلم لما قتل القبطى وذهب فكلمه الله كما هو مشهور (وقال فى وصف جماعة منهم) اى من الانبياء عليهم السلام (انى لكم رسول امين) وقع هذا من نوح وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام كما حكاه عنهم على وجه الرضاء والتصديق فلا يتوهم انه مدح لانفسهم فليس مما نحن فيه (وقال) موسى لشعيب عليهما الصلاة والسلام (ان خير من استأجرت القوى الامين) وقصته معه انه لما فر من القبط اذ حاقهم لقتل رجل منهم ومر بابنتى شعيب عليه السلام حالستان ينتظران فراغ الناس ليسقى اغنامهما قال لهما لم تأخرتما فقالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء فقال اما عندكم بئر غير هذه فقالتا عندنا بئر مطبق عليها حجر لا نطيق رفعه وكان لا يرفعه الا عشرة من اسد الرجال فقال اذهبا اريانيها فاريتاها ورفعه وحده وسقى لهما فقالتا له اذهب معنا ليجزيك ابانا على ما فعلت فقال ارشد انى للطريق وامسيا حلى لابى رجل من ذرية ابراهيم عليه والسلام لا احب ان ارى مسكما مالا يحل لى فاخبرتا اباهما بقصته وقوته فى رفعه ذلك الحجر وامانته لامتناعه من النظر لهما فاستأجره على ما قصه الله لرعى غنمه قال البيضاوى الجملة معللة لما قبلها ولمبالغة جعل خير واسم ان معرفتين يعنى لم يقل ان من استأجرته قوى امين بل اتى بجملة معرفة الطرفين لحصر الخبرية فيه فتدبر (وقال فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل) فوصفهم بالصبر وهو من احسن الاخلاق والعزم على التصميم على نفاذ الامر والحزم فى السدائد وقد اختلف فى اولى العزم كما مر (وقال ووهبنا له اسحاق ويعقوب كلا هدينا الى قوله اولئك الذين هدى الله فبهديهم اقتده) ووقع فى هذه الاية بحث ذكره الطوفى فى تفسيره وهو انه استدل بهذه الاية على ان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم افضل من جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام لان الله تعالى امره بالاقتداء بهداهم جميعا ولا سك فى امتثاله واقتدائه صلى الله تعالى عليه وسلم واذا اتى بما اتوا به جميعا مع ما خص به كان افضل من كل فرد فرد بلا سهو ومن المجموع ونقل عن العربى عبد السلام انه قال انها فصل من كل واحد منهم لا من المجموع ولا دلالة فى الآية عليه قال ولما نقل عنه هذا قام عليه الناس ونسبوه فى هذه المقالة الى ما وصل الى تكفيره

(واما اقول انا برئ من نسبة مثله للعز والقائل بهذا توهم انه مثل ما لو قسم عشرة دنانير على خمسة رجال واعطى اربعة منهم دينارا دينارا واعطى ستة للخامس فهو يزيد على كل واحد منهم لاعلى المجموع فلا يلزم من زيادته على كل واحد من الجماعة زيادته على المجموع فالاية لادليل فيها لما ادعوه وهذا اتمايتم لو لم يثبت له صلى الله تعالى عليه وسلم غير ما لجميعهم وهو مقرر ظاهر وقد بسطنا الكلام على هذا فى غير هذا المحل والهاء فى اقتده هاء سكت تثبت وقفا على القياس ووصلا اجراء له مجرى الوقف وحذفها حمزة وصلا وكسرها هشام اختلاسا وصلا ووصلها ابن ذكوان بها تشبيها لها بهاء الضمير وقيل هذا لايصح واما هى ضمير المصدر كقوله هدا سراقة للقراءة يدرسه (فوصفهم باوصاف خمسة) اى كثيرة (من الصلاح) ليس المراد بالصلاح المعنى المشهور فى قولهم رجل صالح حتى يقال انه ليس بمدح للانبياء عليهم الصلاة والسلام ومن توهمه قال المراد مدح الصفة لا الموصوف كما حقق فى شروح الكشاف بل الصلاح صفة جامعة لكل خير فهى ابلغ من غيرها كما فصله السبكى فى فتاويه (والهدى والاجتباء) وهو الاصطفاء والاختيار للرسالة (والحكم والنبوة اى الحكمة اوفصل الامر على مقتضى الحق (وقال فبشرناه بغلام عليم وحليم) وهو اسحق فوصفه بالعلم والحلم وهما امران عظيمان قال الانطاكى كذا فى النسخ والذى فى القرأن فبشرناه بغلام عليم و بغلام حليم ولو قدم حليم وعطف عليه عليم بان الامر (قال ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم الى) قوله (امين) والمراد بالفتنة الاختبار والامتحان يقال فتنت الفضة اذا ادخلتها النار فشبه امرهم باتباعه بمعاملة المختبر والمراد انه ابتلاهم كما ابتلى العرب بنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فوصفهم الله فى هذه الاية بصفات حميدة من الكرم والامانة وغيرهما (وقال) حكاية عن الذبيح (ستجدنى ان شاء الله من الصابرين) على الذبح مسلما لله ولذا سلمه الله وفداه (وقال فى اسمعيل) عليه الصلوة والسلام (انه كان صادق الوعد الايتين) صرح باسمعيل مع ان المذكور قبله فى حقه اشارة للاختلاف فيه فانه قيل انه اسحق وقيل انه اسمعيل بن حزقيل وهو نبى بعثه الله لقومه فسلخوا رأسه فخيره الله بين تعذيبهم وعفوه فاختار العفو والرضى بثوابه والجمهور على انه اسمعيل الذبيح ابن ابراهيم وهو رسول نبى وصدق وعده لانه وعداباه بالصبر على الذبح ووفى بوعده وقدم الرسالة هنا على النبوة لانها اشرف على قول (وقال فى موسى عليه الصلوة والسلام انه كان مخلصا) فى طاعته لا يقصد بها الا وجه الله والتقرب اليه (و) قال (فى) شان (سليمان نعم العبد انه اواب) اى مسبح اورجاع اليه بالتوبة وقيل الاواب المطيع وقيل الرحيم اوكثير الصلوة (وقال واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب) وهو اسرائيل ابو انبياء بنى اسرائيل (اولى الايدى والابصار) الايدى جمع يد بمعنى القوة والابصار جمع بصر بمعنى بصيرة فانه يطلق على الحاسة الظاهرة وقوتها وعلى القوة الباطنة

المدركة للجارحة بصيرة كما فى عمدة الحفاظ معنى احلصناهم حالصة ذكر الدار جعلناهم خالصين بسبب انهم لايذكرون الا الدار الآخرة واطلق الدار اشارة الى ان الدنيا ليست بدار مقر بل ممر ومعبر وعند هنا للقرب والاخيار جمع خير او خير للمشدد بعد التخفيف (و) قال (فى داود انه اواب) تقدم تفسيره (ثم قال) فى حقه (وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب) اى قويناه لان بنى اسرائيل لم تجتمع على ملك غيره وكان يحرس محرابه ثلاثون الف متسلح او قويناه بالعدل والتوفيق له وفصل الخطاب اى الكلام الفاصل بين الحق والباطل وقيل هو اما بعد وهو اول من قالها وقيل هو البينة على المدعى واليمين على مدعى عليه وقيل غير ذلك (وقال عن يوسف) عليه الصلوة والسلام (اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم) قيل الارض هنا ارض مصر وفى الاية دليل على جواز طلب الحكم لمن وثق بنفسه وتوليه من الكافر وقيل ان فرعون يوسف اسلم وقصة يوسف عليه الصلوة والسلام اشهر من ان تذكر (و) قال (فى موسى ستجدنى ان شاء الله صابرا ولا اعصى لك امرا) وهذه قصته مع الخضر عليهما الصلوة والسلام المسهورة (وقال عن شعيب ستجدنى ان شاء الله من الصالحين وقال) عنه ايضا (وما اريد ان اخالفكم الى ما انهيكم عنه ان اريد الا الاصلاح ما استطعت شعيب من نسل ابراهيم عليهما الصلوة والسلام ارسل الى مدين والايكة وهما امتان وقيل امة واحدة فوصفه الله بالصلاح والاصلاح وانه لا يامر الا بما فعله وهو خطيب الانبياء عليهم الصلوة والسلام (وقال ولوطا آتيناه حكما وعلما) فلوط ابن اخى ابراهيم كما تقدم والحكمة والحكم بمعنى هما (وقال) فى حقهم عليهم السلام (انهم كانوا يسارعون فى الخيرات الآية) اى شانهم المبادرة الى فعل انواع الخير وسؤال الله تعالى فى الرغبة والرهبة (وقال سفيان) الثورى او ابن عيينة فى تفسير هذه الآية (هو الحزن الدائم) قيل ضميره راجع الى الخشوع فى قوله وكانوا لنا خاشعين وفى الشرح الجديد يريد ان ما ذكر فى الآية من الخيرات هو الحزن الدائم الذى ينشأ عن خيرات من سلك طريقها فقد وصل الى مقامه ولا يخفى بعده والظاهر هو الاول (فى آى) جمع آية (كثيرة ذكر فيها من خصالهم ومحاسن اخلاقهم الدالة على كمالهم) وهذا ابتداء كلام لا تعلق له بكلام سفيان رحمه الله تعالى اى ما ذكر من الآيات مندرج فى ايات كثيرة دالة على كمالهم وليس ما ذكر محيطا بما فيه بل هو بعض منه (وحاله من ذلك) اى من وصف كمالهم عليهم الصلوة والسلام فى غير القرآن (فى الاحاديث الصحيحة) كثير كقوله صلى الله عليه وسلم انما الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم نبى ابن نبى ابن نبى) هذا الحديث فى البخارى بدون انما وقوله نبى ابن نبى الى آخره والكرم ليس بمعنى السخاء فانه استعمال طارئ وانما هو معنى جامع للخير والشرف ومكارم الاخلاق قيل وانما خص يوسف عليه الصلوة والسلام بما ذكر لما جمع الله له مع علو النسب جعله رابع اربعة

من الانبياء من الحسن المفرط والعفة والملك والعلم والحكمة الى غير ذلك مما لم يجتمع لغيره من الانبياء وفيه التكرار المعدود من المحسنات البديعية كقول ابراهيم عليه الصلوة والسلام ياابت لم تعبد الآية كرر ياابت مبالغة استعطاف ابيه والاطراد كقوله واتبعت ملة اباءى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والسجع وهو من المحسنات احيانا واما انكاره لمن خاطبه وقوله اسجع كسجع الكهان لانه ليس فى محله وهو مقام الحكمة وقيل عليه ان ما ذكر ليس من قبيل التكرير لان كريما ليس معناه واحد فى الحديث وانما ذكره ليس من قبيل السجع وليس بشئ لان الكريم مفهومه متحد وان اختلف ماصدق عليه والسجع ما اتحدت قافيته (وفى حديث انس) رضى الله تعالى عنه الذى رواه البخارى (وكذلك الانبياء تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم) فهو من خصائص الانبياء عليهم الصلوة والسلام ومران الخصائص تنقسم الى اقسام فمنها ما اختص به صلى الله تعالى عليه وسلم دون سائر الناس الانبياء وغيرهم ومنها ما اختص به صلى الله عليه وسلم دون امته كالجمع بين زوجات فوق الاربع وان جاز لغيره فى الشرايع السابقة ومنها ما اختص به صلى الله تعالى عليه وسلم دون الامم كلها وان كان لغيره من الانبياء كما نحن فيه ولذا كان وضوءه صلى الله تعالى عليه وسلم لاينقض بالنوم كما صرح به الشافعية ومنها ما اختص به صلى الله تعالى عليه وسلم دون الامم السابقة وانبيائهم كالتيمم (فان قلت كيف هذا وقد نام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن صلوة الصبح حتى طلعت عليه الشمس ولايصح ان يكون هذا تشريعا لامته لانه لايفعل مايمتنع شرعا للتشريع وان لزمه ذلك من غير قصد له (قلت اجيب عنه باجوبة احدها وهو الاصح انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان له حالان حال لاينام فيها قلبه وهى الغالب عليه وحال نادرة فيها ينام قلبه (الثانى انه يغيب عنه فى نومه ما يحس بالبصر لا ما يدرك بالقلب كالحدث والالم ونحوهما ورجح بعضهم هذا (الثالث ان قلبه لايستغرق حتى يتعطل احساسه وقد يستغرق لاستغاله بوحى كما كان يشاهد منه اذا نزل عليه الوحى فى اليقظة وقيل ان المراد انه لايستغرق قلبه حتى لايدرك الحدث قال ابن دقيق العيد وهو بعيد قال ابن حجر ومن الاجوبة الضعيفة ان قلبه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقظان وعلم بخروج الوقت ولكن فعله تشريعا لما مر وفى هذا اشارة الى يقظة قلبه وانه لايغفل وهذا من جملة الكمال فناسب الترجمة مناسبة تامة (وروى) رواه الطبرانى عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه (ان سليمان عليه الصلوة والسلام كان مع ما اعطى من الملك لايرفع بصره الى السماء تخشعا وتواضعا لله) وذلك لتعظيم ملكوت الله وملائكته استصغارا لنفسه لا لان الله فى جهة وحيز كما توهم وكذا كان ابوه داود عليه

الصلاة والسلام كما ذكره الغزالي في الاحياء اي حياء من ملئكة الله تعالى لقصور عمله من اعمالهم اى لايفترون عنها طرفة عين ولايافى هذا قوله * افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت * لانه مقام آخر (وكان يطعم الناس لذائذ الاطعمة ويأكل خبز الشعير) جمع لذيذة وهو مايشتهي ويميل له الطبع من المأكولات (واوحى الله اليه يارأس العابدين) اى اعلاهم ورئيسهم (وابن محجة الزاهدين.) اصل المحجة الطريق المسلوك فاستعير لمجمعهم ومقصدهم اومقتداهم الذين يأتسون بسنته ومسلكه وفي نسخة حجة وزهده صلى الله تعالى عليه وسلم لاينافي ملكه وقدرته بل حقيقة الزهد انما تتم بذلك (وكانت العجوز) خصها لخفارتها (تعترضه) اى تجئ له صلى الله تعالى عليه وسلم وتقف مقابلته (وهو) راكب (على الريح في جوده) وعزة سلطانه (فيأمر الريح فتقف فينظر في حاجتها ويمضي) لقصده (وقيل ليوسف عليه الصلوة والسلام مالك تحوع وانت على خزائن الارض فقال اني اخاف ان اسبع فانسى الجايع) المراد بخزائن الارض المخزون من الاموال والارزاق (وروى ابوهريرة رضي الله عنه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم) كما رواه البخاري عنه (خفف على داود القرأن) هو مصدر بمعنى القراءة كالغفران والمراد قرأة كتابه وهو الزبور اوالمقروء وقيل ان اطلاقه هنا مع انه علم فيما انزل على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويطلق على المعنى القائم بذاته تعالى استرا كا اومجازا على طريق الاستعارة اوالمجاز المرسل والمراد بتخفيفه سرعة قراءته في زمن يسير (فكان يأمر بدوابه فتسرج) وروى بذاته والمراد الجنس المختص به (فيقرأ القرأن قبل ان تسرج) قالوا هذا من بسط الزمان له صلى الله تعالى عليه وسلم اومن البركة في الزمن اليسير حتى يقع فيه العمل الكثير قال النووي وبلغنا ان من الناس من قرأ اربع ختمات بالليل واربع ختمات بالنهار (ولايأكل الا من عمل يده) مع انه صلى الله تعالى عليه وسلم ملك خزائن الارض بيده وكان آدم عليه الصلوة والسلام حراثا ونوح صلى الله تعالى عليه وسلم نجارا وادريس عليه الصلوة والسلام خياطا وموسى صلى الله تعالى عليه وسلم راعيا وفيه دليل على فضل الكسب الحلال وانه لاينافي توكل الخواص ثم بين عمله بقوله (قال الله تعالى والنا له الحديد) فكان اذا مسه بيده لان كالشمع والعجين من غير نار وضرب (ان اعمل سابغات) اى دروعا طويلة تامة من السبغ وهو السعة (وقدر في السرد) سرده نسجه اى عمله واصل معناه التتابع ومنه سرد الكلام ومعنى تقديره جعل نصف طرفي الحلق على قدر المسامير وكون المسامير غير رقيقة فتعلق ولاغليظة فتكسر الحلق وقيل ان دروعه عليه الصلوة السلام كانت بلا مسامير لالتيامها وان في قوله ان اعمل تفسيرية اومصدرية بتقدير الجار قبل

كان سبب تكسبه لانه اختفى ودار يسأل الناس عن سيرته فيهم فلقى ملكا فى صورة رجل فسأله عن نفسه فقال له نعم الرجل لو كان لا يأكل من بيت المال واصول المكاسب الزراعة والتجارة والصناعة وافضلها التجارة وقيل الزراعة لانها اقرب الى التوكل وقيل صنعة اليد وفوق ذلك الجهاد ومن فضيلة الجهاد والكسب الاستعال عن البطالة (وكان) داود عليه الصلوة والسلام (سأل ربه ان يرزقه عملا بيده يغنيه عن بيت مال الله) وسنده مامر ومن هنا يعلم ان السلطان ينبغى ان يكون له مايكفيه لئلا يأكل من بيت المال فان لم يكن له صنعة لا يأكل من بيت المال الا بقدر الحاجة والاسراف منه حرام عليه فالويل كل الويل لسلاطين زماننا الذين يظنون ان بيت المال لبس لاحد فيه حق غيرهم (وقال عليه الصلوة والسلام) فى حديث صحيح رواه الشيخان الى قوله يفطر يوما الآتى وما بعده سيأتى من نقله (احب الصلوة الى الله صلوة داود واحب الصيام الى الله صيام داود) وبين ذلك بقوله (كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه) وقيامه فى وقت يتجلى الله فيه ويقول هل من سائل فاعطيه وليس المراد بقوله ينام سدسه انه ينام الى طلوع الشمس بل الى قبيل الفجر فيستقبل الصبحة بنشاط لاستراحته وهكذا ينبغى لمتهجد ولم يتعرض احد لصلاة الامم السالفة ولا لصلوته صلى الله عليه وسلم قبل الاسراء وبيان كيفيتها الان السيوطى رحمه الله تعالى نقل فى الخصايص الكبرى انها كانت بغير ركوع ولذا قال تعالى * ياايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا (و) كان (يصوم يوما ويفطر يوما) وفى هذا اشارة الى ان صوم الدهر دون هذا وقد ورد النهى عنه مع ان هذا اسق منه لان من اعتاد هذا صار طبيعة له لا تضره وهذا آخر الحديث وقوله (وكان) اى داود عليه الصلوة والسلام (يلبس الصوف ويعترس الشعر) اى ما نسج منه لانه خشن يمنعه لذة النوم والاستغراق فيه المانع له عن ورده وهذا شعار الانبياء عليهم الصلوة والسلام والصلحاء (ويأكل خبز الشعير بالملح والرماد) الملح ادام بخلاف الرماد فكانه كان يأتدم به على خلاف المعتاد او يضعه فى ادامه لئلا يلتذ به (ويمزج شرابه بالدموع) لكثرة بكائه وعدم حلوه منه (ولم ير ضاحكا بعد الخطيئة) وهى تزوجه بامرأة اوريا بعد ما سأله ان ينزل له عنها ففعل وتزوجها فجاءه ملكان فى صورة رجلين يدعيان تعاجا على ما قصه الله تعالى ولبست هذه خطيئة ولكن علو مقامه وزهده يقتضى خلاف ذلك فلذا عوتب عليه وكان يبكى وقد ذكر الله مدحه وعصمته مما لا مزيد عليه (ولا شاخصا) رافعا وفاتحا (بصره نحو السماء) اى جهة العلو (حياء من ربه) سبحانه وتعالى كعادة من اذنب فانه يطأطئ بصره (ولم يزل باكيا حياته) منصوب على الظرفية اى مدة حياته صلى الله تعالى عليه وسلم (كلها) تأكيد لما قبله (وقيل بكى حتى

نبت العشب من دموعه) لكثرتها وهذا رواه ابن ابي حاتم عن انس رضي الله تعالى عنه مرفوعا وعن مجاهد وغيره موقوفا (وحتى اتخذت الدموع لخده اخدودا) هو في الاصل الشق المستطيل في الارض استعير لتأثير الدموع في مجراها اثرا يعلم وبين الخد والاخدود تجنيس اشتقاقي (وقيل كان يخرج) من منزله (متنكرا) اي مستخفيا من معرفة الناس (ليتعرف سيرته) جملة مستأنفة لبيان سبب تنكره (فيستمع الثناء عليه فيزداد تواضعا لله) لما يعلمه من السيرة الحسنة والذكر الحسن لا لكي يزداد بمدح الناس له عزا (وقيل لعيسى عليه الصلوة والسلام) كما خرجه احمد بن حنبل وابن ابي شيبة عن ثابت (لو اتخذت حمارا) لتركبه لتستريح من المشي (قال انا اكرم على الله ان يشغلني بحمار) هذا من زهده وسوء حاله اذ لم يقل انا اتواضع بالمشي وشغله يشغله كسأله يسأله واسعله سعة ردية (وكان يلبس الشعر) اي ما نسج منه زيادة في تواضعه وانما كره مالك لبس الصوف لمن يتخذه شعارا له اظهارا لزهده وانما احياء وافضل لما فيه من الرياء (ويأكل السخين) اي اوراقه والمراد به مطلق النبات تجوزا (ولم يكن له بيت) يملكه او يختص به (اينما ادركه النوم) اي وقته (نام) اي ينام في اي مكان يجن عليه الليل فيه (وكان احب الاسماء اليه) وفي نسخة الاسامي اي الالفاظ التي ينادى بها (ان يقال له يا مسكين) رغبة في التواضع لعظمة الله عز وجل وقيل عليه نحن مأمورون بتعظيم الانبياء عليهم الصلوة والسلام ومحبتهم وتعظيمهم تعظيم لله فلو قال احد لنبي من الانبياء يا مسكين كان تحقيرا له وتحقيرهم كفر ومعصية فلا ينبغي لنبي ان يرضى به وقد امرنا بتعظيم نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وان لا نسادي باسمه بل لا نجهر له بالقول ولا نرفع اصواتنا عنده توقيرا له وحرمته صلى الله تعالى عليه وسلم ميتا كحرمته حيا كما سيأتي بيانه وهذا مما اشترك فيه سائر الانبياء عليهم الصلوة والسلام وكان يجب على امة عيسى عليه الصلوة والسلام ان يوقروه ويجب على عيسى ان لا يرضى بعدم توقيره فان قيل انه فرار من المحب وقيل مثله لا يطرق عليه بحب ولا يحتباه واجيب بحمل هذا على انه صدر ممن لم يؤمن به وكانوا يقصدون بذلك تنفير الناس عن الايمان به واتباعه كما وقع مثله من المشركين في حق نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وكان عيسى عليه الصلوة والسلام اذا بلغه ذلك عنهم احبه واما المؤمنون به ويجب عليهم تعظيمه اوذلك ممن آمن به اذا سألهم سائل عنه اهو ذو مال ام فقير فيقولون هو مسكين كما كان صلى الله تعالى عليه وسلم يقول في دعائه اللهم احيني مسكينا وامتني واحشرني في زمرة المساكين وكما قال ابو العتاهية

* اذا رأيت شريف القوم كلهم * فانظر الى ملك في زي مسكين

والكلام على الفقير والمسكين اشهر من ان يذكر (اقول لا وجه للسؤال

ولا للجواب اما الاول فلان عيسى صلى الله تعالى عليه وسلم غلب على امته الرهبانية واطها ر المسكنة فيكون فى شرعهم يجوز مداناته وخطابه بمثله من مؤمنيهم وخواص حوار يهم وان لم يجز مثله فى شرعنا ولا ما يقرب منه واما الثانى فلان جعله من كفارهم اومؤمنيهم فى عيبته لا يصح لان اظهار محبته واجب وقوله يقال وحرف النداء مناد على خلافه وصريح فى عكسه لمن له ادنى فهم وقد روى ما من كلمة كانت تقال لعيسى عليه الصلوة والسلام احب اليه الى آخره (وقيل ان موسى عليه الصلاة والسلام لما ورد ماء مدين) هذا الحديث رواه احمد فى الزهد وابن ابى حاتم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما موقوفا وتقدم ان وروده صلى الله تعالى عليه وسلم لماء مدين كان لما فر من قحط مصر فلقى ابنتى شعيب على ذلك الماء وبينه و بين مصر ثمانى مراحل او اكثر فى قصته السالفة المذكورة فى القرآن و كان صلى الله تعالى عليه وسلم حافيا من عيرز ادو به جوع شديد حتى كانت ترى امعاءه و(كلمت ترى خضرة البقل) الذى كان يأكله صلى الله تعالى عليه وسلم اذ لم يجد غيره و للبقل ما ليس لشجر من النبات التى لا تبقى ار ومته واصوله بعد احده وهو معروف (فى بطنه من الهزا ل) بضم الهاء وزاى معجمة وهو ضعف مذهب اللحم (وقال صلى الله تعالى عليه و سلم) كما رواه الحاكم عن ابى سعيد الخدرى وصححه (ولقد كا ن الانبياء قبلى يبتلى) بالبناء للمفعول ونائبه (احدهم بالفقر والقمل وكان ذلك) الابتلاء (احب اليهم من العطاء اليكم) لتيقنهم بما اعد الله لهم فى مقابلته وهوان نعيم الدنيا عندهم ولفظ الحديث ليس كما ذكره المصنف رحمه الله وهو ما قال ابو سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قلت يا رسول الله من اشد الناس بلاء قال الانبياء قلت ثم من قال العلماء قلت ثم من قال الصالحون كان احدهم يبتلى بالقمل حتى يقتله و يبتلى بالفقر حتى لا يجد الا العباء يلبسها ولاحدهم اشد فرحا بالبلاء من احدنا بالعطاء و هو صحيح على شرط مسلم و المراد ما يعطى من السعة فى الدنيا قيل وهو يدل على الانبياء عليهم الصلوة والسلام لبسلطه عليهم القمل و يعرض لهم لانه من الاعراض النشرية الا ان ابن الملقن رحمه الله تعالى نقل عن ابن سبع ان القمل لم يكن يؤذيه صلى الله تعالى عليه وسلم تكريما له ونقل ابن عبد البر رحمه الله تعالى فى التمهيد ان نعيم بن حماد ذكر عن ابن المبارك ابن فضالة عن الحسن رضى الله تعالى عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقتل القمل فى الصلاة والظاهر ان حسده لشريف لا يتولد منه القمل لاعتدال مزاجه الشريف و انما كان يوجد فى ثيابه من الفقراء المجالسين له وكذا سائر الانبياء عليهم الصلوة والسلام ولو قيل ان الضمير يبتلى فى حديث الحاكم للصالحين كان اقرب انتهى وهذا ينافيه ما نقله عن التمهيد وقد تقدم وفيما قاله دليل على صبر الانبياء عليهم الصلوة والسلام وعلو همتهم

في النظر للآخرة (وقال عيسى عليه السلام لخنزير لقيه) المراد به الحيوان المعروف وتجويز ان يراد به الكافر او العدو او الجاهل وان كان صحيحا غير مناسب هنا (اذهب بسلام) اى اذهب مصحوبا بالسلامة (فقيل له في) شان (ذلك) القول الذى قاله فانه لاينبغى (فقال اكره ان اعود لساني النطق بسوء) عملا بقوله تعالى ادفع بالتي هي احسن وترغيبا في العمل به (وقال مجاهد) كما رواه احمد وابن ابى حاتم (كان طعام يحيى عليه الصلوة والسلام العشب) وهو النبت الذى يخرج بغير زرع وعينه مصمومة (وكان يبكي من خشية الله عز وجل) والخشية خوف مع تعظيم (حتى اتخذ الدمع مجرى في خده) اى صار محل جريانه منخفضا متميزا عن غيره لتأثيره بدوام جريانه فيه (وكان يأكل مع الوحش) اى كان يحيى صلى الله تعالى عليه وسلم يأكل العشب في القفار الخالية التى يسكنها الوحش او يألفهم فيها ويكون معهم (لئلا يخالط الناس) اى يعاشرهم ويختلط بهم فيشغلوه عن العبادة وذكر الله وما ذكر رواه احمد في الزهد عن الحولانى (وحكى الطبري عن وهب ان موسى عليه الصلاة والسلام كان يستظل بعريش) هو ما يستظل به حيوانا كان او حشا او نباتا (ويأكل في نقرة حجر) وزن حفرة فلا يأكل في آنية ويضع طعامه في الارض (ويكرع فيها) اى يضع ما يشربه في نقرة يكب عليها او يشرب منها بفيه (اذا اراد ان يشرب) واصل معنى الكرع شرب الدابة بفمها من ماء في الارض وضمير فيها راجع للنقرة المذكورة او لغيرها من جنسها كما تقول اعطيته درهما ونصفه وبه فسر قوله تعالى وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره (كما تكرع الدابة) اى لتشرب بفمها بلا آنية وقيل معنى كرع دخل النهر وصوب رأسه ليشرب (تواضعا لله بما اكرمه من كلامه) اذ كلم بلا واسطة كما قال وكلم الله موسى تكليما (واحبارهم) اى الانبياء عليهم الصلاة والسلام (في هذا كله) من العوت التى تقدمت في هذا الفصل المعقود لها (مسطورة) في كتب الحديث والتفسير المعول عليها (وصفاتهم في الكمال وحسن الاخلاق) كما تقدم من الصبر والقناعة والتواضع (وحسن الصورة والشمائل) جمع شمال وهى الخلق والسجية وينبغى ان يراد بالاخلاق القوى الطبيعية وبالشمائل ما ينشوء عنها من الآثار (معروفة مشهورة) وعبر في الاولى بانها مسطورة وفي هذه بانها مشهورة تفننا في العبارة ولان الاولى احيانا يحتاج لنقلها من الكتب المعتبرة وهذه كالآيات لائقة يفهم تدرك بالعقل ولكونها مدونة مسهورة غير محتاجة للاعادة ولكن ذكرها ما ذكر ليعلم قدرهم وفضلهم (فلا نطول بها) مع انها معلومة ثم لما كان في بعض الكتب امورا متعلقة بالانبياء عليهم الصلوة والسلام غير لائقة بهم حذر منها فقال (ولا نلتفت) اى لا نعتبر ونعتقد واصل الالتفات لى العنق او انعطاف بالجانب لتنظر ما تريد معرفته

فتحوز به عما ذكر ومنه الالتفات البديعي (الى ماتجده) تقف عليه (في كتب بعض جهلة المورخين) جمع مؤرخ بالهمزة وقد تبدل واوا وهو المصنف في التاريخ وهو فن معروف وهو لفظ عربي، اصله من الارخ مستعار للحادث من ولد البقرة او هو معرب ماه روز وهو بعيد جدا واول ماحدث في زمن عمر رضي الله تعالى عنه (و) في كتب بعض (المفسرين مما يخالف) امثال (هذا) المذكور ﴿حصل قد اتينا اكرمك الله﴾ جملة اعتراضية والخطاب لمن سأله تصنيف هذا الكتاب كما مر اولكل من يقف على كتابه ولبس فيه تجريد لمحاطب من نفسه كما قيل ومفعول اتينا مقدر اى مما عرفته وسمعته اوما فيه منفع بقرينة ماسيأتي (من ذكر الاخلاق الحميدة) اى المحمودة الممدوحة وهو بيان لمقدر اولما الآتية بناء على جواز تقدمه (والفضائل المجيدة) اى الكريمة الشريفة (وخصال الكمال العديدة) اى الكثيرة المعدودة وقد تقدم انه قد يفيد الكثرة لان القليل لايحتاج للعد وقد يراد به القلة والمراد الاول (واريناك) اى اعلمناك واوضحنا لك (صحتها له صلى الله عليه وسلم) اى كونها صحيحة في حقه لايقبله (وجليا) بجيم ولام مفتوحتين ومثناة تحتية ساكنة اى اوضحنا وبينا وفي نسخة جلبابباء موحدة اى روينا ونقلنا وفي بعض النسخ حكيبالكاف بدل اللام والمعنى واحد (من الآثار) جمع اثر وهو مايبقى من علامات الشيء الدال عليه ويطلق على الحديث وقد يختص بالموقوف وكلام الصحابة ويراد به مطلق الخبر الشامل للحديث المرفوع والموقوف وكلام الاكابر وهو المراد هنا (مافيه مقنع) بفتح الميم والنون وبينهما قاف ساكنة مصدر ميمي بمعنى القناعة اوهو صفة مشبهة بمعنى مايه القناعة والرضى وفي القاموس يقال شاهد مقنع و قنعان اى يرضى ويكتفى بشهادته وقد قال ابن الحاجب ان مفعلا يكون صفة نحو مركب بمعنى مركوب الا انه نادر وعلى هذا فما ذكره هو المقنع نفسه فعدل عنه للمبالغة وهو تجريد كقوله تعالى لهم فيها دار الخلد والتجريد يكون بمن وفي والباء وما قيل من ان المراد به الدليل وهذه الآيات والاحاديث تتضمن الدليل تتضمن اللفظ للمعنى تكلف مذهب لرونق الكلام (والامر اوسع) جملة حالية اى شانه صلى الله تعالى عليه وسلم ومقامه اعظم مما ذكرناه واكثر فان محاسنه لا تطيق العبارات حصرها

﴿ وعلى تعين واصفيه بحسنه ﴿ يفنى الزمان وفيه مالم يوصف ﴿

(فمجال هذا الباب) بفتح الميم والجيم من حال يحول اذا طاف و دار اى محل تجول فيه الافكار حول نعوته وصفاته وهذا الباب عبارة عن حصاله و محاسنه صلى الله تعالى عليه وسلم (في حقه صلى الله تعالى عليه و سلم) اى ما يقال في امره وشانه الذي يحق له (يمتد) اى واسع وكني عن كثرتها وعظمتها بسعة محلها كما يقال المجلس والمقام العالي عبارة عمن هو فيه ثم بين سعته بقوله (يقطع دون نعاده الادلاء)

جمع دليل وهو من يتقدم الركب ليهديهم الى الطريق وانقطاع سالك الطريق ان يعجز ويقف دون بلوغ غايتها ففيه استعارة تمثيلية شبه صفاته صلى الله تعالى عليه وسلم بطريق ممتد طويل وشبه العلماء الذين يريدون معرفتها بركب سلكوا طريقا وشبه من يستفيدون منه بها ويهديهم في الطريق وعجزه عن الوقوف على كنهها ممن انقطع ووقف فيها لا يهتدي لسبيله والادلاء جمع دليل لا بمعنى الحجة بل بمعنى هادي السابلة كانبياء جمع نبي واصله ادللاء وقيل انه جمع ادلة بمعنى دليل فهو جمع الجمع وليس المعنى ان محاسنه وكمالاته صلى الله تعالى عليه وسلم لو اريد عايتها بالادلة كالآيات والاحاديث واقوال الصحابة لم يكن الا ان يراد بين المقصود منه ونقاد بالفاء والدال المهملة بمعنى الذهاب والفناء قال تعالى ان هذا لرزقنا ماله من نفاد ولا وجه لتفسيره بفراغه (وبحر علم خصايصه) من اضافة المشبه به بالمشبه كلجين الماء وقد تعكس لكنه قليل (لا تكدره الدلاء) جمع دلو وهو ما يؤخذ به الماء من الاديم وعدم تكديره عبارة عن عدم بلوغ آخره لانه اذا بلغه حرك طينه فيتكدر ماؤه وهو ترشيح للتشبيه فان الترشيح لا يختص بالاستعارة من الكدرة خلاف الصفو وفيه اشارة لصحته وكثرته (لكن اتينا فيه بالمعروف) المشهور الذي يعرفه الناس مما اكثره (في الصحيح) اي الكتب الصحيحة كالكتب الستة واشار بقوله اكثره الا ان فيه احاديث غير صحيحة اعتمد على شهرتها وذكر ان بعض المصنفين اوردها لما فيها من الفضائل كما اشار اليه بقوله (والمشهور من المصنفات) التي لم يلتزم فيها الصحيح (واقتصرنا في ذلك) اي اتينا به واريناه اي اكتفينا (بقل من كل) وفي نسخة من اكثر والاصح ما ذكرنا والقل بضم القاف وتشديد اللام بمعنى القليل او بمعنى القلة كالذل بمعنى الذلة اي ذكرنا امرا قليلا منه لا كثيرا او دون الجميع لانه لا يمكن الاحاطة به (وغيض من فيض) الغيض بفتح العين المعجمة وسكون المثناة التحتية والضاد المعجمة من غاض الماء اذا نقص والمراد انه قليل والفيض بفاء وياء مثناة تحتية وضاد معجمة من فاض الماء اذا اندفق وانسكب والمراد انه كثير وفيه طباق واقتباس (ورأينا) من الرأي لا من الرواية اي خطر له خاطر (ان نختم هذه الفصول) اي نجعل خاتمة هذه الفصول التي سبق ذكرها في هذا الباب (بذكر حديث الحسن) رضي الله تعالى عنه بن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه الذي رواه الترمذي في شمائله واخرجه ابن سعد والبيهقي والطبراني رواه المصنف رحمه الله تعالى عن مشايخه (عن ابي هالة) وهو هند بن ابي هالة الصحابي رضي الله تعالى عنه ربيب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لانه ابن خديجة بنت خويلد ام المؤمنين رضي الله تعالى عنها وقد تقدم الكلام عليه وترجمته (لجمعه) الضمير للحديث وهو علة لذكره وجعله مسك الختام (من شمائله واوصافه) عطف تفسير

(كثيرا) مفعول جمعه المصدر المضاف لفاعله (وادماجه) اى اشتماله من ادمج الشئ اذا لفه وستره قيل المراد لاحكامه واتقانه وانه اولى (جملة كافية من سيره وفضائله) مفعول الادماج لما فيه من معنى الادخال قال الجوهرى دمج دموحا اذا دخل واستحكم (ونصله بتنبيه لطيف على غريبه ومشكله) اى نبين فى التنبيه ما فى الحديث من غريب اللغة يشكل من تركيبه (حدثنا القاضى ابو على الحسين ابن محمد الحافظ بقراءتى عليه سنة ثمان وخمسمائة) هو الامام الحافظ ابو على ابن سكرة الذى تقدمت ترجمته (قال حدثنا الامام ابو القاسم) التكنية بهذه الكنية جائز وما ورد فى حديث تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتى محمول على حياته صلى الله تعالى عليه وسلم او على الجمع بينهما على ما يأتى فى ذلك من الخلاف (عبد الله بن طاهر) بطاء مهملة تقدمت ترجمته (التميمي) منسوب الى تميم قبيلة مشهورة (قرأت عليه حبرا لفقيه الاديب ابو بكر محمد بن الحسن النيسابورى) الاديب هو العارف بعلوم الادب لاثنى عشر المشهورة (والشيخ الفقيه ابو عبد الله محمد بن احمد بن الحسن المحمدي) منسوب للمحمدية قرية من قرى تونس وتسمى بهذا الاسم قرى اخر بنواحي مصر وبغداد واليمامة (والقاضى ابو على الحسن بن على بن جعفر الوحشى) بواو مفتوحة وخاء وشين معجمتين نسبة لوحش قرية من اعمال بلخ وقيل بجاء مهملة والصحيح الاول وعليه اقتصر البرهان وهو الحافظ الرحلة الحسن ابن على بن محمد بن جعفر اللحي يروى عن جماعة وحدث عنه الخطيب وهو من اقرانه وسمع منه الحسن بن على اللحى سنن ابى داود وهو ثقة ترجمته معروفة الا انه اتهم بالقدر توفى فى خامس ربيع الاول سنة احدى وسبعين واربعمائة ببلخ وغيره ست وثمانون سنة (قال حدثنا ابو القاسم بن احمد بن محمد بن الحسن الخزاعى) بضم الخاء المعجمة نسبة لخزاعة قبيلة معروفة (قال انبأنا ابو سعيد الهيثم بن كليب الشاشى) نسبة لشاش بلدة معروفة بما وراء النهر وهو الحافظ الثقة ابو سعيد الهيثم ابن كليب بن شريح بن معقل صاحب المسند محدث ما وراء النهر سمع من الترمذى وغيره توفى سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة (قال انبأنا ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الحافظ) الامام الترمذى صاحب السنن وسورة بفتح السين المهملة وسكون الواو وراء مهملة كما تقدم (قال حدثنا سفيان بن وكيع) بن الجراح ابو محمد روى عنه اصحاب السنن وله ترجمة فى الميزان توفى سنة سبع واربعين ومائتين (قال حدثنا جميع) بن مصغر جمع صد المفرد (ابن عمر بن عبد الرحمن العجلى) الكوفى وعجل اسم قبيلة بكسر العين المهملة وسكون الجيم (املاء من كتابه) الذى بيده او بيد غيره وهو احد طرفى الرواية المقبولة من الثقة الصحيح لكتابه وما روى عن منع الرواية من كتابه الصحيح

خلافه كما فصلوه (قال حدثنا رجل من بني تميم من ولد ابي هالة زوج خديجة ام المؤمنين رضي الله تعالى عنها يكنى اباعبدالله) هذا الرجل هو عبدالله بن ابي هالة الذي كان تزوج خديجة قبل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما مر وهذا الرجل اخرج عنه الترمذي في شمائله (عن ابن ابي هالة) قال الذهبي وتبعه البرهان ان هذا الرجل لا يعرف اسمه فهذا الحديث منقطع لان فيه راويا مجهولا وهالة علم مسقول من هالة القمر وهي دارته (عن الحسن بن علي بن ابي طالب قال سألت خالي هند بن ابي هالة) لانه اخو فاطمة الزهراء رضي الله تعالى عنها لامها (قال القاضي ابو علي) بن سكرة المتقدم فروى هذا الحديث من طريقين (وقرأت على الشيخ ابي طاهر احمد بن احمد ابن خذاداذ الكربجي الباقلاني) وخذاداذ بضم الخاء المعجمة وفتح الذال المعجمة والف ودال مهملة والف ثم ذال معجمة والف مقصورة كذا ضبطه البرهان وهو معرب خداداديدالات مهملة ومعناه بالفارسية عطية الله والكربجي بفتح الكاف والراء المهملة ثم حيم منسوب لكرح اسم بلدة لابي دلف العجلي واسم بلدة بالدينور وبضم فسكون اسم مملكة معروفة والباقلاني بتشديد اللام قال الجوهري الباقلاء اذا شددت لامها قصرت وان خففت مددت (قال) ابو علي (واجازلنا الشيخ الاجل ابو الفضل احمد بن الحسن بن خيرون) هو الحافظ المتقدم ترجمته (قالا اخبرنا ابو علي الحسن بن احمد بن ابراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان) بشين معجمة والف وذال معجمة ونون معرب ومعناه بالفارسية السرور (بن حرب) كضد السلم (بن مهران) بكسر الميم (العارسي) منسوب لفارس ديار العجم (قراءة عليه فاقر به) هو شرط لقبول الرواية عمن قرئ عليه فيقال له اخبركم بهذا فلان عن فلان فيقول نعم اخبرني به فلذا قيده المصنف رحمه الله تعالى بهذا (قال اخبرنا ابو محمد الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبدالله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب المعروف بابن اخي طاهر العلوي) هذا الرجل ترجمه الذهبي في الميزان ونسبه كما هنا وروى حديث على وذريته مجتمعون الاوصياء الى يوم القيامة وهذا الحديث يدل على كذبه ورفضه وهو متهم بالكذب ولولا هذا لازدحم الناس عليه لانه معمر توفي سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة (قال حدثنا اسمعيل بن محمد بن اسحق بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب قال حدثني علي بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين) على هذا هو جعفر ابن محمد الصادق روى عن ابيه واخيه موسى روى عنه الترمذي دون اصحاب السنن الا نهم لم يوثقوه وانفرد بالرواية عنه الترمذي (عن اخيه موسى بن جعفر) هو موسى بن جعفر بن محمد الكاظم وهو امام ثقة (عن جعفر بن محمد) هو الصادق وقد تقدم (عن ابيه محمد) هو محمد بن علي ابو جعفر الباقر (عن علي بن الحسين) هو زين العابدين الامام المشهور (قال قال الحسين بن

على) رضى الله تعالى عنهما (واللفظ لهذا السند) يعنى اللفظ المذكور مخصوص بالطريق الثانى والسند بالنون بمعنى الاسناد وليس السيد بمثناة تحتية لانه لم يذكر انه رواه عن على بن الحسين زين العابدين وكذا لم يذكر انه رواه احد مع الحسن هو ابن على كما فى المقتفى وهذا اسناد شريف لان روايته كلهم من اهل البيت ومثله حديث صفة الصلاة حتى نقل التلمسانى رحمه الله تعالى انه اذا قرئ على مصاب افاق ورجال سنده كلهم معروفون (سألت خالى هند بن ابى هالة عن حلية رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) الحلية بمعنى ما يتحلى به الانسان اى يماير من وجهه الشريف وبدنه وهى بكسر الحاء المهملة وسكون اللام (وكان وصافا) اى مصيبا له خبرة بوصف الناس لحذقه او كان معروفا بذكر صفات النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (وانا ارجو) جملة حالية اى راجيا (ان يصف لى منها) اى من حلية النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (شيئا) اى مقدارا منها لا ان جميعها لا تحصى او بعضها لانى العبارة به (اتعلق به) اى احفظه واتمسك به تبركا (قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فخما مفخما) بفتح الفاء وسكون الخاء المعجمة والمفخم بوزن المكرم والفخم بمعنى العظيم واصل الفخامة العظمة فى الاجسام ثم شاعت فى المقدار والشرف فان كان المراد الاول وهو الظاهر فالمعنى ان اعضاءه صلى الله تعالى عليه وسلم تامة الخلقة واسعة سعة غير مفرطة كما تقدم فى الباب الثانى انه كان واسع الصدر وعينه نجلاء اى واسعة الشق ووجهه البشر يف ممتلئ باللحم واقامته الشريفة غير قصيرة والمراد بكونه مفخما انه كذلك فى العيون الناظرة اليه ويحتمل ان يراد بكونه فخما هذا المعنى وان يراد بكونه مفخما ان له صلى الله تعالى عليه وسلم مهابة فى العيون والصدور مع الجلال (يتلالاء وجهه) اى يضئ ويسرق وهو مأخوذ من اللؤلؤ لصفائه ولمعانه (تلألؤ القمر ليلة البدر) اى فيه نور كنور القمر فى ليلة البدر وقد تقدم الكلام فيه وتفسيره (اطول من المربوع) وهو الذى بين الطول والقصر كالربعة وقال التلمسانى المراد به هنا القصير الذى تحت الربعة لئلا يناقض ما ورد من وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بانه ربعة واصل المربوع الجمل المقتول على اربع طاقات فاستعير لما ذكر انتهى (اقول لا حاجة لما ذكر لصرفه عن ظاهره لان المراد انه يزيد على الربعة زيادة يسيرة لا تخرجه عن كونه ربعة فهذا امر تحقيقى وربعة امر تقريبى فلا منافاة بينهما ولذا قال (واقصر من المسدب) بضم الميم وفتح الشين والدال المعجمتين المشددة والباء الموحدة وهو المفرط فى الطول كالنايل وهو مستعار من النخلة المشذبة وهى التى قطع بعض جريدها والمشذب قطع كالتقليم (عظيم الهامة) بالهاء وتخفيف الميم وهى الرأس وليس المراد انها مفرطة فى الكبر بل كبيرة كرأس الانسان صغرها وافراط كبرها غير ممدوح لدلالته على قلة العقل وقيل الهامة

وسط الرأس وقيل مخه ولها معان اخر غير مناسبة هنا (رجل الشعر) بكسر الجيم على وزن حذر والشعر معروف ويجوز فتح عينه وسكونها كحامر والمراد ان فيه تجعدا قليلا وهو من صفاته الممدوحة فيه و يقال لضده قطط وهو الشديد الجعودة والسبط المسترسل (ان افرقت عقيقته فرق) انفرق اى صار شعر رأسه فرقتين والعقيقة الشعر الذى على رأس المولود الذى يخرج عليه حين يولد من عق اذا قطع لانه يحلق فى اليوم السابع فسمى به شعر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على طريق المجاز المرسل لاستعمال المقيد فى المطلق ولبس استعارة تحقيقية كما قيل ومعنى فرق ابقاه متفرقا على حاله اذا انفرق بنفسه يقال فرقه فانفرق والفرق والمفرق البياض الواقع بين شعر الرأس وفى رواية عقيصته بالصاد المهملة بدل عقيقته (والا فلا يجاوز شعره شحمة اذنه) وفى رواية اذنيه بالتثنية وهما بمعنى كما يقال نظرت بعينى اذا نظر بعينيه وهكذا فى كل عضو كان كذلك كما هو مقرر فى العربية وشحم الاذن مالان منها حيث يعلق القرط وتقدم فى هذا الحديث ما رأيت من ذى لمة فى حلة حمرا احسن من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وان اللمة الشعر الذى يجاوز شحمة الاذن فاذا وفر شعره صار لمة اى ما يلم بالمنكبين و اللمة دون الجمة والوفرة دون اللمة والجمة اكثر من الوفرة وهى ما سقطت على المنكبين فالوفرة ابلغ منها اللمة والجمة ابلغ منهما وفيه كلام تقدم والفرق سنة بخلاف السدل من قدام او خلف ومعنى قوله والا وان لم يفرق فعلم منه اذا فرق جاوز الشحمة ووصل المنكب واحواله مختلفة فى الطول ولذا قيل له لمة وجمة (اذا هو وفره) وفى بعضها وفره بدون ضمير والمعروف رواية الاول كما قال المزى وفاؤه مخففة ومشددة اى كثره وقد نقل بعد الحلق وغيره كما عرفته وهذا اولى من حمل اختلاف الروايات على التقريب (ازهر اللون) سيأتى معنى الازهر وان معناه ابيض مشرب بحمرة وقد ورد انه ليس بالابيض الامهق ولا بالادم و بهذا علم ما روى انه كان اسمر ولعله رآه عقب سفر ونحوه اولم يحققه لانه لمهابته صلى الله تعالى عليه وسلم لا يحدق النظر فى وجهه وفى رواية انه كان ابيض شديد الوضح والمراد بالوضح البياض وقد يطلق على البرص ولذا سمى جزيمة الابرش الوضاح و يؤيده انه ورد انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان عقه كوز فضة و يأتى وكان ساقة جماره وكشف ظهره وكأنه سبيكة فضة و قيل ان سمرته حمرته ولذا قيل فى الجمع بين الروايات انه كان يميل الى السمرة او البياض لونه وهذا عرض له بعد ذلك لكثرة اسفاره (واسع الجبين) فى القاموس الجبهان حرفا الجبهة وجانباها عند الصدغين و بعد الحاجبين والجبهة وسطه او هو جميع ما بين الصدغين فتدخل فيه الجبهة الى قصاص الشعر (ازج الحواجب) ازج افعل كاحمر و الزج تقوس فى الحواجب مع طول فى طرفه وامتداد بدقة

في طرفيه و اراد بالحواجب الحاجبين وجمع لان اقل الجمع اثنان او لانظلاقه على احرائه وهما العظمان فوق العينين لحمهما وشعرهما و يطلق على الشعر وسمي به لانه يحجب السمس وغيرها عن العين (سوابغ) بالسين والضاد جمع سابغ لانه لما لا يعقل وقيل جمع سابغة وفية اى طوال كاملة (من عبر قرن) بفتحتين اى من غير اقتران و اتصال لانه غير ممدوح عند العرب وما وقع في حديث ام معبد من وصف حاجبيه صلى الله تعالى عليه و سلم بالقرن فيحتمل انه كان بينهما شعرات قيق جدا اذا سافر وعلاه غبار السفر طن قرنا وما قيل انه بطريق الرأى اوانه لاختلاف الرؤية قربا و بعدا اوانه حدث له صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ذلك بعيد جدا بل لاوجه له (بينهما) اى بين الحاجبين وهذا يدل على ان الجمع في الحواجب بمعنى المثنى هنا (عرق يدره العضب) بضم الياء مضارع الادرار من ادر الضرع والسحاب اذا كثر دره وهو لبنه وماؤه فحلب والمراد انه يظهر لعليان الدم بالعضب بعد ما كان خفيا لا انه يحدث بعد ان لم يكن وهذا لا ينافي ماورد من انه صلى الله تعالى عليه وسلم حليم لا يغضب لانه باعتبار اكثر احواله صلى الله تعالى عليه وسلم و انه لا يغضب لنفسه ولا لاجل امر دنيوي ولكنه قد يستد غضبه لله اذا انتهكت حرمه وفي ضربه للاعداء كما قال الصرصري رحمه الله * بجبهته عرق يدر اذا سطا * غضبا على الاقران يوم طعان * والعضب يهيج الحرارة العزيزية فيغلي الدم منها ولذا يحمر الوجه وتنفخ العروق (اقنى العرنين) القناء في الانف طوله ودقة اربته اى طرفه مع ارتفاع يسير في وسطه والعرنين بكسر العين الانف او ماصلب منه او ما تحت مجمع الحاجبين وهو اول حيث يكون السمم والجمع عرانين و يكنى به عن الاشراف لسموح انفهم وارتفاعه على اقرانه قال * ان العرانين تلقاها محسدة * ولن ترى للئام الناس حسادا * (له نور يعلوه) الضمير له صلى الله تعالى عليه وسلم وحوزوا ان يعود للعرنين لانه وان كان وجهه كله له نور لكنه اول مايتعلق به ولذا سمي انفا ايضا (يحسبه من لم يتأمله اشم) السمم في الانف ارتفاع وسط قصبته مع استواء اعلاه واشراف اربته قليلا يعني ان وسطه فيه استواء مع اعلاه واسفله ولكنه لتلألؤه قد يظن ان فيه ارتفاعا اوان فيه ارتفاعا قليلا جدا لا يعد سمما والسمم قد يعبر به عن عزة النفس وعدم التنزل للامور وهو مما يمدح به كما قال كعب رضي الله عنه * شم العرانين ابطال لبوسهم * من نسج داود في الهيجاء سرابيل * والتأمل اعادة النظر وتكراره ليثبت فيه و يقف على كنهه وهو في الاصل تفعل من الامل والرجاء لان الانسان لا يعيد النظر عالما الا لما فيه امل فاطلق على لازمه وشاع حتى صار حقيقة فيه وقيل السمم طول الانف مع سلامته ودقته والاول اصح واشهر (كث اللحية)

بفتح الكاف وتشديد المثلثة والكث كون اللحية كثيرة الشعر من غير طول ولا دقة شعر وما اشتهر من قوله من سعادة المرء خفة لحيته لم يثبت انه حديث مع انه قيل انما هو خفة لحييه مثنى لحى وان معناه كثرة تحريكهما بذكر الله او المراد عدم طولها (ادعج) اى سواد عينيه سديد مع بياضهما ويقال رجل ادعج اى اسود ولبس مرادا وسيأتى فيه كلام (سهل الحدرين) اى غير مرتفع الوحنة وكثير اللحم فيهما فانه غير محمود وقيل المراد انه طاق منبسط (ضليع الفم) بضاد معتوحة معجمة اى طويل اشتقاق الفم واسعة وهو مما يمدح به ويعاب ضده بدلالته على الفصاحة وليس المراد به عظم الاسنان وتراصها كما قاله التلمسانى وشعراء المولدين يمدحون صغر الفم فى مدايحهم وهو لمعنى آخر كما مر (اشنب) بنون بين سين معجمة وباء موحدة اى ذوسنب وهو كما فى النهاية بياض وبريق وصفاء وتحديد فى الاسنان وقيل هو رونقها وماؤها وقيل برد وعذوبة فيها وقيل نقط بيض وتحزير فيها وسئل رويفع عن قول ذى الرمة

* لمياء فى شفتيها حوة لعس * وفى اللثات وفى انيابها شنب *

فاخذ حمة رمان وقال هذا هو السنب اى انه صفاء وماء فيها كهذا ومن امثال المولدين فاتك الشنب لمن اراد الشنه بمن لا يشبهه قال ابن الوكيل رحمه الله تعالى

* يا بارقا ناعالى الرقتين بدا * لقد حكيت ولكن فاتك الشنب *

(مفلج الاسنان) تقدم ان الفلج عدم تلاصق الاسنان وهو ابيق للفم واطيب وفى حديث على كرم الله تعالى وجهه افلج الثنايا وهو المراد بالاسنان او المراد الثنايا والرباعيات لان تباعد الاسنان كلها معيب وقد تقدم كلام فيه ومفلج مضموم الميم مشدد اللام وينبه به تقارب الدار مع عدم التلاقى كقوله

* مالى به مع قرب دارى ملتقى * فهل رأيت بعرة المفلجا *

(دقيق المسربة) ميم مفتوحة وسين مهملة ساكنة وراء مهملة مضمومة وباء موحدة مفتوحة تليها هاء وهو شعر كالخيط سائل من الصدر الى السرة ووصفه بالدقة لانه غير عريض ولا متكاثف طويل (كان عنقه جيد دمية) الجيد العنق الانسانى قال ابن العنق يستعمل فى غير المدح والجيد يستعمل فى مقام بخلافه وان قوله تعالى فى جيدها حبل من مسد تهكم لجعل الحبل عقدا لها وماهما على اصل اللغة لا على نهج الاستعمال فلا اعتراض عليه والدمية بضم الدال المهملة وسكون الميم وتخفيف المثناة التحتية وهى الصورة من رخام او عاج والمراد سدة بياضه وطوله ويؤيده ما روى من ان عنقه صلى الله تعالى عليه وسلم كابريق فضة ويسير اليه هما قوله (فى صفاء الفضة) اى بياضها الخالص وهذا يؤيد ما مر من انه صلى الله تعالى عليه وسلم ليس باسمر وانما شد بالدمية لان صادمها يبالغ فى تحسينها ولهذا

ضرب بها المثل (معتدل الخلق) بفتح فسكون اى متوسط الخلقة بين الطول والقصر والسمن والهذال والضخامة والصغر فهو متناسب الاعضاء مستقيم فى احسن تقويم (بادنا) اى ضخم البدن غير دقيق الاعضاء صغيرها واردفه بقوله (متماسكا) اى كل اعضاه تمسكت بعضه ببعض لشدة ارتباطه به ومماسسته له وهو منصوب صفة بادنا وروى بالرفع خبر مبتدأ مقدر (سواء البطن والصدر) اى متساويهما لم يرتفع احدهما على الاخر (مشيح لصدر) بضم الميم وكسر الشين المعجمة ومثناة تحتية ساكنة وحاء مهملة بمعنى عريض متسع مع مساواته لبطنه من غير تقعس وانخفاض فيه وروى بفتح الميم وكسر السين المهملة وهو بمعناه (بعيد مابين المنكبين) تثنية منكب بفتح الميم وكسر الكاف ونون بينهما وآخره باء موحدة وهو مابين الكتف والعنق والمراد بعدهما سعتها وهو اقوى للبدن والبطش وعبر عنه تارة بالبعد وتارة بالعظم والكل واحد وما موصولة (ضخم الكراديس) جمع كردوس وهو رأس العظم او ملتقى كل عظمين كالمرفقين وضخم بمعنى كثير وكل عظم كثير اللحم كردوس (انور المتجرد) اسم مفعول يعنى ماخلى من البدن من التجرد وهو التكشف ورفع الثياب وانور بمعنى نير مشرق او افعل تفضيل لان ما تحت الثياب من البدن لعدم ملاقاته الهواء والشمس ابيض من الاطراف المكشوفة وورد فى وصفه صلى الله عليه وسلم انه اجرد وهو ضد الاشعر فان الشعر كان على اماكن مخصوصة من بدنه كالمسربة والساعدين والساقين وقال الشريف الغرناطى فى شرح البردة قال بعض الصحابة رأيت ساق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى غرز الركاب كانه جمارة يعنى فى بياض اللون والطراوة فان قلت الوارد فى صفته صلى الله تعالى عليه وسلم انه ازهر اللون اى مشرب بحمرة وبياض الجمار خالص قلت يمكن الجمع بان ما تحت الثياب مما لم يباشره الشمس خالص البياض بخلاف غيره انتهى (موصول مابين اللبة) بفتح اللام وتشديد الباء الموحدة وهى النحر وقيل الصدر وقيل موضع القلادة وما موصولة لازائدة (والسرة) وهى ماوضع ما يقطع من المولود والمقطوع سر (بشعر) متلق بموصول (يجرى كالخط) وهو المسربة السالمة وحريانه امتداده كماء جار والخط الطريقة المستطيلة المستقيمة وفى الاصطلاح ما وصل بين نقطتين متقابلتين فكانه جعل اللبة وهى النقرة التى فوق الصدر نقطة والسرة نقطة اخرى والشعر الرقيق بينهما خطا (عارى الثديين) تثنية ثدى بفتح المثلثة وكسرها تذكر وتؤنث وروى الثند وتين بثاء مثلثة ونون وهما بمعنى (قال الجوهرى الثدى يكون للرجل والمرأة ووافقه الصاغانى وفى درة الغواص الثدى خاص بالمرأة والذى للرجل ثندوة وهو غير مهموز كترقوة على فعلوة وهو مغرز الثدى او رأسه فان ضمت همزته وهو فعلوة ففيه تفصيل بيناه فى شرح الدرة وعلى ما قاله الحريرى تبعا لبعض

اهل العصر صوب بعضهم رواية الشندوتين وزعم ان غيره خطأ لعدم ثبوته فى اللغة وماقيل من انه صحيح على الاستعارة غير صحيح ومعنى عاريهما انه لاشعر عليهما وقيل لاحلم عليهما لما سيأتى من انه اشعر الى آخره وفيه نظر لانه لم يذكر فيه انه على ثديه شعر كما ستسمعه قريبا (ما سوى ذلك) اى ما سوى الشعر الذى بين السرة واللبة وهو بدل من الثديين وفيه نظر وروى ماسوى ذين وهو اظهر (اشعر) اى كثير الشعر فى (الذراعين) بكسر الدال المعجمة مابين المرفق وطرف الاصابع (والمنكبين) تقدم بيانهما (واعالى الصدر طويل الزندين) تثنية زند وهو طرف الذراع المتصل بالكف وطرفاه الكوع وهو رأس الذراع مما يلى الابهام والكرسوع وهو رأسه مما يلى الخنصر وهما العظمان اللذان فى ظاهر الساعد والمراد عظم الذراع فسماه باسم بعضه ولذا وصفه بالطول (رحب الراحة) اى واسع الكف والكف والراحة بمعنى والراحة من الروح وهو الاتساع (شثن) بفتح الشين المعجمة وسكون الثاء المثلثة والنون وهو الضخم الممتلئ لحما ويؤيده أنه ورد فى رواية انه ضخم (الكفين والقدمين) وما فى النهاية فى تفسيره من انهما يميلان الى الغلظ والقصر غير مناسب لقوله رحب الراحة وقيل هو الذى فى انامله غلظ بلا قصر وذلك محمود فى الرجال دون النساء لانه اشد للقبض والبطش وقال ابن بطال كانت كفه صلى الله عليه وسلم ممتلئة لحما وهى مع ضخامتها لينة وفى حديث انس رضى الله عنه ما مست حريرا الين من كفه صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال الاصمعى الشثن غلظ مع خشونة لم يوافق عليه ولا حاجة لتأويله بانه لاعر عارض فى اسفاره وجهاده واستعمال يديه فى مهنة بيته فانه مناف لعده من الحلية وهى الصفات الخلقية فان الذى ارتضاه اهل اللغة انه الضخم ولا ينافيه قوله (سائل الاطراف) وبسط الكفين او سبط الكفين كما قيل لان المراد بالاطراف الاصابع والكف والقدم مغرسهما فلبست داخلة فى معناهما ومعنى سائل باللام طويل فكانه شبهها بعين سالت من بركة لطولها وصفائها وبياضها ولينها لان راحته صلى الله تعالى عليه وسلم تنبع منها الخيرات والمياه كما قلت فى قصيدتى الهمزية

* نبع الماء من اصابع كفه * بايادما غاض فيها الماء *

* لاتقسها على اصابع نيل * كم لكسر من جبرهن وفاء *

(اوقال سايل الاطراف) شك من الراوى فى قول ابى ابى هالة انه قال ما تقدم اوقال شاين بنون مبدلة من اللام كما يأتى وقالوا حبريل وحبرين واسمعيل واسماعين (وسائر الاطراف) بالراء المهملة مكان اللام ومعناه باقى او جميع ولبس الثانى خطأ كما قاله الحريرى وتبعه فى الشرح كما فصلناه فى شرح الدرة وعلى هذا الاخير هو مجرور معطوف على القدمين اى ضخم اطرافه كلها ولبس شكه لتقارب الحروف الثلاثة فى الخط والمخرج

كما قيل وقد ضبب في النسخ على قوله سايل بالنون والصواب اثبات الالفاظ الثلاثة لما سيأتي في تفسيرها كما قاله في المقتفى وجاء هذا في بعض الروايات من غير شك (سبط العصب) سبط بسكون الباء الموحدة وكسرها بمعنى ممتد ليس به تعقد ونتيق كما في النهاية والعصب وقع في اصل البرهان بعين وصاد مهملتين كما ضبط ابن الانباري والذي اتفق عليه ابن الاثير والهروي انه القصب بالقاف لا بالعين والمراد بالقصب ساعداه لو ساقاه وفي العرسين كل عظم عريض لوح وكل اجوف فيه قصبة وجمعها قصب ويشهد له ان العرب تمدح به كما قال *فجاءت به سبط العظام كأنما * عمامته بين الرحال لواء * لانه يدل على قوة البدن والشجاعة والعصب بالعين ما يمتد في البدن لربط الاعضاء وتحريكها كما بين في علم التشريح وهو اطناب المفاصل وقيل المراد به ههنا عظام الساقين والساعدين مجازا لما بينهما من المجاورة فتتحد الروايتان وهو بعيد جدا (حصان الاخصين) خصان بضم الحاء المعجمة وفتحها وسكون الميم لا بفتحها كما توهمه عبارة القاموس وتبعه بعضهم هما وتبعهما ضبط لفظ الشفاء ومعناه الضامر البطن وهو هنا بمعنى المتجافي عن الارض اي المرتفع والاخصين مثنى اخص يورد احمر وهو ما دخل من باطن القدم ولم يصب الارض لعدم مساواته العقب ومقدم القدم وسمي به لضموره وصغره ولما كان اخص القدم قد يطلق على ما يلي الارض منها مطلقا اتى بقوله خصان مضافا اليه ليبين انه على ظاهره وهو المحل المرتفع وليس المراد به المبالغة في ارتفاعه كما فسره بعضهم هما بالتشديد الجافي لهذا فجعله كليل اليل وقد قال ابن الاعرابي اذا كان خميص الاخص بعيدا لم يرتفع جدا ولم يستو اسفله فهو احسن فان استوى او ارتفع جدا فهو مذموم فمعنى حصان الاخصين انه مرتفع باعتدال وقال البرهان وسيأتي ما ينافي هذا يعني قوله مسيح القدمين قال الدارمي في كتاب توثيق عرى الايمان خصان الاخصين متجافي اخص القدم وهو الموضع الذي لا يناله الارض من وسط القدم وقوله (مسيح القدمين ينبوعنهما الماء) قال المصنف رحمه الله تعالى فيما يأتي اي املسهما ولذا قال ينبوعنهما الماء وفي حديث ابي هريرة خلافه ففيه اذا وطئ بقدميه وطئ بكليهما ليس له اخمص وهذا يوافق معنى قوله مسيح القدمين وقد قالوا سمي عيسى بن مريم مسيحا لانه لم يكن له اخمص وقيل معنى مسيح القدمين لا لحم عليهما وهو مخالف لقوله شثن القدمين انتهى واقره صاحب المقتفى وفي السرح الجديد في النهاية معنى مسيح القدمين انهما املسا وان ليسا ليس فيهما التواء وانسياق فاذا اصابهما الماء سال ومر سريعا من جانب الكعب القبلي وقال ابن الحنبلي في شرح قصيدة الصرصري التونية ليس المسيح باطن القدمين الذي هو محل الخمصان بل ظاهرهما لملاسة فلا تعارض بين العبارتين اقول هذا كله خلط منهما وليت شعري ما يقول في حديث ابي هريرة الذي نقله الدارمي

فالاشكال الذى ذكره البرهان غير مندفع اللهم الا ان يقال ان الخمصة فيه قليلة جدا
ومعنى يدوير تفع والمراد به مفارقة الماء وانصبابه محازا وانشدوا هنا لبعضهم

* يا رب بالقدم التى اوطأتها * من قاب قوسين المحل الاعظما *
* وبحرمة القدم التى حملت لها * كتف المؤيد بالرسالة سلما *
* ثبت على متن الصراط تكرما * قدمى وكن لى منقذا ومسلما *
* واجعلهما ذخرى فمن كانا له * ذخرا فليس يخاف قط جهنما *

والقدم الاولى قدمه صلى الله عليه وسلم والثانية قدم على رضى الله عنه لما قال له صلى الله عليه وسلم يوم الفتح اصعد لكسر اصنام الكعبة فصعد على كتفه صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه صاحب الصفوة ومسيح بفتح الميم وكسر السين المهملة ثم ياء مثناة تحتية ساكنة وحاء مهملة وفى بعض النسخ مسيح بفتح الميم وسين معجمة ولم يفسرها وكانها تحريف من النساخ او معناها حفيف المشى (اذا زال زال تقلعا) وروى اذا مسى يقلع اى رفع رجليه رفعا قويا ليتمت فى مشيه فكانه يقلع رجليه من الارض فيقارب خطاه من غير احتيال واسراع كما ورد كانما ينحط من صبب وروى اذا زال قلعا بفتح القاف وسكون اللام وكسرها وروى بالضم ايضا (ويحطو تكفؤا) اى اذا مد خطاه يميل الى قدامه كمن يتكبى وتكفؤا ان همز صحت فاؤه كالمصادر الصحيحة مثل تقدم تقدما لان الهمزة حرف صحيح فان ابدلت ياء كسرما قبلها فقيل تكفيا كتسمى تسميا ونحوه من المصادر المعتلة الآخر (ويمسى هونا) بفتح الهاء اى اذا مسى مسى برفق ولين ووقار كما يأتى لانه ممدوح قال تعالى * ويمشون على الارض هونا (ذريع المشية) بفتح الدال معجمة وكسر الميم والذريع الواسع الخطو اى ما بين قدميه واسع مع عدم سرعته يساوى مشيه المسى السريع او يفوقه (كانما ينحط من صبب) اى ينحدر من مكان عال والمنحدر من عال يكون له سرعة مع سهولة وانما قال كانما لانه ليس منحدرا على الحقيقة وانما هو كالمنحدر فى السرعة والسهولة (واذا التفت التفت جميعا) اى اذا اراد ان يدور لما خلفه او فى جانبه لا يلوى عنقه بل يصرف جميع بدنه فيقبل جميعا ويدبر جميعا من غير مسارقة نظر فانه خفة وطيش (خافض الطرف) مصدر بمعنى تحريك الجفن ثم صار بمعنى الخفض ضد الرفع والطرف العين وفسر هذا بقوله (نظره فى الارض اطول من نظره فى السماء) يعنى ان نظره لجانب السفل اكثر من نظره فى جانب العلو لخشوعه وحيائه ووقاره وليس هذا مخصوصا بالصلاة والدعاء فانه مكروه فيهما ولا ينافى هذا قوله قد نرى تقلب وجهك فى السماء لان هذا باعتبار الاعلب كما يشعر به لعل قد (حل نظره الملاحظة) جل بضم الجيم بمعنى المعظم والاكثر والملاحظة النظر بالخط

وهو طرف العين مما يلي الصدغ ومما يلي الانف موق ومأق اى ينظر طرف عينه تأدبا وحياء (يسوق اصحابه) اى يمشي خلفهم وفي ساقتهم ولايدع احدا يمشي خلفه كما هو عادة المتكبرين وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يقول خلوا ظهري للملائكة وفي قوله يسوق اشارة الى انه هو المحرك لهم فاقبل من انه لايقدم الصغار الكبار الا اذا ساروا ليلا او خاضوا سيلا ليس على وفق السنة (ويبدو من لقيه بالسلام) لانه من السنة ان يسلم الاكبر على الاصغر والسلام دعاء وتحية وهي تحية اهل الجنة كما ورد في السنة فهو دعاء بالسلامة واسم من اسمائه تعالى وجوز ارادته هنا بمعنى ان الله معك ومطلع عليك وابتداؤه سنة لاواجب بالاجماع وفيه قول به ضعيف لايعتد به ورده فرض كفاية لاعلى كل احد لان السلام معناه الامان فاذا سلم احد لم يجب توهم الشر فيجب دفعه كما قاله الحليمي وهذا منه صلى الله تعالى عليه وسلم تواضع ولطف مناسب لما نحن فيه من حسن الخلق قال الحسن رضي الله عنه لراوي هذا الحديث (قلت) لخالي هند بن ابي هالة رضي الله تعالى عنه (صف لي منطقه) مصدر ميمي اى نطقه وكلامه صلى الله تعالى عليه وسلم والنطق هو اللفظ الدال على معنى واما قول سليمان عليه الصلوة والسلام علمنا منطق الطير وقول الشاعر * لقد نطق اليوم الحمام لطيرنا * فلتنزيله منزلة لفهم سليمان عليه الصلوة والسلام منه معنى ولادعاء الشعراء شوقه وطربه كما قاله الهروي (قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم متواصل الاحزان) هذا مشتمل على الجواب و زيادة فالجواب قوله الآتي ولايتكلم في غير حاجة فكانه قال كان كلامه موجزا قليل وقيل معناه ان كلامه لم يكن بمرح و بطر بل بحزن واسف وقال ابن قيم الجورية قول ابن ابي هالة متواصل الى آخره لم يثبت عنه و في سنده مجهول كيف وقد صانه الله عن الحزن واسبابه ونهاه عنه بقوله لاتحزن وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فلاخوف عليه ولاحزن في الدنيا و الآخرة فمن اين يأتيه الحزن و قد ورد وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بانه كان دائم البشر ضحوك السن و قد استعاذ من الهم والحزن ومراد الهم لما سيأتي والحزن على مامضى وقال ابن تيمية في حديث ابن ابي هالة انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان كثير الصمت دائم الفكر متواصل الاحزان ليس المراد بالحزن الالم على فوت مطلوب او حضور مكروه كانه لم يكن من حاله صلى الله تعالى عليه وسلم وانما المراد به التيقظ لما يستقبل من الامور وهو مشترك بين العين والقلب انتهى قيل وهو لم ينه عن ذلك لانه ليس باختياره وانما نهى عن تعاطي اسبابه كما قيل

* ومن سره ان لايرى مايسوءه * فلا يتخذ شيئا يخاف له فقدا *

انتهى وقال ابن قيم الجوزية في شرح منازل السائلين ليس الحزن من منازل السالكين وقد ورد النهي عنه فقال ولاتهنوا ولاتحزنوا وقد استعاذ منه صلى الله عليه وسلم وحزن المؤمن

يسر الشيطان لانه يعتز العزم ولذا قال اهل الجنة الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن وهو من المصائب واما خبر ان الله يحب كل قلب حزين فلم يثبت (اقول هذا تطويل بغير طائل وانكار ورود الحديث مردود لانه ثابت كما قاله الحافظ ابن تيمية وغيره واما كونه ليس من المقامات فمع كونه غير مسلم كما مر ولا يضر والمراد انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان على هيئة الحزين حال سكوته لكثرة افكاره فى امور امته واحوالهم كما يدل عليه قوله (دائم الفكرة ليس له راحة) وكيف لا وقد قاسى صلى الله تعالى عليه وسلم فى التبليغ مالا يوصف واما وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بالبشر والتبسم فهو فى حال آخر وهو محاطبته للناس والنظر فى امورهم (ولا يتكلم فى غير حاجة) له صلى الله تعالى عليه وسلم او لامته كما قال من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه (طويل السكوت) عما لا يحدى نفعا لكثرة افكاره صلى الله تعالى عليه وسلم ودوام اذكاره (يفتتح الكلام ويختمه باشداقه) جمع شدق بفتح اوله وكسره وسكون ثانيه المهملة وهو جوانب الفم وذلك لسعة فمه الدالة على فصاحته صلى الله تعالى عليه وسلم كما مر وهو مما تمدح به العرب واما قوله صلى الله تعالى عليه وسلم انصركم الى الله لمشدقون فمعناه من يتكلف كثرة الكلام بلا احتياط فيه فسقط ما قيل انه من صفة الفم ولا مدخل فى الجواب (ويتكلم بجوامع الكلم) وهى الكلمات الموجزة المشتملة على الحكم الواقعة السائرة مسير الامثال جمع جامعة وتطلق على القرآن (فصلا) بفتح الفاء وسكون الصاد المهملة اى كلاما فاصلا للمحصومة وفارقا بين الحق والباطل (لا فضول فيه) لا زيادة فيه على اداء المراد وهو اسم مفرد وقيل انه جمع فضل خص بما ذكر ونقل لمعنى آخر ولذا نسب اليه فقيل فضولى كما فى المغرب (ولا تقصير) فيما يريده بتقليل مخل بالمفهم (دمثا) بفتح الدال المهملة وكسر الميم وبالثاء المثلثة من الدماثة وهى سهولة الخلق مستعار من لارض الدمثة وهى ذات الرمل المتلبد اى ليس الخلق لطيف لمعامله (ليس بالجافى) اى ليس عليط الطبع وهو اصل معنى الجفاء اولم يكن يجفو اصحابه (ولا المهين) روى بضم الميم وفتحها فالاول من الاهانة والميم زائدة اى لم يكن صلى الله تعالى عليه وسلم يهين احدا من الناس والثانى من المهانة وهى الحقارة والميم اصلية اى لم يكن صلى الله تعالى عليه وسلم حقيرا متذللا لاحد من الناس لشرف نفسه وعزتها وهذا وصف لذاته صلى الله تعالى عليه وسلم ويحتمل ان يكون وصفا لمطعمه (يعظم النعمة وان دقت) اى يعد كل ما انعم الله به عليه عظيما وان لم يكن لذلك ومعنى دقت صغرت وقلت (لا يذم شيئا) اى شيئا يستحق الذم (لم يكن يذم ذواقا) بفتح الذال المعجمة وفتح الواو المخففة والف وقاف فعال مصدر صار بمعنى ما يذاق من مأكول ومشروب مما قدم له صلى الله تعالى عليه وسلم من طعامه ونحوه ان اشتهاه اكل منه والا كف يده ولا يقول

فيه شئ فلا يذمه (ولا شيئا يمدحه ولا يقام لغضبه) من قام اذا ثبت اى لا يثبت له احد اومن قام بمعنى دام اى لا يدوم احد على تحمل غضبه و يقام بضم المثناة التحتية مبنى للمجهول وفيه دلالة على انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يغضب لله احيانا وقد ورد ما يدل على ذلك (اذا تعرض للحق بشئ) بضم التاء الفوقية والعين وكسر الراء المهملتين المشددة والضاد المعجمة اى اذا اعترض احد للحق بما يبطله او يقتضى خلافه وبشئ بالباء الجارة واللام وعامله اما يقام او تعرض (حتى ينتصر له) اى للحق فيؤيده ويبطل خلافه (ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها) اى اذا اذاه احد من الاعراب وغيرهم بما يتعلق بنفسه كالاعرابى الذى اسكه صلى الله تعالى عليه وسلم بردائه ولببه والذى قال ان هذه قسمة غير عادلة ونحو ذلك ككلام بعض المنافقين كابى ابن سلول رأس المنافقين وما كان يصدر منه (اذا اشار اشار بكفه كلها) اى اذا اشار لشئ حارح الصلوة اشار برفع يده واما فى الصلوة واذا اشار للتوحيد اشار باصبعه السبابة والمسبحة ليفرق بين الاشارتين وله صلى الله تعالى عليه وسلم اشارات اخر بينه عليها بقوله (واذا تعجب قلبها) اى قلب كفه و جعل باطنها نحو السماء وظاهرها للارض وتأنيث الكف لانها مؤنث سماعى وهو اشارة لانقلاب الحال عما يعتاد من غير اظهار للتعجب واستعراب لامر وهذا مما يدل على سكونه صلى الله تعالى عليه و سلم وعدم خفته وهو امر ممدوح (واذا تحدث فصل بها) فى شرح الدلجى بهمزة وفاء وصاد مهملة و لام والضمير للكف اى وجه كفه من فصل عليا اذا خرج من طريق اوظهر من حجاب قاصدا بها اى بكفه ولم يبينه غيره ووقع فى بعض النسخ اتصل بها اى بمثناة فوقية بدل الفاء وفى حاشية التلمسانى والحديث يتصل بها اى لاران يحركها وذلك اثبت لانه قول وفعل انتهى وهذا يدل على ان اتصل بها رواية فى العبارة ثلاثة و حوه افصل واتصل و يتصل و المعنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم فصل حديثه باشارته بيده لجهة من يخاطبه كعادة من يهتم بكلامه فى امر مهم (اقول هذا كلام مع عموضه غير محرر مع ما فيه اما ما ذكره الدلجى من انه افصل بهمزة وفاء فتحريف لانه لم يسمع فى هذه المادة مزيد بزيادة اكرم فاصواب فصل او اتصل ومعناه انه صلى الله عليه وسلم فصل كلامه باشارته اووصل احدى يديه بالاخرى مما رأيته فى كتاب النعمة فى الصلاة والسلام على شفيع الامة ذكر هذا الحديث وانه اتصل افتعال من الوصل وهو الصحيح وذكر انه صلى الله عليه وسلم كانت له اشارات مختلفة فيشير بالمسبحة للتوحيد و يجمع كفه لغيره فرقا بينهما وانه كان اذا حدث وصل حديثه بالاشارة بيده توكيدا له و الظاهر ان الفاء فى قوله (فضرب) تفصيلية كقوله ونادى نوح ربه فقال رب الى آخره ولم يبينوا معناه والظاهر ان المعنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يشير بجميع كفه اذا كان مع اصحابه على وجه

متعارف كالاشارة للذهاب والجلوس ونحوه فاذا تحدث وضع ابهامه على راحته وقت حديثه لتثبيت حديثه وانتهائه فاعرفه وقوله (بابهامه اليمنى راحته اليسرى) كذا فى اكثر الروايات وفى بعضها فضرب براحته اليمنى باطن ابهامه اليسرى والابهام معروف يذكر ويؤنث وجمعه اباهيم واباهم قالوا وهذا عادتهم اذا تحدثوا (واذا غضب اعرض) عمن غضب عليه من غير لوم له لشدة حلمه صلى الله تعالى عليه وسلم (واساح) بشين معجمة وحاء مهملة بهما الف قيل معناه صرف وجهه فهو تأكيد لما قبله وقيل معناه قبض وجهه ورواه من غير لوم وعقاب وهذا من حلمه صلى الله تعالى عليه وسلم فلا يقال كيف ادرج هذا فى صفات المدح فاجاب بان الغرض بيان صفاته صلى الله تعالى عليه وسلم للسائل لان المقام يأباه وسيأتى من المصنف تفسيره مما يقارب هذا وقيل ان فى النهاية ان المسيح الحذر والجاد فى الامر والمقبل عليك المذبع لما وراء ظهره وفى حديث سطيح اقبل على جمل مسيح اى حاد مسروع فيجوز ان يريد احد هذه المعانى اى حذر من موجب غضبه او حذر فى الامر ليشعر باعراضه عن موجب غضبه او اقبل عليه ليمنع من وراءه من ضرر المغضوب عليه ولا يخفى انه تكلف مخالف لما اختاره المصنف مما هو اظهر هنا (واذا فرح) لرؤية ما يسره او سماعه (غض طرفه) اى ارخاه واطرق تباعدا من الاشر والمرح (جل ضحكه التبسم) اى اكثره وقد تقدم بيانه وقد يضحك صلى الله تعالى عليه وسلم احيانا حتى تبدو نواجذه والتبسم مبادى الضحك (ويفتر) بفتح الياء وسكون الفاء وفتح التاء الفوقية وتشديد الراء المهملة من قولهم افتر ضاحكا اذا ابدى اسنانه قال

يفترعن لؤلؤ رطب وعن برد وعن اقاح وعن طلع وعن حبب*

وهو مما ذرت الدابة اذا كسفت فهى تعرف سنها من سنها وذلك هو الغرار بالضم (عن مثل حب الغمام) متعلق بيفتر والغمام السحاب واحده غمامة كسحابة وحبه هو البرد المعروف لا قطر المطر كما توهم فانه مع عدم مناسبته لا يسمى حبا لان الحب الحامد دون السائل وتشبيه اسنانه صلى الله تعالى عليه وسلم به لصفائه ولمعانه ورطوبته دون حريه حتى يقال انه نوع منه وهو مشهور فى كلامهم كما مر (قال الحسن) بن على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنهما (فكتمها) اى اخفيت صفاته صلى الله تعالى عليه وسلم التى سمعتها من ابى هالة (الحسين) مفعول بان اكتم وفى نسخة عن الحسين بن على (زمانا) مدة من الزمان (ثم حدثته) بما سمعته من صفته صلى الله تعالى عليه وسلم (فوجدته قد سبقنى اليه) اى الى الحديث المعلوم من قوله حدثه اى حفظه قبلى الا انه رواه عن ابيه على رضى الله تعالى عنهما (فسأل اباه عن مدخل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومخرجه

ومجلسه) وفى نسخة وملبسه بدل مجلسه فان كانت الثلاثة مصادر ميمية فظاهر
والا بان كان اسم زمان اومكان فالمراد سألته عن حاله فى مخرجه ومدخله والمراد
خروجه صلى الله تعالى عليه وسلم للناس ودخول بيته وجلوسه عندهم كما سيأتى
وقيل المراد بمجلسه بكسر اللام هيئة جلوسه و انما ذكر استقراء لجميع احواله يعنى
الحسن انه سمع هذه الصفات من ابن ابى هالة خاله ولم يخبر اخاه بما سمعه منه والحسين
لم يسمعها من خاله فلما حدثه بها وجد علما منها عنده علم انها من طريق وهى
روايته لها عن امير المؤمنين ابيه مع زيادة واما كتم ذلك عنه مع النهى عن كتمان العلم
عن اهله لانه لم يسأله ولم ينحصر علمها فيه و لو كان لذلك دخل فى حديث من كتم
علما ألجمه الله بلجام من نار او انه كتم عنه كلام ابى هالة الوصاف البليغ دون معناه لعلم
اهل بيته بذلك فان الثبت والحديب لهم (وسكله) بفتح اوله اى هيئته فى ذلك الحال
وبكسره بمعنى الهدى والسمت قاله التلمسانى (فلم يدع من ذلك شيئا) اى لم يترك سيئا
من احواله الا بينه لى (قال الحسين سألت ابى رضى الله تعالى عنه عن دخول رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فقال كان دخوله لنفسه) اى دخوله منزله ليجتمع باهله
لمصالحه وقضاء مآربه وقيلولته (مأذونا له فى ذلك) من الله اذنا عاما بحيث يدخل
اى بيت من بيوته فى اى وقت من غير استيذان من زوجاته رضى الله تعالى عنهن لانه
صلى الله تعالى عليه وسلم كان لا يجب عليه القسم وقيل المراد دخوله بيوت اصحابه
رضى الله تعالى عنهم وهو بعيد لقوله (فكان اذا اوى) الاصح قصره ويجوز مده
(الى منزله جزأ دخوله) اى قسم زمن دخوله لبيته (ثلاثة اجزاء جزأ لله) اى لعبادته
والتفكر فى ملكوته (وجزأ لاهله) يدبر فيه امورهم و يصلحها و يتلطف بهم (وجزأ
لنفسه) من مأكل ومشرب وراحة وغيره مما يليق به لقوله (ثم جزأ جزأه بينه و بين
الناس) اى قسم الزمن الذى جعله لنفسه بجعل قسما منه مخصوصا بذاته واحواله
فى نفسه وجزأ آخر للناس وسائر الامة وهو فى منزله ولا يلاقيه فيه الا اهله او خواص
اصحابه الذين يؤذن لهم فى الدخول عليه وغيرهم لا يصل اليه عنه فلذا قال
(فيرد ذلك على العامة بالخاصة) يرد بمعنى يوصل و يعطى كانه لما كان لهم حق
فى الجملة احد منهم ثم رد اليهم وقيل معناه يستعين بالخاصة على العامة وردا له صلى الله عليه وسلم كان
يستعين بالخاصة على العامة وهو بيان لحاصل المعنى وذلك اشارة لما فيهم من السياق
وهو جزء الناس و العامة من عدا الخاصة التى عرفتها فكانت الخاصة تخبر العامة
بما سمعته منه صلى الله تعالى عليه وسلم اذا لم يكن مما ينبغى كتمه عنهم والباء فى بالخاصة
للسببية وكونها للبدل كقوله * فكيف لى بهم قوما اذا ركبوا * بعيد لانه ليس المراد
انه يجعل وقت العامة بعد الخاصة و بدلا منه وعلى على ظاهرها وقيل بمعنى الى وروى

﴿ بدل ﴾

بدل يرد يبدل بالمعجمة والمهملة مع ضم الياء المثناة التحتية وفتحها فيهما (ولا يدخر عنهم شيئا) اى عن المذكورين من العامة والخاصة وقيل عن الداخلين عليه صلى الله تعالى عليه وسلم والمآل واحد ويدخر بدال مهملة مشددة واصله يذتخر بدال معجمة وتاء افتعال من الدخر قلبت تاؤه دالا وفعل به ما علم من كتب الصرف وكذا امثاله من اذكر ويجوز يدخر بذال معجمة مشددة وخاء (وكان من سيرته فى حرء الامة) وهو الجزء الذى جعله للناس وافرزه مما كان لنفسه اى كان دأبه صلى الله عليه وسلم وعادته فى هذا الجزء (ايثار اهل الفضل باذنه) الايثار تقديم ما يؤثره على غيره والمراد باذنه انه يأذن لهم فى الدخول فى خلوته فى بيته كما مر وما قيل من ان المراد باهل الفضل اغنياء الصحابة رضى الله تعالى عنهم والفضل زيادة مالهم على حاجتهم والمعنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم يأذن لهم ان يؤثروا بصدقاتهم افقراءهم كما وقع لابى طلحة رضى الله تعالى عنه فى بئر حاء تكلف اوقعه فيه قوله (وقسمته على قدر فضلهم فى الدين) فتوهم ان المراد بقسيم المال والعطاء وليس كذلك وانما معناه قسمة جزئد فى حديثه معهم واشتغاله باحوالهم وقوله فى الدين لان اكرمهم عند الله اتقاهم فتفاوتهم عنده بذلك لا بالنسب والمال وفى بعض النسخ وقسمه بدون تاء ثم بين سبب تفاوتهم بقوله (منهم ذو الحاجة) الواحدة (ومنهم ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوائج) الثلاثة فاكثر (فيتشاغل بهم) اى بقضاء حوائجهم وارشادهم لما يصلح معاشهم ومعادهم (و يشغلهم) بفتح الياء المثناة التحتية مضارع سعل واما اشغل فلغة ردية كما مر اى يجعلهم صلى الله عليه وسلم مشغولين بما امرهم به (فيما اصلحهم) وفى نسخة يصلحهم اى ما فيه صلاحهم (والامة) بالنصب اى واصلح الامة لتبليغه لهم ما يليق بهم بعد معرفته عليه السلام بحالهم (من مسئلته عنهم) وهو بيان لما اى سؤاله عن احوالهم وروى مسألتهم اى الخاصة ذوى الفضل (واخبارهم) اى اخبار ذوى الفضل (بالذى ينبغى لهم) اى يليق ويناسب حال المسؤل عنهم من الامة وهو مطاوع بنى بمعنى طلب قال ابن اعرابى اذا قيل ينبغى ان يكون كذا فهو على وجهين احدهما ما يكون مسخرا للفعل نحو النار ينبغى ان تحرق الثانى الاستيهال نحو فلان ينبغى ان يعطى لكرمه قال الله تعالى * وما علمناه الشعر وما ينبغى له (و يقول) صلى الله تعالى عليه وسلم لمن حضر عنده (ليبلغ الشاهد) امر وهو للوجوب فى الامور الشرعية وهو بتخفيف اللام بقرينة ذكر الاتباع بعده ويجوز تشديدها والاول اصح هنا والشاهد الحاضر عنده لمقابلته بقوله (الغائب) وهو من لم يكن حاضرا او موجودا فهو من كان الصحابة والغائب من صغارهم او هم الصحابة والتابعون قيل ويحتمل ان يراد العالم والجاهل واهل الحضر والبادية والسامع ومن لم يسمع والمسلم والكافر وهذه احتمالات عقلية او هى تأويلات وتعميم لمفهومه

فتأمل (وابلغونى حاجة من لايستطيع ابلاغا) اى حاجته وروى ابلاغ حاجته وهو تعميم بعد تخصيص للترغيب والحث وبيان لسبب الامر (فانه) اى الامر والشان (من ابلغ سلطانا حاجة من لايستطيع ابلاغها) قيل يريد ان من ابلغ سلطانا حاجة جوزى بهذا الجزاء العظيم فكيف بمن بلغ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والاظهر احل من ان يكون ملكا اوسلطانا وقد قال كما تقدم لست بملك قلت فيه نظر وقد يقال المراد بالسلطان هنا الامام الاعظم خليفة الله وقد اطلق الفقهاء ذلك عليه كما بيناه وفى حكمه بالسلطنة و الفتيا والقضاء المذكور فى القواعد للسبكى كما سيأتى وهذا الحديث مستقل رواه الاصبهانى وفى بعض الفاظه اختلاف (ثبت الله قدميه يوم القيامة) على الصراط يوم تزل الاقدام كما ورد مصرحا فى رواية ابى ابى الدنيا وذلك لانه مشى بقدميه وسعى لحاجة اخيه فهو جزاء من جنس العمل وهو كناية عن نجاته من اهوال الموقف (ولايذكر عنده) اى لايذكر فى مجلسه صلى الله تعالى عليه وسلم (الاذلك) الاشارة لجميع ماتقدم من ذكره مصالحهم وسؤاله عن الامة والامر بالتبليغ والحث عليه والترغيب فيه (ولايقبل احد) بالبناء للفاعل والمفعول (غيره) اى لايرضى كلاما غير ما يكون من هذا القبيل (وقال) اى على رضى الله تعالى عنه فى رواية (فى حديث سفيان بن وكيع) ابن الجراح ابو محمد الكوفى وهو امام حافظ روى عنه الترمذى والدارقطنى وغيرهما توفى سنة سبع واربعين ومائتين ووالده امام جليل حافظ رحمه الله تعالى (يدخلون) اى اصحابه رضى الله تعالى عنه (روادا) بضم الراء المهملة وتشديد الواو والف ودال مهملة جمع رائد واصله من يتقدم القوم المسافرين ليختار لهم منزلا فيه الماء والكلاء فاستعير هنا للطالبين المحتاجين لحاجتهم وما يرشدهم وقيل يتحينون وقت الوصول اليه وقال التلمسانى ان رواد بكسر الراء وتخفيف الواو مصدر رود يرود لوادا بلام وذال معجمة اى ملتجئين لا تدين به (ولايتفرقون) من مجلسه صلى الله تعالى عليه وسلم (الاعن ذواق) بفتح الذال المعجمة والواو المخففة والف وقاف فعال من الذوق بمعنى المذوق وهو المأكول فاستعير للعلم الذى يتعلمونه ويحتمل ان يريد حقيقته لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان عادته ان يطعم شيئا لمن يدخل بيته وعلى هذا جرت عادة السلف الصالحين وحقيقة الذوق كما قاله الراغب وجود الطعم بالفم واصله فيما يقل تناوله وفيه تفصيل ذكرناه فى كتاب نثار المجالس اى لايتفرقون الاعن علم وادب هو غذاء لارواحهم وسبب لبقائهم (ويخرجون) من عنده صلى الله تعالى عليه وسلم (ادلة يعنى فقهاء) عالمين بامور الدين اى هداة مرشدين للناس ويهتدى بهم غيرهم فادلة جمع دليل بمعنى هادى او بمعناه المشهور كما يقال فلان حجة الاسلام والصحابة رضى الله تعالى عنهم كلهم مجتهدون خلافا لبعض الحنفية كما فى تحرير ابن الهمام

(قلت) قاله الحسين لابيه رضى الله تعالى عنهما (فاخبرنى عن مخرجه) اى عن حاله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد خروجه من منزله (كيف كان يصنع فيه) بعد خروجه من منزله (قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) من وضع الظاهر موضع الضمير للاهتمام والتلذذ والتبرك بذكره (يخزن لسانه) بالخاء وضم الزاى المعجمتين والون اى يصونه ومنه الخزانة لانه لايحب كثرة الكلام قال * اذا المرء لم يخزن عليه لسانه * فليس على شئ سواه بخزان * ولما فيه من المنع عداه بمن فقال (الامن مايعنيهم) وفى نسخة الا فيما يعنى بفتح المثناة التحتية اى يهمهم وينفعهم من جواهر كلمه وزواجر حكمه (ويؤلفهم ولايفرقهم) اى يجعلهم مؤتلفين به غير متفرقين عنه لمداراتهم واطفه بهم كما قال الله تعالى * ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك * او يجعل الله بينهم الفة لحثهم على التحاب والمواخاة بينهم (يكرم كريم كل قوم) كما قال اكرموا عزيز كل قوم لمعرفته صلى الله عليه وسلم بمقادير الناس (ويوليه عليهم) اى يجعله حاكما عليهم فلا يولى احدا من اصحابه غيرهم ولا غيرهم عليهم ولا يولى صغارهم عليهم رعاية لاهلية ذوى الولايات وتحببا لاعلاء الاسافل ترغيبا فى الاسلام (ويحذر الناس ويحترس منهم) لان من الحزم سوء الظن وعدم الوثوق بكل احد وقال عمر رضى الله تعالى عنه احترزوا بسوء الظن وهو من بديع حكمه وليس المراد بالناس جميعهم بل عوامهم بخلاف خواصهم والاحتراز والاحتراس والحذر متقاربة وقيل الاحتراس التحفظ والاحتراز التعود والحذر الخوف (من غير ان يطوى) اى يحجب ويمنع استعارة من طى الثياب (عن احد بشره) اى طلاقة وجهه وانبساطه معه تأنيسا له وتأليفا لقلبه واذهابا لخوف مهابته (وخلقه) اى حسن خلقه ولم يذكر الحسن اشارة الى انه مجبول على الحسن فيه (ويتفقد اصحابه) اى يسأل عمن لم يحضر عنده وفقد من مجلسه وقد يذهب صلى الله تعالى عليه وسلم لمن له اداطالت غيبته وتضلمه (ويسأل الناس عما فى الناس) من احوالهم وامورهم ليعلم امرهم فيتدارك مايسعى تداركه ويصحح من يلزم تصحيحه وليس هذا من التجسس او العيبة المنهى عنه بل من سؤال الطبيب لشفى المريض فاذا اخبروه بحال حسن حمد الله على ذلك (يحسن الحسن ويصوبه) اى يبين حسنه وكونه صوابا ويمدح فاعله ترغيبا له فيه (ويقبح القبيح ويوهنه) بضم اولهما وتشديد ثانيهما والون او بالياء التحتية من الوهى وهو الضعف اى يقول هو فعل قبيح وضعيف ساقط تنفيرا وتحذيرا ونصحا نافعا والمراد الحسن والقبيح عادة اوشرعا وفيه صنعة الطباق (معتدل الامر) اى اموره صلى الله تعالى عليه وسلم كلها معتدلة فلا يبالغ فى تحسين وتقبيح غيره (غير مختلف) اى على سنن

واحد فى جميع اوقاته (لايغفل) عن شئ من احوال الناس (مخافة ان يغفلوا) عما يصلحهم وهو بضم الفاء فيهما (اويملوا) اى يحصل لهم فتور وكسل عن صالح امرهم اذا لم ينههم عليه ولو ارجع هذا لقوله معتدل الامر لم يبعد و يجمع هذا قوله تعالى * ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة (لكل حال) من احوال الناس (عنده عتاد) بعين مهملة مفتوحة ومثناة فوقية ودال مهملة وهو كالعتيد العدة والحاضر المعد لاصلاحه وتداركه اذا وقع فهو متخلق بقوله رقيب عتيد وقيل اصل العتاد عداد لانه من العدة فابدلت دالها تاء هربا من التكرار (ولايقصر عن الحق ولايجاوزه الى غيره) فاذا رأه عمله واذا رأى منكرا ازاله من غير تأخير (الدين يلونه من الناس) اى يقربون منه فى مجلسه ونحوه (خيارهم) اى افضلهم واشرفهم (وافضلهم عنده اعمهم نصيحة) اعم هنا بمعنى اكثر نصيحة او اكثرهم منصوحا بان ينصح فى امر كل احد بارشاده لما هو خير له ولذا قال عليه السلام الدين النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولائمة المسلمين فنصيحة الله اخلاصه فى اعتقاده له بما يليق به من توحيده وعبادته مخلصا لوجهه ولكتابه فهم معانيه والعمل بما فيه والنصيحة لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم الايمان به واجتناب نواهيه وامتثال اوامره ولائمة المسلمين طاعتهم وعدم الخروج عليهم ونصيحته العامة ارشادهم لمصالحهم والنصح ارادة الخير لمن ينصحه باخلاص وهى كلمة جامعة يقال نصحته ونصحت له (واعظمهم عنده منزلة) اى رتبة وقدرا (اجسمهم مواساة) لكل احد لان حذف المتعلق يفيد العموم والمواساة اعطاء من يريد ما يريد وبذله له يقال آساه وواساه بواو مبدلة من الهمزة اذا جعله اسوة له (ومواررة) اى اعانة لمن التجاء اليه يقال آزره ووازره اذا اعانه وقواه وساعده من الازر وهو الظهر لان قوة البدن به اومن الوزر وهو الملجأ ومنه الوزير وفى الحديث ما احد عندى اعظم يدا من ابى بكر واسانى بنفسه وماله وهذا يدل على انه افضل الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين قال الحسين رضى الله تعالى عنه (فسألته) يعنى عليا والده رضى الله عنهما (عن مجلسه) اى عن حاله فى مجلسه خارج بيته مع الناس ومعاملته لهم فيه ولذا اردفه بقوله (ماكان يصنع فيه فقال كان لايقوم) من مجلسه (لاعلى ذكر) لله يجعله صلى الله تعالى عليه وسلم ختم مجلسه فكان اذا قام منه قال * سبحانك اللهم و بحمدك لا اله الا انت * فيجعل ذلك علامة لانصرافه عن العامة و لذكر بالدال المعجمة اذا اطلق اريد به ذكر الله تعالى وان كان عاما وقال التلمسانى رحمه الله تعالى وقد تهمل داله قليلا وقيل انها لثغة وقيل لغة ولا دليل لقائله فى نحو هل من مدكر فانه مغالطة (ولا يوطن) بضم المثناة التحتية وسكون الواو وكسر الطاء مشددة ومخففة وفتحها مشددة كما فى بعض الشروح وفى بعضها انه بالكسر من اوطنه ووطنه اذا اتخذه

وطنا (الاماكن) جمع امكن اوامكنة جمع مكان فهو جمع الجمع ففى ميمه خلاف هل هى اصلية اوزائدة (وينهى عن ايطانها) اى اتخاذها وطنا والمراد ملازمة محل مخصوصة فى غير بيته مما ليس بملك كالمسجد وغيره من الاماكن المباحة لان لكل احد حقا فيه والنهى الوارد عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انما هو فى حق المسجد بان يتخذ مصلى معينا منه ولذا نص الفقهاء على كراهة ارسال السجادة للجامع وفرسها فيه وفى الحديث نهى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان يوطن الرجل المكان بالمسجد قيل وهو عام مخصوص بما لم يتضمن مصلحة كمن الف مكانا للافتاء والتدريس فله ايطانه واقامة غيره منه اذا كان من لا يعرفه يأتى لاستفتائه فيعرفه فى مكانه وقوله ايطانها يؤيد ان يوطن مخفف ولا يعينه كما قيل لانه يجوز ايد كر فعل من باب ويذكر له مصدرا واسم فاعل اومفعول واسم مكان وغيره من باب آخر نحو تبتل اليه تبتيلا وقوله *وداع دعا يا من يجيب الى النداء *فلم يستجبه عند ذاك مجيب * ويجوز فى نحو اجراه مجراه ضم الميم وفتحها وقد تكون المغايرة اداعى اكبر معنى وهذا مما ينبغى التنبيه له (واذا انتهى) مشيه قاصدا (الى القوم) الذين يريد الجلوس معهم (جلس حيث ينتهى به المجلس) اى فى اى مكان خال منه من غير تصدر على اصحابه صلى الله تعالى عليه وسلم وينتهى من النهاية لانه نهاية محل الجالسين فيه (ويأمر) اصحابه (بذلك) تسريعا وتأديبا فعلم ان تجرى الصدر مكروه شرعا لما فيه من الكبر والترفع على اصحابه لاسيما اذا لم تطلب انفسهم بذلك فيتأذون به فانه قد يحرم كما يفعله علماء السوء فى زماننا (ويعطى كل) احد من (جلسائه نصيبه) اى ما يستحقه من ملاطفته ومجاوبة سؤاله وبشره صلى الله تعالى عليه وسلم له (حتى لا يحسب) اى يظن (جليسه ان احدا اكرم عليه منه) اى يظن انه اكرم الناس واحلهم عنده لما يرى من لطفه به فهو كقولهم ليس فى البلد اعلم منه كما مر تحقيقه فهو غاية لذلك الاعطاء (من جالسه اوقاومه فى حاجة) اى من حادثه اوقام مع قيامه لعرض حاجته اولغير ذلك فهى معاملة من الجلوس والقيام (صابره) اى صبر عليه اوصبر مقدار صبره فلا ينصرف عنه حتى ينصرف هو كل ذلك لاشتمالهم وتطييب قلوبهم فلا يمل حتى يملوا (حتى يكون هو المنصرف عنه) والحصر بتعريف الطرفين فى محله هنا (من سأله حاجة لم يرده الا بها) اى رده رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مقضى الحاجة غير خائب (او بميسور من القول) اى اورده بقول لين سهل لا علصة فيه كوعده وقد تقدم بيانه (قد وسع الناس) بالنصب مفعول وسع (بسطه وخلقه) باضافته لضميره ورفعه على الفاعلية اى عمهم بسطه اى بسط يده صلى الله تعالى عليه وسلم وسماحته اى بشره وطلاقة وجهه وابداء سروره وحسن خلقه فسبهه بمكان فسيح رحب وابت له السعة والبسط بهذا المعنى مسموع وليس

لغة مولدة كما يتوهم كما ذكره المصنف رحمه الله في المشارق وتقدم في الحديث عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فاطمة مني يبسطني ما يبسطها (فصار لهم ابا) اي بمنزلة الاب في البر والصلة وقصد بالخبر وفيه دليل على انه يجوز ان يقال انه صلى الله عليه وسلم ابو المؤمنين كما يقال زينب رضي الله عنها هن امهات المؤمنين ولا ينافيه قوله تعالى * ما كان محمد ابا احد من رجالكم * لان نفي الحقيقة لا ينافي المجاز كما سيأتي (وصاروا عنده في الحق متقاربين) اي يقرب بعضهم من بعض اذا كانوا على الحق او في اداء حقوقهم اي في اصل الحق فلا ينافيه قوله (متفاضلين فيه بالتقوى) اي بحسب مراتبهم في تقوى الله لقوله ان اكرمكم عند الله اتقيكم * وقال صلى الله تعالى عليه وسلم انزلوا الناس منازلهم وسيأتي في الرواية الاخرى وصاروا في الحق سواء فلا ينافيه هذه الرواية ولان بينهم تفاوتا ما وفي الحديث لا يزال الناس بخير ما تفاضلوا فان تساووا هلكوا وصاروا كاسنان المشط ليس فيهم فضلاء او تنافسوا في الفضائل فاذكروا فضل بعضهم على بعض * وما عبر الانسان عن فضل نفسه * كمثل اعتراف الفضل من كل فاضل * (وفي الرواية الاخرى صاروا عنده في الحق سواء) كما بناه (بمجلسه مجلس حلم وحياء) اي يظهر فيه حلمه عليهم وحلمهم على غيرهم بحيث لا يستفزهم الغضب وهم مظهرون للحياء لا يرفعون رؤسهم واصواتهم ولا يرتكبون ما لا ينبغي قولا وفعلا قيل ولو قدم هذا وادرجه في جواب السؤال عن مجلسه كان احسن قلت ما بالعهد من قدم (وصبر وامانة لا ترفع فيه الاصوات) احتراما له صلى الله تعالى عليه وسلم ولوقارهم واد بهم (ولا توبن فيه الحرم) كالكبر جمع حرمة وهي ما لا يحل والمراد النساء لحرمة النظر لهن ونحوه اي لا تذكرن بسوء من ابنته فابنته اذا ذكرته بما يكره مأخوذ من الابنة والابن وهي عقد في القسي تعاب بها اي لا تذكر فيه النساء لانه رفث من القول او لا يذكر فيه ما يحرم كالغيبة وسيأتي تفسيره (ولا تنثى فلتاته) بتاء مثناة فوقية مضمومة ونون ومثلثة مقصورة من الساء وهو ذكر القبيح ضد الثناء بتقديم المثلثة وهذا هو الموافق لما سيأتي وروي ولا يثنى بتقديم المثلثة على النون اي لا تعاد والفلتات بفتحات جمع فلتة بفتح فسكون ويجوز تسكين لام فلتات ويجوز ضم فاء فلتة كما قاله التلمساني وهي الزلة اي القبيح الذي يقع بغتة والمراد انه لا فلتة فيه حتى يذكر في مجلس آخر فيعاد ذكرها فنفي الشيء بذكر لازمه لانها لو وقعت ذكرت كقوله * ولا ترى الضب بها ينجحر * (وهذه الكلمة) اي قوله لا تنثى فلتاته (من غير الرواتين) رواية الحسن عن خاله ورواية الحسين عن ابيه ويجوز ان يراد ظاهره اي ان الفلتة اذا وقعت لا تذكر بل تستر (يتعاطفون بالتقوى) اي يعطف بعضهم على بعض ويشفق عليه ويرجه بسبب تقوى الله لا رياء ولا سمعة ولا حوفا

واتقاء شيرفا لباء سببية كقوله رحماء بينهم (متواضعين) اى يتواضع بعضهم لبعض لايتكبر احد على احد فيخدمه ويخفض جناحه له (يوقرون فيه) اى فى المجلس (الكبير) سنا (ويرحمون الصغير) شفقة عليه ورأفة وهو مفتوح الضاد ويكسر فى لغة رديئة (ويرفدون) بفتح المثناة التحتية وضمها اى يعينون ويواسون يقال رفده يرفده بالكسر وارفده بمعنى (ذا الحاجة) اى كل من كانت له حاجة ومسألة لهم اوله صلى الله تعالى عليه وسلم اعانوه بقضائها اوابلاغها اوالشفاعة ويجوز ان يراد به الفقير المحتاج (ويرحمون العريب) اى يشفقون عليه ويعطفون تأنيسا له وازالة لوحشة غربته قال الحسين (فسألته عن سيرته صلى الله تعالى عليه وسلم فى جلسائه فقال كان صلى الله تعالى عليه وسلم دائم البشر) اى طلاقة الوجه و بشاشته واظهار السرور فى مجالسه وهذا لاينافى مامر من قوله دائم الاحزان كما مر فتذكره (سهل الخلق) اى خلقه وسجيته السهولة وعدم الشدة فى اقواله وافعاله وقد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالملة السمحة السهلة (لين الجانب) بتشديد الياء وسكونها اى لاعلظة فيه ولاجفاء متواصعا (ليس بفظ) اى سيء الخلق (ولا غليظ) اى شديد متوعد لاحد ممسك عنه لطفه ورفده (ولا صخاب) بالصاد والسين اى لايرفع صوته جدا فى خصومة ونحوها (ولا فحاش) اى لايتكلم بقبيح كالشتم (ولاعياب) اى ذاكرا لعيوب الناس ونقايصهم (ولامداح) اى لايكثر المدح لغيره ويطريه بمبالغة قوة مافيه وان كان يذكر الحسن والقبيح بما فيه كما مر وذكر هذه بصيغة المبالغة اشارة الى انه قد يصدر قليلها احيانا منه صلى الله تعالى عليه وسلم لمقتضى الحال ومثله لايعاب والمدح انما ينم اذا كان زيادة عن حده لانه كذب ومداهنة واما مدح من يستحق المدح بما فيه اذا لم يلزمه محذور فامر حسن الا ترى الى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لو وزن ايمان ابى بكر بايمان العالم لرجح وقوله لعمر رضى الله عنه لو لم ابعث لبعثت انت ياعمر فاى مدح يزيد على هذا لكنه صدق ناس عن بصيرة ولايورثهم ذلك اعجابا ولافتورا ومامن شيء الاوهو ممدوح من وجود مذموم من آخر (يتغافل عما لايشتهي) اى يتغافل عن مالبس بمنكر شرعا لكنه غير مستحسن عادة اوطبعا اذلوكان منكرا شرعا نهى عنه ولم يقر عليه وهذا من مكارم الاخلاق كما قال ابونواس *ليس الغبي بسيد فى قومه * لكن سيد قومه المتغابى* (ولايؤيس منه) قال فى المقتفى يؤيس بضم اوله وسكون الواو وهمزة مكسورة وهى ترسم ياء ويجوز فتحها على انه مبنى للفاعل اوالمفعول وهو من اليأس ضد الرجاء يعنى اذا سئل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عما لايليق تغافل عنه ولم يرد السائل حتى ييأس اويبين له انه سأل مالايليق فيخجل سائله (وقد ترك نفسه من ثلاث) اى رهبها عنه ومنعها وقيل فيه قلب اى ترك ثلاثا من نفسه (الرياء والاكثار وما لايعنيه) بفتح المثناة التحتية اى يهمه وهى بدل من ثلاث مبينة لها والرياء اظهار

ما فيه من الصفات الحميدة والافعال الجميلة للناس حتى يحمد بها ويشيع وهو السرك الاصغر وهو صلى الله تعالى عليه وسلم منزه عنه بلاشبهة فان قلت كونه غير ثابت له امر ظاهر الانتفاء عنه فما الحاجة لذكره قلت كانه ذكر هذه الجملة الحالية لبيان وجه تغافله عما لايحبه من غير ان يقنط راجيه يعني انه لم يقل انا لااحب هذا فلذا لم اجبك عنه حتى يتوهم انه سيفعله لما فيه من الرياء ولذا قال (وترك الناس من ثلاث) اى ابعدهم عنها او ترك ذكر الناس ونحوه من اجل ثلاث يتضمنها قوله (كان لايذم احدا) من الناس يستحق الذم كالمنافقين لعنهم الله (ولايعيره) بعين مهملة يقال عيره كذا وبكذا اى ذكر ما فيه بما هو عار عليه وعيب فيه قد سلف منه فافترق بينه وبين ماقبله انه اخص منه ولبس عينه حتى لاتكون امور الناس المتروكة اربعة كما ذكره التلمساني رحمه الله تعالى (ولايطلب عورته) اى لايتجسس عن معايب الناس ويبحث عنها كما كان صلى الله تعالى عليه وسلم يفعل مع المؤلفة قلوبهم واصل العورة الخلل وما يجب ستره كما في حديث ابي داود يامعشر من اسلم بلسانه ولم يفض الايمان الى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولاتعيروهم ولاتتبعوا عوراتهم فان من تتبع عورة اخيه المسلم تتبع الله عورته وهذا كما قيل في المثل كل من عير ابتلي وهذا اذا لم يلزم اظهاره شرعا كالمجاهر بفسقه ونفاقه وقوله (ولايتكلم الا فيما يرجو ثوابه) صفة اخرى مرتبطة بماقبلها وليست من الثلاث وهذا كنصيحة الامة وارشادهم وتعليم الخير والتبليغ (اذا تكلم اطرق جلساؤه) اى خفضوا رؤسهم تأدبا وانصاتا (كانما على رؤسهم الطير) اى بسكون ووقار من غير طيش وخفة لان الطير لايقع الا على ساكن وهذا مثل مشهور (واذا سكت تكلموا) فلا يقطعون حديثه بحديثهم تأدبا معه صلى الله تعالى عليه وسلم وتوجها لفهم مقاله لحرصهم على حفظه مراعاة لعظيم قدره (لايتنازعون عنده الحديث) اى اذا كانوا في مجلسه صلى الله تعالى عليه وسلم لا يديرون الحديث بينهم فيتحدث بعضهم بعضا كما هو حار بين الناس اذا اجتمعوا في ناد وهذا بيان لقوله تكلموا اواد المراد يتكلمون مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بسؤالهم له ونحوه من مهماتهم لانهم يريدون الحديث بينهم وهذا هو معنى تنازع الحديث في كلامهم ومن فسره بالتخاصم لاعتزاره بظاهر التنازع لم يصب لعدم مناسبته للمقام ولايخفى انه لامعنى لقولك تخاصموا الحديث الا بتأويل اى تخاصموا في الحديث وهو ركيك قال امرئ القيس * فلما تنازعنا الحديث واسمحت * فصرت بغصن ذي شماريخ ميال * قال ابن السيد في شرح ادب الكاتب تنازعنا الحديث اى تداولناه فحدثني مرة وحدثتها اخرى (وههنا بحث وهو ان سيبويه قال في كتابه لا تقول تفاعلت الا واثنان تريد فعل اثنين فصاعدا ولايجوز ان يتعدى لمفعول تفاعلت يتصه وفي تفاعلا تلفظ بالمعنى الذي في فاعلته كتضاربا وتقاتلا وقد يجيء تفاعلت

على غير هذا كتقاضيته انتهى فلم يجز تعدى تفاعل لمفعول الا اذا كان لواحد لان تفاعل قد تضمن الفاعل والمفعول الذى كان فى فاعل الاترك تقول ضاربنى زيد فتأتى بفاعل ومفعول فاذا قلت تضاربنا لايتعدى لاشتماله على فاعل ومفعول ليس لناغيره وليس تنازعنا كذلك لان نازع يتعدى لمفعولين تقول نازعته الحديث فاذا قلت تنازعنا لم يكن بد من ذكر المفعول الثانى لان تنازع لم يتضمنه كذا قاله ابن السيد فى المقتضب شرح ادب الكاتب (اقول فى كلام سيبويه حيئذ قصور لانه كان عليه ان يقول ان باب تفاعل بمعناه الاصلى ينقص عن فاعل مفعولا فان كان متعديا لواحد كان لازما وان كان متعديا لاثنين تعدى كما ذكره بعض النحاة فاطلاقه لاينبغى وقد نقل ابن السيد هذا فى محل آخر عن الكوفيين فقال قال ثعلب يقال فلان متعهد ضيعته ولايقال متعاهدها قال ابن درستويه انما انكرها لانها على وزن تفاعل وهو عند اصحابه لايكون الامن اثنين ولايكون عندهم متعديا لمفعول مثل تقاتلا وتعاملا وهو غلط لان تفاعل قد يكون لواحد ويكون متعديا كقول امرئ القيس * تحاوزت احراسا واهوال معشر * على خراص لو يسرون مقتلى * وجاء تفاعل متعديا لاثنين كقوله فلما تنازعنا الحديث الخ قال الخليل التعاهد والتعهد الاحتفاظ بالشئ واحداث العهد به وقول سيبويه السابق يسمه قول الكوفيين انتهى والتنازع هنا كالتحاذب مجاز بديع كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لمن قرأ خلفه مالى انازع القرآن (من تكلم عنده) اى فى مجلسه صلى الله تعالى عليه وسلم من الصحابة اوغيرهم (انصتوا له حتى يفرغ) من حديثه وفى بعض النسخ (من كلامه) وانصت يكون لازما بمعنى سكت ومتعديا يقال انصته اذا اسكته (حديثهم حديث اولهم) مبتدأ وخبر اوحديثهم فاعل يتفرغ فجمع الضمير وهو من رعايته للمعنى وحديث اولهم بدل منه اى لايقطع كلام من تقدم بكلام آخر ولايخاصم لهذا فى معنى لايتنازعون وهو مرتبط بما قبله فان كان مبتدأ بدليل رواية من كلامه فهو تشبيه اى حديث كل واحد منهم انما هو حديث من قبله يعنى انه لاحديث له معه يقطعه كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم زكاة الجنين زكاة امه وقد خفى هذا على بعض الشراح فعلقوه بانصتوا (يضحك) صلى الله تعالى عليه وسلم (مما يضحكون منه) اى الصحابة رضى الله عنهم (ويعجب مما يعجبون) وفى نسخة ويتعجب مما يتعجبون لانه من حس الصحبة ان يسرك مايسره ويرضيك مايرضيه وهم على نهج واحد وطبا يعهم سليمة فلايضحكون ويعجبون من غير مقتض فلايقال انه يلزم من ضحك احد ويعجبه وعلى غيره مثله لانه امر طبيعى وهذا فى احيان قليلة فلا يرد فى قوله السابق كانما على رؤسهم الطير (ويصبر للغريب على الجفوة) اى العلطة وتكلمه بمايؤلم (فى المنطق) اى اى فى تكلمه مع النبى صلى الله عليه وسلم كتحليف الاعرابى له صلى الله عليه وسلم

وقوله له آلة ارسلك بهذا وانما قيد بالغريب لانه معذور لانه لايعرف احواله وهذا من مكارمه ومعاملة كل احد بمايليق به حتى ان كان اصحابه ليستجلبونهم (ويقول) صلى الله عليه وسلم لاصحابه (اذا رأيتم صاحب الحاجة يطلبها فارفدوه) بوصل الهمزة وقطعها من رفده وارفده اذا اعطاه اواعطاه لان الرفد العطية والارفاد الاعانة وكل منهما قابل هنا (ولايطلب الثناء) بمعنى تقبله كما ورد في رواية فهو مجاز مرسل اواستعارة والثناء الذكر الجميل والمدح (الا من مكافئ) بالهمزة اختلف في تفسيره اي ممن اثنى جزاء على نعمه واحسانه تقدم له منه وقد صرح به في بعض الروايات يقوله من يد ولايرد عليه ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رحمة عامة مامن احد الاوله عنده يد فالصواب تفسيره بمسلم اي غير متجاوز في المدح مطرلان القرينة قائمة على ان المراد نعمة حادثة خاصة (ولايقطع على احد حديثه حتى يتجوزه) اى يخففه يقال تجوز في الصلوة اذا اسرع وخفف (فيقطعه بانتهاء) اى اتمام لحديثه وبه ينقطع الكلام (اوقيام) من المجلس لانه انقطع كلامه فخفي لشانه (هنا انتهى حديث سفيان بن وكيع) السابق ذكره (وزاد الاخر) اى صاحب الرواية الاخرى (قلت) القائل احد السبطين رضي الله تعالى عنهما كما مر (كيف كان سكوته صلى الله تعالى عليه وسلم قال كان سكوته على اربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر) لما كان الحلم والحذر من جميع الناس معلوم وقد تقدم لم يفسره وقال (فاما تقديره) اى تم ينظر مقداره اذا صدر منه اومن غيره ممن يقتدى به (ففي تسوية النظر) في الامور ومايترتب عليها من المنافع الدنيوية والاخروية (والاستماع) اى استماع الناس به صلى الله تعالى عليه وسلم او بامورهم فيما بينهم ومعنى الاستماع الانتفاع وقوله (بين الناس) متعلق بالتسوية وهي جعلهم متساوون وليس المراد تساويهم حقيقة بل ان يكون لكل احد مقدار يليق به (واما تفكره ففيما يبقى ويفنى) يعني في امور الدنيا الفانية والآخرة الباقية المخلدة فان قلت كيف يعلم هذا وهو امر مضمر في نفسه صلى الله تعالى عليه وسلم لايطلع عليه الا الله قلت هذا بطريق الاستدلال العقلي والفراسة الصادقة الشاهد لها مايظهره من آثاره ويتعلق به اذا تكلم فان الظاهر عنوان الباطل (وجمع) بالبناء للمفعول اى جمع الله (له) وكذا ماسيأتي بعده (الحلم) باللام اى يجمع له سائر جزئيات الحلم المختص كل حليم ببعض منه وفي بعض النسخ الحكم بالكاف ولاوجه (في الصبر) اى مع الصبر على امور الناس والامة فكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مع حلمه صابرا لايضجر ولايقلق كما اشار اليه بقوله (فكان لايغضبه شيء) مما يتعلق به في نفسه وان كان قد يغضب لله (ولايستفزه) بكسر الفاء وتشديد الزاي المعجمة اى يستخفه بحيث يبدو منه خفة وقلق لامور الدنيا والاعداء (وجمع له في الحذر) اى في حال حذره واحتراسه من الناس اومع ذلك

(ازبع) نائب الفاعل (اخذه بالحسن) وفى بعض النسخ ترك قوله ازبع وهو من وقوع نائب الفاعل اومنصوب مفعول لاجله اى تمسكه بكل امر مستحسن مشروع (ليقتدى به) ويتبعه الناس (وتركه القبيح) شرعا وخلاف الاولى (لينتهى عنه) علة للترك اى لينتهى الناس عنه (واجتهاد الرأى) اى اجتهاده صلى الله تعالى عليه وسلم فيما يراه رأيا (بما اصلح امته) اى فيما يصلحهم او بسببه (والقيام لهم) اى الامة (بما جمع لهم امر الدنيا والآخرة) فى المعاش والمعاد ومعنى القيام التعهد والالتزام والاجتهاد وبذل ما فى وسعه وطاقته من اصلاحهم اوهو بمعناه المصطلح بناء على جواز اجتهاده صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه اختلاف مذكور فى كتب الاصول قال الابى فى شرح مسلم نقلا عن المصنف لاخلاف انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يجتهد فى امور الدنيا ويرجع الى رأى غيره فى ذلك كما فعل فى تلقيح النخل واختلف فى انه صلى الله تعالى عليه وسلم هل له ان يجتهد فى الشرعيات وهل هو معصوم فى اجتهاده ام لا والصواب ان له ذلك وانه معصوم وتفصيله فى اصول الفقه فلا حاجة للتطويل به ﴿ فصل فى تفسير غريب هذا الحديث ومشكله ﴾ المراد بالغريب مالم يكن استعماله مشهورا بين العرب بحيث يخفى على غير العرب العرباء الا ان لا يكون جاريا على قوانين اللغة كما قيل والمشكل مالم يكن واضح الدلالة بحيث يحتاج للتأويل (المشذب) بضم الميم وفتح الشين وتشديد الذال المعجمتين المفتوحة والباء الموحدة (اى الباين) اى الظاهر احترازا عما فوق الاربعة بقليل (الطول فى خفة) هى قلة اللحم وضدها الضخامة وقيل الطويل مطلقا (وهو مثل قوله فى الحديث الاخر ليس بالطويل الممغط) بضم الميم الاولى وفتح الثانية وتشديدها وكسر العين المعجمة وطاء مهملة واصله منغط فابدلت النون ميما وادغمت بمعنى الطويل من امتغط النهار اذا امتد ويقال بالعين المهملة بمعناه كما فى النهاية وقال التلمسانى بالمعجمة والمهملة والميم الثانية مشددة او مخففة وهو الطول فى خفة او الطول الذى ليس بفائق فليس بذم (والشعر الرجل) بفتح الراء المهملة وكسر الجيم من الترجيل وهو تسريح الشعر وتمشيطه والمرجل الذى سرح بمشط والرجل الذى يحاكيه خلقه كما فى الاكمال واليه اشار بقوله (الذى كأنه مشط) بالتخفيف والتشديد (فتكسر قليلا) التكسر التثنى كأنه كسر (ليس بسبط) بفتح الباء وكسرها وهو المرسل الذى فيه تثن كما قاله ابن عبد البر (ولا جعد) بفتح فسكون اى كثير الشعر كشعر الزنج وقال المازرى شعر رجل ورجل ورجل بفتح وكسر وسكون وكسر الراء ثلاث لغات بين السبوطة والجعودة وقيل الذى كأنه مشط (والعقيقة) وهى كما تقدم فى الاصل الشعر الذى يولد به الطفل لانه يعق اى يقطع سريعا ومنه العقيقة للطعام الذى يصنع عنده والشاة التى تذبح له (شعر الرأس) واصله كما علمت شعر المولود ثم اطلق على غيره (اراد)

اى ابن ابى هالة فى وصفه لرسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله (ان انفرقت) انها انفرقت (من ذات نفسها) وذات مقحمة تأكيدا لنفسها ان وقع تفرقها من غير صنع (فرقها) بالتخفيف اى تركها متفرقة غير ملتفة (ولا تركها معقوصة) اى ان لم تستفرق بنفسها والتفت واجتمعت تركها على حالها والعقص ضفر الشعر على الرأس وليه وقيل هو لى الخصلة من الشعر ثم عقصها ثم ارسالها وعقص شعره عقده فى قفاه (ويروى عقيصته) بدل عقيقته وهى الشعر المعقوص اى المضفور من العقص وهى اللى وادخال اطراف الشعر فى اصوله كما فى المغنى والمشهور عقيقته لانه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن يعقص شعره وقيل ان هذا كان فى صدر الاسلام لانه كان يحب موافقة اهل الكتاب فيما لم يؤمر به بشئ وكانوا يسدلون شعورهم والمشركون يفرقون فسدل صلى الله عليه وسلم ناصيته ثم فرق بعد وقال النووى المختار جوازهما والفرق افضل (وازهر اللون نيره وقيل ازهر حسن ومنه زهرة الحياة الدنيا اى زينتها) من ازهر السراج اذا نوره ومما قلته كما تقدم

* من حرصك بالغناء كم تشتغل * والعمر مضى فما يعيد الامل *
* ما زهرة هذه الحياة الدنيا * للغرك بائل المنا تحتمل *

(وهذا كما قال فى الحديث الآخر ليس بالابيض الامهق ولا بالادم والامهق هو الناصع) اى الخالص (البياض) والامهق شدة البياض من غير مخالطة حمرة وقيل ما يقرب بياضه من الزرقة ويقال اهمق بتقديم الهاء ايضا وهو من القلب (والادم الاسمر اللون ومثله فى الحديث الآخر ابيض مسرب) بالتشديد على زنة المفعول المزيد ويقال مسرب بالتخفيف والتشديد للكثير والمبالغة والاشراب خلط لون بلون فكانه شرب واكثر ما يقال فى الحمرة (اى فيه حمرة والحاجب الازج القوس الطويل الوافر الشعر والاقنى السائل الانف المرتفع والاشم الطويل قصبة الانف والقرن) بفتحتين (اتصال شعر الحاجبين وضده البلج) كما تقدم ما فيه ولا حاجة لقول التلمسانى البلج صباحة الوجه فلا يأتى ما فى حديث ام معبد من وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بالقرن الذى اشار اليه بقوله (وقع من حديث ام معبد وصفه بالقرن) ورواية مثله عن ابى عبيدة فاد المشهور خلافه ويؤيده ان العرب تكرهه (والادعج الشديد سواد الحدقة) فى الصحاح الدعج شدة سواد العين مع سعتها وكذا فى غيره (و) هو لا يأتى فى قوله (فى الحديث الآخر اشكل العين واسحر العين) بسين مهملة وجيم (وهو الذى فى بياضها حمرة) اى اللون الذى فى بياض العين وحمرة بدل منه بناء على جواز ابدال النكرة من المعرفة او الذى صفة المقدر وحمرة خبر آخر وهو ممدوح لانه فى البياض لا فى الحدقة وقيل الاشكل طويل شق العين كما فى المصابيح الا انه غلط فيه كما مر فى الفصل الثانى ومنهم من قال الدعج لغة رديئة

في بياض مستدلا بقوله * يارب ان العيون السود قد فتكت * فينا وصالت بما سياف من الدعج * اذ السيوف زرق اى مخلوقة من الدعج كقولهم انت مما تفعل وخلق الانسان من عجل على قول وقيل لاحجة فيه لاحتمال انه من الدعج بضمتين على انه تجريد وهو جمع ادعج وتشبيهها بالسيوف فى فتكها لا فى لونها فانها يقال لها البيض كما يقال للرماح والزرق انما هي السهام قال امرئ القيس * اقتلني والمسرفي مضاجعي * ومسنونة زرق كانياب اغوال *

(والضليع الواسع والشيب رودق الاسنان وماؤها وقيل رقتها وتحزيزها كما يوجد فى اسنان النبات والعلج فرق بين الثنايا) الى آخره كما تقدم مافيه وماؤها صفاؤها كما يقال ماء الجمال والماء تستعار لمعان فصلها الثعالبي فى المضاف والمنسوب وقيل المراد بالماء ريق الفم والمراد بتحزيزها براثين معجمتين كون اطرافها دقيقة كالسرافات لها (ودقيق المسربة خيط الشعر الذى بين الصدر والسرة بادن ذو لحم ومتماسك) اى لاسمين فانه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن كذلك وهو ممدوح (فهو معتدل الخلق) فى المقتفي وهو اشارة لدفع احتمال السمن وكذا قوله (يمسك بعضه بعضا مثل قوله فى الحديث الآخر لم يكن بالمطهم) اى فاحش السمن متفح الوجه (ولا بالمكلم اى ليس بمسترخى اللحم والمكلم القصير الدقن وسواء البطن والصدر اى مستويهما ومنهج الصدر) بضم الميم والنون المعجمة كما مر (ان صحت هذه اللفظة) فى صفته صلى الله تعالى عليه وسلم (فيكون من الاقبال) فى صدره (وهو احد معانى اسياح اى انه كان بادى الصدر) المراد به (لم يكن فى صدره قعس) بفتحتين وعين وسين مهملتين بعد قاف (وهو تطامن فيه) اى فى الصدر قيل ان هذا مخالف لقول الجوهرى القعس خروج الصدر ودخول الظهر ضد الحدب لان التطامن الانحناص كقول ابن مالك رحمه الله تعالى فى نظم الكفاية * ولمثل من ارسة الانف حنس * * وعرض انف تطامن فطس * وفى الروض الانف الحدب انحناء الظهر وقد يكون مستعملا فى معنى المحدلغة ذا قرن بالقعس كقوله * هان حدبوا فاقعس وانهم تقاعسوا * ليترعوا ما حلبت ظهرك فاحدب * قلت وكذا فسره السراج والظاهر ان مراده عدم الارتفاع بقرينة انه ورد انه مستوى البطن والصدر وقد صرح به المصنف فى قوله (وبه يتضح قوله قبل سواء البطن والصدر اى ليس بمتقعس الصدر ولا مفاض البطن) والعجب منه بعد هذا كيف يعترض عليه وكيف يصح تفسيره بغير ما ذكر ومفاد بضم الميم وفتح الفاء وآخره صاد مهملة ضخم البطن وقيل مسترخى اللحم وقيل عظيم البطن او عظيمها مسترخى اللحم (ولعل هذه اللفظة مصحفة بالسين) بفتح الميم بمعنى عريض كما وقع فى الرواية الاخرى وحكاه ابن دريد والكراديس رؤس العظام وهو مثل قوله فى الحديث الآخر جلل

المشاش والكتد) جليل بفتح الجيم بمعنى عظيم (والمشاش) بضم الميم وشينين معجمتين واحدة مشاشة وهى رؤس العظام كالمرفقين والكتفين والركبتين وفى الصحاح (رؤس المناكب) اى العظام اللينة التى يمكن مضغها ويقال لها مشمشها (والكتد) بفتح الكاف وكسر المثناة الفوقية ويجوز تخفيفها فسره المصنف بانه (مجتمع الكتفين وسنبس الكفين وانقدمين لحميهما والزندان عظما الذراعين وسائل الاطراف اى طويل الاصابع) وسائل مر الكلام عليه مفصلا (وذكر ابن الانبارى) محمد بن قاسم بن بشار اللغوى نسبة للانبار بفتح الهمزة قرية قريبة من الفرات ولهم انبارى اخر منها راو للحديث وهو محمد بن سليمان والانبار معربة معناها مخزن القمح (انه روى سائل الاطراف او قال سايل بالنون وهما بمعنى واحد تبدل اللام من النون ان صحت الرواية بها واما على الرواية الاخرى وسائر الاطراف فاسارة الى فخامة حوارحه) عليه الصلاة والسلام (كما وقعت مفصلة فى الحديث ورحب الراحة اى واسعها وقيل كناية عن سعة العطاء والجود) وقوله (خمصان الاخمصين) تقدم ضبطه ومافيه وفسره هنا بقوله (اى متجافى اخمص القدم وهو الموضع الذى لاتناله الارض من وسط القدم) هو بفتح السين والكثير سكونها وضابطه انه ان استعمل فى متفرق الاجزاء كالناس والدواب فبالسكون وقد تفتح او فى متصلها كالدار والرأس فبالفتح وقد تسكن وقال الجوهرى وغيره والاول ظرف والثانى اسم ومن هنا يعلم انهم لايريدون بالاسم فى امثال هذا الكلام اسم المصدر بخصوصه اذ الوسط بالمعنى الثانى ليس اسم مصدر قطعا ثم قضيته انه ليس طرفا اذ لايقال جلست وسط الدار بل فى وسطها اى ماوسط منها (ومسيح القدمين اى املسهما ولذلك قال يسوعهما الماء وفى حديث ابى هريرة) رضى الله تعالى عنه (حلاف هذا قال فيه اذا وطئ قدمه وطئ كلها ليس له اخمص وهذا يوافق معنى قوله مسيح القدمين وبه قالوا سمى المسيح عيسى بن مريم اى انه لم يكن له اخمص وقيل مسيح لالحم عليهما وهذا ايضا يخالف قوله شثن القدمين) اذا فسر لحميهما واما اذا فسر عيلهما الى علظ وقصر او تعلظ الاصابع فلا وزعم ابو عبيدة ان سنهما بمعنى غليظهما مع قصرهما قال فى المطالع وقد جاء صد هذا وهو سائل الاطراف يسير الى رد زعمه قال وليس الشثن بعيب فى الرجال بخلاف النساء ردا لمن زعم انه عيب (والتقلع هو رفع الرجل بقوة والتكفو الميل الى سنن المشى وقصده والهون الرفق والوقار والذريع الواسع الخطو اى ان مشية صلى الله تعالى عليه وسلم كان يرفع فيه رجليه بسرعة ويمد خطوه خلاف مشية المختال ويقصد سمته وكل ذلك برفق وتؤدة دون عجلة كما قال فكأنما ينحط من صبب وقوله) فى صفته عليه الصلوة والسلام (يفتتح الكلام ويختم باشداقه اى لسعة فمه والعرب تمدح بهذا وتذم

يصغر الفم واشاح ماك وانقبض وجب العمام البردو) قوله (فيرد ذلك بالخاصة على العامة اى جعل من جزء نفسه مايوصل الخاصة اليه فيوصل عنه للعامة وقيل يجعل منه للخاصة ثم يبدلها فى جزء آخر بالعامه و) قوله (يدحلون روادا اى محاحين اليه وطالبين لماعنده و) قوله (ولايصرفون الا عن دواق قيل عن علم يتعلمونه) منه عليه الصلاة والسلام (ويسن ان يكون على طاهره اى فى لعالب اوالاكثرو) العتاد العدة و الشئ الحاضر المعد والموازرة المعاونة (وقوله لاتوطن الاماكن) اى لايتخذ للصلاة موضعا معلوما وقد ورد نهيه) صلى الله عليه وسلم (عن هذا معسرا فى غير هذا الحديث وصار ه اى جنس نفسه) السريعه (على مايريد صاحبه و) قوله (لاتوطن فيه الحرم اى لايذكر فيه سوء و) قوله (لاتثنى فلتاته اى لايتحدث بها اى لم تكن فيه فلتة وان كانت من احد سترت و) قوله (يرفدون) دا الحاجة (يعينون والسحاب الكثير الصباح و) قوله (ولايقبل الثناء الامن مكافئ قيل مقتصد فى سائله ومدحه وقيل الامن مسلم وقيل الامن مكافئ على يدسبقت من النبى صلى الله عليه وسلم له) اى نعم واليد تطلق على الجارحة و على النعم لانها مبدأ العلة الفاعلية لها لصدورها عنها لانه حولف بينهما فى الجمع فقيل فى الجارحة ايدو فى النعمة ايادى ويدى بضم المثناة التحتية وكسر الدال المهملة وتشديد الياء كقوله * ماان له عندى يدا ولا عما * والاصح انها فى الجمع سواء كما ثبته اهل اللغة بشواهده فلا حاجة الاطالة بذكره (ويستفزه يستخفه وفى حديث آخر فى وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم مهوس) بسين مهملة ومعجمة (لعقب اى قليل لحمها) اى قليل لحم العقب (وقيل بالمعجمة معناه ناتى العقبين معروفهما قاله ابن قرقول واول هذين التفسيرين يوافق كلام المصنف والمراد جنس العقب لاعقب واحد كما تقدم مثله وبانيهما يخالفه لانه اعتبر فيه التوسع قلة اللحم لانه معنى المعروف قليل اللحم كما فى الصحاح (واهدب) بدال مهملة (لاسفار) بشين معجمة وراء مهملة وهى حروف الاجفان التى ينبت عليها الشعر المسمى بالهدب واحدها سفر بضم فسكون كهدب ويكون مطلق الطرف (اى طويل شعرها) انتهى التيسير والحمد لله رب العالمين وصلى الله تعالى على سيدنا محمد و آله وصحبه الطيبين وسلم تسليما كثيرا

﴿ الباب الثالث فيما ورد من صحيح الاخبار ﴾ المراد ماروواه الثقاة بسند متصل وسلم من العلة القادحة وقد يطلق على ما يشمل الحسن كما فصل فى مصطلح الحديث والخبر تقدم انه يراد به الحديث وقد يراد به معناه الاعم الشامل له ولغيره وعلى هذا فالصحيح بمعناه اللغوى وماثبت صدقه فقوله (ومشهورها) ليس من عطف الخاص على العام ومن قاله كانه اراد به قسما منه وهو ما استهر بين المحدثين اوارجع ضمير لصحيح الاخبار وانه رعاية لمعناه اولانه كما يقال انشأ يقال

من المضاف اليه فلا وجه لتخطئته فيه (بعظيم قدره عنده وبه) متعلق بورود والباء للتعدية او الالصاق (ومنزلته) عطف تفسير والقدر والمنزلة والمرتبة والرتبة بمعنى الشرف (وماخصه به فى الدارين) الدنيا والآخرة على اطلاقه عليهما (من كرامته صلى الله تعالى عليه وسلم) بيان لما وكرامته وجلالته وعزته وضمير خصه له اولما وكذا به والباء داخلة على المقصور او المقصور عليه وكل منهما جائز بلا خلاف انما اختلافهم فى اصله وحقيقته (لاخلاف) اى لاحد من المسلمين بل العقلاء لانعقاد الاجماع عليه ولايعتد بمازعمه بعض اهل الكتاب (انه اكرم البشر) والنوع الانسانى وتقديره فى انه وحذف الجار فى مثله مقيس مطرد (وسيد ولد آدم) السيد من ساد غيره اى فاقه فى الشرف والكمال وفى اطلاق السيد عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى الله وعلى غيره اقوال قال البيهقى فى كتاب الاسماء والصفات السيد اسم لله تعالى لم يرد فى القرآن وورد فى الحديث فعن مطرف انطلقت فى وفد بنى عامر الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقلنا انت سيدنا فقال السيد هو الله قلنا وافضلنا فضلا واعظمنا طولا فقال قولوا بقولكم او ببعض قولكم ولايستجرينكم الشيطان (قال الحليمى ومعناه المحتاج اليه بالاطلاق الله فان سيد الناس انما هو رأسهم الذى يرجعون اليه و بامره يعملون وعن رأيه يصدرون و من قوته يستمدون الى آخره فهذا دليل على اطلاقه على الله ودليل اطلاقه على غيره سواء كان نبيا صلى الله تعالى عليه وسلم كما فى هذا الحديث اوغيره كقوله تعالى *والفيا سيدها اى الباب فهذا يدل على اطلاقه على الله وعلى غيره مطلقا و هو القول الاصح وحكى عن مالك امتناع اطلاقه على الله و يطلق على غيره وهو القول الثانى والثالث انه لايطلق الا على الله لحديث السيد الله بالحصر والرابع انه اذا عرف بالالف واللام اختص بالله كما ذكره الدمامينى فى اول شرح التسهيل و هو انه اذا اطلق على الله فمعناه المحتاج اليه فى جميع الامور واذا اطلق على غيره فمعناه الرئيس الذى يتبعه قومه كما فصلناه فى شرح اسماء الله الحسنى وقد ورد فى الحديث النهى عن تسميته سيدا و هو اما تواضع منه صلى الله تعالى عليه و سلم او المراد نهيه عن سيادة دنيوية ولا مساواة بينه و بين هذا واما فى الصلاة فاختلف فى الافضل فيها هل هو صلى الله على سيدنا محمد اوعلى محمد ولابن حجر كلام فيه فى الفتاوى سيأتى فى محله والولد تطلق على الواحد الذكر وغيره والمراد سيد آدم وولده ولذا عقبه بقوله (وافضل الناس منزلة عند الله) واذا كان صلى الله تعالى عليه و سلم افضل الناس علم انه افضل الثقلين ولاحاجة الى ان يقال ان الناس يطلق على مايعم الجن وان ذهب اليه بعض اللغويين فى قوله تعالى * قل اعوذ برب الناس * وقالوا قوله * من الجنة

والناس * بيان له والعرب تقول ناس من الجن وذهب السبكي في فتاويه انه يطلق على مايقابل الجن وعلى مايشملهما وانه على الاول اصله اناس من الانس وعلى الثاني من نوس فالناس الاول غير الثاني وهو كلام حسن (واعلاهم درجة) الدرجة واحدة الدرج وهي مواطئ السلم لما يعلو وذكره بعد المنزلة فيه لطف لان علو المراقي يقتضي زيادة علو المنازل (واقربهم زلفى) اى قربى وهو كجدجده وقيل هو اسم اقيم مقام المصدر المؤكد فهو في معنى اقربهم تقريبا وليس تمييزا كمنزلة ودرجة (واعلم ان الاحاديث) جمع حديث على خلاف القياس قيل ولا يناسب ان يكون جمع احدوثة لانها تختص بالمضحكات والشر ورد بانها تستعمل في الخير ايضا كقوله

* من الحفرات البيض ودجلبسها * اذا ما انقضت احدوثة او تعيدها *

وقول القاضي في سورة المؤمنين في قوله تعالى * جعلناهم احاديث * ان احاديث اسم جمع للحديث وقد شرطوا فيه ان لا يكون على وزن مختص بالجمع او يعلب فيه وصيغة منتهى الجموع لا توجد في المفردات يدفع بما في الكشف من ان اسم الجمع يطلق بمعنى آحر وهو ما كان على خلاف القياس كما يقال في ليال انه اسم جمع وقد علمت ان الحديث ما يضاف للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم من اقواله وافعاله وتقريراته وصفاته وسائر احواله في منامه ويقظته (الواردة في ذلك) اى في عظيم قدره صلى الله تعالى عليه وسلم (كثيرة جدا) بكسر الجيم وتشديد الدال المهملة وهو مفعول مطلق محذوف عامله وجوبا لجريه مجرى الامثال وهو مؤكد لما قبله اى متناه في الكثرة واصله من الجد بمعنى الاجتهاد لان المراد انه اجتهد في كثرته وبولغ فيها (وقد اقتصرنا منها) اى من تلك الاحاديث الكثيرة (على صحيحها) الصالح للاعتماد عليه والاحتجاج به (ومنتشرها) اى مشهورها (وحصرنا) من حصر الكل في اجزائه لا الكلي في جزئياته (معاني ما ورد منها في اثني عشر فصلا) فيه مسامحة لان الفصول اسم للالفاظ وهي معاير المعاني فتحتاج لتقدير مضاف في الاول او الثاني (الفصل الاول فيما ورد من ذكر مكانته عند ربه) المكانة كالمنزلة علو قدره ويجوز ان يكون من التمكن وهو الثبوت كما يقال له مكنسة وتمكن من السلطان اى قرب (والاصطفاء) اى اختياره صلى الله تعالى عليه وسلم على غيره وتقديمه (والتفضيل وسيادة ولد آدم) كما مر (وما خصه به في الدنيا من مراياء الرتب) جمع مزية بربة عطية وهي الفضيلة التي تقدمه على غيره وفي شرح المفتاح انه لا فعل له ويخالفه ما في الاساس من انه يقال تمزيت عليه كما مر وفسرها الشريسي بالتمام والكمال (وبركة اسمه الطيب) اى كونه يتبرك باسمه المشهور وهو احمد ومحمد والطيب صفة لابد لا ان الطيب ليس من اسمائه المشهورة وهذا اشارة لما ورد في الحديث كل امر لا يبدأ فيه بحمد الله والصلاة علي فهو ابتر اى ممحوق البركة

ذكره السخاوى فى شرح الفية الحديث وقال هو وان كان ضعيفا لكنه يذكر
فى الفضائل (اخبرنا ابو محمد عبد الله بن احمد العدل) لقب به وهو امام حافظ ثبت
توفى سنة احدى وخمسمائة (اذنا لفظه) اراد بالاذن الاجازة بروايته عنه وقاله بلفظه
لانه لم يكن من كتابه وهو يقرؤ كما مر وهذا جائز قال (حدثنا ابو حسين الفرغانى)
بالفاء والراء المهملة والعين المعجمة نسبة لفرغانه بلدة بماوراء النهر وهو الامام على بن
عبد الله المقرئ ووقع فى بعض النسخ الحسن والاصح الاول قال (حدثتنا
ام القاسم بنت ابى بكر بن يعقوب عن ابيها) قال (حدثنا حاتم وهو ابن محبوب) بفتح
العين وكسر القاف وهو ابن المهتدى ابن المرارى اللولوى المشهور (عن يحيى هو
ابن اسمعيل عن يحيى الحمانى) بكسر الحاء المهملة وتشديد الميم والف ونون وياء
نسبة وهو يحيى ابن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن ميمون ابو زكريا الكوفى وهو ثقة
وضعفه بعضهم وقال انه كذاب وله ترجمة فى الميزان قال (حدثنا قيس) بن الربيع
ابو محمد الكوفى اختلفوا فيه ايضا فقيل ثقة وقيل ضعيف واخرج له اصحاب السنن
توفى سنة خمس اوسبع اوثمان وستين ومائة وترجمته فى الميزان (عن الاعمش) سليمان
ابن مهران تقدمت ترجمته (عن عباية الربعى) بفتح العين وآخره باء ويقال عبلة
بالهمزة علم منقول من اسم الكساء والربعى بكسر الراء المهملة وسكون الموحدة
وعين مهملة وياء نسبة هو من علاة الشيعة وله ترجمة فى الميزان عن ابن عباس
رضى الله تعالى عنهما وهذا الحديث رواه الطبرانى والبيهقى فى الدلائل (قال
قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله قسم الخلق قسمين) قيل هذه قسمة
تقديرية فى علم الله تعالى وقيل حقيقته كما يبنه فى قوله (فجعلنى من خيرهم قسما)
منصوب على التمييز اى من القسم الذى هو خير يعنى اصحاب اليمين المسار اليهم
فى قوله (وذلك) التقسيم ماتضمنه (قوله اصحاب اليمين واصحاب الشمال) لا العرب
كما توهم لقوله (فانا من اصحاب اليمين) من تبعيضية اوابتدائية (وانا خير اصحاب
اليمين) اى اكرمهم وافضلهم (ثم جعل القسمين اثلاثا) اى مجموع القسمين
ثلثة اقسام لاكل قسم منهما كما يتبادر الى الذهن (فجعلنى فى خيرها ثلثا) وقيل اصحاب
اليمين هم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين الى الجنة واصحاب الشمال هم الذين يؤخذ بهم
ذات الشمال الى النار اوهم الذين كانوا عن يمين ادم والذين كانوا عن شماله
فى عالم الذر اوالذين اخذوا من شقه الايمن والايسر اومن اعطى كتابه بيمينه وشماله
اوالذين رأهم فى الاسراء عن يمين آدم عليه الصلوة والسلام وشماله (وذلك) اى
التقسيم الثلاثى ماليه (قوله اصحاب الميمنة) اى اليمين او اليمن على انه مصدر ميمى
وهم بعض السعداء غير السابقين لئلا يتداخل الاقسام (واصحاب المشئمة) هى
المبسرة بمعنى الشمال لان العرب تقول للعضو الشمال سومى ومنه السام لانها

عن شمال الكعبة فى قوله او المشئمة (والسابقون) وفى بعض النسخ والسابقون السابقون بالتكرير كما فى الآية ولابد من تعاريهما ليفيد الحمل فهو اما كقوله * انا ابو النجم وشعرى شعرى * اى الذين عرفوا بكمال السبق او الاول بمعنى السابقين للايمان والطاعة والثانى بمعنى السابقين الى الجنة و نعيمها وهو احد التفاسير وقيل هم الذين اذا اعطوا الحق قبلوه واذا سئلوه بذلوه ويحكمون لغيرهم بما يحكمون به لانفسهم وقيل السابقون للصلوات او التوبة وقيل هم الانبياء عليهم الصلوة والسلام (اما من السابقين و اما خير السابقين) فهو من اعلى الاقسام لاقسم مستقل حتى تكون القسمة رباعية كما توهم ومن هذا القسم الانبياء عليهم الصلاة والسلام فهو افضل من كل واحد منهم و من مجموعهم كما تقدم (ثم جعل الاثلاث قبائل) اى جعل كل ثلث او مجموعها وهذا اظهر والقبائل جمع قبيلة وهم بنو اب واحد والقبيل بدون هاء الجماعة مطلقا ثلاثة فصاعدا (فجعلنى من خيرها قبيلة و ذلك قوله سبحانه و تعالى و جعلناكم شعوبا و قبائل الآية) والشعوب جمع شعب بالكسر وقيل اعم هو بالفتح والذى بالكسر طريق بين جبلين واختلف فى تقسيم الناس فقيل الشعب اكثر من القبيلة و بعدها الفصيل ثم العشيرة ثم الدرية ثم العترة ثم الاسرة وهذا مخصوص بالعرب وقيل هم ست طبقات شعب وقبيلة وعمارة و بطن و فخذ و فصيلة فالشعب الطبقة الاولى و بعدها القبيلة ثم العمارة بكسر العين المهملة ثم البطن ثم الفخذ ثم الفصيلة بالصاد المهملة فالشعب يجمع القبائل والقبيلة بجمع العمائر والعمارة يجمع البطون والبطن يجمع الافخاذ والفخذ يجمع الفصائل فخضر شعب وكنانة قبيلة وقريش وهو النضر بن كنانة عمارة وقصى بطن وهاشم فخذ وعبد المطلب والعباس فصيلة وقد تطلق القبيلة على ما دونها يحور اولما لم يكن فى الآية ما يؤذن بسرف الفصيلة فى نفسها فان السرف اعم هو بالفصيلة لا بالفصيلة ولكن شرف الاصل يستلزمه غالبا قال (فاتقى ولد آدم واكرمهم على الله ولا فخر) جملة حالية اى لا اقول هذا تفاخرا وماهاة وتعظما وانما هو تحدث بنعم الله و بيانا للامة ما يجب عليهم توقيرا واحتراما له وانما بلته بتكريم ربى وفضله وكل مؤمن تقى كريم على الله وكل فاجر شقى هين على الله و قال عيسى عليه الصلوة والسلام من سره ان يكون اكرم الناس فليتق الله و يقال هو اكرم عبد الله وعلى الله لكونه بمعنى اعز المتعدى بعلى حملا له على نظيره (ثم جعل القبائل بيوتا فجعلنى من خيرها بيتا) بيوت بضم الباء الموحدة وكسرها جمع بت وهو المنزل والمسكن والظاهر ان المراد بالبيوت هنا الفخذ او الفصيلة لا البطن كما قيل والبيت يطلق مجازا على المحد والسرف كما فى قوله

* ان الذى سمك السماء بنا لنا * بيتا دعائمه اعز واطول *

وعلى الاصول والاقارب كما يقال هو بيت علم اى من قوم علم وفى اضافته للمكان اثبات لمن فيه بطريق الكناية التى هى ابلغ من التصريح كما قرر فى كتب المعانى (وذلك) اى كونه صلى الله تعالى عليه وسلم من خير بيت واشرفه مادل عليه (قوله تعالى إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا) وهذا يدل على ماقسرنا به البيت والرجس النجس المستقذر استعير للعاصى والتطهير ترشيح للعاصى وما استعير لها لانها تلوث الاعراض واهل البيت والآل الاقرباء وقول الشيعة انهم على وفاطمة والسبطان وهم اهل الكساء رضى الله تعالى عنهم وادعاؤهم عصمتهم وان اجماعهم حجة استدلالا بهذه الآية ينافيه السياق وفى الآية مبالغة فى شرفهم بليغة لذكر تطهيرا عراضهم من دنس المعاصى وهو اجل العلم وتعريف الرجس بلام الاستغراق الدال عليه اطلاقه فى مقام المدح والتعبير بالاذهاب والازالة بالكلية وحذف مفعول يريد للتعميم لتذهب النفس كل مذهب ونصب اهل البيت على المدح والنداء وتعريف البيت العهدى والتعبير بالتطهير الدال على التكثير وتأكيده بالمصدر وسيأتى تتمة لهذا (وعن ابى سلمة) وهو ابن عبد الرحمن بن عوف احد الفقهاء السبعة كما تقدم (عن ابى هريرة) رضى الله تعالى عنه عبد الرحمن بن صخر على الاصح من نحو ثلاثين قولا كما تقدم وهذا الحديث رواه الترمذى وصححه وقال انه حسن غريب (قال قالوا) اى بعض الصحابة (متى وجبت لك النبوة) اى فى اى زمان ثبتت لك اذ لا يجب على الله شئ (قال وآدم بين الروح والجسد) الجسد والبدن والجسم بمعنى وهذه الجملة حالية من الجواب المقدر لمتى الزمانية اى ثبتت لى فى هذه الحال وفى هذا الحديث روايات متعددة صحيحة منها انى عبد الله لخاتم النبيين وان آدم لمنجدل فى طينته ومنها متى استنبأت قال وآدم بين الروح والجسد وفى رواية بين الماء والطين وقال ابن تيمية والزركشى وغيرهما حديث كنت نبيا وآدم بين الماء والطين وكنت نبيا ولا آدم ولا ماء ولا طين لا اصل لهما يعنى بهذا اللفظ (قلت) ليس معناه انه موضوع كما توهم فانه رواية بالمعنى وهى جائزة لانه بمعنى الحديث السابق ومعنى منجدل ساقط على الجدالة وهى الارض وليس المعنى انه كان نبيا فى علم الله كما قيل لانه لا يختص به بل ان الله خلق روحه قبل سائر الارواح وخلع عليها خلعة التشريف بالنبوة اعلاما للملاء الاعلى به واذا كانت النبوة صفة لروحه علم انه صلى الله تعالى عليه وسلم بعد موته نبى رسول ولا يضر انقطاع الاحكام والوحى وقد اكمل دينه وانكار ذلك جهل فاحفظه فانه نفيس جدا وهذا هو المراد بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله تعالى خلق نوره قبل ان يخلق آدم عليه الصلوة والسلام بار بعة عشر الف عام كما رواه ابن اسحاق وفى رواية يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه وهذا يؤيد انه صلى الله تعالى عليه وسلم مرسل للملائكة كغيرهم فهذا صريح فى ان نبوته صلى الله تعالى

عليه وسلم طهرت فى الوجود العينى قبل نبوة آدم وغيره وان الملائكة لم تعرف نبيا قبله وانه صلى الله تعالى عليه وسلم النبى المطلق وسائر الانبياء عليهم الصلوة والسلام خلفاؤه والشرايع شريعته ظهرت على لسان كل نبى بقدر استعداد اهل زمانه فهو صلى الله تعالى عليه وسلم اول الانبياء وآخرهم ولا يمكن ان يجرى على شريعته فلم نسخ ولا يكتب على نسخه رسالة حواشى زيادة كما قيل *ابدا حديثى ليس بالمنسوخ الا فى الدفاتر * وقيل انه صلى الله تعالى عليه وسلم سابق على سائر الانبياء روحا لما مر وجسدا لان مادة جسده صلى الله تعالى عليه وسلم خلقت قبل سائر المواد لما روى ابن الجوزى فى الوفاء عن كعب الاحبار انه تعالى لما اراد ان يخلق محمدا صلى الله تعالى عليه سلم امر جبريل عليه الصلاة والسلام ان يأتيه بالطينة البيضاء فهبط فى ملائكة الفردوس وقبض قبضة من موضع قبره بيضاء نيرة فعجنت بماء التسنيم فى معين الجنة حتى صارت كالدرة البيضاء لها شعاع عظيم ثم طافت بها الملائكة حول العرش والكرسى والسموات والارض حتى عرفته الملائكة قبل ان تعرف آدم عليه الصلوة والسلام اى عرفت روحه وعنصره والبنية فى هذا الحديث الظاهر ان المراد بها عدم الطرفين الروح والجسد اى لا روح ولا جسد كما صرح به فى الرواية السابقة لا آدم ولا ماء ولا طين لانك اذا قلت مسكنى بين البصرة والكوفة علم انه ليس بهما فاريد به لازم معناه بطريق الكناية وليس المراد انه قريب منهما كما يقال لون بين البياض والحمرة ومزاج بين الصحة والمرض كما قيل وليس معنى بين الماء والطين انه لم يكن ماء صرفا ولا طينا صرفا لنبوء المقام عنه وعدم ملاقاته لما قررناه وقد حققنا هذا المقام بما لم نسبق اليه ولله الحمد (وعن واثلة ابن الاسقع) بمثلثة ولام والاسقع بسين مهملة وقاف وعين مهملة الصحابى الجليل القدر من اهل الصفة اسلم رضى الله تعالى عنه ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم متوجه لتبوك فخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد مشاهد الشام وتوفى بدمشق سنة خمس اوست وثمانين وله ثمانون سنة ويكنى ابا محمد وفضائله لا تحصى نفعنا الله ببركاته ورزقنا زيارته وهذا الحديث رواه مسلم وقد تقدم (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل) اى اصطفى ابراهيم عليه الصلاة والسلام واختاره من الانبياء لشرفه واصطفى من ولده اى من اولاده اسمعيل عليه الصلوة والسلام فهو افضل من اسحق (واصطفى) اى اختار (من ولد اسمعيل بنى كنانة) وهم اربعة النضر وعبد مناف ومالك وملكان وكنانه علم منقول من كنانة السهام وجمعتها قال الشاعر * صاح فى العاشقين بالكنانة * رسا فى الحمون منه كنانة (واصطفى من بنى كنانة قريشا) وهو النضر بن كنانة وقيل قريش بن مخلد ابن مالك بن النضر بن كنانة وتقدم سبب تسميته قريشا (واصطفى

من قريش بنى هاشم) بن عبد مناف بن قصى بن كلاب فبنوه مصطفون من قريش (واصطفانى من بنى هاشم) بن عبد المطلب (ومن حديث انس رضى الله تعالى عنه) بن مالك بن النضر خادم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ودعا له واحاديثه وازوايته عنه كثيرة مشهورة جدا وتوفى سنة ثلاث وتسعين وقد جاوز عمره المائة وهذا الحديث والذى بعده اخرجهما الترمذى (انا اكرم ولد آدم) اى اعرهم واشرفهم وتقدم ان اغط ولد يطلق على الواحد المذكر وغيره (على ربى ولا فخر) تقدم معناه (وفى حديث ابن عباس رضى الله عنهما انا اكرم الاولين والآخرين ولا فخر) قيل قال فيما مر فى حديث انس ومن حديث انس هنا وفى حديث ابن عباس اشارة الى ان الاول بعض حديث طويل وهذا حديث مستقل وفيه نظر (وعن عائشة رضى الله عنها) كما رواه الطبرانى وابو نعيم والبيهقى فى الدلائل مسندا (عنه عليه الصلوة والسلام) انه قال (اتانى جبرائيل) لم يذكر ما اتاه لاجله لان قوله (فقال قلبت) بتشديد اللام بمعنى فتشت وليس المراد به قلبها طهرا لبطن لم يذكر فيه انه اوحى اليه هذا (مشارق الارض ومغاربها) جمع مشرق وهو الجهة التى تطلع منها الشمس وجمع مغرب وهو مقابله وجمعهما لان للشمس فى كل زمان مشرق او تشرق بعده من درجة غيره وكذلك المغرب واذا افردا فباعتبار الجهة واذا ثنيا فباعتبار المشرق الجنوبى والشمالى ولذا ورد فى القرآن بالوجوه الثلاثة كما بيناه فى حواشى البيضاوى واختار الجمع هنا لانه انسب للعموم والمراد انه فحص عن جميع اهل الارض مشرقا ومغربا وبطر احوالهم كمالا ونقصا (فلم ار رجلا افضل من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) الظاهر ان رأى علمية ونفى الافضلية يدل على نفى المساواة ايضا كما بيناه سابقا (ولم ار بنى اب افضل من بنى هاشم) الذين هم عشيرته وبيته فهم بخيار من خيار (وعن انس رضى الله تعالى عنه) فى الحديث الحسن الذى رواه الترمذى وقد تقدم (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اتى بالبراق) هنا للمجهول اى اتاه جبريل عليه الصلاة والسلام به ليركبه للاسراء وقد مر ان البراق بالضم على شكل دابة فوق الحمار دون البغل سمى به للمعانه وبريقه اولسرعته كالبرق الخاطف (ليلة اسرى به) ظرف اتى وهى ليلة سبع عشرة رمضان اوسبع عشر رجب قبل الهجرة وبعد مبعثه صلى الله تعالى عليه وسلم بخمس سنين او بخمسة عشر شهرا كما سيأتى فيه (فاستصعب عليه) اى لم ينقد له وامتنع منه لبعد عهده بركوب الانبياء عليهم الصلوة والسلام لطول زمن الفترة اولسبب آخر لقول جبريل له صلى الله تعالى عليه وسلم لعلك مسست الصفراء اى الذهب اوصم اصفر فقال انما مررت عليه فقلت تالمن يعدك من دون الله (فقال له) اى البراق (جبريل عليه الصلوة والسلام ايمحمد تفعل هذا) الاستصعاب وقدم

متعلق الفعل اى اتفعله به دون غيره والاستفهام انكارى بينه بقوله (هل ركك احد اكرم على الله منه فارفض عرقا) اى سال عرقه كما مر بيانه (وعن ابن عباس رضى الله عنهما) رواه ابن الجوزى فى الوفا وابو نعيم فى الدلائل وقال السيوطى رواه ابن عمر والمعدنى فى مسنده (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم لما خلق الله آدم اهبطنى فى صلبه الى الارض) يعنى ان الله خلق نوره صلى الله تعالى عليه وسلم وعنصره الذى عجن بالسنيم وهو الطف شئ فاودعه فى صلب آدم واهبطه فيه كما مر ثم نقله منه بوسائط (وجعلنى فى صلب نوح فى السفينة) فكان ذلك بركته صلى الله تعالى عليه وسلم وباسم الله مجريها ومرسيها (وقذف بى فى النار فى صلب ابراهيم) فكانت بردا وسلاما ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم وفى المكررة هما امالان الاول بدل منه اولانه مطلق ومقيد كما قرر فى قوله كلما رزقوا منها من ثمرة فيزل ذلك منزلة التغاير فلا يرد عليه انه لايتعدى عامل بحرف جر بمعنى (ولم يزل ينقلنى فى الاصلاب الكريمة) الشريفة (الى الارحام الطاهرة) من دنس الزنا ونكاح الجاهلية وفيه كلام تقدم (حتى اخرجنى) الى الدنيا اذ خلقنى (بين ابوى) يعنى اباه عبد الله الذبيح وامه امنة بنت وهب بن عبد مناف واختلف فى زمن موتهما فقيل مات ابوه وامه حاملة به وقيل فى المهد وقيل وهو ابن شهرين وقيل ابن سنتين ومات عند اخواله بنى النجار وماتت امه وقد بلغ سبعة خمسا اوستا اوسبعا او اثنى عشر على اختلاف فيه (لم يلتقيا على سفاح قط) جملة حالية والمراد بالسفاح نكاح بغير عقد او عقد جاهلى وهذا علمه بالوحى صلى الله تعالى عليه وسلم او لعلمه باخبار الجاهلية لا بالالهام كما توهم (والى هذا) المذكور فى الحديث بجملته (اشار) عمه (العباس رضى الله عنه بن عبد المطلب بقوله) فيه يمدحه صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا الشعر رواه الطبرانى وصاحب العيلانيات وفى الزاهر لابن قتيبة ان العباس اتى اليه صلى الله تعالى عليه وسلم وقال اريد ان امدحك فانشده هذه الابيات فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم لايفضض الله فاك اولايفضى الله فاك وكان ذلك لما رجع صلى الله تعالى عليه وسلم من غزوة تبوك

* من قبلها طبت فى الظلال وفى * مستودع حيث يخصف الورق * اى من قبل هذه النشأة او الدنيا وقيل قبل النبوة او قبل الولادة او قبل كل ذلك فاعاد الضمير على غير مذكور لعلمه من السياق والجار متعلق بطبت وقدم لافادة ان طيبه صلى الله تعالى عليه وسلم ثابت له قبل ظهوره لا بعده فقد وطبت اى تطهرت من الادناس النسبية لطيب عنصره صلى الله عليه وسلم والظلال جمع ظل بمعنى فى ظلال الجنة فى صلب آدم عليه الصلوة والسلام قبل ان هبط وليس المراد به المتعارف الذى تنسخه الشمس اذ لاشمس فى الجنة ولافقر وقد ورد فى الحديث ظل الجنة سبحسح اى لاحر ولابرد بل المراد الكن

والمقر اوهو كما فى قولهم انا فى ظل فلان اى فى حمايته ومستودع بضم الميم وفتح الدال المهملة يعنى به مكان آدم وحوا من الجنة كما قال ابن قتيبة هو المحل الذى كان فيه آدم عليه والسلام من الجنة كانه وداعة فيه وفيه ايماء الى اخراجه منه للارض اوارادبه الرحم وكان ابوعبيدة يقول فى قوله تعالى مستقر ومستودع المستقر الصلب والمستودع الرحم وخصف الورق الصاق بعضه ببعض ومنه الخصاف ويروى حيث يستر الورق يعنى به الجنة والورق ورق الجنة الذى كان يستتر به آدم عليه والسلام قبل ان يعلم الحياكة فلما اهبط الى الهند تفتت الورق الذى عليه قيل ومنه حصل العود والعنبر وغيره من الطيبات فاوحى الله اليه صنعة النسج واتخذ الثياب للسترة * ثم هبطت البلاد لابشر * انت ولامضغة ولاعلق * اى هبطت فى صلب آدم عليه والسلام من الجنة الى الدنيا وهى المراد بالبلاد والهبوط كما قال الراغب الانحدار قهرا وهو متعد وقال تعالى اهبطوا مصرا ولايحتاج لتأويله بالدخول كما قيل والبلاد وان اختصت بالبنيان فهو باعتبار الاول هنا ولما كان المراد من هبوطه صلى الله تعالى عليه وسلم هبوط نوره قال لا بشر وهى جملة حالية اى فى حال كونك غير جسد كاجساد البشر والمضغة قطعة لحم بمقدار لقمة تمضغ غير مخلقة والعلق بفتحتين جمع علقة وهى دم متجمد من المنى (بل نطفة تركب السفين وقد * الجم نسرا واهله الغرق) النطفة الماء الصافى والمنى فى الاصلاب والسفين جمع سفينة وهى المركب اى فى صلب نوح عليه الصلوة والسلام لما اغرق الله قومه بالطوفان والجم وصل الى الفم وعلا محلا يوضع فيه لجام الفرس والنسر طائر معروف سمى به صنم كان يعبده قوم نوح عليه والسلام وهو المراد هنا واهله قوم نوح والمراد بالغرق الماء المغرق اوهو على ظاهره والجم بمعنى ادرك لان الانسان اذاعم الماء منع من الكلام والسفين المراد به سفينة نوح فان كان مفردا فهو ظاهر والا فهو جمع اريد به واحد تجوزا فلا اشكال فيه كما هو ظاهر (تنقل من صالب الى رحم * اذامضى عالم بدا طبق فى ابيات آخر) الصالب والصلب والصلب بفتحتين وبضمتين وضم فسكون وفتحتين ففيه لغات اقلها صالب كما قاله ابن قتيبة وهو فقار الظهر والرحم مفر الولد من المرأة والعالم المراد به هنا قرن من القرون وبدا بمعنى ظهر ووجد وطبق بمعنى قرن ايضا لانه يطبق وجه الارض اى لازال تظهر فى عالم بعد عالم يريد اذامضى قرن بدا قرن آخر ويروى هذا بيت هو * وردت نار الخليل مكتنفا * تحول فيها ولست تحترق * ومعنى مكتنفا محفوظا فى كنف او تحيط بك نارها ولست تحترق وروى مكتما اى مستترا (حتى احتوى بيتك المهيمن من * خندف علياء تحتها النطق) احتوى بالحاء المهملة افتعال من حوى بمعنى طار والبيت بمعنى الشرف والنسب كما مر والمهيمن بمعنى المشاهد على فضلك اوالامين وخندف بكسر الحاء المعجمة وكسر الدال

المهملة ونون وفاء اسم امرأة الياس ابن مضر وهو من الخندفة وهى المنى السريع والعليا العز والشرف وتحتها روى دونها والمعنى واحد والنطق بضمتين جمع نطاق وهو ماينشد فى الوسط كالمنطقة استعارته العرب لجبال واسعة فوق بعض وبينك فاعل احتوى وهو تمثيل لشرفه صلى الله تعالى عليه وسلم اى ان شرفك وعلو نسبك واصلك من خندف اشتمل على عليا دونها الجبال الشامخة وقال ابن قتيبة فى هذا البيت اقوال احدها انه اعلى قومه وهم دونه كالنطاق له والآخر انه يريد العفاف من نطاق المرأة الذى يحسنها اى تحتها العفاف والحسب والثالث ان النطق المتكلمون جمع ناطق اى كل خطيب من العرب فهو دون لسان قومك من قوله بل هم قوم خصمون انتهى وروى فى هذا الشعر زيادة ذكرها الغسانى وهى

* وانت لما ولدت اشرقت الارض * وضاءت بنورك الافق *
* فنحن فى ذلك الضياء وفى * النور وسبل الرشاد تخترق *
* يا بردنا را الخليل ياسيا * لعصمة النار وهى تحترق *

ومعنى تخترق بالخاء المعجمة تقطعها وتجاوزها وضاء يكون لازما ومتعديا والافق الناحية وانثناها لتأويلها بها قال العارف بالله ابن عربى ذهب بعضهم الى ان عالم الاجسام من وقت خلقه لم يزل فى سفر الى ما لا نهاية له فاذا لاح له منزل يقول هذا هو الغاية القصوى فاذا وصلت اليه لم يلبث ان يخرج منه راجلا فكم سافرت فى اطوارك الى ان تكونت بين ابيك وامك اذا احتمعا من اجلك ثم انتقلت الى نطفة وعلقة الى مضغة الى عظم كسى لحما ثم انشئت نشأة اخرى واخرجت الى الدنيا فتنقلت الى اطوارك من الطفولية والصبا والشباب الى الكهولة والشيخوخة الى الهرم ومنه الى البرزخ ثم الى الحشر ثم الى دار القرار انتهى من كتاب الاسفار له (وروى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم) وهذا الحديث مشهور رواه ابو ذر وغيره واخرجه احمد والبزار والبيهقى عن ابن عمر واخرجه الطبرانى وابو نعيم فى الدلائل عن ابن عباس واحمد والبزار وابن ابى شيبة والبيهقى عن ابى هريرة واخرجه الشيخان عن جابر بن عبد الله فاخرجوه عن جماعة من الصحابة بين رواياتهم مغايرة فى بعض الالفاظ وقد ساقها كلها وذكر رواية كل واحد منهم على حدة الشيخ قاسم ابن قطلوبغا فى تخريجه لاحاديث هذا الكتاب كما رأيته بخطه ولولا خوف الاطالة اوردت كلا منهما على حدة والى هذا اشار المصنف بقوله (ابو در وابن عمر وابن عباس وابو هريرة وجابر بن عبد الله) ابن عمرو ابن حرام الانصارى روى كل واحد من هؤلاء عنه صلى الله تعالى عليه وسلم (انه قال اعطيت خمسا وفى بعضها) اى فى بعض طرق هذا الحديث المعلومة من تعدد روايتها (ستا) اى ست خصال وخصايص ولذا حذف التاء مع انه غير لازم اذا لم يذكر المعدود

(لم يعطهن نبي قبلي) ولا رسول لان نفي الاعم يستلزم نفي الاخص ولا تنافي بين الروايتين ان قلنا ان مفهوم العدد غير معتبر وان قلنا به فنقول انه صلى الله تعالى عليه وسلم اطلع اولا على بعض خصايصه فاخبر به ثم اطلع على باقيه فاخبر به ثانيا وروى احد قبلي اي لم يعط واحدة منهن احد (نصرت بالرعب مسيرة سهر) اي نصرني الله تعالى على اعداء الدين الكفرة بالرعب بضم الراء المهملة المشددة وهو شدة الخوف الذي القاه الله في قلوبهم فاذا سمع بي من بيني وبينه مسيرة شهر ارتعد وخاف من غزوي له وانما خص مسافة شهر وان خافه من هو ابعد منه قيل لانه لم يكن بينه صلى الله تعالى عليه وسلم وبين من اظهر العداوة له اكثر من ذلك وقد قال ذلك في غزوة تبوك آخر غزواته وبعدها فاذكر بيان لما وقع له صلى الله عليه وسلم حال تكلمه فلا ينافي الزيادة وهذا من خصائصه حتى لو سار وحده بغير عسكر ارعب اعداءه وقد وقع هذا لبعض خلفائه ومن اتقى الله من امراء الاسلام فهذه الخاصة بالنسبة لمن قبله من الامم وعليه يحمل رواية لم يعطهن احد او نقول ان ذلك لا يتيسر لغيره او فعل اتباعه كفعله (وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا فايما) وفي رواية وايما بالواو بدل الفاء (رجل من امتي ادركته الصلوة فليصل) قال العلامة الزركشي في احكام المساجد قال القاضي عياض هذا من خصائص هذه الامة لان من قبلنا كانوا لا يصلون الا في موضع تيقنوا طهارته ونحن خصصنا بجواز الصلوة في جميع الارض الا ما تيقنا نجاسته وقال القرطبي هذا مما خص الله به نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وكانت الانبياء قبله انما ابيحت لهم الصلوة في مواضع مخصوصة كالبيع والكنايس وقال المهلب في شرح البخاري المخصوص به جعل الارض طهورا واما كونها مسجدا فلم يأت في اثرانها منعت من غيره وقد كان عيسى عليه والسلام يسيح في الارض ويصلي حيث ادركته الصلوة فكانه قال جعلت لي الارض مسجدا وطهورا وجعلت لغيري مسجدا ولم تجعل طهورا انتهى (اقول حاصله انه لو كان كل منهما مخصوصا به وبامته لزمه اشكال وهو ان الانبياء السالفة وامهم كانت لهم صلاة مفروضة وكانوا يسافرون فلو لم تجز لهم الصلاة الا في مساجدهم لزمهم اما ترك الصلاة او عدم صحتها وهو مخالف للظاهر فاجابوا عنه بالوجوه المذكورة وهو ان الخاص بهذه الامة مجموع الامرين لا كل واحد منهما او جعل جميع الارض مسجدا حتى تيقن نجاستها وهم لم تحل لهم الصلاة الا فيما تيقن طهارته وعلى هذا قوله تعالى *واجعلوا بيوتكم قبلة* كما في بعض التفاسير فقوله فايما رجل الى آخره معناه على ظاهره او ما لم تيقن نجاسته ولك ان تقول انه مخصوص بغير حال السفر والضرورة لان الضرورات تبيح المحظورات كقصر الصلاة ويؤيده جعله قرين التيمم المخصوص بالضرورة وهذا اقرب ثم ان طهارة التيمم حكمية لا حقيقية كما بينه الفقهاء وفي قوله الارض

دون التراب نصرة لمن جوز التيمم بجميع اجزاء الارض ولم يخصه بالتراب وهو الملائم للمقام وان خصه الشافعي رحمه الله تعالى بالتراب لرواية وتربتها طهورا والمطلق يحمل على المقيد وتخصيص الرجل غير مراد لدخول النساء في هذا الحكم ايضا وانما خصوا بالذكر لانهم الاصل ويعلم النساء بالطريق الاولى ومعنى ادركته الصلاة ادركه وقتها اذا دخل ولا ينافيه ايضا النهي عن الصلاة في بعض الاماكن لثبوت المنع فيه بدليل اخر والمراد بالارض جميعها الا مكة وما حولها ولا ما رأى مسجدا او محلا للصلاة وقوله فايما الى اخره لدفع توهم انه مخصوص به صلى الله تعالى عليه وسلم وحده (واحلت لي الغنائم ولم تحل لنبي قبلي) تحل بفتح التاء المثناة الفوقية وكسر الحاء المهملة وروى بضم التاء وفتح الحاء وكان من قبله صلى الله تعالى عليه وسلم من الانبياء منهم من لم يؤذن له في الجهاد فلم تكن له مغانم ومنهم من اذن له فيه ولم يؤذن له في الاكل منها فكانت الغنائم تجمع في محل فتأتي النار من السماء فتحرق ما تقبل منه على ما مر بيانه وكانت في صدر الاسلام تحل له صلى الله تعالى عليه وسلم فقط ثم امر بعد ذلك بتخميسها كما بينه الفقهاء والغنائم جمع غنيمة ما يؤخذ من الكفار بقتال ونحوه والفيء ما حصل منهم بدون ذلك (وبعثت) بالبناء للمجهول ارسلت وطوى ذكر الفاعل به اي ارسلني الله (الى الناس كافة) المراد بالناس جميعهم اوما يشمل الانس والجن كما مر وروى الى الخلق كافة وكافة حال بمعنى جميعا وفي ارساله صلى الله تعالى عليه وسلم للملائكة كلام سيأتي وعموم البعثة مخصوص به صلى الله تعالى عليه وسلم بالاحاديث الصحيحة ومر انه لا يرد عليه ان نوحا عليه الصلوة والسلام كان مبعوثا لاهل الارض بعد الطوفان لانه لم يبق الا من كان مؤمنا معه وقد كان مرسلا اليهم لان هذا العموم لم يكن في اصل بعثته وانما اتفق لحادث اقتضى انحصار الخلق في الموجودين على ان ارساله عليه الصلاة والسلام انما كان لقومه ولم يأت ما يدل على عموم رسالته واما دعاؤه على جميع اهل الارض واهلاكهم فلا يدل على ذلك لجواز ان يرسل غيره في مدته ولم يؤمنوا به فلذا دعا عليهم قال ابن حجر هذا جواب حسن الا انه لم ينقل انه نبئ في زمنه غيره ويحتمل ان خصوصيته ببقاء شريعته الى يوم القيامة بحيث لا ينسخها غيرها ويحتمل انه دعا الناس للتوحيد فاشركوا واستحقوا العقاب والدعوة للتوحيد يجوز ان تعم وان كانت فروع شريعته غير عامة كما قاله ابن دقيق العيد واشار اليه ابن عطية في سورة هود وانه لم يكن في عهده غير قومه واولاده كادم عليه الصلوة والسلام فلا يرد نقضا على هذه الخصوصية ما ذكر (واعطيت الشفاعة) اللام اما للعهد فالمراد الشفاعة العظمى في فصل القضاء لاهل الموقف اجمعين بعد مراجعة سائر الانبياء واطهارهم الكرام فيأتونه صلى الله تعالى عليه وسلم فيشفع وتقبل شفاعته وهو المقام الاعلى او هي للاستغراق كانت

الرجل اى الشفاعة الكاملة وله صلى الله تعالى عليه وسلم شفاعات كثيرة شاركه
فى بعضها بعض الانبياء كشفاعته فى قوم يدخلون الجنة بغير حساب وهذه
مخصوصة به وشفاعته فى قوم استحقوا دخول النار فلا يدخلونها وفى بعض اهل
النار فيخرجون منها وفى تخفيف عذاب بعض اهل النار كابى طالب وشفاعته لمن مات
بالمدينة ومن صبر على لاوائها وشفاعته لمن صلى عليه بعد الاذان وغير ذلك مما ورد
فى الاحاديث الصحيحة (وفى رواية تبدل هذه الكلمة) اراد بالكلمة قوله واعطيت الشفاعة
وسماها كلمة لانها كلمة لغوية وهى تطلق على الجمل وفى نسخة الكلمات (وقيل لى
سل تعطه) اى قال الله اوحذف الفاعل للعلم به وقيل له ذلك لما انحصرت الشفاعة
فيه ولم يلتزمها احد من الرسل فقال انا لها وخررت تحت العرش ساجدا فقال له الله
ارفع رأسك يا محمد وقل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع وفيه كمال الادب اذ لم يسأل
حتى ادن له فى السؤال وامر به وهذا فى القيامة ويحتمل انه اشارة الى لما فى الاسراء
كما سيأتى فى حديث ابن وهب واصل سل اسئل فخفف بنقل حركة الهمزة واسقاطها
واسقاط همزة الوصل وفى حذف المفعول عموم كرم اى سل كل ما تريد تعط اكثر مما
تسئل وتعط مجزوم فى جواب الامر والهاء للسكت اوضمير عائد على مقدر (وفى رواية
اخرى وعرض على امتى فلم يخف على التابع من المتبوع) اى الشريف والوضيع
ويحتمل ان الله عرض عليه صلى الله عليه وسلم بالوحى تفصيل احوالهم وذواتهم
وصفاتهم وسائر تصرفاتهم فى زمنهم اوانه ابرزهم له حقيقة فوجا فوجا متلبسين
باعمالهم على وجه لا نقف على حقيقته وذكر العراقى فى شرح المهذب انه صلى الله
تعالى عليه وسلم عرضت عليه الخلائق من لدن آدم الى قيام الساعة فعرفهم كلهم
كما علم آدم الاسماء وروى الطبرانى انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان الله تعالى
قد رفع لى الدنيا فانا انظر اليها والى ما هو كائن فيها الى يوم القيامة كانما انظر الى كفى
هذه وحديث حذيفة الطويل المذكور فيه الفتن وما يكون فيها مطول ذكره
العراقى قال فيه ما ترك فيه شيئا الا سماه باسمه واسم ابيه وقبيلته الى يوم القيامة ومنه
احد الحفر الجامعة الذى رواه جعفر الصادق عن على رضى الله تعالى عنه
وان توقف بعضهم فى صحته كما ذكره ابن حلدون فى اول تاريخه (وفى رواية بعثت
الى الاحمر والاسود) اى الى جميع الناس اوجميع الجن كما يكنى عن مثله بالعرب والعجم
اى الى كل فرد فرد والمقصود عموم رسالته صلى الله عليه وسلم للجن والانس وفيه رد
على من زعم من اهل الكتاب ان بعثته صلى الله تعالى عليه وسلم مخصوصة بالعرب
كالعبسوية لانه يعود بالنقض عليهم اذ يقال لهم اذا اعترفتم بنبوته صلى الله تعالى
عليه وسلم وحب تصديقه فيما قاله وقد صح عنه انه قال بعموم رسالته واشار المصنف
رحمه الله تعالى الى معناه بقوله (قيل السود) جمع اسود وفى نسخة الاسود (العرب)

وهذا مذكور فى الحديث معنى لان تعريف الاسود ليس للعهد بل للاستغراق فهو بمعنى السود وبين علته فقال (لان الغالب على الوانهم) اى العرب (الادمة) بضم الهمزة وسكون الدال المهملة وهى فى الادميين السمرة وفى الطعام بياض يشوبه سمرة (فهم السود) اى فهم المقصودون من قوله الاسود الذى بمعنى السود كما عرفته (والحمر) جمع احمر وعبر عن الاحمر بالحمر لمامر (العجم) اى المراد بهم فى الحديث العجم والمراد بهم من عدا العرب وقد يخص باهل فارس ولم يعلله لعلته اى لعبة لون الحمرة عليهم فاعتبر الغالب لان النادر لاحكم له لان القلة احت العدم ولذا لم يعبر بها عنها (وقيل البيض) جمع ابيض يعنى قيل المراد بالحمر البيض اى بالاحمر الابيض لان العرب تقول امرأة حمراء بمعنى بيضاء وقال ثعلب العرب لاتقول ابيض من بياض اللون فانما ارادوه قالوا احمر والابيض عندهم بمعنى النقى من العيوب قال ابن الاثير وفيه نظر فانهم قد استعملوا الابيض فى الوان الناس وغيرهم وهو اعتراض وارد وماقيل من ان مراده انه لايستعمل فى محل اللبس كما هنا فانه لو قال بعثت الى الابيض لتوهم انه اريد به السالم من العيوب لايجدى نفعا وكيف يراد المحال من غير قرينة (وقيل البيض والسود من الانس وقيل الحمر لانس والسود الجن) وهذا مبنى على ما فى مخيلتهم من انهم سود (وفى الحديث الآخر عن ابى هريرة) الذى رواه البخارى ومسلم واورده لما فيه من الزيادة على قوله (نصرت بالرعب) قوله (واوتيت جوامع الكلم) جمع جامعة لجمعها الحكم والمنافع فى لفظ قليل والكلم اسم جنس جمعى للكلمة لاجمع ولااسم جمع على الاصح وهو من اضافة الصفة للموصوف وفسرت بالقرآن لما فى جمعه من المعانى فى الفاظه الموجز فوقيل المراد به كلمته الموجزة المتضمنة للحكم والمنافع وفى نسخة (وخواتمه) فقيل هى بمعنى الجوامع وقيل التى ختم بها الكلام فلا يأتى بعدها مايقرب منها لعدم الحاجة له (وبينا انا نائم) اصله بين فاشبعت فتحتها حتى صارت الفا وهو ظرف زمان كحينما المتصلة بما المزيدة ويجئ بعدها اذ كقوله (اذ جئ) بالبناء للمجهول اى جاءنى ملك ارسله الله واذ للمفاجأة وهو جواب لها ويعلب بعدها كقوله * استقدر الله خيرا وارضين به * فبينما العسر اذ دارت مياسير * وقد تخلو عنها كقولك بينا انا جالس دخل على عمرو هى مضافة لجملة انا نائم وقيل مضاف لمحذوف تقديره بين اوقات النوم موجود كما فصله اهل العربية (بمفاتيح خزائن الارض فوضعت فى يدى) بتشديد الياء مثنى مضاف او بالتخفيف مفرد ومفاتيح جمع مفاتح وهو الة يفتح بها الاقفال معروفة والخزائن جمع خزينة او خزانة وهى مايحرز فيه المال والامور النفيسة تحفظها والمراد مافى الارض من الكنوز والاموال فاما ان يكون رأى فى رؤياه ومنه ملك الرؤيا وضع فى يده مفاتيح حقيقة وقال له هذه مفاتيح خزائن الارض ارسلها الله اليك ورؤيا الانبياء عليهم الصلاة والسلام وحى يقع تعبيرها تارة و يعبر بما يحكيها اخرى

وظاهر تعبيره ان امته تملك الارض ويجبى لهم اموالها وفى المواهب اللدنية انها خزائن من اجناس العالم بقدر ما يطلبون فان الاسم الالهى لا يعطيه الا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم الذى بيده مفاتيح الغيب التى لا يعلمها الا هو فالمراد ان الله خصه بتمكين امته من الارض ويحتمل ان الملك اخبره وقال له ذلك فيكون استعارة لما مر والقول بان المراد العناصر وما يتولد منها وانه لم يقبل ذلك تعسف وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يقبله يأباه عقله خاصة بل قبله فان عطاء الكريم لا يليق رده ولكنه ادخره لامته (وفى رواية) لمسلم (عنه) اى عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه (وختم بى النبيون) اى جعلنى خاتمهم وآخرهم حتى لا يبعث نبيا بعده غيره فلا يرد عيسى عليه الصلوة والسلام ونحيبه آخر الزمان لانه يجئ على انه من امته ايضا واما الخضر فعلى تقدير نبوته معناه فلم ينبأ بعده * وفى هذا الختم تكريم له حيث لا يسمخ شريعته ولا يطول مكث امته فى الثرى واشارة الى ان دينه كامل جامع لجميع الكمالات لا يحتاج الى ملة اخرى تتمه ومارئى من قوله لا نبوة بعدى الا ما شاء الله الاستثناء لا يقتضى وقوع مشبته على فرض صحته والمنفى النبوة لا النبى فيحمل ان الذى تحت المشية الرؤيا الصالحة لانها جزء من اجزاء النبوة (وعن عقبة بن عامر رضى الله تعالى عنه) وهو ابو اسد و ابو حماد او ابو عمر الجهنى الصحابى الفصيح السيد الجليل توفى بمصر سنة ثمان وخمسين وهذا الحديث رواه الشيخان وابو داود والنسأى (قال) عقبة (قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انا فرطكم على الحوض) الفرط بفتحتين والفارط الذى يتقدم القوم ليهيئ لهم فى منازل اسفارهم الماء و الكلاء ونحوه مما يحتاجون له ويقال رجل فرط وقوم فرط ايضا وفى الدعاء لطفل الميت للهم اجعله فرطا اى اجرا يستقدما حتى يرد عليه والحوض هو حوضه صلى الله تعالى عليه وسلم الذى يسقى منه عطاش امته يوم القيامة و على متعلقة بفرط او حال من الضمير فيه لانه صفة مشبهة واهل الحوض الكوثر او غيره اختلف فيه وعليه اوان كالنجوم وفى الحديث ملاحة بديعة اذ المراد ان موته صلى الله تعالى عليه وسلم قبلهم فيه مصيبة عظيمة هى سبب دخولهم الجنة واجر عظيم فسببهم بقوم مسافرين وشبه نفسه بمن تقدمهم لمعهم و الفرط من سبق للماء كما مر وذكر الحوض فيه مناسبة عظيمة وان متاع الدنيا قليل فهم على اثره صلى الله تعالى عليه وسلم واردون جميعا الله به وسقانا من يده شربة لا نظمأ بعدها (وانا شهيد عليكم) شهيد بمعنى شاهد قال الله تعالى * ويكون الرسول عليكم شهيدا اى يوم القيامة قال الله تعالى يسأل الرسل هل بلغتم فيقولون نعم فيقول لامهم هل بلغوكم فيقولون ما اتانا من نذير فيقول للرسل من يشهد لكم فيقولون امة محمد فيشهدون بتبليغهم وهذا هو قوله لتكونوا شهداء على الناس و يشهد لهم صلى الله تعالى عليه وسلم بصدقهم

ويزكيهم على مامر بيانه وهذه شهادة لهم لكنه عداها بعلى حثا على الطاعة لانه رقيب عليهم ومهيمن (واني والله لانظر الى حوضي الآن) اى اشاهده الان لان الجنة والنار موجودتان وتأكيده بان والقسم يقتضي انها رؤية بصرية حقيقية لانكشاف الغطاء عن بصره الحائل عن رؤيته وليس و نحوه وفي هذا بيان لمامر لانه صلى الله تعالى عليه وسلم لما قال انه فرط على الحوض حقق ذلك بانه مشاهد له لاشبهة فيه و الان مبني على الفتح ولايستعمل الا بالالف واللام (واني قد اعطيت مفاتيح خزائن الارض) تقدم قريبا بيانه (واني والله ما اخاف عليكم) ايها الصحابة او معاشر الامة (ان تشركوا بعدي) اى من ان تكفروا بعد موتي في مقدرة لانها تحذف هنا قياسا مطردا لان من ذاق حلاوة الايمان لايرجع عنها (ولكني اخاف عليكم ان تنافسوا فيها) اى في الدنيا اى اخاف عليكم من رغبتكم في نهايس الدنيا وانهماككم في تحصيلها حتى يؤديكم ذلك الى الهلاك وارتكاب مايلهيكم عن الله تعالى وهذا تنبيه لهم على انهم لاتلهيهم الخرائن عن المعاد (وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما) كما رواه عنه الامام احمد بسند حسن (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال انا محمد النبي الامي) هو الذي لا يقرأ ولا يكتب نسب لامه لانه كان على حاله يوم ولدته امه او الى ام القرى لان الكتابة كانت عزيزة في اهلها او الى امة العرب وهذه الصفة في حقه صلى الله تعالى عليه وسلم من اجل النعم عليه واعظمها اذ اعطاه علم الاولين والآخرين وحفظه هذا الكتاب الذي لم يعادله كتاب وهو لايقرأ ولايكتب ولم يدارس ولم يلاق احدا الله شغل بذلك (تنبيه) كون النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اميا من معجزاته الشريفة الباهرة كما تقدم مبسوطا غير مرة واشار اليه الابوصيري رحمه الله تعالى في قوله * كفاك بالعلم في الامي معجزة * وهذا كان في اول امره الان بعضهم ذهب الى انه بعد ذلك قرأ وكتب من غير تعلم وهو معجزة اخرى الا ان الجمهور على خلافه كما ذكره الحافظ ابن حجر في تخريج احاديث الرافعي وقال ابن عربي في سراج المريدين رحل ابو الوليد الباجي وابن حزم فلما عاد قرأ البخاري وقال في درسه انه صلى الله عليه وسلم في الحديبية محى الكتاب وكتب بيده الا ترى انه قال فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب وليس يحسن الكتابة فكتب هذا ماقاضى الى آخره فابتدر رجل معربي وصاح في المجلس انه زنديق الا ان الامير كان متفطنا فدعا الفقهاء وسألهم فمنعوا عليه وقالوا انه كفر فاستظهر الباجي بالحجة عليهم وقال ان هؤلاء جهلة فما كتب الى علماء الافاق وكتب علماء افريقية وصقلية فجاءت الاجوبة بتصديق الباجي الى آخر ما فصله ورأيت في بعض المكتب له مما يدل على ذلك انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لكاتبه طول السينات وقوله تعالى * ما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك * فقوله من قبله يدل على انه صلى الله تعالى عليه وسلم

بعد ذلك كان يكتب نادرا فاعرفه وقوله (لانبي بعدي) تقدم بيانه (اوتيت جوامع الكلم وخواتمه) تقدم معناه ولفظه وانما كرره هنا ليبين انه مع كونه اميا اوتي ما لم يؤته احد ممن افنى عمره في القراءة والكتابة (وعلمت) بضم العين المهملة وسكون اللام المشددة او بفتحها وتخفيف اللام (خزنة النار) جمع خازن ككتبة وكاتب وهم الملائكة الموكلون بها (وحملة العرش) جمع حامل وهم الملائكة يعني انه صلى الله تعالى عليه وسلم علم مالم يعلمه غيره بمشاهدته لهم الا ترى ماورد في الاحاديث من وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم لهم وبيان هيئاتهم مما كان له رأي عين وحملة العرش اليوم اربعة ويوم القيامة ثمانية كما نطق به القرآن العزيز (وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما) كما رواه احمد بسند حسن (بعثت بين يدي الساعة) اي القيامة سميت ساعة لانها عند الله قليلة تشبيها لها بالساعة التي هي جزء من اجزاء الزمان وقال الراغب لسرعة الحساب فيها كما قال وهو اسرع الحاسبين اولما نبه عليه بقوله * كانهم يوم يرون مايوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار * وقيل الساعات التي هي القيامة ثلاث ساعات الكبرى وهي بعث الناس للحساب والوسطى وهي موت اهل القرن الواحد والصغرى وهي موت كل انسان وقد وردت الساعة بهذه المعاني في الحديث والمراد هنا الاولى والمراد بكونه صلى الله تعالى عليه وسلم بين يديها انه قريب منها ففيه استعارة مكنية وفي الحديث انا والساعة كهاتين يشير بالوسطى والسبابة وفيه اشارة الى بقاء دينه صلى الله تعالى عليه وسلم وعدم نسخه ولاجل هذا ذكره المصنف رحمه الله تعالى (ومن رواية ابن وهب) من تبعيضية اي فيها اشارة الى انه بعض من حديث الاسراء الطويل الذي رواه البيهقي في الدلائل وغيره عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه وابن وهب هو عبد الله ابو محمد بن وهب بن مسلم الفهري المصري احد الاعلام في الحديث وغيره روى عن مالك والليث وخلق كثير وروى عنه خلق كثير وكان افقه من ابن القاسم وطلب للقضاء فجن وانقطع الى ان مات سنة سبع وتسعين ومائة والجار والمجرور خبر مقدم لقوله (انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال قال الله تعالى) له صلى الله تعالى عليه وسلم حين كلمه بغير واسطة في الاسراء كما يدل عليه سياق الحديث (سل يا محمد) حذف احد مفعوليه للتعميم اي كل ما تريد والاخر للعلم به فانه لامسؤل سواه ولدلالة قوله (فقلت ما اسئل يارب) عليه ورب بكسر الباء وضمها ولم يقل اسئلك تأدبا يعني ان جميع الكلمات استودعتها الانبياء عليهم الصلاة والسلام قبله فلم يبق مايختص به حتى يسأله ثم فصل بعض ما اجمله فقال (اتحدت ابراهيم خليلا) اي اصطفيته وخصصته بالخلة وكرامتها وسيأتي تحقيقها (واتحدت موسى تكليما) اي اصطفيته وفضلته بان كلمته بنفسك بكلامك القديم قيل فلا يرد انه كلمه ايضا (واصطفيت نوحا) اي فضلته على غيره بان جعلته اول رسول

هلك من عصاه كما قال الله تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا فهو ابو البشر واول الرسل
(واعطيت سليمان ملكا لاينبغى لاحد من بعده) اى لايتيسر لغيره من الرسل الملوك
التسخير الجن والانس والريح وملك الدنيا كلها بعظمة البسته اياها من عظمتك (فقال
الله تعالى له) صلى الله تعالى عليه وسلم (ما اعطيتك خير من ذلك) كله وهو مبتدأ
وخبر بينه بقوله (اعطيتك الكوثر) فوعل من الكثرة وذكر البيضاوى فيه سبعة
اقوال اشهرها انه نهر فى الجنة اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل فى وسط الجنة
حصباؤه الدر والياقوت وقيل هو القرآن وقيل النبوة وقيل غير ذلك مما تقدم (وجعلت
اسمك مع اسمى) اى مقرونا باسمى فى التشهد والاذان وكلمة الشهادة وغير ذلك
ولذا قال (ينادى به فى جوف السماء) اى تنادى الملائكة عليهم الصلوة والسلام باسمى
وتصلى عليه لامر الله لهم بذلك اولما رأوا من منزلته صلى الله عليه وسلم وقربه من ربه
وكتابته اسمه على ساق العرش وتفسير السماء هنا بالامكنة العالية كمئذنة الاذان كما قيل
لاوجه له (وجعلت الارض طهورا لك ولامتك) لان الله تعالى شرفها بك فكانت طاهرة
مطهرة وهذا من خواص هذه الامة تسهيلا لها وما احسن قول ابن رشيق القيروانى

* سألت الارض لم كانت مصلى * ولم كانت لنا طهورا وطيبا *
* فقالت غير ناطقة لانى * حويت لكل انسان حبيبا *

وقد تقدم هذا الحديث وشرحه (وغفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر) اى
لو صدر كان مغفورا فلا ينافى هذا عصمته صلى الله تعالى عليه وسلم او المراد بالذنب
التقصير وان لم يكن صغيرة ولا كبيرة واعلامه بغفرة كل مقدم ومؤخر تسريعا
وتطمينا لقلبه صلى الله تعالى عليه وسلم وقد قال العز بن عبد السلام ان هذا من
خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يقله الله لغيره من الانبياء ولذا قالوا فى الموقف
نفسى نفسى والى هذا اشار بقوله (ما زلت تمشى فى الناس مغفورا لك ولم اصنع ذلك
لاحد قبلك) فليس المراد باحد غير الانبياء كما قيل (وجعلت قلوب امتك مصاحفها)
اى منننت عليك بان جعلت فى امتك حفظا لم يكن فى غيرهم من الامم السالفة حتى
ان من كان يحفظ التوراة وغيرها من الكتب الالهية افراد معدودون فى كل عصر
وحفظة القرآن والحديث من هذه الامة لايحصون فى كل عصر والمصحف ما كان
حاويا للصحف المكتوبة وجمعه مصاحف ثم خص بالصحف المكتوب فيها القرآن
وقد قيل انه لفظ حدث فى الاسلام وكونه معربا من اللغة الحبشية لا اصل له وهذا
تشبيه بليغ اى جعل قلوبهم كالمصاحف التى تحفظ القرآن وقيل انه استعارة
تصريحية وله وجه وفى رواية صدور بدل قلوب وهذا بناء على ان محل الحفظ
والادراك القلوب واضافته للصدور لانها محله والحكماء يقولون ان محل الحفظ
الخيال الذى هو خزانة الحس المشترك فى الدماغ واهل الشرع والمتكلمون

من اهل الاسلام لم يثبتوا الحواس الباطنة مع ان كلام الحكماء مضطرب فيها وفي محالها كما ذكره الجلال الدواني في شرح هياكل النور وليس هذا محل تفصيلها (وخبأت) بحاء مهملة مفتوحة وموحدة وهمزة اي اخفيتها واخرتها الى يوم القيامة (شفاعتك) المراد بها الشفاعة العظمى في فصل القضاء ونحوها من الشفاعات الخاصة به كما تقدم (ولم اخبأها لاحد غيرك) وفي نسخة قبلك وان كان لهم شفاعات غير هذه (وفي حديث احر رواه حذيفة) بن اليمان العبسي الصحابي رضي الله تعالى عنه صاحب سر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم توفي سنة ست وثلاثين وهذا الحديث رواه ابن عساكر في تاريخه عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (بشرني يعني ربه) ولم يذكر الفاعل في اصل رواية هذا الحديث للعلم به كما في قوله حتى توارت بالحجاب (اول من يدخل الجنة) مبتدأ ومن موصولة وجملة يدخل صلته (ومعي) طرف متعلق به و(من امتي) حال من عائد من المستتر تحت يدخل (سبعون الفا) حبره (مع كل الف سبعون الفا ليس عليهم حساب) صفة سبعون او حال منه اي لا يحاسبون ولا يناقشون بل يؤمر بادخالهم الجنة تكريما لهم وقوله مع كل الف سبعون الفا جعلهم معهم لانهم اتباعهم وذراريهم قوله وليس الى اخره صفة للالف الثانية فيعلم منه عدم محاسبة الاولى بالطريق الاولى وفي البخاري انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما قال ذلك دخل بيته فخاض الصحابة في هؤلاء فقيل لعلهم الذين صحبوه وقيل لعلهم الذين ولدوا في الاسلام ولم يشركوا الى غير ذلك فخرج عليه السلام وسألهم عما خاضوا فيه فاخبروه فقال هم الذين لا يرقون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة رضي الله عنه فقال يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال انت منهم ثم قام آخر فقال مثل ذلك فقال عليه السلام سبقك بها عكاشة وفي الحديث ايضا وعدني ربي ان يدخل الجنة من امتي سبعين الفا مع كل الف سبعون الفا لا حساب عليهم ولا عذاب وثلاث حثيات بحيم وحاء مهملة وثاء مثلثة في رواية ابن ابي شيبة والطبراني وقد حسب ما في الحديث فبلغ اربعمائة الف الف وسبعمائة الف وفي هذا الحديث كلام ذكره ابن القيم في حادي الارواح (واعطاني ان لا تجوع امتي) اي ان لا تبتلى بالجدب والقحط حتى يهلكوا عن آخرهم ويستأصلوا جميعهم فلا ينافيه ما وقع في بعض الازمنة في بعض الاقطار بخصوصها اذ لم يعم ولم يستمر (ولا تغلب) بضم المثناة الفوقية اي الامة جميعها وتستمر مغلوبيتها او هذا مشروط باطاعته فاذا بدلوا وغيروا خرجوا عن اضافة التشريف بقوله وقد شاهدناه في بعض السنين واليه الاشارة بقوله ان تنصروا الله ينصركم (واعطاني النصر) اي على من يعادي ولو مع قلة العدد وفي بدء الامر (والعز) اي الغلبة والقوة عليهم (والرعب يسعى بين يدي امتي شهرا) قيل شهرا معمول مطلق لاطرف اي العدو الذي بينه وبينهم مسافة شهر يخافهم خوفا شديدا وهذا

من جواصه صلى الله عليه وسلم وخواص امته وخص هذه المسافة لانها ابعد مسافة اعدائه الموجودة فى زمانه كما مر و بهذا علم ان قوله فى المواهب فى حديث نصرت بالرعب وكون هذا له صلى الله عليه وسلم ولامته فيه احتمال عملة عن هذا الحديث وفى قوله يسعى تشبيه للرعب بمقابله بتقدمه و فيه مبالغة بليغة كما قلت فى قصيدة

ولم يهزم عداه حيوش جنده وجيش الرعب قدهزم القلوبا*

* ولوثنتوا لفرالها م منهـم * وار واح وما عرفوا الهروبا*

(وطيب) بالتشديد والبناء للمجهول اى احل لقوله حلالا طيبا (لى ولامتى الغنائم) هى شاملة للفئ هنا وقدمر منازعه (واحل لنا كثيرا مما شدد) فيه (على من قبلنا) من الامم السالفة كقطع الاعضاء والتوبة بقتل النفس وقرض محل النجاسة ووجوب القصاص فى العمد و الخطاء الى غير ذلك مما ذكروه وتعنن فى العبارة ولم يراع التقابل ولوراعاه قال سهل علينا ما شدد مع انه لو عبر به توهم انه رخصة ولبس كذلك على انه قد يقال احل فيه طباق اوابهامه للحل الذى هو ضد الشد (ولم يجعل علينا فى الدين من حرج) اى شدة وضيق وقال علينا لانه له صلى الله تعالى عليه وسلم ولامته فوسع عليهم بالرخص كترك القتال لمن له عذر واكل الميتة للمضطر وقصر الصلوة والتيمم (وعن ابى هريرة رضى الله عنه) فى حديث صحيح رواه الشيخان (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ما من نبى من الانبياء) زاد من وبينه بقوله من الانبياء للتعميم (الا وقد اعطى من الآيات ما مثله امن عليه البشر) اى كل نبى جعل الله له معجزة اظهرها على يديه اطلعه بها الناس كعصى موسى عليه الصلوة والسلام واحياء الموتى لعيسى الى غير ذلك مما هو مشهور مأثور مناسب لزمانه الا ان تلك الآيات انقطعت بانقطاع عصره ومضت بمضيه بخلاف اعظم معجزات نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فانها باقية غير منقطعة عضة طرية فى كل عصر تتلى وتشاهد بركاتها وتستخرج من جواهر معانيها مالايفنى وهى القرأن كما اشار اليه بقوله (وانما كان الذى اوتيته وحيا اوحى الله الى) وما نافية ومن صلة لتأكيد النفى وهو مبتدأ و سوغ الابتداء به وقوعه بعد النفى ومن الثانية تبعيضية او بيانية والجار والمجرور صفة ى وقوله الاوقد اعطى خبر والواو مزيد فيه لتأكيد الاتصال والالصوق والضمير المستتر فى اعطى مفعوله الاول وما الموصولة او الموصوفة مفعول ثان ومثله مبتدأ ايضا والجملة بعده خبره وامن مضمن معنى غلب ولذا عداه بعلى اوهى بمعنى الباء والضمير المجرور بعلى عائد على ما فالجار والمجرور متعلق بامن اوحال منه اى مغلوبا عليه والمراد بالآيات المعجزات ومفعول اوتيت محذوف اى اوتيته والحصر فى اعما ادعائى اوباعتبار الاعظم او المعظم ووحيا بمعنى كلام موحى به اوقصر افراد اى اوتيته لا الاغيرى من الانبياء عليهم الصلوة والسلام فليس حصرا حقيقيا

بمعنى انه لم يعط غيره اذ المعنى انه ما من معجزة اعطيت لنبي الا اعطيها وزاد عليها بما هو مخلد في صحايف الدهر يعرف في كل زمان ولذا ترتب عليه قوله (فارجو ان اكون اكثرهم) اى الانبياء عليهم السلام (تابعا يوم القيامة) وذلك لان هذه المعجزة لما كانت باقية الى يوم القيامة وهي باهرة ظاهرة يؤمن بها كل من وقف عليها من الناس لزم اكثرية من آمن به عليه السلام واتبعه على من آمن بغيره من الرسل وصدق بمعجزته المخصوصة بعصره فاذا مات انقطع التحدي بمعجزته وغابت عن الادراك وصارت خبرا كغيره من الاخبار اذ لم يأت احد منهم بمعجزة يدرك بعده اعجازها اما التورية وسائر الكتب السماوية فلبست بمعجز نظمها ولذا وقع فيها التحريف والتبديل وترجمت بلغات مختلفة وسيأتي الكلام على الاعجاز مفصلا وقد حقق الله رجاءه والى هذا اشار بقوله (ومعنى هذا الحديث (عند المحققين بقاء معجزته) المذكورة (ما بقيت الدنيا) اى مدة بقائها وكون القرآن يرفع في آخر الزمان كما ورد في حديث حذيفة بن اليمان الذي رواه ابن ماجة ان الاسلام يندرس ويرفع كتاب الله في ليلة حتى لا يبقى منه في الارض آية ويبقى ناس يقولون ادركنا ابآءنا على هذه الكلمة كلمة لا اله الا الله فنحن نقولها فقال له صلة ما ينفعهم هذه وهم لا يدرون صلاة ولا صياما ونسكا فقال تنجيهم من النار لا ينافيه اما لانه باعتبار الاكثر والظاهر فانه محقق بقاؤه في نفس الامر لم ينسخ ولم يبدل وقيل انه زمن يسير بقاؤه كالعدم (وسائر معجزات الانبياء) اى جميعها (ذهب للحين) المراد بالحين عقب وقوعها او انقراض عصره او المراد ذهبت بذهابه ولم تبق بعده وبينه بقوله (ولم يشاهدها الا الحاضر لها) بخلاف من اتى بعدهم (ومعجزة القرآن) اى القرآن المعجز او المعجزة التي هي القرآن فالاضافة بيانية (يقف عليها) اى يعلم بها ويحيط بها مجازا لان من وقف على شئ اطلع عليه كما في الاساس (قرن) فاعل يقف (بعد قرن) اى يطلع عليها جميع القرون والناس الذين حدثوا بعد عصر النبوة بخلاف غيرها (عيانا) بكسر العين كما مر اى مشاهدة (لا خبرا) اى لا باخبار غيرهم لهم (الى يوم القيامة) اى الى آخر الزمان وقيام الناس الى المحشر وهو كناية عن التأبيد والبقاء في الدنيا (وفيه) اى في هذا الحديث ومعناه للعلماء (كلام يطول هذا بحثه) بضم النون وسكون الحاء المعجمة والباء الموحدة اى مختاره وربدته قال في الاساس نحب الشئ وانتخبه اذا نزعه ومنه الانتحاب الاختيار كانك تنزعه من بين الاشياء وهؤلاء نخبة قومهم لخيارهم انتهى (وقد بسطنا) اى فصلنا من بسط يده اذا مدها (القول فيه هذا وفيما ذكر فيه سوى هذا آخر باب المعجزات وعن علي رضي الله تعالى عنه) في حديث رواه ابن ماجة والترمذي وحسنه وهو موقوف عن علي كرم الله وجهه له حكم الرفع لان مثله لا يقال بالرأي وستأتي رواية ابي نعيم له مرفوعا (كل نبي) من الانبياء (اعطي سبعة نجبا) جمع نجيب وهو الكريم

الحسيب ويكون بمعنى الرفيق المعين فى المهمات والشدائد وهو المراد هنا (ونبيكم صلى الله تعالى عليه وسلم اعطى اربعة عشر نجيبا) اى رفيقا كاملا شريفا وجعلهم ضعف ما لكل نبى مرتين تكريما له صلى الله تعالى عليه وسلم واشارة لكثرة امته حتى يحتاج زيادة فى وزرائه والمراد بهؤلاء كما رواه ابو نعيم عن على ايضا رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لم يكن نبى الا وقد اعطى سبعة رفقاء نجباء وزراء وانى قد اعطيت اربعة عشر وهم حمزة وجعفر وعلى وحسن وحسين وابو بكر وعمر وعثمان وعبد الله ابن مسعود وابوذر والمقداد وحذيفة وعمار وسلمان وفى رواية بلال وقد وقع فى تعيينهم اختلاف (اقول وبعد عصره صلى الله تعالى عليه وسلم خليفته القطب ووزراؤه النجباء والنقباء والبدلاء ومن فسر الاربعة عشر هنا بهؤلاء لم يصب رواية ودراية وقد ورد التصريح بهؤلاء فى احاديث جمعها السيوطى فى رسالة مستقلة ومن العجيب ان هذا مع انه متفق عليه بين اهل الشرع والحكماء كما قال صاحب حكمة الاشراق فى كتابه لابد لله من خليفة فى ارضه وانه قد تكون متصرفا ظاهرا فقط كالسلاطين وباطنا كالاقطاب وقد يجمع بين الخلافتين كالخلفاء الراشدين كابى بكر وعمر بن عبد العزيز قد انكره بعض الجهلة فى زماننا قال ذوالنون النقباء ثلثمائة والنجباء سبعون والبدلاء اربعون والاخيار سبعة والعمدة اربعة والغوث واحد وحكى ابو بكر المطوعى عمن لقى الخضر عليه الصلوة والسلام انه قال له لما قبض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سكنت الارض الى ربها وقالت الهى وسيدى بقيت لا يمشى على ظهرى الى يوم القيمة فقال الله تعالى لها اجعل على ظهرك من هذه الامة من قلوبهم على قلوب الانبياء لا اخليك منهم فقالت له كم هم قال ثلثمائة وهم الاولياء وسبعون وهم النجباء واربعون وهم الاوتاد وعشرة وهم النقباء وسبعة وهم العرفاء وثلاثة وهم المختارون وواحد وهو الغوث فاذا مات جعل واحد من الثلاثة مكانه ونقل من السبعة الى الثلاثة ومن العشرة الى السبعة ومن الاربعين الى العشرة ومن السبعين الى الاربعين ومن الثلثمائة الى السبعين ومن سائر الخلق الى الثلثمائة وهكذا الى ان ينفخ فى الصور (منهم ابو بكر وعمر وابن مسعود وعمار) وقد بينا ذلك (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله قد حبس عن مكة الفيل) وهو حديث مشهور رواه الشيخان عن ابى شريح قاله يوم فتح مكة يوم الجمعة سابع عشر رمضان سنة تسع من الهجرة ومعنى حبس منع وفى رواية القتل بقاف وتاء فوقية وقصة الفيل مشهورة غنية عن البيان (وسلط عليها رسوله) محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يقل سلطنى اشارة الى انه مأمور من الله لاحظ له فى ذلك من نفسه لنزاهته عن الحظوظ والاعراض النفسانية (والمؤمنين) من امته وحده (وانها) اى مكة (لا تحل لاحد بعدى) وفى نسخة (من امتى) وفى نسخة لم

بدل لا وفى اخرى لن وفيه اشارة الى ان تحريمها سابق فى علم الله وفى زمن ابراهيم عليه الصلوة والسلام فانه حرمها وجعلها حرما آمنا وكان ذلك اظهارا لماسبق فى علمه وحكمه (وانما احلت لى ساعة من نهار) اى انما اعلمنى الله بحلها لى وكان حل القتال لى فيها فى ساعة من نهار يوم الفتح وكان ذلك من الصبح وجعله ساعة تمثيلا لازمانه لانه ساعة حقيقة كما قال الله تعالى ولاتقاتلوهم عند المسجد الحرام * الى آخره والحرم مثل المسجد فى ذلك وهذه الآية محكمة عند ابن عباس ومجاهد تمسكا بهذا الحديث وقوله فيه ثم عادت حراما الى يوم القيمة وروى بمعناه من طرق آخر وقتاله صلى الله تعالى عليه وسلم امره بقتل من لجأ الى الحرم كابن خطل من حصايصه كما روى عن السلف وقيل عليه ان قوله احلت يدل على تقدم حرمته فيكون نسخا ولوكان نسخا استمر فيكون رخصة لانها اباحة مع المنع وبه قال ابو حنيفة رحمه الله تعالى وقال قتادة والضحاك انها منسوخة بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وبآيات اخر فى معناها وتمسكوا بفعله صلى الله تعالى عليه وسلم ولادليل فيه لتصريحه بالتخصيص وبه قال الشافعى رحمه الله تعالى (وعن عرباض بن سارية رضى الله تعالى عنه) فى حديث رواه احمد والبيهقى والحاكم وقال انه صحيح الاسناد والعرباض بكسر العين وسكون الراء المهملتين وموحدة واخره ضاد معجمة معناه القوى نقل للعلمية وهو من كبار الصحابة اهل الصفة رضى الله تعالى عنهم سكن بحمص من ارض الشام ومات بها سنة خمس وسبعين (سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول) جملة حالية او معمول ناب على الخلاف فى سمع اذا تعلق بالذوات العير المسموعة كما يعرفه من يحرر فى العربية وقد مر بيانه (انى عبد الله) وفى رواية انى عند الله مكتوب (خاتم النبيين) قدم على هذه الكلمات وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بالعبودية اشارة الى انها اشرف عنده مما سواه وانه انما نالها بمحض كرم الله وفضله واحترازا عمن يطريه ان يتجاوز فيه الحد كما وقع للنصارى فى عيسى عليه الصلوة والسلام ولذا قال انى عبد الله آتانى الكتاب الآية وخاتم بكسر التاء وفتحها آخرهم ومن به كما لهم (وان آدم لمجدل فى طينته) اى مختلط فى تربته اوساقط فيها كما تقدم وفى طينته حرثان لاطرفا المجدل ثم اخبر صلى الله تعالى عليه وسلم باول امره بانه (عبدة ابراهيم) بكسر العين وتخفيف الدال المهملتين مصدر بمعنى الوعد كالزنة وفى نسخة دعوة ابى ابراهيم وهى اشهر واظهر لانه اشارة الى قوله * ربنا وابعث فيهم رسولا منهم * ولشقته بالله انه لايجيبه جعل ذلك وعدا منه لذريته وجعله نفس الدعوة مبالغة باقامة السبب مقام المسبب لانه دعا ان يجعل من ذريته وذرية اسمعيل رسولا ولم يكن من ذريتهما معا غيره مرسلا فان الانبياء من ذريته كداود

وسليمان لبسوا من ذرية اسمعيل فتعين كونه محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم (وبشارة عيسى ابن مريم) فيما حكاه الله تعالى عنه بقوله * ومبشرا برسول يأتي من بعدى اسمه احمد * وجعله نفس البشارة مبالغة وهى بكسر الباء مصدر كالبشرى وبضمها ما يعطى البشير واسم مصدر بمعنى المبشور ويكون فى الخير والشر اذا اطلقت ثم خصت بالخير وصارت حقيقة ونحو فبشرهم بعذاب اليم تهكم على هذا وعلى الاول هى حقيقة مطلقا اواذا قيدت وسميت بشارة لتباشيرها فى بشرة الوجه مايسمو وارد السرور وفى شرح الجامع الصغير الفرعى ان البشارة تختص بالصدق وجهل المخاطب والخبر لان ذلك يغير بشرة الوجه الفرح وهى فى اللغة خبر يغير بشرة الوجه مطلقا الا انه صار فيما ذكر حقيقة عرفية والاصل فيه ما فى الحديث من انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما قال من اراد ان يقرأ القرأن غضا طريا كما انزل فليقرأ بقراءة ابن ام عبد فابتدر ابو بكر وعمر ليخبراه بذلك فسبق ابو بكر رضى الله تعالى عنه فكان يقول بشرنى ابو بكر واخبرنى عمر قال العلامة ابن كمال فان قلت الخبر الكاذب يغير البشرة ايضا وليس من شرط الحد بقاء المعلق عليه كما لو قال ان دخلت الدار فانت طالق فدخلت ثم حرجت حد قلت فى الكاذب لم تتم البشارة فوزانه وزان مالو حلف على لبس خفيه فلبس احدهما ولم يذكر الصدق فى الهداية وفيه قصور ومن ثمه قالوا لو قال لعبيده ايكم بشرنى بقدوم زيد فهو حر عتق الاول لانه الذى ظهر السرور بخبره دون الثانى وبشرهم بعذاب اليم تهكم ومن هنا علم ان البشارة مشروطة بجهل المخبر اذ البشرة لا تتغير بما علمه قال وفى هذا الحديث دلالة على ان الانبياء عليهم الصلوة والسلام قبل عيسى لم يخبروا باتيان نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بخصوصه فقوله فى الكشاف فى تفسير قوله تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ان ابن سلام رضى الله تعالى عنه دعا ابنى اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام وقال قد علمت انه تعالى قال فى التورية انى باعث من ولد اسمعيل نبيا اسمه احمد من آمن به اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فيه انه صريح فى بشارة موسى بمحمد عليهما الصلوة والسلام باسمه الخاص وهو مخالف لنص القرأن والحديث الصحيح لا يقال اليهود حرفوا التورية فزال تلك البشارة وصح ان عيسى هو المبشر لانا نقول انما كان هذا بعد عيسى لقوله * مصدقا لما بين يدى من التورية * ونسبة البشارة لعيسى ظاهرة فى عدم البشارة قبله والا لقال بشارة اخى موسى وكذا قولهم فى الخطب المنبرية فى التورية والزبور والانجيل انتهى (اقول هذا غير وارد بل غير صحيح من وجهين الاول انه كونه مبشرا به قبل الانجيل فى الكتب السماوية كلها اوجلها مما لا شبهة فيه وقد صنف فى ذلك كتابا مستقلا سماه حبر السبر بحبر البشر

الحافظ ابن ظفر ولولا خوف الاطالة اوردت مافيه هنا الثانى ان قوله انه مخالف للقرأن والحديث كلام ناش من عدم تدبر معنى البشارة والفرق بينها و بين الخبر الصادق فان كل بشارة على ما ورد خبر بلاعكس والبشارة خبر سار بما فيه ينفع المخبر فى زمن مابعيدا اوقريبا كالبشارة بالجنة ولما كان من قبل عيسى بينهم و بين نبينا رسل واعم لم يكن ذلك بشارة لعلمهم بان المخبر لابد ذكره بخلاف عيسى فان امته ومؤمنوهم ادركوا نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم كسلمان ونحوه فكان اخباره به بشارة لمن اتبعه منهم وحثالهم على اتباعه كما اشار اليه قوله من بعدى فلم يخالف النص الا ابن اخت خالته فاعرفه (وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) فى حديث رواه البيهقى والدارمى وابن ابى حاتم (قال ان الله فضل محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم على اهل السماء) يعنى ملائكة السماء وهم افضل من ملائكة الارض فيعلم منه تفضيله صلى الله تعالى عليه وسلم على جميع الملائكة حتى الخواص منهم ورسلهم خلافا للمعتزلة والحليمى من الشافعية القائلين بتفضيل خواص الملائكة على الانبياء ولم يختلفوا فى تفضيلهم على ملائكة الارض كما سيأتى (وعلى الانبياء كلهم) فردا فردا وعلى المجموع فلاوجه لتخصيصه بالاول كما تقدم فتذكره (قالوا) اى الحاضرون عند ابن عباس السامعون لكلامه (فما فضله على اهل السماء) اى ماسببه ودليله (قال ان الله قال ومن يقل منهم) اى من اهل السماء (انى اله من دونه) اى من يثبت منكم الهية غيره (فذلك) القائل (نجزيه جهنم) تهديدا لمن اشرك منهم وتقطيعا لامر الشرك وتعظيما لتوحيده تعالى (وقال لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم انا فتحنا لك الآية) فجعله مغفورا له غير مؤاخذ بما تصدر ومايصدر واورد عليه انه لادلالة فيما ذكر على المدعى لانه على سبيل الفرض مع القطع بعصمتهم وقد خاطبه بمثله فى قوله لئن اشركت ليحبطن عملك ولك ان تقول وجه الدلالة انه هددهم على سبيل الفرض بعذاب جهنم ودخولها ولم يهدده بمثله وهذا يدل على انحطاط رتبتهم عنده عن رتبته وتأمل (قالوا فما فضله على الانبياء قال ان الله قال وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم وما ارسلناك الا كافة للناس) اى ان هذه الآية تدل على عموم رسالته صلى الله عليه وسلم وتخصيص رسالة كل رسول بقومه وكافة صفة مفعول مطلق مقدر اى رسالة كافة اى عامة وللناس متعلق به والحاصل ان ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فهم من هذه الآية العموم والخصوص فاستدل بها ولا يقال انه لايلزم من انه لاينطق الا بلسان قومه انه لم يرسل الا لهم لانه على مقتضى الظاهر فلايدعى غيره الا بدليل والدليل قائم على خلافه كما مر (وعن خالد بن معدان) رحمه الله تعالى هذا الحديث روى من طرق كما اشار اليه المصنف ورواه ابن اسحق مرسلا والدارمى واحمد موصولا عن خالد عن عبد الرحمن السلمى عن عتبة

بن عبد السلمى بطوله ومعدان حمصى تابعى من كبار التابعين وزهادهم ادرك سبعين من الصحابة وتوفى سنة اربع ومائة (ان نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يارسول الله اخبرنا عن نفسك) اى عن حالك وشانك من ابتداء امرك (وقد روى نحوه) اى نحو ما رواه خالد (عن ابى ذر) الغفارى الصحابى رضى الله عنه اخرجه الدارمى (وشداد بن اوس) بن ثابت بن منذر بن حرام وهو ابن اخى حسام بن ثابت بن حرام بالمهملتين المفتوحتين صحابى نزل بيت المقدس وتوفى بالشام سنة ثمان وخمسين والرواية عنه اخرجها ابو نعيم فى الدلائل (وانس بن مالك) اخرجه ابو نعيم ايضا (فقال) صلى الله تعالى عليه وسلم لمن سأله عن نفسه (نعم) جواب اسؤالهم اى اخبركم بذلك (انا دعوة ابى ابراهيم) بدل من لفظ ابى او عطف بيان اى ادر دعوته او عينها مبالغة ونعته بانه اب لاطلاقه على الجد ولبيان انه من ذريته الذين دعا لهم (يعنى قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم) فهو المراد بالرسول فى دعوته المجابة (وبشرى عيسى) عليه الصلوة والسلام تقدم بيانه (ورأت امى) اراد رؤيا امه غير الاسلوب لانه نوع لما قبله فهو على نهج قوله وجعلت قرة عينى فى الصلوة كما تقدم (حين حملت بى) وفى رواية حين وضعتنى فالرؤيا وقعت مرتين وهذا يحتمل انه رؤيا منام ورؤية يقظة والمرئى محذوف دل عليه قوله (انها خرج منها نور اضاء له قصور بصرى) بضم الباء والقصر بلدة من اعمال دمشق هنا وهى ايضا اسم بلدة اخرى من قرى بغداد بقرب عكبرا كما فى معجم ياقوت وهى مدينة حوران وقيل انها قبسارية او حوارزم وهو غير صحيح لان قوله (من ارض الشام) يأباه فهو غفلة من قائله والصحيح انها مدينة بين المدينة ودمشق وهى اول بلاد الشام فتوحا فتحت سنة ثلاث عشرة والشام الاقليم المعروف بهمزة ويجوز ابدالها الفا كراس وفيه لغة اخرى شئام بالمد قال ابن قرقول اباها اكثرهم وحده طولا من العريش الى الفرات وقيل الى نابلس وعرضا من حبل اخا وسلمى الى بحر الروم وما سامته ودخله من الصحابة كثيرون ودخله صلى الله تعالى عليه وسلم اربع مرات مرة مع عمه ابى طالب لما رآه بحيرا ومرة فى تجارته لخديجة مع غلامها ميسرة ومرة حين اسرى به ومرة فى غزوة تبوك قال ابن عساكر رؤية آمنه النور حقيقة حين وضعته واما رؤيتها له حين حملت فكانت فى المنام كما قاله الواقدى ثم حقق الله لها ذلك اذا وضعته لانها كما وردت فى الحديث اتيت وقيل لها انك حملت بسيد هذه الامة وآية ذلك ان يخرج معه نور يملأ قصور بصرى فحقق الله لها ما رأته اولا وهو كلام حسن وتخصيصه لانه اول فتح فى الاراضى المقدسة (واسترضعت) بالبناء للمجهول اى طلب امى ان اكون رضيعا (فى بنى سعد بن بكر) ارضعته منهم حليمة السعدية بنت ابى ذؤيب زوجة الحارث بن رفاعة بعد ما ارضعته ثويبة مولاة ابى لهب وله اخوة من الرضاعة مذكورون

مع قصة ارضاعه فى كتب السير (فبنا انا مع اخ لى) من الرضاع لا من النسب اذليس له صلى الله تعالى عليه وسلم اخ ولا اخت من النسب و بناظرف والفه للاساع اوكافة كبينما والكلام عليها مفصل فى كتب العربية (خلف بيوتنا) اضاف البيوت له باعتبار السكنى اوالتغليب لان المراد بيوت بنى سعد (نرعى بهما) الرعى اكل الحيوانات النبات والذهاب بها لترعى وهو المراد هنا والمراد انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان مع الرعاة لاراعيا لصغر سنه والبهم بفتح الباء الموحدة وسكون الهاء والميم وهى جمع بهمة اسم لاولاد ضأن واولاد المعز سخال ويطلق على ما يعمهما قال * صغيرين نرعى البهم ياليت اننا * الى اليوم لم نكبر ولم تكبر البهم (انا) اضافها له معهم لاختلاطه باصحابها لادنى ملابسة (اذ جاءنى رجلان) اى ملكان فى صورة رجلين فهو مجاز (عليهما ثياب بيض) وفى حديث آخر ثلاث رجال وهم جبريل واسرافيل وميكائيل عليهم الصلوة والسلام كما اشار اليه بقوله (وفى رواية اخرى ثلاثة رجال) وجمع بينهما بانه جاءه اثنان اولا لشق صدره والثالث اتى بعد لما شرته (بطست من ذهب مملوة ثلجا) وفى رواية ملكان وفى رواية كوكبان كانهما انقضا عليه كوكبان ثم تمثلا بصورة رجلين والطست بفتح الطاء وسكون السين المهملة ومثناة فوقية وفيه لغة اخرى طس بتشديد السين وطسة بهاء وفى طائه الفتح والكسر ففيه خمس لغات وهو اناء معروف واستعمال الذهب لم يكن حراما اذ ذاك لانها وهو من الجنة لامن جنس ذهبنا فلا حاجة للجواب بانه يجوز للصغار وانه يجوز تحلية آلات الطاعة به كالمصحف والسيف مع ما فيه وفى رواية انه من زمرد اخضر وانه صب عليه من ابريق فضة واما كون الطست بشين معجمة فقيل انه غلط وقيل انه لغة فيه ومملوة بالتأنيث لان الطست يذكر ويؤنث اوهو لتأويله بانية وهى محرورة صفة او منصوبة حال والمراد انه بقى بالثلج او بمائه ولا حاجة للبحث فيه هل هو مطهر ام لا لان هذه امور لا يطلع عليها وروى انه غسل بماء الجنة وبماء زمزم وهذا كان فى حال الطفولية ووقع فى رواية انه كان بعد هذه الحادثة لما اسرى به فمنهم من قال الروايتان متعارضتان ورد هذه وقال السهيلى لا تعارض بينهما وانه وقع مرتين الاولى لتنقيته من الخطوط النفسانية والاخرى ليقدس فيقوى على العروج لمشاهدة الانوار العلوية وكونه مخلوق من النور لا يأباه فيه كما توهم وروى بان الطست مملوء حكمة وايمانا وان الثلج لبرد اليقين فهو اما بتأويله او يتجسم الاعراض وليس ذلك على الله بعزيز والثلج بسكون اللام وقال التلمسانى بفتحها بمعنى اليقين فتحور قراءته بالفتح فتكون هذه الرواية كرواية مملوءة حكمة وايمانا (فاحدانى) اى امسكانى صلى الله تعالى عليه وسلم واضجعانى (فشقا بطنى قال فى غير هذا الحديث من نحرى الى مراق بطنى) النحر اعلى الصدر ومراق بفتح الميم

وتشديد القاف وهو مارق ولان من البطن ولا واحد له من لفظه والميم زائدة (ثم استخرجا منه) عائد على الجوف المعلوم من السياق او للبطن لتأويله به (قابي) مفعول استخرجا (فشقاه) اى القلب وهذا من المعجزات لان الاطباء اجمعوا على ان القلب لايحتمل جراحة اصلا فكيف يعيش صاحبه اذا شق (واستخرجا منه علقه سوداء فطرحاها) اى رمياها لانها حظ الشيطان ومعمزه وفيها الحسد والحقد ووسوسة الشيطان والحرص والشهوة المذمومة والعلقة دم منجمد كالعلقة المعروفة فى دور الماء قال السبكى رحمه الله تعالى فى طبقاته سئل الوالد رحمه الله عن هذه العلقة التى اخرجت من قلبه صلى الله تعالى عليه وسلم حين شق فؤاده وقول الملك هذا حظ الشيطان منك فاجاب بان تلك العلقة خلقت فى قلوب البشر قابلة لما يلقى الشيطان فيه ولم يكن للشيطان فيه حظ وانما الذى نفاه الملك منه امر فى الجبلة البشرية فاريل القابل الذى لا يلزم من حصوله حصول الالقاء فى القلب وانما خلقت على هذا لانها من اجزاء البدن المكملة لخلقه فلا بد منه ثم نزعت بامر ربانى طرا بعده وقريب منه قول الاستاذ محمد البكرى فى رسالته النافعة نزع العلقة من باطنه المقدس المطهر وقول الملك انها حظ الشيطان اى لو تعلق الشيطان بمحل منه كان هذا فخلق ابتداء تكملة لاصل الخلقة وتسوية للنسأة الانسانية مع زيادة اطهار بأس الشيطان باخراجها منه وهذا من تقديس السر وتنزيهه اعلاه واشرفه وقدر لايدانيه احد فيه (اقول حاصله ان الله خلقه صلى الله عليه وسلم كامل النية مكملا فاقتضت الحكمة الربانية ان يكون حسمه احس الاجسام وقلبه اقوى القلوب كما ان روحه صلى الله تعالى عليه وسلم اعظم الارواح وانورها ولما كان القلب رئيس الاعضاء بقوته تقوى صفاته من الشجاعة والفطنة وغيرها وهذه العلقة جزء سوداوى به يكون القلب قوى النية زاهى الهمة وعليه يبنى تكونه كحب العنب والقواكه فبعد نضج ثمرته ينزع عجمه ويرمى ولكونه سوداوى ردى الاخلاط كان محلا لاقدار الاوهام والخيال الذى هو ريحان الفكر كالحشيش النابت بينه بقلعه يقوى فاندفع انه لم لم يخلقه الله بدونها حتى يتطهر من دنس الوسوسة ومايقبلها فلا يأتى لم يشق وقلع وطهر ان معنى كونها حظ الشيطان انها محل حظه لو كان لكنه لم يكن وانما اطلت هنا لانه سر من اسرار الله ولله در ابن قرناص الحموى فى قوله

* اما والله لو شقت قلوب * ليعلم ما بها من فرط حب *

* لارضاك الذى لك فى فؤادى * وارضانى رضاك بشق قلبى *

(ثم غسلا قلبى وبطنى بذلك الطست حتى انقياه) ولما كان ارضه صلى الله تعالى عليه وسلم لا يليق بها غسل بذلك ليعلم انه من عالم العيب والحكمة ويقبل نقاه بالسديد وانقاه اذا جعله نقيا نظيفا والمشهور الاول وفى هذا دليل على عصمته صلى الله

تعالى عليه وسلم قبل النبوة من جميع الآثام والنقايص وكيف يتصور بعد هذا
ان يصدر منه زلة او امر لا يرضى الا سهوا ومثله لا يؤاخذ به (قال) اى النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم (فى حديث آخر ثم تناول احدهما) اى احد من ملك
عيره او اخرجه من يده واصل المناولة الاخذ من غيره (شيئا فاذا بخاتم فى يده
من نور) اى يتلألأ ويضئ اضاءة زائدة حتى كانه مجسم من النور ففيه مبالغة
فى اشراقه كقوله * خلق الانسان من عجل * وفى رواية انه حيط بمخيط
وكان يرى فى صدره الشريف اثر الخياطة (يحار الناظر دونه) اى فيما دونه
او اقل منه (بهاء) اى نورا ونفاسة وانظر اما بمعنى الشخص الذى ينظره
ويحتمل ان يريد به العين واسنادها لانه يطلق عليها فعلى الاول المعنى
انه يتحير من نوره وحسنه فى معرفته وعلى الثانى النسبة اليه مجازية والمراد صاحبه
اومعناه يبهت ولا يطرف اجفانه وفيه وفى قوله دونه لانه اذا تحير فيما دونه فكيف به
(فختم به قلبى) كما يختم الكيس والخزانة التى فيها الجواهر وكل نفيس وختمه لئلا يصل
اليه ما لا يليق به من الوسوسة ولئلا يضيع ما فيه وفيه اشارة الى انه خاتم الانبياء ولبس
هذا ولا اثره خاتم النبوة المذكور فى الحديث حتى يقال انه اختلف فيه هل ولد به
اوكان حدوثه حين بعث ولا فى هذا الحديث بيان لانه كان حين شق صدره كما توهم
والختم حفظا له عن ان يخرج مما احرز شئ بعيرعلم فلا يرد ما قاله السهيلى انه ينافى
انه صلى الله تعالى عليه وسلم يعلم الناس الحكمة وتفجرت من قلبه ينابيع الحكم وفاضت
انواره على العالم (فامتلأ ايمانا وحكمة) فى تفسيرها اقوال والذى صفا منها انها
العلم المستمل على معرفة الله مع البصيرة وتحقيق الحق والعمل به وفى التفريع هنا خفاء
لان مقتضى الظاهر ان يقدمه على الختم ولا يرتد عليه فيقول ملأه فامتلأ ثم ختمه
لانه بعد الختم لا يدخله شئ الا ان يأول بانه تبين فى انه امتلأ اللهم الا ان يقال انه دخل
فيه نور من الخاتم ملأه بما ذكر ومران العلم والحكمة معنى لا يملأ حيزه فاما ان يقال
انه تجسم اوجعل عمزلته (ثم اعاده مكانه) اى اعاد الخاتم فى مكانه الذى كان من يده
او يد غيره ولبس الضمير للختم كما توهم حتى يقال انه يشعر بانه كان من اصل خلقته
(واهوى) بتشديد الراء المهملة اخره اى مسح والصق يده مارة (الاخر) اى الملك
الاخر (يده على معرق صدرى) بفتح الميم والراء وكسرها بينهما فاء ساكنة اى محل
النسق والافتراق الذى كان منه فهو بمعناه اللغوى وان اختص عرفا بوسط الرأس
اوهو مصدر ميمى (فالتأم) بهمزة بعد المثناة الفوقية اى انضم واجتمع حتى لم يبق
فرجة من الشق (وفى رواية) حرى ان جبريل عليه الصلوة والسلام قال) بعد
ما امر (قلب وكيع اى شديد) وفى كتب اللغة تفسيره بصلب وعليظ والمراد هنا
ما ذكره المصنف ومنه نقل العلم (فيه) اى فى قلبه صلى الله تعالى عليه وسلم (عيان

بصران واذنان سميعتان) لايخفى ان حمله على ظاهره كما قيل بعيد فالمراد انه شديد الادراك لما يبصر ويسمع وكون القلب لا يدرك المحسوسات لانه انما يدرك المعقولات لاوجه له فانه يدركها بواسطة الحواس وفى التعبير عن الاول بالمضارع وعن الثانى بالاسم الدال على الثبوت تفنن وايماء الى ان الاول لايكون الا بعمل يحدث منه كالمقاتلة وفتح الجيم بخلاف الثانى واسنادهما ليس بمجازى وهذا كالتعليل لما قبله (ثم قال احدهما) اى الملكين (لصاحبه زنه بعشرة من امته فوزنى فرجحتهم ثم قال زنه بمائة من امته فوزنى فرجحتهم ثم قال زنه بالف من امته فوزنى فرجحتهم) الوزن معروف ورجحانه زيادة ما فى الكفتين وثقله نزل الراجح ويعلو مقابله والمراد باتباعه من اتبعه صلى الله تعالى عليه وسلم ومن آمن به وهم امة الاجابة اومن وجد فى عهده وهم امة الدعوة فمن فسره بالاول يعلم الثانى منه بالطريق الاولى وعدم الاعتداد بغيرهم ويحور ارادة الثانى وهذا الوزن الظاهر ان المراد منه تحرير المقابلة بين كماله صلى الله تعالى عليه وسلم وكما لاتهم بحسب النظر العلمى ومنهم من ذهب الى انه على ظاهره وحقيقته وان لم يعرف كيفيته الا انه يحتاج لتأويله لان الامة لم يكونوا موجودين فقيل المراد منهم ارواحهم وان الله اطلعهم على ذلك وانما ذكروه ليطلع على ذلك ويعلم به امته ثم انه وقع فى هذا الحديث اختلاف فى رواية ابى ذر رضى الله تعالى عنه ان الوزن قبل السوق وانه ابتدأ فى الوزن بالواحد ثم العشرة واختار المصنف هذه الرواية لان الرجحان بما اودعه الله تعالى فيه بعد احاطة مالا وزن له عند الله وفيه ايضا انه وضع فيه خاتم النبوة بين كتفيه وقال شيخ والدى الشهاب ابن حجر الهيتمى انه وقع فى بعض الروايات انه ولد بخاتم النبوة قال الحاكم روى بسند حسن عن عائشة رضى الله تعالى عنها عن بعض الاحبار انه قال ولد فى هذه الليلة يعنى ليلة مولده صلى الله تعالى عليه وسلم نبى هذه الامة بين كتفيه علامة فيه شعرات وفيه دليل على انه ولد بخاتم النبوة لكن جاء بسند اصح من هذا ان الملكين لما شقا صدره الشريف حشاه بخاتم النبوة ويمكن الجمع بينهما حتى دل المحل الثانى عند الوضع بعد حشه اولا اشارة الى زيادة الاعتناء والتشريف ثم رأيت من جمع بينهما بانه كان فى موضعين على الكتف وبين كتفيه وروى بسند ضعيف انه رفع بعد موته صلى الله تعالى عليه وسلم واعلم ان بعض الشراح قال ان الشق والغسل فى ذلك ليس مخصوصا به صلى الله تعالى عليه وسلم بل كان لسائر الانبياء عليهم الصلوة والسلام لما روى انه كان فى تابوت السكينة "طست الذى غسلت فيه قلوب الانبياء عليهم الصلوة والسلام (ثم قال دعه عنك فلو وزنته بامته لوزنها) اى لعلمهم فى الوزن لاعاد لهم وباب المعالمة معلوم من كتب الصرف وفى هذا الحديث دليل على انه صلى الله تعالى عليه وسلم افضل من جميع

الناس واقواهم شجاعة و قدرة على الجماع وعلما وفطنة كما مر لما اودع فى قلبه صلى الله تعالى عليه و سلم مما لم ينله غيره (قال فى الحديث ثم مموني الى صدورهم) اى عانقوني اظهارا لمحبتهم وتكريمهم لى (وقبلوا رأسي ومابين عيني) بتشديد الياء للتثنية وفيه استحباب تقبيل الرأس ومابين العينين لمن ينبغي محبته واكرامه اظهارا لذلك (ثم قالوا يا حبيب) بالبناء على الضم واصله ياحبيب الله (لم ترع) بضم المثناة الفوقية وفتح الراء المهملة وعين مهملة اى لم تخف وتفزع وهو مبني للمجهول اى حصل لك من قوة القلب مالا يعتريك بعده خوف من شئ والمراد تطمين قلبه صلى الله تعالى عليه وسلم بعدماوقع من الشق له م استأنف بجملة مؤيدة لما قبلها فقال (انك لو تدري مايراد بك من الخير) اى مايريده الله لك من الكمال والخير الدنيوى والاخروى (لقرت عيناك) اى لسررت سرورا عظيما وقد مر ان قرة العين الفرح وهو ضد سخنت فهو من القر بمعنى البرد لان دمع السرور بارد ودمع الحزن حار ومن قر بمعنى بت وسكن طرفه لانه لم يبق له شئ يطمح له عينه وينظره (وفى بقية هذا الحديث من قولهم) اى من قول هؤلاء الملائكة وهو موافق لكونهم ثلاثة كما مر (ما اكرمك على الله) تعجب من وقعه صلى الله تعالى عليه وسلم وكرامته عنده بان الله معك وملائكته) بعنايته وفضله و ليس فى قوله من قولهم مايقتضى انه مستمل على مقولهم ومقول غيرهم كما قيل (قال فى حديث ابى در) المشهور المذكور اولا وهذا الحديث رواه الدارمى (فاهوى) اى فعلهما بعد ذلك وما بافية وقيل الضمير للشان وهو على حد قولك لم يلبث فلان ان فعل كذا والمراد السرعة (الا ان ولى) اى رجعا وانصرفا عنى بعد فعلهما ومقالتهما السابقة (فكانما ارى الامر معاينة) المراد بالامر هنا ما اكرمه الله وما سيكرمه به من مقدمات النبوة وارهاصاتها و مازاد فى فطنته وعلمه ولتحققه لذلك جعل كالمحسوس المرئى ببصر ولبس المراد به القصة المذكورة من مشاهدة الملكين ومافعلاه كما توهم وقد اتى بخبط وخلط فى تفسيره لاطائل تحته (وحكى ابو محمد مكى وابو الليث السمرقندى وغيرهما) تقدم ترجمتهما والكلام عليهما (ان آدم عليه الصلوة و السلام عند معصيته) اى اكله من الشجرة وسيأتى الكلام عليه فى عصمة الانبياء عليهم الصلوة والسلام وهذا الظرف متعلق بقوله (قال) ومقوله (اللهم بحق محمد) اى بما يستحقه عندك من الزلفى والكرامة وهذا الحديث رواه البيهقى والطبرانى عن عمر رضى الله عنه بسند فيه ضعف وفيه دليل على انه يجوز ان يقال فى الدعاء بحق الانبياء ونحوه خلافا لمن افتى من علماء العصر انه لايجوز ان يقال مثله لانه ليس لاحد على الله حق وقد وقع مثله فى احاديث كثيرة ومعناه مامر (اغفر لى خطيئتى و يروى وتقبل توبتى فقال له الله من اين عرفت محمدا فقال رأيت فى كل موضع من الجنة) رأى هنا بصرية

(مكتوبا لااله الاالله محمد رسول الله) نائب فاعل اسم المفعول (ويروى محمد عبدى ورسولى) بدل رسول الله (فعلمت) بما رأيته من كتابته واقتران اسمه باسمك (انه اكرم خلقك) اى مخلوقاتك (عليك فتاب الله عليه وغفر له) لتوسله الى الله بحبيبه وصفيه وبما علمه من ذلك (وهذا) اى الحديث المذكور (عند قائله) اى عند من رواه واعتمده وهو مكى رحمه الله تعالى ومن سبق ذكره ولبست الاسارة لقول آدم عليه السلام اللهم الى آخره كما قيل (تأويل قوله تعالى) اى تفسيره لان التأويل يرد بمعنى مطلق التفسير وبمعنى التفسير بمقتضى العربية من غير نقل مأثور ويكون ايضا بمعنى ما يؤل اليه ويتحقق به فى الواقع وهو اصل معناه (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه) وهذا فيه خفاء لان معنى تلقيها من الله اخذها منه بغير واسطة والمذكور انه رأها مكتوبة فى الجنة فكانه جعل الهام الله له الدعاء بمنزلة تلقيها عنه وقيل انه على قراءة اى كثير بنصب آدم ورفع كلمات ومعنى تلقيها استعاؤها باحدها والعمل بها حين علمها واشار بقوله عند قائله الى ان فيه اقوالا اخر فقيل الكلمات المتلقاة هى * ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين * وقيل * اللهم لااله الا انت سبحانك وبحمدك انى ظلمت نفسى فاغفر لى فانك خير الغافرين اللهم لااله الا انت سبحانك وبحمدك انى ظلمت نفسى فتب على انك انت التواب الرحيم * فسقط ما قيل انه ليس فيه على هذه الرواية انه تلقى من الله والكتابة لاتسمى كلمات الا مجازا ولا قرينة تدل عليه قيل وفيه دلالة على ان آدم عليه الصلوة والسلام كان يعلم الكتابة وسؤال الله له بقوله من اين الى آخره ليس استفهامه على حقيقته لعلمه به وانما هو تشريف له بخطابه وليبين له فضيلة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم عنده (وفى الرواية الاخرى قال فقال آدم عليه الصلوة والسلام لما خلقتنى رفعت رأسى الى عرشك فاذا فيه مكتوب لااله الا الله محمد رسول الله) فيه خبر مقدم ومكتوب مبتدأ مؤخر صفة شئ مقدر ولااله الا الله الى آخره بدل منه اوهو مبتدأ مكتوب خبره وفى بعض النسخ وفى رواية الاخرى بالمد وضم الجيم وتشديد الراء المهملة وياء نسبة نسبة للاجر المعروف وهو الامام القدوة ابو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله العمادى مصنف كتاب الشريعة شيخ ابى نعيم سكن مكة وتوفى بها فى المحرم سنة ستين وثلثمائة (فعلمت انه ليس احد اعظم قدرا عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك) ملازما لمقارنته قيل هذا فى الرواية الاولى ظاهر اذ فيها فى كل موضع واما هنا فهو فى موضع واحد واجيب بانه يحتمل ان الرواية الاولى زيادة على هذه وتركها لئلا يتكرر ولا يخفى بعده ولا حاجة الى ما توهمه من لزوم المقارنة بل المقارنة فى هذا المحل العظيم تكفى فيما قاله قلت ومن هذا الحديث يؤخذ ان كتابة اسماء الله ونحوها

فى سقوف المساجد وغيرها غير مكروهة كما توهم فاوحى الله اليه وعزتى وجلالى (انه لاخر النبيين من ذريتك ولولا ما خلقتك) فروحه صلى الله تعالى عليه وسلم مخلوقة قبل الارواح والانبياء كلهم خلقوا لاجله ووجوده سبب لوجودهم فهو اب معنوى لهم وكلهم اتباعه فى الوجود قبل قوله فاوحى الله اليه يقتضى ان هذا الخطاب وحى لامشافهة وقوله لما خلقتنى قبله يدل على خلافه وقد يقال انه خاطبه اولا واوحى اليه بعد ذلك مع ان الداعى مخاطب ربه وان لم يخاطبه فلا يدل كلامه الاول على ان كلام الله معه بدون وحى وقال (وكان آدم عليه الصلوة والسلام يكنى بابى محمد وقيل بابى اليسر) كما رواه البيهقى عن على كرم الله وجهه مرفوعا والثانى اشهر (تنبيه) قوله ولولاه ما خلقتك خلاف اللغة فانها فى الاكثر تليها ضمير رفع منفصل يحذف خبره وجوبا اذا كان عاما وقد يكون مخصوصا فيذكر على قول ويليها ضمير مجرور صورة كما هنا قليلا فيقال لولاى ولولاك ومنعه المبرد رحمه الله تعالى واحاره غيره فقيل انها حرف جر وقيل انه نائب عن المرفوع واتصل بغير عامله ومنعه سيبويه بمنع النيابة فى غير الضمائر المنفصلة وغيره يجيزه مع الحروف والافعال كما تقرر فى محله وعليه الزمخشرى (وروى عنه سريح بن يونس) بضم السين وفتح الراء المهملتين وياء مثناة تحتية وجيم وصحفه بعضهم بشين معجمة وحاء مهملة وهو غلط وهو ابو الحارث البغدادى امام الحديث توفى سنة خمس وثلاثين ومائتين وروى له مسلم والبخارى (انه قال) ان كان الضمير للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لانه المعلوم من السياق فهو ظاهر وان كان لسريح فهو فى حكم المرفوع لان مثله لا يقال بالرأى (ان لله تعالى ملائكة سياحين) من السياحة من ساح الماء اذا جرى ثم ساعت فى السير الطويل والمشى فى الارض والسفر من غير مقصد معين للنظر فى المصنوعات ونحو ذلك (عادتها) اى الملائكة وانث نظرا لظاهر لفظه اولتأويله بطائفة وعادتها بباء موحدة وفيه مضاف مقدر اى حفظ (على كل دار وفيها) من اسمه (اسمه احمد او محمد) اودخول كل دار ونحوه وضبط ايضا مساة من تحت والمراد بالعادة الزيارة وقدم احمد لانه مسمى به قبل محمد ولانه صلى الله تعالى عليه وسلم معروف به عند الملائكة اوللترقى (اكراما منهم) اى زيارتهم لاجل الاكرام وقال منهم لئلا يتوهم انهم اتوا باكرام من غيرهم وانهم رسل فى ذلك والا فهو حشو ويأتى ان اهل مكة ونزل ايضا عن اهل المدينة يقرلون كل دار فيها من اسمه محمد يوسع الله رزقهم وهو عن تجربة منهم وقيل هذا لا يختص بهذين الاسمين بل كل من تسمى باسم من اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم كذلك وفيه نظر (وروى ابن قانع القاصى) بقاف ونون بعد الف وعين مهملة وهو عبد الباقى ابن قانع بن مرزوق الاموى البغدادى صاحب معجم الصحابة وكتاب القوم وترجمته فى الميزان وهو ثقة فى الرواية الا انه قيل

له تعبير في آخر عمره وتوفي سنة احدى و خمسين وثلثمائة قال البرهان كان على المصنف ان يذكر تقدم السند من نافع الى قوله (عن ابي الحمراء) حتى يعرفه و يعرف ابا الحمراء واعتذر بانه لم يلتزم الاسناد في كتابه وانما اشترط ما صح عنده واشتهر والظاهر انه استغنى عنه بروايته عن نافع لانه ذكره مسندا فيه وقد اسنده الطبري ايضا وفي بعض النسخ ابن نافع بالغاء وهو الفقيه صاحب الامام مالك وهو وهم وتحريف وابو الحمراء بحاء مهملة وميم و راء مهملة ممدود قال البرهان و لا يعرف من المراد به قال ابا الحمراء الصحابي مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اسمه هلال ابن الحارث او ابن ظفر اخرج له ابن ماجة حديثا غير هذا وكان بحمص وقال يقال له صحبة ولا يصح حديثه ومن الصحابة ابو الحمراء مولى ال عفراء البدري ولا يعرف له رواية ولا يعرف في التابعين من اسمه ابو الحمراء ولا في تبع بعدهم (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما اسري بي الى السماء اذا) هي فجائية اي صادفت فجأة (على العرش مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله) العرش في اللغة سرير الملك وعرش الرحمن غير السموات وهو سقف الجنة وهل هو الكرسي او غيره فيه خلاف ليس هذا محله وكون اسمه صلى الله تعالى عليه وسلم مكتوبا مع اسم الله على العرش وفي الجنة ورد في احاديث كثيرة والظاهر ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عرف تلك الكتابة بالهام من الله او بذكر جبريل عليه الصلوة والسلام لها او غيره من الملائكة قالوا له هذا اسمك مكتوب هنا فلا يقال انه صلى الله تعالى عليه وسلم اي لا يقرأ ولا يكتب وقد تقدم ما في ذلك (ايده تعالى) كرم الله وجهه في حياته لما له من الصحبة القديمة والآثار العظيمة في غزواته معه والتأييد التقوية والنصر ولا يلزم من هذا تفضيله على غيره من الخلفاء الثلاثة ابي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما ولا ان تأييده له اعظم ولعل لتخصيصه هنا وجه لا يقف عليه الا الانفس القدسية (وفي التفسير) اي في كتبه ولم يعين المنقول عنه لوجوده في كثير منها (عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما) رواه الخطيب عن مالك وورد مرفوعا عن ابي ذر رضي الله تعالى عنه واخرجه البزار موقوفا عن علي وعمر رضي الله تعالى عنهما والبيهقي في الشعب (في) تفسير (قوله تعالى و كان تحته) اي الجدار الذي اقامه الخضر عليه الصلوة و السلام (كنز لهما) لليتيمين (قال) اي ابن عباس رضي الله عنهما المراد بالكنز وهو المال المدفون (لوح من ذهب فيه مكتوب عجبا) منصوب بفعل محذوف وجوبا اي اعجب عجبا واللوح بفتح اللام وقد تضم صحيفة منبسوطة (لمن ايقن بالقدر) اي تيقن قضاء الله وقدره وانه لا يكون الا ما قدر وما قدر لا بد ان يكون فلتضمينه معنى امن عداه بالباء و اليقين الاعتقاد الجازم (كيف ينصب) بفتح اوله وثالثه من النصب بصاد مهملة وهو التعب والاستفهام للتعجب الانكاري اي كيف يتعب نفسه في تحصيل

رزقه وماقدر له لايتخلف عنه مقدار ذرة ولحظة وللقاضي ناصح الدين الارجائي

* ياقلب تخل من هموم وشجون * باد ر فرص الزمان من قبل تخون *
* لاتأس فان حملك الهم جنون * ما قد ر ان يكون لابد يكون *

(عجبا لمن ايقن بالنار كيف يضحك) اى من تيقن وجود النار وعلم انه لايخلو من زلة يعاقب عليها فكيف لايخاف منها ويكون ضاحكا مسرورا وهو لايعلم اشقى هو ام سعيد والموت اقرب له من حبل الوريد (عجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها باهلها) اى تعيرا حوالها فى كل حين قال الراغب التقلب التصرف قال الله تعالى * او يأخذهم فى تقلبهم * فالباء بمعنى فى اومع اى تصرفها فى اهلها اوتعيرها وتغيراهلها (كيف يطمئن) قلبه ويركن (اليها) بعدمارأى منها وشاهد (انا الله لااله الاانا) فله الحكم والامر وبيده كل شئ فى قبضة تصرفه (محمد عبدى ورسولى) ارسله للناس كافة وهذا التفسير يشعر بانه حديث قدسى اوحاه الله لبعض انبيائه وقد ذكره القرطبي فى تفسيره بهذا اللفظ عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه كان لوحا من ذهب مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجب لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن عجب لمن يؤمن بالرزق كيف ينصب عجب لمن آمن بالموت كيف يفرح عجب لمن آمن بالحساب كيف يعمل عجب لمن عرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لااله الاالله محمد رسول الله انتهى وعجب فى هذه الرواية مرفوع بالابتداء كسلام عليكم وهذه رواية عطاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وقيل الكنز مال وقيل غير ذلك

(وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما على باب الجنة مكتوب انى انا الله لااله الا انا محمد رسول الله من قالها) اى من نطق بكلمة الشهادة مؤمنا مخلصا (لاعذبه) وان ارتكب الذنوب وهذا كقوله تعالى * لاتقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا * وقد ورد مثله كثيرا فى الاحاديث الصحيحة (وذكرانه وحد) بالبناء للمجهول فيهما ولم يذكر فاعلهما لعدم وقوفه عليهما ولاينا فى هذا انه ذكرهما ماصح اواشتهر لانه باعتبار الاغلب وكونهما مبنيين للفاعل والضمير المستتر لابن عباس كما قيل يحتاج النقل (على الحجارة القديمة) اى الموجودة قبل عصر النبوة لان الكتابة لوكانت جديدة بخط هذه الامة لم تكن دالة على ماحكى فيه (مكتوب محمد نبى) اى ممتثل لاوامر الله مجتنب لنواهيه صلى الله تعالى عليه وسلم (مصلح) لجميع الناس بهدايتهم لكل خير وسعادة وللدنيا بعدله (وسيدامين) على الوحى وغيره كما تقدم (وذكر السمنطارى) بسين مهملة وميم مكسورتين ونون ساكنة وطاء مهملة بعدها الف وراء مهملة وياء نسبة مشددة قال صاحب القاموس فى تاريخ المدينة انه نسبة لسمنطار قرية من جزاير العرب وقيل هو الذهبى بلسان اهل المغرب وهو ابو بكر بن عتيق بن على احد عباد الجزيرة وزهادها وله كتاب الرقايق فى اثنى عشر

مجلدا كبيرا لم يسبق لمثله ومنه نقل المصنف هذا الحديث انتهى وقال التلمساني انه من الاجلة وله تأليف في فنون العلم فمن قال لم ار له ترجمة ونحن في غنية عما نقل عنه من العريب فقد شهد على نفسه بقلة الاطلاع (انه شاهد في بعض بلاد خراسان) هو اقليم معروف قيل وقد تسكن راؤه وتحذف الفه وفي الزاهر لابن الانباري معناه مطلع الشمس لان خور بالفهلوية معناه الشمس (مولودا ولد) اي حين ولادته وخروجه من بطن امه فلا يتوهم ان وصف المولود بانه ولد من اللغو (وعلى احد جنبيه) اي شق بدنه وصفحته (مكتوب لااله الاالله وعلى الاخر محمد رسول الله وذكر الاخباريون) المراد بهم المورخون الذين لهم اعتناء باخبار الامم السالفة ولما كان الاخبار جمع خبر وهو عام مخصوص بهذه الطائفة نسب للجمع لمشابهته العلم كانصار وانصاري ولولا هذا رد في النسبة لمفرده كسائر الجموع المنسوب اليها (ان ببلاد الهند وردا احمر مكتوب عليه بالابيض لااله الاالله محمد رسول الله) اي مكتوب فيه بلون ابيض عكس المشهور من كتابة الالوان في البياض للدلالة على انه ليس من صنع البشر وهذا كقول الابوصيري في مطلع قصيدة له * كست المشيب بابيض في اسود * بمضاء لعين الحساد الخرد * وقد ذكر ابن العديم في تاريخه حكايات كثيرة منها انه وجد ببلاد الهند مثله في النمار والاوراق وان الصيادين رأوا مثله في السمك واعلم ان مما اشتهر من ان الورد الاحمر خلق من عرق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اومن عرق جبريل عليه الصلوة والسلام موضوع كما نقله ابن حجر عن النووي والذهبي وابن عساكر وكذا ما في الفردوس من ان الورد الابيض خلق من عرق ليلة المعراج والورد الاحمر خلق من عرق جبريل والورد الاصفر خلق من عرق البراق وعن انس رضي الله تعالى عنه يرفعه قال لما عرج بي الى السماء بكت الارض من بعدي فنبت اللصف وهو الكبر من مائها فلما ان رجعت قطر من عرقي على الارض فنبت وردا احمر الا من اراد ان يشم رائحتي فليشم الورد الاحمر والورد كما قاله ابو حنيفة الدينوري نور كل شجرة ورهربت ثم خص بهذا الورد المعروف فقيل لاحمره الحرجم ولابيضه الوتير وفي شرح سقط المريدا لورد ما يضرب الى الحمرة يقال اسد ورد وعبر ورد ودم ورداي احمر والورد المشموم ليس بعربي في الاصل الا ان العرب تسمي الزهر وردا انتهى وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيامة ينادي منادي في الموقف لا يقم من كان اسمه محمدا فليدخل الجنة لكرامتي يأتي شرحه فيما بعده وفي رواية يقول الله له عبدي لم تستحي مني اذ عصيتني واسمك محمد وانا استحيي ان اعذبك واسمك اسم حبيبي اذهب وانه الى الجنة والى هذا اشاره في البردة بقوله * هان لي ذمة منه بتسميتي * محمدا وهو اوفى الخلق بالذمم (وروى عن جعفر بن محمد) هو جعفر الصادق وقد تقدمت ترجمته ومحمد هو

محمد الباقر وقد تقدم ايضا (عن ابيه) ابوه محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب (اذا كان) هي تامة بمعنى وجد (يوم القيامة نادى مناد) من الملائكة امره الله بالنداء بقوله (الا ليقم من اسمه محمد) الاحرف استفتاح وتنبيه والمراد بالقيام الانفصال عمن معه ليتميز عن غيره ممن لم يسم بهذا الاسم كان من قام عند قوم جالسين يتميز عنهم فهو استعارة او مجاز مرسل اريد به لازمه او كناية وليس هذا امر تسخير للاموات قبل احيائهم اى ليقوموا من قبورهم او لمن قعدوا في ارض المحشر لما عرض له من الاهوال وطول القيام فانه بعيد من السياق وبأبا ، قوله (فليدخل الجنة) لانه مؤمن شرفه الله بهذا الاسم اذلم يعهد تسمية احد من الكفار بعد بعثة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (تكرامة اسمه عليه الصلوة والسلام) وهذا من تمة الحديث فهو من كلام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما علم من الرواية المتقدمة ولم يعل باسمي التفاتا او تجريدا او هو مايدرج فيه من كلام جعفر رضي الله تعالى عنه وعلى الاول هو من كلام المنادي وليس هذا مما يقال بالرأي فهو حديث له حكم الرفع وماقيل من انه يؤدي الى الاتكال وعدم العمل مما لايلتفت اليه وقد تقدم تحته قريبا (وروى ابن القاسم) فقيه مصر عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جادة صاحب مالك وراوي الموطأ عنه وهو من الثقات توفي سنة احدى وتسعين ومائة (في سماعه) اعني كتابا له في مسموعاته عن شيوخه (وابن وهب) ابو محمد عبد الله بن وهب تفقه بمالك وروى عنه وعن غيره كابن دينار والليث بن سعد وصنف الموطأ الكبير والموطأ الصغير وكان آنس من ابن القاسم بثلاث سنين وعاش بعده خمس سنين (في جامعه) وهو اسم كتاب له الفه على الابواب بخلاف ماالفه على الصحابة فانه من المسانيد (عن مالك) محيي السنة وامام دار الهجرة الامام المشهور رحمه الله تعالى (قال سمعت اهل مكة يقولون مامن بيت فيه اسم محمد) اى مسمى باسمه او المراد ظاهره لانه لايكون الاسم بدون مسماه (الا نمى) اى زاد ذلك البيت بكثرة الاولاد والاهل فيه ورادت البركة فيه (ورزقوا) اى زاد الله رزقهم ببركة ذلك الاسم وفي نسخة الاوقدوقوا من الوقاية اى حفظهم الله من كل سوء واسم محمد يحتمل ان يكون اضافته بيانية اى اسم هو محمد فيختص بهذا الاسم او لامية اى اسم من اسماء هذه الذات فيشمل جميع اسمائه وفي نسخة (ورزق جيرانهم) جمع جار وهو لغة الملاصق وشرعا الى اربعين دارا ويحتمل ارادة هذا ايضا لان بركته تعم جميع الدنيا (وعنه صلى الله تعالى عليه وسلم) في حديث مرفوع مسند كما قاله السيوطي وذكر سنده (ماضر احدكم) ما نافية واحدكم مفعول ضر (وان يكون في بيته محمد ومحمدان وثلاثة) فاعله في محل رفع ولايصح كونها موصولة ونفي الضرر المراد به وجود النفع ولكن هذا يستعمل للحث يعني اولم يكن فيه ضرر

كفى سببا فكيف وفيه نفع عظيم واى نفع ويجوز ان يكون استفهامية وان يكون مجرورا بحرف مقدر اى اى شئ حصل له من الضرر لكونه فى بيته وتوهم بعضهم انه لايصح لان ان يكون فاعله فتبقى الجملة التى هى خبرعنها بلاعائد فيها وعندى انه احسن لقول الناس ماضرك لوصليت لمن ترك الصلاة وهذا فيه حث عظيم حتى لايتركه الالمانع وضرر والاستعمال عليه وكون الضرر باعتبار الالتباس فى تعدد المسمى باسم استقاق مما لايلتفت اليه وفى بعض النسخ (وعن على رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما اجتمع قوم فى مسورة) بفتح الميم وضم الشين المعجمة ويجوز سكونها اى فى امر يتشاورون فيه (معهم رجل اسمه محمد لم يدخلوه فى مشورتهم الا لم يبارك لهم رواه جماعة منهم ابن عتاب) لان من تسمى به يبارك الله فيه وتلقى الرأى السديد ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم ومن اعرض عنه كان بضد ذلك (وعن عبد الله بن مسعود) فى حديث رواه احمد والبزار والطبرانى بسند رجاله ثقات وهو وان كان موقوفا له حكم الرفع لان مثله لايقال من قبل الرأى كما اتفق عليه فى مصطلح الحديث اكثر المحدثين (ان الله نظر الى قلوب العباد) ومافيها من العقل وقيل المراد ارواحهم لان القلوب تطلق عليها (فاختار منها قلب محمد) اى اصطفاه وارتضاه (فاصطفاه لنفسه) اى جعله صفيا له مقربا عنده مختصا به لاتعلق له بغير الله فى ظاهره وباطنه ولذا جعله محلا لسره ومنبعا لاوامره ونواهيه وهذا كله على طريق التمثيل فهو استعارة اى عامله معاملة عظماء الملوك الذين ينتخبون من الناس من يكون وزيرا مخزنا لاسرارهم والمراد ان روحه وقلبه اشرف مما عداه فلذا كان مقربا عنده وخليفة له وفى اطلاق النفس على الله من غير مشاكلة كقوله تعالى * ويحذركم الله نفسه * وادعاء انه مشاكلة تقديرية تكلف فقول اهل المعانى انه لايطلق عليه الا مشاكلة كقوله تعالى * تعلم ما فى نفسى ولا اعلم ما فى نفسك * غير صحيح وجمع بين القولين بعض المحققين وقال النفس لها معنيان الذات وهذا يصح اطلاقه من غير مشاكلة والجسم ومايلزمه من النفس اللوامة والامارة وهذا لايطلق عليه الا مشاكلة (وحكى النقاش) ابو بكر محمد بن الحسن المفسر المشهور وقد تقدمت ترجمته (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما نزلت) آية (وما كان لكم) اى لاينبغى لكم ولايحل ولايجوز (ان تؤذوا رسول الله) باى اذية كانت (ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده) اى من بعد موته (ابدا) لان حرمتهن مؤبدة وهى امهات المؤمنين حتى قال الشافعى رضى الله تعالى عنه من استحل ذلك كان كافرا لانه صلى الله تعالى عليه وسلم حى لم تزل عصمته عنهن وهى معه فى الجنة وكسوتهن ونفقتهن من بيت المال وسبب نزول هذه الآية ان بعض المنافقين قال ان مات محمد تزوجت عائشة وما قيل ان القائل ذلك طلحة احد العشرة المبشرة وانه ندم

فجع ماسيا واعتق رقبة وحمل على عشرة افراس فى سبيل الله كفارة لمقالته لايصح لان مثله لايهدر عنه مثل ذلك بل لايصدر ممن دونه بطبقات (قام خطيبا) على عادته صلى الله تعالى عليه وسلم فيما اذا بلغه ما لا يجوز واراد اعلام الناس به (فقال) فى خطبته (يامعشر اهل الايمان) المعشر الجماعة (ان الله فضلنى عليكم تفضيلا) عظيما تفضل به على الامة (وفضل نسائى على نسائكم تفضلا الحديث) لانهن افضل من جميع نساء عصره وفى فضل بعضهن على بعض كلام ليس هذا محله واشار به الى عدم كفاءة احد لهن وان كان الله خصه بانه لايحور لاحد نكاح زوجاته لما مر ﴿ فصل فى تفضيله صلى الله تعالى عليه وسلم لما تضمنه كرامة الاسراء ﴾ اى ما اشتملت عليه قصة الاسراء ووقع فى ضمنها مما فضله الله به على سائر الرسل عليهم السلام والمراد ما اكرمه الله به من خارق العادة وليس المراد به مايقابل المعجزة فانه من اعظم معجزاته وقد اعلم به وبما فيه من فضله ولك ان تقول المراد به ظاهره لانه امر لايطلع عليه غيره وماهو كذلك لايتحدى به ولذلك عبر المصنف بالكرامة والباء للتعدية اوالسببية والاسراء مصدر اسرى ويقال سرى واسرى اذا سار ليلا واختلف فيهما فقيل هما بمعنى وقيل بينهما فرق فقيل اسرى سار من اول الليل وسرى سار من آخره وقيل العرب تقول سرى ليلا اذا سار بعضه واسرى ليلة اذا سار جميعها ولايقال اسرى ليلا الا اذا وقع سيره فى اثنائه فاذا وقع فى اوله قيل ادلج فمعنى اسرى بعبده ليلا انه فى وسطه واسرى متعد ومفعوله محذوف هنا اى اسرى البراق وقيل انه لازم لسرى وانهما متغايران معنى كما مر ولفظا لان سرى من السرى واسرى من السراة وهى الظهر فمعنى اسرى به ذهب به فى سراة الارض وهى ظهرها كذا فى المفردات ويدل على تغايرهما اتفاقهما على التعبير بالاسراء هنا دون السرى واتفاقهم على القراءة به فصار معناه سيره الى بيت المقدس فالاسراء غير المعراج كما سيأتى ثم بين ماتضمنه بقوله (من المناجاة) وهى الكلام سرا لان السر يقال له نجوى وتختص المناجاة فى العرف بكلام العبد مع ربه كمناجاة موسى صلى الله تعالى عليه وسلم (والرؤية) اى رؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم لربه يعنى ببصره اورؤية ماش الملأ الاعلى العجايب ورأى اذا كانت بصرية مصدرها رؤية واذا كانت علمية مصدرها رؤيا واذا كانت اعتقادية مصدرها رأى * وقال السهيلى الرؤيا تكون بمعنى الرؤية ايضا وله شواهد فى كلام العرب وعليه قول المتنبي * ورؤيا كاحلى فى العيون من الغمض * ولايرد عليه شئ كما توهم ومايقوله صلى الله تعالى عليه وسلم بمنزلة مايرويه (وامامة الانبياء) اى صلاته صلى الله تعالى عليه وسلم بالانبياء اماما لهم فانه يدل على تفضيله عليه الصلوة والسلام ولذا استدل على تقديم ابى بكر رضى الله تعالى عنه فى الفضل بتقديم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم له فى الصلوة

في مرض موته وقالوا الا نرضى لدنيانا ما رضيه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لديننا (والعروج به الى سدرة المنتهى) العروج بمعنى الصعود في جهة العلو وفعله عرج يعرج كقتل يقتل ويأتي في الحديث عرج بي بفتحتين وقال المصنف رحمه الله تعالى انه بضم العين وكسر الراء ومنه المعراج والمعراج بكسر الميم وهو السلم ذوالدرج وجمعه معارج ومعاريج وللسماء معراج تصعد فيه ارواح الموتى وهو الذي يشخص اليه بصر المحتضر لما يرى من نوره وحسنه فاذا رأه لم يتمالك روحه ان تخرج وبه تصعد الملائكة بالاعمال وبه فسر قوله ذي المعارج فالاسراء سيره صلى الله عليه وسلم ليبت المقدس والمعراج صعوده للسماء وهو مصدر ميمي او اسم السلم اطلق عليه او فيه مقدر وقد يطلق الاسراء على جميع الاسراء والمعراج ويطلق المعراج على كل ذلك مجازا فقيل انه تعليب وفيه نظر والسدرة سجرة معروفة وهي سجرة النبق وقيل للتي في الجنة سدرة المنتهى وهذه السجرة في السماء السابعة وقيل في السادسة واقتصر عليه المصنف رحمه الله فيما يأتي وجمع بينهما بان اصلها في السادسة واعلاها في السابعة ويأتي ان تبقها كقلال هجر وان اوراقها كاذان الفيلة وانه يعساها نور من الله وفراش من ذهب وانه يسير الراكب في ظلها مائة عام ويخرج من اصلها انهار اربعة منها النيل والفرات وانه انما سميت سدرة المنتهى لانه ينتهي اليها ما يهبط من فوقها وما يصعد من تحتها وقيل انه ينتهي اليها علم الخلايق فلا يعلم وراؤه او منتهى الملائكة فلا يتجاوزونها وقيل لان من وصل اليها انتهى لاقصى الكرامة الى غير ذلك من الاقوال (وما رأى من ايات ربه الكبرى) ما موصولة عائدها مقدر اى رأه او مصدرية والكبرى مفعول رأى ومن آياته بيان مقدم عليه او هو صفة لايات ومن تبعيضية او زائدة وآيات الله كل ما رأه مما يدل على عظمته او جبريل على صورته الاصلية او ما يعسى السدرة من الانوار التي لا يمكن النظر اليها ولا وصفها وقيل هو رفرف اخضر سد السماء والرفرف ما يسمى بالفارسية سايبان وقيل انه بساط (ومن خصايصه صلى الله تعالى عليه وسلم) اى ما خصه الله به من دون الانبياء عليهم الصلوة والسلام مع ماله من المعجزات التي تساوي معجزات سائر الانبياء كما فصل في محله (قصة الاسراء وما انطوت عليه) اى احتوت عليه وتضمنته (من درجات الرفعة) اى العلو في الرتبة والدرجة المرقاة الحسية فشبه ما اعطيه من المراتب المعنوية بالمراقي الحسية واستعار لها اسمها استعارة مصرحة (مما نبه عليه في كتابه العزيز) في سورة الاسراء وسورة النجم (وشرحته) اى كسفته وبينته (صحاح الاخبار) وفي بعض النسخ صحايح الاخبار وكلاهما جمع صحيح قال في القاموس يقال صح يصح فهو صحيح وقوم صحاح بكسر الصاد وصحايح انتهى وصحاح بفتح الصاد بمعنى صحيح او مصدر بمعنى الصحة وهو من اضافة الصفة للموصوف اى لاخبار الصحاح وهي

ما رواه الثقات بسند متصل وسلم من الشذوذ والعلة القادحة كما فصل فى مصطلح الحديث (قال تعالى سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الآية) وقد مر الكلام على لفظ الاسراء وسبحان منصوب على المصدرية وهو علم جنس لمعنى كفجار وغدوة فاذا اضيف قصد تنكيره فان علم الجنس منكر كعلم الشخص وانكره بعضهم بناء على انه غير معين فلا يتصور تنكيره وعلى العلمية هو ممنوع من الصرف فاذا نكر صرف وانكر بعض النحاة علميته وخطأ من قال به كما ذكره ابو على فى تذكرته والكلام فيه طويل النيل فسبحان مصدر بمعنى التسبيح والتنزيه او اسم مصدر وابتداء السورة والقصة به لانه لما ذكر الاسراء والرؤية ربما توهم ان الله تعالى فى جهة فنزهه عن ذلك وهى مع التنزيه تدل على التعجب ولما كذبوه فى الاسراء نزهه الله عن الكذب وعجب عباده فى نسبته لمثله وعما انعم عليه من النعم التى خصه بها قيل ويحتمل ان يكون بمعنى الامر اى سبحوه تسبيحا وقال ليلا اى فى مدة قليلة ولذا نكره وتنكره مع ان السرى يختص به كما مر وقال بعبده لان صفة العبودية اشرف الصفات واضافه له تشريفا وايماء الى انه بجرة بدخول سرادق العز والمسجد الحرام يخص المسجد نفسه ويكون لمطلق الحرم وكل منهما صحيح هنا واسراؤه به صلى الله تعالى عليه وسلم كان من الحجر وهو نائم به وروى انه كان فى بيت امهانى وجمع بينهما بان جبريل اتاه فى بيت امهانى فايقظه جبريل عليه الصلوة والسلام وذهب به الى الحرم ثم تباطأ ليجيئه فنام فى الحجر والمسجد الاقصى بيت المقدس سمى به لبعده عن المسجد الحرام وضمير انه هو لله اى هو السميع لما قيل فى حقه والبصير المطلع على احواله وقيل انه للنبى صلى الله عليه وسلم اى هو السميع لكلام ربه المشاهد لآياته (وقال عز وجل والنجم اذا هوى الى قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى) الواو للقسم والنجم عام لكل نجم او المراد به الثريا علمته عليه او المراد به نجوم القرآن المنزلة عليه وهوى بمعنى غرب او انقض او طلع او نزل عليه وحيه واقسم به لوقوع ذلك ليلا وله تعالى ان يقسم بما شاء او التقدير ورب النجم والكلام عليه مبسوط فى التفاسير اذا علمت ما ذكر من النص (فلا خلاف بين المسلمين فى صحة الاسراء به عليه الصلوة والسلام) بحسب النقل الشاهد له العقل والمسلمون يجمعون عليه وانما اختلفوا فى كونه يقظة او مناما كما سيأتى (اذ هو نص القرآن) تعليل لعدم وقوع الخلاف فيه بعد نص القرآن الذى لا يجحده مسلم (وجاءت بتفصيله) بعد ما اجمله النص (وشرح عجائبه) الواقعة فيه (وخواص نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فيه) اى ما خصه الله به فى الاسراء (احاديث كثيرة منتشرة) وفى نسخة احاد كثيرة ومعنى منتشرة ادها متفرقة فى كتب الاحاديث باسانيد مختلفة (رأيا) من الرأى وهو النظر والتدبر فى الامور المهمة بعد ما رأيا جمعها يطول ويعسر (ان نقدم اكملها) اى الحديث الذى هو اكملها اى اجمعها لهذه القصة واصحها والمراد بتقديمه اختياره

كما فى قوله * فقلت له هاتيك لعمى انها * ولا تنتس ان المهم المقدم * وهذا رواه مسلم فلذا جعله اصح من غيره بناء على رأى المغاربة من انه اصح من البخارى (ونشير الى زيادة من غيره) اى من غير هذا الحديث وقعت روايتها لغير مسلم وهى مهمة (يجب ذكرها حدثنا القاضى الشهيد ابو على) هو الحافظ بن سكره وقد تقدمت ترجمته (والفقيه ابو بحر) بالباء الموحدة المفتوحة والحاء المهملة الساكنة ابن القاص الامام المشهور (بسماعى عليهما) اى بسماعى ممن يقرؤ عليهما فان حديثا يختص بالسماع عند الجمهور وبعضهم يجعلها تسمل السماع وغيره فذكر المصنف هذا لدفع توهم غيره (والقاضى ابو عبد الله التميمى) وهو محمد ابو عبد الله بن عبسى التميمى استاد المصنف الذى تفقه عليه واليه اشار بقوله وغيره واحد من شيوخنا والشيخ فى الاصل معناه الكبير سنا ثم صار فى العرف اسما لمن يقرؤ عليه الناس ويستفيدون الناس منه لانه فى الاكثر لا يصل لهذه المرتبة الا من كبر سنه وكان فى العصر الاول يقال لابى بكر وعمر رضى الله عنهما شيخا الاسلام كما ذكره السخاوى (قالوا حدثنا ابو العباس العذرى) بضم العين المهملة وسكون الذال المعجمة والراء المهملة نسبة لبنى عذرة قوم من العرب مشهورون وفى بعض النسخ بواو بدل الراء وهو تحريف من الناسخ قال (حدثنا ابو العباس الرازى) تقدمت ترجمته قال (حدثنا ابو احمد الجلودى) تقدمت ترجمته وانه يجوز فيه ضم الجيم وفتحها قال (حدثنا ابو سفيان) تقدمت ترجمته قال (حدثنا مسلم ابن الحجاج) صاحب الصحيح الامام المشهور قال (حدثنا سيبان) بالشين المعجمة المفتوحة والمثناة التحتية الساكنة والباء الموحدة (بن فروخ) بفتح الفاء وتشديد الراء المهملة المضمومة وواو ساكنة وخاء معجمة وقال ابن حجر فى التبصرة انه بدون واو والذى نعرفه فى لغة العجم انه بالواو فان صح ما قاله فلعله تغير بعد التعريب ومعناه السعيد طالعة وهو علم غير مصروف للعلمية والعجمة وقول البرهان انه ضبط فى بعض النسخ بالتنوين خطأ لا يدخى ذكره وكذا قول التلمسانى انه يصرف ولا يصرف وصرفه اكثر (وقال صاحب المعين انه اسم لابراهيم الخليل عليه الصلوة والسلام وهو ابو العجم كما فى المطالع ونقله النووى فى شرح مسلم وتبعه صاحب القاموس وهو ابو محمد الحنطى الايلى روى له اصحاب السنن وهو امام ثقة توفى سنة خمس وثلاثين ومائتين وترجمته فى الميزان قال (حدثنا حماد بن سلمة) بن دينار احد اعلام المحدثين وهو ثقة صدوق لكنه قد يغلط توفى سنة سبع وستين ومائة ترجمته فى الميزان قال (حدثنا ثابت السانى) بضم الباء الموحدة نسبة لحى من العرب يقال لهم بنانة ونونه مخففة وهو ابن اسلم رأس العلماء العابدين فى عصره توفى سنة سبع وعشرين ومائة وعمره ستة وثمانون وهو ثقة ثابت كاسمه خرج له اصحاب الكتب الستة وله ترجمة فى الميزان (عن انس بن مالك) صاحب

رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال اتيت بالبراق) نسبة علام وهو من دواب الجنة سمي به لشدة بريقه ولمعانه اولسرعته كالبرق الخاطف كما مر (وهو دابة) اى على صورتها وهى فى عرف اللغة دوات الاربع واصل معناها وضعا كل مايدب اى يتحرك ويمشى من ذوات الارواح وهو يذكر ويؤنث (ابيض طويل فوق الحمار ودون البغل) اى فى الجثة وابيض خبر بعد خبر لاصفة دابة وطوله باعتبار مابين عنقه وذنبه لانه اعون فى مدخطوه وليس المراد طول قوائمه وقيل انه بادى البشرة خده كخد الانسان وعرفه كالفرس وقوائمه كالابل واطلافه وصدره كالبقر وصدره ياقوت لايشبه الدواب قال ابن المنير فى المقتفى انما اوتى له صلى الله تعالى عليه وسلم بالبراق تأييسا له بجريه على العادة والله تعالى قادر ان يرفعه بغير شئ واظهارا لكرامته فان عادة الملوك اذا دعوا من يحبونه بعثوا له بمركوب فى وعادته ولم يكن على شكل الفرس تنبيها على انه حال سلم لاحرب واظهارا للآية فى اسراعه العجيب وليس شكله مما يوصف بالسرعة عادة ولما ركب صلى الله تعالى عليه وسلم البغلة فى حنين اظهارا لثباته وشجاعته وتساوى الحرب والسلم عنده وبغلته بيضاء ايضا كالبراق وقال ابن المنير شهباء والاشهب المائل الى البياض والشاة الرقاء هى البيضاء ومنه البراق ويجوز الجمع فى التسمية بين البياض واللمعان والسرعة (يضع حافره عند منتهى طرفه) الحافر مجازا كالمشفر فان الحافر لايطلق لغير الخيل ونحوها وهذا له ظلف كما للبقر لكنه لقربه من النعل سماه حافرا ومنتهى مصدر بمعنى الانتهاء كما مر والطرف العين والمراد به النظر ولايلزمه ان يصل الى السماء بخطوة كما توهم (قال) صلى الله تعالى عليه وسلم (فركبته حتى اتيت بيت المقدس) بفتح الميم وكسر الدال المخففة وتقدم انه يجوز ضمها وفتح الدال المشددة وانه من التقديس وهو التطهير واختلف هل ركب جبريل عليه الصلوة والسلام معه ام لا فقيل ركب معه لانه ورد فى بعض طرق هذا الحديث فارتكبت على ظهره انا وجبريل وسيأتى التصريح به عن حذيفة وحينئذ فيحتمل انه كان خلفه ويؤكده ماتقدم فى عدة ممن اردفهم ويحتمل انه كان قدامه قال ابن المنير والاظهر اختصاصه بالركوب وقد صرح فى الحديث بان صعوده صلى الله تعالى عليه وسلم كان على البراق ولم يذكر ان هبوطه كان عليه فقال الدميرى ان الله انزله بدونه اظهارا لقدرته وقيل انه هبط به ايضا ولكنه لم يتعرض له اكتفاء بذكر العروج (فربطته) اى البراق (بالحلقة) بفتح الحاء المهملة وسكون اللام وهى معروفة واختلف فى فتح لامها فحوره بعض اهل اللغة وجعله بعضهم خطاء وقال الليثى بالتحريك جمع حالق ككاتب وكتبة (التى تربط بها الانبياء) وروى به فى مسلم وفى السماء لتأويل الحلقة بشئ ونحوه وقالوا امر التذكير والتأنيث سهل وعبر بالمضارع حكاية

للحال الماضية ولم يبين اين كانت الحلقة فقيل كانت بباب المسجد الاقصى والذى فى حديث الترمذى انه صلى الله تعالى عليه وسلم حين انتهى الى بيت المقدس اشار جبريل عليه الصلاة والسلام الى الصخرة فخرقها وربط البراق فيها وهذا هو المعروف ولا اعرف ما قاله عمن نقل ولم يذكر المربوط وظاهر السياق انه البراق بناء على ان الانبياء كانت تركبه وهو الصحيح فان ركبه جميعهم فهو ظاهر والافراد بالانبياء الجنس وانث للجميع فعل البعض وهو جائز واحتمال ان المعنى تربط دوابهم بعيد وكون البراق قوى يمكنه قلع الحلقة بجذبه فلا فائدة فى الربط لا يضر لانه مسخر لا يخالف فعل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه واشارة الى مباشرة الاسباب وانها لا تمنع التوكل وكفاك شاهدا اعقلوا وتوكلوا (ثم دخلت المسجد) الاقصى وعطف بثم للتراخى الرتبى وجعل بعد مرتبة المسجد عن الارض التى لبست بمسجد بمنزلة البعد الحقيقى (فصليت فيه ركعتين) تحية المسجد وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يصلى قبل فرض الصلوة بالاسراء وفرض عليه صلوة اختلف فيها فقيل صلوة الليل وقيل صلوة بالغداة وصلوة بالعشى ونقله ابن الملقن وقال ثم فرضت الصلوات الخمس فى الاسراء من غير تعيين اوقاتها فكانوا يصلونها متى ارادوا مجموعة ومفرقة ثم عينت اوقاتها بوحى من الله (ثم خرجت) من المسجد (فجاءنى جبريل باناء من خمر واناء من لبن) وخيرنى فى شرب ايهما اردت (فاخترت اللبن) فأخذه وشربه (فقال جبريل اخترت الفطرة) وروى احذت الفطرة الجبلة والطبيعة التى فطر الناس عليها وتكون بمعنى الاسلام والاستقامة اى ما اخترته هو الموافق للخلقة الانسانية التى خلق الله الناس عليها وللطبايع المستقيمة فان اللبن شراب لذيذ وطعام نافع موافق للانسان سريع النماء ولذا كان غذاء للاطفال دون غيره وفى حديث آخر هديت وهديت امتك ولو اخترت الخمر لغوت امتك وفى طريق آخر هدى الله تعالى امتك او اصابت وروى ان الآنية كانت ثلاثا واناء فيه ماء وفى رواية اربع هى واناء فيه عسل والاصح ما رواه المصنف وقال ابن المنير التخيير انما يكون بين واجبين كخصال الكفارة او مباحين كجالس الحسن او ابن سيرين او مباحين واجب وممنوع او مباح وممنوع فلا فالتخيير بين الخمر واللبن سواء اريد اباحتهما والاذن فيهما جميعا او اريد الاذن فى احدهما لا بعينه مشكل فما معنى تخييره حتى اختار احدهما وقول جبريل له اصبت الفطرة باختيار اللبن اى ثبت الخلقة عليه وبه نبت اللحم ويسر العظم او اخترته لانه الحلال الدائم فى دين الاسلام واما الخمر فحرام فيما سيستقر عليه الامر والذى يرفع الاشكال ان يكون المراد تعويض الامر فى التحريم والتحليل الى اجتهاده الذى وافق فيه الصواب بناء على جواز الاجتهاد له فيما لم يوح اليه شئ وانه صلى الله تعالى عليه وسلم

معصوم فى اجتهاده بخلاف غيره انتهى واجاب غيره بان الخمر لم تحرم اذ ذاك او انه كان فى السماء وليست دار تكليف اوهى من جملة خمور الجنة وليست محرمة و يجوز ان يترتب عليها غى امته كما تترتب القبائح على بعض المباحات قال ابن المنير واللبن فى الرؤيا يعبر بالعلم ففيه اشارة الى انه لما ملئ قلبه ايمانا وحكمة اردف ذلك بالعلم وجعل شرب ذلك اللبن سببا لترادف العلوم عليه وشحن قلبه وقالبه بالانوار والاسراء وان كان بقصة الا انه ربما وقع فى اليقظة اشارات على حكم الفال تعبر كما يعبر المنام ولذا كان صلى الله تعالى عليه وسلم يحب الفال الحسن وجاء فى الحديث انه قدم له الاناآن قبل العروج وجاء فى حديث آخر انه بعده و يجمع بينهما بان تقديمهما له صلى الله تعالى عليه وسلم وقع مرتين وكرر جبريل تصويب فعله تأكيدا التحذير مما سواه (ثم عرج بنا الى السماء) بفتح العين والراء اى عرج جبريل وصعد وضمير بنا له صلى الله عليه وسلم والبراق اوهوله وجبريل وفى نسخة بى وفاعل عرج البراق والباء للتعدية او المصاحبة وتقدم انه يجوز ضم العين وكسر الراء والسماء هى السماء الدنيا هنا ولم يبينه لظهوره (فاستفتح جبريل) وهو اما يقرع لها او بصوت قيل والظاهر الاول لانهم يعرفون صوته اى طلب فتحها من الملائكة الموكلين لها (فقيل) الموكل بها (من انت) ايها المستفتح (قال) المستفتح انا (جبريل) فهو جبريل مبتدأ مقدر هو انا او المستفتح وفيه اشارة الى ان من دق الباب ينبغى له ان يسمى نفسه ولا يقتصر على قوله انا وان السماء لها ابواب تفتح خلافا للحكماء المانعين للخرق والالتيام عليها (قيل ومن معك قال محمد) عطف على مقدر اى جبريل ومن معك قيل انما استفتح لان معه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولو كان وحده لم يحتج لاستفتاح وقيل انما استفتح تكريما وتأنيسا له وقال ابن المنير استفتاحه لان ابوابها معلقة ولم تفتح الا لاجله صلى الله تعالى عليه وسلم تنويها بقدره ولو صادفها مفتوحة لم يعلم ذلك (قيل وقد بعث اليه) اراد الاستفهام فحذف الهمزة للعلم بها واصله اوقد بعث اليه والنحويون يمنعون حذفها ويحمل كلامهم على انه اذا لم يكن قرينة على الحذف والا فالحديث حجة عليهم كما قاله ابن المنير فى المفتى ولم يرد بالبعث بعث النبوة والرسالة فانه كان معلوما لهم وانما المراد انه بعث اليه للمعراج وقول ابن حجر انه يجوز ان يكون استفهاما عن اصل بعثته بالنبوة والباب لم يطلع عليها لاستعداله بشابه لا وجه له لان المراد سؤاله بيان سبب موجب لفتح السماء له ومجرد بعثه ليست تصلح للسببية الا انه يحتمل كونه تعجبا مما انعم الله به واستبشارا بعروجه وهذا مع ما فيه احسن مما قاله ابن حجر وفيما ذكر دلالته على ان من اذن له فى شئ يقتضى رفع الموانع عما اذن له فيه فمن اذن له بالبيع اذن له فى قبض الثمن والوكيل اذا اذن له فى شئ اذن له فى لوازمه فلذا لم يطلب الباب الاذن له فى الفتح ولذا (قال) جبريل

(قد بعث اليه ففتح لنا) بالبناء للفاعل او المفعول وفي بعض الطرق ان الخازن قال له مرحبا به ولنعم المجيء جاء قال ابن المنير وفيه دليل على ان حاسبة الملك اذا فهموا منه اكرام وافد ان يبشروه وان لم يؤذن لهم فيه وليس هذا من افشاء السر لانه تعرس لرضاه بلان استدعاءه انما هو لاكرام فمحل له بالمسرى ثم عاد فائدة هذا جليلة منقسمة الى متعدية لا يقوم غيره مقامه وان ادى معناه كالاحرام بلفظ التكبير والشهد الى ما لا يجزى لفظه فيقوم مقامه كل ما ادى مؤداه كدعاء الخسارة والقنوت وتسبيح الركوع والسجود ونحوه وهذا انما يعلم من جملة الشريعة اذا علمت هذا فالتحية لسلام هل هو تعبدي من القبيل الاول او من الثاني فيقوم مقامه ما يؤدي معناه كاهلا وسهلا ومرحبا وادا كان بعض المتورعين لا يرد سلام من لم يلفظ به ويقول ليس هذا بسلام يستحق الرد واكثر السلف والخلف على التسمح فيه وهذا الحديث دليل لما قاله المالك حياه بمرحبا ونعم المجيء وكذا من لقيه من الانبياء عليهم الصلوة والسلام ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم (وادا اباذم) عليه الصلوة والسلام (فرحب لي ودعا بخير) اي قال لي مرحبا بك اي جعل الله تعالى مكانك رحبا واسعا وهو كناية عن اكرامه وبره وادا هي العجمية وبدأ بادم عليه الصلوة والسلام لانه اسقههم وجودا (قال ابن المنير في المقتفى اختلف طرق المتكلمين على حديث الاسراء في ذكر الانبياء عليهم الصلوة والسلام وترتيبهم في السموات فمنهم من لم يرد التكلم في سراه اصلا ومنهم من تكلم فيه من مسالك الصوفية وفيه كلام طويل افردنا برسالة لابسط المقام تفصيله ثم اختلف هؤلاء فمنهم من قال انما اختص من اختص من الانبياء بلقائه صلى الله تعالى عليه وسلم على عرف الناس اذا لقوا العائب متدرين للقائه فاعد لك ان يسبق بعضهم بعضا ومنهم من يصادفه ومنهم من لا يصادفه وهذه طريقة ابن بطال في شرح البخاري وذهب بعض سيوح الابدلس الى ان ذلك تنبيه على الحالات الخاصة بهؤلاء الانبياء عليهم الصلاة والسلام وتمثيل لما سيتفق له صلى الله تعالى عليه وسلم كما اتفق لهم مما قصد الله تعالى في كتابه قالوا وهذا يرجع الى ما التعبير عن رأى في منامه نبيا كان ذلك دليلا على حاله فادم عليه الصلاة والسلام تنبيه على الهجرة لخروجه من الجنة بعد لبس وحيلته كخروجه صلى الله تعالى عليه وسلم من مكة لأذية قومه له وللمسلمين وعيسى ويحيى عليهما الصلوة والسلام دليل على ما سيلقاه الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم من ادى اليهود لانهم قتلوا يحيى ورأموا قتل عيسى فرفعه الله اليه وكذلك فعلت اليهود برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذ داروا حول قتله وسموه في ذراع شاة كانت سببا للشهادة في قصته المشهورة ويوسف دليل على ما فعل به قومه مما كان سببا لرفعته وظهوره عليهم ثم احسانه اليهم وعفوه عنهم كما فعل مع عمه

عباس وابن عمه عقيل اذا فداهما وقال يوم فتح مكة ادعفا عن قريش واطلق الطلقاء
اقول كما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم الى آخره ففعل كما فعل يوسف عليه
السلام وهارون دليل على عداوة قومه وان تقلب بعضتهم مودة كما كان هارون عليه
السلام محسا عند بني اسرائيل حتى آثروه على موسى عليه السلام وادريس دليل على كتبه
صلى الله عليه وسلم الى الافاق لانه اول من خط بالقلم مع رفعته وعروجه وموسى دليل
لفتحه عليه السلام مكة وقهر المستهزئين كما فعل موسى بالجبابرة وابراهيم في اسناد طهره
للبيت المعمور كماله في حجه في آخر عمره ولداقيد في آخر السموات انتهى وفيه اشارة
الى حكمة الترتيب في منازلهم ولقياهم وهذا مما ينبغي تأمله فانه مما تفرد به والمشايخ
في ذلك كلام كما مر واشار اليه الشيخ في فتوحاته وقد تقدم ان اليقظة فيها احوال
كالمنام من المثال ونحوه تعبر كما يعبر الرؤيا ولعمر رضي الله تعالى عنه في ذلك امور
كثيرة كقوله اذ سأل رجلا عن اسمه فقال شهاب قال ابن من قال ابن جمرة قال ممن قال
من الحرقة اسم قبيلة فقال اين مسكنك قال بالحرة فقال ابن انت منها قال من ذات لظى
فقال ادرك قومك فقد احترقوا فذهب فاذا النار مشتعلة في بيوتهم وفي هذا الحديث
انه رأى رجلا في سماء الدنيا عن يمينه اسودة وعن شماله اسودة اذا نظر ليمينه ضحك واذا
نظر ليساره بكى يعني آدم وذريته وقد استشكل بانه يعارض قوله تعالى * ان الذين
كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم ابواب السماء * والحديث الصحيح ان
ارواح الكفرة في سجين اسفل سافلين واجيب بان المراد بذلك ارواح العصاة وما
في الآية والحديث المراد به ارواح الكفار الجاحدين وهؤلاء يرجمهم وقد نهى
ابراهيم عليه الصلوة والسلام عن استغفاره لابيه للموعدة التي وعده جعل في صورة ضبع
يدمج حين القائه في النار حين يحزن عليه واجيب ايضا بانه يجوز ان تمثل ارواح الاشقياء
والسعداء ويراهم الى صلى الله تعالى عليه وسلم اذ مثلوا له وان لم تكونوا هناك كما
كان صلى الله عليه وسلم يرى من خلف ظهره وهذا هو الجواب عن الاشكال الآخر وهو
كيف يرى ارواح السعداء والاشقياء وكثير منهم لم يموتوا وما كون المراد بالاسودة العصاة
غير مستقيم لان المسلمين كلهم من اصحاب اليمين وعلم مما مر ان آدم عليه الصلوة
والسلام انما كان في اول السموات لانه اول الانبياء وجودا وليكون اقرب لاولاده
فيظفر لاسودتهم (ثم عرج بنا الى السماء الثانية) فيه ما مر اولا (فاستفتح جبريل)
عليه الصلوة والسلام (فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد) عليه
السلام (قيل قد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابني الخالة عيسى ابن مريم
ويحيى بن ذكريا عليهم الصلوة والسلام فرحبا بي ودعوا لي بخير) بالف التثنية
وفي بعض الروايات اوقد ارسل اليه وهما بمعنى وقوله ابني الخالة لان مريم بنت عمران
اختها ايساع ام يحيى على ما قاله السهيلي وهو الموافق للحديث وارتضى غيره ان
مريم بنت حسة بنت فاقوذا وام يحيى ام ايه زكريا فاقوذا ايضا فاتحدا في الجدة

فيكونا ابنا خالة لان الخالة اخت ام والجدة يقال لها ام واستدل لهذا بقول زكريا لما اراد كفالة مريم عدى خالتها وارتضى هذا السعد فى شرح الكشاف فعلى هذا فى كونهما ابنا خالة تجوز سهل وقال الازهرى يقال هما ابنا عم ولا يقال ابنا خال ويقال ابنا خالة ولا يقال ابنا عمة لان من كان ابن عم انسان كان الاحر ابن عمه ايضا ومن كان ابن خالة انسان كان الاحر ابن خالته ايضا بخلاف ابن الخال وابن العمة وانما كان فى الثانية لانه رفع الى السماء وسيرل منها فجعل فى مكان قريب الى الدنيا مع يحيى لدنته وبينهما من القرابة والمحبة ما لا يوصف ولذا جعلا فى سماء واحدة ولم يكن فى سماء انسان من الانبياء غيرهما وقال ابن المبرد اذا كان عيسى عليه الصلوة والسلام سينزل كانا بمعنى ليحيى وحده (ثم عرج بنا الى السماء الثالثة قد كر مثل الاول فقتح لنا فاذا انا بيوسف) عليه الصلوة والسلام (واذا هو قد اعطى شطر الحسن) تقدم معناه وان الشطر النصف (فرحب بى ودعا لى بخير) لم يذكر الدعاء والقول بانه قوله مرحبا لا وجه له فانه لا يسمى دعاء ولما كان اقوله صلى الله تعالى عليه وسلم دليلا على مفارقة اهله ووطنه على وجه يؤذن بغربة ونصرة وهو بعد العشرة والدعوة فهو اثالث من اطواره رآه فى الثالثة وقد تقدم بسطه (ثم عرج بنا الى السماء الرابعة وذكر مثله فاذا انا بادريس) عليه الصلوة والسلام (فرحب بى ودعا لى بخير قال الله تعالى ورفعناه مكانا عليا) والمراد فى الوحى عليه عليه الصلوة والسلام بعد الهجرة واظهر المؤمنون سعائر الاسلام وهو طور رابع رأى ادريس فى الرابعة لشهرة علمه وكتابته وفيه عز الاسلام وكمال رفعته وفى تلاوة الآية ايماء لهذا وادريس اسمه اخنوخ بالعبرية وهو سبط شيث وجد ابى نوح وهو المعلم بالحكمة لانه اول من نظر فى النجوم وخط ودرس وقال له صلى الله تعالى عليه وسلم فى الرواية المشهورة مرحبا بالاخ الصالح والنبى الصالح وفى اخرى سادة بالابن الصالح وهو الظاهر وقد استشكل كونه احيا مع انه حد اعلى حى قال بعضهم ان ادريس الذى لقيه غير ادريس هذا وهو الياس وروى هذا عن ابن مسعود وعلى هذا لا اشكال وقيل المراد احوة النبوة والاسلام واختلف فى رفع ادريس الى السماء هل هو بعد موته كما يرفع سائر الانبياء او فى حياته كعيسى ففى قصص الانبياء ان الملائكة عليهم الصلوة والسلام احبته لكثرة عبادته فسأل ربه ان يذيقه الموت ملك الموت حتى يهون عليه فاذاقه ثم احيى ثم سأله ان يورده النار ليزداد رهبة فاورده ثم خرج منها فسأله ان يدخله الجنة ليزداد رغبة فيها فادخلها فلما قيل له اخرج قال يارب انى ذقت الموت ووردت النار ودخلت الجنة وقد وعدت من دخلها ان لا يخرج منها ابدا فاوحى الله تعالى اليها دعه فانى فعلت ما فعلت فبقى فى الجنة فى انسماء الرابعة نقله ابن المبرد وسه على وجه كونه فى الرابعة على الاصح وقيل انه فى الثانية وقيل فى السادسة (ثم عرج بنا الى السماء الخامسة

قد ذكر مثله هذا ناهارون) عليه الصلاة والسلام (فرحب بى ودعالى بخير) جعل فى الخامسة لانه كالوزير لموسى عليه الصلوة والسلام لايفارقه فلذا كان فى جواره (ثم عرج بنا الى السماء السادسة فذكر مثله هذا انا بموسى) عليه الصلوة والسلام (فرحب بى ودعا بخير) لما كان اجل الانبياء بعد ابراهيم عليه الصلوة والسلام وكتابه اعظم الكتب قيل القرآن وجاهد فى الله وطعن عالم يطعن به غيره رفعت مرتبته على غيره وترقى فى حظائر القدس تحت منزلة الخليل فكان فى السادسة (ثم عرج بنا الى السماء السابعة فذكر مثله فاذا انا بابراهيم) عليه الصلوة والسلام لما كان ابراهيم افضل الابناء قبل نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وهو خليل الرحمن كان ارفعهم منزلة وبادكرناه فى وجه التخصيص والترتيب هو بالنظر للظاهر نظرا لمناسبة الحال نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وما استدل به عليه ولعل هناك مناسبة اخرى بين اهل كل سماء ومن فيها من الرسل وهذا مما لانعرفه (مسندا ظهره الى البيت المعمور) وهو بيت تطوف به الملائكة وتحج له للعبادة وهو محاذ للكعبة ويسمى الضراح بضم الضاد المعجمة وراء وحاء مهملتين وسمى معمورا لكثرة الملائكة فيه قال التلمسانى قيل وفيه دلالة على ان الافضل فى غير الصلاة اسناد الظهر للقبلة وقيل الافضل استقبالها وعلى هذا لعله اسند ظهره ليتوجه للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ويخاطبه بما مر وانما اسند ظهره للبيت لانه الذى اول من بنى الكعبة من الناس اولا (واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك لايعودون اليه) لان الحجة مرة كفرض الحج عليها اولاشعار غيرهم بكونه فى السابعة حذاء العرش هو الاصح وقيل انه فى الرابعة (وذهب بى الى سدرة المنتهى) لم يقل عرج لانها فى السماء السابعة وتقدم معنى سدرة المنتهى (ورقها كاذان الفيلة) بكسر الفاء وفتح اللام التحتية جمع فيل وانما شبهه لها وان لم يكن بارض الحجاز لانها كثيرة فى بلاد الحبش وهم كثيرا ما يأوبها للتجارة واليها كانت الهجرة الاولى فهم يعرفونها والا فما شبيه بما لايعرف عادة غير مقبولة (وثمرها كالقلال) جمع قلة وهى الجرة وشبهها بها لعظم طلعها ولطف ورقها وطيب ثمرها وحسن رايحته وان كان سجر الجنة انما يحكى امور الدنيا صورة والفرق بعيد (فلما غشيها) اى طرأ عليها وعطاه (من امر الله) الظاهر ان المراد بامر الله وحيه او تجليه لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فابهما بذلك اشرق عليها نور الهى فرهت به وحسنت حسنا لاينعت ونورا لايمكن ان تقابله الابصار لهوله وعده (ماغشى) اى امر عظيم عنى فان الابهام بمثله يفيده كقوله تعالى * الحاقة ما الحاقة * وامثاله (تغيرت) اى عن حالها التى كانت عليه (فما احد من خلق الله يستطيع) ويقدر (ان ينعتها من) اجل (حسنها) الذى طرأ عليها لكونها من اسحار الجنة المعتدة لاشراق تلك الانوار عليها ولو كانت من اسحار

الارض احترقت كما صار الجبل دكا ويدل على ما قلناه قوله (فاوحى الله الى عما اوحى)
وفى هذا الابهام تعظيم لطرق الكناية الابهامية حتى كانه مما لا يمكن ان يدرك فيسمت
وفى هذا الموصول وتعريفه اشكال اجبنا عنه فى حواشى التسهيل لان ما موصولة
تتعرف بالعهد الذى فى الصلة فاذا كانت كذلك كيف تكون الجملة معهودة معروفة
وقيل المراد بها الملائكة التى تعشاها فانه شاهد على كل ورقة منها ملكا وقيل فراش
من ذهب وجواهر نزل عليها اوحراد من ذلك وقال مجاهد رفرف اخضر وقيل
طيور خضر وانما نهى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن قطع السدر لذلك وفسر
ما اوحى بقوله (ففرض على) وعلى امتى (خمسين صلاة) تكون (فى كل يوم وليلة) وقيل
ما اوحاه اليه مبهم لا يعلمه احد وقيل سورة الم نشرح وقيل ان الجنة حرام على الانبياء
عليهم السلام حتى يدخلها هو صلى الله عليه وسلم وعلى الامم حتى يدخلها امته وقال
السيوطى فى الخصايص فرضت الصلاة خمسين والغسل من الجنابة وغسل
نجاسة الثوب سبعا سبعا والوضوء لكل صلاة (فنزلت الى موسى) عليه الصلوة والسلام
انما قال نزلت لانه كان فى السادسة والوحى فى السابعة وتحطى ابراهيم ونزل له لبساوره
لانه يعلم ما فى شريعته من الاحكام والصلوات ومارس من ذلك اكثر من ابراهيم
لانه لم يفرض على امته ما فرض على امة موسى عليه الصلوة والسلام (فقال ما فرض
ربك على امتك) قال اولا فرض على وقال هنا على امتك لان ما فرض على النبى
فرض على امته ففيه احتباك وهو من انواع البديع وهو ان يذكر شيئين يحذف
من كل منهما ما ذكر فى الاخر فحذف من الاول وعلى امتى ومن الثانى على ووقع
فرض الصلاة فى السماء لانها اعظم العبادات ففرضت فى اجل المواضع وبين الله
فرضها بنفسه من غير واسطة ملك اعتناء بشانها ولذا قيل يكفر تاركها وذهب
الشافعى الى انه يقتل كما سيأتى (قلت) فرض (خمسين صلاة) منصوب لانه تمييز
(فقال ارجع الى ربك فاسئله التخفيف) منها رفع بعضها وانما اشار عليه بذلك
لمحبته له وحمله له ما يليق بنفسه وقيل ذلك لانه سأل الله تعالى ان يكون من امته
لما رأى فى التورية مما لامته صلى الله تعالى عليه وسلم من الكمال فقال يارب من هؤلاء
قال امة احمد فقال يارب اجعلنى منهم فحسى ان يفرض عليهم تكاليف شاقة وهو
منهم فيقصر فيها وقال السراج البلقينى انما قصد موسى تكرار رؤية محمد عقب
رؤيته لله بعينه كما قيل *لعلى اراهم اوارى من يراهم* وموسى عليه الصلوة والسلام
وان كان يرى الله فى الاخرة لكن رؤيته روحانية وهى ليست جسدية عينية ولا تتيسر
فى كل حين فان امر يحتاج ما قاله البلقينى الى ثبوت تجدد رؤيته فى كل مرة يعنى
رؤية محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لربه وقال مصلح الدين اللارى ما قاله البلقينى
لا يتوقف على تجدد الرؤية ويكفى حصول اصلها (قال امتك لا يطيقون ذلك)

خص الامة اشارة الى انه صلى الله تعالى عليه وسلم يطيق ذلك لما رزقه الله تعالى من قوته على عبادته ولذا كان يواصل الصوم وقد نهى عنه ومعنى لا يطيقونه انه يشق عليهم فيقصرون فيه لا انه محال حتى يقال انه مبنى على تكليف المحال وهو جائز وفائدته الاخذ في مقدماته حتى يعلم امتثاله و يطيقون بضم اوله مضارع اطاقه (فاني قد بلوت بني اسرائيل وخبرتهم) عطف تفسير لان الابتلاء بمعنى الاختبار والامتحان يقال خبره يخبره كقتله يقتله وفيه مقدراى خبرتهم مع قوة اجسادهم وطول اعمارهم فلم احدلهم صبرا على ذلك فكيف حال امتك وفي نسخة قبلك (فرجعت الى ربي فقلت يارب خفف عن امتي) مفعوله محذوف للعلم به اى ما فرضته عليهم من الصلاة ولم يقل وعني لما مر او حياء منه بسؤاله لنفسه (فحط عني خمسا) منها واصل الحط معناه تنزيل الحمل فشبهه بالحمل تشبيها مكنيا كما قال الله تعالى * لا تحملنا ما لا طاقة لنا به (فرجعت الى موسى فقلت) له (حط عني خمسا) منها (فقال ان امتك لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك فاسئله التخفيف) وفي نسخة فما سئله (قال فلم ازل ارجع بين ربي) تعالى (وبين موسى) اى بين موضع مناجاتي له تعالى وملا قاتي لموسى عليه الصلوة والسلام (حتى قال) الله تعالى لما انتهى التخفيف الى خمس (يا محمد انهن خمس صلوات كل يوم وليلة) استدل به الشافعية على عدم وجوب الوتر وجوابه مسطور في كتب الفروع الحنفية (لكل صلاة عشر فتلك خمسون) في الثواب والاعتبار لان الحسنة تعتبر امثالها كما سيأتي تحقيقه (ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة) واحدة لبته على عملها (فان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب سيئا فان عملها كتبت له سيئة واحدة) الهم القصد من غير تصميم فان صمم فهو عزم وقد ذهب الماتريدي الى انه يأثم بالعزم المصمم وهذا الحديث محمول على الاول وانكار بعضهم المؤاخذة بالعزم مردود بالنصوص الصريحة كقوله تعالى * ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب اليم * والكاتب الملائكة فتكتب حتى ما في القلب كما قاله الطيبي وفي حديث مسلم القدسي كتبها الله تعالى عنده عشر حسنات الى سبع مائة الى اضعاف كثيرة وهو صريح في ان المضاعفة تزيد على العشر ولا تقف على سبعمائة وقول القرطبي انها لا يجاوزها مردود بهذا الحديث المجمع على صحته وتحقيقه كما في الاحياء ان اول ما يرد على القلب الخاطر كالوخطر له صورة امرأة وراء طهره بحيث لو التفت لرآها والثاني هيجان الرغبة الى النظر وحركة الشهوة وميل الطبع المتولد من الاول المسمى بحديث النفس والثالث حكم القلب بان هذا ينبغي ان يفعل بان ينظر اليها وهو يتبع الخواطر والميل والرابع تصميم القلب على الالتفات وعزم النية ويسمى هذا بالفعل وهذه قد يكون لها مداء صعيب فاذا اصغى الى الخاطر حتى طالت مجاولته للنفس

حتى تحزم النية واذا انحزمت فقد يندم و يترك وقد يغفل فلا يعمل وربما يعوقه عائق عنه فهى اربعة احوال وهو حديث النفس ثم الميل ثم الاعتقاد ثم الهم فالخاطر لا يؤاخذ به لانه غير اختيارى وكذا هيجان الشهوة والميل المراد بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم عفى عن امتى ما حدث به نفوسها فحديث النفس خاطر يهجس فى النفس لا يتبعه عزم والثالث وهو الاعتقاد وحكم القلب وهو اما اضطرارى لا يؤاخذ به او اختيارى يؤاخذ به والرابع وهو الهم بالفعل فان لم يعمل به وتركه خوفا من الله تعالى وندما على همه كتبت له حسنة لان همه سيئة وامتناعه منه حسنة لمجاهدة نفسه وان عاقه عنه عائق غير خوف الله تعالى كتبت سيئة لان همه فعل اختيارى له (قال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (فنزلت حتى انتهيت الى موسى) اى انتهى سيرى فوصلت له ولم يقل انتهيت قبل هذا وما قاله هنا اشارة الى انه تمام المراجعة ولا مراجعة بعده (فاخبرته) بما قال الله تعالى له (فقال ارجع الى ربك فاسئله التخفيف) من الخمس (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) فيما قصه من حديث الاسراء (فقلت) لموسى عليه الصلوة والسلام (قد رجعت الى ربى) مرارا وراجعته فى سؤال التخفيف (حتى استحييت منه) اذا راجعه فى السؤال بعد ذلك واعلم انهم اختلفوا فى جواز النسخ قبل التمكن من الفعل والبلاغ وقبل دخول الوقت فذهب اهل السنة الى جوازه وهو مبنى على جواز التكليف بما لا يطاق واستدلوا بانه وقع كما فيما نحن فيه و بقصة الذبيح اذ امره بذبح ولده ثم نسخه قبل تحققه بالفداء ومنعه المعتزلة فمنهم من قال لم يأمره لانه منام ورديا ان رؤيا هم وحى يجب العمل به ولذا باشره ومنهم من قال انما امر بمقدماته من الشد والتل ونحوه ورد بان قوله انى اذبحك يرده و افداء بأباه وقيل انه فعل ولكن انقلبت السكين او قلب عنقه حديدا وقيل ذبح والتحم وهو مكابرة وقالوا ان النسخ قبل البلاغ منا قض والجواب بانه المأمور وقد بلغه ضعيف لانه عام له صلى الله تعالى عليه وسلم ولامته لانا فرض عليه فرض عليهم ولذا قال له موسى عليه الصلوة والسلام ان امتك لا تطيقه وفيه ايضا النسخ قبل البيان لانه لم يبين وقته وعدد ركعاته وهو جائز واعلم انهم يريدون بالمنسوخ حرا التكليف لا نفس الامر كما قدم ووقع فى بعض طرق هذا الحديث ان موسى عليه الصلوة والسلام قال له اسئله التخفيف فانى اعلم بالناس منك فكيف يقول هذا وقد قاسى مع الخضر عليه الصلوة والسلام ما قاسى لما قال انا اعلم الناس منك وكيف يقوله للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والجواب ان مراده علم التجربة والرؤية لما رآه ومثله لا يضر وما قيل من انه حتم لا يدخله النسخ مردود بقوله وقيل ان قوله خمسون اولا بيان لما فى اللوح المحفوظ والمراد انها بحسب الثواب كذلك فلا نسخ فيه والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم

فهمه على ظاهره فراجع ربه فى غاية البعد (قال القاضى) هو شيخه القاضى الشهيد المذكور فى اول السند السابق ولذا لم يسمه استغناء باعادة المعرفة معرفة وتعريفه عهدى (جود) بفتح الجيم وتشديد الواو اى حسن من الجودة ضد الرداءة والحسن ضد القبيح (ثالث) الثانى الراوى (هذا الحديث عن انس رضى الله تعالى عنه ماشاء) اى احسن فى روايته واتقنها اتقانا محكما لان ماكرة موصوفة اى تجويدا شاءه اى بذل جهده وفعل كل ماحل تحت ارادته والمراد ان روايته جيدة خالية عن الاعتراض ولذا اختارها من الروايات وقل ماشاء كناية عن كثرة تجويد ملقى بها بجودة تجويدا كثيرا (وقد خلط فيه غيره) خلط بتشديد اللام وضمير فيه للحديث والخلط ادخال شئ فى شئ والمراد انهم ادخلوا فى حديث الاسراء ما ليس منه كشق الصدر كما سيبينه (لاسيما) اى لامثل روايته وفسرها الرضى رحمه الله تعالى خصوصا وقال الدمامينى رحمه الله تعالى انه لاسند له فيه وشئ منصوب وما بعده يجوز رفعه ونصبه وجره وقد عدها النحاة من كلمات الاستثناء وفيه كلام طويل ميناه فى غير هذا الكتاب ونحن فى غنية عنه (من رواية شريك بن ابى نمر) بفتح النون وميم مكسورة تليها راء مهملة التابعى الصدوق الثقة القاضى المدنى وقد ضعفه ابن حزم رحمه الله تعالى لما وقع له فى حديث الاسراء من الاوهام الاربعة التى اشار اليها المصنف رحمه الله وقيل انها ثمانية وتوفى سنة اربعين ومائة وله ترجمة فى الميزان (فقد ذكر فى اوله) اى بدء ذكر شريك رحمه الله تعالى فى اول حديث انس رضى الله تعالى عنه (محى الملك له) اللام للتقوية لان جاء متعد بنفسه (وشق صدره) عليه الصلاة والسلام (غسله بماء زمزم) وقد تقدم له بالملح وفى رواية بماء الكوثر وقد انكروا عليه روايته هذه وقالوا فيه انه وهم من وجوه تزيد على العشرة منها ما فى سنده قال قتادة رحمه الله تعالى رواه عن انس رضى الله تعالى عنه عن مالك بن صعصعة والزهرى رحمه الله تعالى عن انس رضى الله تعالى عنه عن ابى ذر رضى الله تعالى عنه وشريك جعله عن انس رضى الله عنه من غير واسطة وخالف سياقه سياقهم بالزيادة المنكرة والتقديم والتأخير وقد نبه على ذلك مسلم رحمه الله فى صحيحه وذكره المصنف رحمه الله موافق لقدح ابن حزم فيه الا ان الحافظ ابا الفضل ابن طاهر انتصر له فى جزء مستقل له فيه قال تعليل حديثه بتفرده به ودعوى ابن حزم ان الآفة من شريك اذ لم يسبق اليه لا تقبل قال ائمة الجرح والتعديل ونقوه ورووا عنه وقالوا لا بأس به وحدث عنه مالك رحمه الله وغيره من الثقات وحديثه اذا رواه عنه ثقة لا ضعيف لا بأس به وقد روى عنه سليمان بن هلال وهو ثقة وبفرده بقوله الآتى وذلك قبل ان يوحى اليه لا يقتضى طرح حديثه فوهم الثقة فى موضع لا يقتضى رد جميع ما روى ولو قيل بهذا لزم رد كثير من السلف ولعله اراد

ان يقول بعد ان اوحى اليه فقال قبله انتهى وقد سبق ابن حزم الى هذا الخطابي رحمه الله تعالى وقال النسائي انه قول ليس بالقوى وكان بعضهم لا يحدث عنه وقال محمد بن سعد رحمه الله وابو داود رحمه الله تعالى انه ثقة والحاصل انه اختلف فيه فبعد ما انفرد به شاذا منكرا وقد خالف غيره في مواضع من هذا الحديث منها امكنة الانبياء عليهم الصلوة والسلام وكون المعراج قبل البعثة وكونه مناما وكون سدرة المنتهى فوق السابعة والمشهور انها فيها او في السادسة وفي نهري النيل والفرات وكون اصلهما في سماء الدنيا والمشهور انهما من تحت السدرة وكون شق الصدر عند الاسراء وكون الكوثر في السماء الدنيا وهو في الجنة ونسبة الدنو والتدلي الى الله تعالى وهو لجبريل عليه الصلوة والسلام وكون مراجعته صلى الله تعالى عليه وسلم في سؤال التخفيف عند الخامسة وفي قوله فعلا به الى الجبار وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم راجع بعد الخمس فهذه مواضع مخالفته في السند والمتن الذي قال المصنف رحمه الله تعالى انه خلط فيها وقد اجيب عن بعضها (وهذا) اي المذكور من الشق والغسل (انما كان وهو) صلى الله تعالى عليه وسلم (صبي) عند مرضعته حليمة رضي الله تعالى عنها (وقبل الوحي) واتى بانما ردا لقول شريك رحمه الله تعالى انه كان ليلة الاسراء واجيب عنه بان الشق وقع مرارا مرة وهو صلى الله عليه وسلم طفل صغير يلعب مع الصبيان لازالة حظ الشيطان معه كما مر ومرة وهو صلى الله عليه وسلم ابن عشر سنين لازالة الطفولية عنه ومرة عند البعثة ليثبت قلبه بالوحي وليلة الاسراء ليقوى عليه وزيد خامسة ضعفها ابن حجر رحمه الله في شرح البخاري وصحح هو والبرهان والحلبي الاربعة الاول (وقد قال شريك في حديثه وذلك قبل ان يوحى اليه) اي شق صدره صلى الله عليه وسلم قبل البعثة (وذكر قصة الاسراء) فقال سمعت انس بن مالك رضي الله عنه يقول ليلة الاسراء جاءه ثلاثة قبل ان يوحى اليه وهو نائم في المسجد ثم لم يرهم صلى الله عليه وسلم حتى اتوه ليلة اخرى الخ وقد اجيب عنه بان قبل متعلق بجاءه فيحتمل ان مجيئهم بعد ذلك بسنين لا بليالي فلا خطأ فيه (ولا خلاف انها) اي ليلة الاسراء (كانت بعد الوحي وقد قال غير واحد انها كانت قبل الهجرة بسنة وقيل قبل هذا) هذا اشارة الى الخلاف في سنة الاسراء وزمنها فقيل كانت ليلة سبع وعشرين من ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة وقيل قبل البعثة بخمس سنين وقيل بعد البعثة بخمسة عشر شهرا وقول شريك رحمه الله تعالى انه قبل ان يوحى اليه علم منه لا ان يقال هذا الاسراء كان مناما غير هذا كالذي روى عن عائشة رضي الله تعالى عنها انه كان بالمدينة فانه منام ايضا قال ابن المنير رحمه الله تعالى في المقتفى رجح القاضي عياض رحمه الله تعالى انه كان قبل الهجرة بخمس سنين ولا يرد عنه

ان خديجة رضى الله عنها كانت تصلى معه وقد اختلف فى مدة وفاتها قبل الهجرة على اقوال اقلها انها ثلاث سنين والصلوة لم تفرض الا فى الاسراء لان هذه الصلوة غير المفروضة كالتى صلاها فى بيت المقدس وصحح ابن المنير رحمه الله تعالى الاول لان قوله غيره تقدير وقوله تحديد وهو قول الحربى رحمه الله تعالى لانه عين ليلة معينة من شهر معين من سنة معينة واذا تعارض خبران احدهما احاط بتفصيل القصة كان اولى لانه يدل على ان راويه احفظ واوعى قلبا كقول الفقهاء ان الشهادة المورخة تقدم وكانت تلك الليلة ليلة الاثنين كما قال ابن المنير رحمه الله تعالى وكان مقدمه صلى الله تعالى عليه وسلم للمدينة الشريفة يوم الاثنين من ربيع الاول ثانى عشرة قبل الضحى وقيل عند استواء الشمس واذا كان الثانى عشر الاثنين كان اوله الخميس واول شهر الاسراء السبت او الاحد او الاثنين لان بين كل يومين متقابلين من سنتين متواليتين اما ثلثة ايام او اربعة او خمسة ولذا تكون الوقفة من كل سنة خامس يوم الوقفة التى قبلها لمو رابعة او سادسة واعدل الاحتمالات الخامس فالجمعة يعقبها الثلاثا والاثنين يعقبها الجمعة وقد يكون الرابع وقد يكون السادس وذلك بحسب تمام الشهور ونقصها فبناء على اقل الاحتمالات اول ربيع الاول من سنة الاسراء الاثنين واول الآخر منه الاربعا بفرض ربيع الاول تاما فالسابع والعشرون منه يوم الاثنين ليوافق مولده صلى الله تعالى عليه وسلم ومبعثه ووفاته عان يوم الاثنين فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم كيوم الجمعة لآدم عليه الصلوة والسلام فانه فيه خلق ونزل الى الارض فيه وتاب الله عليه فيه ومات فيه وقيل انه كان ليلة الجمعة لقضائها ثم ان كونها ليلة سبع وعشرين موافق لليلة القدر فانها ليلة سبع وعشرين من رمضان على الاصح والحاصل انه قيل ان الاسراء قبل الهجرة بسنة وقيل بسنة وكسر وقيل بعد البعثة بخمس سنين وقيل قبل الهجرة بخمس سنين واختلف فى شهره فقيل انه شهر ربيع الاول وقيل الآخر وقيل رجب وقيل رمضان وقيل شوال وقيل قبل نقض الصحيفة وقيل بعد ليلة سبع وعشرين او سبع عشر او اثنى عشر ليلة الاثنين او الجمعة وفى الهدى السوى ان ابن تيمية رحمه الله سئل هل ليلة الاسراء افضل ام ليلة القدر فاجاب بان القائل ان ليلة الاسراء افضل ان اراد انها وظائفها من كل عام افضل فلا وجه له وان اراد انها بخصوصها افضل لانه حصل له صلى الله تعالى عليه وسلم فيها مالم يحصل له فى غيرها ومالم يحصل لغيره فهو صحيح ان سلم ما انعم الله به عليه صلى الله تعالى عليه وسلم افضل من انزال القرآن وهو يحتاج الى علم بحقايق تلك الامور انتهى (وقد روى ثابت عن انس رضى الله تعالى عنه من رواية حماد بن سلمة ايضا) اى كما روى عنه قصة الاسراء مجئ جبريل بالنصب مفعول روى (الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يلعب مع الغلمان

عند طئره) بكسر الظاء المشالة وسكون الهمزة والراء المهملة والهاء وهى المرضعة التى لبست بام وهى حليمة السعدية (وشقه) مصدر منصوب معطوف على مجئ (قلبه) مفعول الشق (تلك القصة) بدل من مجئ بدل اشتمال وفى نسخة بتلك اى معها (مفردة من حديث الاسراء) وفى نسخة مفردة وهو منصوب على الحال (كما رواه الناس) غير شريك وهم اكثرا لحفاظ المحدثين (بجود) من ضبطه اى هذا الراوى المميز بين القصتين كما اشار اليه بقوله (فى القصتين) اى قصة الاسراء وقصة شق القلب وهو طفل رضيع فلم يخلط احديهما بالاخرى (وفى ان الاسراء الى بيت المقدس والى سدرة المنتهى كان قصة واحدة) لا قصتان كما فى رواية شريك وغيره ممن جعل صعوده صلى الله تعالى عليه وسلم الى السماء معراجا آخر (وانه وصل الى بيت المقدس ثم عرج به من هناك) اى صعد به الى السماء من البيت المقدس لانه ارفع مكان فى الارض (فازاح) بزاى معجمة والف وحاء مهملة اى ازال واذهب (كل اشكال) اى مشكل (اوهمه) اى اوقعه فى ذهن الناس ووهمهم (غيره) اى غير ثابت كشريك الذى وقع فى روايته الوهم والتخليط السابق بيانه (وقد روى يونس) بن يزيد الايلى القرشى وفى يونس كيوسف لغات تقدمت مع ترجمته وهو يروى عن الزهرى ونافع وتوفى بمصر سنة تسع وخمسين ومائة (عن ابن شهاب) محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زيد بن مرة الزهرى التابعى رحمه الله تعالى لقى عشرة من الصحابة توفى ليلة الثلاثا لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة اربع وعشرين ومائة ودفن بالشام بقرية تعرف بالشعب واوصى بدفنه على قارعة الطريق لتدعوله المارة وكان احفظ اهل زمانه واحسنهم سياقا لمتون الاحاديث فقيها فاضلا كاملا (عن انس) بن مالك خادم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد قدمنا ترجمته (قال كان ابوذر) الصحابى الغفارى (يحدث ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال فرج سقف بيتى) بضم الفاء وكسر الراء اى سقف اورفع جانب منه حتى صار مكشوفا فاينزل منه الملك المرسل اليه ولم يأته من الباب وقد قال تعالى *وأتوا البيوت من ابوابها* قال ابن المنير تنبيها على المبالغة فى المفاجأة وان استدعاءه للكرامة كان بدا من غير ميعاد وقيل انه ليتيقن كونهم ملائكة اوهو تمهيد لشق صدره صلى الله تعالى عليه وسلم والتئامه من غير تألم لشق السقف كما تقدم قبل وكان حلفاء بنى العباس اذا نصبوا خليفة نقبوا جداره واخرجوه منه تنويها بامره وانه لم يكن يطلب منه والبيت لا يهاء واضافه اليه لادنى ملابسة وروى انه كان بالحطيم وروى بسطحاء مكة فاين كان مرارا فظاهر والايحتاج للجمع (فنزل جبريل) عليه الصلوة والسلام (ففرج صدرى) بفتح الفاء والراء وقد تقدم ان شق الصدر وقع مرات منها هذه فلا اشكال فيه

(ثم غسله) اى صدره (من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب) تقدم بيانه وما فيه (ممتلئ حكمة وايمانا) تقدم تفسيره وانه بباء على التجوز اى ملئ نورا يشوعنه ما ذكر او الله تعالى قادر على تجسيم المعانى والاعراض كما قيل فى وزن الاعمال وذكر الطست وان كانت مؤنثة لتأويلها بالاناء فان كان قوله (فافرغها) ضميره للطست رعاية للفظه فتقديره افرغ ما فيها يقال افرغت الاناء وفرغته تفريغا اذا صببت ما فيه ويجوز كون الضمير للحكمة لدخول الايمان فيها اولانه عطف تفسير (ثم اطبقه) اى الصدر اى اعاده محله اسارة الى شقه والتيامه بغير آلة وقيل شق بمنقار الملك وخيط بمخيط لما ورد كنت ارى اثر المخيط فى صدره (فائدة) قال ابن الجوزى فى كتاب الوفاء بعد ما ذكر حديث ولدت محتونا ولم ير احد سوأتى فان قيل فلم يولد مطهر القلب من حظ الشيطان حتى شق صدره واخرج قلبه قلت قال ابن عقيل لان الله سبحانه احق ادون التطهيرين التى جرت العادة ان تفعله القابلة والطبيب واطهر اشرفهما وهو القلب واطهر آثار التحلى والعناية بالعصمة فى طرقات الوحى (ثم اخذ بيدى فعرج) بنا (الى السماء فذكر القصة) بتمامها واخذه بيده يحتمل انه على حقيقته وان تكون كناية عن جعله شارعا فى العروج (وروى قتادة) ابن دعامة ابو الخطاب السدوسى الضرير اعلم الناس بالفقه والقرآن والحديث توفى سنة سبع عشرة ومائة وعمره ست وخمسون بواسط ونسب للتدليس ولبس كذلك (الحديث) مفعول روى (بمثله) اى بمثل الرواية المذكورة (عن انس عن مالك بن صعصعة) الخزرجى المازنى روى له البخارى واصحاب السنن حديث الاسراء قال وروى خمسة احاديث (وفيها) اى فى رواية قتادة المفهومة من قوله روى (تقديم وتأخير وزيادة ونقص) عن غيرها من الروايات (وخلاف فى ترتيب الانبياء فى السموات وحديث ثابت عن انس اتقن واجود) اى اكثر اتقانا وجودة منها فى الروايات ولذا اختاره المصنف رحمه الله تعالى خلافا للنووى اذ رجح رواية قتادة كما عرفت (وقد وقعت فى حديث الاسراء زيادات) من الرواة فى بعض طرقه (نذكرها نكتا مفيدة فى عرضها) من تأليف هذا الكتاب وايراد حديث الاسراء النكت بضم النون وفتح الكاف والتاء المثناة جمع نكتة وهى ما يكتب من الارض وما يكون فى الكون مما يخالفه كالنقطة فاستعير لكل معنى دقيق يحصل بالفكر اما لخفته لغيره او لكون الفكر يخط فى الارض وشاع حتى صار حقيقة عرفية فى ذلك وقد يجمع على نكات ايضا (منها) اى من النكت المفيدة (فى حديث ابن شهاب) الزهرى الذى تقدم آنفا ومنها خبر مقدم وفى حديث الى آخره صفة مبتدأ مقدر وجار حذف الموصوف بوصف غير مفرد لانه بعض اسم مجرور بمن قبله لان المعنى من النكت الى آخره ومثله جائز قياسا مطردا (وفيه) اى فى حديث

ابن شهاب ولو حذف قوله وفيه كما وقع في بعض النسخ كان احسن والضمير في فيه راجع لحديث الاسراء (قول كل نبي له مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح الا آدم وابراهيم فقالا له والابن الصالح) فانه ليس كل نبي من احداده وفي عمود نسبه لكنه جار منهم عن سبيل الشفقة والمحبة كما جرت العادة ان الاقدم والاسن يقول لغيره ياولدي وفي غير هذه الرواية منهم من قال له الابن الصالح ومنهم من قال الاخ الصالح وقد تقدم انه يسكل قول ادريس له الاخ مع انه جد له صلى الله تعالى عليه وسلم وفي وصفه بالصلاح دون غيره وتكراره وكان الظاهر ان يقال الابن الكريم والنبي العظيم مثلا انه وصف بالصلاح لانه امدح الصفات لانه بمعنى الجدير لكل خير كما قاله السبكي فوصف الابن به بمعنى انه حقيق بمحبة الله ومحبة رسله ووصف النبي به بمعنى انه المستحق بالذات لان يكون نبيا وان كان في العرف لا يمدح به الكبار لان الصلاحية لشيء لا يقتضي الاتصاف به بالفعل ولذا قال ابن المنير رحمه الله ان الله اطلق على كثير من الانبياء انه كان نبيا صالحا ولا يصلح ان يقال لاحد منهم انه رجل صالح لانه يوهم التسوية بينهم وبين آحاد الامم كما انه لا يجوز ان يقال لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم انه ملك وسلطان لايهامه التعظم والتجبر وان كان كذلك في نفس الامر انتهى ولما لم يفهم هذا بعض المفسرين قال ان المراد به مدح الصفة لا الموصوف كما في شروح الكشاف ومنه يعلم ان الصفة قد تكون مدحا في مقام ومن قائل وذما في غيره كصالح ومدارك (وفيه من طريق) البخاري المسندة (عن ابن عباس) رضي الله تعالى عنهما (ثم عرج بي حتى ظهرت) اي علوت وصعدت كما في قوله والشمس في حجرتها لم تظهر اي لم تعل او بعدت كقوله وتلك شكاة ظاهر عنك عارها وفي نسخة ثم انطلق بي حتى ظهرت (بمستوى) بضم الميم وفتح الواو والتاء بمعنى في اوعلى وهو اسم مكان عال اووسط اوواسع منبسط (اسمع فيه) اي المستوى (صريف الاقلام) الصريف بصاد وراء مهملتين وفاء كالصرير وهو صوت حركة الاجرام والمراد صوت القلم على الورق اي انتهى صلى الله تعالى عليه وسلم الى محل سمع فيه صرير اقلام الملائكة الكتبة وهي تكتب ما تنقله من اللوح اومايؤمر بكتابته من الوحي وغيره فالاقلام على ظاهرها قيل ويحتمل ان الجمع للتعظيم وهو صريح في ان اللوح والقلم والكتابة على ظاهرها خلافا لمن تأوله ونحن نؤمن بانه على ظاهره وحقيقته ويجب علينا اعتقاده وهذا عبارة عن غاية القرب منه لان مثله لا يسمع من بعيد وروى لمنتهى بدل بمستوى قال التوربشتي بمعنى انه بلغ من الرفعة لمقام اطلع فيه على التكوين ومايراد ويؤمر به من تدبير الله عز وجل وهذا منتهى لا يرام ولا تصل اليه الافهام ولا ينطق فيه عبر صرير الاقلام (وعن انس) فيما رواه عنه الشيخان (ثم انطلق بي) بالبناء للفاعل والضمير فيه لجبريل عليه الصلوة

والسلام او بالبناء للمجهول (حتى اتيت سدرة المنتهى) تقدم معناه (فغشيها الوان لاادرى ماهى) لكونها ليست مما تشبه الوان غيرها فى الحسن اولان شدة نورها يمنع تحقيقها (قال) صلى الله تعالى عليه وسلم (ثم ادخلت الجنة) وهذا يدل على انها موجودة الآن وانها فى السماء وهو الذى نعتقده بلاشبهة (وفى حديث مالك بن صعصعة فلما جاوزته) اى فارقته وقدتم لى ماتم وفسر ضمير المفعول بقوله (يعنى موسى عليه الصلوة والسلام بكا) لحزنه اذلم ينل هو وامته ماناله صلى الله تعالى عليه وسلم لامنافسة وحسدا لتنزههم عن مثله (فنودى) اى ناداه الله اوالملك وقال له (مايبكيك قال رب) هذا يدل على الاول بحسب الظاهر (هذا علام) اطلاقه هذا عليه وهوذا ذاك كهل اوشيخ لانه فى نحو الخمسين امالانه اسن منه اولانه فى الزمن الاول يعد مثله علاما وقال ابن قرقول معناه القوى وهوغيرقوى (بعثته بعدى يدخل من امته الجنة اكثر ممايدخل من امتى) لما علم عموم دعوته صلى الله تعالى عليه وسلم وتأييد رسالته علم كثرة امته وقدورد انه يراهم فى عرض المحشر اضعاف الامم وقد جور كون بكائه غبطة وهى غير مذمومة كالحسد بل هى ممدوحة لانها من علو الهمة وقيل انه علم من اكثرية امته فى الجنة فضيلته على غيره لانه لازم بين واما كونه على قلة امته فليس بشئ (وفى حديث ابى هريرة رضى الله تعالى عنه) فى الاسراء الذى رواه البيهقى وغيره (وقد رأيتنى) بضم التاء ضمير المتكلم و الرؤية هنا بصرية بناء على الصحيح من ان الاسراء يقظة الا انهم قالوا لا يتعدى عامل لضمير و الفاعل ضمير منفصل الا فى افعال القلوب وما جعل عليها كما مر واجيب بانها لمشابهتها لرأى العلمية لفظا ومعنى لانها جهة ادراك احاروا فيها ذلك و قد سمع كقول عائشة رضى الله تعالى عنها لقد رايتنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه و سلم ومالنا طعام الا الاسودان الماء والتمر وقول الحماسى

* ولقد ارانى للرماح دريئة *من عن شمالى تارة وامامى *

(فى جماعة من الانبياء) اى بينهم اومعهم (فحانت الصلاة) بالحاء المهملة اى دخل وقتها وجاء حينها لابمعنى دنت وقربت كما قيل لانه مجاز قامت لقرينة على خلافه وهذه الصلاة قيل انها العشاء لان الاسراء يكون فى اول الليل كما هو الظاهر لانها كانت معروضة على بعض الانبياء كما رواه المحدثون واختاره النووى قالوا وهذا كان بارواحهم بمثلها اوباجسادهم لانهم احياء ثم ان هذا ان كان بعد الاسراء فهى الصلاة المفروضة لان المعراج تعدد كما سيأتى تفصيله و الافهى تنفل وليس المراد بالصلاة الدعاء كما قيل لان قوله (فامتهم) اى صليت معهم جماعة وانا امام لهم يأباه ظاهرا (فقال قائل) قيل هو جبريل عليه الصلوة والسلام (هذا مالك خازن النار) اى الموكل بها و باهلها (وسلم) مالك (عليه) اى على القائل اوسلم جبريل على مالك وهو

الظاهر ويحتمل ان جبريل امره عليه السلام بالسلام على مالك (فالتفت) اى مالك (فبدأني بالسلام) على والالتفات الانصراف عما كان ينظر اليه لغيره ولو بعقه واتمايدأه بالسلام لانه قادم وليعظمه ويعلمه بامنه منه لتأمين الله له لان السلام امان وسلامة ومالك رئيس خزنة النار وملائكة العذاب ولهم صور مهولة جدا وفي الروض الانف انه صلى الله عليه وسلم لم يلقه احد من الملائكة الا صاحكا مستبشرا غير مالك فانه لم يضحك لاحد قط وهذا ينافيه ماورد انه صلى الله عليه وسلم تبسم في صلاة فسئل عن ذلك فقال رأيت مالكا راجعا من طلب القوم وعلى جناحه الغبار فضحك الي فتبسمت واجيب بان المعنى انه لم يضحك منذ خلقت النار الا في هذه المرة وهذه القصة وقعت بعد الخبر الاول وهذه الرؤية يحتمل ان تكون بصورته الاصلية وبغيرها وفي فتاوى النووي هذه الصلوة يحتمل ان تكون بعد صعوده صلى الله عليه وسلم للسماء ويحتمل ان تكون بعدها والظاهر الاول (وفي حديث ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ثم سار) اى جبريل عليه السلام (حتى اتى الى بيت المقدس فربط فرسه الى صخرة) المراد بالفرس هنا البراق لقرب صورته منها لان الفارس يطلق على مقابل الماشي سواء كان راكبا فرسا او حمارا او بغلا وقد ورد تسمية البراق فرسا في حديث المعراج في رواية اخرى انه اتى بفرس فحمل عليه واحتمال ان يكون جبريل ركب فرسا معه كما جاء في قصة مقاتلة الملائكة معه بعيد والمراد بالصخرة صخرة بيت المقدس التي كانت قبلة قال البرقي في غريب الموطأ انها من غرائب الدنيا فان جميع المياه تخرج من تحتها وهي صخرة صماء في وسط المسجد الاقصى كقبل بين السماء والارض معلقة لا يمسكها الا الله وفي اعلاها موضع قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين ركب البراق ليلة الاسراء فالت من تلك الجهة من هيبته وفي الجهة الاخرى اثر اصابع الملائكة التي امسكتها اذ مالت ولما كان بعضها بعيدا من الارض من بعض وتحتها غار عليه باب يفتح لمن يدخله للصلاة والدعاء وعدى ربط بالى لتضمينه معنى ضم او الى بمعنى الباء او بعد كقوله *الى اشهى من الرحيق السلسل (فصلى) اى جبريل عليه الصلوة والسلام وقيل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (مع الملائكة) لما وجدهم يصلون ثم (فلما قضيت الصلاة) اى تمت وفرغ منها وقضى مبني للمجهول نائب فاعل الصلاة وتاؤه ساكنة للتأنيث وضبط في الشرح الجديد بالبناء للفاعل وضم تائه على انه التفات وهو خلاف الظاهر فان اسند لرواية فيها ونعمت (قالوا يا جبريل من هذا معك) خبر بعد خبر او حال (قال هذا محمد رسول الله) صلى الله تعالى عليه وسلم (خاتم النبيين) والرسل لان نبي الاعم يستلزم نبي الاخص وخاتم بكسر التاء وفتحها بمعنى اخرهم كما مر وقوله في الحديث لا نبوة بعدي الا ما شاء الله المستثنى هو المبشرات ان صحت هذه

الرواية كامر ولايرد عيسى عليه الصلوة والسلام لانه ينزل على شريعته صلى الله تعالى عليه وسلم ولم ينشأ بعده كامر (قالوا وقد ارسل اليه قال نعم) تقدم شرحه (قالوا حياه الله من اخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة) هي تحية ودعاء بالبقاء والسلامة فان حيي واحيى بمعنى ومن زائدة اومبينة للضمير وجعله الملائكة اخا لهم والمراد اخوة الايمان وخليفة لانه خليفة الله في ارضه استخلفه فيها لعمارة الارض وسياستها وتكميل النفوس البشرية وتنفيذ الاوامر الالهية لا لاحتياجه تعالى بل لقصور الخلق عن التلقي بغير واسطة وتاؤه للمبالغة قال التلمساني لايقال للسلطان خليفة الله لان الله حي لايعيب وانما الخليفة لمن يغيب او يعجز وانما يقال له خليفة فقط ان اتبع الشرع والسنة والايقال له امير (ثم لقوا ارواح الانبياء) ببيت المقدس بعد انقضاء الصلاة او بعد العروج في مراتبهم في السماء اي لقي الملائكة ارواح الانبياء وفي هذا دلالة على تشكل الارواح وتمثلها في الملاء الاعلى على ما كانوا عليه في الدنيا من الرتبة ومانقدم ايضا يحتمل هذا (فاثنوا وعلى ربهم) اي اثنى الملائكة على ربهم اذ لاقوا ارواح الانبياء كما تقول اذا رأيت احدا من الصالحين الحمد لله الذي من علينا بلقائك الا ان آخر الحديث يدل على انهم الانبياء عليهم الصلوة والسلام بدليل قوله الاتى كلكم اثنى على ربه وانا اثني على ربي وقوله (وذكر كلام كل واحد منهم) اي من الانبياء (وهم ابراهيم وموسى وعيسى وداود وسليمان عليهم الصلوة والسلام ثم ذكر كلام النبي صلى الله عليه وسلم فقال وانا محمد اصلى الله تعالى عليه وسلم اثنى على ربه فقال كلكم اثنى على ربه وانا اثني على ربي فاقول الحمد لله الذي ارسلني رحمة للعالمين) فيه مخالفة لما ذكر في اول الحديث من الانبياء وهو من باب الابدال لا الزيادة الا ان يكون اقتصرها على الزيادة وقوله الحمد لله دليل على انه تحديث بنعم الله لامدح والعالمين شامل للمسلمين ورحمتهم ظاهرة لسعادتهم في الدارين في معاشهم ومعادهم وللكافرين بامنهم من الخسف والمسخ والاستيصال (وكافة للناس) بيان لعموم رسالته فهو كامر اما صفة مصدر اي ارساله كافة اي عامة كفتهم عن الخروج منها فهو مفعول مطلق لارسلنى او اسم فاعل حال من الياء اي حال كوني كافا للناس فالتاء للمبالغة وكونه حالا من الناس مقدما على على صاحبها المجرور قول ضعيف (بشيرا ونذيرا) اي مبشرا بالخير لمن آمن واتقى محذرا من كفر وعصى وهو حال متزادفة او متداخلة حمل اولا على ما انعم به عليه ثم ثنى بما له من المنافع والفوائد (وانزل على الفرقان فيه تبيان كل شيء) سمي الفرقان لانه يفرق بين الحق والباطل وهو بحسب اللغة عام وخصه العرف بالعلمة وهو مصدر صار بمعنى الفارق او المفرق آياته او انزاله والتبيان بكسر التاء كتلقاء شاذ قياسه الفتح وهو جائز في غير القرآن وكونه مبينا لكل شيء كما قال مافرطنا في الكتاب من شيء

يحتاج اليه من الامور المهمة الشرعية تفصيلا فى بعض واجمالا فى بعض واحالة على الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم اذ امر باتباعه على الاجماع بقوله ويتبع غير سبيل المؤمنين واتباع ائمة الدين وهو شامل للقياس والاجتهاد كما فى الكشاف وغيره من التفاسير (وجعل امتى خيرامة) كما قال كنتم خير امة اخرجت للناس وفسره بقوله تعالى * تأمرون بالمعروف الآية (وجعل امتى امة وسطا) اى عدولا اخيارا حائلين بين العلم والعمل وسائر الصفات التى بين التفريط والافراط استعير من المكان المستوى الحواشى لمذكر (وجعل امتى هم الاولون وهم الاخرون) هم ضمير مبتدأ ويفيد الحصر وليس ضمير فصل لانه لو كان كذلك قال الاولين ومعنى اوليتهم سبقهم الناس فى القيام من القبور وفى دخول الجنة وفصل القضاء وتأخرهم باعتبار الوجود الخارجى وقد فسره بهذا فى حديث البخارى وهو قوله نحن الاولون السابقون يوم القيامة بيد انهم اوتوا الكتاب قبلنا وليس تفسيره بسبق السعادة فى الازل كما قيل بواضح (وشرح لى صدرى) اى وسعه بالعلم والايمان والحكمة واليقين بحيث لا اخرن على امر من امور الدين اوشقه وملاه بانواره كما مر (ووضع عنى وزرى) اى طهر قلبى من حظ الشيطان وعصمنى فلا ارتكب ما لا يرضى الله ولذا قال الله تعالى * ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر * فسوى بين ما تقدم وما تأخر لعدم وقوعهما اوحفف اعباء النبوة والتبليغ باقاصة يديه على قاله الجملتان فى غاية التناسب (ورفع ذكرى) اى جعلنى مذكورا فى الملأ الاعلى وجعل اسمى طرازا للحمد ومقرونا مع اسمه على كل لسان وعلى المنار فى كل اقامة واذان كما قال حسان رضى الله عنه * وضم الاله اسم النبى الى اسمه * اذا قال فى الخمس المؤذن اشهد * (وجعلنى فاتحا) للنبوة اذ خلق روحى قبل الارواح ونباءها قبل كل نبى (فقال ابراهيم عليه الصلوة والسلام بهذا) اى بمجموع ما ذكر وبكل واحدة منها لا بالاول فقط كما قيل (فضلكم محمد) اى زاد فضله صلى الله تعالى عليه وسلم عليكم وقدم المعمول للحصر وقال هذا ابراهيم عليه الصلوة والسلام حطا بالانبياء لما سمع مقالته صلى الله تعالى عليه وسلم (ثم ذكر انه) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اوجبريل فقوله (عرج به) مبنى للفاعل او المفعول (من السماء الدنيا ومن سماء الى سماء) نحوه (كما تقدم وفى حديث ابن مسعود رضى الله تعالى عنه) الذى رواه ابن عرفه فى جزأيه وابو نعيم فى الدلائل (وانتهى بى) اى جبريل عليه الصلوة والسلام اى وصل نهاية عروجه بى او هو مبنى للمفعول (الى سدرة المنتهى وهى فى السماء السادسة) وتقدم ان الاكثر على انها فى السابعة والجمع بينهما بان اصلها فى السادسة وفروعها فى السابعة لانه قيل ان خروج النيل والفرات من اصلها يقتضى انها فى الارض ووردانها فى الجنة قال اى المير رحمه الله تعالى فان قلت كيف اتصالها الارض قلت عكس

ان يكون كالمطر فيغرق ثم يجتمع ويساق كل لمستقره ومجراه ويحتمل ان اصابها في نواحي من الارض عائبة عما شايب عن زيرة متصلة بمبادي هذه الانهار فان منها مالم يقف على ماديه الى الآن قلت يشهد له قصة النيل و بهذا يجمع بين كونها في السماء و الجنة في الارض ﴿ قوله (اليها ينتهي مايعرج به من الارض) بالبناء للمفعول اى ماتعرج به الملائكة عليهم الصلوة والسلام من امور الارض للعرض على الله من امور عبيده (فيقبض منها) بالبناء للمجهول والقاف و الضاد المعجمة قبلها باء موحدة مفتوحة كذا صححوه اى تقبضه الكتبة و تكتبه و من للابتداء والضمير للسدرة والمراد انه عندها يرفع اليهم (واليها ينتهي مايهبط من فوقها) من العرش بواسطة الملائكة المقربين (فيقبض منها) اى يوحى اليهم عليه ولو قيل ضمير منها للملائكة للعلم بهم من السياق كان اظهر (قال تعالى اذ يغشى السدرة مايغشى) اى امر عظيم لايعلم كنهه وظاهر السياق ان المراد بهذا امر الله ووحيه وكان عليه ان يبينه (وقال) ابن مسعود رضي الله تعالى عنه (فراش من ذهب) اى ذهب على صورة فراش وفراش مرفوع عامله مقدر اى عشيها فراش والفراش معلوم (وفي رواية ابي هريرة من طريق الربيع بن انس) الكرى البصري نزيل خراسان التابعي الثقة يروى عن انس رضي الله عنه والرواية عنه مشهورة توفي سنة تسع وثلاثين ومائة (فقيل لي هذه سدرة المنتهى) التي سمعت بها والظاهر ان القائل جبريل عليه الصلاة و السلام و وقع في بعض النسخ السدرة المنتهي بتعريفهما دون اضافة كالاتي اى السدرة التي هي المنتهى فالمنتهى مبدل منها (ينتهي) ويصل (اليها كل احد من امتك حلى) بفتح المعجمة واللام المخففة اى مضى كقوله تلك امة قد خلت وفي نسخة بضم الحاء وتشديد اللام المكسورة (على سبيلك) اى على طريقتك وسنتك اى من مات من امتك مؤمنا سلك عرج بروحه مع الملائكة اليها فيقال هذا منزلك فلان ابن فلان فيؤتى له بصك الامان و بهذا فسر قوله تعالى * ان كتاب الابرار لفي عليين الآية (وهي السدرة المنتهى يخرج من اصلها) اى عروقها الداخلة في الارض (انهار من ماء غير آسن) اى لايتغير طعمه ولونه ورايحته اصلا وان طال مكثه وعدم جريانه وليس المراد نفي التغير في الحال لان كثيرا من انهار الدنيا كذلك وهذا مع عذوبته فان المياه العذبة هي القابلة للتغير واذا كان البحر المحيط بالدنيا مالحا على ماقرره ارباب الطبايع في علم الحكمة (وانهار من لبن لم يتغير طعمه) اى لم يحمض كغيره اذا مكث (وانهار من خمر لذة للشاربين) اى لذة سايغة ليس كخمر الدنيا المرة المستكرهة شربها حتى على من ابتلي بشربها حتى قالوا انقل من القدح الاول (وانهار من عسل مصفى) من القذا والشمع وان لم تمسه نار لانه

لبس رجيع النحل وقئ الذباب (وهى سجرة يسير الراكب فى ظلها سبعين عاما وان ورقة منها مظلة الخلق) بضم الميم وكسر الظاء المشالة وتشديد اللام المكسورة اسم فاعل من اظل مضاف للخلق والمراد الجمع الكثير لاسائر الخلق اذ لايصح هنا وهذا عبارة عن سعة ظلها فان قلت قد تقدم انها كاذان الصلة قلت اجيب بانه فى الشكل ومن قال التشبيه فى الكم فيدما فيه (وعشيها نور) من الانوار الالهية (وعسبتها الملائكة) وهم نور مصور قابل للصور (قال فهو كقوله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى) اى فى تفسير هذه الآية على قول كما مر (فقال الله تبارك وتعالى) ولايخفى مناسبة هذا التمجيد هنا لان تبارك تفاعل من البركة وكثرة الخير الفائض منه ولذا لا تسند هذه الصيغة لغيره والتعالى العظمة والرفعة فى عظمة الربوبية كالمحسوس فانه منزه عنه (له) اى لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم (سل) اصله اسئل خفف وحذف المفعول للعموم اى سل كل ماريد (فقال انك اتخذت ابراهيم خليلا) اى اصطفيته وخصصته بالخلة وسيأتى تحقيقها والفرق بينها وبين المحبة (وعطيته ملكا عظيما) قال ابن المنير الملك العظيم الذى اوتيه ابراهيم يحتمل نبوته واوتيه ذريته كيوسف وسليمان وداود وغيره من ملوك بنى اسرائيل من ذريته كما قال الله تعالى * فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما * وكونه ملك النفس والزهد غير مناسب هنا او المراد قهره صلى الله تعالى عليه وسلم لعصماء الملوك فى عصره كنمرود اذ لا شاهر اعظم من المقهور وجاء فى التفسير ان الملك النبوة فان قلت كيف هذا وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم للاعرابى خفف عليك فلست بملك وقال ابوسفيان للعباس رضى الله تعالى عنهما اذا وقعد على كتاب الفتح فلم يرضها حتى مرت الكتيبة الخضراء التى فيها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكانوا يسمونها الخضراء لكثرة الحديد فيها وهو عند العرب اخضر ولذا قال ابن هانى

*وجحيتم ثمرا وقايع يانعا * بالنصر من ورق الحديد الاخضر*

ورعا سموا السيف بذلك بقلة فقال لقد اصبح ملك ابن ابيك عظيما فقال لاتقل ملكا فانما هو النبوة فلم يرض تسميته صلى الله تعالى عليه وسلم ملكا قلت الملك فى الملك العرفى المذكور فى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم الخلافة بعدى ثلاثون عاما ثم تعود ملكا وما الملك الحقيقى الدينى فليس عنى ومع هذا لايجوز ان يطلق على نبينا وابراهيم عليهما السلام انهما ملكان لان مقام النبوة اشرف وعدمه فيه صلى الله عليه وسلم وفى آبائه من دلائل النبوة ولما سأل هرقل هل كان فى آبائه من ملك وحرصت الخلافة عن اهل بيته لئلا يتوهم انه ملك متوارث انتهى وبهذا يندفع ما يرد على الفقهاء فى تقسيم احكامه الى نبوة وقضا وسلطنة (وكلمت موسى تكليما) اى خصصته بكلامك له من غير واسطة حقيقة كما يشير اليه التأكيد خلافا لمن انكره من المعتزلة كما بين فى الاصول (واحصيت

داود وملكا عظيما) اى ملكا شرعيا لاعرفيا وهو والخلافة العظمى حتى سخرت له الطير والجبال (والنت له الحديد) بحيث كان فى يده كالعجين يتحذمه الدروع (وسخرت له الجبال) وكانت تسبح معه اذا سبح (واعطيت سليمان ملكا عظيما) اى ملكته الدنيا بأثرها (وسخرت له الجن والانس) فكانت الجن تخدمه عليه الصلوة والسلام فى بنائه وغيره فبنت له بيت المقدس بالرخام المزخرف بناء عاليا حتى كان يضئ فى الليلة المظلمة ولم يزل كذلك حتى خربه بخت نصر ونقل مافيه لمملكته بالعراق وكان جميع جنده ورعاياه لا يعصونه فى شئ (والشياطين) وهم مردة الجن فهو من عطف الخاص على العام فكانوا يغوصون البحار ويستخرجون الدر له والجواهر ويعملون له مايريد (والرياح) فكانت تجرى بامره كما يشاء وتحمل كرسيه وبساطه مسيرة شهر عدوا ومسيرة شهر رواحا (واعطيته ملكا لاينبغى لاحد من بعده) كان سأله من الله وهو ملك الانس والجن والرياح فملك مافوق الارض ومانحتها وقد عرض هذا على نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يقبله واختار كونه عبدالله (وعلمت عيسى) وهو صغير (التورية والانجيل) الذى انزل عليه وحفظ التورية وعمل بها لان الانجيل ليس فيه احكام وانما هو حكم وحقائق التوحيد وقيل فيه احكام قليلة بالنسبة للتورية وفى نسخة وعلمت موسى التوراة وعيسى الانجيل (وجعلته يبرئ الاكمه) الذى ولد اعمى بدعائه صلى الله تعالى عليه وسلم باسمك وقال التلمسانى هو الذى لايبصر بالليل ويبصر بالنهار قاله البخارى عن قتادة ولا يعلم هذا فى لغة والمعروف ماتقدم والذاهب البصر بعد الابصار اعمى والاكه الذى سلب عقله بتنزيل البصيرة منزلة البصر اوالذى اعترته ظلمة فعيت بصيرته انتهى وفى كلامه تناقض فان المعنى الاخير هو عين ما انكره فان كان منقولا عن اللغة صح ما قاله قتادة وهو ثقة ليس متهما بالمخارفة فى تفسير القرآن لاسيما وقد تابعه البخارى ومتابعته تعتمد فى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم فكيف اللغة (والابرص) وهو علة مزمنة لايتيسر علاجها الحكماء بها يبيض لون البدن ويصير قبيحا وهو اقبح الامراض بعد الجذام ولذا حور الشافعى رضى الله تعالى عنه مسح النكاح به (واعذته) اى حفظته واجرته (وامه) مريم (من الشيطان الرجيم) لرجم كناية عن اللعن والطرد من رحمة الله ولذا قال ابى اعيذها لك وذريتها من الشيطان الرجيم وسيأتى فى حديث مسلم مامن مولود يولد الا نخسه الشيطان فيستهل صارخا من نخسه الا ابن مريم وامه وكذا نبينا عليه افضل الصلوة والسلام لان المتكلم لايدخل فى عموم كلامه ولانه علم بالحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم ولد مشيرا الى السماء ناظرا لربه ولم يسلط عليه شيطان كما جعل يده وبين مريم وابنها حجابا وهذا غير القرين الذى مع كل احد حتى الانبياء عليهم الصلوة والسلام وفى هذا كلام فى الكشاف وشروحه سيأتى بيانه مع الكلام

على الحديث (فلم يكن له عليهما سبيل) اذ حماهما وعصمهما منه (فقاله ربه) اى لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم لما سمع مقالته وان المقامات العلية سبق لها السابقون من الرسل عليهم الصلوة والسلام (قد اتخذتك حبيبا) هذا فى مقابلة الخلة والمحبة اعظم من الخلة كما سيأتى ولم يذكر مايقابل مابعده لانه معلوم اذ هو لم يرض الملك وقد حاز دعوته صلى الله تعالى عليه وسلم لما هو اعظم من هذا وهو الشفاعة العظمى والقرآن اعظم من التورية والانجيل وابراء الاكمه ونحوه وقد وقع منه صلى الله تعالى عليه وسلم مثله كرد عين قتادة وبرء كثير من الامراض بمس يده الشريفة كما سيأتى وتقدم الكلام على اعاذته من الشيطان (فهو مكتوب فى التورية محمد حبيب الرحمن) وهذا من كلام الراوى كالشاهد لصحة الزيادة المذكورة وفى السبعيات للهمدانى قال ثبت فى الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال هممت ليلة المعراج ان اخلع نعلى فسمعت النداء من قبل الله تعالى يا محمد لاتخلع نعليك لتشرف السماء بهما فقلت يارب انك قلت لموسى اخلع نعليك انك بالواد المقدس فقال يا ابا القاسم ادن منى لست عندى كموسى فان موسى كليمى وانت حبيبى انتهى وقد سئل الامام القزوينى عن وطئ النبى صلى الله تعالى عليه وسلم العرش بنعاله وقول الرب جل جلاله لقد شرف العرش بنعلك يا محمد هل ثبت ذلك ام لا فاجاب بان ذلك ليس بصحيح ولا ثابت بل وصوله صلى الله تعالى عليه وسلم الى ذروة العرش لم يثبت فى خبر صحيح ولا حسن ولا ثابت اصلا وانما الذى صح فى الاخبار انتهاؤه الى سدرة المنتهى فحسب واما الى ما ورائها فلم يصح وانما ورد ذلك فى اخبار ضعيفة اومنكرة لايعرج عليها انتهى وتابعوه على ذلك وقوله (وارسلتك الى الناس كافة) قد تقدم شرحه وكذا قوله (وجعلت امتك هم الاولون وهم الآخرون) لسبقهم فى دخول الجنة وتأخرهم وجودا والمة بهذا عليه لما تضمنه من كثرتهم وقلة مكثهم فى القبور وعدم نسخ لشريعتهم (وجعلت امتك لايجوز لهم خطبة) هى كلام يقال على رؤس الاشهاد للاعلام بامر مهم وكان عادة العرب اذا اجتمعوا فى ناد قام منهم واحد فخطب اذا تصاحروا اوتصالحوا اوارادوا وعظا والقس فى سوق عكاظ خطيب مشهور فجاء الشرع على نهجهم وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا وقع امر قام بينهم خطيبا فالخطبة مشتقة من الخطب وهو الامر العظيم وبقى ذلك مشروعا فى الجمعة والعيدين والنكاح والاستسقاء لوعظ الناس ونحوه (حتى يشهدوا انك عبدى ورسولى) اى لايعتد بخطبهم الا اذا اتوا فيها بكلمتى الشهادة لما ورد فى الحديث * كل خطبة ليس فيها تشهد فهى كاليد الجرماء * اى هى ناقصة لابركة فيها وهذا يقتضى ان التشهد فيها ركن اوشرط قيل وهذا لم يقل به احد من الفقهاء وائمتهم فان قيل المراد انه لايصح خطبة من لم يصدر منه الشهادة اى لاتصح الا خطبة المسلم المصدق بك والامة امة الدعوة فهو

بعيد واجيب بان الشافعي وغيره اشترط في الخطبة الصلوة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهي تتضمن الشهادة بذلك ولايخفى ان هذا غير موافق لظاهر الحديث فالظاهر انه كان واجبا فنسخ وجوب الاقتصار على مقدار تهليلة وتسبحة وقال ابو يوسف ومحمد رحمهما الله تعالى لابد من ذكر طويل يسمى خطبة واقله قدر التشهد الى قوله عبده ورسوله يثنى بها على الله ويصلى على نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم ويدعو للمسلمين لان الخطبة واجبة وما دون ذلك لايسمى خطبة عرفا كما قاله الزيلعي والحديث شاهد له (وجعلتك اول الانبياء خلقا) لانه خلق روحه قبل الارواح ثم خلق الارواح ونأه فهو اولهم خلقا ونبوة (وآخرهم بعثا) ورسالا كما تقدم بيانه (واعطيتك سبعا من المثاني) اى الفاتحة لانها سبع آيات وهي تثنى وتكرر في كل ركعة اوالسبع الطوال البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف والتوبة وحدها اومع الانفال بناء على انهما سورة واحدة لعدم البسملة بينهما لتكرر المواعظ والعبر فيها (ولم اعطها نبيا قبلك) كما تقدم بيانه (واعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت عرشي) الكنز المال المدفون فشبه به ما في اللوح المحفوظ مما لم يطلع عليه خلقه بجعل خواتيم سورة البقرة وما فيها من الثواب المعد لمن قرأها بمال عظيم اخرج من ذلك الكنز الذي هو اللوح وفي الحديث * من قرأها كفتاه * اى عن قيام الليل اومن الشيطان ويؤيده ماروى عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال * انزل الله على آيتين من كنوز الجنة ختم بهما سورة البقرة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي عام من قرأهما بعد العشاء مرتين كفتاه من شر الشيطان ولايكون له عليه سلطان * قال التورپشتي المعنى انه استجيب له مضمون قوله غفرانك الى آخره ونصره ولما قرأهن صلى الله عليه وسلم قيل له قد فعلت واوثر الاعطاء لمناسبة الكنز (لم اعطها نبيا قبلك) اى لم يعط مثل ثوابها احد قبله صلى الله عليه وسلم (وجعلتك فاتحا وخاتما) اى فاتحا لكل خير وشريعة فهو اعم من قوله جعلتك اول النبيين خلقا وآخرهم بعثا فلا فسره فقد قصر (وفي الرواية الاخرى) التي رواها مسلم (قال فاعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا) من الفضائل المخصوصة به صلى الله عليه وسلم (اعطى الصلوات الخمس) اى لم تجتمع لغيره ولغير امته ولالنبي قبله فان الانبياء قبله كانت لهم صلوة موافقة لبعض هذه دون مجموعها وكان عليه السلام يصلي قبل الاسراء ولكن لم يشتهر بيان كيفيتها ونقل السيوطي رحمه الله في آخر الخصايص انه لم يكن فيها ركوع ولذا نزل قوله تعالى * ياايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا * وقد مر ذلك (واعطي خواتيم سورة البقرة) كما تقدم (وغفر لمن لم يشرك بالله شيئا من امته المقحمات) بضم الميم وقاف وحاء مهملة مكسورة ربة اسم الفاعل

من الاقحام وهو الالقاء والمراد الكبائر التى تلقى صاحبها فى النار او الهلكات وهذا كقوله تعالى * ان الله لا يغفر ان يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء * اى بتوبة و بدونها خلافا للمعتزلة والكلام فيه مشهور (وقال) اى ابن مسعود رضى الله تعالى عنه فى الحديث الذى رواه (ما كذب الفؤاد ما رأى الآيتين) هذا لفظ القرآن والمقول عن راويه من الزيادة انما هو تفسيره بقوله (رأى جبريل فى صورته) الاصلية التى خلق عليها (له ستمائة جناح) لا فى صورة تمثل بها فان الله اعطى الملائكة قوة التشكل باى صورة ارادوا ونقل الشمنى عن السهيلى فى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله ابدل جعفرا رضى الله تعالى عنه بيديه جناحين يطير بهما فى الجنة حيث شاء ليس هذا كما يسبق الى الوهم جناح بريش كالطير لان الصورة الادمية اشرف وانما هى عبارة عن قوة روحانية ملكية اعطيها جعفر رضى الله تعالى عنه كما اعطى الملائكة فان اجنحتهم صفات ملكية لا تدرك الا بالمعاينة لان قوله تعالى *فيهم اولى اجنحة مثنى وثلاث ورباع* يدل على ذلك اذ لم يرد بأكثر من جناحين وكيف بستمائة كما فى صفة جبريل عليه الصلوة والسلام فدل على انها صفات لا تضبط كيفيتها بالفكر انتهى واعترض عليه بان هذا اشبه بكلام الفلاسفة والحشوية فاى مانع من ابقائه على ظاهره وكون طيور الجنة ليس لها غير جناحين غير ضار والاحاديث صريحة فى انها اجنحة حقيقية كثيرة من زبرجد وياقوت ملونة كاجنحة الطواويس ولا ينكر هذا الا من ينكر الملائكة وكون جناحى جعفر رضى الله تعالى عنه حقيقتين يؤيده كون ارواح الشهداء فى حيوف طيور خضر فى الجنة فاى حاجة للتأويل ومثله لا يليق بمثل الامام السهيلى (وفى حديث شريك) المتقدم مع ما فيه (انه صلى الله تعالى عليه وسلم رأى موسى فى السابعة) وهو مخالف لما مر انه فى السادسة فان كان الاسراء متعددا فظاهر انه لا مانعة والا فيجمع بينهما بانه رآه اولا فى السادسة ثم صعد الى السدرة فرآه بعد رجوعه فيها (قال) اى النبى صلى الله عليه وسلم اوالراوى على انه من كلام شريك فهو مدرج فيه (بتفضيل كلام الله) اى علو رتبته عليه الصلوة والسلام وسعوده للسابعة لفضله على غيره بكونه كليم الله فالباء سببية وهو مضاف للفاعل قال شريك فى الحديث (ثم علاه) اى برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من السابعة (فوق ذلك) الاسارة للسماء السابعة (بما لا يعلمه الا الله) اى مقدارا لا يعلم محله وحقيقته وقيل نهايته وهو بدل من فوق والباء للاستعلاء كما فى قوله تأمنه بقنطار او بمعنى الى كما فى قوله تعالى * وقد احسن بى * فكان مقامه صلى الله تعالى عليه وسلم ارفع من مقام موسى عليه الصلوة والسلام ولذا عقبه بقوله (فقال موسى) اذا رأى رفعته صلى الله تعالى عليه وسلم

(لم اظن ان يرفع على احد) ومنشأ ظنه تفرده بتكليم الله وقد سار كه في ذلك وزاد عليه مما اقتضى رفعته على سائر الانبياء واعترض على هذا بانه كيف يقول موسى عليه الصلوة والسلام هذا وقد علم بتفضيله وهو مذكور في التورية واللايق بالانبياء عليهم الصلوة والسلام التواضع وهذا مما يطعن به في رواية شريك (وقد روى عن انس) ان مالك (رضي الله تعالى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم صلى بالانبياء ببيت المقدس) اما ما ولا حاجة الى حمله على انه بعد الاسراء الذي فرضت فيه الصلاة وان كان محتملا ايضا كما مر (وعن انس) رضي الله تعالى عنه كما رواه البزار والبيهقي (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بينا انا قاعد ذات يوم اذ دخل جبريل عليه الصلوة والسلام) اصله بين فاشبعت فتحته الفا وهو ظرف مضاف للجملة مضمن معنى الشرط والعامل في اذ معنى المفاجأة اى وقعودى يوما فاجأني فيه دخول جبريل اووقت دخوله وذات يوم توكيد دفعا لتوهم التجوز عن مطلق الزمان وذات وذو ترادكثيرا كقوله رحل من ذي يمن (فوكز) اى ضرب ضربا خفيفا كما يفعل من يوقظ غيره بحيث لا يطلع على انه طه وقيل الوكز الضرب بجمع الكف (بين كتفي) وفي رواية بينا انا نائم وجمع بينهما بانه صلى الله تعالى عليه وسلم يجوز ان ينام وهو قاعد ولدوكزه ليستيقظ وهذا من حملة الزيادة وفي بعض الشروح انه كان ببيت المقدس (فقمت) معه من محل قعودى (الى سجرة فيها مثل وكري الطائر) منى وكر وهو للطير كالبيت للانسان والجحر للحشرات والكناس للظبي كما بينه اهل اللغة اى بيتين سيهين بالعش وضعا وهيئة لا مقدارا لانه لا يسع الادمي ولو كان كبيرا في الطير كالنسر والعقاب (فقعد) اى جبريل عليه الصلوة والسلام (في واحدة وقعدت في الاخرى) قيل اسم لانه كالعش يذكر ويؤنث والعالب على السنة اهل مكة تأنينه اوهو لتأويله بالزاوية والطاقة ونحوهما وما قيل لانه مأوى اناث الطيور عالبا لا وجه له (فنمت) بالنون والضمير للسجرة اى زادت وارتفعت وروى سمت بالسين من السمو كالعلو لفظا ومعنى (حتى سرت الخافقين) هما المشرق والمغرب لخفوق الشمس والنجم فيهما اى غيابهما او حركتهما واصل معنى الخفوق الاضطراب والحركة وادا حسن قوله * اما والله لولا خوف سخطك * لهان علي ما القى رهطك *

* ملكت الخافقين فردت عجما * وليس هما سوى قلبي وقرطك *

(ولو شئت) لعلوها وقربي منها (لمسست السماء) بكسر السين وفتحها ويروى لمسبت بسين واحدة من اللمس او هو مخففة ونقل حركته (وانا اقلب طرفي) تقليب طرفه بمعنى نظره في جوانبها لثباته صلى الله تعالى عليه وسلم وعدم دهشته وتأمله في آيات الله في الافاق (ونظرت جبريل) اذ قلت طرفي فوقع عليه بحذائي (كانه حلس) بكسر الحاء المهمله

وسكون اللام وسين مهملة وهو كساء رقيق يوضع تحت القتب والبردعة ويبسط في البيت (لاطئا) اى لاصق بالارض والمراد انه لما قرب من السماء عشيته مهابة حتى خضع والتصق بالارض من العشى الذى هو فيه والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم متشت لم يمسه روعة كما غشى جبريل عليه الصلوة والسلام ويقال فلان حلس بيته لم لايخرج منه قال ابو بكر رضى الله تعالى عنه كن حلس بيتك حتى تأتيك يدخاطئة اومنية قاضية ولاطئ بلام وطاء مهملة مهموز بمعنى لاصق كما فى الصحاح وفى بعض النسخ حلس لاطئا بفتحتين ونصب لاطئ وصحح رواية ولم يعسر وجملة كانه حال جبريل (فعرفت فضل علمه بالله على) اى عرفت بما اعترى جبريل عليه الصلاة والسلام من الخشية انه اعرف بالله منى لانه بقدر العلم يكون الخوف والخشية قيل هذا تواضع منه عليه الصلوة والسلام لانه افضل منه ورد بانه قد يكون فى المفضول مالبس فى الفاضل والملائكة المقربون فد يعرفون من احوال الملكوت مالايعرفه غيرهم فان كان افضل والقول بانه صلى الله عليه وسلم قاله قبل العلم بتفضيله عليه لايا سب هنا (وفتح لى باب السماء ورأيت النور) قيل هو نور العرش او الله تعالى لانه يسمى نورا كما قال الله نور السموات والارض والحكماء والمتكلمون جوزوه من غير تأويل قال الاشعرى نور لا كالانوار وقال الغزالى النور هو الظاهر بنفسه المظهر لغيره فان فهمت فهو نور على نور وبعد هذا كلام لايصرح به (ولط دونى الحجاب) وفى نسخة واذا دونى الحجاب ولط بضم اللام وتشديد الطاء المهملة مبنى للمجهول يقال لططت الباب اذا اغلقته وكذا اذا سترته يعنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ما شاهد النور ارخى بينه وبينه حجاب ستره عنه وسيأتى الحجاب وتأويله عن قريب (وفرحه) بضم الفاء وفتح الراء المهملة والجيم مضافا لضمير الحجاب جمع فرحة بوزن غرفة وهى مابين الشيئين من خلاء او بين اجزاء شئ مفتوحة اى فرج الحجاب المرخى وطاقاته الذى يخرج منها نوره (لدر والياقوت) وهما نوعان من الجواهر معلوما ن (ثم اوحى الله الى ماشاء ان يوحى) بالبناء للفاعل او المفعول وحديث انس هذا سقط من بعض النسخ (وذكر البزار) بفتح الموحدة وتشديد الزاى المعجمة والف وراء مهملة نسبة لعمل البزر وهو بزر الكتان الذى يستخرج منه السليط وبالذال المعجمة كل بذر يبذر للزراعة وهذا هو احمد بن عمرو ابن عبد الخالق المصرى صاحب المسند الكبير المعلل توفى بالرملة سنة اثنين وتسعين ومأتين وترجمته مشهورة وهو ثقة حافظ واعلم ان البزار كذا هو فى اكثر النسخ قال البرهان الحلبى وفى نسخة بخط الحافظ مغلطاى البرار براى معجمة آخره وفى صحتها نظر والمعروف انه براء مهملة آخره (عن على رضى الله تعالى عنه لما اراد الله تعالى ان يعلم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى يعرفه (الاداب) الذى شرعه له

الاعلام بدخول وقت الصلاة (جاءه جبريل بدابة يقال لها البراق) مر الكلام عليه وظاهر سياقه ان هذا معراج آخر غير الذى كان بمكة قبل الهجرة كما مر وهذا بعده فان الاذان كان بالمدينة وسياقه يقتضى ان هذا المعراج كان المقصود منه تعليم الاذان وسيأتى ما فيه (فذهب يركبها) اى شرع فى الركوب وذهب وردت بهذا المعنى كثيرا وليس من الذهاب بمعنى المضى تفوق ذهب يقول كذا اى شرع فى مقاله وقوله (فاستصعبت) تلك الدابة (عليه) فقال لها جبريل اسكنى فوالله ما ركبك عبد اكرم على الله من محمد صلى الله عليه وسلم فركبها حتى اتى بها الى الحجاب الذى يلى الرحمن تعالى غبنا هو كذلك اذ خرج ملك من الحجاب فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا جبريل (من هذا) الملك (قال والذى بعثك بالحق انى لاقرب الخلق مكانا وان هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتى هذه) تقدم شرحه فلا نكرره وتأنيث البراق لغة او مأول بدابة وهذا الحديث رواه بسند متصل بعلى رضى الله تعالى عنه وفى سنده زياد بن المنذر وقد قيل فيه انه كذاب والحديث ضعيف وقال السهيلى لصحته وذكر الحجاب وسيأتى بيانه (فقال الملك) الذى خرج من خلف الحجاب ولم يعرفه جبريل عليه الصلوة والسلام (الله اكبر الله اكبر) الى آخر الاذان واجابة المؤذن بما يليق برب العزة فلذا شرع لنا ذلك بما يناسب حالنا على ما عرف فى كتب الفقه والسنة (فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدى انا اكبر انا اكبر ثم قال الملك اشهد ان لا اله الا الله اشهد ان لا اله الا الله فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدى انا الله لا اله الا انا وذكر) الراوى (مثل هذا) الذى ذكر قولا وجوابا للمؤذن (فى بقية الاذان الا انه لم يذكر جوابا عن قوله حى على الصلاة حى على الفلاح) لانه لا يتصور فى حقه معناه اولا ان جوابه لا حول ولا قوة الا بالله اى لا يقدر نا على الصلاة والسعى لها واداء حقوقها الا من هى له وهذا لا يليق الا بالمخلوق بخلاف ما قبله (وقال) اى الراوى (ثم اخذ الملك بيد محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقدمه) على من كان بحضرته من الانبياء عليهم الصلوة والسلام (فامّ) اى صار اماما يؤم (اهل السماء) حال كونهم (فيهم آدم ونوح عليهما الصلوة والسلام) خصهما بالذكر لانهما ابو الانبياء الجسمانيين كما انه ابوهم الروحانيين المتقدم عليهم تقدما حقيقيا ومعنى حى اقبل وهلم وهو اسم فعل قال القاضى منذر بن سعيد والعرب تريد بها الحث سريعا حثيثا لا كما يقول الفقهاء مطيعا وفى حى لغات مذكورة فى كتب العربية واصلها حى هلا ثم قد تفرد حى وقد تفرد هلا والمعنى واحد والفلاح معناه الفوز بالسعادة يقال افلح الرجل اذا اصاب خيرا وفاز وقيل معناه البقاء والمعنى اقبلوا على البقاء فى الجنة (قال ابو جعفر محمد بن الحسين) بن على بن ابى طالب وهو ابو جعفر الامام المشهور فى آل الرسول واهل بيته (راويه) اى راوى هذا الحديث الذى رواه عن ابيه عن جده (اكمل الله لمحمد

صلى الله تعالى عليه وسلم الشرف) والعلو (على اهل السموات واهل الارض)
اما على اهل الارض فلانه صلى الله تعالى عليه و سلم اشرف الرسل وامته اشرف
الامم واما على اهل السماء فلانه صلى الله تعالى عليه وسلم اشرف من سائر الملائكة
بدليل انه امهم وتقدم عليهم كما تدل عليه الاحاديث المذكورة بقى ههنا ان ماذكر
يدل على ان الاذان شرع ليلة الاسراء قبل الهجرة مع انهم جزموا بانه صلى الله تعالى
عليه وسلم كان يصلى بغير اذان منذ فرضت الصلاة الى ان هاجر الى المدينة وفى
حديث ابن عمر رضى الله تعالى عنهما الصحيح المذكور فى الصحيحين قال كان
المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون يتحينون الصلاة ليس ينادى لها فتكلموا فى
ذلك يوما فقال بعضهم اتخذوا ناقوسا مثل ناقوس النصارى وقال بعضهم بوقا مثل
بوق اليهود فقال عمر رضى الله تعالى عنه اولا تعينون رجلا ينادى بالصلوة فقال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا بلال قم فناد بالصلوة وفى حديث ابى اسحق
بزيادة على ماذكر فبينما هم على ذلك اذ سمع عبد الله بن زيد بن ثعلبة الخزرجى النداء
فاتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا رسول الله انى قد طاف بى الليلة
طائف مر بى رجل عليه ثوبان اخضران يحمل ناقوسا فى يده فقلت ياعبد الله
اتبيع هذا الناقوس فقال وما تصنع به قلت ندعو به الى الصلاة قال اولا
ادلك على خير من ذلك قلت وما هو قال تقول الله اكبر الله اكبر الى آخره
فلما اخبر به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال انها رؤيا حق فقم لبلال
فالقها عليه فليؤذن بها فانه اندى صوتا منك فلما اذن بلال رضى الله تعالى
عنه سمعه عمر رضى الله تعالى عنه وهو فى بيته فخرج يجر رداءه وهو يقول يا نبى الله
والذى بعثك بالحق نبيا لقد رأيت مثل الذى رأى فقال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم الحمد لله وفى وسيط العراقى انه رأى هذه الرؤيا بضعة عشر رجلا وانكره
النووى كابن الصلاح وقالا لم يثبت الا رؤيا زيد وعمر رضى الله تعالى عنهما فهذا
يدل على ان الاذان انما روى بالمدينة وما ذكرهنا يدل على انه بمكة فى الاسراء وهما
متعارضان الا ان الثانى صحيح والاول ضعيف وقال ابن حجر رحمه الله تعالى قول
القرطبى انه لا يلزم من رؤيته فى الاسراء مشروعيته فى حقه فيه انه يأباه قوله فى الحديث
لما اراد ان يعلم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الاذان وقول الطبرى يحمل الاذان
فى الاسراء على معناه اللغوى يأباه ذكره بالفاظه بعينها وماقيل من انه صلى الله
تعالى عليه وسلم رآه فى الاسراء ولم يؤمر به بمكة للعجز عن اظهاره بين المشركين
واخره الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ثم لما رأوا دلك اظهره ليكون مدحه على
لسان غيره فى غاية الضعف ولو كان كذلك لم يؤخره حتى قدم المدينة (قول
هذا كله كلام مضطرب والذى ظهر لى فى التوفيق بين الحديثين على وجه لا كدر فيه

ان المذكور فى رواية البراء اسراء غير المعروف وانه بروحه اوفى رؤياه لان الاسراء تعدد فيكون رأى فى منامه ذلك ورؤيا الانبياء وحى وعقب ذلك قص عليه الصحابة رضى الله تعالى عنهم رؤياهم فاظهر موافقتهم والعمل بها لتكون الشهادة والمدح من غيره ولبسروا بموافقتهم ربأنفسهم وكون ذلك بأثورا عنهم والا فهو فرض كفاية مشروع ومباح لايثبت برؤيا غيره فيحتاج الى انه اجتهاد بما يوافق الرؤيا وهو خلاف وهذا ان شاء الله من بركاته ولمعات مشكاته ثم ان المصنف رحمه الله تعالى استشعر اعتراضا فيما مر من الحديث الذى ذكر فيه الحجاب وهو فى حقه تعالى محال لاستلزامه الجهة والتحيز فاراد دفعه بقوله (قال القاضى) ابو الفضل عياض مؤلف هذ الكتاب (رضى الله عنه ما فى هذا الحديث من ذكر الحجاب وهو فى حق المخلوق) اراد (لا فى حق الخالق) زاد الفاء فى خبر الموصول لتضمنه معنى الشرط وهو جائز وكذا ماورد فى الحديث حجابه النور اذ الحجاب بمعنى المنع والحاجب المانع ومنه حاجب العين وحاجب الامير والحاجب يحيط بالمحجوب فيقتضى تناهيه وتحيزه تعالى الله عن ذلك ولذا قال ابن عطاء رحمه الله كيف يتصور ان يحجبه شئ وهو الذى اظهر كل شئ كيف يتصور ان يحجبه شئ وهو اظهر من كل شئ كيف يتصور ان يحجبه شئ وهو الواحد الذى ليس معه شئ (فهم) اى الخلق (المحجوبون والبارى جل اسمه منزه عما يحجبه) لما سيأتى ولذا علا على كرم الله وجهه بالدرة من قال لا والذى احتجب بسبعة اطباق وقال ويحك بالكع ان الله لايحتجب ثم علل استحالة ذلك فى حقه فقال (اذ الحجب) بضمتين جمع حجاب او بفتح فسكون مصدر (انما تحيط بمقدر محسوس) اى بذى مقدار له طول وعرض وعمق فى جهة تحس بتوجه الناظر فيقتضى الجهة وهو منزه عن ذلك (ولكن حجبه عن ابصار خلقه وبصارهم) جمع بصيرة وهى القوة المدركة لغير المحسوس من العقل ونحوه فلا تحيط به ابصارهم اى لا تدرك ادراك احاطة بذاته لاقتضائه التحديد والتناهى ونحوه مما هو منزه عنه كما فسره به قوله لاتدركه الابصار كما ذكره البيضاوى ردا على من انكر الرؤية واستدل بهذه الاية وسيأتى الكلام عليها ولا تدركه بصائرهم والمراد بالادراك العلم اى لايعلم كنهه وحقيقته عقولهم ادراكا تاما يقينيا (و) حجبه عن (ادراكاتهم) اى انواع العلم والادراك معطاة على ادراك ذاته فلا رؤية ولا تصور ولا اكتناه فى غير اناه (عما شاء وكيف شاء ومتى شاء) متعلق بحجبه اى منعهم عن رؤيته وادراك ذاته ومعرفة حقيقته ليس بحجاب كحجاب البشر بل بسبب ارادة وكيفية لايدركها فى اى زمان اراده وفيه ايماء الى ان رؤية الله فى الدنيا ممكنة وفى الاخرة واقعة وان معرفة حقيقته ممكنة لنا وهو الاصح بل واقعة للانبياء عليهم الصلوة والسلام ومن امسك ذيل حقيقتهم (كقوله) اى كقول الله فى الكفار (كلا انهم عن ربهم) اى ان الكفار (يومئذ) اى يوم القيامة وفى الاخرة اذ تعم

المؤمنون برؤيته ورضوانه (لمحجوبون) وقال كقوله بالكاف لان المدعى عام وهذا خاص بالكفار ولكن فيه اثبات لمدعاه اذ جعلهم هم المحجوبون لا الله فان قلت الحجب امر نسبي لابد من تعلقه بالطرفين فيلزمك ما فررت منه قلت نعم هو نسبي ولكن بين حاجب ومحجوب والحاجب سبحات الانوار وسائر العظمة والمحجوب مخلوقاته لاهو لانه محجوب عنه فيجوز ان يوصف بانه محجوب عنه وحاجب ومحتجب خلافا لمن انكره ومثاله حفرة عميقة فيها نمل على رأسها انسان حديد البصر فالنمل محجوب عن رؤيته بالحفرة لا يرى من فوقه وهو يشاهد ويشاهد حركاته والحجاب للمشهود لا للشاهد فعلى هذا يطلق الحجاب ونحوه عليه تاره بهذا المعنى مطلقا اومقيدا اذ انهلم ما سمع من الشارع لا يلتفت اليه كالايد والبصر وغيره فاعرفه فانه امر مهم كثير في القرآن والحديث (فقوله في هذا الحديث الحجاب) بالجر على حكاية الحجاب اوالرفع (و) قوله (اذ خرج ملك من الحجاب) اراد ملك الاذان الذي سئل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل (يجب ان يقال) في تفسير معناه (انه حجاب حجب به) الله تعالى (من وراءه ملائكته عن الاطلاع) بكسر الطاء المشددة اى رؤيتهم متعلق بحجب (على ما دونه) اى ما خلفه ووراءه من جانب الغيب و باطنه فهو الباطن والظاهر (من سلطانه) الظاهر انه اراد به ما يقبضه قدرته عند تصرفه مما لا يطلع عليه رسل الملائكة وغيرهم الا باذنه نادرا (وعظمته وعجايب ملكوته) ومالا يدرك من ذلك والمراد بالملكوت عالم غيب الغيب اى ما غيب عن الملائكة (وجبروته) وهو يطلق على القهر وعلى عظايم الملكوت وغرائبه مما احتجب عن غيره وهو المراد وجبروته بغير همزة قال الحلبي وهو مهموز في بعض النسخ وهو لحن (ويدل عليه) اى يدل على ان الحجاب لغيره لا لذاته (من الحديث قول جبريل) له صلى الله تعالى عليه وسلم (عن الملك الذي خرج من ورائه ان هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتي هذه) فانه صريح في ان الحجاب انما حجب الخلق فان جبريل قد حجبه الله تعالى عما في سراد ق جلاله وخلف حيطة عظمته (فدل على ان هذا الحجاب) المذكور في الحديث (لم يختص بالذات) اى لم تختص محجوبيته بذاته تعالى اذ حجب بعض الملائكة ايضا كتلك الاذان وبما فسرنا به علمت انه لا يتوهم ان المصنف رحمه الله حقه ان يقول يختص بغير الذات لان نفي الاختصاص يقتضي المساركة كما لا يخفى (ويدل عليه) اى على عدم اختصاص الحجاب بالذات كما مر (قول كعب الاحبار (في تفسير سدرة المنتهى) اى في بيان سبب تسميتها به (قال اليها ينتهي علم الملائكة وعندها يجدون امر الله لا يجاوزها علمهم) فهذا وجه تسميتها به ومنه يعلم ان الحجاب انما هو بالنسبة لغيره لا له وان المحجوب عنهم ذاته وامره وملائكته المقربون وقوله يجدون معناه يقفون ويعلمونه (واما قوله) في الحديث (الذي يلي

الرحمن) لما كان ظاهره انه حائل بينه وبين غيره اشار الى تأويله بقوله (فيحمل) اى يفسر بانه (على حذف المضاف اى الذى يلى عرش الرحمن) فالمضاف المقدر اعط عرش اولفظ امر (اوامرا ما) زيادة ما للعموم اوللتعظيم اى يلى امر الرحمن (من عظيم آياته) من بيانية لايضاح ما انهم لولا وهو اوقع فى النفوس لحصوله بعد التشوق اليه (اومن مبادى حقايق معارفه) اى امرا يكون مبدأ لما يتحقق به معرفة الله (بما هو) اى الله تعالى (اعلم به) من رسله وملائكته عليهم الصلوة والسلام (كما قال تعالى واسئل القرية التى كنا فيها اى اهلها) اشارة الى ان تقدير المضاف لقرينة عقلية كثير بليغ لان القرية لا تسئل وانما يسئل اهلها (وقوله) تعالى فى حديث الاذان اجابة للملك لما قال الله اكبر من كل كبير (فقيل من وراء الحجاب صدق عبدى) اى الملك القائل (انا اكبر فظاهره انه) صلى الله تعالى عليه وسلم (سمع فى هذا الموطن) اى المكان الذى كان قارا به كما يقر الانسان فى وطنه (كلام الله) من غير واسطة كما سمعه موسى صلى الله تعالى عليه وسلم (ولكن من وراء حجاب) حجبه عن رؤية الله تعالى وهو يراه من غير حجاب بالنسبة له وان كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم محجوبا عن رؤيته معاينة ثمة فهو لا يراه ثم استدل على ذلك بقوله (كما قال تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا اومن وراء حجاب اى وهو) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (لا يراه) اى لا يرى الله معاينة اذ (حجب بصره) اى بصر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (عن رؤيته) اى رؤية النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ربه فى هذه الدنيا ولما كان هذا يوهم امتناع الرؤية مطلقا قال (فان صح) الحديث و (القول بان محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه) عيانا حين اسرى به (فيحتمل انه فى غير هذا الموطن) الذى سمع فيه الاذان (بعد هذا) الموطن والمقام (او قبله رفع الحجاب عن بصره حتى رآه) عيانا فى مقام آخر (والله اعلم) ﴿ فصل ﴾ فى تحقيق الاسراء اعلم انهم اختلفوا فى المعراج والاسراء هل كانا فى ليلة واحدة اوليلتين وهل كانا جميعا يقظة اومناما او بعضه يقظة وبعضه مناما فقيل ان الاسراء كان مرتين مرة بروحه مناما ومرة بروحه وبدنه يقظة ومنهم من قال تعدد الاسراء فى اليقظة ايضا بل قيل انه اربع مرات وبعضها كان بالمدينة ووفق ابو شامة رحمه الله تعالى بين الروايات بالتعدد وانه وقع من مكة لبيت المقدس فقط على البراق ومرة من مكة الى السموات الى آخر ما فصله وقال انه لبيت المقدس ثابت بنص القرآن والحديث وقد تقدم الفرق بين الاسراء والمعراج وان الاول سيره للبيت المقدس والثانى صعوده منه للملاء الاعلى وان كلا منهما يطلق على الجميع واما حمل البدنى على انه بطريق الانسلاخ الذى ذهب اليه الصوفية فاحراج للحديث عن ظاهره لمعنى لا ينبغى التعويل عليه واما ذكرناه لنسهك عليه لئلا تعتر بكلام بعض جهلة

المتصوفة والحكماء (ثم اختلف السلف والعلماء) من عطف العام على الخاص والمراد بالسلف الصحابة ومن عاصرهم وبالعلماء من بعدهم (هل كان اسراء بروحه لاجسده) اسراء بالنصب خبر كان اى هل كان الاسراء اسراء الى آخره (على ثلاث مقالات) اى اختلف واقع على ثلاثة اقوال للسلف والخلف ثم فسره وفصله بقوله (فذهب طائفة) اى جماعة ممن سيصرح به (الى انه) اى الاسراء (اسراء بالروح وانه رؤيا منام) عطف تفسير لابد ل كما توهمه الدلجى وفى تفسير القاضى اختلف فى انه كان فى المنام او فى اليقظة بروحه او بجسده وقوله بروحه او بجسده لف ونشر اى بروحه فى المنام او بجسده مع روحه فى اليقظة ولبس متعلقا بقوله فى اليقظة فقط كما توهم والصحيح الثانى كما سيأتى قال البرهان وبقى قولان احدهما انه تعدد مرة بجسده ومرة او مرات بروحه والثانى انا نقول بالاسراء ولا نعين كونه يقظة او مناما كما فى الهدى النبوى وهو غريب (مع اتفاقهم) سلفا وخلفا على (ان رويا الانبياء حق ووحى) لانهم عليهم الصلوة والسلام تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم ولان الشيطان لم يسلط عليهم فيتمثل لهم والوحى على انواع منها المنام الا انه على قسمين منه مايقع نعينه وهو الاكثر ولذا ذهب الخليل الى ذبح اسمعيل عليهما الصلوة والسلام ومنها مايعبر ويأول (والى هذا ذهب معاوية) بن ابى سفيان بن حرب بن امية كما رواه عنه ابن جرير وابن اسحق وهو رضى الله تعالى عنه صحابى ابن صحابى توفى بالشام حاكما بها سنة ستين وعمره ثمان وسبعون اوست وثمانون وكان عبده ازار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ورداؤه وشئ من شعره وظفره فكفن برداته وازاره وحشى شعره وظفره بفيه ومنخره بوصية منه رضى الله تعالى عنه (وحكى عن الحسن) البصرى رحمه الله تعالى وحكى مبنى للمجهول (والمشهور عنه) اى عن الحسن (خلافه) اى له قولان اشهرهما انه كان يقظة (واليه) اى الى ماذكر عن الحسن اولا (اشار محمد بن اسحق) بن يسار صاحب المغازى وهو ثقة وان طعن فيه بعضهم (وحجتهم) اى دليل القائلين بانه رؤيا منام (قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التى اريناك الا فتنة للناس) لانكار كثير منهم له وارتداد بعض ممن اسلم حين سمعوا ذلك لضعف عقولهم وايمانهم ولا حجة فى ذلك لان لها تفاسير اخر وفى بعض النسخ هنا (وقيل رأها عام الحديبية) اسم بئر مشهورة وياؤها مخففة وروى بت مشددة ايضا كما سيأتى بيانه لانه صلى الله تعالى عليه وسلم رأى انه هو واصحابه دخلوا مكة كما قال الله تعالى * لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق * الى آخره فلما صدوا عن الدخول فتن بعضهم فقيل لم يقل فى هذا العام وقيل الآية فى قصة بدر لقوله تعالى * اذ يريكهم الله فى منامك قليلا * وقيل المراد بها رؤيا بنى امية تنزو على منبره صلى الله تعالى عليه وسلم (و) مما احتجوا به (ما حكى عن عائشة رضى الله

تعالى عنها مافقدت جسد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وفى نسخة مافقد بالبناء للمفعول وفى رواية لم تفقد مجهول ايضا قال التلمسانى وهى الاشبه بالصواب فهو اخبار منها عن غيرها لانها لم تكن حينئذ زوجته بل لم توجد انتهى وستأتى الاشارة اليه فى كلام المصنف مع ان له صلى الله تعالى عليه وسلم زوجات احر فلا يلزم من عدم فقدها لذلك فقد غيرها له وقيل ولا حجة فيه ايضا لاحتمال انه تعالى اراد ان يحجب عنها حقيقة ذلك مع ان النفى مقدم على الاثبات ولا يخفى مافيه من التكلف (و) قوله صلى الله تعالى عليه وسلم فى رواية (بينا انا نائم) قال ابن المنير فى المقتفى جنح هؤلاء الى قضايا طوها تحيل الاسراء يقظة من حيث العقل وذلك غلط بين وانما هو استبعاد عادى طوه محالا عقليا فاحتجوا بما ورد فى بعض الروايات من التصريح بانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان نائما فايقظه الملك وقوله بين النائم واليقظان ليس بصريح بان النوم استمر بل كان مجئ الملك اليه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو وسن وباقل من ذلك يستيقظ النائم المستغرق لاسيما الوسن واحتجوا على انه استمر بان المنام مصرح به وبما ورد فى بعض الطرق اى الآتية فاستيقظت واذا بالمسجد الحرام ورد عليهم بان المراد الافاقة البشرية من الغمرة الملكية اى كما سيأتى بيانه وبالجملة فان صح النقل فى الطرق وتعارضت وتعذر التأويل حمل على التعدد وتنزيله على اسرا آت بعضها يقظة وبعضها منامات لا يقال لو كان كذلك لما تكرر فرض الصلاة فانها انما فرضت دفعة قلنا فرضت فى اليقظة وجاء المنام بعد ذلك كالذكرى وتحديد العهد او تقدم المنام كالتقدمة والتعريض بالفرض وبما سيكون ثم فرضت يقظة وكثيرا ما يرى النائم انه فعل فعلا كان فعله قبله ويقع له انه الفعل المتقدم بعينه فيكون ذلك لمحض ما انتهى (وقول انس رضى الله تعالى عنه وهو نائم فى المسجد الحرام وذكر القصة) الواردة فى حديث الاسراء الذى رواه البخارى وهو يدل على انه كان منامات (ثم قال فى آخرها فاستيقظت واذا بالمسجد الحرام) اى انتبهت من منامى فوجدتنى به بهذه الحالة فانتفى كونه حجة لذلك وقد علمت مافيه (وذهب معظم السلف والمسلمين) عطف للعام على الخاص وفيه اشارة الى ان خلافه لا يذهب لمسلم اعتقاده (الى انه اسراء بالجسد) مع الروح (وفى اليقظة) المقابلة للنوم وهى بفتح الياء والقاف وتسكينها لحن الا لضرورة شعرية كقول التهامى * فالعيش نوم والمنية يقظة * والمرء بينهما خيال سارى * وبالتسكين علم كاليقظان (وهذا هو الحق) الذى يقتضيه الاسلام اذ لا حاجة لصرف النصوص عن ظاهرها بغير داع ولو كان كذلك لم ينكره احد من العقلاء (وهو قول ابن عباس وجابر وانس وحذيفة وعمر وابى هريرة) رضى الله تعالى عنهم وهو عبد الرحمن بن صخر على الاصح من الاقوال فى اسمه مشهور كما تقدم (ومالك بن صعصعة) الصحابى المدنى كما تقدم

(وابى حبة البدرى) بفتح الحاء المهملة بلا خلاف ثم باء موحدة مشددة على الاصح وقيل انه بنون مشددة وقيل بمثناة تحتية مشددة ثم هاء واسمه عامر وقيل مالك وقيل عمرو وقيل ثابت ابن النعمان كما فى الاستيعاب واختلف فى ابى حبة الانصارى وابى حبة البدرى هل هما واحد او اثنان على اختلافهم فى ضبطهم المتقدم وقوله البدرى اى شهد بدرا اشارة الى انه من كبار الصحابة رضى الله تعالى عنهم وقيل اسمه كنيته (وابن مسعود والضحاك) وهو من اجلاء البلخى المفسر المكى ابى القاسم او ابى محمد يروى عن ابن عباس وابى هريرة وهو ثقة وان ضعفه بعضهم توفى سنة خمس ومائة وقيل سنة ست واخرج له اصحاب السنن الاربعة دون الشيخين (وسعيد بن جبير) المشهور وهو الوالبى ابو محمد اخرج له اصحاب الكتب الستة (وقتادة) المتقدم ترجمته (وسعيد بن المسيب) بفتح الياء وكسرها كما تقدم فى ترجمته (وابن شهاب) ابو بكر محمد بن مسلم ابن عبيد الله بن شهاب الزهرى كما تقدم (وابن زيد) عبد الرحمن بن زيد ابن اسلم وترجمته فى الميزان (والحسن) ابن ابى الحسين البصرى كما تقدم (وابراهيم) النخعى المتقدم ذكره (ومسروق) اى اجدع ابو عائشة الهمدانى احد الاعلام الذى لم تخرج من همدان مثله صاحب المناقب الجمة وكان اعلم بالقضايا من شريح توفى سنة ثلاث اوانتين وستين واخرج له اصحاب الكتب الستة ولقب بمسروق لانه بسرق وهو صغير ثم وجد (ومجاهد) بن جبر المتقدم ترجمته (وعكرمة) بن عبد الله الامام المفسر مولى ابن عباس رضى الله تعالى عنهما احد اوعية العلم الثقة وهو اباضى وسيأتى بيان الاباضية آخر الكتاب روى له الشيخان وتوفى سنة خمس اوست او سبع ومائة وترجمته مفصلة فى الميزان (وابن جريج) عبد الملك بن عبد العزيز وقد تقدمت ترجمته (وهو دليل قول عائشة رضى الله تعالى عنها) قيل كيف يكون الاسراء بقطة دليل قول عائشة ما فقدت جسده الشريف الدال على انه عرجا لا بقطة وهذا عجيب اذ ذكره فى المذهبين وجعل ما يبطله دليلا عليه كما سيأتى فهذا سهو منه بلا ريبة (اقول لا سهو انه وارد وان كلامه لا يخلو من اشكال الا ان يقال انه سقط منه شئ واصله دليل على عدم صحة قول عائشة لانه لم يثبت نقله عنها وقد يقال مراده انه دليل على قول عائشة قولا موافقا لما عليه اكثر الصحابة وانها قائلة بانه بقصة كالجمهور كما سيأتى فى كلامه فالمراد ابطال ما نقلوه عنها وهذا وان كان مخالفا للظاهر لكنه اسهل من تغليط المصنف وهو الانسب بقوله (وهو قول) محمد ابن جرير (الطبرى) المتقدم ترجمته (واحمد بن حنبل وجماعة عظيمة) اى كثيرة والعظمة تطلق بمعنى الكثرة كثيرا وان كان المعروف خلافه او المراد انهم ائمة مقدارهم جليل (من المسلمين وهذا قول اكثر المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين) على كثرة عدده وشهرة الاخبار الصحيحة به لا يناسب مخالفة ام المؤمنين رضى الله تعالى عنها فيه

(وقالت طائفة) هذا هو القول الثالث (كان الاسراء بالجسد يقظة من المسجد الحرام الى بيت المقدس) فقط (و) منه (الى السماء بالروح) يعنى منامًا ولا يخفى بعده اذ لم ينقل انه صلى الله تعالى عليه وسلم نام ثمة وهذه الحالة لا تناسب النوم ثمة وقوله (واحتجوا بقوله سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى بيت المقدس) وفى نسخة الى المسجد الاقصى وهى الموافقة للنظم الشريف وهى اصح عندى واعلم انهم فسروا العروج الروحانى بالمنام وليس بمتعين لانها قد تفارق البدن بدونه وهذا مما اتفق عليه الحكماء واهل التصوف وليس هذا محل تحقيقه (فجعل الى المسجد الاقصى غاية الاسراء) تفسير وتفصيل للاحتجاج لانه لما جعله غاية اقتضى انه لم يتجاوز الى السماء بدنه الشريف ولا حجة فيه لان كونه غاية لمسيره فى الارض لا ينافى صعوده لمحاذيه فى جهة العلو وما قيل من انه انما يتم اذا كان الاسراء مرة واحدة وعلى تقديره يكون غاية لركوبه البراق ثم عروجه الى السماء والحكمة فى عدم ذكره لها بيانه للسنة دون الكتاب وهو ابلغ فى المدح انتهى ليس بشئ ولو قيل انه هو الذى انكروه وانه اكتفى بأقل ما تثبت به معجزته واقتصار على ما تفهمه عقولهم القاصرة كان اظهر ونحوه قول ابن المنير فى المقتفى ورد الاحتجاج بان الحكمة فى تخصيص المسجد الاقصى ان يسأل قريش على سبيل الامتحان عن الاعلام التى عرفوها والصفات التى شاهدوها فى بيت المقدس وقد علموا ان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لم يسافر اليها قط فيخبرهم عما يرى ويوافق ما يعلمونه فتقوم الحجة عليهم وكذلك وقع ولذا لم يسألوه صلى الله تعالى عليه وسلم عما رأى فى السماء اذ لا علم لهم بذلك انتهى واقصى بمعنى ابعد لانه ابعد مسجد فى الارض وآخر محل عبد الله فيه بحق وقوله (الذى وقع التعجب فيه) صيره فيه للاسراء اى وقع التعجب فى شانه لقطع مسافة طويلة فى بعض ليلة والتعجب يفيده قوله سبحان لانه مصدر منصوب على المصدرية ومعناه تنزيه الله عما لا يليق بعظمته ثم شاع استعماله فى التعجب ووجهه مذكور فى الكشاف وشروحه والتعجب من المعجزات كونها خارقة للعادة وهو من الله تعجيب لما تعجب منه وقد ورد استعماله فى حق الله ووردت فى الحديث كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم * عجب ربنا من كذا وهو من الدر لاستحالة ما تعجبوا منه او استبعاده * واشار الى المراد من تعجب الله فقال (تعظيم القدرة) منصوب لانه مفعول له اى لتعظيم قدرة الله الباهرة المؤثرة على وفق الارادة وفى نسخة تعظيم بالباء الجارة (والتمدح بتسريف النبى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم به) اى بالاسراء والجار متعلق بتسريف ويجوز رفعهما بوقع اى وقع فيه تعظيم القدرة والتمدح وكذا قوله (واظهار الكرامة له) صلى الله تعالى عليه وسلم (بالاسراء اليه) اى الى المسجد الاقصى وهو من وضع الظاهر موضع

الضمير اعتناء به لانه من اجل كراماته واعظم معجزاته (قال هؤلاء) الذاهبون الى
ان الاسراء بجسده صلى الله تعالى عليه وسلم الى المسجد الاقصى وهم ارباب المذاهب
الثلاث (ولو كان الاسراء بجسده الى) مكان ارفع (زائد على المسجد الاقصى لذكره)
الله تعالى فى القرآن حتى قص قصة الاسراء (فيكون) ذكره فيه (ابلغ فى المدح)
من عدم ذكره (ثم اختلفت هذه الفرقتان) الثانية والثالثة فى انه صلى الله تعالى
عليه وسلم (هل صلى بيت المقدس) حين اسرى به (ام لا) فقيل صلى به وام
معادلة لهل وهو من نوادر العربية سمع ذلك فى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم
لجابر رضي الله عنه * هل تزوجت بكرا ام ثيبا وان انكره بعض النحاة (فى حديث
انس وغيره ما تقدم من صلاته) صلى الله تعالى عليه وسلم بالانبياء (فيه) اى بيت
المقدس وستأتى رواية اخرى انه صلى الله تعالى عليه وسلم صلى بهم فى السماء
وفى رواية انه لم يصل بهم فيه كما اشار اليها بقوله (وانكر ذلك) اى صلاته بالانبياء
عليهم الصلاة والسلام فيه (حذيفة بن اليمان وقال) كما رواه احمد بن حنبل رحمه الله
تعالى (والله ما زالا) اى جبريل والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وزال هذا تابعة
اى لم يبعصلا ويبرحا (عن ظهر البراق حتى رجعا) الى الارض فمكان جبريل عليه
الصلاة والسلام راكبا معه صلى الله تعالى عليه وسلم ويروى انه كان ماشيا (قال
القاضي) ابو الفضل عياض المؤلف رضى الله تعالى عنه (وليس فى هذا وصحيح)
رواية (ان شاء الله) قيده بالمشيئة مع انه امر واقع وانقطع تبركا وتأدبا وللاشارة
الى احتمال التعدد فكل رواية لا تنافى الاخرى فلا ينافى قوله ان شاء الله كونه حقا
صحيحا كما قد يتوهم وهذا كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم * وانا ان شاء الله بكم
لاحقون (انه اسراء بالجسد والروح) فقط مناما او يقظة (فى القصة كلها) اى
فى قصة الاسراء الى المسجد الاقصى والسموات (وعليه تدل) اى ما يدل عليه نص
نص القرآن وهو (الآية) الدالة على سطرها صريحا (وصحيح الاخبار) المشهورة
المستفيضة الدالة على عروجه صلى الله تعالى عليه وسلم الى السماء والاحاديث
الاحاد الدالة على دخوله الجنة ووصوله الى العرش او طرف العالم كما سيأتى وكل ذلك
بجسده يقظة (والاعتبار) بالرفع معطوف على ما قبله كما صححه البرهان والمراد به
التتبع لاقوال السلف او دقيق الفكر والتأمل فى الاحاديث المروية والقصة يعنى
انه يدل على ذلك العقل والنقل (ولا يعدل) بالبناء للمجهول من العدول اى لا يخالف
احد ويرجع ويعدل (عن الظاهر) الذى يقتضيه العقل والنقل (والحق قصة)
المبادرة من لفظ الحديث الصحيح وليس بصحيح تفسيرا كما قيل (الى التأويل) متعلق
بيعدل اى لا يصرف عن ظاهره ويؤول النصوص الواردة فيه (لاعند استحالة)
اى الا اذا كان ظاهره مستحيلا عقلا وشرعا حتى يعذر حمله على حقيقته وليس

ما نحن فيه كذلك (وليس في الاسراء بجسده حال يقظته استحالة) يقتضي العدول عن الظاهر والتأويل وما قيل من ان ماذكره غير مسلم لانه يكفي في المصير الى التأويل قيام المعاض للظاهر من الروايات التي اوردها المخالف الذاهب الى انه منام لا يقظة مردود بان هذه الرواية عنده اصح واقوى لتعدد من رواها وذهب اليها من كبار الصحابة وكثرتهم جدا كما قيل به فان قيل بالتعدد كما تقدم لم تكن معارضة ايضا فتدبر (تنبيه) الاستحالة المذكورة اى عد الاسراء محالا صدر من كفار قريش ومن بعض ضعفاء المسلمين اذ توهموا ان قطع مثل هذه المسافة ذهابا وايابا في بعض ليلة محالا لانها بعيدة بحيث تقطع في ايام كثيرة ومن بعض ارباب علم الهيئة الذين قالوا ان الافلاك لا فرجة فيها ولا تقبل الخرق والالتيام وكلاهما خطأ عقلا ونقلا الا ترى نقل عرش بلقيس في مسافة ابعد من هذه في طرفة العين وغير ذلك مما هو مأثور مشهور وقد نطقت النصوص بان السماء لها ابواب تفتح وتغلق فلا عبرة باوهام الفلاسفة وقال البيضاوي تبعا للامام الرازي الاستحالة مدفوعة بما ثبت في الهندسة ان ما بين طرفي قرص الشمس ضعف ما بين طرفي كرة الارض مائة ونيفا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل لموضع طرفها الاعلى في اقل من ثانية والاجسام كلها متساوية في قبول الاعراض والله قادر على كل الممكنات فيقدر على ان يخلق مثل هذه الحركة السريعة في بدن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم او فيما حمله والتعجب من لوازم المحيرات انتهى وقد اورد عليه اعتراضات بسطناها مع جوابها في حواشينا عليه واعلم ان كلامه مبني على ان الحقيقة تقدم مطلقا وعند الشافعي تقدم المجاز الغالب عليها ثم ان التعجب والعجب اذا اسند الى الله فهو مأول وكذا صيغة التعجب وفي حديث عجب ربكم من شاب ليس له صبوة قال ابن فورك في كتاب الكشف قد ورد مثله في احاديث كثيرة والعجب والتعجب اصله ان يفاجأ امر لم يعلم من فاجأه فيستعظمه وهذا لا يليق بالله عز وجل فالمراد لازمه يعني انه خلقه عظيما بحيث يتعجب من خلقه او المراد الرضاء والقبول لان من اعجبه شيء رضيه وقبله فلا يتعجب مما يكره غالبا فاذا اراد تعظيم شيء اخبر عنه بما يقتضي تعظيمه الى آخر ما فصله وسبحان كثر استعماله في ذلك وقوله (اذ لو كان مناما لقال بروح عبده ولم يقل بعبده) تعليل لصحة كونه يقظة ولعدم الاستحالة (وقوله ما زاغ البصر وما طغى ولو كان مناما لما كانت فيه آية ولا معجزة ولما استبعده الكفار ولا كذبوه فيه ولا ارتد به ضعفاء من اسلم وافتتنوا به) ووقعوا في فتنة اى بلية عظيمة توقعهم في العذاب لردتهم وتكذيبهم له وانكارهم لما اخبر به صلى الله عليه وسلم بما هو خارق للعادة وهو هذا خبر به لانه معجزة تحداهم بها (اذ مثل هذا من المنامات لا ينكر) تعليل لعدم

الاستبعاد والتكذيب فان قلت هذا يقتضى ان رؤية الله فى المنام جائزة بلا خلاف وقد قالوا انه اختلف فيها قلت قال الامام الغزالى ان الخلاف فيها غير معتد به ولان المرئى مثاله وفرق بين المثال و المثل و قد افرده برسالة فان اردت تحقيقه فراجعها (بل لم يكن منهم ذلك) المذكور من الاستبعاد والتكذيب والارتداد والافتتان (الا وقد علموا ان حبرة انما كان عن) اسرائه ب (جسمه وحال يقظته) اخذا مما قاله لهم واما كون رؤيا الانبياء وحى وحق فهذا انما يعرفه من صدقه وصدق بخبره وما قيل من انه ممنوع لان رؤياهم حق ولذا قال الله تعالى لابراهيم عليه السلام قد صدقت الرؤيا و اذا كانت رؤياهم كذلك استقام كونها معجزة له ويتعلق الانكار بان رؤياهم حق كلام فى غاية السقوط اى ماذكر فى الحديث المتقدم وذكر منى للمجهول ويصح بناؤه للفاعل ايضا والى بمعنى مع كقوله ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم وللغاية تقديرمن البيت المقدس الى المذكور فى الحديث بقرينة المقام وقوله (من ذكر صلاته ببيت المقدس) بيان لما و بيت المقدس هو مسجد ايليا ومعنى ايليا بالسريانية وهى لغة آدم عليه والسلام بيت الله (فى رواية انس اوفى السماء على ما روى غيره) كما تقدم بيانه (وذكر مجئ جبريل له) صلى الله عليه وسلم (بالبراق وحبر المعراج) بكسر الميم اسم الة للعروج وهو الصعود فى جهة العلو كالسلم وقد تقدم بيانه (واستفتاح السماء) اى طلب فتحها له صلى الله تعالى عليه سلم من جبريل (فيقال) من انت اى تقول ملائكة السماء لجبريل من انت فيقول جبريل فيقال له (ومن معك فيقول محمد ولقائه) الضمير لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم (الانبياء فيها) اى السماء (و خبرهم معه) فيما وقع لهم معهم من المكالمة (وترحيبهم به) اى قولهم له صلى الله تعالى عليه وسلم مرحبا بالاخ الصالح اوالابن الصالح كما مر وهو تفعيل من الرحب بضم الراء المهملة وفتحها ومعناه السعة اى صادفت مكانا رحبا واسعة وهو كناية عن وجوده فيه ما يسره و يكرمه (وشانه فى فرض الصلاة) خمسين عليه وعلى امته ثم تخفيفها وهو مجرور معطوف على مجئ والشان الامر العظيم الذى حرى له فى ذلك (ومراجعته موسى) اى رجوعه فى المشاورة فى ذلك كما مر (وفى بعض هذه الاخبار) والحديث الذى رواه الشيخان عن انس رضى الله تعالى عنه (فاخذ يعنى جبريل بيدى) اى امسك يده ليصعد معه (فعرج بى الى السماء) اى صعدوا معه (الى قوله ثم عرج بى) بالبناء للفاعل اوالمفعول وعرج كقعد عرجا ومعرجا ارتقى قال فى القاموس اذا كان حلقة فخرج فعرج اويثلث فى غير الحلقة و هو اعرج بين العرج انتهى ولبعض الادباء فى اعرج من رسالة

قامت العصا بيده مقام رجله وقلت اعواد الاغصان من احله*

ولم يظهروا ذلك لغيره جاهلية وحكمة خفية ولذا اسلم على كرم الله وجهه فى صباه وكان رضى الله تعالى عنه معه صلى الله تعالى عليه وسلم وذكر ذلك ابو طالب فى شعره المشهور فى السير فلما خرج صلى الله تعالى عليه وسلم من بيتها تلك الليلة وصلى بالحرم ومعه علي فلا شك انه كان يصلي قبل الاسراء بالغداة والعشي صلاة غير الخمس المفروضة فقولها صلينا كقولهم بنو فلان قتلوا قتيلا و القاتل واحد منهم لان الفعل المرضي لجماعة اذا وقع من احدهم ينسب للجميع وهو مجاز بليغ مشهور اي صلى معه بعض آلنا وهو على رضى الله تعالى عنه او يقال انها كانت مسلمة سرا كما نقل مثله عن العباس رضى الله تعالى عنه فاندفاع الايراد الذى طوه غير مندفع ظاهر فلا حاجة لما قيل الصلاة هنا لغوية بمعنى الدعاء (ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت الغداة معكم الان كما ترون) وتشاهدون والغداة والعدو بمعنى وهو اول النهار وهو بتقدير مضاف اى صلاة الغداة وهى صلاة الصبح (وهذا) المذكور برهان ودليل (بين) بتشديد الياء المكسورة اى ظاهر واضح (بى انه) اى الاسراء (بجسمه) وروحه لا بروحه فقط كما قيل وقيل انما البين فيه قوله ثم نام وفيه نظر (وعن شداد بن اوس) بن ثابت بن المنذر بن الحرام ابو يعلى الانصارى الصحابى نزيل بيت المقدس وليس بدريا كما توهم وقد اخرج له الائمة الستة واحمد فى مسنده وهذا الحديث ليس فيها واما رواه البيهقى وابن مردويه توفى سنة ثمان وخمسين ودفن بفلسطين وهو ابن احدى وسبعين سنة كما مر فى ترجمته عن ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه افضل الصحابة و فى اكثر النسخ عن ابى بكر من رواية شداد بن اوس عنه (به قال للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة اسرى به) فى هذا ما لا يخفى اذ لا يصح مع قوله (طلبتك البارحة) وهى الليلة الماضية قبل ليلتك ومنه المثل ما اشبه الليلة بالبارحة وهو بتقدير بعد ليلة اسرى به ومعنى طلبتك اى تفقدت جسدك فى مضجعك (فلم احدك) فيه او فيه تقديم و التعات اى طلبتك البارحة ليلة اسرى بك وهذا كله خلاف الظاهر ولم ينتهوا عليه فاجابه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله (ان جبريل حملنى) وفى نسخة حمله (الى المسجد الاقصى) وان بكسر الهمزة او مفتوحة والتقدير بان الى آخره قيل هذا يحتمل انه كان ببيت عائشة رضى الله تعالى عنها بدليل السياق لكنه معارض بقول عائشة المتقدم وقوله حملنى جبريل مخالف لكونه على البراق الا ان يقال لكونه سبباله اسند اليه مجازا وفيه نظر و هذا دليل على انه كان يقظة بجسده وعن عمر رضى الله تعالى عنه كما رواه ابن مردويه من طرق (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صليت ليلة اسرى بى فى مقدم المسجد) الاقصى (ثم دخلت الصخرة) اى دخلت المسجد الذى تحت الصخرة المعروف الآن بمسجد داود عليه الصلوة والسلام ففيه مضاف مقدر اى تحت (فاذا عمك قائم) لم يسمه (معه آبه ثلاث

وذكر الحديث) اى ساقه الى آخره واذا هنا بفجائية اى فاجأنى بغتة لفاؤه والآنية بالمد جمع اناء كوعاء وزنا ومعنى واوانى بجمع الجمع وليس مفردا كما توهم العامة كما مر ولذا وصف بانه ثلاث فهو صفة او بدل منه وقيل خبر هى مقدرة وكان الظاهر ان يقال ثلاثة لان مفرده مذكر فكانه اول بكأس ونحوه يعنى اناء من خمر واناء من لبن واناء من ماء وانه خير فيه فاختار اللبن وقيل له اخترت الفطرت ولو اخترت الخمر غوت امتك وهذا تمام الحديث وقد تقدم واعترض عليه بانه محتمل لكونه مناما ولامانع فى هذه الرواية اصلا فقوله (وهذه التصريحات طاهرة) فى انه كان يقظة (غير مستحيلة) شرعا وعقلا حتى تقتضى استحالتها التأويل (فتحمل على ظاهرها) ولايعدل الى التأويل مع عدم الحاجة اليه يؤيد ذلك (وعن ابى ذر) الصحابى الغفارى رضى الله تعالى عنه فى حديث رواه الشيخان (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم) انه قال (فرح) مبنى للمجهول مخفف الراء ونائب فاعله (سقف بيتى) وفى نسخة عن سقف بيتى والمعنى كشف من السقف حاب حتى انفتحت منه فرجة ولم يبق حائل بينه وبين السماء (وانا) مقيم (بمكة) قبل الهجرة وهذا مع قوله سابقا بينا انا بالحجر والحطيم وقول ام هانى السابق ما اسرى به صلى الله تعالى عليه وسلم الا وهو بيتى بينهما من المعارضة مالايخفى فان قيل بالتعدد فلا منافاة بين الروايات ولايكفى هنا كون اضافة البيت له لانه ساكن فيه ولام هانى لكونه ملكها وقد تقدم قول ابن المنير ان فرج السقف وعدم اتيان بيته من بابه انه مبالغة فى المعجزة وتنبيه على ان دعوته صلى الله تعالى عليه وسلم وكرامته كانت على غير ميعاد وكان هذا عادة الخلفاء العباسيين قلت وليدل على ان هذا امر الهى وكرامة تسر ولاتضر ولو اتى من الباب لتوهم انه احد من اعدائه الذى هو بين اظهرهم (فنزل جبريل عليه الصلوة والسلام فسرح صدرى) وفى رواية ففرج صدرى اى شقه وهى انسب بفرج البيت (ثم غسله بماء زمزم الى آخر القصة) لانه افضل المياه حتى الكوثر فى قول ولانه صلى الله تعالى عليه وسلم الفه صغيرا وكبيرا وشرح الصدر لايافى شق القلب لانه مقدم عليه ولاحاجة الى القول بانه تجوز عن القلب بالصدر لعلاقة المجاورة وقد تقدم انه شق قلبه وصدره صلى الله تعالى عليه وسلم وهو صغير عند طئره حليمة رضى الله تعالى عنها فهذه مرة ثانية فالاولى ليطهره من الكدورات البشرية ويرشحه للرسالة والنبوة وهذه ليقوى على العروج ومشاهدة عجايب الملكوت فهو وقع مكررا فى مرة غسل بماء زمزم وفى اخرى بماء ثلج ليثلج صدره ويصبره فلاتعارض بين الروايات قال ابن المنير ولما لم يقع هذا للكليم عليه الصلوة والسلام لم يطق فى الدنيا رؤيا ولم يذكرها انه كان معه ملكان بطست وماء كما مر وانه وضع عليه خاتم النبوة وسيذكره (ثم اخذ بيدى فعرج بى) بالباء للفاعل او المفعول كما مر

وشرح صدره كان بعد نزول جبريل عليه الصلوة والسلام اليه والتعقب بالفاء عرفي نسبي فلا ينافي قوله (وعن انس اتيت) بالبناء للمجهول للاللعاعل كما توهم (فانطلق بي) مجهول ايضا وفي نسخة فانطلقوا بي بصيغة الجمع لان مع جبريل ملكان احراس معهما طست الذهب كما مر ولامنافاة بين الروايات كما يتوهمه من لابصيرة له (الى زمزم فشرح عن صدري) اى شق صدره وقلبه ووضع فيه نور النور ليقوى على العروج ومشاهدة الملكوت وعجايبه (و) روى مسلم (عن ابي هريرة) رضي الله تعالى عنه عبد الرحمن بن صخر (عنه) صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال (لقد رأيتني) جواب قسم مقدر للتأكيد بالمساة الفوقية المضمومة ورأى علمية او بصرية (في الحجر) تقدم ضبطه وما يتعلق به (وقريش تسألني عن مسراي) جملة حالية والمسرى مصدر ميمي او اسم مكان اى سأله كفار قريش عن علاماته بعدما كذبوه تحقيقا لما زعموه (فسألتني) قريش وتأييثه باعتبار القبيلة (عن اشياء) من بيت المقدس وامارته (لم اثبتها) اى لم اكن اثبت صورتها في ذهني وفكري لاشتغاله بما هو اهم منها من معاينة ما وقع له ثمه من صلاته مع الانبياء وتهيئه للعروج فسقط ما قيل من ان هذا يدل على انه كان مناما لان النائم اقل ضبطا لما يراه في منامه من المستبعد ورؤياه صلى الله تعالى عليه وسلم حق وان نامت عيناه لاينام قلبه (فكربت كربا ما كربت مثله قط) بضم الكافين من الماضي المجهول والكرب الغم والحزن الشديد مع القلق والاضطراب قال الراغب اصله من كرب الارض وهو قلبها بالحفر والحرث والغم مثير النفس كاثارة ذلك وفي المثل الكراب على البقر وليس ذلك من قولهم الكلاب على البقر في شئ (فرفعه الله لي انظر اليه) اى رفع الله له صلى الله تعالى عليه وسلم بيت المقدس حتى ينظر اليه ويثبت ما فيه ويخبرهم به على حقيقته فجملة انظر اليه حالية او مستأنفة (ونحوه عن جابر رضي الله تعالى عنه وقد روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديث الاسراء عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ثم رجعت) عن مسراي (الى خديجة) ام المؤمنين رضي (وما تحولت) اى والحال ان خديجة رضي الله عنها ما تحولت وتحركت (عن حالتها) التي كانت عليه حين فارقتها النبي صلى الله عليه وسلم وهذا يقتضي انه كان في بيت خديجة وقد تقدم انه كان في بيت ام هاني رضي الله تعالى عنها وفي رواية انه كان في الحجر وفي اخرى في الحطيم وهو الحجر الذي يلي الميزاب الذي هو قبلة اهل المغرب وقيل الحطيم ما بين المقام الى الباب وروى عن مالك وعن ابن جريج هو ما بين الركن والمقام عند زمزم قيل والصحيح انه ما بين الركن الاسود الى الباب

﴿ فصل في ابطال حجج من قال انها نوم ﴾ لايقظة وان الاسراء لم يتكرر مرارا اربعة كما ارتضاه ابو شامة رحمه الله تعالى وتأييد ضميرانها لان الرؤيا مؤنث

سماعى لا باعتبار انها رؤيا منام كما قيل (احتجوا بقوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التى اريناك الا فتنة فسماها رؤيا) وهذا مبنى على ان رأى مشترك فيكون بمعنى ابصر يقظة ومصدرها رؤية ومناما ومصدرها رؤيا ورأى بمعنى علم وحكم ومصدر الاخير الرأى وهذا هو المشهور وقد رده السهيلى فى الروض الانف وقال الرؤيا مشتركة ايضا بين البصرية والحلمية واورد له شواهد من كلام العرب وقد مر رجوع ذلك وقيل الرؤيا اذا كانت بصرية تختص بما يرى ليلا (قلنا) جوابا عما احتجوا به (قوله تعالى سبحان الذى اسرى بعبده رده لانه لا يقال فى النوم اسرى) اذ الاسراء كما مر هو السير ليلا وهذا انما يكون يقظة لا سيما وقد ذكر فى الحديث ما يستلزمه روما بينا من صلاته صلى الله تعالى عليه وسلم بالانبياء عليهم الصلوة والسلام واستصعاب البراق عليه، وغير ذلك مما تقدم واحتمال ان يكون معناه انه رأى فى منامه انه اسرى به بعيد جدا ولذا جعله ابطالا لما قالوه لانه فى قوة الخطاء فاقيل ان الاولى ان يقول يخدشه ما ذكر ليس بشئ يعول عليه (وقوله فتنة للناس) اى بلية ومحنة جرأتهم على تكذيبه صلى الله تعالى عليه وسلم ورده بعضهم (يؤيد انها رؤيا عين) باصرة يقظة (واسراء بشخص) اى سير بجسده حقيقة يقظة لا تخيلا ورؤيا كما قيل (اذ ليس فى الحلم) بضمتين او ضم فسكون وهو ما يراد النائم واصل معناه العقل يقال حلم فى نومه يحلم حلما وحلما وقيل حلم بضم ثم فتح كرفع قاله الزاعب (فتنة ولا يكذب به احد لان كل احد يرى مثل ذلك فى منامه من الكون فى ساعة واحدة فى اقطار متباينة) اقطار جمع قطر وهو الجانب والمتباين البعيد ومن يبارلذلك اولئل اى يرى فى مدة قليلة انه وصل لاماكن بعيدة ولا ينكره عليه احد من العقلاء ثم اشار الى رد دليلهم بوجه آخر فقال (على ان المفسرين قد اختلفوا فى هذه الآية) التى استدلوا بها وعلى بمعنى مع هما والعلاوة ضم امر لآخر كقوله

* على ان قرب الدار خير من البعد * والمراد بالاية وما جعلنا الرؤيا الآية

(فذهب بعضهم الى انها نزلت فى قضية الحديبية) القضية بالضاد المعجمة واحدة القضايا على الاصح لما سيأتى وروى قصة بالصاد المهملة والحديبية مصغرة بحاء ودال مهملتين وياء تحتية ساكنة وباء موحدة مكسورة وياء مخففة وهاء تأنيث وتشد ياؤه ايضا وعليه اكثر المحدثين وبعض اهل اللغة وهى صحيحة رواية ودراية فلا وجه لمنعه وسميت بها السجرة حدباء وقع تحتها بيعة الرضوان ثم صارا سما لئر بها وقرية على مرحلة من مكة عند مسجد السجرة وهل هى من الحل او من الحرم او بعضها من الحل وبعضها من الحرم اقوال ذهب الى كل منها بعض العلماء وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اقام بالمدينة منصرفه عن عروة بنى المصطلق فى سوال وحرج فى ذى القعدة معتمرا ومعه من الانصار والمهاجرين نحو الف وخمسمائة وسبق

الهدى معه وهو محرم ليعلم انه لم يخرج لحرب فلما بلغ قريشا ذلك خرجوا بهم جمع صادين له صلى الله تعالى عليه وسلم عن دخول مكة وانه ان قاتلهم قاتلوه وخرج مع الكفار خالد بن الوليد الى كراع الغميم فلما وصل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى الحديبية بركت ناقته فقال حبسها حابس الفيل والله لا تدعوني قريش اليوم الى خطة فيها صلة رحم الا اعطيتهم اياها ولم يكن ثمة ماء فعرز سهما له فى سهم فغار ماؤها حتى كفى الجيش ثم جاءت السفراء بين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والكفار وتنازعوا حتى جاءه سهيل بن عمرو العامرى وقاضاه على ان ينصرف ويأتى فى العام القابل وان يكون بينهم صلح عشرة اعوام يأمن بعضهم بعضا على ان من اتاه مسلما منهم رده اليهم ومن اتاهم لم يردوه فعظم ذلك على المسلمين ووقع ما وقع واذا سمى عام القصية قال ابن عبد السلام فى قواعده فان قيل لم التزم صلى الله تعالى عليه وسلم الصلح وما شرطوه مع ما فيه من ادخال الضيم على المسلمين والدنية فى الدين قلنا وقع ذلك دفعا لمفاسد عظيمة وهى قتل المؤمنين والمؤمنات الذين كانوا خافين بمكة لا يعرفهم اهل الحديبية وفى قتلهم معرة عظيمة على المؤمنين فاقتضت المصلحة ايقاع الصلح على ما اراده وهو اهون من قتل اولئك مع انه علم ان فى تأخير القتال مصلحة عظيمة وهى اسلام جماعة من الكفار ولذا قال تعالى ليدخل الله فى رحمته من يشاء اى فى ملة الاسلام وقال اوتوا الآية والى هذا اشار بقوله (وما وقع فى نفوس الناس من ذلك) اى من صلح الحديبية حتى راجعه عليه السلام فى ذلك عمر مرارا وقال ما قال واسمأرت حواطرهم وقال ابن المنير لم يكن ذلك سكاوبة ولكن من فرط الغيرة وقوة الحمية على الحق والغضب لله ورسوله وكان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم من علمه بالعاقبة الحميدة ما ليس عندهم فلما تبين لهم ذلك عادوا للرضاء والوفاق (وقيل) فى تفسير الآية وسبب نزولها (غير هذا) الذى تقدم من ان هذه الرؤية لم تكن عام الحديبية وانما كانت قبيل بدر وهى التى فى قوله تعالى * اذ يريكهم الله فى منامك قليلا الآية (واما قولهم انه قد سماها فى الحديث مناما وفى حديث آخر بين النائم واليقظان) كما سمعت حالا (وقوله ايضا وهو نائم وقوله ثم اسيقظت) واناما المسجد الحرام (فلا حجة فيه) للقول بانها رؤيا منام كما مر (وقد يحتمل ان اول وصول الملك اليه وهو نائم) بدليل قوله فى الحديث فهمزنى بعقب السابق مع ما يضاهيه (او اول حمله) على البراق (والاسراء به وهو نائم) ولا ينافى بعده مع كونه صلى الله تعالى عليه وسلم تنام عيناه ولا ينام قلبه وقيل ايضا انه مخالف للظاهر فهو مشترك الالزام (وليس فى الحديث انه كان نائما فى القصة كلها الا ما يدل عليه قوله ثم اسيقظت واما فى المسجد الحرام) فانه يقتضى انه صلى الله تعالى عليه

وسلم لم يستيقظ قبل وصوله اليه وعوده وكون استيقظت بمعنى اصبحت او استيقظت من نوم آخر تكلف لاحاجة اليه وتأييده بانه لم يستغرق الليل باسرائه فيكون لسرعة مسيره ومسقته نام بعده للاستراحة بعد منه فلذا اعبر عنه بقوله (فلعل قوله استيقظت بمعنى اصبحت) اى دخلت فى وقت الصباح لان صيغة التر جى تقتضى ضعفه على عادة المصنفين فى التعبير بها (او استيقظت من نوم آخر) غير ما كان قبله فى الحجر او فى بيت ام هانى او غيره (بعد وصوله بيته) اى البيت الذى كان فيه قبل الاصافة لادنى ملابسة فلا ينافى ماقلناه (ويدل عليه ان مسراه لم يكن طول ليله وانما كان فى بعضه) بدليل قوله تعالى ليلا فى الآية كما ذكره المفسرون (وقد يكون قوله استيقظت وانا فى المسجد الحرام) وعبر بقد اشارة لضعفه ايضا (لما) بكسر اللام او تخفيف الميم احترازا من ما المصدرية (كان غمره) اى لاجل الذى عرض له مما يدهشه ويستغرق لبه وفكره (من عجائب ماطالع) اى شاهد ورأى (من ملكوت السموات والارض) الذى لم يطلع عليه غيره من البشر فاستعار لتلك المشاهدة الغمرة وهو ما يغمر من الماء ويقطر منه فعبه استعارة تصريحية تبعية او مكنية وتخييلية او هو تسمية بلمع كقوله الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر على ان من تجريدية بيانية ولما كانت المطالعة بمعنى المشاهدة بالحواس الظاهرة قدمها واتبعها بقوله (وخامر باطنه) بالخاء المعجمة والف وميم وراء مهملة بمعنى مارجه وخالطه لا بمعنى ستره ومنه الخمر لسريانها فى بدن شاربها وان قيل انما سميت بها لسترها العقل والمراد بباطنه قلبه وحواسه الباطنية (من مشاهدة الملأ الاعلى) وتعبيره بالمشاهدة يقتضى ما فسرنا به المخامرة وان اشتهرت بمعنى الستر كما فى قول سلمان الفارسى لابى الدرداء رضى الله عنهما حين دعاه الى الارض المقدسة يا اخى ان بعدت الدار من الدار فان الروح من الروح قريب وطير السماء على اثره وحمر الارض يقع على اى خصب يستروحه الارض يعنى ان وطنه ارضه وارفق به فلا يفارقه والمراد بالملأ الاعلى السموات وما فيها او الملائكة لان الملأ الجماعة الاشراف (وما رأى من آيات ربه الكبرى) العظيمة التى تدهش عظمتها من رآها وما قيل من انه خلاف الظاهر لانه صلى الله تعالى عليه وسلم ابهت الرسل قلبا فلا تعروه لذلك دهشة لبس بشئ لانه لم يرد بها دهشة بمرتبة الذهول وان كان قوله (فلم يستفق) يقال افاق واستفاق بمعنى تنبه واستيقظ من نومه (ويرجع الى حال البشرية الا وهو بالمسجد الحرام) يوهم انه المراد به حالة اعترته وانسته عالم الدنيا وكسته حلة ملكية على انه لو سلم كان مؤيد المصنف غير وارد عليه وليس المراد انه عرض له صلى الله عليه وسلم النوم فى رجوعه كما توهم فانه ينافى قوله (ووجه بالثاء) وهو ان (يكون نومه واسيقاظه حقيقة على مقتضى) ظاهر (لفظه) وضاد مقتضى يحور فيها الفتح والكسر والمراد

بلفظه قوله ثم استيقظت وانا بالمسجد الحرام (ولكنه سرى بجسده) وعيناه نائمتان (وقلبه حاضر) وان غض بصره كالنائم منافهو مساو لليقظان (ورؤيا الانبياء) عليهم الصلوة والسلام (حق تنام اعينهم ولاتنام قلوبهم) وقد قيل عليه ان كون عينه صلى الله تعالى عليه وسلم نائمة مع الاسراء بجسده مع انه خلاف المعتاد لافائدة فيه وماذكره المصنف من الحكمة الآتية من انه لئلا تشغله المحسوسات عن الله لايدفع ماذكر لان الحكم حينئذ للروح فلامعنى لرفع الجسد وهو حاصل بدونه و قوله تعالى * لنريه من آياتنا * يأباه وقد استدرك عليه المصنف بقوله الاتى ولا يصح ان يكون هذا فى وقت صلاته الى اخره والجواب بانه ليشاهده الملائكة و يفيض عليهم بركاته لايحدى نفعا (وقد مال بعض اصحاب الاشارات) يعنى بهم مشايخ الصوفية والمراد بالاشارة مايأخذونه من الحقايق من النصوص القرأنية وغيرها وهم لايقصدون بتفسيرهم انه صريح النص كما ذكره العزبن عبد السلام ومن لايعرف ذلك يعترض عليهم بمالاوجه له (الى نحو من هذا) اى الى قريب مما قاله صاحب هذا الوجه حيث (قال تغميض عينيه لئلا يشغله شئ من المحسوسات عن الله) قال الزمخشرى فى شرح الفصيح قولهم جسم حساس لحن كما لحنوا فى قولهم محسوسات لان فعال لايبنى من افعل والحق ثبوته وثبوت حس بمعنى احس كما قاله الدماميني فى شرح التسهيل والنووى فى شرح مسلم فعلى هذا لالحن فى هذه العبارة (ولا يصح ان يكون هذا) المذكور من الاسراء بجسده صلى الله تعالى عليه وسلم وهو نائم ليوفق بين الروايتين ان لم نقل بالتعدد (فى وقت صلاته بالانبياء) عليهم الصلوة والسلام لان النائم لايصلى ولا تصح صلوته وظاهره انه فيما عداه من امور الاسراء صحيح بلا تردد وانما يأباه لفظ الحديث ولا يخفى ان مناجاة ربه ومراجعة موسى عليه الصلوة والسلام لذلك فكان ينبغى ان يقول والامور الواقعة فى حديث الاسراء لايصح فى بعضها ان يكون منامافان قيل يجوز ان يكون رأى ذلك فى المنام قلنا وكذا يجوز ان يكون رأى فى منامه انه صلى الله تعالى عليه وسلم صلى بهم ايضا الا ان يفرق بينهما (ولعله كان له) صلى الله تعالى عليه وسلم (فى هذا الاسراء حالات) وكان فى بعضها نائما غاضا لبصره تأدبا اولئلا يرى سوى ربه وفى بعضها مستيقظا وفى بعضها بين النائم واليقظان و بهذا يجمع بين الروايات وقيل ان الحديث الذى وقع فيه هذا ملفق من احاديث وهذا الوجه قيل انه حدس وتخمين ولوتركه المصنف كان احسن لما مر (ووجه رابع) لتأييد كونه يقظة وتأويل مايخالفه (وهو ان يعبر بالنوم هنا) فى هذه الرواية (عن هيئة النائم من الاضطجاع) يقال للهيئة والاضطجاع الصاق بدنه ممتدا بالارض غير جالس ولاقائم فهو استعارة

او مجازا مرسل للزومه غالبا النوم فكان على هذه الهيئة عند وصول الملك اليه وفي بعض النسخ اذ كثيرا ما يعبر بالنوم عن الاضطجاع ونحوه لما بينهما من الملابسة وفي بعض الشروح هنا تكرار لا حاجة اليه ولذا قال انه يتعين كونه مجازا مرسلا وليس بلازم (ويقويه) اى يقوى هذا التأويل (قوله في رواية عبد بن حميد) الامام الحافظ المقدم ترجمته وعبد غير مضاف هنا وهو ابو نصر عبد الرحمن ابن الكشي ويقال لكحي بشين اوجيم (عن همام) بفتح الهاء وتشديد الميم الاولى ابن يحيى العوذي بفتح العين المهملة وسكون الواو وذال معجمة وياء نسبة منسوب للعوذ بطن من الازد امام ثقة اخرج له الستة وتوفي سنة ثلاث وستين ومائة (بينا انا نائم وربما قال) اى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (مضطجع) وتعبيره بهذا تارة وبهذا اخرى يشهد لانهما بمعنى (وفي رواية هدبة) بضم الهاء وسكون الدال المهملة والموحدة وتاء تأنيث ابن خالد القيسي البصري الحافظ الثقة روى له الشيخان وغيرهما وتوفي سنة خمس وثلاثين ومائتين وفي بعض النسخ بدل هدبة معاوية (عنه) اى عن همام (بينا انا في الحطيم وربما قال) في الحجر تقدم الكلام فيه والتوفيق (وقوله في الرواية الاخرى بين النائم واليقظان) يؤيد كون المراد بالنائم المضطجع (فيكون سمي هيئته) اى هيئة النبي صلى الله عليه وسلم او هيئة النوم (بالنوم لما كانت) تلك الهيئة (هيئة النائم) حقيقة (غالبا) اى في العالب وبما ذكرنا سابقا من ان هذا في اول وصول الملك له سقط ما قيل من ان هذا ينبو عنه السمع لان ركوبه صلى الله تعالى عليه وسلم البراق وربطه بالحلقة وصلوته بالانبياء عليهم الصلوة والسلام بأياه واما قوله فاستيقظت وانا بالمسجد الحرام فأول ايضا بما مر فلا ينافي هذا وتأمله (وذهب بعضهم الى ان هذه الزيادات من الوهم وذكر شق البطن ودنو الرب) اى قربه من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (الواقعة في) رواية (هذا الحديث) اى حديث الاسراء (انما هي من رواية شريك عن انس رضي الله تعالى عنه وهي منكرة من روايته) لامطلقا والانكار المراد به معناه اللغوي او مصطلح المحدثين وهو روايته المتغير بسوء حفظه والمخالف للثقاة وشريك طعن فيه ابن حبان وغيره وقالوا ليس بثبت (اذ شق البطن) اى بطنه وصدره صلى الله تعالى عليه وسلم (في الاحاديث الصحيحة انما كان في صغره عليه الصلوة والسلام) وهو عند مرضعته حليمة كما مر (وقبل النبوة) اى قبل ظهورها للناس هذا بيان لوجه انكار هذه الرواية وقد تقدم عن الامام السهيلي وغيره ان الشق وقع مرتين مرة لتثبيته للنبوة ومرة اخرى بعد مبعثه ليقوى على المعراج ومشاهدة عجايب الملكوت فلا يرد ما ذكر على هذه الرواية تقتضي انها مكررة وقيل انه وقع اربع مرات عند حليمة وبحراء وليلة الاسراء ومرة اخرى في اليوم الاان ابن حجر قال ان هذه لم يثبت

كما تقدم (ولانه) اى شريك (قال فى) هذا (الحديث) الذى رواه عن انس رضى الله عنه (قبل ان يبعث والاسراء بالاجماع) من المحدثين (كان بعد المبعث) مصدر ميمى بمعنى البعث وقد تقدم الكلام فيه (فهذا كله يوهن) بتشديد الهاء اى يضعف او تحميعها لانه يقال وهد واوهنه فوهن. اى ضعف (ما فى رواية انس) هذه التى رواها شريك عنه (مع ان انساقد بين من غير طريق) اى من طرق متعددة لامن طريق واحدة (انه انما رواه عن غيره) من الصحابة كمالك بن صعصعة وابى ذر عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فهو من مرسل الصحابى وقيد ان مرسل الصحابى اذا روى من طرق مقبول فهذا لايضعفه (وانه لم يسمعه من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بيان لانه سمعه من غيره (فقال مرة عن مالك بن صعصعة وفى كتاب مسلم لعله عن مالك بن صعصعة على الشك) من مسلم فلعل مستعارة من الترجى بجامع عدم الوقوع فيهما وقال الحاكم مدار حديث المعراج على انس رضى الله عنه وقد سمع بضعة عن مالك بن صعصعة وبعضه عن ابى ذر وبعضه عن ابى هريرة (وقال انس مرة كان ابوذر يحدث) اى ينقل حديث الاسراء السابق عنه صلى الله عليه وسلم (واما قول عائشة) رضى الله تعالى عنها (ما فقد جسده) صلى الله عليه وسلم وهذا الحديث رواه عنها ابو اسحق وجرير وتقدم ان فيه رواية ما فقدت بالاسناد لضميرها والاسناد للفاعل وهو فى هذه الرواية مبنى للمجهول (فعائشة لم تحدث به عن مشاهدة) له صلى الله تعالى عليه وسلم لانه كان بمكة قبل تزوجها او قبل ولادتها كما اشار اليه بقوله (لانها لم تكن حينئذ) اى فى وقت الاسراء وزمانه (زوجة) له صلى الله عليه وسلم (ولا فى سن من يضبط) بالتحتية والفوقية اى لم يكن سنها وعمرها حينئذ سن ضبط واتقان لعدم تميزها لصغرها فهو مستعار من الضبط وهو الامساك والحفظ للعلم والتمييز فالرواية عنها ليست مسلمة او هى حدثت به عن غيرها فعلى رواية ما فقد الامر ظاهر وعلى رواية ما فقدت فيه تقدير اى قال فلان او فلانة ما فقدت الى آخره وهو فى غاية البعد كما قيل (ولعلها لم تكن ولدت) بالبناء للمجهول (بعد) مبنى على الضم اى بعد هذه القصة ووقوعها وهى ضد قبل ويستعملان فى التقدم والتأخر المتصل والمنفصل والمراد هنا الاول او المراد زمان وقوعه للمحاورة والتضاد وهو استعمال شايع وحينئذ لاينبغى ان ينسب لها هذا القول اذ لم يثبت كما سيأتى وكونها حدثت به عن غيرها يأباه سياقه (على الخلاف فى) زمن (الاسراء متى كان فان الاسراء كان فى اول الاسلام) بمكة قبل الهجرة (على قول) محمد بن مسلم بن شهاب (الزهرى ومن وافقه بعد المبعث بعام ونصف وكانت عائشة فى) وقت (الهجرة بنت ثمانية اعوام) فعلى هذا لم تكن ولدت فى زمن الاسراء (وقد قيل كان الاسراء لخمس قبل الهجرة) هذه

اللام توقيتية اى وقت هى سنة خمس كما فصله النجاة فى باب العدد وفصل التاريخ (وقيل قبل الهجرة بعام والاشهر) اى القول الاصح الاولى والاحسن (انه لخمس) لان مثله يكون كثير النسبة بخلاف النادر الغريب لدى لا نظير له (والحق ان لذلك تطول ولبست من غرضنا) اى ليس مقصودنا فى هذا الكتاب بسط الادلة والحجج بل الاكتفاء بما صح من اوصافه صلى الله تعالى عليه وسلم اوالمراد ان مقصوده الاختصار وعدم التطويل وتعصيبه كما فى المقتفى لابن المنير قال الاقوال فيه كثيرة اصحها عندى قول ابراهيم الحربى انه كان ليلة سبع وعشرين من ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة وقيل قبل المبعث بخمس سنين وقيل بعده بخمسة عشر شهرا وقال ابن اسحق اسرى به صلى الله تعالى عليه وسلم وقد فشا الاسلام وفى مسلم عن شريك انه قبل ان يوحى اليه ولا يصح هذا بوجه لا على القول بانه مدكما وقع لعائشة انه كان بالمدينة ورجح القاضى عياض القول انه قبل الهجرة بخمس سنين وقول ابن اسحق انه قبل الهجرة بسنة وضعف هذا بان خديجة صلت معه صلى الله تعالى عليه وسلم وهى ماتت قبل الهجرة بمدة اقل ما قيل فيها ثلاث سنين والصلوة لم تفرض الا فى الاسراء وهو غير وارد لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يصلى قبل الاسراء صلوة غير الخمس على خلاف فيها والحجة لنا فى ترجيحه ان كل قول سواه خرج مخرج التقدير لا التحديد لانه لم يعين فيه الشهر فصلا عن اليوم وقول الحربى عين فيه ليلة بعينها من شهر بعينه وسنة بعينها فقال ليلة سبع وعشرين من ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة واذا تعارض خبران احدهما احاط راويه بتفصيل فى القصة زائد فالمفصل حضر ذهنا ووعى قلبا ممن احمل وعليه الفقهاء فى كتاب الشهادة اذا رجحت احدى البينتين واليوم الذى اسفرت عنه ليلة الاسراء يوم الاثنين ثانى عشر شهر ربيع الاول وذاك انه فى عشر من الشهر يوم الاثنين كان اوله الخميس قطعا فاول ربيع اما السبت او الاحد او الاثنين لان بين كل يومين متفقا بلين من سنتين متواليتين اما ثلاثة ايام او اربعة او خمسة وقد تكون لوقعة من كل ستة خامس يوم من الوقعة التى قبلها او رابعة او سادسة واعدل لاحتمالات الخامس يوم الجمعة يعقبها الثلاثا والاثنين تعقبها الجمعة وقد يكون الرابع وقد يكون السادس وذلك بحسب التمام والنقص الى آخر ما ذكره وقد قدمناه (وان لم تساعد دلك) المذكور من زمن الاسراء (عائشة) رضى الله تعالى عنها (دل) عدم مساعدتها على (انها حدثت بذلك عن غيرها) من الصحابة فيشبه ان من مرسلات الصحابة وهو صحيح اذا صح كما عليه المحدثون الا انه لم يوفق بينه وبين غيره (فلم يرجح خبرها على خبر غيرها) الظاهر ان يقول فيرجح خبر غيرها على خبرها لروايتها عن مجهول بل لعدم ثبوته عنها كما سيأتى (وغيرها يقول

حلا فه مما وقع نصا) اى صريحا فان النص له معان منهـا هذا (فى حديث ام هانى) وفى نسخة من حديث ام هانى بيان لما (وغيره) كحديث ابى ذر ومالك بن صعصعة وابى هريرة وقد قيل عليه ان حديث ام هانى المذكور فى الفصل الذى قبل هذا غير صريح فيما ذكر ويدفع بانه ظاهر فيه والعدول عن الظاهر لا وجه له (وايضا) منصوب على المصدرية مصدر آض بمعنى رجع (فليس حديث عائشة) اى قولها ما فقدت جسده (بالثابت) عنها عند المحدثين لما فى متنه من العلة القادحة وفى سنده محمد بن اسحق وقد ضعفه مالك وغيره (والاحاديث الاخر) الواردة فى الاسراء عن غيرها (اثبت) اكثر شهرة واصح من حديثها (لسانعنى) اى لا اريد انا وغيرى من المحدثين بقولنا انها اثبت (حديث ام هانى) وقولها ما اسرى به صلى الله تعالى عليه وسلم الا وهو فى بيتى (وما) اى وحديث عن غيرها كحديث عمر رضى الله تعالى عنه الذى (ذكرت فيه خديجة) رضى الله تعالى عنها لانهما لم يردا فى الصحيح بل احاديث آخر تعارضها غير هذين (وايضا فقد روى فى حديث عايشة ما فقدت) باسناد المعل المعلوم لضميره كما روى ما فقد بالبناء للمجهول المسند لغيرها كما مر (ولم يدخل بها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الا بالمدينة) والاسراء كان بمكة وهى صغيرة لبست عنده او لم تولد والجملة حالية وهذا يدل على عدم صحته وتأويله بما علمت من هذا او بكونه حكاية لكلام غيرها فى غاية البعد (وكل هذا) اى ذلك المذكور سابقا ولاحقا مما سبق وما تأخر (يوهنه) بالتشديد والتخفيف اى يضعفه (بل الذى يدل عليه) اى الذى يدل على ما ذكر من عدم صحته عنها (صحيح قولها) اى ما صح عنها رضى الله تعالى عنها من رواية اخرى (انه) اى الاسراء (بجسده الشريف لانكارها رؤياه لربه) ليلة الاسرى (رؤيا عين) فاذ هذا يدل على انه اسرى بجسده صلى الله تعالى عليه وسلم الا انه لم ير به عيانا (ولو كانت) الرؤيا فى الاسراء (عندها مناما لم تنكره) لان رؤيا المنام جائزة وانما الكلام فى رؤيا العيان والخلاف فيها فراعها فى ذلك الآتى يدل على ما ذكر وهذا يدل على ان لها قولا آخر مرويا عنها مخالف لما اشتهر وهذا معنى قوله فيما سبق دليل قولها فذكره وليس وصف قولها بانه صحيح مناقض لما مر من الطعن فى حديثها الان هذا رواية اخرى لها وما قيل من انه مؤيد لكونه مناما عندها باس من عدم التدبر (فان قيل) فى رد كونه يقظة (قال الله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى فجعل ما رأته للقلب) اى اثبت الرؤية للقلب دون البصر وعلقها به وفيه اشاره الى ان الفؤاد بمعنى القلب وله معان اخر وما مصدرية والجار والمجرور متعلق بجعل او بمقدر اى مسندا للقلب (وهذا) الجعل او المذكور (يدل على انه رؤيا نوم ووحى) بالجر عطفا على نوم (لا مساهدة عين وحس) بصرى والعطف تفسيرى (قلنا) فى الجواب عنه (يقابله) اى يعارضه فيسقطه عن مرتبة الاحتجاج وستأتى الاشارة الى انه لا يعارضه

ايضا (ماراغ البصر وماطغى) زاغ بمعنى مال وطغى تجاوز عن الرؤية المتحققة بل اثبتها وتيقنها (فاضاف الامر) اى امر الرؤية (للبصر و) يقابله ايضا (ما قد قال اهل التفسير) فى تأويله اى معناه حتى لايعارضه وينافيه (فى) تفسير (قوله ما كذب الفؤاد مارأى اى) معناه (لم يوهم القلب العين) فهو مقول القول والقلب مرفوع فاعل يوهم والعين منصوب مفعوله وقوله (غير الحقيقة) مفعول ثان له لانه يتعدى لمفعولين وغير بعين مهملة وشدة تحتية وراء مهملة ونقل عن بعض الشروح انه يجوز فى كل من العين والقلب الرفع والنصب والمرفوع فاعل تقدم اوتأخر وتوقف فى فهمه التلمسانى وليس بمحل توقف لان المراد ان البصر والبصيرة متفقان لم يختلف احدهما الاخر لوقوفهما على الحقيقة لان العين قد ترى امرا ثم يتبين خلافه وانه غير متحقق وقد يتصور القلب شيئا فيشاهد خلافه والحاصل ان رأه ليس تخيلا كاذبا بل امرا محققا تواطأ عليه العين والقلب وماقيل من ان الامور القدسية يدركها القلب اولا ثم يوردها على البصر ليس بمسلم (بل صدق رؤيتها وقبل) فى التوفيق بينهما ودفع التنافى (ما انكر قلبه) صلى الله تعالى عليه وسلم (ما رأته عينه) وهذا قريب مما قبله ولتعارضهما ظهر لى ترجيحه فى حيز ابطال كونه مدحا ويعضده عليه واورده سؤالا وجوابا ولما كان محصل الجواب انه يدل على ثبوت الرؤيتين سقط ماقيل انه مشترك الالزام والاعتراض بل لافرق بين الجوابين لان المراد انه لم يصر أعليه وسوسة نفس ونزغة شيطان تشككه فيما رأه وتوهمه خلاف ما شاهدت عيناه

﴿ فصل واما رؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم لربه عز وجل ﴾ بعينه يقظة فى اسرائه بجسده والرؤية تختص بالبصر يقال اعمر دنيا هنا وان اطلقت على غيرها فتكون على خلاف المشهور عكس الرؤيا كما تقدم (فاختلف السلف فيها فانكرته عائشة رضى الله عنها) ذكر ضمير الرؤية لان تأنيث المصدر غير معتبر وباعتبار الوقوع كما قيل وفى بعض النسخ فانكرتها وهى ظاهرة وانكارها انها وقع فى مسلم وغيره كما اشار اليه بقوله (حدث ابو الخسن سراج) بكسر السين وفتح الراء المهملة الحمصى وآخره جيم (ان عبد الملك) المراد بالملك الله فى الاعلام لكراهة التسمية بعبد فلان حتى بعبد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو امام حافظ شيخ المصنف رحمه الله تعالى وحده وزير لغوى جليل القدر (الخاطبى بقراءتى عليه) تقدم الكلام فيه (قال حدثنى ابى وابو عبد الله بن عتاب) تقدمت ترجمته (قالا حدثنا القاضى يونس بن مغيث) بضم الميم وكسر الغين المعجمة والمثناة التحتية الساكنة وبالمثلثة يونس مثلث الوزن كما مر وهو يونس بن عبد الله بن محمد بن مغيث بن عبد الله الانصارى المعروف بابن الصفار ولد فى رجب سنة سبع واربعين واربعمائة وتوفى بقرطبة سنة

اثنين وثلاثين وخمسمائة اثمان من جمادى الاولى (قال حدثنا ابو الفضل الصقلى) بفتح الصاد المهملة والقاف وتشديد اللام المكسورة نسبة لصقلية بلد بالاندلس (قال حدثنا ثابت بن قاسم بن ثابت عن ابيه وجده) ثابت بن حزم العوفى السرقسطى وابوه ابو محمد قاسم بن ثابت مؤلف كتاب الدلائل فى غريب الحديث يروى عن ابيه وجده وعمر جده حتى قرأ عليه وكان ثابت وقاسم يشركان فى التأليف والشيوخ والرحلة وولد ابوه سنة خمس وخمسين ومأتين ومات بسرقسطة سنة اثنين وثلاثمائة (قالا حدثنا عبد الله ابن على قال حدثنا محمود بن آدم) هو المروزى توفى سنة ثمان وخمسين ومأتين (قال حدثنا وكيع) بن الجراح بن مليح بن عدى الحافظ الثقة ولد سنة تسع وعشرين ومائة وتوفى سنة ست اوسبع وسبعين ومائة (عن ابن ابى خالد) هو اسمعيل بن سعيد البجلى الكوفى توفى سنة خمس او ست وار بعين ومائة واخرج له اصحاب الكتب الستة (عن عامر بن مسروق انه قال لعائشة) رضى الله تعالى عنها (يا ام المؤمنين هل رأى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ربه) عزوجل ليلة الاسراء بقرينة السؤال لانها لاتكرر رؤية الاخرة ولارؤية المنام (فقالت) مجيبة له (لقد قف سعرى) القصيف فى الشعر معناه قيامه وانتصابه وانما يكون هذا غالبا عند الفزع والخوف القوى (مما قلت) اى خفت من كلامه ان يهلك الله من قاله واستعمه لانه امر منكر لايرضاه الله ولم يثبت عندها وقال التلمسانى قف بمعنى اقشعر واصله ان الجلد ينقبض عند البرد والجزع فيقوم الشعر لذلك والمراد انكار ماقاله واستعظمه وما فى قولها مما قلت مصدرية اوموصولة (ثلاث من حدثكهن فقد كذب من حدثك ان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم رأى ربه فقد كذب ثم قرأت) مستدلة لما قالته لاتدركه الابصار لانه بناء على ان الادراك شامل للرؤية وانه حكم كلى قال قلنا الادراك بمعنى الاحاطة اى لايحيط به الابصار ولانعرف كنهه ورفع الايجاب الكلى سلب جزئى لم يكن فى الآية دليل على ماذكر ويأتى بيانه عن قريب وقد استدل بهذه الآية المعتزلة على نفى الرؤية مطلقا ورده اهل السنة كما فصل فى كتب الاصول وروى فى بعض النسخ من حدث بدل كاف عن العرفى والثلاث الاولى هى هذه والثانية قولها امن زعم انه صلى الله تعالى عليه وسلم كتم شيئا من الوحى ثم قرأت ياايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك الى آخره والثالثة من زعم انه صلى الله تعالى عليه وسلم يخبر بما يكون فى غد فقد اعظم الفرية ثم قرأت ان الله عنده علم الساعة الآية واعلم ان هذا الحديث فى البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وهو فى البخارى عن يحيى عن وكيع بسند المصنف رحمه الله تعالى فهو بدل اوموافقة كما فصله البرهان (وذكر) مسروق (الحديث) تمامه كما سمعته آنفا من ذكر الثلاث

قال مسروق وكنت متكأ فجلست وقلت يا ام المؤمنين انظروني ولا تعجلي الم يقل الله تعالى ولقد رآه بالافق المبين ولقد رآه نزلة اخرى فقالت انا اول هذه الامة سأل عن ذلك رسول الله عليه الصلوة والسلام فقال انما هو جبريل لم اره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين كما رواه مسلم (وقال جماعة) من المحدثين والعلماء لا المتكلمين لان خلافهم ليس في رؤية الاسراء بقول عائشة رضي الله تعالى عنها (وهو المشهور عن ابن مسعود وغيره ومثله) اي مثل قول ابن مسعود وعائشة (روى عن ابي هريرة) رضي الله تعالى عنه في تفسير قوله تعالى ولقد رآه نزلة اخرى (انه) بفتح الهمزة (قال) اي ابو هريرة (انما رأى) اي جبريل (لا ربه عز وجل كما قيل فاتى بصيغة انما للرد على من فسر الاية بما ذكر (واختلف) بالبناء للمفعول في النقل (عنه) اي عن ابي هريرة فروي عنه انه قال رآه بعينه كغيره وفي رواية اخرى انكره (وقال بانكار هذا) القول المجوز لرؤيته ووقوعه (وامتناع رؤيته تعالى في الدنيا) وجوازه في الآخرة (جماعة من المحدثين) انكروا صحة ملقه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم (والفقهاء) ذكروه في مباحث الردة والكفر وان احد الوقال رأيت الله يعني في الدنيا هل يكفر ام لا (والمتكلمين) من علماء اصول الدين والخلاف بين اهل السنة والمعتزلة في هذه المسألة وادلتها مشهور في كتبهم حتى انه افرد بالتأليف (وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه راه بعينه وروى عطاء عنه) اي عن ابن عباس (انه رآه بقلبه) وعطا هو ابن ابي رباح الفقيه المكي (وعن ابي العالية) وهو رفيع بن مهران الرياحي قيل هو زياد بن فيروز وقيل اسمه فيرور (عنه) اي عن ابن عباس (انه رآه بفؤاده مرتين وذكر ابن اسحق) صاحب المغازي عن عبد الله ابن ابي سلمة (ان ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ارسل الى ابن عباس يسأله هل رأى محمد ربه فقال نعم) مراده هل رآه بقطة بعينه فقوله (والاشهر عنه) اي عن ابن عباس (انه رأى ربه بعينه) وفي نسخة بعينيه مثنى وهما بمعنى تفسير للرواية التي قبله وان كانت ظاهرة انه غيره لتخالفهما في العبارة (وروى ذلك عنه من طرق) اي باسانيد مختلفة لفظا لا معنى يقوى بعضها بعضا وهو لا ينافي ما روي عنه انه رآه بفؤاده فهو كقوله تعالى * ما كذب الفؤاد ما رأى ما زاغ البصر وما طغى * كما مر (وقال) اي ابن عباس فيما روى عنه الحاكم والنسائي والطبراني وهو في معنى ما قبله في ان الرؤية فيهما بصرية (ان الله اختص موسى بالكلام) بغير واسطة لقوله تعالى * وكلم الله موسى تكليما (وابراهيم بالخلة) بضم الخاء المعجمة لقوله تعالى * واتخذ الله ابراهيم خليلا (ومحمدا صلى الله تعالى عليه وسلم بالرؤية) البصرية لا القلبية لعدم اختصاصها به صلى الله تعالى عليه وسلم قيل عليه ان الخلة والكلام

ثبتا لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ايضا فتفريق هذه الخصايص غير ظاهر واجيب عنه بان مراده ان موسى الكليم اشتهر بذلك وان كان نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم كلم الله فى الاسراء فى مقام اعلى والخلة ثبتت له مع زيادة المحبة لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم خليل وحبيب كما اعترف به الخليل عليه الصلوة والسلام فى حديث الشفاعة حيث قال انما كنت خليلا من وراء وراى هذا الجواب لايجدى نفعا فالاولى ان المراد بالكلام ماجاء تعالى بغير واسطة فى الارض وبالخلة معاملة مخصوصة له مع الله تعالى فى هذه الدار ايضا وسيأتى بيانه (وحجته) اى دليله على الرؤية (قوله تعالى (ما كذب الفؤاد ما رأى) اى ما اعتقد قلبه خلاف ما رأه ببصره فى مشاهدة ربه فسماه كذبا تجوزا لاشتراكهما فى ان كلامنهما خلاف الواقع اى ما رآه صلى الله تعالى عليه وسلم ببصره ليلة الاسراء لثبوت ذلك بالاحاديث الصحيحة واما انكار عائشة رضى الله تعالى عنها لذلك فقد تقدم مافيه واستدلالها بقوله تعالى * لاتدركه الابصار * اجابوا عنه بوجوه منها ان الادراك بالبصر ليس رؤية مطلقة بل رؤية على وجه الاحاطة بجوانب المرئى لان حقيقة الادراك اللحوق والوصول فى المكان كقول اصحاب موسى انا لمدركون والزمان كما يقال ادرك غلام النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اوالصغة كما يقال ادرك الغلام اذا بلغ واد ركت الثمرة اذا نضجت ثم نقل لانصار الشئ المتناهى المحدود بالجهات لتوهم معنى اللحوق فيه كما ان البصر قطع المسافة التى بينه وبينه حتى بلغه ووصل اليه فابصار مالبس فى جهة لايتحقق فيه معنى الوقوع فلا يسمى ادراكا فلايلزم من نفيه وهو رؤية مخصوصة نفى المطلقة وهذا تحقيق مافى التفسير وكتب الكلام (افتمارونه على مايرى) اى اتجادلونه فى رؤيته لما رأه من مرية الصرع دامسحته للحلب فاستعير للمجادلة كان كلا من المتجادلين يمترى ماعند صاحبه لطلبه له (ولقد رآه نزلة اخرى) اى مرة اخرى قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كانت له فى تلك الليلة مرات من العروج ولكل مرة نزلة لسماء اخرى لما راجع فى حط الصلوات وهذا مراده هنا (قال الماوردى) الامام الجليل ابوالحسن على بن محمد الشافعى صاحب التأليف الجليلة كالتفسير الكبير والحاوى وغيرهما وتقدمت ترجمتها وهذا نقله عنه ابن سيد الناس فى سيرته (قيل ان الله قسم) اى جعل (كلامه ورؤيته) مقسومين (بين موسى ومحمد صلى الله تعالى عليهما وسلم فرآه محمد) صلى الله تعالى عليه وسلم (مرتين) حيث كان قاب قوسين اوادنى وعند سدرة المنتهى (وكلمه موسى) عليه الصلوة والسلام (مرتين) مرة وقت ارساله لفرعون ومرة بعد هلاكه ورجوعه للطور والحق انه كلمه فى الدنيا مرارا عديدة فى مناجاته ولذا خص عليه الصلوة والسلام بالكليم لانه لم يكلمه فى الدنيا بغير واسطة غيره ولايلزم من هذا شرفه على نبينا صلى الله تعالى

عليه وسلم لتكليمه اياه مع قربه منه فى حظائر قدسه لكن لكون تكليم موسى مما يعرفه الناس خص بكونه كليما فاندفع مامر (وحكى ابو الفتح الرازى) ليس هو الفخر الرازى كما توهم (و ابو الليث السمرقندى) الحنفى وقد قدمنا ترجمته والمحكى مامر عن الماوردى كما اشار اليه بقوله (الحكاية) الذى ذكرها الماوردى (عن كعب) وليس ضعيفة وصيغة قيل فى كلامه ليست للتمريض فانها يقصد بها مجرد النقل فان قلت كيف قال قسم الكلام والرؤية والقسمة انما يكون فى امر واحد يوزع بين اثنين ما كثر ولذا قيل ان هذه العبارة مما لاينبغى قلت هذا وهم من قائله فان المراد قسم تقريبهما وتعظيمهما قسمين وجعل قسما لهذا وقسما لهذا كقوله

* قسم الاله الامر بين عباده * فالصب ينشد والخلى يسبح *

(وروى عبد الله بن الحارث) كما ذكره الترمذى وهو عبد الله بن نوفل بن الحارث ابن عبد المطلب البصرى سكن الوالى بها مات بعمان بعد انقضاء فتنة ابن الاشعث لما خرج اليها هاربا من الحجاج وولد فى زمنه صلى الله عليه وسلم ومات سنة اربع وثمانين ومن الرواة ايضا عبد الله بن الحارث ابو الوليد البصرى حدث عن ابن عباس رضى الله عنهما وهو زوج اخت محمد بن سيرين وجزم التيمى رحمه الله انه هو المذكور هنا وهو الراجح لان عبد الله الاول وان وافقه فى الاسم والنسبة لكن الحارث جده وهذا راوى ابن عباس كما مر (قال اجتمع ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وكعب) الاحبار (فقال ابن عباس انا نحن بنو هاشم فنقول ان محمدا رأى ربه مرتين) خص بنى هاشم لانهم اقرب اليه واعرف بحاله لاسيما قبل الهجرة وكان احتماعهما بعرفة كما ذكره الترمذى و بنو هاشم مرفوع بدل من نحن كما فى النسخ ولو نصب على الاختصاص جاز وليس المراد بنى هاشم ماسوى العباس وظاهره انه رأى واحتهاد منهم وهذا لاينافى مامر عن ابن عباس رضى الله عنهما لان عنه روايتين فلا وجه للاعتراض على المصنف (فكبر كعب) الاحبار لسروره بمقالته الموافقة لما عنده (حتى حاوبته الجبال) اى رفع صوته بالتكبير حتى سمع صداه من الجبال وجعله جوابا نحو زا ويجوز ان يكون تكبيره تبعا لما قاله واستعظاما لما له كقوله (وقال) اى كعب الاحبار (ان الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى فكلمه موسى ورآه محمد بقلبه) فيكون منكرا لرؤيته بعين رأسه او نقول هو موافق لان الرؤية القلبية لاتنافى البصرية وعليه الشراح وانفرد موسى عليه الصلوة والسلام بكونه كليما لما مر من ان المراد كلامه مرارا فى الارض فلا ينافى كون نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم كلمه ايضا بغير واسطة كما مر (وروى شريك) تقدم الكلام عليه وعلى روايته (عن ابى در فى تفسير الآية) المذكورة ما كذب الفؤاد ما رأى الآية وفيه نصر (قال رأى محمد) و فى نسخة نبى الله النبى (صلى الله عليه وسلم ربه) هذا كلام مجمل متفق عليه وقيل المراد انه رآه

ابقلبه بشهادة اول الآية وفيه نظر (وحكى السمرقندى) الحنفي المتقدم (عن محمد ابن كعب القرظي) بضم القاف وفتح الراء المهملة وكسر الظاء المعجمة نسبة لبني قريظة وهو تابعي واسمه محمد كما تقدم (وربيع ابن انس) التابعي الذي تقدمت ترجمته فالحديث مرسل كما رواه ابن جرير عن محمد بن كعب عن بعض الصحابة (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سئل هل رأيت ربك فقال رأيته بفؤادي ولم اره بعيني) وهذا يحتمل ان يكون في المرة الاولى فانه روى عن ابن عباس وغيره انه رآه مرتين فلا ينافي مامر وماقيل من ان المراد نفي مجرد الرؤية او نفي رؤيته ككل الاشياء المرئية تعسف لاينبغي ذكره هنا (وروى مالك ابن يخامر) بضم المثناة التحتية وخاء معجمة بينهما الف وميم مكسورة ثم راء مهملة علم مقلوب ممنوع من الصرف وهو سكسكي حمصي يقال ان له صحبة والاصح انه تابعي روى عن معاذ ابن جبل كما ذكره المصنف وعبد الرحمن بن عوف وغيرهما ومات سنة سبعين او اثنين وسبعين ويروي عنه جماعة (عن معاذ عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال رأيت ربي) في حديث رواه احمد بن حنبل وغيره وهو حديث صحيح اوله قال معاذ رضي الله تعالى عنه صلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم العداة ثم اقبل علينا فقال اني سألت ربي فصليت ماقدر لي ونعست وفي رواية فوضعت جبهتي فاذا اتاني في احسن صورة فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الاعلى قلت انت اعلم اي رب فوضع كفه وفي رواية يده بين كتفي فوجدت بردها بين ثديي فعلمت مافي السموات والارض ثم تلى وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض الى آخره ثم قال فيم يختصم الملأ الاعلى يا محمد قلت في الكفارات قال وماهن قلت المشي على الاقدام الى الجماعات والجلوس في المساجد خلف الصلوات واسباغ الوضوء اماكنه في المكاره من يفعل ذلك يعش بخير ويمت بخير ويكون من خطيئته كيوم ولدته امه وروي يخرج من خطيئته ومن الدرجات اطعام الطعام وبذل السلام والقيام بالليل والناس نيام قال قل اللهم اني اسئلك الطيبات وترك المنكرات وحب المساكين وان تغفر لي وترحمني وتتوب علي واذا اردت فتنة في قوم فتوفني غير مفتون وهذا الحديث اخرجه ايضا الترمذي والبغوي في المصابيح وهو تمثيل لتجلي الله له بلطفه وحسن معاملته وما اعاضه عليه من المعارف الكاشفة عيبه مع ملء صدره بنور اليقين وتحقيقه في شرح المصابيح وشرح الاربعين للصدر القونوي وايراد بعض الشراح له هنا في المتن كعادته غير منحه (وذكر كلمة) اشارة لما مر وهو اسم جمع للكلمة مصاقا لضمير الله او الحديث لادنى ملابسة (فقال) الله (فيم يختصم الملأ الاعلى) اي فيم يسأل الملائكة بعضهم بعضا عن المراتب المقربة الى الله المكفرة للخطايا

ولذا امره صلى الله تعالى عليه وسلم بالدعاء بنيل كمال هذه المراتب (الحديث) بالنصب اى اقرأ اواذكر (وحكى عبد الرزاق) همام بن رافع الصنعانى صاحب التصانيف الجليلة اخرج له الائمة الستة وتوفى سنة احدى عسرة ومائتين وترجمته مشهورة (ان الحسن) البصرى السابق ذكره وترجمته (كان يحلف بالله لقد رأى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ربه) بعين بصره (وحكاه ابو عمر الطلمنكى) عمر بوزن جعفر وهو بالطاء المهملة واللام والميم المفتوحات وسكون النون وكاف مكسورة يليها ياء نسبة كما ضبطه الحفاظ وهو الامام الحافظ المقرئ احمد بن عبدالله بن لب بن يحيى المعافرى الاندلسى عالم قرطبة ولد سنة اربعين وثلاثمائة وتوفى فى ذى الحجة سنة تسع وعشرين واربعمائة وروى عنه ابن حزم وابن عبدالبر وغيرهما من الاعلام (عن عكرمة) مولى ابن عباس رضى الله تعالى عنهما (وحكى بعض المتكلمين هذا المذهب) وهو رؤية الله بعينه (عن ابن مسعود) رضى الله تعالى عنه (وحكى ابن اسحق) محمد بن اسحاق بن يسار الامام الحافظ صاحب المغازى وقد تقدمت ترجمته (ان مروان) بن الحكم بن ابى العاصى ابن امية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشى الاموى ولد سنة اثنين ولم يصح له سماع ولا رواية وانما له رواية عن عثمان رضى الله تعالى عنه وبسر وغيرهما وكانت دولته تسعة اشهر واياما وتوفى سنة خمس وستين فى رمضان ثم تولى ابنه عبدالملك وترجمته مفصلة فى التواريخ (سأل اباهريرة رضى الله تعالى عنه هل رأى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ربه) بعينه (فقال نعم وحكى النقاش) محمد بن الحسن بن زياد وقد تقدم ترجمته (عن احمد بن حنبل انه قال انا اقول بحديث ابن عباس بعينه رأى ربه) بدل من حديث ولم يزل يكرر ما قاله رافعا بصره (رأه رأه رأه حتى انقطع نفسه) بفتحتين اى عجز عن التكلم واعيى فترك التكلم (يعنى نفس احمد) بن حنبل وانما فسره بذلك لئلا يتوهم عوده لابن عباس (وقال ابو عمر) السابق ذكره (قال احمد بن حنبل رأه بقلبه جبى على القول) بفتح الجيم وضم الباء وحكى الجوهرى فتحها وهو ضعف فى القلب يقتضى عدم الاقدام يريد انه لم يتجرأ تأدبا عن ان يقول اى عن القول (برؤيته فى الدنيا بالابصار) بكسر الهمزة وفتحها جمع بصر وتعبيره بالجمع يدل على انها حائرة عقلا عنده وهو الحق (وقال سعيد بن جبير) الصحابى المشهور رضى الله تعالى عنه (لا اقول رأه ولا لم يره) اى توقف فى ذلك ولم يمل لاحد القولين (وقد اختلف فى تأويل الآية) يعنى قوله تعالى * ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى * فى النقل (عن ابن عباس وعكرمة والحسن وابن مسعود فحكى عن ابن عباس وعكرمة رآه بقلبه) رواه مسلم عنه فى صحيحه فى تفسير هذه الآية فالضمير فى رآه لله والرؤية قلبية (وعن الحسن وابن مسعود رأى جبريل) فالضمير فيهما لجبريل عليه

الصلوة والسلام كما فى مسلم عن ابن مسعود وابى هريرة مرآه بالافق الاعلى وله ستمائة جناح ينتشر منها الدر والياقوت كما قاله المهدوى (وحكى عبد الله بن احمد بن حنبل عن ابيه) وهو كابيه امام فى السنة والفقه اخذ عنه الاعلام وتوفى سنة تسعين ومائتين فى سن ابيه (انه قال رآه) اى بعينه لانه المتبادر وقد روى عنه التصريح به ولا ينافى ذلك ما مر من انه حين عن القول بذلك لانه قد يخفيه فى بعض المجالس لمقتض لذلك (وعن ابن عطاء فى) تفسير (قوله الم نشرح لك صدرك قال شرح صدره للرؤية وشرح صدر موسى للكلام) اى قوى قلبه واذهب رعبه حتى سمع مشاهدة جلاله وعظمته وسماع كلامه (وقال ابو الحسن على بن اسمعيل الاشعرى) ابن ابى بشير بن اسحق بن ابى سالم بن اسمعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن ابى بردة ابن ابى موسى الاشعرى صاحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمعروف ان ابا الحسن هذا شافعى المذهب وقال التلمسانى انه مالكى المذهب ونسبته الى اشعر وهو ثابت بن ادد ويشجب بن يعرب زيد بن كهلان بن سبا وكان حبرا عظيما وهو امام اهل السنة صاحب التصانيف المشهورة ولد سنة سبعين ومائتين ومات سنة اربع وعشرين وثلثمائة وقيل لاربع وثلاثين فى ذى الحجة (وجماعة من اصحابه انه صلى الله تعالى عليه وسلم راى الله ببصره وعينى رأسه) تأييد لكون الرؤيا بصرية واضافة العينين للرأس احتراز عن عين قلبه وبصيرته فانها وردت فى الحديث فان لم تكن عينا حقيقية (وقال) الاشعرى رحمه الله تعالى (كل آية) ومعجزة (اوتيها نبى) اى اعطاها الله لنبى (من الانبياء فقد اوتى مثلها نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) وقد فصله ابن المنير فى المقتفى والكلام فيه طويل لا يسعه كتابنا هذا ولا ينافى هذا تخصيص موسى عليه الصلوة والسلام بالكلام كما مر قيل الحقيقة المحمدية صورة الاسم الاعظم الجامع للاسماء بالكلام كما مر فله التصرف فى العوالم ومنه تستفيد وتستمد ما فيها من جهة حقيقته لا من جهة نسبته وهو الخليفة حقيقة واى معجزة كانت لنبى فهو له اولا وبالذات ثم حازت منه لغيره والى هذا اشار فى البردة بقوله * وكل آى اتى الرسل الكرام بها * فانما اتصلت من نوره بهم * اقول الحق ان نقول ان الله خلق روحه صلى الله تعالى عليه وسلم قبل الارواح وجاء عليها جلعة النبوة ثم خلق ارواح البشر وامر ارواح الانبياء بان يؤمنوا به واخذ عليهم الميثاق لما عاهدان ادركوه كما نطق به الكتاب العزيز فلما اجاؤه اشرق عليهم نوره الروحانى الربانى وصارت فى ارواحهم قوى مستعدة لاظهار المعجزات كما لاولياء امته اذ اظهروا الكرامات لما اشرق عليهم نوره وهذا هو الذى قصده الابوصيرى رحمه الله تعالى فاعرفه (وخص من بينهم) اى اختص صلى الله تعالى عليه وسلم عن سائر الانبياء (بتفضيل الرؤية) اى بتفضيله

برؤية ربه عيانا فى الدنيا فلم يره غيره فيها (ووقف بعض مشايخنا فى هذا) اى توقف فيه فلم يعتقد ثبوته ولا نفيه والمشايخ جمع مشيخة او يجمع على خلاف القياس وفيه كلام فى شرح ادب الكاتب (وقال ليس عليه) اى على ثبوته (دليل واضح) اى صحيح ظاهر (ولكنه جائز) بحسب العقل (اى يكون) اى ذلك يصح ويوجد فى الدنيا (قال القاضى ابو الفضل) عياض المصنف (رضى الله تعالى عنه والحق الذى لا امتراء فيه) اى القول الحق لدى لا شك فيه ولا شبهة لان المرية هى الشبهة (ان رؤيته تعالى فى الدنيا جائزة عقلا) لانه موجود حقيقة فى كل موجود وكل موجود تجوز رؤيته عيانا (وليس فى العقل ما يحيلها) اى ما يقتضى انها مستحيلة بذكر دليلا نقليا يؤيد العقل فقال (والدليل على جوازها فى الدنيا سؤال موسى عليه الصلوة والسلام لها) بقوله رب ارنى انظر اليك وموسى من اولى العزم لا يسأل من الله تعالى ما لا يجوز فلو لم يعتقد صحة ذلك ما سأله والاكان جهلا منه باحوال الربوبية وهو برأه منه وكلامه فى تحقق الرؤية لا فى وقوعها فقط حاصل من انه ليس الكلام فى جوازها بل فى وقوعها والفرق بينهما ظاهر والقائلون بامتناعها الهم ادلة على مقالهم وان كانت مردودة والقائلون بالجواز العقلى ذاهبون للمنع الشرعى ولذا قال السنوسى رؤية الله فى الدنيا جائزة عقلا ممتنعة شرعا والمصنف بصدد اثبات الوقوع له صلى الله تعالى عليه وسلم وهو امر نقلى لا مجال للعقل فيه فكلامه خارج عن المطلوب الا ان يقال انه استطرادى انتهى ليس بشىء لانه ان لم يثبت الجواز لا يثبت الوقوع والوقوع امر نقلى قد بينه اولا ثم حقق ما يتوقف عليه من الجواز عقلا ومانقله عن السنوسى مخالف لما ارتضاه المصنف واذا كان هذا نقليا وثبت بنقله كيف لا يكون عقليا فما ذكره كلام مموه تركه خير منه وما ذكره المصنف هو دليل اهل السنة على جواز رؤيته تعالى والمعتزلة يقولون لم يسأله لجوازه عنده بل لتكيت القائلين له ارنا الله جهرة ومحال ان يجهل موسى ما يجوز على الله تعالى وما لا يجوز عليه بتوبيخ للتكبير والتعميم اى اى شىء كان وكيف بالكليم عليه الصلوة والسلام وقيل انه للتعظيم اى شىء عظيم من اولى العزم كان الرسل والاستحالة عادة مقررة وعقلا لانه بعث لتعليم امته الشريعة والعقائد الحقة وهى معرفة ما يجوز على الله ويمتنع فلو جهل ذلك كان الله امر له بما لا يعلمه وهو محال لانه اما جهل او عبث والمعتزلة يقولون انما يلزم هذا لو كان سؤالا حقيقيا اما لو كان لالزام غيره او تكيته لمن سألها من قومه فلا وهذا مردود لان السياق يأباه وتفصيله فى علم الكلام (بل لم يسئل) موسى من الله تعالى (الا محالا غير مستحيل) لان سؤال المحال من مثله محال وكونه سألها مع علمه باستحالتها ليتأكد الدليل العقلى بالسمع وليطمئن قلبه كما قال ابراهيم رب ارنى كيف تحيى الموتى ثم قال ليطمئن قلبى فان العلم يتفاوت قوة وضعفا مردود بان تفاوته غير مسلم وحتى

لم يسئله لذلك وانما كان علم ان الله متخذا خليلا يحيى الموتى يدعائه فسأل ذلك ليعلم اهو هوام لا ولو سلم فلا يلزم طلب ما لا يجوز ويناف الادب عنده بهذه الطريقة اذ له ان يقول رب بين لى علم ذلك جوازا واستحالة (ولكن وقوعه ومشاهدته من العيب) اى جوازه مقرر ثابت ووقوعه له دون غيره بمشاهدة ربه امر مغيب عن كل احد كسائر المغيبات الجائزة كالشمس وغيرها والغيب بمعنى الغيب عن البشر (الذى لا يعلمه الا من علمه الله) باخباره به واطلاعه على حاله وقوعا وعدمه مطلقا او فى بعض الاحوال فلذا اعلمه الله به (فقال له الله لن ترانى) اى الرؤيا جائزة ولكنك لا تصل اليها فى الدنيا (اى ان تطيق) اى تقدر (ولا تحتمل رؤيتى) اى لا تقوى عليها فى هذه الحالة وهذا كله مما يدل على الجواز (ثم ضرب له مثلا) اى اتى له بمثال من المخلوقات فانه لا يطيق تجلى الله عيانا ليكشف له امرها ويعلم حاله من حال غيره (مما هو) وفى بعض النسخ بما متعلقا بضرب (اقوى من بنية موسى واثبت) اى اشد قوة واكثر ثباتا وبنية بكسر الباء الموحدة وسكون النون الخلقة والتركيب (وهو الجبل) فى قوله ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى فلما لم يثبت الاقوى علم عدم ثباته بالطريق الاولى ولما كان استقرار الجبل ممكنا كان ما علق به ممكنا ايضا فعلم منه جواز الرؤية والى ذلك اشار بقوله (وكل هذا ليس فيه ما يحيل رؤيته فى الدنيا) اى يقتضى استحالته فيها (بل فيه) ما يقتضى (جوازها على الجملة) كما سمعته آنفا من ان سؤاله وتعليقه بالممكن يقتضى امكانه وقوله على الجملة بمعنى انه بطريق الاجمال لا التفصيل فانه من قبيل اشارة النص والمعروف فى كلامهم فى الجملة والمعنى واحد لان المراد جوازا اقتضاه على طريق الاجمال وليس فى السرع دليل قاطع على استحالتها (ولا) دليل قاطع على (امتناعها) وان لم تكن مستحيلة فلا دليل على امتناع وقوعها مطلقا او فى الدنيا (اذ كل موجود) فى الخارج جوهرا كان او عرضا الا فى العلم والذهن كما قيل لتصور الممتنعات وهو تعليل الجواز لان اذ تأتى للتعليل كما حققه النحاة واهل المعانى والتعليق بالمشتق يقتضى علية مبدأه فالعلة الوجود لا الحدوث وهو مشترك بين البارى تعالى وسائر الموجودات فكما تجوز رؤيتها تجوز رؤيته الا انه قيل انه يقتضى صحة رؤية نحو الاصوات والروائح والطعوم وكيفية الملموس فانها موجودة مع انها غير محسوسة بالبصر الا ان هذا الدليل منقول عن الاشعرى وهو التزام جواز رؤيتها والكلام فى الجواز لا الوقوع (فرؤيته جائزة غير مستحيلة) تفسير للجواز فانه قد يقابل الحرمة والوجوب (ولا حجة) مسلمة عند الخصم (لمن استدل على منعها) اى الرؤية بقوله تعالى لا تدركه الابصار (لاحتلاف التأويلات فى) هذه (الآية) كما حققناه لك فلا افادة فى الاعادة (وان ليس) معطوف على قوله اذ كل موجود او على قوله لاحتلاف لان معناه ليس (يقتضى قول من قال) بمنعها (فى الدنيا الاستحالة) مطلقا بل تخصيص

الدنيا يقتضي وقوعه في الآخرة فيدل على الجواز في الدنيا وهذا رد على المعتزلة فان هذه الاية اعظم ادلتهم على نفي الرؤية في الدنيا والاخرة ثم بالغ في الرد عليهم بان ما استدلوا به عليهم لا لهم (وقد استدل بعضهم بهذه الاية) اي قوله لا تدركه الاية (نفسها على جواز الرؤية وعدم استحالتها على الجملة) كما يعلم من ذكره اختلاف التأويل وانما استدل بها لان نفي الشيء عند البلغاء يقتضي جوازه والا كان عبثا فلا يقال للحائط انه لا عين له والله تعالى قد ساق نفي ادراك الابصار في سياق المدح وانما يمدح بامر ثبوتي كمالي لا بالعدم الصرف وكل نفي مدح به تضمن امرا وجوديا كنفي السنة او النوم المتضمن لكمال القيومية ونفي الموت المتضمن للحياة السرمدية فلو كان نفي الابصار معناه انه لا يرى اصلا كسائر المعدومات لم يكن مدحا بل المراد لا يحيط بعظمته وجلاله الابصار وهذا ما فهمه الصحابة رضي الله عنهم ولذا فسره ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بلا تحيط به الابصار كما ذكره المصنف وكذا ذكره غيره ففي الاحاطة تفسير للرؤية بدوبها او المراد العموم اي لا تراه جميع الابصار فان منها ما تحيط فهي سالبة في قوة موجبة جزئية كما مر واليه اشار بقوله (وقد قيل لا تدركه ابصار الكفار وقيل) معنى (لا تدركه الابصار لا تحيط به وهو قول ابن عباس) لانه كما قيل يحتمل ان يكون رفعا للايجاب الكلي بان لا يلاحظ الايجاب الكلي او لا ثم يرد عليه النفي وحينئذ لا احتجاج لهم علينا فانا قائلون بان الكفار لا يرونه او المنفي ادراك بتقليب الحدقة نحو المرئي فانه المتبادر من اطلاق ادراك البصر وهو المعتاد وانما يحتاج لهذا اذا كان تعريف الابصار استغراقيا والا تكون القضية سالبة مهملة فهي في قوة السالبة الجزئية كما تقرر بمعنى لا تدركه بعض الابصار وتخصيص النفي بالبعض يدل بالمفهوم على الاثبات للبعض فلا اية حجة لنا وعلى تقدير تسليم عمومها للاشتخاص لا نسلم عمومها للاوقات لانها سالبة مطلقة وهي اعم من السالبة الدائمة وما ذكر من ان تدركه الابصار موجبة مطلقة فنقيضها سالبة دائمة ممنوع لجواز كون الامر بالعكس بل الظاهر عكسه اقول كونه دالا بالمفهوم على الاثبات للبعض قال بعضهم فيه نظر لان القضية المهملة والدال على رفع الايجاب الكلي ليس صريح مفهومها السلب الجزئي والتعرض للنفي عن البعض بل السلب الجزئي لازم معناها الصريح المحتمل للسلب الكلي والجزئي مع الايجاب للبعض فمجرد كون مفهومها مستلزما للسلب الجزئي لا يدل مفهومه على مفهوم السلب الجزئي فلا حجة لنا فيه وانما يكون حجة ان لو كان صريح معهوم القضية (وقد قيل) في بعض التأويلات (لا تدركه الابصار) نفسها (وانما يدركه المبصرون) يعني ان الادراك نوع من العلم وهو صفة تتاطر حقيقة لا نفس النظر فانه واسطة وآلة ولا يخفى ركاكة هذا التأويل وان كانت عهدته على قائله (وكل هذه التأويلات) السالفة (لا تقتضي منع الرؤية ولا استحالتها)

بل حوازها كما مر فلا حجة فيها (وكذلك لا حجة لهم بقوله تعالى لن ترانى الاية) التى استدل بها بعض المعتزلة وقال لن للنفى المؤبد والمؤكد فاذا نفى عن موسى عليه الصلوة والسلام فغيره يعلم بالطريق الاولى وقد ورد بابها للنفى فى المستقبل فقط وكلام الله تعالى وغيره دال عليه كما اثبته النحاة بما هو مشهور فى كتبهم ونفى الرؤية عنه لا يدل على نفيها عن غيره لانه نفى مخصوص فلا دليل لهم فيه (وقوله تبت اليك) من سؤال الرؤية المقتضى لانه محال وطلب ما لا يليق فهو ذنب وسيأتى جوابه (لما قدمناه) من ادلة الجواز الصريحة المقتضية لتأويل هذه الاية (ولانها) اى هذه الاية (ليست على العموم) بل مخصوصة بموسى عليه الصلوة والسلام فى المستقبل والنفى الخاص لا يدل على عموم ولا استحالة (ولان من قال معناها لن ترانى فى الدنيا انما هو تأويل) فلا دليل فيه على مدعاهم العام ولا على الاستحالة فان القائل بين معنى الاية ولم يذكر انه تفسير مأثور ولا انه برهان على المنع العقلى والعموم فلا حجة فيه (وايضا فليس فيه نص الامتناع) اى صريح عموم امتناع الرؤية لكل احد (وانما جاءت فى حق موسى عليه الصلوة والسلام) اى ان آية لن ترانى مخصوصة بموسى عليه الصلوة والسلام فكيف يستدل بها على امتناع الرؤية مطلقا فى الدنيا وغيرها يقظة ومناما كما ذهب اليه المعتزلة ولا يلزم من نفى الوقوع نفى الجواز الذى نحن بصدد اثباته (وحيث تتطرق التأويلات) اى اذا امكن تأويل ما استدلوا به (وتتسلط الاحتمالات) اى توجد احتمالات فى الدليل (فليس للقطع به سبيل) فلا يصح القطع والجزم بما استدل كما قالوا اذا طهر الاحتمال سقط الاستدلال وفيما استدلوا به على امتناع الرؤية امور كثيرة ذكرها المفسرون والمتكلمون كما قدمه المصنف واصل معنى التطرق وجود الطريق وسلوكه فشبه التأويلات بصاحب مطلب وجد الطريق اليه على سبيل الاستعارة التبعية او المكنية والتخييلية وكذا فى التسلط لانه من السلاطة وهى القهر والغلبة قال الله تعالى ولو شاء الله لسلطهم عليكم ومنه السلطان كما قاله الراغب وغيره من اهل اللغة وقيل يتطرق من الطرق وهو الخلط او من التطارق وهو التتابع والازدحام وهو عبارة عن كثرتها وهو قريب من التسلط (وقوله تعالى تبت اليك) الذى استدلوا به على انه دال على امتناعه عقلا لعدهم سؤال الرؤية ذنبا لاستحالتها لا دلالة على مدعاهم لان له تفسيرا آخر (اى من سؤالى ما لم تقدره لى) فى الدنيا فى ذلك الوقت لحكمة خفية لما عسيه من انوار عظمته حتى صعق كما يقول من فعل امرا جائزا اعتراه منه مسغبة عظيمة تبت عن مثل هذا كما قال ابن سناة السعدى * أأمل ما مولا لغير صدودها * فوا حجاتى ابى الى المجد نائب * وتقدره بضم المساة وتشديد الدال وتخفيفها (وقد قال ابو بكر الهذلى) الامام العلامة تلميذ ابن القوطية صاحب الافعال كان من الادباء الظرفاء وله شعر بديع

(فى) تفسير (قوله تعالى لن ترانى اى لبس لبشر ان يطيق) اى يقدر (ان ينظر الى فى الدنيا وانه من نظر الى) فيها (مات) وقيل هذا مأخوذ من قوله وخر موسى صعقا فانه يدل على ان القوى البشرية لا تطيق النظر فى الدنيا لسبحات جلاله الا من اقدره الله تعالى واذا لم يطق ذلك مثل موسى عليه الصلوة والسلام فغيره يموت فجأة لخوفه اولاحراق سبحات النور له وفى هذا دليل على جواز وقوعه فى الدنيا لكنه من وقع له فيها لا يعيش كما قيل ان من رأى الملك فى الدنيا يعمى كما نقل عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وان قيل انه لم يصح والمراد غير الابداء ها (وقد رأيت لبعض السلف) من المتقدمين (و) لبعض (المتأخرين ما معناه ان رؤيته تعالى فى الدنيا ممتنعة) لمانع منها لا لذاتها من حيث هى هى لما مر من جوازها عقلا فامتناعها لعارض (لضعف تراكيب اهل الدنيا) اى لضعف ابدانهم المركبة كما قال الله تعالى خلق الانسان ضعيفا (وقواهم) جمع قوة وهى امر اودعه الله تعالى فى البدن بها الادراك او المراد به المعنى اللغوى (وكونها) اى التراكيب والقوى او هو راجع للقوى فقط (متغيرة) بالازدياد فى اول امرها ثم النزل والنقص بعده ودلك يدل على ضعفها (عرضا للافات) هو حال او خبر بعد خبر للكون ولم يعطف لكونه سببا لما قبله وقيل لكمال الاتصال بينهما وفيه ان ذلك مخصوص بالجمل كما حقق فى مباحث الفصل والوصل والعرض بالعين والصاد المعجمة اصله الهدف الذى ينصب لرمى السهام فشبه الجسد بهدف وافات الدهر ومصائبه كسهام لا تزال ترمى بها حتى يفنى كما قال ابو العتاهية * ان المنى لعرض الالام * يرميه نبل الدهر والايام * يصيبه رام ويخطى رام * يجوز ان يكون بالعين المهملة اى معرضا لها ولكن الاول اصح رواية ودراية وقال التلمسانى روى معترضة بدل قوله متغيرة اى ذات اعراض وهى الآفات والامراض او من العرصة اى متعرصة للآفات وقيد بعضهم عرضا بفتح العين المهملة اى مصوبا للآفات مقابلا لها كالهدف والاقة والعاهة كل ما يعرض لشئ فيفسده (والفناء) بفتح الفاء والمد وهو الزوال والعدم (فلم يكن لهم قوة على الرؤية) لضعف ابدانهم وقواهم فى الدنيا (فاذا كان فى الآخرة) اى اذا احياهم الله تعالى واد حاهم دار البقاء (وركبوا تركيبا آخر) غير تركيبهم الاول (وورقوا قوى ثانية) بمثلثة ونون ومساة تحتية اى قوى غير القوى الاولى الدنيوية وفى بعض النسخ بائتة موحدة ومساة فوقية فقوله (باقية) تفسيره اى مخلدة لا تفنى لقوة تركيبها وتمام قواها (واتم انوار ابصارهم وقلوبهم) اى جعلها تامة كاملة مستعدة للبقاء السرمدى (قووا بها على الرؤية) جواب اذا والضمير راجع للمذكورات من التركيب والقوى والانوار التى منحها الله تعالى لهم فى الآخرة

فهذا يدل على وقوع الرؤية فى الآخرة وجوازها فى الدنيا لانه لو رزقهم ذلك فى الدنيا صح ذلك منهم ايضا ولذا شق صدر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واودع فيه ما قوى به على ذلك كما تقدم وهذا مما اوحى لايوب عليه الصلاة والسلام قال عطاء اوحى الله لايوب انك لتنظر الى غدا فقال يارب اقبهاتين العينين فقال اجعل لك عينين باقيتين فينظر الى البقاء بالبقاء (وروى) وفى نسخ وقد رأيت (نحو هذا لمالك بن انس) رحمه الله تعالى (قال لم ير) بضم التحتية ونائب الفاعل عائد على الله (لانه باق ولايرى الباقى بالفانى فاذا كان) النظر او الناظر (فى الآخرة ورزقوا ابصارا باقية ورؤى الباقى بالباقى) ظاهره ان البقاء الابدى علة لصحة الرؤية والفناء مانع ولامدخل للبقاء فى الرؤية كما ان الفناء والحدوث لامدخل له فى المنع لان الرؤية بخلق الله ولبست مسروطة بشئ عند اهل السنة فكانه اراد ان البقاء يلزمه قوة التركيب والقوى المعدة لصحة النظر فيكون بمعنى ماقبله ولذا قيل ان مراده ان الرائى والمرئى لابد ان يكون بينهما مناسبة و ابصار هذه الدار فانية فاذا عادت وكساها الله صفة دوام البقاء تحملت رؤية الحى القيوم للمناسبة فى الجملة وان كان بقاؤه قديما ذاتيا و بقاؤها طار عرضى وهو كلام اقناعى (وهذا كلام حسن مليح) عنده على ماقيه (وليس فيه دليل على الاستحالة) والامتناع عقلا بل هو دال على الجواز اذ لامانع منه (الامن حيث ضعف القدرة) البشرية فى الدنيا (فاذا قوى الله من شاء من عباده) بان رزقه قوة تطيق ذلك (واقدره على حمل اعباء الرؤية) اى جعل له قدرة وطاقة على رؤيته ومشاهدته والاعباء جمع عبء بكسر العين المهملة وسكون الموحدة وهمزة وهو الحمل الثقيل و هو فى المحسوسات حقيقة فاستعيرت للمعانى (لم تمتنع) الرؤية (فى حقه) لتمكنه منها بما منحه من القوة (وقد تقدم ماذكر فى قوة بصر موسى ومحمد عليهما الصلوة والسلام ونفوذ ادراكها) بدال مهملة اى خروجه و بلوغه (بقوة آلهية منحاها) بضم اوله مبنى للمجهول اى اعطياها (لادراك ماادركاه ورؤية مارأياه والله اعلم) بحقيقة ذلك (وقد ذكر القاضى ابو بكر) محمد بن الطيب امام اهل السنة الباقلانى بالون نسبة الى الباقلاء على خلاف القياس كالصعانى توفى سنة ثلاث وار بعمائة وقيل ثلاث و تسعين وثلاثمائة قالوا وليس هو الامام ابو بكر بن محمد بن العربى شيخ المصنف (فى اثناء احو بته عن الآيتين) اى فى خلال كلامه فى الجواب عما استدل به المانعون من الآيتين لا تدركه الابصار ولن ترانى (مامعناه) ما موصولة او موصوفة مفعول ذكر اشارة الى انه رواية عنه بالمعنى دون اللفظ والعبارة (ان موسى عليه الصلاة والسلام رأى الله فلذلك حر صعقا) مغشيا عليه مع صحته لان وقوع مثل هذا بمجرد رؤية الجبل دكا بعيد وان جاز ان يكون لتجليه وظهور انواره لكن هذا منافى لظاهر قوله لن ترانى وقوله

انظر الى الجبل ولما نبه المصنف اولا من ان الله قسم الكلام والرؤية بين موسى ومحمد صلى الله تعالى عليهما وسلم (وان الجبل) ايضا (رأى ربه) اى خلق فيه ادراكا وحياة (فصار دكا) اى انهد حتى صار ترابا من هيبة الله وذلك (بادراك خلقه الله له) كما نقله الماتريدى عن الاشعرى رحمهما الله تعالى وهذا مما يدل على جواز الرؤية لان الذى اقدر الجماد على ذلك كيف لا يقدر عليه البشر (واستبط) اى استخرج (ذلك) واصل الاستنباط استخراج الماء من البئر فاطلق على مطلق الاستخراج او استعارة له وذلك اشارة لرؤية موسى عليه الصلوة والسلام ورؤية الجبل (والله اعلم) فيه اشارة الى انه لم يصرح به (من قوله تعالى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى ثم قال فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا) اى مدكوكا والدك والدق متقاربان وفسر دكه بانه صار رملا او ترابا وقيل غارقا وقيل استوى بالارض وقيل احترق فرقا قال الواحدى هذا الجبل يسمى زبيرا وليس هو بطور (وخر موسى صعقا) اى سقط صائحا مغشيا عليه من هول ما رأه من هذا الجبل (وتجليه للجبل ظهوره له حتى رآه) اى شاهد المتجلى ونوره فدك كاندك الحديد من النار فلو لم يخلق له حياة وادراكا ورؤية لم يحصل جوابه هذه وقتئذ (على هذا القول) اى قول ابى بكر الباقلانى السابق ان موسى والجبل رأيا معا وهذا بناء على مذهب اهل السنة فى انه يجوز خلق العلم والنظر فى اى جرم اراد وليس من شرطه لبنية ولا مرجح كما قاله المعتزلة فانه وهم باطل كما قاله ان عرفة قيل هذا عكس هرلان التجلى لموسى لا للجبل وكون موسى خر صعقا انما هو لدكة الجبل وشدة وقوعه لا بتجلى الله له ورؤيته ويناسبه قوله (وقال جعفر) الصادق (بن محمد) المتقدم ترجمته (شغله) الله تعالى (بالجبل) وصولات دكه حين امره بالنظر اليه (حتى تجلى) اى ظهر ظهورا تاما لموسى عليه الصلوة والسلام فرأه (وولاذلك) اى اشتغاله بالجبل بان ظهر له ورا التجلى ابتداء (مات صعقة) بسكون العين وكسرها وعلى الاول وهو تغيير وعلى اثر حال (بلا افاقة) من صعقته وغشيته (وقوله هذا) اى قول جعفر (يدل على ان موسى عليه الصلوة والسلام رأه) كالجبل لانه معنى التجلى لانه لا يقال تجلى له الا اذا شاهده فاقيل بان انه فى غاية البعد لان التجلى الواقع فى الآية انما هو للجبل لا لموسى عليه الصلوة والسلام غير متجه لان المصنف رحمه الله تعالى انما بنى كلامه على ما قاله هؤلاء وفهموه والناقل لا عهدة عليه فان حاصله ان موسى لما سأل الرؤية فى مناجاته لربه امره بالنظر للجبل ليلهين به حتى اذا تجلى له ابتداء لم يهلك وتحرقه لانوار وبه ت هذا بناء على انه حين صعق لم يمت وذهب كثير من المفسرين الى انه مات ثم احياه الله وما قاله هؤلاء مخالف لكلام المفسرين فانهم ذهبوا الى انه انما امر موسى عليه الصلوة والسلام بالنظر للجبل ودكه ليعلم انه لا طاقة له على رؤيته تعالى

فان مالا تطيقه الجبال كيف تطيقه بنية الانسان (وقد وقع لبعض المفسرين) انه قال (فى الجبل انه رأه) بحياة وادراك خلقه الله تعالى فيه فرأه وشاهده وقد نقله الماتريدى عن الاشعرى وهو الظاهر من التجلى وان حملوه على معنى آخر قال فى الكشاف فى تفسيره فلما ظهر اقتداره وتصدى له امره وارادته جعله دكا اى مدكوكا والظاهر انه عنده استعارة تمثيلية وقيل انه على حذف مضاف وفيه مجاز آخر حيث استدل التجلى للاقتدار ولبس بشئ (و برؤية الجبل) لله عز وجل (استدل من قال برؤية نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم له) قيل الجبل لبس له ادراك ونظر الا انه يجوز ان يخلق الله فيه ذلك ولبس جعله دكا متوقفا على الرؤية ومستلزما لها ولو كان كذلك قال فلما رأى واستقر فاعما دكه ليعلم موسى عدم طاقته لمشاهدة نور الانوار وفى الحقيقة جعله دليلا فيه ما فيه الا ان يقال معنى قوله (ادجعله دليلا على الجواز) انه جعل تعليق الرؤية بامر ممكن فى نفسه دليلا على جوازها فاذا كانت امرا جائزا لاحاجة لتأويل الاحاديث الواردة بانه صلى الله تعالى عليه وسلم رأى ربه (ولا مرية) بكسر الميم وضمها معناها الشك والتردد (فى الجواز) اى جواز الرؤية (ادلبس فى الايات) التى استدل بها على عدمها كاية لا تدركه الابصار ولن ترانى ونحوها (نص فى المنع) للرؤية صريح فيه اذ هى مأولة بل مشيرة للجواز كما مر (واما وجوبه لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) اى وجوب وقوع رؤيته ربه فى الاسراء بعين رأسه واعترض عليه بانه لم يقل احد بالوجوب وانما قيل بالجواز والوقوع والجواب بانه من خصائصه التى يجب اعتقادها تعسف ولبس المراد وجوبه على الله حتى يقال انه لا يجب عليه شئ وكل ذلك محص تفصل منه وقيل المراد وجوب الجواز لان الجائز عقلا اذا وقع فى الخارج انقلب واجبا غير وان كان فى حد ذاته ممكنا والمراد وقوع الرؤية انتهى ولا يخفى ما فيه من التعسف والتمحل الذى لا يساعده العبارة وكون الجائز اذا وقع انقلب واجبا لغيره ولا معنى له فالظاهر ان نقول ان الوجوب هنا بمعناه الاصطلاحى لانه لو ورد مصرحا به فى نص قطعى من القرآن او الحديث المتواتر او المشهور وجب علينا اعتقاده ولا يسع احدا من اهل الملة ان يخالف فيه واليه اشار فى آخر الفصل بقوله وجب المصير اليه الا ترى انه لما صح انه صلى الله تعالى عليه وسلم اخبر بالاسراء وورد فى القرآن انه اسرى به من الحرم للبيت المقدس لا يجوز انكاره سواء كان منامًا او يقظة او هو بمعناه اللغوى وهو الوقوع فانه اصل معناه واطلاق الواجب على اللازم عقلا او شرعا معنى عرفى منقول منه والمراد بالعرف فيه عرف اللغة وهذا مما صرح به ائمة اللغة والمصنف منهم قال الامام الراغب يقال وجبت الشمس اذا وقعت ومنه قوله فاذا وجبت

جنو بها وقول الفقهاء الواجب اذا لم يفعل استحق عليه العقاب وصف له بما هو عارض له فيجرى مجرى قولك الانسان اذا مشى مشي برجلين انتهى والى هذا اشار فقهاؤنا فى الفرق بين الفرض والواجب فقوله (والقول بانه رآه بعينه) يشير اليه من طرف خفى فلا اشكال فى كلامه وهذا يقع فى مقابلة الجائز بمعنى الممكن بلا وقوع كما صرح به الراغب ايضا فلا يرد على ما قلنا ان وقوعه فى مقابلة الجائز فى كلامه يأباه فان هذا كله انما جاء من توهم انه اريد بها ما قاله الفقهاء وقوله بعينه متعلق برآه او توكيد للضمير ففيه صنعة من البديع وهى حسنة اذا جاءت احيانا من غير تكلف لا كما يقصده بعض شعراء مصر فانه قبيح وهذا كقوله * رأيت من اهواه لما ان رما * فقلت هذا قاتلى بعينه (فليس فيه قاطع) اى دليل قطعى (ايضا) كما ان المدعى لم يقم لمدعيه دليل قطعى (ولا نص) اى دليل صريح فيه من الكتاب والسنة (اذ المعول عليه) اى المعتمد فى استدلالهم على وقوعه لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم (على آيتى) اى على آيتين فى سورة (النجم) ما كذب الفؤاد ما رأى و لقد رآه نزلة اخرى الاية * (والنازع فيهما مأثور) اى المراد منهما مقول عن سلف المفسرين والمتكلمين كما مر للقول بان الضمير لجبريل و الرؤية له بصورته الاصلية (و لاحتمال نهما يمكن) لعدم صراحتهما وقطعيتهما فى المدعى (ولا أثر) اى حديث (قاطع متواتر عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك) اى بكونه صلى الله تعالى عليه وسلم رآه بعين رأسه (وحديث ابن عباس) رضى الله تعالى عنهما الموقوف عليه المتقدم انفا ذكر فيه انه رآه بعينه (خبر عن اعتقاده) اى اخبر به عما كان يعتقده بحسب ما ادى اليه علمه الجازم (ولم يسنده الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى لم ينقله عنه ويقول انه صرح له بذلك حتى يعتبر (فيجب العمل) اى القول به والجزم (باعتقاد مضمنه) بضم الميم الاولى وفتح الصاد المهملة والميم المفتوحة المشددة اى ما تضمنه ودل عليه بعضه من رؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم لربه بعينه فسماه عملا لانه من الاعمال القلبية وان استهر ان العمل فيما يكون بالجوارح الظاهرة يعنى ان الرؤية البصرية ليس فيها نص قرآنى ولا حديث قطعى حتى يجب اعتقاده ويكفر منكره مخالفة لكثير من الصحابة والعلماء فى وقوعها وان كان الراجح عندهم ثبوتها وبه صرح العمرانى و لنووى واليه ذهب المصنف رحمه الله تعالى وان قيل انه مما خلافه فى شرح مسلم (ومثله) اى مثل قول ابن عباس فى اثبات الرؤية (حديث ابى ذر) الغفارى رضى الله عنه الذى رواه مسلم قال سألته صلى الله تعالى عليه وسلم هل رأيت ربك فقال رأيت نورا انى آخره (فى تفسير الآية) يعنى آية سورة النجم (وحديث معاذ) ان حمل (محتمل للتأويل) بما مر (وهو مصدر فاسد) اى الطريق فى روايته (و لمتن) هو نفس الحديث وكلام الرسول الذى رواه لانه المراد منه و لمتن صنه

الظهر الذي هو اهم البدن فتجب بما يقصد من الكلام كلفظ الحديث واللفظ المنقول
لبشرح واضطرابه اختلاله واختلافه افتعال من الضرب قبل اضطراب سنده لانه
رواه تارة عن ابي عباس الخضرمي مرسلا لانه ليس بصحابي وتارة عن معاذ بن جبل
واضطراب متنه لانه قال فيه رأيت ربي في احسن صورة فقال فيم يختصم الملاء
الاعلى الحديث الذي تقدم وفيه لما صلى الغداة قال صليت الليلة ماقضى لي ثم وضعت
جنبي فاتاني ربي وفي اخرى عنه قمت من الليل فصليت ماقدر لي فنعست في صلاتي
حتى استثقلت فاذا بارب واختلافه والسند واحد يوجب الاضطراب وقبل ان
الحديث بطوله رواه ابن حبل والترمذي وقال انه حسن غريب وقال انه صحيح الاسناد
وهو احسن ما يتمسك به في الرؤية وكذا قال المنذري في الترغيب فاذكره المصنف
رحمه الله تعالى من اضطرابه ان اراد معناه اللغوي لاختلاف الفاظه فهو غير قادح
لان الحديث الواحد قد تختلف الفاظه ولا يختلف معناه وان اراد معناه الاصطلاحي
وهو ما اختلف فيه روايان فاكثر فرووه بوجوه مختلفة لم يترجح احدها فليس فيه
شيء منه ولو كان كذلك اوجب ضعفه وانما الحديث صحيح كما سمعته آنفا وفيه
نظر (وحديث ابي ذر آخر مختلف) الفاظه المرويه ومثله قد يوجب الضعف لدلالته
على عدم ضبط الراوي (محتمل) للرؤية لعينية وغيرها (مشكل) من حيث المعنى
لجعله ذاته تعالى نورا (مروي) بالبناء للمجهول (نور) منون مرفوع ويروى
منصوبا ايضا (انى) بفتح الهمزة وتشديد النون والف بعدها مقصور بمعنى كيف
(اراه) اي منعني وحجبني اوطهر لي نورا ورأيت نورا عشيني فكيف ارى ذات الله
وقد حال بيني وبينه سجحات النور المانعة من الرؤية في جاري العادة وروى نورا الى
بالنسبة للنور على خلاف لقياس كصنعاني وقيل انه تصحيف والصواب الاول
وفي المتقى للبرهان ان يحتمل هذه الرواية ماسبق بان يكون معناه الخالق للنور
المانع للرؤية فهو من صفات الافعال وقال المصنف رحمه الله تعالى لم ار هذه الرواية
ومن المستحيل ان يكون ذاته نورا لانه جسم وهو تعالى منزه عند باجماع المسلمين
ومعنى نور السموات منورها اوهادي اهلها او منورقلوبهم اوذو بهجة وجمال
وقال العراقي في تخريج الاحياء ما رأيت لهذا الحديث ذكرا وقال ابن
حزيمة في القلب من صحة اسناده شيء وزاد احمد في حديث ابي ذر رجال اسناده رجال
الصحيح انتهى وقيل هذا الحديث لا يشعر برؤية ولا بعدمها والمتفق على
روايته هو الاول وكيف للانكار او التعجب اي كيف يتمكن من رؤيته ويحتمل انه
قاله لان عنده من حديث اسلامه ممن لا يفهم مراده لانه روى رأيت نورا وماذكره
البرهان تكلف فان النور من اسمائه تعالى (اقول كل هذا كلام مدح والذي ارتضاه
العراقي ان النور يطلق على الله تعالى حقيقة فان معناه الظاهر بنفسه المظهر لغيره

وهو وان كان متزها حكميا صوفيا فقد وقع فى كلام الاشعرى ما يوافقه قال الكثير
ليس كالاتوار كما سيأتى وعلى هذا فالروايتان بمعنى فانه نور النور الخفى بفرط الظهور فان
فهمت فهو نور على نور وقوله انه جسم غير مسلم (وحكى) اى نقل (بعض مشايخنا
انه) اى هذا الحديث او هذا اللفظ (نورانى اراه) قد عرفت معناه وسمعت ما قاله
المصنف اى فى شرح مسلم من ان هذه الرواية لم تثبت (وفى حديثه) اى حديث
ابى ذر (الاخر) اى المروى من طريق آخر (سألته) اى النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم فقلت له هل رأيت ربك (فقال رأيت نورا وليس يمكن الاحتجاج بواحد منهما
على صحة الرؤية فان كان الصحيح رأيت نورا) هذا محتمل لان يكون اطلق عليه النور
حقيقة كما مر او باعتبار لازمه كسائر اسمائه التى لا تليق حقيقتها به او ان المراد انه لم يره
لان حجابه النور والى هذا اشار المصنف بقوله (فهو) اى النبى صلى الله عليه وسلم
(قد اخبر انه لم ير الله تعالى وانما رأى نورا منعه وحجبه عن رؤية الله تعالى) بناء
على ما فهمه ولم يرتضه بعض الشراح (والى هذا) المعنى وانه لم يره (يرجع قوله
نور انى اراه) فانه تعجب او انكار لرؤيته (اى كيف اراه) هذا كقوله تعالى
* كيف تكفرون بالله * فكيف للانكار او التعجب اى كيف يتمكن من رؤيته
(مع حجاب النور المعنوى للبصر) اى الساتر والمانع له عن الرؤية كالغشاوة (وهذا
مثل ما فى الحديث الآخر حجابه النور) وهذا الحديث رواه مسلم والطيالسى والبخارى
عن ابى موسى الاشعرى وهو ان الله لا ينام ولا ينبغى له ان ينام ولكنه يخفض
القسط ويرفعه ويرفع عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل حجابه النور
لو كشفه احرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه وهو حديث
صحيح (وفى الحديث الآخر لم اره بعينى ولكن رأيته بقلبى مرتين وتلى) قوله تعالى
(ثم دنى فتدلى) اى نزل ليقرب من عبده وهذا بناء على ان الضمير فيهما لله تعالى
لا لجبريل عليه الصلوة والسلام وتدليه من المتشابه كقوله ينزل ربنا الى سماء الدنيا
والكلام فيه مشهور ثم بين معنى الرؤية القلبية فقال (والله قادر على خلق الادراك
الذى فى البصر فى القلب) بان يدرك بقلبه ما يدرك ببصره حتى يكون مشاهدا
محسوسا له واقفا على ذاته لان فى القلب نورا هو مبدأ الابصار فيقربه الله حتى
يرى بلا واسطة للعين (او كيف شاء) اى بكيفية اخرى غير خلق الادراك فى قلبه
اراد ها لمن اراد ان يتجلى له بان يجعل له علما ضروريا يدركه به على وجه لا يعلمه
الا هو (لا اله غيره فان ورد حديث نص) صريح (بين فى الباب) فى ثبوت الرؤية
له بحيث لا يحتمل التأويل (اعتقد) بالبناء للمجهول اى اعتقده كل من وقف عليه
وبلغه (ووجب المصير اليه) اى وجب علينا ان نذهب لاعتقاده ولا نعدل عنه (الا
اذا قام الدليل القاطع على استحالة فيه) اى فيما ذكر من صحة الرؤية ووقوعها وهذا معنى الوجوب الذى قاله اولا
كما وعدنا به (ولا مانع قطعى يرده) فيما من اعتقاده ويوجب تأويله او التوقف فيه

كسائر المشابهات (والله الموفق للصواب) اى الخالق للتوفيق المنعم به على عباده وفى الختم بهذا لطف لما فيه من الاشارة الى ان تعارض احاديث الرؤية محتاج للتوفيق ولا شبهة فيما قاله وهو لا ينافى ان الاصح الراجح انه عليه السلام رأى ربه بعين رأسه حين اسرى به كما ذهب اليه اكثر الصحابة لانه لما ورد ونقل خلافه ايضا ذهب الى انه امر غير قطعى فلا اعتراض عليه بانه انما رد بالقطعى كلام الله او حديث متواتر فسلم لكنه ليس بلازم فكم من امر يحتاج وجزمنا به وهو ليس فى القرآن ولا فى الحديث المتواتر وان اراد انه ليس فيه حديث صحيح صريح يعمل به فهو غير مسلم ساقط واه تركه حيرمنه ﴿فصل واما ما ورد فى هذه القصة﴾ اى قصة الاسراء (من مناجاته لله) اى مخاطبته له ومحادثته لما ارتفع الى المقام الاعلى والمناجاة تكون بمعنى المحادثة وبمعنى المسارة مما يرصاه واصل معناها ان يخلو بمن خاطبه على نجوة اى مكان مرتفع من الارض وقيل هو من النجاة لان من سره نجا من ان يطلع عليه غيره ثم ساغ فى مطلق المخاطبة فلذا عطف عليه قوله (وكلامه معه) ليبين المراد به والضمير الاول للرسول كضمير مناجاته او لله كضمير معه اى كلامه معه الثابت بقوله (فاوحى الى عبده) المقرب اليه والى سرادقات عظمته وهو الرسول المكرم عليه السلام او جبريل وقدم ان مقام العبودية اشرف المقامات فلذا قال الى عبده ولم يقل رسوله ولا نبيه (ما اوحى) اى ما يوحى امرا عظيما لا يحيط به العبارة فى الابهام اشارة الى تفخيمه وتعظيمه وانه محرم الاسرار المعارف لا يطلع على ما اطلعه الله عليه غيره فى الابهام ولفظ العبد هنا موقع لا يليق بغيره (الى ما تضمنته الاحاديث) الاتية والى بمعنى مع او غاية الابتداء بقدر اى ينتهى من الكلام الى ما تضمنه الاحاديث (فاكثر المفسرين) جواب اما قيل الاكثر يقابله الكثير فلا يناسب مقابلته بالشاذ والنادر منهم فلحق العبارة جمهور المفسرين والامر فيه سهل (على ان الموحى) اسم فاعل للايحاب قوله فاوحى فى هذه الاية (الله الى جبريل عليه الصلوة والسلام وجبريل الى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لا سدودا منهم) اى الجماعة من المفسرين قليلة شاذة خالفوهم فيه فشذوذا اما جمع شاد كقعود جمع قاعد او مصدر اطلق على الفاعل مبالغة فى اتصافهم به حتى كانهم عينه (وذكر) مبنى للمفعول (عن جعفر بن محمد الصادق) صفة جعفر وقد تقدمت ترجمته انه (قال اوحى الله بلا واسطة) اى كلم الله محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم بلا واسطة ملك اوغيره والمراد بالوحى هنا الكلام وان كان اعم منه فعلى هذا ضمير اوحى لله والمراد بالعود محمد صلى الله عليه وسلم وهذا بيان للمذهب الشاذ (ونحوه) اى ومثل ما قاله جعفر نقل (عن الواسطى) وقد تقدمت ترجمته (والى هذا) القول المنقول عن جعفر والواسطى (ذهب بعض المتكلمين ان محمدا كلم ربه فى الاسراء) بفتح همزة ان وهو وما بعده بدل من هذا (وحكى) ببناء المجهول (عن الاشعرى وحكوه عن ابن مسعود وابن عباس) رضى الله تعالى

عنهم (وانكره) اى انكر تكليم الله له صلى الله تعالى عليه وسلم بلا واسطة قوم (آخرون) ولبس المنكر النقل فقط كما توهم لان السياق يأباه (وذكر القاش) السابق ذكره فى تفسيره المشهور نقلا (عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى قصة الاسراء عنه عليه الصلوة والسلام انى) تفسير (قوله فدنى فتدلى قال) صلى الله تعالى عليه وسلم (فارقنى جبريل) اى تخلف عنه فى المعراج لان له مقاما لا يتعداه (فانقطعت الاصوات عنى) بعد ما فارقته وبعدت عنه (فسمعت كلام ربى وهو يقول لى) جملة حالية اى قائلا لى (ليهدأ روعك يا محمد) بلام الامر ويهدأ بفتح الياء المثناة التحتية وسكون الهاء ودال مهملة مخففة مفتوحة وهمزة ساكنة لانه مضارع مجزوم بلام الامر فاذا ابدل الفاء جاز حذفها كالمعتل الاخر والروع بفتح الراء الخوف والهدأ معناه السكون والمعنى ليسكن فزعك اى ليذهب فزعك وخوفك ويجوز ضم الراء المهملة والروع بالضم القلب والمراد ليقر قلبك ولا يضطرب من الخوف ويجوز ان يراد بالمفتوح ايضا القلب لانه محله فالروايتان بمعنى (ادن ادن) امر من الدنو وهو القرب اى تقدم وادخل الى حظائر القدس وانما قال له تشريفا له صلى الله تعالى عليه وسلم واعلاء لمرتبته وتأنيسا لا ستيحاشه لما انقطعت عنه الاصوات ولذا امره باطمئنان قلبه اولا وكرر امره تأكيدا وايذانا لزيادة قربه من الله تعالى وان كان اقرب اليه فى كل حال لتنزهه عن المكان وانما هذا بالنسبة له فاحاره عنه بقوله دنا اشارة الى امتثاله الامر (وفى حديث انس رضى الله تعالى عنه فى الاسراء) السابق ذكره (نحو منه) اى مايفيد مثله فالحاصل فى قوله فاوحى الآية ان الضمير الاول فى اوحى لجبريل وفى عبده لله والمراد به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه اضمار قبل الذكر لانه معلوم وضمير اوحى الثانى يجوز ان يكون لجبريل وفيه تفخيم وتعظيم للوحى اولله اى اوحى جبريل لعبد الله محمد ما اوحى الله اليه ويجوز ان يكون الضمير فى اوحى الاول لله وعبده محمد صلى الله تعالى عليه وسلم اى اوحى الله الى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ويجوز ان يكون المراد بعبده جبريل اى اوحى الله تعالى الى جبريل والضمير فى اوحى الثانى لله اى اوحى الله الى عبده محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ما اوحاه الله اليه ففيه تفخيم للوحى ايضا ويجوز ان يكون لجبريل اى اوحى الله لعبده محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ما اوحى جبريل اليه فايحاؤه اليه بواسطة وعلى ان المراد بعبده جبريل وضمير اوحى الثانى لله والمعنى اوحى الله لعبده جبريل ما اوحى لمحمد اولكل رسول لانه امين وحيه وما مصدرية اوموصولة والذى اوحاه احكامه اوامر الصلاة اواوحى اليه لايدخل نبى وامة الجنة قبلك وقبل امتك اوهو سر فى سر

كما قيل *بين المحبين سر ليس يعرفه* قول ولا قلم للخلق يحكيه*

وسيأتى تفسير بقية الآية وتحقيقه (وقد احتجوا فى هذا) اى استدلوا على انه تعالى

كلمه بلاواسطة (بقوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب
او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء) ووجه الاحتجاج بنه بقوله (فقالوا هي)
اقسام الكلام المثبتة في هذه الآية على وجه يفيد نفي ما عداها لان معنى ما كان
لايصح ولايقع (ثلاثة اقسام) منحصرة فيها الاول منها (الكلام من وراء حجاب)
يحجب من خلقه وكله عن رؤية ذاته لايحجب الله فلا يراه ولا يحجبه شيء كما مر تفصيله
فهو يسمع كلامه من غير واسطة وهو لايرا • والحجاب سبحات النور وما ادركه الا الله
(كتكليم موسى) اى كتكليم تعالى لموسى عليه الصلوة والسلام في الدنيا وموسى
لايراه فانسبيه فيما ذكر فانه سمع من الشجرة كلام الله تعالى من غير واسطة ملك
وهو لايرى ذاته تعالى (و) القسم الثاني من الوحي يكون (بارسال الملائكة) الى
رسل البشر ليبلغوهم كلامه تعالى ووحيه الذي اوحاه اليهم وهذه الحالة في الوحي
(كحال جميع الانبياء) عليهم الصلوة والسلام (و اكثر حال نبينا صلى الله تعالى
عليه وسلم) وموسى ايضا في غير ماذكر من كلامهما بغير واسطة في الدنيا قيل سواء
رؤا الملك اولم يروه فان الوحي على اقسام كما كان يسمع كصلصلة الجرس من غير ان
يراه وفيه نظر فان هذا داخل في قوله وحيا وفي قوله بارسال الملائكة اشارة الى انه غير
مختص بجبريل لما روي ان اسرافيل عليه الصلوة والسلام وكل به صلى الله تعالى
عليه وسلم ثلاث سنين في اول الامر وقد قسموا الوحي الى نحو اربعين قسما ولكنهما
لانخرج عن هذه الاقسام (الثالث) من اقسام الوحي وكلام الله ارسله عليهم
الصلوة والسلام (قوله وحيا) اى القاء في قلبه بالهام ونحوه قال الراغب في مفرداته
اصل الوحي الاشارة السريعة ولتضمنه السرعة قيل امر وحي وذلك يكون بالكلام
على سبيل الرمز والتعريض وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب و باشارة بعض
الجوارح و بالكتابة و يقال لما يلقى لانبيائه وحي وهو على اضرب حسبما دل عليه
قوله وما كان لبشر الى اخره فذلك اما برسول مشاهد يرى ذاته و يسمع كلامه كتبليغ
جبريل للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم في صورة معينة واما سماع كلام من غير
معاينة كسماع موسى كلام الله واما بالقاء في الروع كما ذكر ان روح القدس نفث في
روعي واما بالهام او منام انتهى فالاخير هو المراد بالوحي هنا وسيشير اليه المصنف
(ولم يبق من تقسيم صور الكلام الا المشافهة) اى الكلام من غير وهو في الاصل
مأخوذ من السفة فيجوز به عن هذه المحاطبة والمكالمة (مع المشاهدة) اى معاينة
المخاطب لمن كلمه من غير واسطة ولاحجاب مانع من الرؤية فيختص الله بها من شاء
من خلص عباده المقربين كنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وقد استدل بهذه
الآية على نفي الرؤية لحصر تكليم البشر في الثلاثة فاذا لم يره من يكلمه وقت الكلام
لم يره غيره اجماعا واذا لم يره هو اصلا لم يره غيره ايضا اذ لاقائل بالفصل والجواب

انه يحتمل ان يكون المراد حصر التكليم فى الدنيا فى هذه الثلاثة اونقول يجوز ان تقع الرؤية حال التكليم وحيا اذ الوحى كلام بسرعة كما تقرر وهو لاينافى الرؤية فلا دليل على ما ذكر اصلا كما حققه ابن الخطيب فى رسالته المشهورة يعنى ان اعلام احد احدا بامر اما بغير مسافهة وكلام معروف و بمشافهته بواسطة او بدونها والثانى انه مع مشاهدة او بدونها فالحصر فى هذه الصور الاربعة والآية استوفت الاقسام الا ما كان مع مشاهدة الذى خص الله من اراد وقد علمت ان ماذكره غير متعين ولذا قال بعضهم ان قوله لم يبق الا المشافهة مع المشاهدة ممنوع الا ان سد منعه غير صحيح ولم يعرج احد منهم على تحرير كلامه هنا (وقد قيل) القائل هو الراغب وغيره كما سمعته آنفا (الوحى هنا) فى هذه الآية (ما يلقيه فى قلب النبى) اى فى قلب اى نبى كان من الانبياء عليهم الصلوة والسلام الهاما ونحوه (دون واسطة) اى بغير واسطة ملك يبلغه ما اوحاه الله اليه و الالهام كما قال الزركشى ما حرك القلب بعلم يلقيه الله فيه يدعوه الى العمل به من غير نظر واستدلال بحجة وادى عليه الجمهور انه حيال لايجور العمل به الاعند فقد الحجة وذهب بعضهم الى انه حجة بمنزلة الوحى بقوله تعالى فالهمها فجورها وتقواها ونحوه وقال السمعانى انكار اصله لايجوز انتهى ولايخفى ان الخلاف فى غير الهام الانبياء ومن كان فى حكمهم فانه وحى وعلى هذا ينبغى تقييد ما فى شرح جمع الجوامع وقال الواحدى فى تفسيره نقلا عن الواقدى فى تفسير قوله تعالى * وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى * الآية ان الرسول الذى ارسل الى الخلق باحضار جبريل عيانا وشفاها والنبى يكون نبوته الهاما او مناما فكل رسول نبى وليس كل نبى رسولا وقال النووى فى تهذيبه ماظاهره ان النبوة المجردة لاتكون برسالة ملك وليس كذلك وكلام العراقى الذى يستشهد به يردعليه انتهى (وقد ذكر ابو بكر البزار) بموحدة وزاى معجمة والف وراء نسبة لعمل البزاز الكتان واستخراج زيته وهى لغة بغدادية وهو الامام الحافظ الذى تقدمت ترجمته (عن على كرم الله وجهه فى حديث الاسراء) الذى رواه المصنف رحمه الله تعالى تمامه فى اول الباب (ما هو اوضح فى سماع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لكلام الله من الاية) يعنى قوله تعالى * فاوحى الى عبده ما اوحى لان الاية فيها احتمالات وحديث على رضى الله تعالى عنه فيه التصريح بسماعه صلى الله تعالى عليه وسلم كلام الله من وراء الحجاب وقوله صدق عبدى فلا يأباه كون ضمير عبده لجبريل فى قول وان خلافه سد وكذا كون الوحى فى الآية منهم وثم معين ولا ينافيه اختصاص نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم بالمشافهة مع الرؤية اختصاص موسى عليه الصلوة والسلام بالتكليم كما توهم (وقد ذكر) اى البزار وعلى رضى الله تعالى عنه (فيه فقال الملك الله اكبر الله اكبر فقيل لى من وراء الحجاب) ى

قال الله تعالى لملك الاذان (صدق عبدى انا اكبر انا اكبر وقال فى سائر كلمات الاذان مثل ذلك) الا قوله حى على الصلاة حى على الفلاح كما مر و لكونه معلوما لم يرده عليه ووجهه ان المشروع لسامع الاذان ان يقول مايقوله المؤذنون كلمة بكلمة تصديقا له باقراره الا قوله حى على الصلاة الى آخره فانه يقول فيه لاحول ولاقوة الا بالله وهذا لايليق به تعالى فلذا لم يحكه (تنبيه) هذا امران الاول اختلف العلماء فى صفة الاذان على اربع كيفيات مشهورة احدها تثنية التكبير وتربيع الشهادتين وباقيه مثنى وهو مذهب اهل المدينة ومالك وغيره واختار جماعة من اصحاب مالك الترجيع وهو ان يثنى الشهادتين اولا حيا بهما مرة ثانية برفع الصوت والصفة الثانية اذان المكيين وبه قال الشافعى رحمه الله تعالى وهو تربيع تكبير الاول والشهادتين وتثنية باقى الاذان والصفة الثالثة اذان الكوفيين وهو تربيع التكبير الاول وتثنية باقى الاذان وبه قال ابو حنيفة رحمه الله تعالى والصفة الرابعة اذان البصريين وهو تربيع التكبير الاول وتثليث الشهادتين وحى على الصلاة وحى على الفلاح يبدأ باشهد ان لا اله الا الله حتى يصل حى على الفلاح ثم يعيده كذلك مرة ثانية اعنى الاربع كلمات فقط ثم يعيده ثالثة وبه قال الحسن البصرى وابن سيرين كذا قال ابن رشد فى كفاية المقتصد الثانى ان حديث على رضى الله تعالى عنه يقتضى ان الاذان شرع ليلة المعراج وحديث الصحيحين المشهور انه شرع بعد الهجرتين لما رأه بعض الصحابة فى منامه كما مر ولا يخفى مابين الحديثين من التعارض و لم يتعرض احد للتوفيق بينهما وان اعترض ذلك بانه كيف يثبت التشريع بمنام لغير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واجيب بانه ثبت بوحى لكنه صادف ذلك المنام فاظهر العمل به تطمينا لقلوبهم وحبرا لخواطرهم والظاهر ان يقال انه لم يثبت بحديث الاسراء الا انه لم يبين له زمانه ولم يمكن اعلامه به قبل الهجرة فاخر ذلك حتى يستقر ظهور الدين وبهذا تم التوفيق بينهما (وبحى الكلام فى) بيان (مشكل هذين الحديثين فى الفصل بعد هذا مع مايشبهه وفى اول الفصل من الباب منه) وسنذكر مافيه ثمة (وكلام الله) عز وجل (لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم ومن اختصه من انبيائه) اختص ورد لازما ومتعديا كما هنا بمعنى خصه (جائز غير ممتنع عقلا) اى ثبت جوازه وعدم امتناعه عقلا وسمعا كما مر فلا يضر نزاع المعتزلة فيه كما توهم (ولا ورد فى السمع قاطع يمنعه) اى دليل قطعى يمنعه كما لم يرد دليل قطعى يثبته ايضا (فان صح فى ذلك) اى فى الكلام بلا واسطة غير موسى عليه الصلوة والسلام (خبر اعتمد عليه) فى الجزم بوقوعه وروى احتمل وكلاهما مبنى للمجهول كما قاله البرهان (وكلامه تعالى لموسى) وروى ومكالمته لموسى عليه الصلوة والسلام (كائن حق مقطوع بنص ذلك) بالبناء للمجهول على الحذف والايصال كسترك اى بنص عليه (فى الكتاب) العزيز والقرآن (واكده)

الله تعالى (بالمصدر دلالة على الحقيقة) اى دلالة على ان الكلام فيه بمعناه الحقيقى وان اختلف اهل السنة فى معناه الحقيقى القديم بل هو الكلام اللفظى او النفسى كما ذهب اليه الاشعرى وتحقيقه فى كتب الاصول وهو مبحث طويل الذيل لايسعه هذا المقام وهذا رد على المعتزلة القائلين بان الله لم يكلمه وانما خلق الكلام فى جسم آخر كالشجرة فسمعه عليه الصلوة والسلام منها لانهم سموا الكلام النفسى وقالوا اللفظى حادث لايقوم بذاته ودعوى قدمه لايعقل عندهم فمعنى متكلم عندهم خالق الكلام وموجده قائما بغيره فان قالوا انه حقيقة لانه الخالق له والفاعل فباطل لان الفاعل الحقيقى فى اللغة من قام به الفعل لامن اوجده فهذا ناش من عدم الفرق بين الفاعل الحقيقى اللغوى والحقيقى فى الحقيقة ونفس الامر كما حققه الانهرى فى حواشى العضد فيلزمهم اثبات المشتق بدون ثبوت مأخذه له فان قالوا هو مجاز فالتأكيد بالمصدر فى قوله وكلم الله موسى تكليما يرده لان التأكيد اللفظى والمعنوى يمنع التجوز كما ذكره اهل المعانى وهذا من قبيل الاول كما اشار اليه المنصف هكذا قرره الاصوليون ورده ابن عبد السلام بان التأكيد بالمصدر لمنع التجوز فى الطرف ودفع الشك فى الخبر لا لحدث عمه والاسناد اذ التأكيد انما هو للفعل فالكلام وقع حقيقة ولكن ممن صدر والتأكيد لتحقيق وقوعه فقط واجاب ابن عرفة بان تأكيد المصدر وان كان لازالة الشك فى الخبر فلا بد من ملاحظة من صدر عنه فهو لازالة الشك عن حديث فلان ولذا قال اليافعيون فى قول هند روحى ان رنا ع تهجوه

*بكى الخر من روح وانكر جلده *وعجت عجيجا من جذام المطارف*

انه ترشيح للمجاز (اقول هذا كلام ساقط جدا فانهم ادعوا ان تأكيد المصدر يرفع التجوز عن الاسناد فيقتضى ان التكليم مسند لفاعله الحقيقى والمعترض يمنعه ويقول انما يمنع التجوز فى الظرف وهو الكلام لامؤكد لفعله كما صرح به واهل المعانى لم يتعرضوا لهذا والبحث وارد عليهم لان الصحيح مجاز وقد اكد فلا يمنع مجازا اصلا وكونه ترشيحا عليه لاله وبهذا عرفت مايرد على المصنف (ورفع مكانه) اى مكان موسى الكليم (على ما ورد فى الحديث) الصحيح الذى فيه مقامات الانبياء عليهم الصلوة والسلام الذين لقيهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى السموات حين اسرى به انه (فى السماء السابعة) هذا بناء على بعض الروايات والذى صححه الحاكم وغيره انه صلى الله تعالى عليه وسلم فى السماء السادسة وجزم به ابن البشير وغيره وما ذكره المنصف رحمه الله موافق لما ذكره البخارى فى التوحيد وعدل عن المشهور لانه اليق بمراده فالقول بانه علمه وناداه فى السماء السابعة ابراهيم عليه الصلوة والسلام وهم من قائله وقوله (ليسمع كلامه) متعلق برفعه اى سبب رفعه عليه الصلوة والسلام على غيره كونه شرفه بكلامه فى الدنيا (ورفع محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) حين اسرى به (فوق هذا كله) اى فوق هذه المقامات كلها

فى حياته صلى الله تعالى عليه وسلم بهيكله البشرى (حتى بلغ مستوى وسمع صريف الاقلال) تقدم شرحه (وكيف يستحيل) ويمتنع عقلا (فى حق هذا وبعد) بعد جوازه وثبوت ما يدل عليه (سماع الكلام) من كلام الله تعالى بغير واسطة (فسبحان) تنزيه لله وتعظيم له حمدا على ما انعم به لا تعجب فانه غير مناسب هنا (من اختص من شاء) من رسله وخلص عباده (بما شاء) من جزيل نعمه وكرمه (وجعل بعضهم) راجع لمن باعتبار معناه (فوق بعض درجات) كنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم اذ فضله على جميع الانبياء وخصه بنعم لم يصل اليها سواه وهذا اقتباس من قوله تعالى * تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات * فالمراد ببعضهم هنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وابهمه تفخيما لشانه واشارة الى تعينه كما قيل

* واقول بعض الناس عنك كناية * خوف الوشاة وانت كل الناس *

وان اختلف المفسرون فى المراد به فى الآية ولا يخفى ما فى ختم الفصل بهذه الآية من حسن المناسبة ومراعاة المقطع لما فيها من ذكر الكلام ورفع الدرجات المناسب لهذا المقام ﴿ وصل واما ما ورد فى حديث الاسراء وظاهر الآية من الدنو والقرب ﴾ عطف تفسيرى وهو بيان لما وظاهر بالرفع والجر (من قوله ثم دنى فتدلى) الدنو القرب ولذا عدى عليه عطفا تفسيريا وهو حسى ومعنوى والتدلى الامتداد من علو الى اسفل كما يلقى الدلو فى البئر هذا اصله ثم استعمل فى القرب من العلو حسا او معنى فهو اخص مما قبله ولا تقديم ولا تأخير فيه اصلا والاصل فتدلى فدنا وليس معنى لان العطف بالفاء يأباه والتأسيس خير من التأكيد وقيل دنا بمعنى قصد القرب منه صلى الله تعالى عليه وسلم فتحرك من مكانه نحوه وقيل تدلى من الدلال كتمطى اصله تمطط والضمير فيها لجبريل عند الجمهور اى دنا جبريل من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعد استوائه بالافق الاعلى من الارض فتدلى عليه لانه لما رآه بصورته هاله فرده الله تعالى لصورته التى كان عليها فقرب منه وقيل الضمير لله اى دنا من نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مجاز عن اجابة دعائه واعطائه ما تمناه باشراق نور المعرفة ومشاهدة اسرار الغيب لانه منزه عن المكان كما سيأتى بيانه (فكان قاب قوسين او ادنى) القاب ما بين مقبض القوس وموضع ربط الوتر من طرفيه ولكل قوس قابان وقيل القاب حيث الوتر من القوس وقيل معناه قدر والقوس معروف وقيل هى هنا الذراع لانه يقاس به فالمعنى قدر ذراعين وروى عن ابن عباس وعلى الاول قيل فيه قلب اى قابى قوس اى بينهما مسافة مقدار قاب قوسين اى بين النبى وجبريل لان جبريل هو الموصوف بما قبله وهذا رواية عائشة عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ورجح هذا الوجه على رواية شريك ابن الله ولهم فيها كلام كثير

﴿ وقال ﴾

وقال الرازى هذا على عادتهم اذا تعاقد كبيران اوتصالحا جعل كل واحد منهما قوسه بطرف قوس صاحبه ومن دونهما يضع كفه بكفه واو تحقق قدر المسافة لا للشك كقوله فارسلناه الى مائة الف او يزيدون وقيل للشك بالنسبة للراوى وقيل بمعنى بل اوالواو واد نى افعل تفضيل اى اقرب من قاب (فاكثر المفسرين) جواب اما (ان الدنو والتدلى منقسم بين محمد وجبريل عليهما الصلوة والسلام) اى كل منهما تدنت لكل منهما الالهة اى دنا محمد من جبريل ودنا جبريل من محمد وتدلى كل منهما للاخر اوالمراد ان الدنو لمحمد والتدلى لجبريل فالانقسام بمعنى توزيع الوصفين بينهما وهذا مما رأه بصورته الاصلية (اومختص باحدهما من الاخر) اى مختص بمحمد صلى الله عليه وسلم او بجبريل والمعنى دنى وتدلى محمد من جبريل اودنا وتدلى جبريل من محمد (اومن السدرة المنتهى) اى يختص الدنو والتدلى من السدرة لا من الاخر (قال الرازى) فخر الدين المشهور (وقال ابن عباس) كما رواه ابن ابى حاتم عنه (هو) اى الذى دنى وتدلى فى الآية (محمد دنا فتدلى من ربه) ودنوه كناية عن قرب منزله ومساعدته من قدسه ما لم يتيسر لغيره (وقيل معنى دنا قرب وتدلى زاد فى القرب) فهو ترق فى تقربه من ربه قربا معنويا لاحسيا (وقيل هما) اى دنا وتدلى (بمعنى واحد اى قرب) قربا معنويا بذيله ابعاده ولا يخفى ان العطف بالفاء غير وارد فى مثله واد اضعفه واحره والقول بانه للتأكيد واعادة انه قرب بليغ لا تساعده العبارة (وحكى مكى والماوردى عن ابن عباس) رضى الله تعالى عنهما فى رواية ابن جرير عنه (هو) اى من اسند اليه الدنو (اى رب دنا من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) ليس المراد الدنو المكانى تنزه الله عنه ولا العلم لانه لا يختص به حتى يذكر فى مقام مدحه وتعظيمه بل قرب المنزلة باعلاء مقامه واطلاعه على عجايب ملكوته (فتدلى اليه) اى برل الرب لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم فهو على حد قوله تعالى * ينزل ربنا الى السماء الدنيا فى الثلث الاخير * اى تجلى له ونظر اليه بلطفه وكرمه وتسريفه بخطابه كما سيأتى بيانه فقوله (اى امره وحكمه) لم يرد به انه فاعل تدلى كما قيل وانما هو ضمير الله ايضا وهو استعارة او كناية عما ذكر واليه اشار القاضى رحمه الله تعالى بقوله المقصود من الآية تمثيل تحقيق اسماعه لما يوحى اليه بنى البعد عنه (وحكى القفاس) فى تفسيره (عن الحسن) البصرى انه (قال دنى) الله (من عبده محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) دنو مرتبة وقرب معنوى (فتدلى) اى (فقرب منه) بعنايته واختصاصه والاولى فزاد قربه اليه كما مر (فاراه ماشاء ان يريه من) آثار (عظمته وقدرته) فارى بصرية تعدت لمفعولين او علمية مفعولها الثانى مقدر اى اراه عظمته وقدرته مشاهدة معاينة والاول اظهر واقرب (قال) اى القفاس او الحسن (وقال ابن عباس هو مقدم ومؤخر) فاصله

فتدلى فدنى اى (فتدلى الرفرف لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة المعراج) وهو البساط مطلقا اوالبساط الاخضر وقيل ماكان من الديباج وفى الصحاح الرفرف ثياب خضر تتخذ منه المجالس وكسر الخاء وحانب الدرع وما تدلى منه واحد ه رفرفة فهو من البسط والفرش وفسر بالرابى والمرافق وقيل الثوب العريض اوحواشيه من رف يرف تحرك ومنه رفرفة الطائر بجناحيه و يطلق على الستارة وطرف الخيمة وفى الحديث زرنا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فرفع لنا الرفرف فرأينا وجهه ومنه رفرف الالياء فى الجنة وهو بساط اذا استقروا عليه طاروا بهم لاى جهة ارادوها بقدرة الله تعالى وورد فى المعراج انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما بلغ سدرة المنتهى جاءه بالرفرف جبريل عليه الصلوة والسلام فتناوله فطار به الى العرش يرفعه ويخفقه وجبريل رافع صوته بالتمجيد فهو مركب له صلى الله تعالى عليه وسلم كالبراق وقد فسر قوله متكئين على رفرف خضر بعض هذه الوجوه وبلغه رياض الجنة والى هذا اشار بقوله (فجلس عليه ثم رفع) اى رفعه الله بقدرته وهو مبنى للمجهول (ودنا) الرفرف اوالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم (من ربه) بالمعنى السابق (قال) صلى الله تعالى عليه وسلم بيانا لما هو عليه بعد ان على الرفرف (فارقنى جبريل وانقطعت عنى الاصوات) اى اصوات الملائكة عليهم الصلوة والسلام (فسمعت كلام ربى) عز وجل من غير واسطة وليس كلاما خلقه الله تعالى فى بعض الاجرام كما زعمه المعتزلة كما مر وفيه اثبات الكلام اللفظى لله تعالى كما ذهب اليه السلف وتبعهم الشهرستانى فى مقالته المشهورة ومن ينكره يقول الكلام النفسى يسمعه الله تعالى بقدرته والبحث بطوله مقرر فى علم الكلام (وعن انس فى الصحيح) اى مروى فى صحيح البخارى (عرج بى جبريل) صاعدا (الى سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة) عطف بيان او بدل والجبار هنا بمعنى العلى الاعلى من قولهم نخلة جبارة اى طويلة مرتفعة هذا هو المناسب للمقام لانه انسب من تفسيره بالقاهر لعباده على ما اراده من امر ونهى وان فسر به ايضا والعزة من عز يعز بالفتح اشتد وبالكسر صار عزيزا وهذا من حديث شريك السابق وقد استعرته الدهى وفيه نظر (فتدلى) تقدم تفسيره (حتى كان) رب العزة (منه) صلى الله تعالى عليه وسلم (قاب قوسين اوادنى فاوحى اليه بما شاء واوحى اليه خمسين صلوة) كما مر (وذكر حديث الاسراء) بتمامه كما تقدم (وعن محمد بن كعب) القرظى السابق بيانه (هو) اى الموصوف بانه دنى كما سيأتى بيانه (محمد) صلى الله عليه وسلم اى (دنى) محمد صلى الله عليه وسلم (من ربه فكان قاب قوسين) اى مقدار قوسين فى القرب منه (اوادنى قال) اى محمد بن كعب (وقال جعفر بن محمد) وهو الآتى بعده ايضا (ادناه ربه حتى كان منه كقاب قوسين وقال جعفر بن محمد) المذكور (والدليل من الله

لاحد له) اى الدنو من جانب الله ليس دنوا مكانيا محدودا يحيز كالاجسام بل دنوا معنوى (ومن العباد بالحدود) المكانية الحاضرة لهم لا الحد المطلق المميز للماهية (وقال) جعفر (ايضا) كما قاله السابق (انقطعت الكيفية عن الدنو) من جانب الله اى دنو من عباده ليس له كيفية مخصوصة وحالة معروفة لانه امر معنوى غير محسوس والكيفيات احوال محسوسة وسميت كيفية لانها يسئل عنها بكيف وهذه لفظة مولدة لم تسمع من العرب ومخالفة للقياس لان كيف لا تنسب اليها ثم صح ذلك بقوله (الا ترى) الخطاب عام لكل من وقف عليه كقوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على النار والرؤية بصرية اوادعائية اوعلمية والا تفتح الهمزة وتخفيف اللام وما فى بعض النسخ الا بصورة الاستفهام وانه سمع منه بعيد (كيف حجب) بالبناء للفاعل اى منع (جبريل) بالنصب مفعوله ويجوز بناؤه للمجهول ورفعه (عن دنوه) الى ربه (ودنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الى ما) موصولة اوموصوفة وفى نسخة ودنوه مصدر منصوب على كيف اى الا ترى الخ وترك دنوه (اودع قلبه) صلة ما اوصفة له واودع مبنى للمجهول وقلبه نائب فاعله وفى بعض النسخ بالبناء للفاعل ونصب قلبه مفعوله كما قاله البرهان (من المعرفة) الالهية والمواهب الربانية (والايمان) مما لا طريق له الا السمع بعد البعثة وعليه حمل قوله تعالى ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان اى الايمان بما يقتضيه العقل كوجود البارى ووحدانيته ومعنى قوله (فدنى) اى نزل عما كان عليه قبل هذا (فسكون قلبه الى ما دناه) اى ربه لما اطمأن قلبه (وزال عن قلبه الشك والارتياب) فى انه هل يصل الى حضرة القرب وينال اناقته بالاكرام والانعام ويترقى الى اعلى مقام فانجح الله تعالى امنيته وليس المراد الشك فيما يتعلق بالله ومعرفته فانه صلى الله تعالى عليه وسلم اقوى الناس معرفة وايمانا واثبتهم حسا وايمانا واشدهم طمانينة وسكونا وبهذا سقط ما قيل انه لم يكن عنده شك لامتلاء قلبه بالمعرفة والايمان وتطهيره من دنس الشك ووسوسة الشيطان وقيل انه لما فارق جبريل حين اختصه الزعرف حتى لا يكون ذلك لاحد مؤديا الى الهلاك وخاف من مكر الله وشك فيما يؤول اليه امره فلما خاطبه الله وقال له ليهدأ روعك علم ان الله انما اراد تقريبه والانعام التام عليه فزال شكه وانشرح صدره وملئ قلبه برد اليقين وحصول مراتب التمكين والا فظاهره لا يليق بمقامه (قال القاضى ابو الفضل) عياض المؤلف (رضى الله عنه اعلم انما وقع) بفتح الهمزة وتقدم معنى اعلم (من اضافة لدنو والقرب لها) اى من اسناده (الى الله ومن الله تعالى) ووصفه به من اضافة بالمعنى اللغوى لا الاصطلاحى وقوله لها اى فى هذه الاية (فليس بدنو مكان) هو حيز المفتوحة وزيد فيه الفا لان اسمها موصول اى ليس فيه قربا محسوسا بل معنوى (ولا قرب مدى) بزنة فتى فسر بالغاية والنهاية واعلم ان معناه المكان الممتد كما يقال مدى البصر ومده ولا عبرة بما قيل انه فى حظ ذلك

ورد فى الحديث كما ذكره النووى فى شرح مسلم (بل كما ذكرناه عن جعفر بن محمد الصادق ليس بدنو حد وانما دنو النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من ربه وقربه منه (بانة عظيم منزلته) الابانة بكسر الهمزة بمعنى الاظهار وهو مرفوع خبر دنو المبتدأ وتقدم معنى المنزلة والرتبة وانها العلو المعنوى (وتشريف رتبته) بالجر ويجوز رفعه واشراق انوار معرفته) اى اظهار آثار معرفة الله عليه ففيه استعارة مكنية او تبعية ان كان من قبيل لجين الماء (ومشاهدة اسرار غيبه وقدرته) اى وقوفه على ما فى عالم الملكوت لما هو مغيب عن خلقه الا من خصه الله تعالى باطلاعه عليه (ومن الله تعالى له) اى انما دنو الله لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم ونحوه بعد العلم بتنزيهه عن الحيز والقرب الحسى معناه (مبرة) معللة بالفتح بمعنى البر وله معان منها القول والاحسان (وتأنيس) اى لطف به يذهب استيحاشه لما انقطعت عنه الاصوات وغاب اليفه وهو جبريل عليه الصلوة والسلام (ويسط) اصل معناه التوسعة قال الله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده ومنه البساط ويطلق على المسرة ايضا ولبس بمعنى تولد لانه ورد فى الحديث فاطمة بضعة منى يبسطنى مايسطها كما مر وذكره ابن قرقول فى مطالعه وهو المراد اى تأنيسه بما يسره من محاطبته بما يسره (واكرام) تجليه وتعظيمه (ويتأول فيه) اى يأول الدنو الوارد فى الحديث (ما يتأول فى قوله ينزل ربنا الى السماء الدنيا) يعنى ان الدنو الواقع فى الآية كما ورد مثله فى بعض الاحاديث ان اولياء الله تعالى قريبون من الله ليس على ظاهره قربا حسيا بل معنويا باللطف والاكرام وقد يأول نعلم الله سواطهم وطواهرهم وقدرته على التصرف فيهم وعليه قوله ونحن اقرب اليه منكم ولكن لاتبصرون كما اول النزل المسند الى الله تعالى فى حديث ابى هريرة رضى الله عنه المتفق على صحته انه صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا الى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الاخير يقول من يدعونى فاستجيب له من يسألنى فاعطيه من يستغفرنى فاغفر له بالاقبال عليهم بانعامه واجابة دعائهم ومغفرة ذنوبهم وافاضة مواهبه عليهم وتأويله بنزول ملائكته بعيدها وان ذهب اليه بعضهم ويتأول فيهما مبنى للمجهول (على احد الوجوه) فى تأويله من ان نزوله تعالى اما هو (نزول افضال) تفضيله وانعامه (واجمال) اى فعل جميل بهم على عادته (وقبول) توبتهم واستغفارهم (واحسان) بالجود والكرم عليهم وليس المراد انه بتقدير مضاف من مجاز النقص اى ينزل احسانه كما قيل فهو تمثيل لسرعة اجابته وانجاح طلبته ولزيادة لطفه واعتنائه به عمن قربه كبير له مقام عال حتى انه قد ينزل اليه اذا سمع نداءه فهو استعارة تمثيلية او تبعية تصريحية (وقال الواسطى) المتقدم ترجمته (من توهم انه) تعالى وله المثل الاعلى (بنفسه دنا) دنوا حقيقيا محسوسا بذاته لادنو لطف واكرام معنوى مجازى فقد (حمل ثم) بفتح المثلثة وتشديد الميم ويقال ثمة بتاء ايضا كما يكون بها مرسومة حطا بائتة لعطف فى الوقف

ومعناه هنالك واصل وضعها للاشارة الى المكان بعيدا وقريبا على اختلاف فيها وقد يتجوز بها عن المعنى ونحوه بتشبيهه بالمكان على انه استعارة فيه كما هنا فانه اشارة للآية والحديث المذكور فيه الدنو والنزول وقوله (مسافة) باعتبار مدلوله فان جعلت الاشارة اليه على تقدير انه على حقيقته فلا والمسافة لمفازة من المتوقف وهو شم التراب والبول ومنه قيل للمفازة مسافة لان الدليل يشم ترابها كما حققه الراغب ولا مسافة لاستحالتها عليه تعالى (بل كما دنا) احد من المخلوقات يزعمه (بقسه من الحق) اى الله تعالى (تدلى) نزل من علو الى اسفل (بعدا) اى لبعده عما قصده وهو مفعول له او تمييز من نسبة تدلى (يعني) الواسطي بقوله هنا تدلى بعدا اى كلما حاول القرب نزل لساحة البعد (عن درك حقيقته) متعلق بمقدر يعني بعدا او بعدا عن ادراك حقيقته وذاته قال البرهان الحلبي في حاشيته درك بفتح الدال والراء المهملين وضبطه بعضهم باسكان الراء والاشهر هما الفتح ومعناه الادراك واما الدرك ضد الدرج فبالفتح لاغير وحكى فيه الوجهان وفيه نظر (اذ لا دنو للحق ولا بعد) بالمعنى المكاني لاستحالتهما عليه تعالى وما ورد مما يوهمه مأول كما عرفته والله اعلم حقيقته بكنهها ففيه خلاف ليس هذا محله ولا وجه للتعرض له هنا (وقوله فكان قوسين او ادنى) بالمعنى الذي مر بيانه وهذا جواب عن سؤال دفع لما يتوهم من انه يقتضي قربا حقيقيا وسافة كما اشار اليه بقوله (في جعل الضمير) المقدر في قوله تعالى ثم دنا فتدلى (عائد الى الله تعالى لا الى جبريل عليه السلام على هذا) التأويل السابق آنفا (كان) الدنو المذكور (عبارة عن نهاية القرب) اى معبرا به عن غاية القرب المعنوي من عباده (ولطف المحل) اللطف عبارة عن الامور الخفية وما لا يدرك البصر كما في قوله وهو اللطيف الخبير اى هو عبارة عن دنو معنوي ومنزلة معنوية لا تحس بالابصار (واتضاح المعرفة) الالهية لي وهبها من العلم اللدني في حظ رفيع قد سه لمن حصه برفعة المنزلة من خلص عباده الذين جعلهم محرم اسراره واتضاح المساة لموقية افتعال من الوضوح وفي بعض النسخ لمثبة التحتية مصدر اوضحه ايضاحا (والاشراف على الحقيقة) اى الاطلاع عليها واصله من اشرف اذا وقف على شرف وهو المكان العالي ثم اريد به لازمه من الوقوف والاطلاع كناية او مجازا (من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) اى كان الدنو بالمعنى المذكور من نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم (و) كان الدنو المعنوي (عبارة عن احاطة الرعية) اى احاطته بأموله لدى هو عاية لمطلوبه ومرعوبه (وقضاء المطالب) اى اعطاه مطلوبه الذي طلبه منه ووعده به وفي الفصه اشارة الى انه كالدين لان عدة الكريم دين (واظهار المحبوب) بجاء مهملة وهاء ومساة تحتية وهو لغة في البر (وابانة مزيته) بالموحدة والنون اى اعلائها ورفعها (والمرتبة) عطف تفسير (من الله) متعلق بما قبله

اشارة الى انه كله فضل وموهبة منه تعالى (ويتأول فيه) بالبناء للمجهول اى يتأوله القرب والدنو بتأويل مثل (ما يتأول فى قوله) صلى الله تعالى عليه وسلم فى الحديث الصحيح الذى رواه البخارى على طريق التمثيل والاستعارة فى قوله تعالى (من تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا ومن اتانى يمشى) اى من اطاعنى وسعى فى اداء امتثال امرى واراد انه يمشى مشيا غير بطئ بالهوينا لمقابلته بقوله (اتيته هرولة) وهى المشى والجرى بسرعة والمراد انى اعجل له جزائى واوصل اليه احسانى سريعا وتفسيره سبقته بجزائى غير صحيح هنا (اى) والتأويل الذى اول به من تقرب الى آخره وما بعده هو (قرب بالاجابة) لدعائه وهو مرفوع خبر لمبتدأ مقدر (والقبول) لتوبته (واتيان بالاحسان وتجيل بالامور) اشارة لمعنى الهرولة وهذا بعض حديث قدسى صحيح رواه ابو هريرة رضى الله تعالى عنه اوله قال الله تعالى الكبرياء ردائى والعظمة ازارى من نازعنى فى واحد منهما قذفته فى النار ومن اقترب منى شبرا اقتربت منه ذراعا ومن اقترب منى ذراعا اقتربت منه باعا ومن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ومن ذكرنى فى ملاء ذكرته فى ملاء خير منه واطيب ومن جاءنى يمشى اتيته هرولة ومن جاءنى يهرول جئته سعيا قالوا معناه سرعة الاجابة والثواب لمن دعاه واطاعه فالتقرب تمثيل للتحبب الى الله بالطاعة والعبادة وتعويض امور وانه يضاعف ثوابه ويزيد بما هو خارج عن القياس وليس فى قوله فى ملاء خير منه دليل على افضلية الملائكة كما سيأتى ان شاء الله تعالى وهذا تأييد لما سبق وتوضيح له فلا يعترض عليه بانه تكرار من غير فائدة ﴿فصل فى ذكر﴾ ما يدل على (تفضيله) صلى الله تعالى عليه وسلم (فى القيمة بخصوص الكرامة) اى بما خصه يوم القيمة وفضله به على سائر الانبياء والرسل عليه وعليهم الصلوة والسلام وذكر ما يدل على ما عقد له بحديث اسنده المصنف من طريق الترمذى فقال (حدثنا القاضى ابو على) الشهيد المعروف بابن سكرة وقد تقدمت ترجمته قال (حدثنا ابو الفضل) ابن حيرون السابق ترجمته ايضا (وابو الحسين) بالتصغير هو المبارك بن عبد الجبار هكذا هو فى اكثر النسخ الصحيحة وفى بعضها ابو الحسن مكبرا والصواب الاول كما ذكره الحافظ البرهان ما الحسن ليس بالحسن هما وهذا الحديث فى اول الكتاب مسندا الى الترمذى بهذا السند (قالا حدثنا ابو يعلى) بفتح اوله وهو احمد بن عبد الواحد بن محمد بن جعفر المعروف بابن زوج الحرة كما تقدم فى ترجمته (حدثنا السنجى) ابو على الحسن بن محمد بن احمد بن شعبة السابق ذكره وضبطه قال (حدثنا ابن محبوب) ابو العباس المحبوبى راوى جامع الترمذى عنه قال (حدثنا الترمذى قال حدثنا الحسين ابن بريد الكوفى) المعروف بابن الطحان اخرج له ابو داود والترمذى وقال

ابو حاتم انه لين توفى سنة اربع وار بعين ومائتين وترجمته فى الميزان قال (حدثنا عبد السلام بن حرب) النهدى روى عنه اصحاب الكتب الستة وترجمته فى الميزان (عن ليث) ابن ابى سليم بالتصغير القرشى الكوفى العابد الزاهد وفيه ضعف يسير لسوء حفظه توفى سنة ثمان وثلاثين ومائة (عن الربيع بن انس عن انس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انا اول الناس خروجا اذا بعثوا) اى خرجوا من قبورهم الى المحشر لانه صلى الله عليه وسلم رأسهم و قائدهم فيبعث قبل موسى وسائر الرسل كما سيأتى وهذا الحديث انفرد به الترمذى وقال انه حسن غريب (وانا خطيبهم اذا وفدوا) اى قدموا على الله وقاموا بين يديه للحساب واصل الوفد الجماعة تقدم الى من لهم فيه رجاء وعنده قضاء امورهم وعطاياهم ولما كان صلى الله عليه وسلم هو الشفيع المشفع فى المحشر المأذون له فى التكلم وفصل القضاء كان ثمة كالخطيب * على عادتهم اركان كل وفد خطيب فى المجمع غالبا وهذا انسب هنا من قوله امامهم لان لا كلبف ثمة كما توهم وفيه دليل على افضليته صلى الله عليه وسلم وانه لمزيد همس لهول المحشر (وانا مبشرهم) بالخلاص من المحشر وطول موقفه (اذا آيسوا) من النجاة من شدة ذلك اليوم وهوله اذ زفت الازفة و بلغت القلوب الحناجر والاياس بتقديم الهمزة القنوط من رحمة الله وروى يئسوا بتقديم الياء على الهمزة وهما لغتان وروايتان (لواء الحمد بيدى) يوم القيامة لبعرفه صلى الله تعالى عليه وسلم و يتبعه كل من فى الموقف واللواء معروف وهو لواء حقيقى سمى لواء الحمد لانه حمد الله تعالى بحامد لم يحمده بها غيره او لحمد الناس كلهم له ويجوز ان يكون كناية عن شهرته وتقدمه كقوله

* اذا راية رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمين *

فهو اشارة لتقدمه صلى الله تعالى عليه وسلم وعظمته وكثرة حمده وامته الحامدون وهو احمد و محمد وتقدم الكلام عليه واللواء والعلم والراية والبند متقاربة معنى لكن اللواء اكبرها وروى الطبرى ان لواء الحمد يحمله على كرم الله وجهه بين يديه صلى الله تعالى عليه وسلم والعلم الاختلاف باعتبار مواطن الحمد فلا مخالفة بينهما (وانا اكرم ولد آدم على ربى) اى اشرفهم ذاتا وصفة واقربهم منزلة والكرم صفة تجمع كل خير وان اختص عرفا بالسخاء وهذا تحدث بنعم الله تعالى واظهار لما يجب اعتقاده وفى نسخة على ربه والضمير لاكرم او آدم والرواية الصحيحة الاولى والولد صفة مشبهة بمعنى المولود يطلق على الواحد وغيره (ولا فخر) جملة حالية مؤكدة اى انا اذكره للشكر لا للتحدث بنعم الله اولا افخر بهذا ادلى عند الله ما هو اعظم و اشرف من هذا مع انى لم ابلغه بسعى واجتهاد منى وخبره محذوف اى فيه او عندى ونحوه والفخر الافتخار والتبجح بالامر بان يذكره ليعلم علوه على غيره (وفى رواية ابن ر حرعن ربيع بن انس فى بعض هذا الحديث)

ورحر بفتح الزاى المعجمة وسكون الحاء ثم راء مهملتين وهو عبد الله بن زحر الافريقى العابد واصل معنى الزحر الصوت والانين ومنه الزحير للمرض المعروف فى الامعاء والعامة تغلط فيه وتقول زحيل باللام وروى عنه اصحاب السنن وله ترجمة فى الميزان واخرج له البخارى فى الادب وفى روايته زيادة ومغايرة فى اللفظ على الرواية السابقة وهى ظاهرة وفى الاصل بخطه وفى رواية ابن زحر والربيع بن انس وفى رواية العزفى عنه عن الربيع عن انس وعلى كلا الوجهين المروى عنه انس بن مالك رضى الله تعالى عنه كما قاله التلمسانى (انا اول الناس حروجا اذا بعثوا) كما تقدم (وانا قائدهم اذا وفدوا) القائد فى الاصل الذى يقود الدابة برمام ونحوه ثم صار حقيقة فى الرئيس الذى تتبعه الناس ويرتضونه وفى امر الجيوش وجمعه قادة وتقدم معنى الوفد وان المراد به القادمون للحشر فالمراد انه صلى الله تعالى عليه وسلم مقدم ثمة حساومعنى (وانا خطيبهم اذا انصتوا) اى انا المتكلم بين يدى ربى فى امرهم والشفاعة لهم وقد سكتوا ولم يطيقوا نطقا لحيرتهم والانصات السكوت بمعنى (وانا سعيهم اذا حبسوا) فى الموقف واضطربوا وفزعوا للانبياء عليهم الصلوة والسلام فقال كل منهم نفسى نفسى فيشفع لهم صلى الله تعالى عليه وسلم الشفاعة العظمى فى فصل القضاء (وانا مبشرهم) بالخلاص من هول الموقف والحبس فيه (اذا ايئسوا) انقطعت حجتهم وتحيروا وسكتوا ليأسهم من النجاة وقيل الابلاس الحيرة والندم ومنه ابليس (لواء الكرم بيدى) قريب مما مر لفظا ومعنى (وانا اكرم ولد آدم على ربى ولا فخر ويطوف على الف خادم) فى الجنة من الحور العين (كانهم لؤلؤ مكنون) رواه الترمذى وصححه ومكنون بمعنى محفوظ مستور لم تمسسه الايدى فهو كناية عن كونها بكرا دات نهاء بحيث لم ير مثلها (وعن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه) فى حديث رواه الترمذى وصححه (واكسى حلة من حلل الجنة) اصل معنى الحلة ثوبان من برد اليمن واحدا فوق واحد ثم اطلق على كل لباس فاخر يعطى رعاية للابسه وهو دلالة على قربه صلى الله تعالى عليه وسلم وكرامته اذ كسى وجميع الناس عراة وحفاة (ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيرى) ذلك فى محل نصب على الظرفية وفى مقامه صلى الله تعالى عليه وسلم فى جانب اليمين فى مقام لم يقم فيه نبى مرسل ولا ملك مقرب من التكريم الدال على غاية القرب وسماع كلامه وقبول رحمته بما يليق بمقامه الشريف والخلائق جمع خليقة وهو اسم جمع بمعنى جماعات من المخلوقين (وعن ابى سعيد) الخدرى فى حديث رواه ابن ماجة والترمذى وحسنه (انا سيد ولد آدم يوم القيامة) ظرف متعلق بسيد وتقييده به ليس للتخصيص كما سيأتى بل لانها سيادة مسلمة

لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وهى اشرف من سيادة الدنيا ومر ان الصحيح ان السيد يجوز اطلاقه على الله وعلى غيره والخلاف فيه مشهور وعلى ثلاثة اقوال مشهورة (وبيدى لواء الحمد ولا فخر) تقدم معناه (ومامن بنى آدم ممن سواه) بدل من نبى اى جميع الانبياء (الا تحت لوائى) اى تابع لى فى القيامة وليس المراد انه تحته حقيقة وعطف فمن بالفاء لانهم بعده من غير ما صلة والمراد الترتيب الرتبى او الحقيقى (وانا اول من تنشق عنه الارض) يوم تبعثر من فى القبور وتنشق بقدرة الله تعالى وفيه اكرام له صلى الله تعالى عليه وسلم (ولا فخر) تقدم معناه (وعن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه) فى حديث صحيح رواه مسلم (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انا سيد ولد آدم يوم القيامة) اى انا اشرفهم واقربهم عند الله فى يوم لا يسود فيه غيرى كما مر (واول من ينشق عنه القبر) اى قبره الشريف (واول شافع) يشفع للناس فى الموقف (واول مشفع) بفتح الفاء المشددة اى اول من يؤذن له فى الشفاعة وتقبل شفاعته وتفصيله ما فى حديث البخارى يحبس المؤمنون يوم القيامة فيقولون له صلى الله تعالى عليه وسلم استشفعنا الى ربنا فيريحنا من مكاننا فيأتونى فاذن لى فاذا رأيته وقعت ساجدا فيدعنى ما شاء ان يدعنى فيقول ارفع رأسك محمد وقل تسمع واشفع تشفع (وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) فى حديث رواه الترمذى والدارمى (انا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر) كما مر (وانا اول شافع) فى ازالة هول الموقف (وانا اول مشفع) تسمع شفاعته وتقبل (ولا فخر) لى فخر تكبر وتبجح فيما خصنى الله به (وانا اول من يحرك حلق) باب (الجنة) لتفتح لى ولم يدخلها احد قبلى وحلق بفتح الهاء المهملة واللام ويجوز كسر الحاء فيكون بزنة ندر جمع حلقة بسكون اللام وقد تفتح وتكسر وفى القاموس ليس فى الكلام حلقة بحركة الا جمع حالق او هى لغة ضعيفة والمراد بباب الجنة المخصوص به صلى الله تعالى عليه وسلم يسمى باب محمد وباب الرحمة ولها ابواب غيره وقيل المراد جميع ابوابها وانه الظاهر والظاهر خلافه (فيفتح لى) بابها (فادخلها) وفى رواية وادخلها بالواو (و) يدخلها (معى فقراء المؤمنين ولا فخر) ويفتح بالتحتية والبناء للمجهول والصائح حرتها او الفوقية والضمير للجنة والفاء للتعقيب من غير مهلة فى الفتح والدخول والمراد بالفقراء الفقراء الصابرين وهو شامل للمساكين والفرق بينهما مشهور والخلاف معروف وفى هذا دليل على ان الفقير الصابر افضل من الغنى الشاكر وقيل اعنى الشاكر افضل والاول اصح ولذا اختار الفقر كثير من الانبياء والاولياء واسبق ابو بكر رضى الله تعالى عنه ماله فى سبيل الله ليدخل فى سلكهم والمحمود منه ما كان مع عفى القلب والنفس فان العفى ليس بكثرة العرض وانما هو عفى النفس وهو كما قيل * عفى النفس ما يكفيك عن سد حاجة * وان زاد شيئا عاد

ذالك الغناء فقرا * وفقر النفس ولو مع المال مذموم ولذا استعاذ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم منه وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم اول من يدخل الجنة لاينافي ماورد في حديث الترمذي من انه صلى الله تعالى عليه وسلم دعا بلالا رضي الله تعالى عنه وقال له يابلال بم سبقتني الى الجنة فما دخلتها قط الا سمعت خشخشتك وفي رواية سمعت دق نعليك بين يدي في الجنة فانه كان في رؤياه لافي هذا الدخول اوهو كما قال ابن القيم كان دخوله دخول الخادم والحاجب الذي يتقدم سيده والمطرق في طريق سيده وهو بيان لفضيلة الاذان وانما سأله صلى الله تعالى عليه وسلم وان كان اعلم به تطييبا لنفسه والمراد بقوله معي ليس المساواة بل التبعية فلايقال لامحاجة لقوله معي في الجملة وهي حالة تقتضي المقارنة (وانا اكرم الاولين والآخرين ولا فخر) المراد انه صلى الله تعالى عليه وسلم اشرف من جميع الخلق (وانا اكثر الناس) ي الانبياء عليهم الصلوة والسلام وكذا روى ايضا (تبعا) جمع تابع كخدم جمع خادم يعني ان امته صلى الله تعالى عليه وسلم اكثر من سائر الامم ويقتضي هذا اكثرية اجره عليهم ويأتي التصريح به وافضليته على كل واحد منهم وعلى جميعهم ايضا كما قررناه في محله (وعن انس رضي الله تعالى عنه) كما رواه الشيخان (انا سيد الناس) واجلهم واعظمهم (يوم القيامة) خصه مع انه صلى الله تعالى عليه وسلم سيدهم في الدنيا والآخرة لظهوره ثمه واختصاصه به ظاهرا من غير منازع ومنكر كما وقع في الدنيا من المشركين وسيأتي تفصيله في كلام المصنف رحمه الله تعالى (وتدري لم ذلك) فيه استفهام مقدر اي تدرون ما سبب هذه السيادة وحذف الاستفهام لقرينة جائز كما صرح به (يجمع الله الاولين والاخرين) في المحشر (وذكر حديث الشفاعة) اي ذكر انس رضي الله عنه هذا الحديث المذكور فيه الشفاعة بتمامه ولم يذكره هنا لانه سيأتي في الشفاعة وانه اذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم في بعض فيأتون آدم عليه الصلوة والسلام ليشفع لهم فيقول لست لها الى ان قال فاقول انا لها الخ (وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال اطمع) اي ارجو من الله تعالى طمعا ورجاء حققه له كقوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين وتعبيره صلى الله تعالى عليه وسلم بالطمع هضما لنفسه (ان اكون اعظم الانبياء اجرا يوم القيامة) لان امته صلى الله تعالى عليه وسلم اكثر الامم واجرا عملهم له مثله لان من سن سنة حسنة له اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيامة واعمالهم له مضاعفة وله صلى الله تعالى عليه وسلم مثلها ومثل اضعافها وهو اعظمهم مشقة لعموم دعوته وكثرة من عتا وعاند من الكفرة مع تحمله وصبره حتى قيل له صلى الله تعالى عليه وسلم لعلك باخع نفسك (وفي حديث آخر اما ترضون) معاشر المسلمين (ان يكون ابراهيم) الخليل عليه الصلوة

والسلام (وعيسى) عليه الصلوة والسلام (كلمة الله فيكم) اى محسوبان من جملتكم ومحشورا ن معكم (يوم القيامة) فيعدان من امتى و خصهما بالذكر لان ابراهيم عليه الصلوة والسلام اشرف الانبياء بعد محمد صلى الله تعالى عليه سلم وهو ابو الانبياء و ابو اسميل عليهما الصلوة والسلام الذى كانت العرب تزعم انهم على ملته ولان عيسى يبعث آخر الزمان على دين محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وبغير احكام النصرانية واما اداة استفتاح كالا مر اومركبة من همزة الاستفهام وما النافية والمعنى واحد (ثم قال) صلى الله تعالى عليه وسلم (انهما فى امتى يوم القيمة) اى يعدان منهم (اما ابراهيم فيقول) له صلى الله تعالى عليه وسلم (انت دعوتى وذريتى) اذ دعوته فقوله ربنا وابعث فيهم رسو لا منهم يتلو عليهم آياتك الخ فجعل عين الدعوة مبالغة اى انت ممن جعله الله منهم باجابة دعوتى والذرية النسل والولد يطلق على الواحد وغيره ولا شبهة فى انه صلى الله تعالى عليه وسلم من نسل ولده اسميل عليه الصلوة والسلام ولم يبعث فيهم نبى سواه فهو المجاب دعوته (واما عيسى) اى كونه تابعا له صلى الله تعالى عليه وسلم وفى جملة امته يوم القامة (فالانبياء كلهم اخوة) اى كالاخوة فى اتحاد امورهم مع الله تعالى ومع الخلق والاخوة اما لاب وام ويقال لهم بنوا الاعيان اولاب فقط وهم بنوا العلات اولام وهم بنوا الاخياف فلذا قال (بنوا علات) المراد بالعلات الزوجات الضرائر وهم من العلل وهو الشرب مرة بعد مرة والشرب الاول يسمى نهلا فكان الزوجات موارد للروح اوكان اولاد مشاربهم مختلفة فى الرضاع وهذا اقرب الى هذا اشار بقوله (امهاتهم شتى) وامهات جمع ام و اصلها امهة ولذا جمع على امهات و صغر على اميهة وقيل انه فى الاصل مضاعف لقولهم امات واميمة وقيل اكثر مايقال امات فى البهائم ونحوها وامهات فى الانسان وهو يطلق على الام القريبة والبعيدة وشتى من الشتات وهو التفرق جمع شتيت كمرضى ومريض اى مختلفة فى الدوات والنسب وشبه الدين والعقيدة الحقة التى هى سبب لقائهم بالاب الواحد لاتحاد اعتقادهم ومعرفة ربهم على طريقة الاستعارة واثبت لهم الاخوة تخييلا وكونه بنوا علات ترشيح ولبست الاستعارة تحقيقية كما توهم وشبه فروع الشرائع والاحكام بالامهات فى حفظهم وتعيشهم فهو استعارة مستقلة تحقيقية اوترشيح بناء على جواز التجوز فيه والحاصل انهم صلى الله عليهم بعثوا متفقين فى اصول التوحيد مختلفين فى فروع الشرايع وقيل اراد انهم فى ازمان متباينة والاول اولى (وان عيسى الخ) بكسر همزة ان واقيم الظاهر فيه مقام الضمير والاخوة بمعنى المشابهة فى الرسالة والصفات الحميدة (ليس بينى وبينه نبى) لانه لم يبعث فى الفترة التى كانت بينهما احد من الانبياء

(و) لما بينهما من المناسبة والقرب زمانا ومعنى كان (اولى الناس به) وهو افعل تفضيل من الولاء والتوالى وهو عدم الفاصل بين الشيئين ثم صار عبارة عن القرب فيقال اولى بمعنى احق واقرب من حيث المكان او الزمان او النسب او الدين كما ذكره الزاعب وهو المراد هنا وهذا من حديث رواه البخارى ومسلم وهو انا اولى الناس بعيسى ابن مريم فى الاولى والآخرة الانبياء بنو اعلات امهاتهم شتى ودينهم واحد وليس بينى نبى وهو حديث صحيح روى من طرق فعلم ان ما ذكره الزاعب والمحسرى وابن عربى فى فصوصه من انه كان بينهما نبى اسمه خالد بن سنان كان هو وقومه بعدن فخرجت نار عظيمة من مغارة اهلكت الزرع والضرع فالتجاء قومه اليه فاخذ خالد يضرب تلك النار بعصاه حتى رجعت هاربة الى المغارة التى خرجت منها فقال لقومه انا ادخل حلقها المغارة حتى اطفيها وامرهم ان يدعوه ثلاثة ايام تامة فان هم ان ناد وه قبلها يخرج ويموت وان صبروا خرج اليهم سالما فلم يصبروا ونادوه فى اليوم الثانى فخرج وقال لهم اصعتمونى واضعتم امرى وامرهم ان يدفنوه اربعين يوما يصبرون فيها فاذا تمت اتاهم قطيع غنم يقدمه حمار مقطوع الذنب فاذا حادى قبره نبشوه فيقوم ويخبرهم باحوال البرزخ وما عليه يقينا فلما تم الميعاد كما قال هم مؤمنوا قومه ان ينبشوا قبره فابى اولاده خوف العار وان يقال لهم اولاد المبوش فمنعتهم الحمية الجاهلية على ان ضيعوه فلما بعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جاءته ابنته فقال لها مرحبا بابنة نبى اضاعه قومه غير صحيح وما قبل من ان المراد نفى نبى مشرع مصلح للاحكام يأباه لفظ الحديث فان النبى اعم ولو كان كما ذكر قال انه رسول واحس منه ان يقال انه كان مستبعد النبوة ولم يرزق ذلك وكل ما نقل من انه كان بيده وبيد غيره كلقمان وسفيان فان مثله لا يعرض حديث الصحيحين كما ذكره الحافظ ابن حجر والبرهان وغيرهما واعلم انه صلى الله تعالى عليه وسلم انما خص هذين بالذكر لان ابراهيم عليه الصلوة والسلام ابو الانبياء عليهم الصلوة والسلام واسمعيل كان على شريعته والعرب يزعمون انهم على ملته وعيسى عليه الصلوة والسلام قريب العهد وسيصير من امته حقيقة وهذا لا ينافى قوله تعالى ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا كما توهم لان المأمور به اتباعه فى التوحيد والعقائد دون غيرها من الاحكام وليس المراد تقليده بل مراده انه موافق له فتأمل (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم فى الاحاديث السابقة (انا سيد الناس يوم القيامة) جواب عن سؤال مقدر وهو لم خص سيادته صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك اليوم وهو غير مخصوصة به (وهو سيدهم فى الدنيا ويوم القيامة) بل سيد جميع المخلوقات والجملة حالية (ولكن اشار) عليه الصلوة والسلام بقوله هذا كما تقدم (لانفراده) عن غيره (فيه بالسودد والشفاعة) العظمى الدال

على عظمة قدره عند الله (دون غيره) من الرسل والملائكة المقربين والسودد بضم السين المهملة وفتح الدال الاولى وقد تضم وتهمز الواو لضم ماقبلها وهى لغة طى بمعنى السيادة وسيدوزنه فيعل اوفعيل ودالله الثانية للالحاق (اذ يلجأ الناس اليه) اى التجاؤا واستندوا للتوسل به صلى الله تعالى عليه وسلم (فى ذلك) الوقت اوذلك الامر وهو تعليل لما قبله (فلم يجدوا سواه) صلى الله تعالى عليه وسلم يشفع لهم و يخلصهم مما هم فيه من الكرب الذى لايطيق غيره دفعه (والسيد) معناه لغة (هو الذى يلجأ الناس اليه فى حوايجهم) اى يعتمدون عليه اذا قصدوه لقضاء مصالحهم فلذا وقع هنا موقعه اذالمعنى انا من يقضى حوايج جميع الناس فى الموقف ومن هذا ظهر التخصيص وجه آخر الا ان هذا تفسير له بلازم معناه لان معناه من يتبعه جماعة قومه وسواده والحوايج جمع حاجة على خلاف القياس اومفرده حايجة مقدر اونادر وقد ورد فى الاحاديث وكلام العرب كثيرا فصيحا فلا وجه لمن انكره كالحريرى وقد شنع عليه ابن برى وانشد له شواهد كثيرة وقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم يحب قضاء الحاجة وهو دأبه فى الدنيا والآخرة ولله در الصرصرى فى قوله

* الا يارسول الله الاله الذى * هدانا به الله فى كل تيه *
* سمعت حديثا من المسندات * يسر فؤادا لنيل النبيه *
* وانك قد قلت فيه اطلعوا * الحوايج عند حسان الوجوه *
* ولم اراحسن من وجهك * الكريم فحدلى بما ارتجيه *

(فكان) صلى الله تعالى عليه وسلم (حينئذ) اى فى وقت التجائهم اليه (سيدا منفردا من) سائر (البشر) اى منفردا عن جميع الناس حتى الانبياء عليهم الصلوة والسلام بهذه السيادة (لم يزاحمه احد فى ذلك) اى لم يشاركه احد فى كونه ملجأ للناس واصل معنى المزاحمة المدافعة (ولاادعاه) لانكشاف الامر يوم القيامة حتى لايمكن احدا ان يدعى مالبس فيه (كما قال تعالى لمن الملك اليوم) يعنى انه تعالى يقول يوم القيامة لمن الملك فى هذا اليوم او ينادى به ماد على رؤس الاشهاد فلا يجيبه احد فيجيب نفسه بقوله (لله الواحد القهار) اى الملك مخصوص به اويقول اهل الموقف يعنى ان قوله صلى الله تعالى عليه وسلم انا سيد ولد آدم اليوم كقوله تعالى * لمن الملك اليوم * ووجه الشبه انه خص الملك بذلك اليوم كما خص رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم سيادته به (والملك له تعالى فى الدنيا والآخرة لكن) انما خصصه بملك هذا لانه (فى الآخرة انقطعت دعوى المدعين لذلك فى الدنيا) متعلق بالمدعين ان ملوك الدنيا لما تصرفوا فيها تصرف الملاك بتقديره تعالى ذلك لهم وتفضله عليهم ظنوا ان لهم ملكا حقيقة فلما قهرهم بالموت وكشف الغطاء ظهر انهم عبيد عاجزون ليس لهم من الامر شئ فانقطعت الدعاوى (وكذلك)

اى مثل كونه تعالى منفردا بالملك وظهوره حين انقطعت الدعاوى وتفرده صلى الله تعالى عليه وسلم حتى (جأ الى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم جميع الناس في الشفاعة) العظمى المعهودة (فكان سيدهم في الاخرى) اى الاخرة لانه يقال لها اخرى وآخرة وفى نسخة في الآخرة (دون دعوى) من احد من اهل الموقف انه سيد لعدم المنازع والمدافع (وعن انس رضى الله تعالى عنه قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث صحيح رواه مسلم (آتى) بعد الهمزة (باب الجنة يوم القيامة فاستفتح) اى اطلب الفتح بتحريك الحلقة (فيقول الخازن) اى بواب الجنة الموكل بها والمراد به رضوان رئيس خزنتها لانه ورد التصريح بان لها خزنة (من انت فاقول) انا (محمد فيقول بك امرت) اى بسببك امرت بالفتح اذا قرع الباب وتقديم الجار والمجرور للحصر بالنسبة لاول الفتح كما اشار اليه بقوله (ان لا افتح لاحد قبلك) والجملة مستأنفة لبيان ما امر به وقيل انه بدل مما قبله اى امرت بلا افتح لاحد قبلك وانما فتح له قبل كل احد لسبق روحه صلى الله تعالى عليه وسلم للنبوة وسبق ذرته فى الاجابة على سائر الذرات وفيه اشارة الى انه صلى الله تعالى عليه وسلم اكثر الناس عملا واعتقادا وافضلهم لقوله تعالى *وتلك الجنة التى اورثتموها بما كنتم تعملون (وعن عبد الله بن عمرو) ابن العاص حديث رواه الشيخان (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حوضى مسيرة شهر) اى مسافة كل جانب منه مقدار شهر والحوض مجمع الماء وهو معروف وهذا الحوض العظيم مخصوص به صلى الله تعالى عليه وسلم كما صرح به القرطبى فى شرح مسلم وورد فى حديث مرفوع رواه الترمذى ان لكل نبى حوضا ترده امته وروى انه صلى الله عليه وسلم له حوضان احدهما فى ارض الموقف والآخر بعد الصراط له ميزابان من الكوثر وقوله (ورواياه سواء) يدل على انه مربع (وماؤه ابيض من الورق) بفتح الواو وفتح الراء المهملة وكسرها وسكونها الفضة مطلقا او ما ضرب منها وفى نسخة من اللبن وابيض افعل تفضيل من البياض ضد السواد وقد سمع من العرب وورد فى الحديث الا ان صاحب القاموس قال انه شاذ وعلى الاول فلا وجه لاطلاق بعض النحاة انه لا يبنى افعل من الالوان ومن العيوب واعلم قال اشد بياضا وابلغ ونحوه (وريحه اطيب من المسك) الريح كان رائحة ما يشم ويطلق على الهواء وهو الاشهر ويجوز ارادته ايضا لان الهواء اذا تكيف بكيفية طيبة كان طيبا ايضا (كيزانه كنجوم السماء) كثرة واشراقا وكونها اكثر من النجوم حقيقة لا مانع منه لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم فى الحديث والذى نفسى بيده لانيته اكثر من عدد نجوم السماء لتأكيده بالقسم وقيل المراد المبالغة والكيزان جمع كوز وهو اناء صغير يتناول به الماء للشرب والاصل انه اناء ضيق الفم له عروة فان لم يكن له عروة فهو كوب وجمعه اكواب كما تقدم فان كان

فيه شراب فهو كأس (من شرب منه شربة لم يظمأ ابدا) اى لم يعطش بعده ابدا وروى لن يظمأ ولايظمأ ولا كلام فيه واما هذه الرواية فاستشكلت بان لم لنفى الماضى والمراد هنا نفى الظمأ فى المستقبل بدليل قوله ابدا المفيدة لاستغراق المستقبل واجيب بان المراد نفى الماضى كانه لم يذق ظمأ فى الماضى لشدة اللذة التى انسته ماقبلها واما ابدا فانها تكون للماضى ايضا كما فى السهيل (اقول) هذا تعسف فالحق انها لنفى المستقبل بقرينة قوله ابدا وهى ترد كذلك اذا قربت بالشرط نحو ان لم تحسن لى عدا كان كذا وهو كثير فى كلامهم ومن هنا شرطية اوفى معناها فهذا سهو من قائله ويظمأ مهموز ساكن الهمزة ويجوز ابدالها الفا وقيل ان لذة المشروب انما تكون بالاشتهاء وهو انما تكون لمن عطش واهل الجنة منعمون فى المأكل والمشرب واجيب بان المراد انه لايشتد عطشه وليس بشئ لانه قد يسرب بدون عطش للتلذذ كما يشاهد فى خمور الدنيا وروى من يشرب بالرفع على ان من موصولة ومحزوما على انها شرطية كما تقرر (وعن ابى در رضى الله تعالى عنه) جندب ابن جنادة (نحوه) اى روى عنه ماهو بمعناه اوقريب منه وان لم يكن مثله (وقال) زيادة على مامر فى روايته (طوله ما بين عمان الى ايلة) اى طول الحوض كطول ما بين هاتين البلدين وعمان بضم العين وفتح الميم المخففة وفتح العين وتشديد الميم وهو المروى فى حديث الحوض قرية بالشام وحكى فيه التخفيف ايضا وهو المراد والتى باليمن بالضم والتخفيف لاغير وقيل انها المرادة هنا لرواية ما بين بصرى وصنعا والمراد زيادة الطول فلاتعارض الروايات وايلة بفتح الهمزة وسكون المثناة التحتية ولام وهاء بلدة بالشام بساحل البحر بين طيبة ودمشق وقيل غير ذلك وهى سميت بعمان ابن لوط لانه سكنها وقيل بعمان بن سبان من ولد ابراهيم عليه الصلوة والسلام (ينضب فيه مزابان من الجنة) بفتح الياء المثناة التحتية وسكون النون وضم الضاد المعجمتين وفتحها وموحدة ومعناه انه ينصب مع صوت وروى يغب بغين معجمة مضمومة ومثناة فوقية ومعناه يتوالى صبه وروى ان ماهان يثعب بمثلثة وعين مهملة وموحدة ومعناه يتفجر ماؤه واصل الثعب مايخرج من الضرع عند الحلب والميزاب بكسر الميم وهمزه ساكنة وتبدل ياء مسيل الماء (وعن ثوبان مثله) اى مثل حديث ابى در (وقال) اى ثوبان عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (احدهما) اى احد المزابين (من ذهب والاخر من ورق) اى فضة (وفى رواية حارثة بن وهب) الخزاعى الصحابى المعروف رضى الله عنه واخرج له اصحاب الكتب الستة (كما بين المدينة وصنعا وقال ابن ايلة وصنعا) هى بصاد وعين مهملتين مدينة باليمن والنسبة اليها صنعانى على خلاف القياس وبينها وبين المدينة مسيرة شهر والمراد عظمه فالروايات كلها بمعنى وبقرب دمشق قرية تسمى صنعا ايضا

(وقال ابن عمر رضى الله تعالى عنهما) فى حديث رواه الشيخان (كما بين الكوفة) مدينة العراق المشهورة (والحجر الاسود) والروايات متحدة كما عرفته فانها تقريبية لاتحديدية فخاطب صلى الله تعالى عليه وسلم كلا بما يعرفه ولاحاجة الى ان يقال انه وقع الخطاب به عند الحجر الاسود كما قيل واصل معنى الكوفة الكوفة رمل مستدير او حصباء يعض فسمى بها ثم شرع المصنف رحمه الله فى بيان هذا الحديث روى من طرق كثيرة دالة على صحته وانه على ظاهره ولذا ذهب المصنف رحمه الله تعالى انه متواتر فقال (وروى حديث الحوض ايضا) كالروايات المتقدمة (انس) بن مالك الانصارى الصحابى خادم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم رواه عنه مسلم من غير الطريق المتقدمة فلا يقال انه تقدمت روايته وايضا يقتضى مغايرة ماتقدم (وجابر بن سمرة) بفتح فضم ابن جنادة الصحابى السوائى وماقى بعض النسخ هنا فى اول الشعراء جابر وسمرة قال البرهان صوابه جابر بن سمرة وكذا هو على الصواب فى النسخ المكتوب عليه صح فان صحت الرواية الاخرى فالحديث رواه جابر بن عبد الله وسمرة الان رواية جابر بن عبد الله فى مسند احمد واما رواية سمرة فلم اقف عليها فالثابت رواية بن سمرة كما فى مسلم وغيره (وابن عمر وعقبة) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب الصحابى احد العادلة وعقبة وهو ابن عامر الصحابى المشهور الجهنى (وحارثة بن وهب الخزاعى) الصحابى المنسوب لخزاعة قبيلة معروفة (والمستورد) بصيغة اسم الفاعل ابن شداد الفهرى نزيل مكة ثم مصر الصحابى (وابو برزة الاسلمى) نضلة بن عبيد الله الصحابى الامام الجليل وبرزة بفتح الباء الموحدة وسكون الراء المهملة وزاى معجمة تليها هاء توفى سنة ستين او احدى وستين وحديثه فى الصحيح والترمذى واسلم قبيلة معروفة (وحذيفة بن اليمان) العبسى الاسهلى الصحابى صاحب سر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وحديثه رواه مسلم وابن ماجة (وابو امامة) بن صدى بن عجلان الباهلى الصحابى وحديثه اخرجه الطبرانى وامامة بضم الهمزة (وزيد بن ارقم) الخزرجى الصحابى المشهور وحديثه اخرجه ابن جبل والحاكم وصححه (وابن مسعود) الصحابى المشهور وحديثه اخرجه الشيخان (وعبد الله بن زيد) الصحابى الذى ارى الاذان فى منامه كما مر وحديثه اخرجه الشيخان ايضا (وسهل ابن سعد) الصحابى (الساعدى) منسوب لساعدة وبنو ساعدة قوم من الخزرج واليه تنسب السقيفة التى كانت فيها بيعة ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه (وسويد بن جبلة) بفتحات وهو سويد بن جبلة الفزارى قيل لم تصح صحبته لحديثه مرسل وقيل انه صحابى ولم يرو عنه الا حديث واحد وقيل لعله سويد بن غفلة ولهم سويد بن عامر وهذا الحديث عنه فى سنن البيهقى والاولى تأخيره للاختلاف فى صحبته (وابو سعيد الخدرى) الصحابى المشهور وقد تقدم (وعبد الله الصنابحى) بضم الصاد المهملة وفتح النون والف يليها باء موحدة

مكسورة وحاء مهملة وياء نسبة صحابي وقيل نسب لجده صنابح واسمه عبد الله وقيل ابو عبد الله وقيل ابو عمرو وقيل انه منسوب لصنابح اسم بطن من العرب وفي الشرح الجديد لم اقف على من نسب لهذا البطن من الصحابة سوى عسال الصنابحي وآخر اسمه صنابح بن الاعز فلعله نسب لجده وفي التابعين عبد الرحمن بن عبلة الصنابحي فلعله التبس على القاضي وقيل صوابه الصنابح (وابو هريرة) وحديثه في الصحيحين (والبراء) بن عازب وحديثه في الصحيحين ايضا (وجندب) عبد الله بن سفيان البجلي الصحابي وهو بضم الجيم وسكون النون وفتح الدال المهملة وضمها وفي الصحابة من يسمى جندب غيره ولكنه متى اطلق فالمراد هذا (وعائشة) ام المؤمنين رضي الله تعالى عنها (واسماء ابنتا ابي بكر) الصديق رضي الله تعالى عنهم والحديث في الصحيحين وفي بعض النسخ (وابو بكر وعمر بن الخطاب وابن بريدة) مصغر بردة ولبريدة ابنان سليمان وعبد الله قاضي مرو وعالمها وهما تابعيان فلا ينبغي ذكرهما هنا مع الصحابة وفي مسند احمد رواية حديث الحوض عن عبد الله بن بريدة وقال حدثني به اخي قال البرهان لعل القاضي اراد بابن بريدة هذا او قال بريدة فزيد عليه ابن ولم ار لبريدة بن الحصيب حديثا في الحوض في الكتب الستة ومسند احمد وله ذكر في مسند البزار (وابو بكرة) وهو مسبوق بن الحارث كناه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم به لانه تدلى ببكرة من حصن الطائف لما منع من الخروج (وحولة بنت قيس) بن فهد بن قيس الانصارية النجارية الصحابية زوجة سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب وحديثها في مسند احمد والطبراني (وغيرهم) من الصحابة وترك المصنف ذكرهم اختصارا فلذا تركناهم اقتداء به وقد تقدم ان المصنف لكثرة طرق هذا الحديث قال انه متواتر وقيل تواتره معنوي لقول ابن الصلاح انه لا يكاد توجد شروطه ﴿فصل في تعضيله﴾ صلى الله تعالى عليه وسلم على غيره من الانبياء (ب) صفتي (المحبة والخلة) كما سيأتي تحقيقه اي بكونه حبيب الله وخليله (جاءت بذلك الآثار الصحيحة) معنى ورواية وقد تقدم الكلام على الاثر والحديث وان الاثر يطلق على الحديث مرفوعا كان او موقوفا او غيرهما واما تخصيص الفقهاء الاثر بالموقوف فاصطلاح لهم وما رواه الخطيب في جامعه مرفوعا ما جاء عن الله فهو فريضة وما جاء عن فهو حديث وما جاء عن اصحابي فهو سنة وما جاء عن اتباعهم فهو اثر وما جاء عمن دونهم فهو بدعة فهو موضوع كما نص عليه ابن حجر والسخاوي والمحبة من العبد لله ومن الله لعبده كما قال الله تعالى يحبهم ويحبونه وهذا مما لا خلاف فيه الان المحبة ميل القلب لما تلتذ به حواسه الباطنة والظاهرة ولا يتوقف هذا على الصورة الحسنة كمحبة الصلحاء والعلماء او غيرهم من ارباب الكمال فهي في حقه تعالى ولبست بميل قلب ونحوه بل هي ارتضاؤه له لاتصافه بالكمال وانقياده لطاعة مولاه وحمله من طريق الفضل

لامس طريق الانس والراحة وهو الذي كمله وحببه ولذا قيل انه عبر عن اللطف بالمحبة ومحبة العبد تعظيمه له بمشاهدة صفات كماله ومعاملته لانعامه واحسانه فان القلوب مجبولة على حب من احسن اليها والخلة صفة الخليل وهو مما يستوى فيه المذكر والمؤنث يقال خل وخليل بين الخلة والخلولة وخليل الله معناه من اصطفاه وخصه بكرامته لتخلقه باخلاق الله لان الخليل من يخالك اى يوافقك فى خلالك ويسايرك فى طريقتك من الخل وهو الطريق فى الرمل او يسد خلتك ومعنى كون الله خليل عبده انه محب له قائم بامووه بحيث لا يحوجه لغيره اصلا (واختص صلى الله تعالى عليه وسلم على السنة المسلمين بحبيب الله) اى جرى على الالسنة تخصيصه صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك دون خليل الله لاطلاقه على ابراهيم عليه الصلوة والسلام وان كان غيره من الانبياء محبوبا لله ايضا ثم استدل على اتصافه صلى الله عليه وسلم بالخلة بحديث رواه مسددا عن البخارى فقال (اخبرنا ابو القاسم ابن ابراهيم الخطيب وغيره) هو الامام المقرى خلف ابن ابراهيم المعروف بابن النخاس بالخاء المعجمة المشددة ولد سنة سبع وعشرين واربعمائة ومات بقرطبة سنة احدى وعشرين وخمسمائة يوم الثلاثا سادس عشر صفر والتكنية بابى القاسم جائزة بعده صلى الله عليه وسلم على الصحيح كما سيأتى (عن كريمة بنت احمد بن محمد) وفى نسخة بنت محمد وصححها رواية بعض الشراح وفى الاكمال انها كريمة بنت احمد ابن محمد ابن حاتم المروزية سمعت صحيح البخارى من الكشميهنى وروت الحديث وحدثت به كثيرا وجاورت بمكة الى ان ماتت قالت (حدثنا ابو هيثم) الكشميهنى وقد تقدم ضبطه وترجمته (وحدثنا حسين بن محمد) بن سكرة (الحافظ) السابق ذكره (سماعا عليه) فهو احد سيوخه وهذا سند وطريق آخر للمصنف فى رواية هذا الحديث وفى نسخة وحدثنا وتكتب عند الانتقال من سند لآخر اشارة الى التحول كما فصلوه فى مصطلح الحديث قال (حدثنا القاضى ابو الوليد) الباجى الذى بيناه سابقا قال (حدثنا عبد بن احمد) عبد بغير اضافة ابو ذر الهروى السابق ذكره قال (حدثنا ابو الهيثم) الكشميهنى السابق فى الطريق الاول قال (حدثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف) الفربرى الامام الحافظ راوى البخارى المشهور كما تقدم قال (حدثنا محمد بن اسمعيل) هو الامام البخارى صاحب الصحيح المشهور قال (حدثنا محمد بن عبد الله) المعروف بالمسندى والبخارى يروى عن اربعة كل منهم اسمه محمد بن عبد الله والمراد هاهنا كما ذكره الكلاباذى وهو عبد الله بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن السمان توفى يوم الخميس لست بقين من ذى القعدة سنة تسع وعشرين ومائتين قال (حدثنا ابو عامر) عبد الملك بن عمرو بن قيس العقدى بفتح العين والقاف ودال مهملتين وهو محدث بصرى مشهور اخرج له الائمة الستة توفى سنة خمس ومائتين

﴿ قال ﴾

قال (حدثنا فليح) بضم الفاء وفتح اللام وعثناة تحتية وحاء مهملة ابن سليمان العدوى المدنى اخرج له اصحاب الكتب الستة وهو ثقة وقيل ليس بالقوى توفى سنة ثمان وستين ومائة وترجمته فى الميزان قال (حدثنا ابو النضر) بالضاد المعجمة الساكنة سالم ابن ابى امية المدنى الثقة راوى امس توفى سنة تسع وعشرين ومائة (عن بسر بن سعيد) بضم الباء الموحدة وسكون السين وراء مهملتين المدنى الزاهد الثقة توفى سنة مائة (عن ابى سعيد) سعد بن مالك ابن سنان الخدرى الصادق ترجمته رضى الله تعالى عنه (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لو كنت متخذا خليلا غير ربى لاتخذت ابا بكر) هذا حديث صحيح رواه البخارى وغيره من طرق متعددة ومفعوله الثانى محذوف تقديره خليلا ولو حرف شرط لامتناع ما يليه وهو الشرط فان لم يمكن للجزاء سبب غيره لزم من امتناعه امتناعه ولا فلا يلزم فامتنع اتخاذه خليلا غير ربه فيلزم امتناع اتخاذ ابى بكر خليلا فالمعنى لاصل فى محمد احد من الخلق الى مرتبة الخلة فانها مختصة بربى فلو فرض جعلها لاحد كان ابو بكر اليق به من جميع الخلق لبذل نفسه وماله ووطنه واهله فى طاعته وهذا صريح فى تفضيله على غيره وتقدمه عنده فان كان من الخلة بالضم وهى الصداقة والمحبة التى تتخلل باطن القلب فالمعنى ان محبته مقصورة على ربه وان كان من الخلة بالفتح والكسر وهى الحاجة فالمعنى ابرؤ من الاعتماد والافتقار الى غير ربى وفى هذا الحديث دلالة على ما عقد له الفصل وهو تفضيله صلى الله تعالى عليه وسلم بالمحبة والخلة وقد تقدم ما اتفق عليه المسلمون من المحبة وما هنا دال على الخلة وما قيل من انه كان ينبغى للمصنف ان يذكر حديثا صريحا فى اتخاذ الله خليلا وتقدم ما ذكره فى آخر الفصل غنى عن الرد (وفى حديث آخر وان صاحبكم خليل الله) يعنى نفسه صلى الله تعالى عليه وسلم على طريق التحريد والاحاديث تفيد ان المحال الله من الخاصين اذا كانت بمعنى المحبة لا من الخلة بمعنى الحاجة فان الله غنى عن العالمين (ومن طريق عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه) التى رواها البخارى وغيره وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا كما اتخذ ابراهيم عليه الصلوة والسلام ولا يصح ان يراد بصاحبكم ابا بكر كما توهم وفى هذا دلالة على انه من جانب الله فتم دلالته على انه من الجانبين بخلاف ما قبله ولا يلزم فيه كون ابراهيم عليه الصلوة والسلام خليلا كما سيأتى تحقيقه (وعن ابن عباس رضى الله عنهما) فى رواية الدارمى والترمذى (قال جلس ناس من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ينتظرونه) اى ينتظرون خروجه من بيته لمجلس اصحابه والجملة حال من ناس لوصفه بالجار والمجرور (قال) ابن عباس رضى الله عنهما (فخرج) النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (حتى اذا دنى) قرب (منهم سمعهم يتذاكرون) اى يذكر بعضهم لبعض فيتحادثون او يذكر بالتشديد كل منهم من عنده ما نسيه (فسمع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حديثهم) وفسر هذا الحديث بقوله

(فقال بعضهم عجبا ان الله اتخذ ابراهيم من خلقه خليلا) اى من دون خلقه او اختاره للخلة من بينهم اى تعجب عجبا من هذا والعجب يكون من امر فيه غرابة ولا اغرب عند من عرف عظمة الله وغناءه عن مخلوقاته وان كل شئ من فضله واحسانه استغرب اتخاذه خليلا من عبيده وهو ابراهيم صلى الله تعالى عليه وسلم غير ان نبينا كان خليلا انه كان مختصا بذلك فلا وجه لما قيل انه يرد اختصاص ابراهيم بكونه خليلا على ما مر (وقال آخر ماذا) اى ليس اتخاذ الله ابراهيم عليه السلام خليلا (باعجب من كلام موسى) حتى ناجاه فى الدنيا (وكلم الله تعالى تكليما) مع انه تعالى فى الدنيا لم يكلم انبياءه الا بواسطة ملك الوحى (وقال آخر فعيسى كلمة الله وروحه) هذه الفاء فصيحة فى جواب شرط مقدر اى اذا ذكرتم خليل الله وكليمه وتعجبتم من ذلك فاذكروا عيسى عليه السلام وكونه كلمة الله وروحه وسمى عيسى كلمة الله لان الله خلقه من دون اب بمجرد قوله كن اولاهتداء الناس كما اهتدوا بكلامه وقال الصدر القونوى فى فتحاته لكل شئ فى عرصة العلم الالهى الازلى مرتبة الحرفية فاذا صبغه الحق بنوره الذاتى وذلك بحركة معقولة معنوية يفيضها شان من الشؤن الالهية المعبر عنها بالكتابة تسمى تلك الصورة كلمة فالموجودات كلماته تعالى كما قال تعالى *اليه يصعد الكلم الطيب * اى الارواح الطاهرة انتهى ومعنى روحه انه روح منه بدون واسطة تولد فالاضافة للتشريف (وقال آخر) ممن كان ثمة (وآدم اصطفاه الله) اى اختاره وجعله صفيه وهذا كله مما يتعجب منه من لاحظ عظمة الربوبية وانه غنى عن العالمين (فخر النبى) صلى الله تعالى عليه وسلم (عليهم فسلم) لما ذكر قوله فخر اولا ثم اعاده هنا وهو مكرر ولا يصح كونه تأكيدا فقيل كرره لينيط به غيرما نيط به اولا ويحتمل ان يكون الخروج الاول من مكان والثانى من آخر قلت هذا لتوهم ان العطف ينافى التأكيد وليس كذلك فان النحاة ذكروا كما فى التسهيل ان التأكيد قد يقترن بالعاطف فالاكثر انه كقوله * كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون * وقد يكون بالفاء وصرح المفسرون بانه قد يعاد اللفظ اذا طال الكلام تذكيرا به وههنا بحث نفيس وهو ان ما قاله النحاة ينافى ما اتفق عليه اهل المعانى من ان التأكيد لا يصح عطفه لما بينهما من شدة الاتصال ولان العطف يقتضى المغايرة والتأكيد عين المؤكد والعجب منهم انهم لم يتعرضوا لما قاله النحاة والمسئلة من مسائل الكتاب فان لم يقفوا عليه فهو عجيب وان وقفوا عليه واعتقدوا خلافه فهو اعجب كما قيل * فان كنت لا تدرى فتلك مصيبة * وان كنت تدرى فالمصيبة اعظم (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (قد سمعت كلامكم وعجبكم) اى تعجبكم وقولكم عجبا كما مر فى اول الحديث وقد قيل ان سمعت متضمن معنى ادركت او فيه مقدر عامل فى الثانى اى وعرفت تعجبكم على حد قوله قلدته سيفا ورمحا

اى واعضيته ولا حاجة لما ذكر لما قدمناه لك وقوله (ان الله اتخذ ابراهيم خليلا) وقد صحح
فى النسخ المقروءة بفتح همزة ان فهو بدل وفى الشرح الجديد يجوز ان يكون جملة
مستأنفة كان سائلا سأل ما كلامهم وما تحصوا منه فاجابهم بقوله ان الله الخ
وان يكون مقول قول محذوف وهو يقتضى ان ان مكسورة الهمزة (وهو كذلك)
اى اتخذه خليلا (وموسى نجى الله) اى كلمه والمناجاة المكالمة واصل معناها
ان يخلو نجوة من الارض ليس وعيره مما شاع فيما ذكر وقيل اصلها من النجاة فمعناه
ان يكلمه مما فيه خلاصه (وهو كذلك) اى هو نجى الله وكلمه فذكره واقع (وعيسى
روح الله وهو كذلك) اى هو روح الله كما قلتم وتقدم بيانه وان الاضافة للتشريف
او هو بمعنى رحمة الله (وآدم اصطفاه الله وهو كذلك) كما قلتم فان الله اصطفاه
واختاره للنبوة والخصائص الروحانية وكرمه ابا البشر (الا وانا حبيب الله) لا تفتح
الهمزة وتخفيف اللام حرف استفتاح يؤكد به الكلام المستأنف فيحقق ما بعده
نحو * الا ان اولياء الله لا خوف عليهم * وتدخل على الجملتين ودخولها هنا
على العاطف لتحقق اختصاصه بكونه حبيب الله واشارة الى ارفعيته الصفة
اعلى درجة مما قبله اى من كل ما وصف به الانبياء قبلى فانا موصوف بما هو اكمل
واعلى وهو كونى حبيب الله اى محبوب له فانه فعيل بمعنى مفعول وما قيل من انه
من القول بالموجب الذى يجعل كقوله تعالى * ليخرجن الاعز منها الاذل * ولله العزة
ولرسوله * فانه سلم لهم اخراج الاذل بمعنى غير الذى اراده فانهم ارادوا بالاعز
غير المؤمنين وبالاذل المؤمنين فعكسه عليهم وهو على ضربين كما تقرر فى علم المعانى
غير صحيح لانهم لم يقصدوا تعريضهم على نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يقصد
الرد عليهم حتى يقال انه من هذا القبيل باعتبار ما فى لازمه ولذا قال الملا على انه
قريب من القول بالموجب لانه قرر اولا ما ذكروه من فضائلهم بقوله هو كذلك
ثم به على انه افضل منهم كلهم وقوله (ولا فخر وانا حامل لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر
وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لى)
تقدم شرحه فى حديث آخر (ويد حليمها) بضم الشاة التحتية وتصغير الشين
المعجمة ويجوز فيه الفصل والوصل حلافا لسيبويه للروم الفصل عنده كقوله ان من
ملككم اياهم (ومعى قفراء المؤمنين) اكراما لهم وفيه اشارة الى ان الفقير الصابر
افضل من الغنى الشاكر كما مر والجملة حالية (ولا فخر وانا اكرم الاولين والآخرين
ولا فخر وفى حديث ابى هريرة) الذى رواه البيهقى وصححه (من قول الله تعالى)
وفى نسخة فى قول الله والاصح رواية الغط من (نبيه صلى الله عليه وسلم فى
تحدث حليلا) كما تقدم (فهو مكتوب فى التوراة سمى حبيب الرحمن) قال سمى
الله وقع هكذا فى النسخ المعتمدة من السماء بهمزة مفتوحة وسين مهملة ساكنة

وباء موحدة وهي هكذا وفي نسخة لمصنف المبيضة المروية عنه و صحفها بعضهم فكتب ات و هي لفظة عبرانية بمعنى انت وقال الدلجي ان بعد السين تاء مثناة فوقية وفسره بلات وعبر الشمني بقوله بعد السين جرة اى مدة خطيبة فلم يعينها لشكه فيها قيل حاصله انه ثبت لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وصف المحبة من غير مشاركة فيها والخلة التي شاركه فيها ابراهيم عليه الصلوة والسلام وقد اثبتها صلى الله تعالى عليه وسلم لنفسه في آخر خطبة خطبها قبل وفاته بخمسة ايام فقال بعد حمد الله تعالى والثناء عليه عز اسمه انه قد كان لي فيكم اخوة واصدقاء وانى ابرؤ الى الله ان اتخذ احدا منكم خليلا و لو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ان الله قد اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا او تيت البارحة مفاتيح خزائن الارض والسماء وهو تعريف منه صلى الله تعالى عليه وسلم با على مقامه واكمل حالاته و بين خلته و خلة ابراهيم عليه الصلوة والسلام فرق لان خلته حقيقية اصلية وخلة ابراهيم مستعارة من خلته الذاتية ولذا قال ابراهيم في حديث الشفاعة انما كنت خليلا من وراء وراء فالخليل غيره وهو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى فهو صلى الله تعالى عليه و سلم مختص بالمحبة و بالخلة الحقيقيتين والافقد قال تعالى * يحبهم ويحبونه * ولكل صفة مراتب فهو صلى الله تعالى عليه وسلم مختص باعلاهما وسيأتي تحقيقه قريبا (قال القاضي ابو الفضل رضي الله تعالى عنه) هو عياض المصنف (اختلف) بالبناء للمجهول اى اختلف العلماء (في تفسير الخلة) و بيان معناها (واصل اشتقاقها) بيان لمحل الخلاف ومنشأه وفي قواعد الطوفي الاشتقاق اقتطاع لفظ من لفظ يوافقه في حروفه الاصول كضارب من الضرب والاشتقاق الاكبر رد تراكيب المادة الواحدة المختلفة الى معنى واحد مشترك بينهما وقد يكون ظاهرا في بعضها خفيا في البعض فيحتاج في رده الى ذلك المعنى الى تلطف في معرفة المناسبات انتهى وتفسير اقسام الاشتقاق وتحقيقه مذكور في كتب ان حي كالخصايص وغيرها (فقيل الخليل) المذكورها (المنقطع الى الله) اى الذي قطع رجاءه واعتماده عما عدا الله (الذي ليس في انقطاعه اليه ومحبته له اختلال) اى خلل ونقص يحتاج لخير وتكميل لخلوصه فيه ويقينه الذي لايختل اصلا وتحقيقه ما قاله الامام الراغب انه يقال خل الثوب بالخلال والرمية بالسهم ادخله فيه والخلة بالضم الطريق في الرمل و بالفتح الاختلال العارض للنفس لشهوتها او لحاجتها اليه ولذا فسرت الخلة بالحاجة والخصلة والمودة لانها تتخلل النفس اى تتوسطها اوتؤثر فيها تأثير السهم في الرمية اولفرط الحاجة وابراهيم عليه الصلوة والسلام خليل لافتقاره الى الله و قيل

من الخلة واستعمالها كاستعمال المحبة وقال ابو القاسم البلخي هو من الخلة بالفتح لا من الخلة بالضم ومن قاسه بالحبيب فقد اخطأ لانه تعالى لا يجوز ان يحسد عبده فان محبته اليه تمنعه لا يجوز ان يخاله وهذا منه تشه فان الخلة من تخلل الود نفسه ومخالصته ولذا يقال تمازج روحاهما والمحبة بلوغ الود حبة القلب يقال حبته اذا اصبت حبة قلبه فاذا استعملت في الله اريد بها مجرد الاحسان وكذا الخلة فيجوز في احدهما كما يجوز في الآخر فاما ان يراد بالمحبة بلوغ حبة القلب وبالخلة حبر الحلل فحاشا الله عنه انتهى وفي كلام المصنف رحمه الله تعالى دلالة على ان الخلة تستلزم المحبة ومن تفسيره للخليل يعلم معنى الخلة التي هي مأخذه فلا يرد ان اول كلامه في الخلة وما ذكره تفسير للخليل فسقط ما قيل من انه انما يستقيم على ان الخلة بمعنى الخليل يستوي فيه المؤنث والمذكر لانه مصدر في الاصل ولهم الكلام في معناه اللغوي الوضعي الثبوتي وتفسيره بالسلبي غير مناسب لانه بيان الحاصل بمعناه (وقيل الخليل) بمعناه (المختص) بمن خلله مطلقا فهو الصديق الذي صار من خلص احبابه واصدقائه وتفسيره بانه اختص بخدمة الله واحبها وما كلمه من فعل وترك فقصار فيه قصور (واختار هذا القول غير واحد) من الائمة المحققين ورجحه الشراح (وقال بعضهم اصل الخلة) بالضم (الاستصفاء) اي كون محبته ومودته صافية اي خالصة من الكدورات وقيل هو من الصفوة بمعنى الاختيار وهو من لوازم الصداقة ثم فرع على الاقوال قوله (وسمي ابراهيم خليل الله لانه يوالي فيه ويعادي فيه) الموالاة المحبة وفي بمعنى اللام كقوله تعالى *والذين جاهدوا فينا * اي لاجلنا اي لا يحب الا من احبه الله من المؤمنين اهل الطاعة ولا يبغض الا اهل المعصية والضلال كقوله تعالى * لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله * ولذا قالوا

* اذا صافى صديقك من تعادى * فقد عاداك وانفصل الكلام *

(وخلة الله له) اي لابراهيم عليه الصلوة والسلام (نصره) على عدوه كنمرود وهذا جواب سؤال مقدر اي قد علم معنى كون ابراهيم خليل الله فما معنى كون الله خليلا له (وجعله اماما لمن بعده) لقوله تعالى * اني جاعلك للناس اماما * اي مقتدى متبعا لجميع من بعده لان الانبياء بعده كلهم من ذريته وهذا من تمام نصرته لانه لو لم ينتصر حلفه من بعده ولذا ذكره بعد تأييدا وتأكيدا (وقيل الخلة اصله) اي اصل معناه الذي وضع له لغة (افتقار المحتاج) صفة كاشفة مفسرة له (المنقطع) اي المفرد عن الناس لعدم احواله واحواله (المأخوذ من الخة) بفتح الخاء (وهي الحاجة) لاحتياج صاحبها لغيره لعجزه عما يقوم بامره (سمي بها) اي لقربها اشتق منها وهو الخليل (ابراهيم) فالضمير للحاجة او للفضة الخلة والاظهر انه بتقدير مضاف اي عن اشتقاق

ونحوه (لانه قصر) بفتح القاف والصاد المخففة والقصر كالحصر بمعنى التخصيص (حاجته على ربه) اى لم يكن له حاجة لا الى ربه فلا يؤمل نفعا من غيره ولا يقبله (وانقطع اليه بهمه) الهم هنا ما يهتم به المرء و يعتنى به ويعزم عليه يعنى كانه قصر حاجته على الله قصرا له وعزمه على الله وعلى ما يرضيه (ولم يجعله قبل غيره) قبل بكسر القاف وفتح الموحدة واللام بمعنى المقابل الذى يدرك ويرى فاراد انه عنده وفى حاسه وانه لم يجعل امره ورجاءه فى غير الله اى لم يطلب شيئا من غيره ولم يؤمله (اذ جاءه) اى جاء ابراهيم عليه الصلوة والسلام (جبريل) عليه الصلوة والسلام (وهو فى المنجنيق ليرمى به) اى وقد وضع فيه ليرمى به (فى النار) التى اوقدت لاحراقه وكان لهبها استد حتى لم يمكن لاحد ان يدنو منها حتى يرمى شيئا فيها فصنعوا المنجنيق لالقائه من بعيد وهو بفتح الميم وكسرها آلة لرمى العدو بحجارة كبيرة بان ينشد سوارى مرتفعة جدا من الخشب يوضع عليها ما يراد رميه ثم تضرب بسارية توصله لمكان بعيد جدا وكانت هذه الآلة قديمة قيل وضع النصارى البارود والمدافع وهو فارسى معرب وفى وزنه ومعناه قيل التعريب كلام طويل لهم واصله من بجئ نيك اى ما اخوذنى وهو مؤنثة كما قال

* لقد تركتنى منجنيق ابن جندل * احيد عن العصفور حيص احيد *

وميمه زائدة ووزنه منفعيل وقال سيبويه فعليل والاستدلال عليه مشهور (فقال له) جبريل عليه الصلوة والسلام (الك حاجة) عندى من سؤال ما ينجيك ونحوه (قال اما اليك فلا) حاجة لقصر حاجته على ربه كما مر وهذا رواه ابو نعيم (وقال) ابو بكر (ابن فورك) بضم الفاء و فتح الراء المهملة وكاف ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة وقال البرهان نه صحيح فى النسخ بالتنوين والصرف لظن انه علم مرتجل وقيل انه عربى معناه الفار ولا يعرف فى اسمه واما المذكور فيها انه نعى نوع من الطياء ومن قال معناه الفار لعله اراد انه من عجمة الناس وتحريف عامتهم قلت رأيت فى كتب التواريخ ان ملك الهند ارسل الاسكندر رسولا اسمه فورك وسألت عنه فقيل معناه غلام حقير و هو يقتضى انه اعجمى غير مصروف وعندى انه يجوز فيه الوجهان وقد مر فيه كلام لنا وما قلناه هنا ربما (الخلة صفاء المودة) وهى المحبة مع التودد وهى المواساة و المساعدة و صفوها خلوصها بان يوافق الظاهر الباطن كما قال المعرى

*والخل كالماء يبدى لى ضمائره *مع الصفاء ويخفيها مع الكدر*

(التى توجب الاختصاص) اى يلزمها اختصاص الواد بمن يوده بما يلازم صحته واسعافه (بتخلل الاسرار) جمع سر وهو ما يخفيه المرء عن غيره و تخللها دخولها فى باطنه لاطلاعه عليها وعلمه بها فلا يخفى عليه شئ من احواله والباء سببية وقيل

الاسرار بنجا و يف حات القلوب وهو مجاز لومعناه رسوخ المودة فى القلب واعلم
تقدم ان الفرق بين المحبة والمودة والخلة ان المحبة ميل القلب لما هو حسن عنده سواء
كان حسن صورة او كمال كمحبة العلماء والصلحاء او انتفاع وانعام لان القلوب مجبولة
على حب من احسن اليها والمودة مواصلة من يحبه والتودد اليه فاذا زادت المودة
وخلصت كانت خلة فان قلت حينئذ الخلة اخص من المحبة فيكون افضل فلم قيل ان
المحبة افضل قلت المحبة اعم فقد تكون من غير مخالطة وقرب فلا خلة فيها الا ان المحبة
قد تصل الى مرتبة بحيث يكون الحبيب لا يغيب عن ذكره وذكره طرفة عين حتى يصل
الى الهيام وذهاب العقل وتبذل لها الارواح فضلا عما سواها وهذه تسمى عشقا
والعشق لا يجوز فى الشرع اضافته لله فلا يقال عشقت الله كما ذكره ابن تيمية وغيره
وان وقع من بعض الحكماء والصوفية وان كان مع هذه المرتبة خلة وتقريب فليس
كهذا المحب محب ولا كحبه حبب وهذه المحبة هى التى اختص بها نبينا صلى الله
تعالى عليه وسلم بعد الاسراء لما رأى الله وشاهد من جماله وجلاله و وصل من قربه
لمرتبة لم يصل لها رسول ولا ملك مقرب وتمت له خلة مقربة لم يبلها غيره فلم يحتج
لغيره ولا سأل سواه و عرض عليه مفاتيح خزائن السموات والارض واعانه الله
ونصره نصرة عزيزة وعصمه ما تقدم و ما تأخر مع انه لم يصدر عنه زلة واطلعه
على اسراره وحظائر قدسه واى خلة كخلته فلذا كان صلى الله تعالى
عليه وسلم مخصوصا بانه خليل الله ايضا و قال الخليل عليه الصلوة والسلام ما
خليل من وراء وراء كما مر وكرر وراء اشارة الى زيادة قرب نبينا فى الارض والسماء
فلا منافاة بين اختصاصه و وصف ابراهيم و ان اشتهر بذلك لانه اجل صفاته
واشتهر محمد بالحبيب لانه بهذا المعنى اجل من الخليل وهذا من جانب العبد
و امامن الله فخلته له بمعنى تقريبه وانعامه و تعليمه ما لم يعلمه غيره وتفضيله على ما
سواه وخلته له اسعافه له بجليل هذه النعم وتوفيقه لجعله نصب بصره وبصيرته
حتى كانه معه فى كل حين ما عرفه (وقال بعضهم اصل الخلة المحبة) يحتمل
ان اصل معناها الوضعى المحبة لانها من تخلله فى قلبه وروحه و يحتمل ان المراد
ان المحبة اساس الخلة و منشؤها لانها تكون بعد تحققها (ومعناها)
اى معنى خلة الوضعى شاء على الثانى وهو ارجح وقيل ضميرها راجع للمحبة المرادفة
للخلة (يا سعاف) اى الاعانة والنصرة والامداد لكل ما اراد (والالطاف) بفتح
الهمزة اى الانعام والاحسان قال الزمخشرى فى شرح مقامات الالطاف الهدايا
واحدها لطف بفتحتين قال كل له عندنا التكريم واللطف انتهى و يحتمل انه جمع
لطف كسقل وهو التوفيق لفعل كل خير و تسهيله وكونه بكسر الهمزة تحريف

(والترفيع) باعلاء مرتبته بالكمالات الظاهرة والباطنة (والتشفيع) باذنه له فى الشفاعة وقبولها وله صلى الله عليه وسلم شفاعات كما مر فيشفع فى فصل القضاء وفى رفع درجات قوم فى الجنة ولمن مات بالمدينة كما رواه الترمذى وسيأتى ولبعض المؤمنين فى التجاوز عن سيئاتهم ولبعض من كان من اهل النار بعدم دخولها واخراجه منها ولتخفيف عذاب بعض الكفرة كابى طالب لجعله فى ضحضاح من نار يغلى منه دماغه كما رواه البخارى وهو لاينافى قوله تعالى لايخفف عنهم العذاب كما قيل وقد بيناه فى حواشى القاضى ولقبول شفاعة بعض الانبياء والصلحاء وقيل التشفيع بمعنى التأييد والتقوية من الشفع (وقد بين ذلك تعالى) اى كون المحبة والخلة تقتضى الاسعاف وما بعده بطريق المفهوم واللزوم (فى كتابه بقوله وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه فلم يعذبكم بذنوبكم الآية) يعذبكم مضارع بمعنى الماضى اى عذبكم فى الدنيا بالمسخ والقتل وغير ذلك وهذا برهان اى لو كنتم ابناؤه واحباؤه ما عذبكم لكنه عذبكم فليستم كذلك اوهو على اصله اى لم يعذبكم فى الآخرة فعلم منه ان من كان محبوبا لله لا يعذبه ولا يسوءه لاقتضاء المحبة لذلك والحب ان هذا مع ظهوره قيل عليه انه لادليل فى الآية على مدعاه وليس فيها على تقدير التسليم الا عدم مؤاخذة المحبوب بذنبه على انه ممنوع فى احباء الله لان من احبه الله عصمه من الذنوب ويمحصه بالمناقشة والابتلاء ولادليل فيها على ان اصل الخلة المحبة وهو مما يقتضى مد العجب وقولهم ابناء الله اى منا ابناؤه وهو المسيح وعزير اونحن اتباع بنيه وقيل انهم ادعوا ذلك لانهم رؤا فى التورية يا ابناء احبائى فبدلوها يا ابناء ابكارى (فاوجب للمحبوب) اى بطريق اشارة النص فهم ان كل محبوب وحليل يحب (ان لايؤاخذ بذنوبه) اى لايعاقب بها ويجازى عليها (قال) ذلك البعض (هذا) اسم الاشارة يتخلص به من كلام لاحرفيكون خبر مبتدأ مقدر اى الامر هذا اومبتدأ خبره مقدر وقد يذكر كما فى قوله هذا ذكر او مفعول فعل مقدر اى خذ هذا وقد يقال ها اسم فعل بمعنى خذوذا مفعوله لكن الرسم يخالفه (والخلة اقرى من السوة) بموحدة ونون مصدر بمعنى كونه اباء متولدا منه ثم بين ذلك بقوله (لان السوة قد يكون فيها العداوة) اى معها اوفيمن اتصف بها وهو من طرفية الصفة للموصوف (كما قال الله تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم) اى منهم من يصير العداوة والعقوق كما هو مشاهد فاحذروهم وخافوا شرهم (ولا يصح ان يكون عداوة مع خلة) لان المحبة معناها ودا خالصا فيها اولازمة له وهى ضد العداوة فلا يجتمعان بخلاف البنوة فانها وان كانت العطرة تقتضى المحبة لكن قد يتخلف لعارض ويكفى هذا فلا وجه للاعتراض بان الاصيل فيها المحبة والعارض لايعتد به كما توهم ومن العجب انه ايده بقولهم زيد ابوك عطوفا وكم له مثلها تجاوز الله عنه (قال) تفريع على

ماقبله (تسميته ابراهيم ومحمد عليهما الصلوة والسلام بالخلة) اى بما اخذ من الخلة وهو الخليل والمراد بالتسمية الوصف تجوزا وقدم ابراهيم عليه الصلوة والسلام لتقدمه رتبة وشهرته وهو باضافة تسميته وفى نسخة اضافه بالضمير (اما بانقطاعهما الى الله تعالى) هذا ناظر لان الخلة الحاجة اى لاعتمادهما عليه واما لمع الخلو فقط (ووقف حوائجهما عليه) اى جعلها موقوفة على انعامه لاكتفائهم بفضله (ولانقطاع همن دونه) اى الانقطاع اليه تعالى وترك غيره (والاضراب عن الوسائط والاسباب) الاضراب بمعنى الاعراض والترك يقال اضرب عن كذا اذا امسك عنه وتركه (اوزيادة الاختصاص منه تعالى لهما) معطوف على مابعد اما بان الله اختصهما زيادة اختصاص به فاغناهما عماسواه كما يغنى الخليل خليله وهذا ناظر الى انه من الخلة بالضم (اوخفى الطافه عندهما) خفى بالخاء المعجمة لان لطفه يكون من حيث لايدرى اوبالحاء المهملة اوزيادة مبالغة فى اكرامه لهما يقال احفى به وحفى اذا بالغ فى اكرامه وهو مجرور معطوف على زيادة اوما اضيف اليه والطاف بالفتح تقدم تفسيره وقيل انه بكسر الهمزة مصدر وعيه مامر (وماحالل) اى تحلل ودخل (نور اطهما من اسرار الهيته) اشارة الى انه من التخلل كما تقدم وفى نسخة من اسرار الهية بمناة تحتية هو وحدة (ومكنون غيوبه) جمع غيب وهو مالايدرك بالحواس الظاهرة اوماسيكون قبل وقوعه وهو من جملة المعجزات ولايطلع على غيبه لامن ارتضى من رسول والمكنون بمعنى المستور (ومعرفته) اى معرفة افاضها عليهما من علمه اللدنى اومعرفة ذاته وصفاته مما لايطلع عليه كل احد (اولاستصفائه لهما) اى لاختياره لهما من دون خلقه وجعلهما صفوة له حتى يستحقا وصف الخلة لانهما خيرة الله من خلقه والمصدر مضاف لفاعله وقوله (واستصفاء قلوبهما) مضاف لمفعوله واسم العضو المضاف للمعنى يجوز افراده وجمعه وتثنيته اى جعل مراتبهما صافية خالصة له صالحة لاسراره ومعرفته (عمن سواه) بحيث لايكون فيهما لغيره معرفته وحبه (حتى لم يحالهما) اى يدخل فى خلالهما (حب لغيره) هو نتيجة الاستصفاء وما له فرتصهما وصفو قلبهما من كدر حب السوى الناشى عن الطبع البشرى (ولهذا) اى لكون معنى الخلة الانقطاع عماسواه والاعراض عن العوارض البشرية (قال بعضهم الخليل من لايتسع قلبه لسواه) لامتلائه بمحبته ومشاهدة جلاله بحيث لايبقى فى قلبه سواه وسوى مراقبته كما قيل * تملك بعض حبك كل قلبى * فان تردالزيادة هات قلبا *

(وهو) اى ماذكر من معنى الخليل ونعته (عندهم معنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث البخارى اى من امن الناس على فى صحبته وماله ابا بكر (ولوكنت متخذا خليلا) من الناس غيرربى ارجع اليه فى اموري واعتمد عليه فيها يعنى (لاتخذت ابا بكر خليلا) لانه اعز اصحابى واقدم اصدقائى ولوتعلق قلبى باحد لم يكن يتعلق

غيره لما عرفه من ايثاره على نفسه واهله (ولمكن اخوة الاسلام) وقديم الصحبة التي هو بمنزلة القرابة القريبة النسبية كما قيل * صحبة يوم نسب قريب * وذمة يعرفها اللبيب * وهو استدراك على مضمون الجملة الشرطية وفي الخلة واثبت الاخوة المؤذنة بالمساواة تفضلا منه فالخلة اعظم من البنوة والاخوة واخوة بهمزة مضمومة وروي في الاكمال انه خوة بدون الف وهي لغة قليلة (واختلف العلماء وارباب القلوب) اي اصحاب القلوب الكاملة الصافية فجعل غيرهم كانه لا قلب له والمراد بهم الاولياء وذوو النفوس القدسية وقيل المراد بهم الباحثين عن احوال القلوب وقيل المراد بهم اكابر الصوفية وسموا بذلك لنظرهم في العلوم الباطنة دون ظواهر الالفاظ (ايهما) اي المحبة والخلة (ارفع) اي ايهما افضل في نفس الامر وعند الله (درجة الخلة او درجة المحبة) وكني برفع الدرجة عن رفع ما فيها وافضليته والتقدير اهو درجة الخ (فعلهما بعضهم سواء) اي الدرجتين او المحبة والخلة متساويتين في الفضيلة لتعاونهما (ولا يكون الحبيب الا خليلا ولا الخليل الا حبيبا) لا يخفى ان هذا انما يقتضي تلازمهما لا مساواتهما مرتبة ودرجة ثم اشار الى جواب سؤال مقدر وهو انهما اذا استويا وتلازما فلم خص كل منهما بموصوف فقال (لكنه) اي الله او الامر والشان (خص) - بني للفاعل او المفعول ابراهيم بالخلة ومحمدا) بالنصب او الرفع (بالمحبة) بان سمى الاول خليلا والثاني حبيبا وهو امر اتفاقي لمجرد التمييز بينهما ولا يخفى ضعفه (وبعضهم قال درجة الخلة ارفع) منزلة وافضل واعلا درجة ويستدل لان المحبة مأخوذة من معنى الحلة واخص منها لكنه قيل انه يرد عليه ما تقدم من قوله في مناجاته حيث قال له الله سلني اعطك فقال يا رب اتخذت ابراهيم خليلا وكلمت موسى تكليما فقال تعالى له الم اعطك خيرا من هذا واتخذتك حبيبا وما في معناه مما يقتضي ان درجة المحبة ارفع الا ان قوله لو كنت متخذا الحديث يخالفه فالمقام لا يخلو من الاشكال والجواب ان القائل انما فضله بمجموع ما ذكر في الحديث (واحتج) هذا القائل لمدعاه (بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم) في حديث رواه البخاري (لو كنت متخذا خليلا غير ربي لم يتخذه) اي غير الله خليلا (وقد اطلق المحبة) اي وصفه بمحبته غير ربه والجملة حالية (لفاطمة) الزهراء ابنته صلى الله تعالى عليه وسلم وهو متعلق باطلق (ولبنيها) الحسن والحسين (واسامة) ابن زيد بن حارثة هاته ذكر انه كان يحبه ويسمى حب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (وغيرهم) كابي بكر وعمر وعايشة رضي الله تعالى عنهم وقد ورد هذا كله مصرحا به في احاديث صحيحة وقد قدمنا لك ان محبة الله تعالى لعبده بمعنى غير محبة العبد لله ولغيره وان محبة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لله بمعنى كونه ليس في قلبه وذكره غيره وانها مأخوذة من حبة القلب كما قلت

* قد تملكت حبة القلب مني * ولذا سمي الحبيب حبيبا *

فلا ينافي كونه يحب فلانا لانها لمطلق الميل و بهذا سقط الاحتجاج بما ذكر ومما لا
مايؤيده (واكثرهم) اى اكثر العلماء وارباب القلوب (جعل المحبة ارفع) درجة
وافضل (من الخلة لان درجة الحبيب نبينا) صلى الله تعالى عليه وسلم بدل من
الحبيب اوعطف بيان (ارفع من درجة الخليل ابراهيم) فيقتضي ان صفته وهي
المحبة افضل من صفته وهي الخلة وفيه انه لايقتضي ذلك لان تفضيل الذات على
الذات قد يكون لمعنى آخر غير تلك الصفة لاسيما اذا قلنا ان الخلة هي المحبة او
غايتها (واصل المحبة) الوضعي الحقيقي (الميل الى مايوافق المحب) بضم وفتح الحاء
بمعنى المحبوب يقال حبه واحبه بمعنى الا انهم اخذوا اسم الفاعل في اكثر استعمالهم
من المزيد فقالوا محب واسم المفعول من الثلاثي فقالوا محبوب وحبيب وقالوا في
غير الاكثر حاب ومحب بالفتح كقول عنترة في معلقته * هي بمنزلة المحب المكرم *
فراعوا كلامها و المراد بما يوافقه ما يرتضيه ويميل اليه فيحب كل مايحبه
ويتبعه ويترك لاجله مراداته والمراد بالميل ميل قلبه ولذا قال (ولكن هذا)
المعنى يكون (في حق من يصح الميل) القلبي (منه) اى المحب لا المحبوب والعكس
جائز وحرم به بعضهم (و لانتفاع بالوفق) بفتح الواو وسكون الفاء قبل
القاف اى الموافق فسمي الفاعل بالمصدر او هو على اصله بمعنى الموافقة بين
الشيئين وهذا الاخير حير (وهو دوجة المخلوق) وهو راجع الى المحبة بمعنى الميل
القلبي ممن يصح منه او اسند باعتبار الخبر فيرجع للمثل والدرجة مجازا عن الصفة
(واما الخالق جل جلاله فنزه عن الاعراض) بعين مهملة وراء مهملة وضاد
معجمة على ما تقدم فالميل بمعنى ترجيح شئ وتقديمه على غيره لفائدة عرض وعلة
للفعل لايجوز على الله ولذا ذهب اكثر الاصوليين الى ان افعاله تعالى لاتعلل
بالاعراض لانه يقتضي استكماله تعالى بغيره وهو منزه عنه اما معنى الثمرات والفوائد
المترتبة على الفعل فلايضر وخالفهم بعض المحققين وقال النصوص تدل على
خلافه والاستكمال عنده غير مسلم وقد بسط الكلام عليه في غير هذا الكتاب وفي
نسخة الاعراض بعين مهملة ولبس جمع عرض بمعنى مرض و برنته كما قيل بل
بمعنى الكيفيات النفسانية الحادثة والميل منها وفي نسخة الاعتراض ولامناسبة لها
ها الاتكلف واذا كانت المحبة بهذا المعنى لاتليق برب العزة (فمحبته) اى الله (لعبده
تمكينه من سعادته) اى اقداره على مايفيده سعادة الدارين بتوفيقه لطاعته وعبادته
(وعصمته) من ارتكاب الذنوب ويجوز رفعه وجره عطفا على تمكين وسعادة والعصمة
هامعا ما الحفظ (وتوفيقه) في اموره بجعلها على وفق رضاه ويجوز رفعه وجره ايضا
(وتهيئة اسباب القرب) تهيئة بزنة تكرمة بياء مثناة تحتية بعد الهاء وهمزة وهاء
تأنيث مصدر هيأته اذا جعلته حاضرا سهل التناول اى يسره الله كل سبب

يقربه الى ربه من صلاة وجهاد ومعرفة ونحوها (وافاضة رحمته عليه) اى ايصال الخيرات الدنيوية والاخروية اتصالا كثيرا متواليا فسماه الرحمة بالماء واثبت الاضافة بمعنى الصب كثرة على طريقة المكنية والتخييلية (وقصواها) بضم القاف وسكون الصاد المهملة فعلى من اقصاه اذا ابعده والمراد غايتها والضمير للمحبة المفسرة بتكميل ومابعده وذكر الغاية لان صفاته تعالى التى لاتليق به توحد باعتبار غايتها غاية احدة (كشف الحجب) بضمتين جمع حجاب اى ازالة الموانع (عن قلبه) كما سيوعل الدنيوية (حتى يراه بقلبه) اى يعلمه علما يقينيا كالمساعدة المحسوسة (وينضر ايه بصيرته) وهى قوة للقلب كالبصر يدرك بها مايتوجه اليه (فيكون كما قال) اى الله تعالى او الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم الناقل له (فى الحديث) القدسى رواه البخارى (اذا احببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها وهو حديث قدسى طويل وبعضه اذا صفى قلبه وشغل نفسه بالله احبه الله ومحبة الله تقدم انها عنايته واطفه به وافاضة نعمه على ظاهره وباطنه فتكون حواسه وادراكها واعضاؤه وحركاتها كلها متوجهة لله ولما فيه رضاه من غير تصنع ومشقة فيقويه على ذلك حتى يكون كل افعالها صادرة عن الله والى هذا اشار المصنف بقوله (ولا يبغى اليهم) بالبناء للمجهول اى لايبغى احد (من هذا) الحديث والكلام (سوى مجرد الى الله) اى تجريد اعماله واحساسه عما يشغله عن الله (والانقطاع الى الله) بترك غيره واخراجه عن فكره ونظره (والاعراض عن غير الله) حتى يصير مراقبا له فى جميع احواله (وصفاء القلب لله) بحيث لايكون فى فكره غيره فيصفو من كدر الاوهام ودنس الخلق (واخلاص الحركات لله) بان لايحرك عضوا من اعضائه الا عبادته اولما يعين عليها (كما قالت عائشة رضى الله عنها) كما تقدم (كان خلقه القرآن) اى اخلاقه صلى الله تعالى عليه وسلم كلها على وفق ماامر به فى القرآن فجعلت القرآن عين خلقه مبالغة والى هذا يشير قولها (يرضا يرضى) اى يرضى ويحب باذكر فى القرآن له فعل مرضى لله من واجب ومندوب ومباح يقصد به مايصيره قربة (ويسخطه) بفتحتين وضم وسكون (يسخط) اى يكره ماذكر فيه ان الله يكرهه من كل حرام ومكروه وخلاف الاولى وقدم الجار والمجرور للحصر فلايرضا الا مايرضاه ولايكره الا ما اباه والحاصل علم مما ذكر ان اخلاقه صلى الله عليه وسلم الطبيعية اصبحت بذهبت لما شق قلبه الشريف فلم يبق له ارادة لغير ما يريده الله ولا رضا لغير ما يرضاه ولا يخفى ارتباط هذا بما قبله من قوله كنت سمعه وبصره فاعرفه (ومن هذا) اشارة الى ما سبق فى اول كلامه من معنى الحلة قبل ذكر الخلاف فيها وماخذ اشتقاقها عبر بعضهم عن الحلة بقوله

* قد تخللت سلك الروح مني * وبذا سمي الخليل خليلا *
* فاذا ما نطقت كنت حديثي * واذا ما سكت كنت الغليلا *

وفي رواية كنت الدخيل يعني ان الشاعر عبر عن معنى الخلة بناء على انها من التخلل كانها تخللت باطنه وجرت مجرى الروح المجسمة السارية في البدن سريعا مسرى ماء الورد في الورد بناء على ان احد الاقوال فيها لا على انها مجردة خارجة عنه ومتصلة او بناء على انها لطيفة نورانية في احد طرفي القلب لها الحياة والاحساس ومسلك منصوب على الظرفية بتخللت المتضمن معنى دخلت اسند التخلل اليه مبالغة والمراد تخلل محبته ومودته في مسالك روحه او في قلبه الذي هو مقرها بحيث لا يكون فيه سواه كما مر ثم فرع على انه ليس في روحه وقلبه غيره انه اذا تحدث لم يذكر غير محبوبه وخليله واذا سكت لم يفكر في فكره وقلبه غيره فالمراد بالغليل بالعين بالمعجمة ما كان داخل القلب من قولهم تغلغل الماء وتغلل بين البيات اذا جرى تحته مستترا وكذا المراد بالدخيل ما هو داخل القلب والبدن لا الاجنبي كما في قول السكاكي ليس الدخيل كالناشئ هذا ما قصده الشاعر واشار اليه المصنف وان كان ظاهر النظم على تفضيل الخلة على المحبة فالمراد بالخليل فيه كل متصف بالخلة لا ابراهيم كما قيل فانه لا يصح هنا وليس المراد بالغليل حرارة العطش اي كنت لعدم ذكري لك مصر ما جوانح قلبي عطشا لعدم ذكرك فان اراحة الغم واراحة النفس بذكر الاحبة وما زائدة في الشعر والدخيل بدال مهملة وخاء معجمة ومن العجيب قوله في السر الجديد ان المعنى اذا سكت كتمت حبك في قلبي كما يكتم الحقد والضغائن فالمراد بالغليل الحقد والضغائن ولا يستقيم الا على الاستعارة فانه تعسف لا يدعى ذكره (فادن) تفريع لجواب سؤال متفرع على ما سبق (مزية الخلة) اي فضيلة الخلة وفي شرح العلامة انه لم يبن له فعل وتقدم انه يرده قوله في الاساس تميزت عليه اذا زدت في الفضل عليه (وخصوصية المحبة) بفتح الخاء وضمها بمعنى اختصاصها وعبر في الاول بالمزية اشارة الى ان الخلة وان يشارك فيها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والخليل عليه الصلوة والسلام فهي مختصة بنبينا باعتبار معنى زائد فيها لاشتمالها على المحبة المختصة معنى ولفظا وان لم يطلق على الخليل حبيب الله كما مر وان كانت محبته شاملة لهما بل لغيرهما كما قال تعالى * فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه * الا ان هذه غير المحبة المختصة كما مر تحقيقه وكما ان المحبة من الجانبين فكذلك الخلة فانه يقال حبب الله وابتلاه حبيبه كما يقال خليله خلافا لمن توهم ان الخليل لا يطلق على الله لحديث المتقدم ولو كنت متخذا خليلا غير ربي وبهذا تبين نكتة تعبيره بالمزية والخصوصية (خصه الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وفي نسخة خالصة اي مختصة وكان الظاهر ان يقول

حاصلتان لكنه افرد لجعلهما كالشئ الواحد (بما دلت عليه الآثار الصحيحة) الباء للتعدية متعلقة بحاصلة ويجوز ان يكون سببية والمراد بالآثار الاحاديث التي تقدمت كقوله لو كنت متخذا خليلا غير ربي الى آخره وقوله الا وانا حبيب الله وقوله (المتسرة) اى الشايعة المشهورة (المتلقاة بالقبول من الامة) ذكر شهرتها والقبول لها مؤيدا لاختصاصه صلى الله تعالى عليه وسلم وزيادته على غيره من الرسل ثم استشهد لذلك بنص القرآن فقال (وكى بقوله قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الاية) الباء زائدة في فاعل كفى اوللتعدية وكفى بمعنى اكتف كما هو مشهور ووجه الدلالة في هذه الاية انه لما جعل من اتبعه محبوبا لله علم انه محبوب عند الله محبة ليس فوقها محبة ومقرب تقربا لا يدانيه احد فيه فعلم منه حلته وحبه ولذا قال المصنف وكفى الى آخره ومن لم يفهم مراده قال هذا لا يدل على مدعاه لانه علق محبته على اتباعه فمجاهدته من الشريعة وتصديقه وذلك محبوب لله واعاد ل لو علق محبته على محبتهم للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ان كنتم تحبون الله فاحبوا الرسول (حكى اهل التفسير ان هذه الاية لما نزلت قال الكفار انما يريد محمد) بقوله لما اتعوني يحببكم الله (ان نتخذه حانا) بفتحتين مخفف الحنون معناه الرحمة والاشفاق مأخوذ من الحنين وهو يكون مع صوت والمراد ان نعطف عليه ونجعله موضع الحنان والرحمة اى نترك ونتضرع به وقد تقدم الكلام فيه (كما اتخذت النصارى عيسى) ابن مريم عليه الصلوة والسلام حانا ومعبودا يتقربون بعبادته الى الله تعالى (فان الله تعالى عيظا لهم) مفعول له اى انزل الله ليغيظهم ويغلبهم بعضه عليهم فان الغيظ الغضب على الفاجر (وزعما على مقالتهم) بتثليث الزاء المهملة وسكون العين المعجمة واللام وهو الذل والخزى والاساءة بما يكره واصله كل موذ يصيب الاذن ولذا يقال رغم انفه وعلى رغم انفه وضمنه معنى التكبت والتقريع فعداه بعلى والمآل انه اذله توبيخهم ورد مقالتهم وقوله (هذه الاية) مفعول انزل (قل اطيعوا الله والرسول) ثم بعد ما تبين سبب النزول من انكارهم جعل اتباعه سبب محبة الله لهم وتقربهم الى الله تعالى ذكر الاية وانها املغ من الاولى واشد لان الاولى لاتقتضي لزوم اتباعه فانه يتقرب اليه بالنوافل ويحب فاعلها والامر باطاعته يقتضي الوجوب واقترانها باطاعته يدل على تأكيده مع تعظيمه وتشريفه كما دل عليه قوله (فزاده شرفا بامرهم باطاعته) وايجابها عليهم (وقرنها باطاعته) اى الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم زيادة في تشريفه والاتباع وان كان عين الطاعة اولازمها وليس هو امرا وايجابا ومن عمل عنه قال هما سواء الا ان هذا فيه التصريح بالطاعة (ثم توعدهم على التولي عنه) بالاعراض عن طاعته وهو عدمها (بقوله فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين) كان الظاهر

ان يقال فان الله لايحبهم فوضع الظاهر موضع المضمر وعلقه بالمشتق الذى هو علة للحكم فكانه قال لايحبهم لانهم كفروا بالله سواء كان تعريفه للاستغراق اوللعهد فهذه الآية اصرح وادل على وجوب طاعته وعلو مرتبته صلى الله تعالى عليه وسلم على غيره من الانبياء كعيسى عليه والسلام (ونقل الامام ابو بكر ابن فورك عن بعض المتكلمين كلاما فى الفرق بين المحبة والخلة يطول) هذه الجملة صعة قوله كلاما ماشار الى انه لم ينقله لطوله ثم استأنف فقال(جملة اشارته ترجع الى تفضيل مقام المحبة على الخلة ونحن ندكرمنه) اى من كلام ابن فورك (طرفا) بفتحتين اى بعضا قليلا (يهدى) اى يدل (على ما بعده) اى باقيه فالبعدية غير مرادة لانه مجاز (فى ذلك قولهم) اى قول المتكلمين الذى نقله ابن فورك عنهم (الخليل يصل) الى من خالله (بالواسطة) اى بتوسط آخر بينه وبين خليله كما بينه قوله يصل به الآتى ثم بين ان هذا المعنى مأخوذ(من قوله) عز وجل(وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين) فوصل لمعرفة الله بواسطة مارأه من ايات ملكوته التى اوصلته لمعرفته (والحبيب يصل لحبيبه به) اى هو دله على نفسه بنفسه من غير واسطة لغيره وهذا مأخوذ (من قوله فكان قاب قوسين وادنى) فاراه عين اليقين كما تقدم وهذا وان كان المصنف رحمه الله تعالى ناقلا له والعهدة فيما نقله على قائله الا ان هذا غير ظاهر لانه ان اراد بالوصول الوصول الى الله برؤيته وسماع كلامه من غير واسطة فالآية لامناسبة لها بما ذكر وان اراد الوصول الى معرفة الله ومشاهدته فكذلك ثم انه لايتم الفرق لانه ان اراد بين مفهوم المحبة والخلة فما ذكر لايدل عليه بل ليس بصحيح وان اراد بين ذاتى من قاما به فلا يفيد شيئا مما نحن فيه ثم انه مبنى على القول بان ابراهيم عليه الصلوة والسلام لم يعرفه قبل هذا الاستدلال بناء على حوار مثله على الانبياء مطلقا او قبل البلوغ مع ان المحققين على انه ورد على طريق الجدل مع قومه الذين كانوا يعبدون الكواكب والحجة فيه كلام غير مقنع (وقيل الخليل الذى تكون معه) اى مغفرة الله له ماقد يصدر عنه محتاجا لعفوه عنه (فى حد الطمع) اى واقعة فى حال يطمع صاحبها فى التجاوز عنها لان الخليل لايؤاخذ خليله برلته واصل معنى الحد الحاجز بين الشيئين والمحيط به كحدود الدار فاستعير للحال المميزة له والمقتضية لتحققه (من قوله والذى اطمع ان يغفر لى خطيئتى يوم الدين) اى قول ابراهيم عليه الصلوة والسلام فى قصته مع قومه هضما لنفسه وتعليما لامته والا فهو معصوم(والحبيب الذى معرفته فى حد اليقين) اى متيقنه وهذا مأخوذ(من قوله) اى قول الله لمحمد حبيب الله صلى الله تعالى عليه وسلم (ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وماتأخر) اى كل ماصدر عنك ومالم يصدر مما هو بالنسبة لمقامك قد يقتضى نقصا وفى الاية اشارة الى انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يصدر

منه اذ سوى المتقدم بالمتأخر فى عدم الوقوع ولذا سر صلى الله تعالى عليه وسلم بها لما نزلت مرجعه من الحديبية وقال نزلت على آية احب الى مما على وجه الارض والكلام على الآية مبسوطة فى التفسير وقد تقدم طرف منه ايضا ثم ذكر فرقا آخر قريبا من هذا فقال (والخليل قال ولا تخزنى يوم يبعثون) اى لا تفضحنى ولا تعذبنى فى يوم القيامة وقد قيل انه ورد فى الحديث ان ابراهيم عليه الصلوة والسلام اذا رأى اباه فى المحشر يقول يارب وعدتنى ان لا تخزنى فيمسخ الله آزر ذيخا مذال مجحة ومشاة تحتية وحاء معجمة وهو ضبع مبين فيقال له انظر لما تحت قدميك فيراه فيكره ويلقى فى النار فحول الله صورته حتى لا يعرفه الناس حين يلقى فى النار فيعتضح بين امته قيل ومنه يعلم ان ابوى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ليسا فى النار وفيه ما سيأتى (والحبيب) اى نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم (قيل له يوم لا يخزى الله النبى فابتدئ بالسارة) بنفى الخزى عنه برؤية مايكره (قيل السؤال) لذلك كما سأله غيره منهم والخزى ليس هو العذاب كما فى قوله تعالى * ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته * وانما هو الفضاحة بكل مولم له اولامته كالعتاب فلا يقال ان الله امنه من غضبه وعذابه فما فائدة البشارة بعد هذا ثم ذكر فرقا (والخليل قال فى المحنة) هى الامتحان بمعنى الابتلاء والمراد بذلك قصته مع نمرود حين القاه فى النار فكانت عليه بردا وسلاما وقال (حسبى الله) اى هو كاف لى فى جميع امورى (والحبيب) وهو بيننا صلى الله تعالى عليه وسلم (قيل له يا ايها النبى حسبك الله) يعنى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال ذلك طالبا كفاية الله له وهذا قاله الله له فتكون كفايته له محققة مقررة بخلاف الاول كما ستسمعه قريبا (والخليل قال واجعل لى لسان صدق) اى ذكرا جميلا صدقا فعبر باسم الآلة عما يصدر منها مجازا (فى الآخرين) اى فى الامم الآتين من بعدى الى يوم القيامة فهو طلب ودعاء واجابة الله له من امة الاوهى تثنى عليه وتحمده (والحبيب قيل له ورفعنا لك ذكرك) اى جعلناه عاليا شريفا لما تضمنه من الثناء مقرونا باسم الله فى الصلاة والخطبة والاذان وغيرها (اعطى) الحبيب (بلا سؤال) منه وهذا بيان لمزية الحبيب كما سهاك عليه اولا (والخليل قال واحنى وبنى ان نعبد الاصنام) احنى كحنى بمعنى بعدنى بعدا حسنا ومعنويا بان لا يصدر منهم ذلك وقد اجاب الله تعالى دعاءه لان المراد بنو اصلبه وفيهم انبياء عصمهم الله تعالى واتقياء حفظهم (والحبيب قيل له) اى قال الله تعالى له (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) هو كل مستقذر حسا اوطبعا اوعقلا اوشرعا اى الله كرمكم بان حفظكم من الذنوب ومايدنس الاعراض وقال يريد الله ليذهب ولم يقل اذهب مع انه احضر اسارة الى انه قضى لهم بذلك فى الازل وفى عالم الارواح والدر (اهل البيت) منصوب على المدح او النداء والمراد اهل بيت النبوة فيشمل اولاده صلى الله تعالى عليه وسلم وزوجاته واتباعه واقاربه ولا يختص ذلك بعلى وفاطمة والحسنين كما زعمته الشيعة وهذا

اطلع مما فى حق ابراهيم بوحوه لاختصاصه بنفى عبادة الاصنام وهذا عام فى كل ذنب ونقص وذلك خاص بنبيه وهذا شامل لكل من شمله بيته كما سمعته آنفا ومبالغته فى تطهيره بقوله * ويطهركم تطهيرا * ولايخفى ان كل ماقاله ابن فورك انما يدل على شرف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وزيادة علو مرتبته على غيره ولاعلاقة له بنفس المحبة الخلة لا سيما الآيات لم يذكر فيها سوى لفظ الحبيب (وفيما ذكرناه) من تفسير المحبة والخلة واستنتاجهما والخلاف فى ايهما ارفع درجة (تنبيه على مقصد اصحاب هذا المعول) المقصد مصدر ميمى بمعنى القصد اوهو بمعنى المقصود لان مفعل يأتى مفعول كمركب وان كان نادرا اوهو مجاز من المصدر او من اسم المكان باستعارته منه استعارة مصرحة اصلية (من تفصيل المقامات والاحوال) سبق ان للمقصد والمقامات بفتح الميم جمع مقام وهو محل القيام ونضعها محل الاقامة وجمعه جمع المؤنث لاطراده فيما لايعقل كحمامات وسجلات والمراد بالمقام هنا امر يكون عليه العارف بالله تعالى من الانبياء والاولياء يرتفع به من حضيض البشرية فى درجات العبودية حتى يرقى الى المقام الاعلى ومايضرق عليه هو المراد بالاحوال وليس بمعنى واحد هنا كما قيل وقيل المقامات الصفات الدائمة والاحوال الصفات الزائلة وهو قريب مما قبله والصاهر ان المراد بقوله السابق ماذكرناه مالخصه من كلام ابن فورك هو جواب عما تقدم من ان هذا لايدل على بيان الخلة والمحبة الذى هو بصدده فاشار الى انه وان تعلق بذات الحبيب والخليل فالمقصود بيان تفاوت وصفهما فيرجع ماقاله الى بيانهما فان منهم من يسلك مسلك التصريح ومنهم من يقصد الايماء والتلويح (وكل يعمل على شاكلته) اى لكل احد طريقة يختارها والشاكلة فى الآية التى اقتبس منها المصنف وهى قل كل يعمل على شاكلته بمعنى سجيته وجبلته وهى كما قال الراغب مأخوذة من الشكال وهو قيد يقيد به الدابة لانها قيدته وذلك لان سلطان السجية قاهر لصاحبه ومنه شكل الكتاب يقال شكلت الخط كما يقال قيدته واشار بقوله (فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا) اى لله يعلم من طريقته اقوم واكثر ايصالا الى الحق وارشادا للهداية يشير الى ان اختلاف السابق فى تفضيل الخلة والمحبة مبنى على امور ينظر اليها كل من الفريقين فكأنه لم يجزم باحدهما لان الخلاف كاللفظى وقد قيل ان غاية ما ذكره ابن فورك تفضيل نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم على ابراهيم عليه الصلوة والسلام فى حد ذاته من غير نظر لما جعلوه علة من تفضيل الصفة على الصفة والحق تفضيل الخلة كما ذكره ابن قيم الجورية وقد علمت ما فيه وقد قد مناك مايعنى عنه

﴿ فصل فى تفضيله ﴾

صلى الله تعالى عليه وسلم برفعة مقامه على غيره (بالشفاعة) ان كان تعريفه للعهد والمراد الشفاعة العظمى فى المحشر التى يخلص الله بها اهله من هوله وكربه فقوله (والمقام المحمود) عطف تفسير والاظهر من عطف الخاص على العام والمحمود كل

مقام يتضمن كرامة محمد ولكنه خص هنا بفرد معين من افراده اختلف فيه كما قاله البرهان نقلا عن القرطبي على ستة اقوال فقيل هي الشفاعة العامة السالفة وقيل اعضاؤه لواء الحمد وهو لاينافي ماقبله وقيل هو ان يجلس صلى الله عليه وسلم مع الله على الكرسي وهذا مما نقل فيه حديث طعنوا فيه ويأتي مافيه ومنهم من اوله وقيل هو شفاعته صلى الله تعالى عليه وسلم لاخراج بعض اهل النار منها وقيل هو شفاعته رابع ارنعة اذ يقوم له روح القدس جبريل عليه الصلوة والسلام ثم يقوم ابراهيم ثم يقوم موسى او عيسى عليهم الصلوة والسلام ثم يقوم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فيشفع ولايشفع احد بعده في اكثر مما يشفع وبه فسرت الآية وقيل هو مقام يكون اقرب فيه من جبريل والشفاعة ثابتة له صلى الله تعالى عليه وسلم بالاجماع الا انها عند اهل السنة لاصحاب الكبائر لحديث شفاعتي لاهل الكبائر من امتي وعند المعتزلة لزيادة الثواب لا لدرء العقاب والكلام عليه مفصل في كتب الاصول وكونه محمودا على ظاهره او اسناد مجازي اي صاحبه محمودا (قال الله تبارك وتعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا) اشنشهد بالآية على ما قاله وقد علمت ماقسر به المقام المحمود ومقاما منصوب على الظرفية بمحذوف اي يقيمك مقاما او بتضمين يبعث معناه اوحال بتقدير اي ذا مقام واما الوجه الثالث وهو جلوسه صلى الله تعالى عليه وسلم مع الله على العرش والكرسي وقال الواحدي رحمه الله تعالى انه قول فاسد مبني على التجسيم وبين فساده بوجوه منها ان البعث هو الاثارة والاقامة والجلوس ضده وكيف يفسر به وايضا هو يقتضي التحديد والتناهي المستلزم للحدوث وايضا انه قال مقاما ولو كان كذلك لقال مقعدا ومثله لايدل عليه البعث ورد هذا بانه رواه احمد من طرق شتى ومثله من المتشابه كقوله الرحمن على العرش استوى وقد صححه الدارقطني وقال ردا على منكره واجاد في ذلك رحمه الله تعالى رحمة واسعة

* حديث الشفاعة عن احمد * الى احمد المصطفى سنده *
* وقد جاء الحديث باقعاده * على العرش ايضا ولا تجحده *
* امروا الحديث على وجهه * ولا تدخلوا فيه مايفسده *
* ولا تنكروا انه قاعد * ولا تنكروا انه يقعده *

فجلوسه صلى الله عليه وسلم لامانع منه واما نسبة ذلك لله وقوله انه معه فليس المراد ظاهره بل هو وامثاله مأولة وهي كثيرة وعسى للترجي ومعناها وعملها مشهور في كتب النحو فمعناها الترجي في المحبوب والاشفاق في المكروه والترجي منه صلى الله عليه وسلم ظاهر ومن الله قالوا انه ايجاب اي حرم بوقوعه اذ الله لايجب عليه شيء كما تقرر في الكلام (حدثنا) وفي نسخة اخبرنا (الشيخ ابو علي العساني الجياني) شيخ المص وعساني اسم ماء في الاصل سمي به قبيلة من اليمن نزلت عليه وجياني بالجيم المفتوحة وتشديد الياء المثناة التحتية نوزن شداد بلدة بالاندلس منها ابن مالك وابو حيان رحمهما الله تعالى (فيما كتب الي بخطه)

اشارة الى ان هذا الاخبار ليس بالمشافهة اى اخبارا كائنا فى ضمن امور اخر واحاديث كتبها له والكتابة نوع من التحمل والاجازة لها حكم الاتصال عند كثير من المحدثين واهل الاصول كالسمعانى وصاحب المحصول ووقع ذلك فى الصحيحين سواء كاتبه حاضرا اوغائبا بشرط ان يعرف خطه قال (حدثنا سراج بن عبد الله القاضى) السابق ذكره وترجمته قال (حدثنا ابو محمد الاصيلى) الذى تقدم الكلام عليه وعلى نسبته قال (حدثنا ابو زيد) المروزى وقد تقدمت (وابو احمد) محمد بن محمد بن يوسف بن مكى الجرجانى (قالا حدثنا محمد بن يوسف) الفربرى السابق ترجمته قال (حدثنا محمد بن اسمعيل) هو امام السنة صاحب الصحيح البخارى وقد تقدم قال (حدثنا اسمعيل بن ابان) ابو اسحق الوراق الازدى الكوفى وابان بفتح الهمزة وتخفيف الباء علم منقول تردد فى صرفه وعدم صرفه لعصمهم وانجار لعصمهم فيه الصرف وعدمه وسبب الخلاف فيه ان منهم من قال وزنه فعال فيتعين صرفه وقيل انه منقول من ماضى ابان يبين وجزم به ابن مالك وصاحب التوضيح وقال القرافى نحويون ولحاة على منع صرفه ونقله ابن يعيش عن الجمهور بناء على ان وزنه افعل تعجبى او صيغ فاعل على خلاف القياس وبقى على صله واندفع قول الدماميني لو كان كذلك وجب تصحيحه لان افعل الاجوف الوصفى لا يعل وفى شرح مسلم له حور فيه الصرف وعدمه والصحيح صرفه كما فى جامع للعتوبه حرم ابن السيد (قول عدم صرفه تعسف وقد تتبعت كلام العرب فوجدته مصروفا فيه كقول ابى عطاء السندى

* اتعرف مسجدا لبنى تميم * وموقف الخيل دون بنى ابان *

(وقوله مهلهل)

*فلهف نفسى على عدى ولم * اعرف عديا ذمكث فى البدان*

*طل من طعن فى الخروب ولم * اعرف قتيلا ابا ثوه من ابان *

الى غير ذلك مما لا يحصى فلا وجه للتردد فيه ولقد قال بعض ائمة اللغة من لم يصرف ابانا فهو ابان وهو ما عة وفى سنة ست عشرة ومائتين وترجمته فى الميزان قال (حدثنا ابو الاحوص) بحاء وصاد مهملتين واسمه سلام بتشديد اللام بن سليم بالتصغير الامام الثقة الزوايه توفى سنة مائة وتسعة وتسعين واخرج له اصحاب الكتب الستة وقيل اسمه عوف بن مالك بن فضاله والصحيح الاول (عن آدم بن على) المحلى الثقة التابعى يروى عن ابن عمر وغيره (قال سمعت ابن عمر) الصحابى المشهور رضى الله تعالى عنه (يقول) حال او معمول كما بينه النحاة وقد تقدم به (لا تزال يصيبون يوم القيامة حتى) هذا الحديث رواه البخارى فى التفسير موقوفا على ابن عمر وشبهه لا مجال للرأى فيه فله حكم المرفوع واحتمال انه سمعه من اهل الكتاب بعيد لا يعول عليه وكونه سمعه من صحابى آخر لا يضر لان مرسل

الصحابي مقبول اقول هذا مما قاله اهل الاصول وقبله الائمة في مصطلح الحديث وفيه بحث لانه يجوز ان يكون الصحابي ممن قرأ الكتب القديمة او يكون استنبطه من كتاب اوسنة فينبغي تقييده بما ذكر وجثى بضم الجيم مقصورا ومدود وجوز كسر جيمه ايضا جمع جثوة مثلث الاول واصله الكوم المجتمع من تراب ونحوه فاستعير لمعنى الجماعة اى يجتمعون جماعات كل امة جماعة تابعة نبيها كما ذكره وروى البرهان عن الحافظ العراقي جثاء بضم الجيم والمد وانه كذا صحح في نسخ البخاري وصححه الهروي وابن الاثير وروى حثى بضم الجيم وكسر المثلثة وتشديد الياء جمع حاث وهو التارك على ركبتيه وقيده بعضهم بما يجلس كذلك للخصومة وانشدوا (قوله)

* احاصمهم مدة قائما * واحثوا اذا ما حثوا للركب *

ولا شاهد فيه وهذا على خلاف القياس اذا صحت الرواية فلا يرد عليه ان فاعل لا يجمع على فعل كما قيل (كل امة تتبع نبيها يقولون) حال من فاعل يقول اى تكون معه تابعة له بانضمامها اليه (يافلان اشفع لنا يافلان اشفع لنا) اى تنادي كل امة نبيها باسمه يسئلونه ان يشفع لهم عند ربهم في الخلاص من هول الموقف كما مر فيجيبهم بانه لا يقدر على الشفاعة كما تقدم فيذهبون لغيره من الرسل فيجيبهم مثله (حتى تنتهي الشفاعة الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اى حتى تنتهي الامم وسؤالهم لواحد بعد واحد تكون غايته ان ينتحوا له صلى الله تعالى عليه وسلم فيجيبهم وينفعهم بقبول شفاعته في الحديث طي لجمل علمت من السياق ومن احاديث اخر صرح فيها بذلك ومعنى تنتهي تبلغ وتصل كما يقال بلغ الامير قصتي وهذه هي الشفاعة العظمى وقد تقدم ان له صلى الله تعالى عليه وسلم شفاعات اخر (فذلك) اى ما ذكر من الشفاعة وما معها يوم يبعثه الله (المقام المحمود) اى كائن في ذلك اليوم بنصب يوم على الظرفية فان رفع بجعل القصة المختصة به كانها عينه مشاهدة ويجوز الجر (وعن ابي هريرة رضي الله عنه سئل عنها رسول الله عليه السلام) اى عن الآية المذكورة كما اشار اليه بقوله (يعني قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا) وضمير يعني راجع لابي هريرة وهذا الحديث رواه احمد والبيهقي (فقال) اى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جوابا عن السؤال (هي الشفاعة) العظمى الواقعة لفصل القضاء وقيل لاجراح المدسين من النار والمشهور هو الاول وضمير هي راجع للشفاعة كقولك هي الحياة او للمقام وانث رعاية للخبر او للآية بالتحور على ان المراد المعنى المقصود منها وقيل المراد انها هي الشفاعة في اليوم المسمى بالمقام المحمود وهو تكلف جدا (وروى كعب ابن مالك) الانصاري الصحابي احد الثلاثة الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في غزوة تبوك وتاب الله عليهم بنص القرآن وهذا الحديث رواه احمد بن حنبل مسندا (عنه عليه الصلوة والسلام)

انه قال (يحشر الناس يوم القيامة) بعد الخروج من القبور الى يجتمعون للحساب (فاكون انا وامتى على تل) بمثناة فوقية مفتوحة ولام مشددة هو رابية من تراب او رمل ونحوه عالية مرتفعة وجمعه تلال واتلال نادر وفى القاموس التل من التراب والكوم من الرمل وتفسيره بمكان عال كالجبل بيان للمقصود اوتسامح وفيه اشارة الى اعلى مقامه صلى الله عليه وسلم ومقام امته واللطف بهم فى تخليصهم من زحام الموقف ومشقته (فيكسونى ربى حلة خضراء) وفيه اسباس لما يلبسه الاشراف الآن من العمامة الخضراء وان كان ذلك محدثا فى زمن السلطان الاشرف تمييزا لهم عن غيرهم وان لم يكن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فعل ذلك كما فصلناه فى محله والحلة بضم فتشديد من برود اليمن ولا تسمى حلة الا اذا كان ثوبين احدهما فوق الآخر اوثوب واحد له طاقة وسمى بذلك لان كلا منهما يحل على الآخر او لكونهما حديدين كما حل طيهما ثم شاع فى مطلق الكسوة النفيسة وكسوته صلى الله تعالى عليه وسلم بعد كسوة ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام فى رمس كما سيأتى التصريح به فى الحديث وليس فيه تفضيل له عليه لان حلة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم اعلى واحسن وانما قدم جزاء لما فعله به عمر حين عراه ليلقيه فى النار ورعايته له عايسر الى صلى الله تعالى عليه وسلم لانه جده وزعنه اسوق وسنه اريد (ثم يؤذن لى) بالبناء للمجهول من الاذن اى يأذن الله لى فى التكلم بين يديه والشفاعة لاهل المحشر جمعين فيقال له قل واشفع تشفع كما مر (فاقول ماشاء الله ان اقول) من حمد الله بمحامد لايقة والشفاعة العظمى (فذلك المقام المحمود) وهذا لايناقى تفسيره بالشفاعة العظمى كما قال المحب الطبرى وذلك اشارة الى جميع ما تقدم من اول الحديث الى آخره (وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما) فى حديث ساقه (وذكر حديث الشفاعة) معطوف على مقدر وقوله (قال فيمشى) يعنى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بدل من قوله ذكر (حتى يأخذ بحلقة) باب (الجنة) وفى رواية قال فامشى حتى آخذ والحلقة معروفة بسكون اللام وجوز فتحها وانكره بعض اهل اللغة كما تقدم والحديث تقدم بتمامه (فيومئذ) اى يوم اذ مشى صلى الله تعالى عليه وسلم واخذ بالحلقة واليوم على ظاهره او بمعنى مطلق الوقت (يبعثه الله المقام المحمود الذى وعده) به فى القرآن فى قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا وهو مقام يشفع فيه لسائر الخلايق الشفاعة العظمى ويحمده فيه الاولون والآخرون فلذا سمى بذلك ووعده مبنى للمجهول ومفعوله الاول عائد على المقام ويجوز بناؤه للفاعل ايضا وقيل المقام المحمود هو قوله ثم واحده بحلقه باب الجنة وهو معلق ليفتحه فيدخلها هو ومعه واحدون له على هذا المسلمون واهل الجنة لان من عداهم القى فى النار فهذا تفسير آخر فتأمله (وعن ابن مسعود) رضى الله

تعالى عنه (عنه عليه الصلوة والسلام انه) اى المقام المحمود الموعود به (قيامه عن يمين العرش مقاما لايقومه غيره) ظاهره ان المقام هو القيام نفسه على انه مصدر وقوله مقاما منصوب على الظرفية وليس كذلك فان المراد ان المقام هو المحل الذى قربه الله فيه قربا لم يتيسر لغيره وقيل المراد اقامته ومكثه فى ذلك المقام فلا ينافى مامر من انه صلى الله تعالى عليه وسلم يجلس على منبر عن يمين العرش (يغبطه فيه الاولون والآخرون) اى جميع الامم والناس والغبطة بالغين المعجمة والموحدة والطاء المهملة هى تمنى المرء ان ينال مثل مارأه عند غيره من النعم وكل امر محمود من غير ان يحب زوالها فان احب زوالها فهو الحسد المذموم وقيل الحسد تمنى الامر المحمود مطلقا فهو اعم من الغبطة ومنه مايذم ويحمد والمشهور الاول ويغبط برية يضرب وفى نسخة به والباء ظرفية اوسببية والغبطة لاضرر فيها وقد تكون حيدة وفى الحديث هل يضر الغبط قال لا الا كما يضر العضاة الخبط انتهى وفى النهاية الاثيرية ان الغبط لايضر ضرر الحسد وانما يلحق الغابط منه ضرر يسير وا ثم ينقص نوابه كما يلحق العضاة بخبط ورقها والذى يظهر لى انه صلى الله تعالى عليه وسلم انما اراد انه لاضرر فيه على الغابط فى امر محمود تمناه من غير تمنى زواله بل ربما يناله منه مع بذله فى تحصيل مثله اوليله شيئا من صاحبه فهو على حد قوله * ولاعيب فيهم غير ان سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب (ونحوه) اى مثله معنى مروى (عن كعب) هو كعب الاحبار (والحسن) البصرى (وفى رواية هو) اى المقام المحمود (الذى اشفع لامتى فيه) فتكون هذه الشفاعة غير الشفاعة العظمى لسائر الناس وهو احد الاقوال فى تفسيره كما مر وماقى السرح الجديد من عود الضمير لقيامه على يمين العرش وان المراد بالشفاعة الشفاعة العظمى فى فصل القضاء وهى وان لم تكن خاصة بامتى فهم المقصودون بالذات منها تعسف لاحاجة اليه (وعن ابن مسعود) رضى الله تعالى عنه فى حديث رواه احمد فى مسنده (انى لقائم المقام المحمود) بكسر همزة ان لوقوعها فى ابتداء كلام مستأنف وقيل انه جواب قسم مقدر اى والله انى لقائم وفيه بيان انه يحور القسم فى الامر العظيم ولذا اكد بان والاسمية وفيه نظر والمقام منصوب على الظرفية اوالمصدرية (قيل وماهو قال ذلك يوم ينزل الله تبارك وتعالى عن كرسيه) وفى نسخة على كرسيه (الحديث) اى اذكر اوانظر تمامه وهو كما رواه احمد رحمه الله قيل له ما المقام المحمود قال ذلك يوم ينزل الله على كرسيه فيثبط كما يثبط الرحل الجديد من تضئمه به وهو بسعة مابين السماء والارض ويجاء بكم حفاة عراة غرلا فيكون اول من يكسى ابراهيم عليه الصلوة والسلام فيقول الله عز وجل اكسوا خليلى فيؤتى بريطتين بيضاوين من رياط الجنة ثم اكسى على اثرهم اقوم عن يمين الله مقاما يغبطنى

فيه الاولون والآخرون وقد علمت ان هذا الحديث من المتشابه لأنه تعالى منزه عن صفات الاجسام كالنزول والجهة قيل ولذا تركه المصنف رحمه الله تعالى وهو تمثيل لتجليه تعالى لعباده بعظمته وجلاله واقباله عليهم لفصل القضاء واجراء حكم عدله فيهم كما يتجلى الملك لجنده ورعاياه لينظر فى امورهم ويقرب من ساءمنهم والكرسى غير العرش كما مر والحديث فى المصابيح والكلام عليه مفصل فى شروحه (وعن ابى موسى) عبد الله ابن قيس الاسعرى الصحابى المشهور وهذا الحديث رواه ابن ماجة فى سننه رواية (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم خيرت) اى خيرنى الله بين احد امرين (بين ان يدخل) بالبناء للفاعل او المفعول (نصف امتى الجنة) اى امة الاجابة لا الدعوة (و بين الشفاعة) لبعض المذنبين منهم الذين استوجبوا دخول النار وليس المراد بها الشفاعة العظمى فى فصل القضاء (فاخترت الشفاعة) على دخول نصف امتى الجنة ثم بين وجه اختياره بقوله (لانها) اى الشفاعة (اعم) اى اشمل واكثر من النصف وهذه الشفاعة غير الشفاعة فيمن دخل النار وقيل انها شاملة لها وهذه الشفاعة ثابتة باحاديث كثيرة بلغ مجموع طرقها التواتر ولا يعتد بمن انكرها من الخوارج والمعتزلة تمسكا بقوله تعالى * ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع * لان المراد بالظالمين الكفرة فان الشرك ظلم عظيم (اترونها) بهمزة الاستفهام وضم المثناة الفوقية وفتح الراء المهملة والضمير للشفاعة اى اتضنون الشفاعة خاصة (للمتقين) جمع متقى بكسر القاف اسم فاعل من التقوى وفى نسخة للمؤمنين قال البرهان والاول هو المحفوظ من مشايخي وردوا على من رواه المتقين بنون مفتوحة ثم قاف مفتوحة مشددة ثم ياء مثناة تحتية ساكنة جمع متقى اسم مفعول وهو الظريف وكذا فى اصلنا لسنن ابن ماجة وهو اصل صحيح وكتب على هامشه لعله وعلها صحيح مرتين انتهى فعليه ثلاث روايات والمتقين من التقى قال المزنى وحسن هذه الرواية انه روى (ولكنها للمذنبين الخطائين المتلوثين) فقابلته للمتلوثين تحسنه وهو اسم مفعول من تلوث عمامة فى اوله ومثلثة فى آخره واتلوث التلطخ بالاقذار لان الذنوب كالنجاسة والخطائين جمع خطاء وهو الكثير الخطاء وروى الترمذى شفاعتى لاهل الكبائر من امتى وقيل المتقى بالذنوب عام لانه يجوز ان يكون مصدقا بالتوبة والمتقى اخص وفيه نظر (وعن ابى هريرة) رضى الله تعالى عنه فى حديث صحيح رواه الحاكم والبيهقى (قلت يارسول الله ما ادراك علمك فى الشفاعة) بضم الراء المهملة وتشديد الدال المفتوحة مبنى لما لم يسم فاعله كذا رواه البرهان واقتصر عليه وروى ورد من الورود مبنى للفاعل كما ذكره التلمسانى وتبعه غيره من الشراح وما اسم استفهام ودا اسم موصول بمعنى الذى ويجوز ان يكون اسم اشارة والرد الجواب ووردبمعنى جاء اى ما احابك به الله او الملك لما سألته الشفاعة فى امتك (فقال

شفاعتي) هو فاعل مرفوع تقديرا اى جلنى اور د على انى اشفع (لمن يشهد ان لا اله الا الله) اى لمن اقر بوحدانية الله تعالى ولم يقل وانى رسول الله اكتفاء باحد جزئى كلمة الشهادة للعلم بانه لا بد من الاتيان بهما فى صحة الاسلام (مخلصا) حال من الموصول اى غير مشوبة شهادته بشك اوشرك (يصدق لسانه) بالنصب على المفعولية وقوله (قلبه) مرفوع فاعله ويجوز عكسه اى يطابق اعتقاده لما ينطق به (وعن ام حبيبة رضى الله تعالى عنها) فى حديث رواه الحاكم والبيهقى وهى ام المؤمنين بنت ابى سفيان ابى حرب اخت معاوية رضى الله تعالى عنهم واسمها رملة على الصحيح وقيل هند وهى من السابقات الى الاسلام وترجمتها معروفة توفيت سنة اربع واربعين (قالت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اريت) بضم الهمزة والباء للمجهول اى اعلمنى الله واخبرنى بواسطة الملك (ما تلقى امتى من بعدى) اى اريت ما اطلعت به على ما يرتبها فرأى علمية وقيل انه من باب الكشف عما سيكون بتوقيف من الله له صلى الله تعالى عليه وسلم كرامة وليس من الرؤية البصرية (وسفك بعضهم دماء بعض) منصوب معطوف على ما تلقى وسفك الدم اراقته وصبه وهو مصدر مضاف لفاعله قيل اراه ذلك وحيا او مشافهة او الهاما لما يقع بينهم من الحروب والفتن التى يقع فيها القتل واراقة الدماء (وسبق لهم من الله ما سبق للامم قبلهم) ماض معطوف على تلقى صلة الموصوف اى اريت واعلمت بما سبق لامتى مما قدره الله تعالى عليهم واراده لهم فوقع على وفق ارادته فى الازل وعلمه القديم (وسألت الله تعالى ان يؤتينى فيهم شفاعة يوم القيامة ففعل) اى اعطاه الله تعالى ما سأله من شفاعته فى المذنبين منهم (وقال حذيفة) بالتصغير وهو ابن اليمان العبسى رضى الله تعالى عنه صاحب سر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث موقوف عليه رواه البيهقى والنسائى (يجمع الله الناس فى صعيد واحد) اى فى مكان يجتمعون فيه غير متفرقين واصل معنى الصعيد التراب فاريد به هنا ارض المحشر وقيل هو تربة ليس فيها رمل ولا شجر يوم تبدل الارض غير الارض والمراد بالناس الثقلان من الجن والانس او المراد الانس واقتصر على الاشرف فلا يرد ان الحس والبهائم تحشر معهم ايضا (حيث يسمعهم الداعى) صوته وبداءه كما قال تعالى * ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون * ويسمع بضم التحتية مضارع اسمع وحيث ظرف مكان مبنى على الضم (وينفذهم البصر) بفتح الياء المثناة التحتية وروى بضمها وكسر الفاء وعلى الاول هى مضمومة والمراد بصر الرائى اى يراهم دفعة واحدة وليس المراد بصر الله كما قاله ابو عبيد وقيل المراد يبلغهم ويتجاوزهم لانهم فى ارض مستوية لا عوج ولا شجر فيها وهو بالدال المهملة والمحدثون يروونه بالذال المعجمة وهو صحيح ايضا لانه لاحاطته

بهم وتجاوزه كانه يخرقهم فلاوجه للرد مع صحة الرواية (حفاة عراة) منصوبان على الحالية وحفاة جمع حافى وهو الذى لانعل له ولاخف وقيل جمع حف وهو الذى رق جلد قدميه وعراة جمع عار وقيل جمع عريان وهو قليل فى الاستعمال وهو الذى لاثوب له ولالباس يستره ويعارضه ماروى فى الحديث الصحيح ان اباسعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه لما احتضر دعا بثياب جدد فلبسها ثم قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ان الميت يبعث فى ثيابه التى يموت فيها وعن معاذ بن جبل ايضا رضى الله تعالى عنه احسنوا اكفان موتاكم فانهم يحشرون فيها وجمع بينهما بان هذا محمول على الشهداء وثيابهم التى قتلوا فيها والحديث وارد فيهم وابوسعيد حمله على العموم وقيل ان بعضهم يحشر عاريا وبعضهم بثيابه وقيل انهم يحشرون باكفانهم ثم تتناثر من عليهم فى المحشر وقيل المراد بثيابهم اعمالهم كقوله تعالى ولباس التقوى ذلك خير ولايخفى مافى هذا من الضعف فليحرر (كما خلقوا) حال اى كائنين على حال خلقهم الاول من غير نقص شئ من اجزائهم كما ورد عرلا فمشه حال اعادتهم بحال احراجهم من العدم كما قال كما بدأكم تعودون اوما كافة اومصدرية (سكوتا) جمع ساكت حال من الناس اومن ضمير خلقوا (لاتكلم) اصله تتكلم فحذف (نفس الا باذنه) فلايتكلمون الامن اذن له الرحمن وهذا فى موقف وقوله هذا يوم لاينطقون ولايؤذن لهم فيعتذرون فى موقف آخر اوالثانى مخصوص بدوى الاعذار الباطلة فلا تعارض بينهما وبهذا يجاب ايضا عن قوله واقبل بعضهم على بعض يتلاومون وقوله يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها (فيادى) بالبناء للمجهول (محمد) بالتنوين نائب الفاعل اوهو غير منون مبنى على الضم والداء بمعناه الظاهر اى يقال له يامحمد فحذف حرف النداء وعلى الاول ينادى بمعنى يدعى ويطلب وكلا الوجهين حسن وفى نسخة فينادى يامحمد (ويقول لبيك وسعديك) منصوبان على المصدرية بفعل لا يظهر فى الاستعمال من التلبية وهى اجابة المنادى من الب بالمكان اذا اقام ولايستعملان الابصيغة التثنية والمراد بها مجرد التكرير ولوم ارارا عديدة اى اجبتك اجابة بعد اجابة واساعدك مساعدة لك واما مقيم على ذلك لاانصرف عنه (والخير فى يديك والشر ليس اليك) اى مقصيك بل مفرض وصادر عنك بالتبع لان بعض مايتضمن الخير الكثير يستلزم شرا قليلا فكان ترك الخيرات الكثيرة لاجل ذلك الشر القليل شرا لايصدر عنه وهو المنزه عن العبث ولايجرى فى ملكه الامايشاء وإلى هذا اشار القاضى فى تفسيره والمعتزلة قدروا فى مثله والشر ليس منسوبا اليك واستدلوا به على مذهبهم وغيرهم قدره والشر ليس متقربا به اليك كما يتقرب الى بعض ظلمة الملوك ببعض القبائح

قاله القراقى فى قواعده او المعنى لا يضاف اليك تأدبا وقيل المعنى لا يصعد اليك فانه انما يصعد اليه الكلم الطيب واليد اسم للجارحة المعروفة واصله يدى بالسكون لقولهم فى جمعه ايد وقيل يدى بالفتح لقولهم فى تثنيته يدان واستعير للنعمة وللملك والتصرف والقدرة والقوة والنصرة واذا اضيف الى الله تعالى يراد به المعنى المجازى لتنزهه عن الجارحة وهى هنا وفى قوله تعالى * لما خلقت بيدى * اشارة الى زيادة تصرفه فيه واختصاصه به وجعل الخير مستقرا فيهما ترشيحا للاستعارة والاحسن انه يقال انه اشارة لما مر ان وجهى تصرفه فى الموجودات بالخير والشر حيرده كله فقدر (والمهتدى من هديت) اى الموفق للهداية من خلقته مهتديا ووفقته لطاعتك وتعريف الطرفين تفيد الحصر اى لا مهتدى الا من هديته (وعبدك بين يديك) اراد به نفسه الشريفة اى انه صلى الله تعالى عليه وسلم حاضر لديه واقف فى مقام المذلة والفقر وقيل انه تنبيه لقربه من ربه ومزيد اختصاصه من الجهتين المساميتين ليدى الانسان واستعير لذلك (ولك واليك) اى امره كله لك فانه عبدك وامره موكول اليك (لا ملجأ) بالهمز والقصر للازدواج اى لا يلتجأ ولا يستند لاحد سواك (ولا منجا) بلا همز او به للازدواج اى لا ينجو ولا يخلص احد (منك) اى هو عبدك ومصيره اليك (الا اليك) ولبس باتباع والف وبشر كما قيل (تباركت وتعاليت) اى كثر خيرك وزاد عن كل شئ وعلا قدرك فى ذاتك وصفاتك وتنزهت عما لا يليق بك والكلام عليه مفصل فى التفسير (سبحانك) اى تنزهت (رب البيت) بالرفع خبر مبتدأ مقدر وانتصب على النداء او يا رب البيت والمراد به الكعبة او البيت المعمور فى السماء ولما كان البيت قد يسعر بالحلول قدم التنزيه عليه احترازا عن توهمه وقال رب البيت دون رب العالمين اظهارا لشرفه وشرف الحج اليه لمشابهته جمع الخلايق فيه بالمحشر وهم عراة حفاة (قال) اى النبى عليه السلام لانه معلوم من السياق او حديث راويه هو فى حكم المرفوع (فلذلك) اى المقام الذى جمع فيه ووقع فيه هذه المناجاة (هو لمقام المحمود الذى ذكره الله) فى القرآن فى قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا (وقال ابن عباس رضى الله عنهما اذا دخل اهل النار النار) قدمه ترهيبا وترغيبا فى تجنب سبب دخولها ولان ذكر النعمة بعد النعمة وقع فى النفس (واهل الجنة الجنة) بحر الاول ونصب الثانى اى ودخل اهل الجنة الجنة والمراد غلب اهل النار وغلب اهل الجنة بدليل قوله (فتبقى آخر زمرة من الجنة) اى من اهل الجنة (وآخر زمرة من النار) اى من اهل النار والزمرة الجماعة القليلة ومنه شاة زمرة اى قليلة الشعر ورجل زمر قليل المروة او من الزمر وهو الصوت لانها لا تحلو عنه (فتقول زمرة النار) اى الزمرة الباقية من اهل النار (لزمرة الجنة) اى للزمرة الباقية من اهل الجنة الذين لم يؤذن لهم فى دخولها (ما نفعكم ايمانكم) ما استفهامية

اسكارية او باقية حمرية اى لم ينفعكم ايمانكم ولم يغن عنكم شيئا لانهم بجهلهم باحوالهم ظنوا انهم لايد خلون الجنة وانهم منعوا من دخولها (فيدعون ربهم) الضمير للمرة المتخلفة من اهل الجنة (ويضجون) اى يصيحون ويرفعون اصواتهم فزعا مما لحقهم من تعبير اهل النار لهم واصل الضجيج اضد دهجة وجيم الصاح من الفزع للحوق المكروه والصحة ارتفاع الاصوات المختلفة مطلقا (فيسمعهم اهل الجنة) اى يسمعون صياحهم واستغاثتهم ربهم لأذن لهم فى دخول الجنة (فيسألون آدم) ان يشفع لهم فى دخول الجنة (وغيره بعده) اى يسألون بعد آدم غير الانبياء كنوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلوة والسلام (فى الشفاعة لهم فكل يعتذر) لهم بانه لايقدر على الشفاعة ولم يؤذن له كما مر تفصيله (حتى يأتوا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم) بعد ما يئسوا من شفاعة غيره من الرسل (فيشفع لهم فذلك المقام المحمود) الذى يحمده فيه الناس ويظهر فضله على جميع الرسل وهذا الحديث موقوف على ابن عباس وهو فى حكم المرفوع (ونحوه) اى فى معناه حديث مروى (عن ابن مسعود ايضا ومجاهد وذكره على بن الحسين) بن على ابى طالب وهو زين العابدين كما تقدم (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى مرفوعا وماقبله موقوف (وقال جابر بن عبد الله) رضى الله تعالى عنهما الصحابى وقد تقدمت ترجمته (ليزيد الفقير) هو ابن صهيب ولقب بالفقير لانه اصيب فى فقار ظهره فكان يشكوها وفقار الظهر حرزات العظم التى من عجب الذنب الى نقرة القفاء وهى اثنان وثلاثون فقرة فهو فعيل بمعنى مفعول وقول عائشة رضى الله تعالى عنها فى حق عثمان رضى الله تعالى عنه ارتكبوا منه الفقراء الاربع استعارة اى انتهكوا له حرمات اربع الصحبة والصهر والخلافة والبلد وهذا الحديث رواه مسلم ويزيد هذا امام ثقة روى عنه ابو حنيفة واصحاب الكتب الستة (سمعت) بفتح تاء الخطاب واصله اسمعت حذف فى همزة الاستفهام اوهل اى اسمعت اوهل سمعت (بمقام محمد صلى الله عليه وسلم) اى هل رويت فيه شيئا يفسره (يعنى الذى يبعثه الله فيه) اى فجابر اراد السؤال عن حقيقة المقام المذكور فى قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا وفى قوله فيه اشارة الى انه منصوب على الظرفية وانه محل القيام حقيقة (قال) يريد (نعم) اى سمعت ماورد فيه اجمالا (قال) اى جابر بن عبد الله الصحابى المشهور وكان الطاهر ان يقول فقال (فانه مقام محمد المحمود الذى يخرج الله به من يخرج يعنى من النار) ضمير به للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم او للمقام اى يخرج الله بسبب الشفاعة الواقعة فيه فالمراد به مقام آخر فيه شفاعة غير الشفاعة العظمى لاهل المحشر واليه اشار بقوله (وذكر) اى جابر رضى الله تعالى عنه (حديث الشفاعة فى احراج الجهنميين) المنسوبين لجهنم لانهم المؤمنون الذين

دخلوا النار بمعاصيهم وهذا بعض حديث رواه مسلم اقتصر منه المصنف على محل الشاهد لما هو بصدده ولفظه قال يزيد الفقير رحمه الله تعالى كان قد شغفني رأى من رأى الخوارج فخرجت في عصابة ذوي عدد نريد ان نحج ثم نخرج على الناس فمررنا على المدينة فاذا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما جالس الى سارية يحدث الناس عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال فاذا هو قد ذكر الجهنميين فقلت له يا صاحب رسول الله ما هذا الذي تقولون والله يقول انك من تدخل النار فقد اخزيته وكلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها فما هذا الذي تقول فقال اتقرأ القرآن قلت نعم فقال هل سمعت بمقام محمد يعني الذي يبعثه الله فيه قلت نعم قال فانه مقام محمد المحمود الذي يخرج الله من يخرج قال ثم نعت وصف الصراط ومر الناس عليه قال واخاف ان لا اكون احفظ ذاك وقال غير واحد ان قوما يخرجون من النار بعد ان يكونوا فيها كانهم عيدان السماسم فيدخلون نهرا من انهار الجنة فيغتسلون فيه فيخرجون كانهم القراطيس الى آخر الحديث الذي رواه مسلم والكلام عليه مبسوط في شروحه فالمعنى ان يرد ما الى رأى الخوارج في خلود عصاة المسلمين في النار فلما سمع من جابر ما رواه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم له علم بطلان رأيهم ورجع عنه (وعن انس) في حديث رواه احمد في مسنده (نحوه) اي ما هو في معنى هذا الحديث (وقال) انس بعد ما ذكر ما تقدم (فهذا المقام المحمود الذي وعده) بالبناء للمجهول ونائب الفاعل ضمير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والضمير البارز للمقام (وفي رواية انس وابي هريرة وغيرهما) في حديث رواه الشيخان (ودخل حديث بعضهم في حديث بعض) اي وافق رواية كل منهم رواية غيره لفظا ومعنى (قال عليه الصلوة والسلام يجمع الله الاولين والاخرين يوم القيمة) في ارض المحشر للحساب وفصل القضاء (فيهتمون) افتعال من الهم بمعنى الحزن او العزم والتصميم يقال اهتم اذا اغتم وحزن واهتم بكذا اذا جعله من همه ولبس من الهمهمة وهي الصوت الخفي (او قال فيلهمون) بالبناء للمجهول من الالهام وهذا شك من الراوي في لفظ الحديث اي يلهمهم الله (فيقولون لو استشفعنا الى ربنا) اي لو طلبنا من يشفع لنا عند الله في ان يخلصنا من هول هذا الموقف وشدته ولو للتمني هنا وقد ذكره النحاة مفصلا في بابه فنزلوا الشفاعة لخوفهم منزلة الممتنع الذي لا يمكن (وفي طريق آخر عنه) عليه الصلوة والسلام اي في رواية اخرى (ماج الناس بعضهم في بعض) اي دخل بعضهم في بعض واختلطوا لاضطرابهم (وعن ابي هريرة) في حديث الشفاعة الذي رواه الشيخان (وتدنو الشمس) اي تقرب من رؤس اهل الموقف (فيبلغ الناس من الغم) اي من الكرب وشدة الحر (ما لا يطيقون) اي ما لا يقدرون على تحملهم له (ولا يحتملون)

عطف تفسير اى لايقدرون ولايستطيعون (فيقولون الا تنظرون من يشفع لكم) اى يقول بعضهم لبعض هذا الكلام (فيأتون آدم) عليه الصلوة والسلام بدؤابه لانه اول الانبياء وابوهم المشفق عليهم كما قال (زاد بعضهم فيقولون انت آدم ابو البشر) فينبغى لك ان تشفع لهم وتريحهم (خلقك الله بيده) اى اوجدك من العدم بقدرته من غير واسطة ام واب (ونفخ فيك من روحه) اضافة الروح له تعالى للتعظيم والاختصاص ونفخ الروح ايجاده متصلة بجسده كما يقال بيت الله (واسكنك جنته) بعد نفخ الروح فيه وايجاده والمراد الجنة المعروفة على الاصح وقيل المراد بها بستان فى الارض والخلاف فيه مشهور فى كتب التفاسير والادلة من الطرفين مفصلة فى محلها (واسجد لك ملائكته) اى امرهم بالسجود لك سجود تحية وتعظيم له وآداء لحقه لاسجود عبادة هو كالقبلة له وكان ذلك جائزا شرعا ثم نسخ (وعلمك اسماء كل شئ) كما ذكره الله تعالى فى القرأن وهذا كله مما يدل على شرفه صلى الله عليه وسلم وعلو رتبته عند ربه ومزيد قربه المقتضى لقبول شفاعته صلى الله تعالى عليه وسلم كما يبينه بقوله (اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا) هذا وهو المحشر ويريحنا بمعنى يحصل لنا راحة (الا ترى ما نحن فيه) من الكرب والهول الذى لايطاق (فيقول) لهم آدم (ان ربى غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولايغضب بعده مثله) اى اظهر شدة غضبه وسخطه على من عصاه مريدا ايقاع العذاب الذى فى الآخرة بادخالهم النار وهذا لم يكن قبل يوم القيمة ولابعده فلذا خاف آدم عليه الصلوة والسلام وقال (ونهانى عن الشجرة) اى عن الاكل منها والمراد بها العنب الذى فى الكرم اوالحنطة وسماها شجرة مجازا لان الشجر ماله ساق (فعصيت) اى خالفت امره تعالى بالاكل منها وفى كون هذا معصية كلام سيأتى فى عصمة الانبياء عليهم الصلوة والسلام (نفسى نفسى) اعتذارا عن تركه الشفاعة لهم لخوفه على نفسه وكررها تأكيدا وبيانا لانه لايقدر على مصلحة غيره لاشتغاله بنفسه وذكر الانبياء تدريجا الاول فالاول والاقدم فالاقدم على وجه يظهر به فضل نبينا صلى الله عليه وسلم (اذهبوا الى غيرى) من الرسل يشفع لكم ثم بين من يذهبون له فقال (اذهبوا الى نوح) فانه الاب الثانى لكم بعدى ولم يقل اذهبوا الى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ليعلم فضله بانه صاحب الشفاعة وانها منحصرة فيه (فيأتون نوحا فيقولون انت اول الرسل الى اهل الارض) كافة لانحصارهم وانحصار التبليغ فيه وهذا لاينافى اختصاص عموم رسالة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم لان عمومها لايختص بعصره وقال ابن حجر رحمه الله تعالى لانه لم يكن بعد الطوفان الا من كان مؤمنا معه وقد كان مرسلا اليهم والعموم لم يكن فى اصل بعثته وانما اتفق بعده

ما لحادث الذى وقع وهو انحصار الخلق الموجودين بعد هلاك سائر الناس وامانتينا صلى الله تعالى عليه وسلم فعموم رسالته من اصل البعثة فثبت اختصاصه صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك واما كونه اول رسول كما صح فى حديث الشفاعة فالمراد به انه اول رسول ارسل الى جميع اهل الارض فى حياته فليس المراد عموم بعثته مطلقا بل اثبات اولية ارساله ولو سلم فهو مخصوص بعدة آيات على ان بعثة نوح عليه الصلوة والسلام كانت الى قومه ولم يذكر انه ارسل الى غيرهم واستدل على عموم رسالته بدعائه على جميع من فى الارض فاهلكوا غير اهل السفينة ولولاه ما اهلكوا لقوله تعالى * وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا * وقد ثبت انه اول الرسل واجيب بجواز ان يرسل غيره فى زمنه وعلمه انهم لم يؤمنوا فدعا عليهم وهو حسن لو نقل مجئ رسول فى زمنه غيره او خصوصية نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ببقاء شريعته الى يوم القيمة او دعوته لقومه بتوحيد بلغ الناس عنه فتمادوا واستحقوا العذاب واليه ذهب ابن عطية فى سورة هود وبعد عدم بلوغ نبوته القريب والبعيد مع طول مدته وقال ابن دقيق العيد يجوز ان تكون الدعوة للتوحيد عامة فى بعض الانبياء وان لم تعم فروع شريعته لان منهم من قاتل غير قومه على الشرك ويحتمل انه لم يكن فى عهده غير قومه فبعثته خاصة وان عمت صورة (اقول هذا ما قاله ابن حجر فى شرح البخارى ولم يبين كون نوح اول الرسل مع من تقدمه من الانبياء وتحقيقه ان آدم صلى الله عليه وسلم كان نبيا رسولا ولكنه ارسل لبنيه ولم يظهر للكفر فى حياته قوة واثار وكان كعظيم الضابط لاهله وحدمه فلذا لم يكن كغيره من الرسل عليهم الصلوة والسلام وادريس نبأ فى زمنه وشيث كان وصيه الى ان بعث الله تعالى نوحا فاظهر الناس الكفر ومخالفة دعوته حتى احتاج الى اهلاكهم فهو اول رسول بعث لدعوة الناس ومجادلتهم ومعاقبتهم ومن قبله لم يكن كذلك كما لا يخفى (وسماك الله عبدا شكورا) فى الكتب القديمة لانه كان كلما اكل او شرب شكر ربه فاشتهر بذلك فى الامم السالفة والصحف الموحى بها كما نقل فى تفسير قوله ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا على الاصح من ان الضمير راجع له لا لموسى كما قال فانه قول غير مرضى (الا ترى ما نحن فيه) من سدة الموقف وهوله (الا ترى ما بلغنا) بسكون العين المهملة وفتحها اى ما وقعنا فيه من الكرب وما وصل الينا منه وقال النووى الاصح المعروف فتح الغين بدليل انه روى الا ترون ما بلغكم ولو كان بالاسكان قال ما بلغتم والوجه ما تقدم (الا تشفع لنا الى ربك) فى الخلاص مما نحن فيه (فيقول مثله) اى ما تقدم بعينه وفى نسخة التصريح به (فيقول ان ربى غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله نفسى نفسى) وقد تقدم شرحه (قال فى رواية انس ولم يذكر خطيئته التى اصاب) صفة خطيئة والعائد

محذوف اى التى اصابها اى التى عملها والانبياء معصومون كلهم ولكنهم لشدة تعظيمهم لله وخوفهم منه يعدون ما صدر منهم نسيانا وسهوا وغفلة ذنبا عظيما والمراد بخطيئته ما فسره بقوله (سؤال ربه بغير علم) فهو منصوب بدل او عطف بيان من قوله خطيئته مفعول يذكر وقوله بغير علم صفة مصدر محذوف او حال اى سؤالا كائنا بغير علم منه بان ما سأله لا يليق ان يسأله وهو قوله رب ان ابنى من اهلى وقد وعدتنى ووعدك الحق ان تنجى اهلى من الغرق وهو منهم فنجه فقيل له انه ليس من اهلك الذين آمنوا وعملوا الصالحات وانه عمل غير صالح فلا تسألنى ما ليس لك به علم وابنه هذا هو كنعان ولبس ربيبه وابن زوجته كما زعمه اهل الكتاب قيل انما عاقه هذا عن الشفاعة وزجر به وجعل جهلا لانه ممن سبق عليه القول من اهله ودلت الحال على ما يمنعه من السؤال ولكن حب الولد شغله حتى اشبه عليه امره وهذا قول قريب من قول من قال انه طلب مؤمنا بدليل قوله اركب معنا ولا تكن مع الكافرين فلاوجه لتخطئة قائله (وفى رواية ابى هريرة) فى حق نوح عليه الصلوة والسلام (وكانت لى دعوة دعوت بها على قومى) اشارة الى ما ورد فى الحديث ان لكل نبى دعوة والمراد ان الله تعالى وعد كل نبى بان يجيب له دعوة يدعو بها على جميع امته فيستجاب او يدعو بها لهم فلا ينافى كون دعاء الانبياء عليهم الصلوة والسلام مستجابا وهذا اعتذار منه عليه الصلوة والسلام فى ترك الشفاعة ولذا عقبه بقوله (اذهبوا الى ابراهيم فانه خليل الله) وابو الانبياء ومقتداهم فانه احق بالشفاعة واقدر عليها منى (فيأتون ابراهيم فيقولون) له (انت نبى الله وخليله من اهل الارض) اى انفردت من بينهم بالخلة كما تقدم وفيه اشارة الى انه اهل للشفاعة (اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربى قد غضب اليوم غضبا قد كر مثله) اى مثل ما تقدم (ويذكر ثلاث كلمات كذبهن) هى قوله انى سقيم لما دعى الى الاصنام وقوله لزوجته لما طلبها الملك منه انها اختى وقوله فى حق الاصنام فعله كبيرهم هذا وهذا كله مخالف للواقع ولاعتقاده الا ان ابراهيم على نبينا وعليه افضل الصلوة والسلام لم يقصد به حقيقته وانما قاله لضرب من التأويل قصده فليس بكذب فان المعاريض منددوحة منه وانما سماه كذبا نظرا لما يظهر منه للمخاطب وخاف ان يؤاخذ به لعلو مرتبته وعظمة الربوبية عنده وان مقامه يقتضى ان لا يدارى مخلوقا او يخافه والا فهو صلى الله تعالى عليه وسلم كسائر الانبياء معصوم من الكذب وغيره وعدها فى مسلم قوله من الكواكب هذا ربى والمشهور خلافه لانه ذكره على طريق الالزام والجدل ويلزمه زيادة على الثلاثة وقد صرح بالحصر فيها فى بعض الروايات وقيل فى قوله انى سقيم انه كانت به حمى حقيقة لا تعد سقما وفيه نظر وسيأتى تفصيله فى محله ان شاء الله تعالى وهذا اعتذار منه عليه الصلوة والسلام

فى عدم الشفاعة (نفسى نفسى) اى انا مشغول بنفسى وتخليصها (لست لها) اى لست اهلا للشفاعة لغيرى (ولكن عليكم بموسى) استدراك لدفع ما لزم من كلامه الاول من خيبة املهم ويأسهم من الشفاعة وعليكم اسم فعل والباء زائدة اى الزموه فانه اقدر منى واقرب الى الله وهذا تواضع منه صلى الله تعالى عليه وسلم ثم بين مزيته عليه بقوله (فانه كليم الله) اى له كلم الله فى الارض بشفاها من غير واسطة فهو اقوى على الشفاعة منى (وفى رواية اخرى فانه عبد اتاه الله التورية) التى هى اعظم الكتب الالهية قبل القرآن (وكلمه) بيان لكونه كليما والمراد اوحى الله اليه كلامه (وقربه نجيا) اى جعله قريبا منه حال كونه نجيا له اى مناجيا ومحاطا له والقرب ليس مكانيا بل رتبيا (قال فيأتون موسى) عليه الصلوة والسلام (فيقول لست لها) اى لست اهلا للشفاعة لكم (ويذكر) موسى (خطيئته التى اصاب) اى التى وقعت منه وعاتبه الله عليها بقوله وما اعجلك عن قومك يا موسى كما هو مبين فى التفسير (وقتله النفس) وهو القبطى الذى استغاثه الاسرائيلى عليه فوكزه موسى فمات ولم يكن عامدا لقتله وانما هو لدفع الصائل ومثله جائز لكنه عليه الصلوة والسلام حشى المؤاخذة به ولذا استغفر منه وعده من فعل الشيطان فلا ينافى هذا عصمته عليه الصلوة والسلام ثم قال كما قال غيره (نفسى نفسى ولكن عليكم بعيسى) عليه الصلوة والسلام (فانه روح الله وكلمته) تقدم بيانه مفصلا (فيأتون عيسى) عليه الصلوة والسلام (فيقول لست لها ولكن عليكم بمحمد عبد) بدل محرور لا صفة كما قيل لانه نكرة ويجوز رفعه ونصبه وفى نسخة فانه عبد (غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر) اى غفر الله له كل ما صدر منه مما يعاتب عليه وان لم يكن معصية لعصمته من الذنوب ومن كان كذلك فهو حقير بقبول الشفاعة منه (فاوتى) بالبناء للمفعول اى فيأتينى اهل الموقف لسؤال الشفاعة لهم (فاقول لهم انا لها) الفاء فصيحة اى فيسئلونى اذا شفع لهم فاقول لهم انا اهل الشفاعة مدخرلها (فاستأذن على ربى) اى اطلب منه ان يأذن لى فى القرب منه والشفاعة للناس (فيؤذن لى) بالبناء للمجهول اى يأذن الله لى فى الدخول الى مكان لا يقف فيه داع الا اجيب وهو موقف ليس بينه وبين الله فيه حجاب وانما لم نقل من موقف العرض والحساب الى موقف اخر لان الموقف الاول محل سياسة وخوف والثانى موقف كرامة ولطف ورحمة فهو ادل على قبول الشفاعة واطمئنان قلب الشفيع (فاذا رأيته وقعت ساجدا) اى اذا رأى صلى الله تعالى عليه وسلم ربه عيانا سجد تعظيما لله وشكرا لله على تقريبه له وفيه دليل على وقوع رؤية الله فى الآخرة (وفى رواية فاتى تحت العرش) اى اتى انا مكانا تحت العرش قريبا منه (فاخر ساجدا) اى اقع واسقط فى ذلك المكان ساجدا لله سجدتين وقال الراغب خر بمعنى سقط سقوطا يسمع معه صوت كصوت حرير الماء والريح وغير ذلك مما يسقط

من علو وقوله حروا سجدا تنبيه على اجتماع امرين السقوط وحصول الصوت منهم بالتسبيح وقوله تعالى* وسبحوا بحمد ربهم *تنبيه على ان ذلك الخرير كان تسبيحا بحمد الله لا بشئ آخر انتهى وقال التلمساني هذا المكان الذي يأتي له صلى الله تعالى عليه وسلم يسمى محصة العرش وهي دار عظيمة وحنة هي اوسع الحانا واكثرها ساتين يجتمع فيها اهل الجنة لرؤية ربهم في كل جمعة ولم تعد الا رؤيته تعالى واكرام من اكرمه الله برضوانه ومشاهدة عظمة ملكوته مع تنزهه عن الحلول والمكان وفي المسارق بدل قوله فاوتى فيأتوني وفي شرحه للكاروني انه سمع بتشديد اللون وبه ضبط قال البرهان ومقدار كل سجدة جمعة من جمع الدنيا كما في مسند احمد وقيل مقدارها سبع سنين فانظره (وفي رواية فاقوم بين يديه) اى بين يدى الله تعالى وهو تمثيل لشدة القرب منه وتصويره وقيل الضمير للعرش وهو بعيد ركيك (فاحمده بمحامد لا اقدر عليها الآن) اى لا احسنها ولا اعرف كيفيتها في الدنيا (الا ان يلهمنيها الله) اى الا ان يوقعها الله في قلبي بالهام منه والهام الانبياء عليهم الصلوة والسلام نوع من الوحي وهو في غيرهم ليس بحجة لانه لا يبنى على دليل (وفي رواية فيفتح الله علي من محامده) هو قريب معنى من قوله يلهمني لان الفتح ازالة الاغلاق الحسي كفتح الباب والقفل ثم شاع في حصول الشئ ابتداء من غير عسر (وحسن الثناء عليه) هو عطف تفسير لما قبله (شيئا لم يفتحه على احد قبلي) مطلقا والمراد انه لم يتيسر لغيره من الرسل قبله ولا بعده وفيه اكتفاء (قال في رواية ابو هريرة فيقال لي) وانا ساجد (يا محمد ارفع رأسك) من السجود (وسل) ما شئت من الشفاعة وغيرها (تعطه واشفع تشفع) والفعلان محرومان في جواب الامر (فارفع رأسي فاقول يارب امتي يارب امتي) اى ارحم وانج امتي وفي رواية تأتي امتي امتي بدون قوله يارب وهو معنى الرواية الاولى على الصحيح وقيل انه يحتمل النداء اى يا امتي وانا هم ليأتوه ويكونوا معه ليفوزوا بما هم فيه وانما خصهم على ان هذه الشفاعة هي الشفاعة العظمى الشاملة لسائر الامم اعتناء بهم واشارة الى انهم المقصودون بالذات من بينهم وحذف الفاعل لضيق القيام وشدة الاهتمام بتعجيل خلاصهم ولما كرر (فيقول) الله له بعد رفع رأسه (ادخل من امتك) اى ايد له في دخول الجنة (من لا حساب عليه) اى خواص امتك المتقين الذين لا ذنب لهم يحاسبون بسببه (من الباب الايمن من ابواب الجنة) الذي هو اشرف ابوابها وهو الباب الثامن وهو مخصوص باتقياء هذه الامة (وهم) اى الذين لا حساب عليهم (شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب) وهي باب الصدقة وباب الصوم ويقال له الريان وباب الجهاد وباب التوبة وباب الكاظمين الغيظ والعافين وباب الراضين وباب الصلاة كما بينه المصنف رحمه الله تعالى في شرح مسلم

(ولم يذكر فى رواية انس هذا الفصل) الذى فى رواية ابى هريرة من قوله فيقال يا محمد ارفع رأسك الى هنا (ثم قال مكانه) وفى نسخة وقال مكانه اى اتى به بدلا منه (فاخر) وفى نسخة ثم اخر (ساجدا فيقال لى يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك واشفع تشفع وسل تعطه) الضمير لما سأل او هو هاء سكت للوقف (فاقول يارب امتى امتى فيقال انطلق) امر اى اذهب من مقام الشفاعة المقرب به (فمن كان فى قلبه مثقال حبة من بر او شعير) المثقال بكسر الميم وسكون المثلثة معناه موازن ومواز لانه يقابله ليعرف مقدار ثقله فعبر به عن مطلق المقدار ومن بر الى آخره بيان للحبة وهى واحد البر المعروف وقوله (من ايمان) بيان لمثقال اى من كان فى قلبه اقل قليل من الايمان والمورون صحف الاعمال او هى نفسها بناء على جواز تجسيم الاعراض وامور الآخرة لا تقاس بامور الدنيا (فاخرجه) بقطع الهمزة امر من الاخراج معطوف على الامر قبله (فانطلق فافعل) ما امرنى به الله من اخراج من فى قلبه اقل قليل من الايمان وهذه الشفاعة ان كانت هى الشفاعة العظمى فالمراد باخراجهم تخليصهم من هول الموقف وكربه وان كان المراد ما بعدها فالمراد اخراجهم من النار وانطلاقه صلى الله تعالى عليه وسلم كان من مقام القرب الذى وقع فيه الشفاعة كما تقدم ولذا قال (ثم ارجع الى ربى فاحمده بتلك المحامد) التى الهمنيها كما تقدم (وذكر مثل الاول) اى مثل الكلام الاول فى قوله فاخر ساجدا الخ (وقال فيه) اى فى الحديث الذى رواه مسلم (مثقال حبة من خردل) وهو حب معروف فى غاية الصغر والمعنى واحد فى كونه كناية عن غاية قلة الايمان (قال فافعل ثم ارجع الى ربى وذكر مثل ما تقدم وقال فيه) كما رواه مسلم (من كان فى قلبه ادنى ادنى ادنى) وهو افعل تفضيل من الدنو واصل معناه القرب فى المكان او الزمان او المرتبة كقوله تعالى قوان دابة ثم عبر به عن الاقل ويقابل بالاكثر وعن الاصغر ويقابل بالاكبر وعن الاردل ويقابل بالخير كما قال تعالى اتستبدلون الذى هو ادنى بالذى هو خير وافعل هنا مضافة لما بعدها للمبالغة اى اقل من الاقل وفى صحيح مسلم من رواية انس تكرير لفظ ادنى ثلاثا وهو كذلك فى بعض نسخ السماع وفى بعضها كرر مرتين ووقع كذلك فى صحيح البخارى من رواية الكسميهنى وقوله (من مثقال حبة من خردل) بيان لادنى الادنى وقوله (فافعل) اى اخرج من فى قلبه اقل قليل من الايمان (وذكر فى المرة الرابعة) من رجوعه الى ربه ومراجعته له فى الشفاعة فانه وقع مرارا فى رواية البخارى وفيما ذكر دلالة على ان الايمان يزيد وينقص فان قلنا بدخول اعمال الطاعة مطلقا او الفرض فهو ظاهر وان قلنا انه لمجرد التصديق القلبى فاختلف فيه فقيل لا يقبله فانه لا يقبله الا باحتمال النقيض وهو كفر وذهب المعتد وغيره من المحققين الى انه يقبله ايضا ان اعتقادا وتصديقا بالقلب كتصديق الانبياء عليهم الصلوة والسلام وتعاونه باعتبار قوله

الشكيك وعدمه وتحقيقه فى الكتب الكلامية (فيقال لى ارفع رأسك وقل تسمع) اى تجب و يقبل رجاؤك (واشفع تشفع وسل تعطه فاقول يارب ايذن لى فى) الشفاعة واحراج (من قال لا اله الا الله) اى من نطق بكلمة التوحيد والظاهر انه مع اعتقاده لذلك اعتقادا مامن غير مناقسة له وتفتيش عن حاله فاقيل من انه ان اعتبر تصديق لقلب اللسان فهو كمال الايمان فاوجه الترقى من الادنى المؤكد وان لم يعتبر دخل فيه المنافق وهو مشكل غير متجه فتدبر (قال) اى الله تعالى (ليس ذلك اليك) اى ليس ذاك مفوضا اليك بل الى (ولكن وعزتى وكبريائى وعظمتى) قسم دال على تحقق المقسم عليه والعزة لغلبة والقهر والكبرياء بمعنى الترفع عن الانقياد والعظمة ظهور ذلك وزيادته وهى متقاربة (وجبريائى) بالمد مضاف لياء المتكلم وحيمه مكسورة وحور فتحتها وياؤه ساكنة وقيل انه مقصور ومدلسا كلة الكبرياء ورد انه سمع كذلك من غير ازدواج وهو والجبروت بفتح الباء وسكونها معنى وتاؤ للمبالغة كالملكوت (لاخرجن من النار من قال لا اله الا الله) من عرس ساعة حديث استدل بهذا الدكرامية على ان مجرد النطق بكلمة الشهادة كاف فى صحة الايمان ولا حجة لهم فيه وفيه رد على من قال بخلود اصحاب الكبائر من المعتزلة و ماخص النبى صلى الله تعالى عليه وسلم باخراجه من اتم ايمانه مريد يقين او عمل ما وما اخرجه رب العزة من تجريد ايمانه عن كل شئ عداه ويدل له قوله فى حديث التسجين الذى فيه لم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة من النار يخرج فيها قوما لم يعملوا خيرا قط يعنى غير قولهم لا اله الا الله خالصا من قلبه كما ورد فى رواية اخرى وقوله من قلبه للتأكيد كضربت بيدى وسمعت باذنى (ومن رواية قتادة عند) اى عن انس رضى الله تعالى عنه (قال) اى انس لا النبى صلى الله عليه وسلم كما توهم لان السند فى قوله (فلا ادرى فى الثالثة او الرابعة) اما هو من الراوى والمراد الثالثة والرابعة مرات مراجعته ربه وابطلاقه لاجراح المشفوع بهم قيل فى هذا الحديث اشكال لان اوله يدل على ان هؤلاء اهل الموقف والمحشر وآخره يدل على انهم دخلوا النار واخرجوا بشفاعته و اجيب بانهم صاروا فريقين فرقة فى المحشر شفع لهم فلم يعذبوا وفرقة دخلوها ثم اخرجوا منها بشفاعته فى الكلام اختصار وطى (فاقول يارب ما بقى فى النار الا من حبسه القرآن اى وجب عليه الخلود) اى لم يبق بعد هؤلاء الخارجين الا من حكم الله فى القرآن بخلوده فى العذاب ولم يؤذن فى الشفاعة لهم وهم المنافقون والكفار لقوله تعالى *ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا * اى شفيعا وقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به * ونحوه من الايات كقوله ان الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا (وعن ابى بكر) الصديق (وعقبة بن عامر وابى سعيد) الخدرى الصحابى المشهور (وحذيفة) بن اليمان (مثله) اى مثل الحديث السابق (قال) ان قال كل واحد منهم

او النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الا ان قوله صلى الله تعالى عليه وسلم فيأتون محمدا يأباه ظاهرا ادالظاهر ان يقول يأتونى اى يأتونه صلى الله تعالى عليه وسلم بعد مراجعة الانبياء وذكرهم العذر فى عدم الشفاعة لهم والآتون هم اشرف اهل المحشر من اتباع الرسل وقال الغزالى فى الاكشف انهم العلماء العاملون يلهمهم الله تعالى طلب ذلك من الانبياء قال وبين اتيانهم لكل نبى وآخر بعده الف عام لكن قال الحافظ بن حجر هذا التعيين لا نرمن لم اقف له على اصل وقد اكثر فى كتبه من مثله فلا تعتر به انتهى (فيؤذن له) اى بأذن الله تعالى لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فى الشفاعة (وتأتى الامانة والرحم فيقومان عن جنبى الصراط) اى ناحيته يمنة ويسرة واحده جنبة بفتح النون وسكونها والامانة ضد الخيانة والرحم القرابة واصلها مقر الحمل يعنى انهما يمثلان او يجسمان بقدرة الله تعالى ليشهدا على الحائن وقاطع الرحم وحلافهما وقيل المراد بالامانة العظمى التى فى قوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال وهى التوحيد والاقرار به فى عالم الذر التى فطر الناس عليها والرحم هى المذكورة فى قوله تعالى واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام وهذا التعظيم امر الله وشفقته على خلقه وفى هذا ونحوه مما بلغ حد التواتر المعنوى رد على المعتزلة المنكرين للصراط كما بين فى الكتب الكلامية ورأى يحيى بن اليمان رجلا نائما وهو اسود الرأس واللحية شاب فاستيقظ وهو ابيض شعر الرأس واللحية فاخبره انه رأى فى منامه كان الناس قد حشروا واذا بنهر من نار وجسر يمر عليه الناس ودعى فدخل الجسر فاذا هو كحد السيف يمر به يمينا وشمالا فشاب من ذلك (وذكر فى رواية ابى مالك عن حذيفة فيأتون محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم فيسمح لهم) فى الخلاص من الوقف وهوله نسأل الله السلامة (ويضرب الصراط) اى يوضع كما ورد فى رواية اخرى وعبر به فيما يأتى من ضرب الخيمة اذا نصبها وضربا ضرب لدق او تاده واطرافه وتوهم بعضهم ان الضرب بمعنى الحلد فقال ان ضربه يسير مرور الصراط نفسه مع من عليه فان كان المراد مرور من عليه فضربه لاستحقاقهم وتخويفهم وهذا مما يقتضى مد انحب وهو جسر ممدود اى منصوب عليها العبور المسلمين عليه الى الجنة وعن الفصيل ان عرضه قال دانيا ان الصراط مسيرة خمس عشر الف سنة خمسة آلاف صعود وخمسة آلاف مستوى لا يجوز عليه الا صاغر مهزول من خشيته عز وجل وهذا مفصل لا يثبت فتأمل نفسك اذا حزت على الصراط ووقع بصرك على جهنم من تحته ثم قرع سمعك شهيق النار وزفيرها وسوادها وسعيرها وكيف بك اذا وضعت احدى رجليك عليه فاجلست بحده ثم اضطررت الى ان ترفع القدم بعد القدم والخلايق بين يديك يزلون

والزبانية تلتقطهم بالخطاطيف والكلاليب وانت تنظر الى ذلك فيالله من منظر ما اقطعه ومد بصر ما اصعبه ومجاز ما اضيقه نسأل الله السلامة والاعانة والعافية انتهى وهو على متن جهنم ادق من الشعرة واحد من السيف اوالموسى وعند ابن المبارك وابن ابي الدنيا عن سعيد بن هلال بلغنا ان الصراط ادق من الشعرة على بعض الناس ولبعض مثل الوادي الواسع وهو مرسل معضل انتهى كما ورد في الحديث وما قيل انه شعرة من عين مالك لا اصل له وانما هو من اكاذيب الوعاظ واصحاب القصص والصراط بالصاد والسين والزاي كما بين في اللغة وكتب التفسير وعلم القراآت (فمير و ر) اي يمرون الناس عليه فمنهم من يقع في النار ومنهم من ينجو وهم فرق (اولهم كالبرق) في السرعة من غير مهلة ومشقة (ثم كالريح والطير) في السرعة مع الزمان الممتد اكثر من الاول (وشد الرحال) بالحاء المهملة جمع رحل صد المرأة كما صحح في النسخ والشروح وصحح العز في تلميذ المص رواية عنه كما نقله التلمساني انه الرحال بالحاء المهملة جمع راحلة وهي رواية ابن ماهان والمراد هنا البعير فقد ذكر بعضهم ان الرحل ما يوضع على البعير ويعبر به تارة عن البعير انتهى وقيل ان روايته بالحاء المهملة خطأ محظ وان كان لا يخلو من التكلف وفي بعض الشروح هنا ما يتعجب منه ولا حاجة لنا بايراده والشد سرعة الجري وقال الراغب انه مستعار من قولهم اشد الريح وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم (وبيكم صلى الله تعالى عليه وسلم) في هذا الحديث يعني به نفسه على طريق التجريد المعروف في علم البديع (على الصراط) يحتمل انه على ظاهره ويحتمل ان المراد انه صلى الله تعالى عليه وسلم وقف عنده لكنه لقربه منه كالواقف عليه (يقول اللهم سلم سلم) جملة حالية تدل على اعتنائه صلى الله تعالى عليه وسلم بهم والدعاء لهم بالسلامة من الوقوع في جهنم (حتى يجتاز الناس) يجتاز افتعال من الجواز وهو المرور وهو غاية لقوله اي لا يزول يقوله حتى يمروا اوعلة له اي قوله حتى يسلموا فيمروا والناس اعم من امته وذكر احوالهم حوار الحديث اي اذكره اي سمي احر من يمر على الصراط قيل هو هادوقيل جهينة وقيل هما واحد واحدهما اسم والآخر لقب والذي رأيناه ان جهينة آخر من يخرج من النار وعند جهينة الخبر اليقين كما ذكر في كتب الحديث وفي شرح التلمساني قيل آخر من يخرج من النار هناد ولم يقع اسمه في الصحيح وروى ان الحسن قال يا ابي كنت هنادا فقيل انما تمنى هذا لانه علم انه قطع له بخاتمة الايمان في الحديث وقيل لان يد حوله الحمة كلت الحمة على اهلها لانهم كالجسد الواحد انتهى (وفي رواية ابي هريرة ما كون اول من يجيز يومئذ) هذا ما رواه الشيخان فهو اول من يجيز امته من الرسل وهو يقتضي ان المراد بالناس السابق امته وانهم اول الامم جوازا على الصراط فله صلى الله تعالى عليه وسلم قصب السبق في كل امر فهو

اول من نجى فى عالم الارواح والذر واول من يشفع واول من يفتح باب الجنة واول من يدخلها واول من يجيز امته على الصراط ويجير مضارع ولبس بمعنى جار كما قيل (وعن ابن عباس) رضى الله تعالى عنهما (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم) انه قال (توضع للانبياء) عليهم الصلوة والسلام فى ارض المحشر (منابر من نور) جمع منبر اى كرسى مرتفع (يجلسون عليها) والناس وقوف على اقدامهم اكراما لهم وتمييزا لهم عمن عداهم برفعه مقامهم ليسر المؤمن بهم ويخزى من كفر (ويبقى منبرى) حاليا عنى (لا اجلس عليه) حال من المضاف وقوله (قائما) حال من فاعل اجلس فهى متداخلة لا حال بعد حال (بين يدى ربى منتصبا) اى قريبا منه تعالى قربا معنويا تنزهه عن الزمان والمكان والجارحة فهو تمثيل وقيامه صلى الله تعالى عليه وسلم مع جلوس غيره من الانبياء فيه زيادة تكريم له لما فيه من الاشارة الى انه من المقربين فى خطائر القدس الناظرين فى امور غيرهم عند ربهم ولذا فرع عليه قوله (فيقول الله ما تريدان اصنع بامتك) لما فيه من الدلالة على زيادة محبته واكرام اتباعه بما هو فى صورة الاستشارة له (فاقول يا رب عجل حسابهم) اى قدم النظر فى امورهم على غيرهم حتى يخلصوا من هول الموقف ويدخل الجنة من هو دا حلها منهم ويعلم من عذب منهم عدم خلوده فى النار فلا يطول بين هذا وحديث من نوقش الحساب عذب ولذا قالت عائشة رضى الله تعالى عنها لا يحاسب احد يوم القيمة لا دخل الجنة (فيدعى بهم) اى بامة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مبنى للمجهول كقوله (فيحاسبون فمنهم من يدخل الجنة برحمته) تعالى من غير شفاعة لعلمه حسناته على سيئاته ولطف الله تعالى به (ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتى) له وذلك رحمة ايضا (ولا زال اشفع) فى العصاة (حتى اعطى صكاكا) غاية اوعلة لاستمرار شفاعته وامتدادها وصكاك بالصاد المهملة وكاف جمع صك كصكوك واصله وهو الورقة التى تكتب للمصالح والعرف خصها بحجة القاضى وهو معرب چك بالجيم المعجمة (برجال امر بهم الى النار) فهى متعلقة بهم فكانها ترسل خلفهم بعد ذهاب ملائكة العذاب بهم وامر مبنى للمجهول اى امرهم الله باخذهم ليدخلوها او باحراجهم بعد ما دخلوها (حتى اذا حار رب النار) الملك الموكل بها وهو مالك او المراد خزنتها فيسمل ما لك واتباعه (ليقول) لما رأه من كثرة انقاذه لمن امر به (يا محمد ما تركت لعضب ربك فى امتك من نقمة) العضب ارادة الانتقام والنقمة بكسر اوله العذاب اى لم تدع احدا ممن استحق العذاب يعذب وحتى ها ابتدائية (ومن طريق زياد) بن عبد الله البصرى (النميرى) بالتصغير نسبة الى نمير قبيلة سميت باسم ابيها وقد اختلف فيه فقيل انه ثقة وقيل ضعيف لا يحتج به وهذا الحديث رواه البيهقى وابو نعيم فى الحلية

(عن انس انه صلى الله عليه وسلم قال انا اول من تنفلق الارض) اى تنشق والفلق شق الشئ وابانة بعضه من بعض قال تعالى فالق الاصباح (عن جمجمته) بضم الجيم الاولى والثانية وهى الرأس اوقحف الرأس وعظمه الذى فيه الدماغ وخصها لانها اول ما يظهر منه (ولافخر) اى لاقول هذا اظهارا للافتخار والتبجح بل بيانا لما انعم الله به على وتحدثا بنعمته ولا ينافيه ماورد فى الحديث * لاتفضلونى على موسى فان الناس يصعقون فاكون اول من يفيق فاذا موسى اخذ بساق العرش لانه صلى الله تعالى عليه وسلم قاله قبل علمه بانه سابق عليه فى البعث وانه لايلزم منه افضلية موسى عليه فتأمل (وانا سيد الناس يوم القيمة ولافخر) المراد انه صلى الله تعالى عليه وسلم سيدهم واشرفهم فى الدنيا والآخرة وخص الثانى بالذكر لعدم اعتداده بغيره اولانه يعلم منه بالطريق الاولى او لانه مسلم لاينكر كما مر (ومعى لواء الحمد يوم القيمة) اى معى لواء موضوع عندى او هو بيده صلى الله تعالى عليه وسلم على عادة العرب فى اخذ الرئيس اللواء والمراد لواء الرياسة العظمى الذى يحمده و يغبطه به سائر الخلق لتفرده صلى الله تعالى عليه وسلم به وهو على حقيقته او كناية عن تقدمه على غيره (وانا اول من تفتح له الجنة ولافخر) اى يفتح له بابها وفى نسخة ابواب الجنة (فاتى فاخذ بحلقة) باب (الجنة) بسكون اللام كما مر اى امسكها واحركها حتى يسمع حركتها (فيقال من هذا) الذى دق الباب (فاقول) انا (محمد فيفتح لى) لعلمهم بانه اذن له صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك (فيستقبلنى الجبار تعالى) اى فارى الله عيانا بعد الفتح وعبر بالجبار دون غيره لانه يوم جزاء وانتقام كما مر ان الله غضب فى ذلك اليوم غضبا لم يغضب قبله ولا بعده (فاخر له ساجدا) لما شاهده صلى الله عليه وسلم من عظمة الله تعالى وانعامه عليه وتحليه له برؤيته ورضوانه (قال السنوسى فى هذا تمثيل بجعله كمن قدم على ملك عظيم فى سلطانه وكرسى مملكته ودار كرامته فاستقبله لما قدم عليه تسريعا له واظهارا لعظمة مقامه عنده وتعظيما له ولاتباعه ليزداد سروره مع علوه وحبوته واستعانه عن حلقه فلا يتوهم ان المقام يناسب ان يقال استقبلنى الرحمن لا الجبار (وذكر نحو ماتقدم) من حمده بمحامد لم يكن حمده بها قبل (ومن رواية انيس سمعت رسول الله عليه السلام يقول) بالتصغير وفى بعض النسخ انس مكبرا والصحيح الاول وهو صحابى انصارى اشهلى ذكره ابن عبد البر فى الاستيعاب وروى عنه شهرا بن حوشب ولم ينسبه وذكر حديثه هذا الطبرانى فى الاوسط وقالوا اسناده ليس بقوى وقول بعضهم يؤيد ضعفه تعلق الشفاعة بما لايعقل من السحر والحجر سهو لان معنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (لاشفعن يوم القيمة لاكثر مما فى الارض من حجر ومدر) انه يشفع لناس اكثر عددا من عدد السحر والحجر لا ما توهمه والنحب ممن اعتذر له بانه لايعد

ان يستغيث به صلى الله تعالى عليه وسلم الجمادات فرقا من نار جهنم وزمهريرها (فقد اجتمع من اختلاف الفاظ هذه الآثار) اى اذا سمعت ماتقدم من الاحاديث مرفوعة وغير مرفوعة واختلاف الفاظها فى شفاعته صلى الله عليه وسلم وتفسير المقام المحمود الذى وعده الله تعالى به تبين لك من مجموعها (ان شفاعته صلى الله تعالى عليه وسلم ومقامه المحمود) بالنصب عطفا على اسم ان وخبرها قوله الآتى من حين الى آخره فلا يتوهم انه لا خبر لها مذكور و انه مقدر وقوله (من اول الشفاعات الى آخرها) بيان لمقامه المحمود وفيه اشارة الى تعدد شفاعته صلى الله تعالى عليه وسلم وقد قال القرطبى انها اربعة وفى الحديث زيادة عليها وهى شفاعته العظمى فى الخلاص من كرب الموقف لجميع الناس وشفاعته لدخول اهل الجنة الجنة وللمذنبين فى العفو عن ذنوبهم و لمن امر به الى النار ولمن قال لا اله الا الله ولاخراج من دخل النار منها ولرفع درجات اهل الجنة كما مر جميع ذلك (من حين يجتمع الناس للمحشر) هذا خبر ان ومن ابتدائية (وتضيق بهم الحاجر) هذا كناية عن شدة الهول والكرب والحشر جمع الناس فى المحشر والنشر الخروج من القبور بعد الاحياء والحاجر جمع حنجرة وهى الحلقوم او طبقتان منه مما يلى العلصمة اورأسه او المراد انها تضيق عن احراج النفس لكثرته وشدته لتراكم الغم والهم حتى يبلغها كما قال الله تعالى * اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين (ويبلغ منهم العرق) بفتحتين وهو معروف (والشمس والوقوف منلعه) اى نهايته التى يمكن بلوغها والوصول اليها وفى الحديث يكون عرق الناس على قدر اعمالهم فمنهم من يكون عرقه لكعبه ومنهم من يكون لركبته ومنهم من يريد حتى يلجمه قالوا وهذا امر خارق للعادة فان الناس اذا كانوا فى الماء فى مكان مستو يكون تغطية الماء لهم على السواء ومنلع الشمس قدر ميل وهذا ايضا خارق للعادة فان الشمس ليست فى سماء لدنيا كما انهم عراة ولا يرى احدهم عورة غيره (وذلك قبل الحساب) الاشارة الى اجتماعهم للحشر (فبشفع حينئذ لاراحة الناس من الموقف) اى حين اذ تضيق الحناجر ويبلغ ذلك منهم (ثم يوضع الصراط) السابق ذكره ومر انه ليس شعره من جفن مالك كما قيل (ويحاسب الناس كما جاء فى الحديث) الذى تقدم ذكره (عن ابى هريرة وحذيفة وهذا الحديث تقى) اى اكبر اتقانا من غيره (فيشفع فى تعجيل من لا حساب عليه) من اتقياء امته و يشفع معلوم او مجهول لكونه معلوما (الى الجنة) متعلق بتعجيل (كما تقدم) من دخولهم من الباب الايمن (ثم يشفع) شفاعة ثانية (فيمن وجب عليه العذاب) اى تحقق فالوجوب ليس على ظاهره (و دخل النار منهم) كما تقدم (حسب) بسكون سينه وفتحه ونصبه على المصدرية او الظرفية اى على وفق ومثل (ماتقتضيه الاحاديث الصحيحة) السالفة (ثم) يشفع

(فيمن قال لااله الاالله) خالصا مخلصا من قلبه كما تقدم فان قلت هذا ينافى ماتقدم من قوله فاقول يارب ايذن لى فيمن قال لااله الاالله فيقول ذلك ليس اليك قلت اجيب عنه بانه ليس فيه الا ان اخراجهم من النار مفوض الى الله لااليه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو لاينافى احراجهم بشفاعته وفيه خفاء وقد يقال المذكور شفاعته فقط وقيل المراد من اثمر توحيده زيادة طمانينة له والسابق المفوض لله تعالى من تجرد توحيده عما عداه (وليس هذا) اى الشفاعة فيمن قال لااله الاالله (لسواه) من الشفعاء (وفى الحديث المتسر) اى الشايع ولايلزم منه صحته فلذا قال (الصحيح) الذى رواه الشيخان (لكل نبى دعوة يدعو بها) تقدم ان المراد بها دعوته لجميع امته لاخصوصة به او ببعض امته والافللانبياء عليهم الصلوة و السلام دعوات كثيرة مستجابة بل لبعض امهم بدليل قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (واختبات دعوتى شفاعتى لامتى يوم القيامة) واشار المصنف رحمه الله تعالى الى جواب آخر بقوله (وقال اهل العلم معناه) اى معنى هذا الحديث المقصود منه (دعوة اعلم) بضم الهمزة وكسر اللام مبنى للمجهول اى اعلمه الله وروى اعلموا بالبناء للمجهول اى الابناء وعلى الاول النائب للفاعل ضمير مستتر وقوله (انها تستجاب لهم) مفعول ثان له اى يتيقنون اجابتها (و يبلغ فيها مرغوبهم) بالبناء للمجهول ومرغوبهم اى مطلوبهم الذى رغبوا فى حصوله واحدوه نائب الفاعل (والا) اى وان لم تقل ان معناه ماذكر بان يبقى على ظاهره وانه يستجاب له دعوة فقط كان مخالفا للواقع (فكم لكل نبى من دعوة مستجابة) اى اجاب الله تعالى دعاءه بها فى الدنيا (ولسينا صلى الله تعالى عليه وسلم) خصوصا (منها مالايعد) من الدعوات المشاهد استجابتها (ولكن حالهم عند الدعاء بها) قبل تحقق اجابتها (بين الرجاء) لاجابتها (والخوف) من عدم قبولها (وضمنت لهم اجابة دعوة فيما شاؤه يدعون بها على يقين من الاجابة) اى ضمن الله لهم قبولها يقينا وهذه هى الدعوة المذكورة فى هذا الحديث والجار والمجرور حال اى متيقنا اجابتها ثم اشار الى جواب آخر بقوله (وقد قال محمد بن زياد) الجمحى البصرى الثقة الذى اخرج له اصحاب الكتب الستة (وابو صالح) ذكوان السمان الثقة (عن ابى هريرة فى) تاويل (هذا الحديث) وتفسيره (لكل نبى دعوة دعا بها فى) حق (امته) وسائهم سواء كانت لهم ام عليهم (فاستجيب له و انا اريد ان اؤخر دعوتى شفاعة) بالنصب اى لاجل الشفاعة (لامتى يوم القيامة و فى رواية ابى صالح) السابق ذكره وهذا مارواه الشيخان عنه (لكل نبى دعوة مستجابة فتعجل كل نبى دعوته) فيه اقامة الظاهر مقام المضمر لان المقام مقام بسارة يطلب فيه البسط (ونحوه فى رواية ابى زرعة) ابن عمرو بن حرير بن عبد الله البجلى الامام الثقة اخرج له اصحاب الكتب الستة وقد اختلف فى اسمه فقيل جرير وقيل عبد الله وقيل عبد الرحمن وقيل هرم وقيل

هذا وهم وانما هو هارم وقيل عمرو (عن ابي هريرة) رضي الله تعالى عنه (وعن انس مثل رواية بن زياد عن ابي هريرة) اى موافقة لها معنى واشار بكثرة طرقه الى صحته وقوة روايته ثم بين المراد بهذا الجواب و انه غير الجواب السابق بقوله (فتكون هذه الدعوة مخصوصة بالامة مضمونة الاجابة والا) اى ان لم يفسر الحديث بما ذكر لزم الخلف (فقد اخبر صلى الله تعالى عليه وسلم انه سأل لامته اشياء من امور الدين والدنيا منع بعضها واعطى بعضها) فتبين انها ليست الدعوة الموعود بها وهذا اشارة لما في الصحيح من انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال سألت الله عز وجل ثلاثا فاعطاني ثنتين ومنعني واحدة منها سألته ان لا يهلكنا بما اهلك به الامم فاعطانيها وسألته ان لا يظهر علينا عدوا من غيرنا فاعطانيها وسألته ان لا يلبسنا شيعا وفي رواية يذيق بعضنا بأس بعض فمنعها وهو المذكور في سورة الانعام في آية قل هو القادر على ان يبعث الخ ومن فسر الدعوة التي ادخرها بهذا فقد اخطأ وغفل عن قوله (وادخر لهم هذه الدعوة) بالدال المهملة المشددة اى جعلها ذخيرة مؤخرة (ليوم الفاقة) وهي الفقر وشدة الحاجة والمراد به يوم القيمة لاحتياج الناس فيه الى رحمة الله تعالى وشفاعة نبيه حيث لا ينفع غيره (وخاتمة المحن) جمع محنة بكسر الميم وهي البلية المحيرة يعني هول الموقف اذ البلية بعده الا النار (وعظيم السؤال والرعبة) بالجر معطوف على يوم الفاقة او على الفاقة او جعل اليوم نفس محنة والرعبة عطف تفسيري لما قبله او هو احص منه ولما ذكر ما تفضل به النبي صلى الله عليه وسلم على امته الداخل فيهم دخولا اوليا ختم الفصل بدعائه له بقوله (جزاه الله) تبارك وتعالى (ما جزى نبيا عن امته) اى بما جزاه او بمثله و في نسخة احسن (وصلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا) دائما ابدا الى يوم الدين ولبعض الشراح هنا كلام طويل لا طائل تحته تركناه خوف السامة مع لا فائدة فيه والله تعالى اعلم ﴿ وصل في تفضيله صلى الله تعالى عليه وسلم ﴾ على غيره (في الجنة بالوسيلة) اصل الوسيلة امر يكون موصلا لامر تتنعيه كالهدية و لتودد ونحوه قال الراغب الوسيلة التوسل الى الشيء برغبة وهي احص من الفضيلة ولتضمنها معنى الرغبة عديت الى قال تعالى * وابتغوا اليه الوسيلة وحقيقة الوسيلة الى الله تعالى مراعاة سبيلها بالعلم والعبادة وتحري مكارم الشريعة وهي كالقربة انتهى والمراد بها منزلة عالية في الجنة كما سيأتي فهو مجاز من باب اطلاق السبب على المسبب ومن فسرها بالقرب من الله تعالى فقد تسامح في العبارة قال الزبيدي يقال وسل اذا تقرب لانها لمقرب (والدرجة الرفيعة) اى المرتفعة العالية و الدرجة هنا المنزلة و اصلها ما يصعد فيه كدرجات السلم وهذا تفسير لما قبله وقال السخاوي في المقاصد الحسنة لم نر هذه اللفظة في الدعاء الذي يدعى به عقب الاذان كما يفعله من لا خبرة له بالسنة قد ذكره في الدعاء

لاصل له (و الكوثر) تقدم تفسيره وانه فوعل من الكثرة والمراد به نهر في الجنة (والفضيلة) فعيلة من الفضل ضد النقص ثم ذكر المصنف شواهد تفضيله في الجنة على غيره منها حديث رواه مسلم وابوداود والترمذي واقتصر في الرواية على ما في ابي داود دون الترمذي ومسلم لقرب سنده الى الاول دونهما ، ل (حدثنا القاضي ابوعبدالله محمد بن عيسى التميمي) نسبة لتميمهم قبيلة وقد تقدمت ترجمته (والفقيه ابو الوليد هشام بن احمد) تقدم ايضا (بقراءتي عليهما) لاسماعي من لفظهما وفي نسخة عليه بالافراد وهذه اعلى من السماع من شيخه كما علمت (قالا حدثنا ابو علي الصدفي) الجياني السابق ذكره قال (حدثنا النمري) بفتح النون والميم وهو الامام ابن عبدالبر المتقدم قال (حدثنا ابن عبدالمؤمن) قال (حدثنا ابو بكر التمار) بفتح المثناة الفوقية نسبة الى التمر المعروف وتقدم ان الاول عبدالله بن محمد بن عبد المؤمن القرطبي و ابو بكر التمار تقدمت ترجمته ايضا قال (حدثنا ابوداود) الحافظ صاحب السنن وقد تقدم ايضا قال (حدثنا محمد بن سلمة) بفتح السين واللام ومافي بعض النسخ من انه مسلمة بميم في اوله سهو من الناسخ وهو ابو الحارث محمد بن سلمة المرادي المصري اخرج له اصحاب الكتب الستة وتوفي سنة مأتين وثمان وار بعين قال (حدثنا ابن وهب) هو عبدالله بن وهب تقدمت ترجمته (عن ابن ابي لهيعة) بفتح اوله وكسر ثانيه وهو عبدالله الحضرمي ثم المصري الامام الحافظ وهو ثقة خلافا للذهبي اذ ضعفه روى عنه مالك واصحاب السنن وتوفي سنة مائة واربع وسبعين (وحيوة) بفتح الحاء المهملة وسكون المثناة التحتية وواو وهاء وقياسه حية بالادغام الا انه لم يعبر هرقا بين العلم وغيره وهو ابن سريح الحمصي ثم المصري توفي سنة مأتين واربعة وعشرين وروى عنه اصحاب السنن (وسعيد بن ابي ايوب) ابو يحيى ان مقلاص الخراعي المصري الثقة اخرج له اصحاب السنن وتوفي سنة احدى وستين ومائة (عن كعب بن علقمة) بن عمرو بن زيد بن جشم الانصاري الخزرجي الصحابي البدري توفي سنة اربع وثلاثين وسبعون سنة وفي بعض النسخ عن كعب عن علقمة والصواب الاول (عن عبدالرحمن بن جبير) القرشي مولى نافع الثقة توفي سنة سبع وتسعين واخرج له اصحاب الكتب الستة (عن عبدالله بن عمرو بن العاص) السابق ذكره (انه سمع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول) حال وعبر بالمضارع للحكاية حتى كانه مشاهد حاضر (اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل مايقول) من كلمات الاذان غير الحيعلتين فانه يقال عند سماعهما لاحول ولا قوة الا بالله وهذا على سبيل الندب على الصحيح وفي قول عند الشافعية انه واجب واذا تكرر سماعه تكفي اجابة الاول وفي فتاوى ابن عبدالسلام انه يندب اجابة الكل والاول اصح وكذا في الاقامة عند الشافعي ويقول عند قوله قد قامت الصلاة اقامها الله وادامها وعند

قوله الصلاة خير من النوم صدقت وبررت قيل ولا يلزم سماع جميعه ولا فهمه (ثم صلوا علي) اى قولوا عقب الاجابة اللهم صل وسلم عليه وهذا مندوب ايضا (فانه من صلى علي) اى اتى بصيغة من صيغ الصلاة مرة بقرينة قوله (صلى الله عليه بها) اى بصلاته وضميرا به للسان (عشرا) لتضاعف واحدة الحسنات (ثم سلوا الله لي الوسيلة) اى ادعوا الله لي بان يؤتينيها فقولوا اللهم آت محمدا الوسيلة ثم فسرها بقوله (فانها منزلة في الجنة) اى مقام عال فيها اعلى مما عداه (لا ينبغي) اى لا يليق اعطاؤها (الا لعبد) عظيم جليل عند الله فالتنوين والتنكير للتعظيم (من عباد الله) الاشراف الاقربين بالاضافة لاختصاصهم بالشرف والقرب من سيدهم قال ابن كثير هي اقرب منازل الجنة الى العرش واعلاها واشرفها وتقدم ان الوسيلة من التوسل وهو التقرب فان قلت ما وجه تخصيص الدعاء بها بعد الاذان قلت لما كان المؤذن يدعو الناس للصلاة وهي مقربة الى الله ومعراج المؤمنين وهذا مما من الله به عليبا برساده وهدايته ناسب ان يجازى ذلك بالدعاء بالقرب من الله ورفعة المنزلة فان الجزاء من جنس العمل (وارجو ان اكون اناهو) ضمير الغيبة للعبد وانا مبتدأ وهو خبر والجملة خبر اكون واكون اناتاكيدا للضمير وهو خبر استعير ضمير الرفع للمنصوب اووضع موضع الظاهر والاصل اكون اياه وذلك خلاف الظاهر وتعبيره صلى الله عليه وسلم بالرجاء مع تحقق اختصاصه بارفع المنازل عند ربه تأدبا وتشريعا لامته بالدعاء له وفيه دليل على جواز دعاء المفضول للفاضل ليفوز بالثواب كما اشار اليه بقوله (فمن سأل الله تعالى لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة) بالحاء المهملة وتشديد اللام بمعنى وجبت من حل يحل كضرب يضرب او عشبته وبرك عليه من حل يحل كقعد يقعد وروي فجبت وروي له بدل عليه ولا حاجة لجعل اللام بمعنى على لان وجب يتعدى وليس المراد بالوجوب معناه المشهور بل التحقق والتيقن ولا يستشكل بان الشفاعة للمذنبين وقائلها ليس بمذنب بل عابد لله تعالى لان الشفاعة انواع كما مر كالشفاعة في دخول الجنة من غير حساب وفي رفع الدرجات وزيادة العطيات ولا يختص هذا بمن قاله مخلصا مستحضرا لاحلاقه صلى الله تعالى عليه وسلم بل يكفي فيه مجرد قصد الثواب الا انه ينبغي ان لا يكون غافلا لاهيا واستحباب هذا لغير المصلي فرضا او نفلا فاما قاله فيها لا تبطل صلاته لانه ذكر الا في قوله صدقت فانه من كلام الناس فتأمل (وفي حديث آخر) رواه الترمذي ايضا (عن ابي هريرة الوسيلة اعلى درجة في الجنة) مخصوصة به صلى الله عليه وسلم وهي اقرب الى العرش من سائر المنازل وليس هذا معلوما من الحديث السابق الا انه المراد منه (وعن انس) في حديث رواه البخاري (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا انا سير في الجنة) تقدم الكلام على بينا بالالف والظاهر ان سيره هذا كان منامًا ويحتمل انه يقظة في الاسراء (اذ عرض لي نهر)

اى فاجأنى عروضه اى ظهوره بمرورى عليه (حافتاه) اى جانباه وشطاه وهو بتخفيف الفاء المفتوحة وهو مبتدأ خبره (فيهما لؤلؤ مثل القباب) وفى نسخة حافتاه قباب اللؤلؤ جمع قبة المعروفة او هى بيت صغير تضرب العرب لتنزل فيه والجملة صفة نهر بسكون الهاء وفتحها والمراد انها لؤلؤة تى او مثله فى الحسن والاضارة (قلت لجبريل ماهذا) النهر لانه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يعرفه (قال هذا الكوثر الذى اعطاكه الله) اى وهبه لك فى قوله انا اعطيناك الكوثر وهو فوعل صفة مشبهة من الكثرة لكثرة مائه واوانيه ولذا فسره ابن عباس رضى الله تعالى عنهما بالخير الكثير كما يأتى بما فيه وهو اصل معناه ثم نقل وجعل علما لهذا النهر ودخلت عليه اللام للمح الاصل ووصل الضميرين المنصوبين اللغة الفصحى ولو فصل وقال اعصاك اياه جاز وورد فى صفته انه ابيض من الابن واحلى من العسل كما يأتى (قال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (ثم ضرب) جبريل عليه الصلوة والسلام (بيده الى طينه) بالتنوين والاضافة الى ضمير النهر وسماه طينا لانه بمرلته وعلى صورته وضرب يده مجازا عن ادخالها فيه (فاستخرج مسكا) اى اخرج من قعره وارصه ليعرفه بفضله وان طينه مسك فليس كانهار الدنيا (و) روى (عن عائشة وعبد الله بن عمرو) بن العاص (مثله) اى مثل حديث انس المذكور (قال) اى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى هذا الحديث (ومجراه) بفتح الميم مصدر ميمى اى مجرى هذا النهر اى مجرى مائه (على الدر والياقوت) الذى فوق طينه الذى هو مسك كما ان الانهار تجرى على طين وحصى فهذه طينه مسك وحصاه جواهر فلا منافاة بين كون مجراه على الجوهر وكون طينه مسكا كما مر (وماؤه احلى من العسل وابيض من الثلج) بفتح المثلثة وسكون اللام قبل الجيم وبفتحها مصدر ثلج صدرى بكذا اى برد اليقين ابيض افعل تفضيل من البياض وقد سمع من العرب على خلاف القياس فلا ينافى قول النحاة ان افعل تفضيل لا يصاغ من الالوان كما مر ويجوز ان يكون صفة كاحمر واسود الا انه خلاف الظاهر وفى الحديث ان الله اعطانى نهرا يقال له الكوثر لا يكاد احد من امتى يسمع خبره الا سمعه فقيل يا رسول الله كيف ذلك قال ادخل اصبعيك فى اذنيك وسدهما فالذى تسمعه خبره نقله السهيلى وفى رواية ابيض من اللبن وكونه احلى من العسل لا ينافى ان من انهار الجنة نهرا من عسل (وفى رواية عنه فاذا هو) اى الكوثر (يجرى) جريا معتدلا (ولا يسق سقا) جملة حالية من ضمير يجرى اى لا يشق الارض بشدة جريه وكذا سائر انهار الجنة تجرى من غير ان تتخد اخدودا كما قاله التلمسانى ويشق منيا للفاعل وقيل انه روى منيا للمجهول وقيل المراد انه يجرى معترضا لا مستطيلا من قولهم شق البرق اذا لمع مستطيلا وهو بعيد لما ورد فى الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا تظنون ان انهار

الجنة اخدودا لاوالله انها لساهمة على وجه الارض وقد يرجع ما ذكر اليه فيكون المعنى واحدا (عليه) اى على الكوثر (حوض) والظاهر انه بجانب قريب منه كما يقال مررت على زيد اى على مكان قريب منه والحوض معروف وقد قيل المراد بكونه عليه انه يمتد منه لان عليه ميزابين يشخبان فيه من الكوثر الا انه بجانبه اذهو فى الجنة والحوض خارجها للحديث الآتى ليردن على اقوام اعرفهم ولايعرفونى ثم يحال بينى وبينهم فاقول انهم امتى فيقال لاتعلم ما احدثوا بعدك فاقول سحقا سحقا لمن غير بعدى فتأمل (ترد عليه امتى) اى يأتونه للشرب منه ولعله بعد الحساب والنجاة من النار (وذكر حديث الحوض) الآتى وهذا يدل على انه غير الكوثر وقد جاء فى بعض الاحاديث ان الكوثر هو الحوض والحق انه غيره على قول من اقوال عدة ولو قيل بتعدد الحوض لم يبعد (ونحوه عن ابن عباس رضى الله عنهما) اى روى عن ابن عباس ما يوافقه (وعن ابن عباس ايضا) اى فى رواية اخرى ذكرها البخارى (قال) فى تفسيره (الكوثر الخير الكثير الذى اعطاه الله اياه) تشريفا له صلى الله تعالى عليه وسلم وتكريما وهذا بناء على انه فوعل من الكثرة مطلقا ثم خص الكثير من الخير وبالنهر الذى فى الجنة فان اراد ابن عباس بهذا بيان ما وضع له لغة او بيان معنى عام خاص فى الحديث والآية فلا كلام فيه وان اراد تفسير ما فى الآية فالاحاديث الصحيحة وردت بخلافه وفى الآية ستة عشر قولا قيل انه النهر السابق ذكره وقيل النبوة والكتاب وقيل القرآن وقيل الاسلام وقيل تحقيقات الشريعة وقيل كثرة الامة وقيل رفعة الذكر وقيل نور النبوة المحمدية وقيل كثرة المعجزات وقيل الدعوات المجابة له صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل كلمة التوحيد لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل الفقه فى الدين وقيل الخمس صلوات التى خصت بها امته صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل الحوض والاصح انه نهر فى الجنة مخصوص (وقال سعيد بن جبير والنهر الذى فى الجنة من الخير الذى اعطاه الله اياه) يعنى انه على عمومه وهذا داخل فيه اوهو المراد منه (و) يؤيده ما روى (عن حذيفة) ابن اليمان (فيما ذكره عليه الصلوة والسلام عن ربه) حيث يبنه له فى الحديث قال فيه (واعطانى الكوثر وهو نهر فى الجنة يسيل فى حوضى) الذى فى الموقف او بعد الصراط يسق منه امته وفيه اشارة الى تفسيره بالحوض لان ماءه منه (وعن ابن عباس) فى حديث صحيح رواه ابن جرير بسنده وابن حبان (فى) تفسير (قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى) اى يعطيك الى ان ترضى مما اعطاه لك وتقر عينك (قال) من جملة ما اعطاه (الف قصر من لؤلؤ ترابهن المسك) اى هى من لؤلؤ وترابها من المسك فالضمير للقصور الذى دل عليها وقوله الف قصر (وفيه) اى فى كل قصر فاعاد الضمير عليه مفردا رعاية للفظه لان كل مفرد مذكر (ما يصلحهن) الضمير عائد عليه ايضا رعاية

لمعناه وقيل ضمير فيه عائد عليه نظرا للفظ قصر اولتأويله بما ذكرنا قيل وان صوابه فيهن لاوجه له والمراد ما يقوم بمصالح تلك القصور من الخدم والزوجات والالات كالاوانى كما اشار اليه بقوله (وفى رواية اخرى وفيه ما ينبغى له) اى فى كل قصر ما يناسبه ويليق به (من الازواح والخدم) بفتحتين جمع خادم وفعل جمع لفاعل ورد فى الغاط ذكرها النحاة وقيل انه اسم جمع والازواح جمع زوج اوزوجة وذكر هذا هنا لمناسبته للمنزل والمقام وهذا الحديث رواه المصنف موقوفا على ابن عباس انه كان فاعل قال ابن عباس لا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو الظاهر ورواه الاوزاعى مرفوعا الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال حدثنا اسمعيل بن عبدالله عن على ابن عبدالله بن عباس عن ابيه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه ارى ما هو ممنوح على امته فسر بذلك فانزل الله عز وجل عليه والضحى والليل اذا سجى الى قوله فترضى فاعطاه الله عز وجل الف قصر الخ وقيل فى الآية انه اعطاه ما هو شامل لكل خير اعطاه ولما ادخر له مما لا يعرف كنهه الا الله وتقدم انها لما نزلت قال صلى الله تعالى عليه وسلم اذن والله لا ارضى واحد من امتى فى النار وقد تقدم الكلام عليه ﴿فصل﴾ فى بيان شبهة ترد على ما تقدم من انه صلى الله تعالى عليه وسلم افضل الرسل واعظمهم عنده وحرد من نفسه سائلا خاطبه بقوله (فان قلت) واتى بالفاء الاستئنافية اشارة الى نشأته مما قبله وترتبه عليه (قد تقرر من دليل القرآن) وفى نسخة فاذا تقرر اى تحقق وثبت واضافة دليل للقرآن بيانية او تخصيصية لامية (وصحيح الاثر) اى الحديث وهو معطوف على القرآن اوعلى دليل (واجماع الامة المحمدية) (كونه) صلى الله تعالى عليه وسلم (اكرم البشر) اى اشرف بنى آدم (وافضل الانبياء) والرسل خاصة منهم ولم يقل اكرم الخلق لان قوله اجماع الامة يأباه لما فيه من خلاف المعتزلة فى خواص الملائكة وان كان الصحيح خلافه فلا وجه للاعتراض بذلك (فما معنى الاحاديث الواردة بنهيه صلى الله عليه وسلم عن التفضيل) بين الانبياء او الالهية بتفضيله عليهم (كقوله) صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه الشيخان ورواه المصنف رحمه الله تعالى من طريق مسلم (فيما حدثناه) متعلق بقوله اوحال منه (الاسدى) نسبة الى اسد قبيلته قال (حدثنا السمرقندى) تقدمت ترجمته (قال حدثنا الفارسى) عبد الغافر السابق ترجمته (قال حدثنا الجلودى) تقدم بيانه وبيان نسبته قال (حدثنا ابن سفيان) ابراهيم بن محمد بن سفيان السابق ترجمته قال (حدثنا مسلم) الامام صاحب الصحيح المتقدم قال (حدثنا ابن المثنى) محمد ابو موسى البصرى توفى سنة اثنين وخمسين ومائتين كما تقدم قال (حدثنا محمد بن جعفر) ابو عبدالله الهذلى البصرى الملقب بغندر بضم الغين المعجمة وسكون النون وضم الدال وفتحها وراء مهملة وقد تقدم انه توفى فى ذى القعدة سنة ثلاث اوار بع وتسعين

و مائة قال (حدثنا سعبة) ابن الحجاج ابن بسطام كما تقدم (عن قتادة) تقدم بيانه قال (سمعت ابا العالية) التابعي السابق ترجمته (يقول حدثني ابن عم نبيكم صلى الله تعالى عليه و سلم يعني ابن عباس) رضي الله تعالى عنهما ابن عبد المطلب المشهور وهو احد العبادلة وغالب رواياته عن الصحابة رضي الله تعالى عنهم لصغر سنه في زمانه صلى الله تعالى عليه وسلم واختلف فيما رواه عنه هل بواسطة فقيل اربعة احاديث وقيل تسعة وقيل عشرة وقيل عشرون حديثا (عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ما ينبغي) اي ما يصح ولا يجوز (لعبد) من عباد الله نبيا كان او غيره (ان يقول انا خير من يونس بن متى) بفتح الميم وتشديد التاء المثناة الفوقية والف مقصورة وهو اسم امه وقيل اسم ابيه وصحح كلا من القولين طائفة والاول اشهر كما مر وهو من ولد بنيامين بن يعقوب عليه الصلوة والسلام وكان بعد سليمان عليه الصلوة والسلام وقيل كان بينهما ايوب عليه الصلوة والسلام وكان قبل النبوة من عباد بني اسرائيل فهرب ونزل بشاطئ دجلة فبعث الله الى اهل نينوى من ارض الموصل وهو ابن اربعين سنة فضاق ذرعا بالرسالة فسكن ذلك للملك واعلمه انهم ان لم يستجيبوا له حل بهم العذاب واجل لهم اربعين يوما واعلمهم بالاجل فقالوا ان رأينا امارات ذلك آمنا بك وانصرفوا فلما مضى من الميقات خمسة وثلاثون يوما عامت السماء بغيم اسود له دخان فايقنوا بالعذاب فخرجوا من القرية باهلهم وفرقوا بين النساء واولادهن وضجوا الى ربهم فرحمهم فقبل توبتهم وساح يونس عليه الصلوة والسلام في الارض ومر براع سقاه لبنا فقال له اقرأ على قومي السلام فقال له يا بني الله لا استطيع فان من كذب ما قتل فقال له ان كذبوك شاتك وعصاك يشهدان لك فاخبرهم فانكروا مقاله فشهد له الشاة وعصا فصدقوه وملكوه عليهم اربعين سنة وقيل كان ميقاته ثلاثة ايام فانتظر يونس فخاف لانه من كذب ولم يقم بينة قتل في شرعهم فذهب مغاضبا وركب سفينة فركدت وغيرها من السفن يسير فسألوه عن سبب ذلك فقال ان عبدا ابق من ربه وانها لا تسير حتى يلقوه في البحر فقالوا اما انت يا نبي الله فلا نلقيك فقال اقترعوا فاقترعوا ثلاث مرات وسهم القرعة يقع عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فالقوه فابتلعه حوت وغاص به الى قرار البحر فسمع يونس تسبيح الحصى فنادى في الظلمات ظلمة الليل والبحر وبطن الحوت ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين * فنبذ بالعراء وهو سقيم كطير منعوط لا ريش له فانبت الله عليه شجرة يقطين استظل بها واصاب منها فيبست فبكى فاوحى الله اليه اتبكي على شجرة يبست ولا تبكي على مائة الف او زيادة هلكوا فنادى ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين * واختلف في مكثه في بطن الحوت فقيل بعض يوم وقيل عشرون وقيل سبعة ايام وقيل اربعون يوما

﴿ وقيل ﴾

وقيل ثلاثة واما حص يونس بالذكر لما يعلم مما يأتى وهو خشية ممن سمع قصته ان يقع فى نفسه شئ لقلة صبره وعدم تمالته فى الشدايد و يأتى ان المنهى عنه تفصيل يؤدى الى تنقيص احد منهم ولذا قيل ان من قال انا خير من بعض الانبيا يخشى عليه الكفر ان لم يكن نبيا فان كان فلا يدعى له ذلك وهذا مخصوص بما اذا لم يكن لذلك وقاله افتخارا ولذا وقع من نبينا صلى الله عليه وسلم تحدثا بنعمة الله (وفى غير هذه الطريق) المذكور آنفا (عن ابى هريرة قال يعى رسول الله) صلى الله تعالى عليه وسلم (ما ينبغى لعبد الحديث) اى اذكره الخ كما مر (وفى حديث ابى هريرة) رضى الله تعالى عنه الذى رواه الشيخان فى رجل من الانصار تنازع مع يهودى بالمدينة و بيد المصنف رحمه الله تعالى بقوله (فى اليهودى) اى فى رجل من اليهود ولم يذكروا اسمه (الذى قال والذى اصطفى موسى على البشر) اى اختاره و فضله على سائر بنى آدم من الانبياء وغيرهم (فلطمه رجل من الانصار) لم يذكروا من هو وفى سيرة ابن اسحق ان اسم اليهودى فنحاص (وقال) اى الرجل الانصارى (تقول ذلك) اى تفضيل موسى على البشر (ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا) جملة حالية اى مع وجود النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الذى هو افضل من موسى وغيره ولفظ اظهر جمع ظهر مقحمة اى بينا (فلغ ذلك) الذى قاله اليهودى والرد عليه (النبى صلى الله عليه وسلم فقال لا تفضلوا بين الانبياء) بالضاد المعجمة اى لا تقدموا على الحكم بافضلية بعضهم على بعض وليس هذا على ظاهره كما سيأتى وجوز بعضهم ان يكون بالصاد المهملة اى لا تفرقوا وتميزوا بعضهم على بعض (وفى رواية لا تخيروا بى على موسى) وهذه الرواية فى الصحيحين وسنن ابى داود والنسائى والنهى عن تفضيل يقع من غيره مؤد الى نقص او على سبيل المعصية والتفاخر فلا ينافى قوله انا سيد ولد آدم ولا فخر وسيأتى تفصيله (وذكر الحديث وفيه ولا اقول ان احدا افضل من يونس ابن متى) وفى هذا الحديث زيادة ذكر موسى وهو من عظماء الرسل اولى العزم فالتفصيل عليه اقوى فيما نحن بصدده ولا وجه لما قيل من انه كان ينبغى تقديم هذا الحديث على الذى قبله والحديث المذكور اولا سبب رجل من المسلمين ورجل من اليهود فقال المسلم مقسما والذى اصطفى محمدا على العالمين فقال اليهودى والذى اصطفى موسى على العالمين فلطمه المسلم فذهب اليهودى الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبره بما جرى بينهما فقال لا تخيرونى على موسى فان الناس يصعقون فاكون اول من يفيق فاذا موسى باطش جانب العرش فلا ادرى احوسب بصعقة الطور او بعث قبلى ولا اقول ان احدا افضل من يونس بن متى وكانت القصة فى عرض سلعة وقال البرهان لا اعرف اسم اليهودى والمسلم اللاطم له وقال غيره اليهودى اسمه فنحاص

اى كما تقدم واللاطم ابو بكر رضى الله تعالى عنه الا ان قوله فى الحديث رجل من الانصار يأباه الان يقال الانصار هنا بمعناه اللغوى وهو خلاف الظاهر وهذه الصعقة هى المذكورة فى قوله تعالى* ويوم ينفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله* وهذا هو الاستثناء المذكور فى الحديث فالصعق الاحياء والاخراج من القبور مجازا لان حقيقتها الصراخ مع غشى يخرمنه وقيل المراد بها حقيقتها وانها فى عرصات القيامة بعد الحشر يوم الفزع الاكبر وقال ابن قيم الجوزية فى كتاب الروح نقلا عن تذكرة القرطبى ان هذه الرواية دخل فيها حديث فى حديث ولذا استشكل عليهم والذى يريح الاشكال ان الموت ليس بعدم محض بل تر حال وانتقال من حال الى حال والانبياء والشهداء احياء لكنهم غيبوا عنا فى مراقدهم فاذا نفخ فى الصور فمن مات حيى ومن كان حيا من الانبياء ونحوهم كالمغشى عليه صعق ثم افاق ولذا ورد فى حديث مسلم فاكون اول من يفيق فلذا تردد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى انه اول من تنشق عنه الارض وافاق ام موسى عليه الصلوة والسلام سبقه لانه حوسب بصعقة الطور فلم يغشى عليه ويصعق وهذه فضيلة لموسى عظيمة فلذا ذكرها ونهى عن تفضيله عليه وان لم يلزم كونه افضل منه من سائر الوجوه فلذا خصه بالذكر وخص يونس لما مر وسئل امام الحرمين عن نبى الجهة ودليلها فقال دليلها قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لاتفضلونى على يونس بن متى لانه خاطب الله فى قعر البحر والظلمات الثلاث بقوله سبحانك كما خاطبه نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فى مقام قربه قاب قوسين على الرفرف فلم يكن ثمه اقرب من يونس (وعن ابى هريرة) فى حديث رواه البخارى (ومن قال انا خير من يونس بن متى فقد كذب) ذكروا فيه احتمالين ان يكون انا عبارة عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اى من فضلنى على يونس عليه الصلوة والسلام فقد كذب وان يكون انا عبارة عن القائل غيره اى اى احد من الناس قال انا خير من يونس لتوهمه انه فضله بعلمه وعبادته وغير ذلك من الفضائل لان احدا لا يبلغ درجة الانبياء عليهم الصلوة والسلام وقد قالوا انه كفر وهذا يؤيد ان المراد الاول ويأتى بيان الثانى فى كلام المصنف رحمه الله (وعن ابن مسعود لا يقولن احدكم انا خير من يونس بن متى وفى حديثه الآخر) اى حديث بن مسعود الذى رواه مسلم وابو داود والترمذى (فجاءه صلى الله تعالى عليه وسلم رجل فقال يا خير البرية) اى يا افضل الخلق كلهم والبرية اى يا افضل الخلق كلهم والبرية بتشديد الياء من برأ يبرأ مهموزا بمعنى خلق من البرأ بمعنى التراب الا انه التزم فيه ابدال الهمزة ياء كما فى النهاية (فقال ذاك) وفى نسخة ذلك والاشارة فخير البرية (ابراهيم) الخليل عليه الصلوة والسلام وهو فى الحقيقة افضل البرية والرسل بعد نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وقال السيوطى انه متفق عليه (فاعلم) جواب الشرط فى قوله

فان قلت وهو شروع فى تحقيق المسئلة والجمع بين الاحاديث المتعارضة فى التفضيل وعدمه (ان للعلماء فى هذه الاحاديث) الناهية عن التفضيل ومايخالفها (تأويلات) تقدم بعض منها وسيأتى تحقيقها (احدها ان نهيه) صلى الله تعالى عليه وسلم (عن التفضيل كان قبل ان يعلم انه سيد ولد آدم) بالبناء للفاعل اوالمفعول اى يعلمه الله وهذا دليل على ان قوله انا السابق عمارة عنه عليه الصلوة والسلام (فنهى عن التفضيل اذ يحتاج الى توقيفه) اى اعلام به من الله واذن فيه فلايقدم عليه بالعقل وكون التفضيل فى الحديث خاصا بموسى ويونس عليهما الصلوة والسلام فيه دلالة عليه فى الجملة فلايرد ماقيل انه لايقتضى المنع مطلقا فتأمله (وان من فضل بلا علم فقد كذب) لانه لايطابق ما فى نفس الامر عنده اذ لم يعلم وهذا تشديد فى النهى والا فاخباره على غلبة ظنه انه واقع لايعد كذبا (وبذلك قوله لا اقول ان احدا افضل منه لايقتضى تفضيله هو) لانه نفى لقوله وهو لايدل على انتفائه فى نفس الامر وماكل ما يعلم يقال وضمير تفضيله هو للاسى صلى الله تعالى وعليه اى تفضيله على يونس اويونس صلى الله تعالى على نبينا وعليه السلام (وماهو فى الظاهر كف) اى امتناع اومنع لغيره (عن التفضيل) بينهم وقد يكون لامر آخر (الوجه الثانى انه قال صلى الله تعالى عليه وسلم على طريق التواضع ونفى التكبر والعجب) بضم فسكون اى عجبه وحيلائه بنفسه ومدحها لها فانه كذلك فى العالم والتكبر اظهار عظمته والعجب استحسانه لنفسه وسيأتى التواضع لين الجانب وخفض جناحه لغيره (وهذا) الجواب (لايسلم من الاعتراض) الوارد عليه لانه يعد الاخبار بخلاف الواقع الذى هو كذب مذموم تواضعا قبل ولان نفى التكبر والعجب يقتضى ثبوتهما له وانه مع ما علم من حاله كيف يتوهم فيه مالا يتوهم فى غيره من صلحاء امته لايخفى انه اعتراض ساقط فان التواضع صفة محمودة وهو من سنته صلى الله عليه وسلم كما تقدم (الوجه الثالث) ان مقصوده صلى الله تعالى عليه وسلم نهيه (ان لايفصل بينهم تفصيلا يؤدى) بضم التحتية وفتح الهمزة وتشديد الدال المهملة اى يخبر ويوصل (الى تنقيص بعضهم) تفعل من النقص اى يقتضى وصفهم عاعيه نقص لهم وذم (اوالغض منه) بفتح العين والصاد المعجمتين المشددا المكسورة كالعصاصة وهى النقص والعيب واصله من غض الطرف والصوت وهو خفضه فاستعير لما ذكر وضميره للبعض وفى نسخة منهم ويفهم من هذا حواره ان لم يؤد لما ذكر (لاسيما) اى خصوصا (فى جهة يونس عليه الصلوة والسلام) اى فى حقه ووصفه لان الجهة تطلق على الصفة ومنه موجهات القضايا ولاسيما عده النحاة من ادوات الاستثناء وليس هذا محل الكلام عليه (اذ اخبر الله عنه بما اخبر) فى قوله ولاتكن كصاحب الحوت الخ (لئلا يقع فى نفس من

لايعلم منه) اى لايعلم من يونس وماقص من قصته (بذلك) اى بسبب ذلك المذكور وهو متعلق بقوله (عضاضة) اى نقص وحقارة يتوهمها من لاعلم عنده وعطف عليه عطف تفسير قوله (واحطاط من رتبته الرفيعة) استعارة بتنزيل شرفه منزلة امر عال حسا نزل من علو الى سفل (اذ قال الله تعالى) حاكيا (عنه اذ ابق الى الفلك المشحون) اى خرج الى سفينة مملوة بما فيها من الناس والمتاع والاباق هروب العبد من سيده حسن اطلاقه عليه اذ خرج بغير اذن ربه وقال تعالى (اذ ذهب مغاضبا) لقومه لما لم يجب دعوته كما تقدم (فظن ان لن نقدر عليه) اى لن نضيق عليه بالعقوبة ويؤيده انه قرئ مثقلا او تمثيلا لحاله بحال من ظن انا لانقدر عليه فى مراغمة قومه لعدم انتظاره لامرنا روى ان معاوية قال لابن عباس ايظن نبى ان لا يقدر الله عليه فقال هو من القدر لا القدرة قال اتراى اى من الارادة فظن انا لن نريد عقوبته (فر بما يحيل) بالبناء للمجهول ونائب فاعله قوله حطيطته وقوله (لن لاعلم عنده) بمعنى القرآن وماقيل فى تأويل هذه الاية متعلق به (حطيطته) اى نقصه (بذلك) ونزول مقامه عن مقام غيره من الرسل لظاهر الاية وقد نقل المفسرون فيه اقوالا لا فقيل معنى ذهب مغاضبا انه غضب من قومه لامر ربه وهذا خلاف الاولى اذا كان حقه الصبر كما وقع لسيدنا صلى الله تعالى عليه وسلم فى احد وغيرها ولايذهب بغير امر ولذا قال الله تعالى له * ولاتكن كصاحب الحوت * واما قوله فظن ان لن نقدر عليه فقد تقدم تأويله وقيل احسن ما قيل فيه ان معناه لن نضيق عليه وقول البيضاوى انها خطرة شيطانية سبقت الى وهمه سميت ظنا للمبالغة مما لايليق ان يقال لعصمة الانبياء عليهم الصلوة والسلام عن مثله (الوجه الرابع منع التفضيل) بين الانبياء والرسل الذى افاده النهى الوارد فى الحديث انما هو (فى حق النبوة والرسالة) نفسهما لا الانبياء والرسل قال السنوسى فى شرح عقايده بعدما ذكر ما قاله المصنف ومما دل على عدم التفاضل بين الانبياء فى نفس النبوة وحقيقتها مع ان يقال ثبت لفلان النبى النصيب الاكمل من النبوة ولفلان النصيب الاوفر منها ونحوه من العبارات التى تقتضى ان النبوة مقولة بالتشكيك ولاشك ان الامتناع من هذه العبارة معلوم من الدين بالضرورة بين السلف والخلف ودل ذلك على ان حقيقة النبوة من المتواطئ المستوى افراده ولايلتفت لمن خالف مقتضاه لوضوح فساده انتهى وفى ذكره ذلك فى النبوة دون الرسالة ايماء لفرق بينهما فى ذلك فتأمله وقريب منه قوله (فالانبياء فيها) اى فى النبوة من حيث هى هى (على حد واحد) فرتبتها وقدرها متحد فيهم (اذهى شئ واحد) اى متحد فى جميعهم (لا تفاضل) اى لاتريد بعضا على بعض (وانما التفاضل) والتفاوت (فى زيادة الاحوال) اى العوارض الطارية عليها (والخصوص) اى ماخص به بعضهم دون بعض (والكرامات)

التى اكرم الله بها بعضهم (والرتب) الدنيوية والاخروية (والالطاف) اى العطايا التى اعطاها الله بعضهم جمع لطف بفتحتين وهو الهدية كما مر فهو استعارة هنا (واما النبوة فى نفسها فلا تتفاضل وانما التفاضل بامور آخر زائدة عليها) طارية لبست من نفس حقيقتها كما بيناه (ولذلك) لما ذكر من ان التفاضل لامر زائد كان (منهم رسل) غير اولى العزم (ومنهم اولوا العزم من الرسل) والعزم القوة والشدة والتصميم على تبعيد ما يراه اولى به و بغيره والرسل جمع رسول وهو صاحب الرسالة من الله بشريعته المأمور بالتبليغ فهو اخص من النبى على المشهور من الرسل بالكسر وهو تتابع الدر ومنه على رسلك اى تمهل وتثبت وقد اختلف فى اولى العزم والحزم منهم فقيل هم خمسة نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله على نبينا وعليهم وهم اصحاب الشرايع وقيل اربعة نوح وهود وابراهيم . محمد صلوات الله على نبينا وعليهم وقيل ستة ابراهيم وموسى وداود وسليمان وعيسى ومحمد صلوات الله على نبينا وعليهم وقيل هود و نوح وصالح وشعيب ولوط وموسى وهم المذكورون على نسق فى الاعراف والشعراء وقيل هم نوح لصبره على اذى قومه وابراهيم لصبره على النار واسحق لصبره على الذبح فى قول و يعقوب لصبره على فقد ولديه ونور بصره ويوسف لصبره على السجن وايوب لصبره على الضر وقيل هم المأمورون بالجهاد وقيل نجباء الرسل المذكورون فى الانعام واختاره الحبر لقوله * اولئك الذين هدى الله الخ * وهذا مبنى على تفسير العزم ثم بين بعض ما وقع به التفاضل فقال (ومنهم من رفع) اى رفعه الله (مكانا عليا) وهو ادريس سبط شيث وجد نوح واسمه قديما اخنوخ رفع الى السماء او الجنة كما قاله المفسرون . وكذا عيسى (ومنهم من اوتى الحكم صبيا) وهو يحيى اذ احكم الله عقله وتباه واتاه الحكمة وفهم التورية واكثر الانبياء بحى بعد الاربعين وقد ذكر مثل هذا فى عيسى ايضا (واوتى بعضهم الزبور) وهو داود وفى نسخة الزبر جمع زبور بمعنى المزبور المكتوب فيشمل موسى وعيسى وادريس وشعيب وداود وقيل انه يكون مصدرا كما فى الحجة لابى على (واوتى بعضهم البينات) اى المعجزات الظاهرة الباهرة التى لم يؤتها احد قبله من احياء الموتى وابرأ الاكمه والابرص ونحوه مما فصله الله تعالى به وهو عيسى عليه الصلوة والسلام (ومنهم من كلم الله) من غير واسطة وهو موسى اذ كلمه بالطور ولما رأى نارا (ورفع بعضهم درجات) عالية فصله بها على غيره وهذا اجمال لفضائل لم تذكر او المراد به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم اذ فصله على من سواه بوجوه متعددة ومراتب متباعدة كدعوته العامة للعرب والعجم والجن والانس والملائكة ومعجزاته الباقية الى يوم القيمة ومن احلها القرآن وغيره مما يفوت الحصر (قال تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض الآية وقال) تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الآية)

هذا بيان لما قبله او ناظر لجميعه كما اشرنا اليه و قوله تلك انه باعتبار الجماعة (قال بعض اهل العلم) بالكتاب والسنة (والتفصيل المراد لهم هنا) عطف على مقدر اوعلى ما تقدم وهنا اشارة لما ذكر قبله (فى الدنيا) متعلق بالتفضيل (وذلك بثلاثة احوال) وفى نسخة لوجه (ان تكون آياته ومعجزاته انهر) اى اقوى واغلب من نهر ضوء القمر الكواكب اذا غلبها واظهر (واسهر) عطف تفسير له كانشقاق القمر والقرآن و انطلاق البحر و انقلاب العصا حية (اوتكون) بالنصب (امته ازكى واكثر) اى انقى واكثر من غيرهم كنبينا صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى * كنتم خير امة اخرجت للناس * وقد ارسل للناس كافة (او يكون) بالنصب (فى ذاته افضل) بزيادة عمله وخصاله المحمودة (واطهر) بالمعجمة اى اسهر و بالمهملة اتقى وانقى (وفضله فى ذاته) ونفسه (راجع الى ما خصه الله به) اى ماله ومعناه (من كرامته) اى اكرام الله له بمآثر ومناقب عظيمة وهم ماله (واختصاصه) بالجر معطوف على مدخول الى اومن وقوله (من كلام) بيان لاختصاصه بمعنى ما خصه به بغير واسطة كموسى و نبينا صلى الله عليه وسلم (اوحلة) تقدمت وانها لابراهيم اوله ولنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم (اورؤية) عينا قبل دخول الجنة كما فى المعراج (اوماشاء الله) واراده لهم غير ما ذكر (من الطاف) بفتح الهمزة اى عطايا كما تقدم وفى نسخة الطافه بالاضافة (وتحف و لايته) اى تحف اولاها لهم (واختصاص) مما اختصهم به من قرة اعين لايعلمها الا هو (وقد روى) بالبناء للمجهول وهذا رواه ابن ابى حاتم والحاكم فى مستدركه عن وهب بن منبه وهو رجوع الى تنزيه يونس صلى الله تعالى عليه وسلم عما ذكر من لاوهام (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان لاسره اثقالا) اى احمالا ثقيلة قال تعالى وتحمل اثقالكم جمع ثقل كسبب و يسكن مقامل الخفة قال الراغب واصله فى الاجسام ثم يقال فى المعانى كالثقله العزم والوزر وهو فى الانسان ذم فى اكثر المتعارف وقد يكون مدحا كقوله * تحف الارض اما بنت عنها * وتبقى ما بقيت بها ثقيلا * * حللت بمستقر الارض منها * فتمنع جانبها ان تميلا * والمراد هنا المشاق التى تكون فى تبليغ الرسالة (وان يونس تنسح منها) الضمير للاثقال والاحمال وتنسح بالنون والسين المهملة المشددة والحاء المعجمة تفعل من النسح اى تقطعت اعصاؤه وتفككت لعدم طاقته صلى الله تعالى عليه وسلم بحملها يقال تنسح البعير تحت الحمل الثقيل وفسخ ثيابه اذا ارالها ومنه فسخ العقود عند الفقهاء (تنسح الربع) تفعل مصدر من النسح والربع بضم الراء المهملة وفتح الباء الموحدة والعين المهملة وهو الفصيل اى ولد الناقة الصغير الذى يولد فى الربيع و بعده الهبع الذى يولد فى الصيف وتنسح منصوب بالمصدرية لتنسح اى تنسح كتنسيحة

اى لم يطق مشاقها ولم يصبر عليها وفى تسببه بالرتبع اشارة الى انه كان فى مبدأ امره وفى قوله انقالا استعارة تصريحية و فى تفسخ استعارة تصريحية تبعية ولا يناف التسبب ويجوز ان تكون استعارة تمثيلية وهو احسن ثم بين مراده فقال (فحفظ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) ينهيه عن التفضيل (موضع الفتنة) اى مايقع الناس بسببه فى فتنة وامر محمد ورمز تنقيص الانبياء عليهم الصلوة والسلام فجعله كانه موضع لها تقرفيه (من الاوهام) التى يتوهمها من لا علم له وهو متعلق بحفظ اى صانه مما يتوهم اوهو بيان لموضع (من يسبق اليه بسببها) اى المواضع اوالاوهام وقيل المراد بسبب اثقالها من سام وضجر وقيل بسبب فتنة وقيل بسبب قصة يونس عليه السلام (جرح فى نبوته) بفتح الجيم اى ذكر مالا يليق بمقام النبوة مما يقتضى عدم العصمة (اوقدح فى اصطفائه) اى ذم وتنقيص لكونه صفوة مختارا عند ربه مفضلا على غيره والقدح ذكر المعايب والنقايص (وحط من رتبته) اى تنزيل له من علو مقامه (ووهن فى عصمته) اى عد عصمته فيها ضعف لما توهمه من ظاهر قصته السالفة فلذا نهاهم صلى الله تعالى عليه وسلم عن تفضيله عليه فضلا عن تنقيصه لتساويهم فى حقيقة النبوة وان تفاوتت احوالهم وصفاتهم كما سمعته مفصلا (شفقة منه) صلى الله تعالى عليه وسلم بالنصب مفعول له اوعلة لحفظ (على امته) اى يقع منهم ما لا يليق بمقام النبوة فيكون لهم وزر يستحقون به سوء العاقبة نسحط الله تعالى وعقابه (وقد يتوجه) اى يحصل توجيه آخر فى الجواب عما مر اويتأتى وينبئ (على هذا الترتيب) اى على ما رتمناه على البوة من الاختصاص بامور اكرمها الله تعالى بها (وجه خامس وهو ان يكون لفظ انا) فى احاديث السابقة (راجعا الى القائل نفسه) المذكور فى قوله لا ينبغى لاحد ان يقول فليس المراد بضمير المتكلم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما فى الوجوه المتقدمة اى (لا يظن احد) من الناس غير الانبياء (وان بلغ من الزكاء) اى انه بلغ من الزكاء بالراى المهملة اى الصلاح وزيادة الخير قال التلمسانى انه بخط المصنف رحمه الله تعالى هكذا ورواه العرقى تليد المصنف بالدال المهملة وهو الفطنة (والعصمة) اى الحفظ من الذنوب وليس المراد بها ما خص به الانبياء وهى المذكورة فى قوله اسألك العصمة فى الخطرات والسكنات ولذا حور بعضهم الدعاء بها ومنعه بعضهم كما فصله ابن حجر فى فتاويه والطهارة اى البراءة من الاوزار (ما بلغ) اى مبلغا عظيما فما مصدرية اوموصولة (انه خير من يونس) ابن متى وهذا معمول يظن المنفى (لاجل ما حكى الله عنه) تعليل لظنه اى ما قصه فى قصته من لومه على تضجره وعدم صبره على قومه لتماديهم فى عيهم وعدم اجابتهم دعوته صلى الله تعالى عليه وسلم للايمان وسوق كلامه موذن

باب القائل من غير الانبيا كما يشهد له قوله (فان درجة النبوة) ورتبتها العالية (افضل واعلى) عند الله من درجة غيرهم من الاتقياء وهذا امر فرضي اومبني على عدم العلم بالنهي عن مثله فلا يرد عليه انه كيف يكون نقيا وقد صدر منه تنقيص الانبياء الذي قيل انه كفر وايضا كيف وصفه بالعصمة وهو غير نبي (فان تلك الاقدار) جمع قدر بفتح القاف والذال المهملة اى ماقدره الله عليهم لحكمة باهرة ولبس بمعجمة وان جاز تأويله بانه بالنسبة لمقامهم ذنب مستقذر فانه غير مناسب لفظا ومعنى (لم يحطه عنها) اى لم ينزل يونس عليه الصلوة والسلام عن درجته (مقدار حبة حردلة) التي هي اصغر الحب والاحسن حبة خردل بدونها (ولا ادنى) اى اقل واصغر من حردلة اى لم ينقصه اصلا (وسنزيد في القسم الثالث في هدايانا) بايضاحه وتفصيله (ان شاء الله) ذلك (فقد بان لك الغرض) المقصود الذي قصدناه في هذا الكتاب (وسقط بما حررناه) اى بما قررناه اولخصناه اوكتبناه (والتحرير التلخيص) واظهار الزبدة لان اصله جعل الشيء حرا اى خالصا ومنه حر الوجه لاكرم موضع منه والحر المقابل للعبد والتحرير بمعنى الكتابة من الخاص الذي صار عاما واصله كتابة ملخصة اوكتابة العتاقة كما في الكشف (شبهة المعترض) الذي اعترض على ماتقدم ولو قال من اعترض كان سجعا لكن المصنف رحمه الله تعالى لم يقصده ولما كان ماتقدم في ذكر فضائله واسمائه صلى الله عليه وسلم دالا على ذلك عقبه بذلك كما اشار اليه بقوله

﴿ فصل في اسمائه ﴾ صلى الله تعالى عليه وسلم

(ومانبعثه من فضيلته) اى ماهو بعض مدلوله اولازم لمقتضاه حتى كانه ضمنه والاسماء جمع اسم والكلام على كونه من السمة اوالسمو اعتنا باشهريته عن ذكره واما البحث عن كونه عين المسمى اوغيره فبحث لاطائل تحته فلا وجه لذكره هنا وقد افردناه بالتأليف والاسم له معان فيطلق على مقابل الفعل والحرف وعلى مقابل اللقب والكنية وعلى مقابل الصفة المشتقة ويكون بمعنى العلم والظاهر ان المراد به هنا ماشاع اطلاقه عليه صلى الله عليه وسلم سواء كان علما اوصفة اوغيرهما وسواء اختص به وضعا ام لا فهو العلم ومايشبهه وكثرة الاسماء تدل على شرف المسمى ولو ادعاء فلا يرد كثرة اسماء الخمر اوهو اكثر وهو اظاهر وفي شرح الترمذي ان للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم الف اسم كما ان لله تعالى الف اسم ونقل معلطائي انها تبلغ مائة وقيل انها تسعة وتسعون كاسماء الله ومنها ماهو بلفظ الفعل والمصدر واكثرها صفات مادحة كما اشار اليه المصنف بقوله تضمنه من فضيلته ولابن دحية تأليف مستقل في اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ان المصنف رحمه الله تعالى ذكرها حديثا رواه الشيخان عن محمد بن جبير عن ابيه بسند متصل الا ان المصنف رواه عنه مرسلا لعلو سنده فيه بدرجتين فقال (حدثنا ابو عمران موسى ان ابي تليد العقبي) تليد

بفتح المثناة الفوقية وآخره دال مهملة بمعنى قديم العهد لولادته معه فتاؤه مبدلة من واو وهو ضد الطارف وقد تقدمت ترجمته (قال حدثنا ابو عمر الحافظ) ابن عبد البر وقد تقدم ايضا قال (حدثنا سعيد بن نصر) تقدمت ترجمته ايضا قال (حدثنا قاسم ابن اصبغ) بهمزة مفتوحة وصاد مهملة وموحده تحتية وعين معجمة وهو قاسم ابن اصبغ ابن محمد بن يوسف بن واضح بن عطاء الامام الحافظ محدث الاندلس ابو محمد الاموى مولاهم القرطبي كان صدرا عالى الاسناد ثقة ولذا قطع الرواية فى آخر عمره حوفا من العلط ولد سنة سبع واربعين ومأتين وتوفى بقرطبة فى جمادى الاولى ولد سنة سبع واربعين ومأتين وتوفى بقرطبة فى جمادى الاولى سنة اربعين وثلثمائة قال (حدثنا محمد بن وضاح) بن يزيغ متولى ملك الاندلس ابو عبد الرحمن ابن معاوية الحافظ محدث الاندلس ابو عبد الله القرطبي مولده سنة تسع وسبعين ومائة او سنة مأتين بقرطبة وتوفى فى المحرم سنة سبع وثمانين ومأتين قال الذهبى انه صدوق روى عنه كثير من اهل الاندلس قال (حدثنا يحيى بن يحيى) الليثى عالم الاندلس وراوى الموطأ وليس له رواية فى الكتب الستة الا نادرة وقد تقدم الكلام عليه (عن مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم عن ابيه) ومحمد هو ابو على وقد روى عنه الزهرى وهو روى عن ابيه جبير بن مطعم بن عدى بن نوفل وهو صحابى اسلم بعد الحديبية وروى عنه ابنا محمد ورافع وروى عنه ابن المسيب وكان سيدا وقورا توفى سنة تسع وخمسين واخرج له الائمة الستة واحمد فى مسنده وهذا الحديث اخرجه مالك فى الموطأ والترمذى فى الشمائل والبخارى وهو حديث صحيح مسندا (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لى خمسة اسماء) قدم الجار والمجرور للتقرير والتأكيد او للتخصيص باعتبار انه لم يسم بها احد قبله او لاشتهارها فى الامم الماضية بالتخصيص المستفاد من التقديم اضافى لا حقيقى لزيادتها على ذلك وقال السيوطى فى كتاب الروض الانيق فى اسماء خير الخليقة انه يطلعه الله تعالى على بقية اسمائه وقال المصنف رحمه الله تعالى فيما يأتى قيل انها موجودة فى الكتب القديمة وعند الامم السالفة وردبان فيها اكثر فالحق ان مفهوم العدد غير معتبر فلا يفيد الحصر وقال ابن عساكر فى كتاب المبهمات يحتمل ان لفظ العدد ليس من كلام النبى صلى الله تعالى عليه وسلم او التخصيص لان المراد خمسة اسماء فاضلة او معظمة مشهورة انتهى ولا يخفى ما فيه وانه مخالف للظاهر وقال ابن فارس ان اسماءه صلى الله تعالى عليه وسلم الفان وعشرون وقيل المراد خمسة سماني بها ربى وباقيها اوصاف واسماءه صلى الله تعالى عليه وسلم توقيفية فلا يجوز ان يسمى عالم يسمه به الله او يسمى هو به نفسه او ابوه وحده (انا محمد وانا احمد وانا الماحى الذى يمحو الله بى

الكفر) اى يزيله حقيقة من جزيرة العرب وحكما من جميع الارض وقيل كما يأتى
فى الحديث يمحو به سيئات من تبعه كقوله تعالى * قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم
ماقد سلف * وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم كان الظاهر ان يقول به لكنه
راعى فيه المعنى كقوله * انا الذى سمتنى امى حيدرة * والكلام عليه مفصل فى كتب
العربية (وانا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى) بتشديد الياء مفتوحة
وتخفيفها ساكنة اى يحشرون على اثرى وبعد نبوتى اذ ليس بعده صلى الله تعالى
عليه وسلم نبى كما يأتى تفسيره وقد روى ان الحسر الذى يحسر الناس خلفه وعلى
ملته دون ملة غيره (وانا العاقب) الآتى عقب الانبياء عليهم الصلوة والسلام فلا نبى
بعده وعيسى عليه الصلوة والسلام تقدم انه يأتى على شريعته وقال ابن الاعرابى
العاقب من يعقب غيره فى الخير ومنه العقب بمعنى الولد وسيأتى تفصيل معنى الحديث
(وقد سماه الله فى كتابه) وهو القرآن (محمدا واحمد) فى قوله تعالى * ما كان محمد ابا
احد من رجالكم * وقوله يأتى من بعدى اسمه احمد * وكونه محكيا عن عيسى عليه
الصلوة والسلام لا ينافى كون المسمى له الله ولما قيل ان عيسى عليه الصلوة والسلام
انما اطلعه الله عليه باعلام الله واذنه له فالمسمى حقيقة هو الله (من خصايصه تعالى
له) اى الكائنة له ان قلنا بجواز حذف الموصول مع بعض الصلة فهو صفة له او هو
متعلق به لما فيه من معنى التكريم وقيل انه مفعول له واللام زائدة للتقوية والظاهر انه
اسم غير موصوف بالتعدى وضده (ان صح اسماء) ما عمل ضمن ضمير الله والضمير
المضاف اليه للنبى صلى الله عليه وسلم (شاءه) مفعول ضمن وهو مصدر مضاف للفاعل
او للمفعول باعتبار ان الضمير لله او للرسول ان شاء الله عليه (وطوى اثناء ذكره)
بفتح الهمزة وسكون المثلثة والمراد جمع ثنى كفعل وهو ما انعطف من الوادى ويقال
هو فى اثنائه ومثانيه اى داخله ونصبه على الظرفية وطوى من قولهم طوى الثوب
اذا عطف بعضه على بعض وهو كناية عن الكتم والاخفاء فالمعنى اخفى داخل ذكر
نبى اى فى اسمائه التى سماه بها (عظيم شكره) اى شكره العظيم والضمائر لله او للنبى
فان كان ضمير شكره للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاضافته له من اضافة الفاعل
او المفعول اى كونه شاكرا او مشكورا شكرا عظيما لان اكثرها اوصاف علت عليه
او اختصت به اختصاص الرحمن بالله مع بقاء الوصفية او اعلام منقولة ملوح اصلها
فيفيد المدح والاعلام وضعت لتعيين الذات لكن المنقولة من الصفات تشعر
بمعانيها الاصلية ولذا جاز دخول آل عليها وعظم اعلامه كذلك (فاما اسمه
احمد) وزنه (افعل مبالغة فى صفة المحمد) مبالغة مرفوع خبر بعد خبر او منصوب
مفعول له والجار والمجرور صفة والمبالغة لانه افعل تفضيل حذف المفضل عليه
قصدا للتعميم نحو الله اكبر اى من كل شئ ثم نقل ولحظ اصله فلا يرد عليه انه علم

فكيف يفيد ماذكر وماقيل من انه للتفضيل لا للمبالغة والمبالغة لها صيغ مخصوصة فقد وهم واطاله من غير طائل على عادته وقال السخاوي في سفر السعادة احمد اسم النبي صلى الله عليه وسلم ليس بمنقول من المضارع ولا من افعل التفضل فهو كاحمر واصفر وهو ابلغ من محمد وهو كل من تكاملت مناقبه وبلغ النهاية في الحمد قال الاعشى

* اليك ابيت اللعن كان كلالها * الى الماجد القرم الجواد المحمد *

انتهى وفيه نظر لا يخفى وقدمه المصنف رحمه الله تعالى لانه اسمه صلى الله تعالى عليه وسلم في الكتب القديمة وقد سماه به موسى وعيسى عليهما السلام كما نطق به القرآن وسماه الله به لانه حمده في مقام لم يحمده فيه سواه بمثل محامده كما تقدم وستأتي تتمته

(ومحمد مفعل مبالغة من كثرة الحمد) فهو في الاصل اسم مفعول من التفعيل فينبئ عن الكثرة ففيه مبالغة ايضا ولهذه الصيغة معان احر مذكورة في كتب التصريف وفي شرح الهادي انه مرتجل قال ابن معطي وهو غلط وتوجيهه بانه لم يستعمل في غير العلمية يرده بيت الاعشى المذكور وروى عن ابن عباس سند متصل كما رواه البيهقي في دلائل النبوة انه لما ولد صلى الله تعالى عليه وسلم عق عنه عبد المطلب بكبش وسماه محمدا فقيل له يا ابا الحارث ما حملك على ان سميته محمدا ولم تسمه باسم آبائه فقال اردت ان يحمده اهل السماء ويحمده الناس في الارض واخرج عنه ابن اسحق مسندا ان امه آمنة بنت وهب حدثت انها اتيت حين حملت به صلى الله تعالى عليه وسلم فقيل لها انك قد حملت بسيد هذه الامة فاذا وقع الى الارض فقولي * اعيذه بالواحد * من شر كل حاسد * وكل برعاهد * وكل عبد رائد * يرود غير رائد * وروى فانه عند المجيد الماجد * حتى اراه قد اتى المشاهد * فاذا وضع فسميه محمدا فانه اسمه في التورية احمد يحمده اهل السماء والارض واسمه في الفرقان محمد فسمته بذلك وقال ابو الربيع ابن سالم في سيرته روى ان عبد المطلب انما سماه محمدا لرؤيا رآها كان سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها طرف في السماء وطرف في الارض وطرف في المشرق وطرف في المغرب ثم عادت كانها سجرة على كل ورقة منها نور واهل المشرق والمغرب يتعلقون بها فقصها فعبرت بمولود من صلبه يتبعه اهل المشرق والمغرب ويتبعه اهل السماء والارض فلذا سماه محمدا مع ما حدثته به آمنة انتهى (فهو صلى الله تعالى عليه وسلم اجل من حمد) بفتح الحاء وكسر الميم والبناء للفاعل اي اجل الحامدين (وافضل من حمد) بالبناء للمجهول قيل انه لف ونشر مرتب فالاول راجع الى اسم احمد والثاني لمحمد والتفضيل استفيد من محمد لما فيه من التكثير وكون الله لم يسم به غيره فكان افضل من حمد والحمد مصدر محتمل للحامد به والمحمودية وان تعين في محمد الثاني وحور

ابن القيم فى احمد ان يكون بمعنى المفعول اى اكثر محمود به والفرق بينه وبين محمد انه لزيادة الكيفية ومحمد لزيادة الكمية وهذا ابلغ فى مدحه صلى الله تعالى عليه وسلم ولوارید الفاعل لقيل حماد بدل احمد واعترض عليه بانه تخصيص من غير مخصص وبناء اسم التفضيل من المفعول شاذ كاشغل من ذات التحيين وكون حماد ابلغ من احمد كما اقتضاه كلامه لاوجه له (اقول هو لم يعين ماقاله وانما ادعى جوازه وانه اولى لسلامته من التكرار والتزاد فى الذى هو خلاف الاصل وترجيحه حماد على احمد ليس لانه اكثر واقيس واما كون التفضيل من المفعول شاذ فمسلم ولكنه سمع من العرب فى قولهم العود احمد واثبته العلامة الزمخشرى واول من قال العود احمد خداش ابن حابس التميمى وقول المصنف (واكثر الناس حمدا) اى محمود به بدليل قوله (فهو احمد المحمودين) والاعتراض عليه بما ورد على ابن القيم ساقط لما سمعته آنفا (واحمد الحامدين) هو ومابعده بيان لوجه التسمية بهما ويصح ارجاعه لكل منهما من غير لف ونشر قيل اسمه احمد قيل محمد فى التوأتين فانه تعالى لما خلق نوره قبل كل مخلوق حمده بمحامد الهمه اياها لم يحمده بها غيره وكان احمد من دخل تحت كلمة كن فى عالم الخلق والامر ولما ظهر للثقلين حمده على السنتهم استحق ان يسمى محمدا فاذا كان يوم القيامة كان احمد الخلق فسمى احمد فلما عمت شفاعته العظمى حمده الخلق فسمى محمدا وفيه من التكلف مالايخفى ويأتى فيه كلام للسهيلى (ومعه لواء الحمد يوم القيامة) تقدم ان اللواء علم الجيش وهو اكبر من الراية اى انه تحت امره او فى قبضته وهذا يحتمل انه على حقيقته ليعلم انه صلى الله تعالى عليه وسلم نال هذه المرتبة تفوقه على كل مخلوق فى كونه حامدا ومحمودا ومعنى لواء الحمد انه لواء يتبعه كل حامد ومحمود ويعلم ذلك بالهام الله او بنداء الملائكة معه او باعلان الحمد حلفه ونحوه واصحاب الحمد حينئذ من لهم الشفاعة وكلهم الانبياء ويحتمل انه تمثيل لشهرته صلى الله عليه وسلم فى اهل الموقف وعدم التأويل اسلم (ليتم له كمال الحمد) متعلق بالمفعول او الفاعل واختار الزمخشرى الاول واتمام حمده له باشتهاره وتسليم كل احد له من غير تردد كما كان فى الدنيا لبعض اهلها كما اشار اليه بقوله (ويشتهر) وفى نسخة ويتشهر (فى تلك العرصات) بسكون الراء ويحور فتحها وعرصة الدار ساحتها وهى البقعة الواسعة التى ليس فيها بنات وجمعها عراص وعرصات وفى التهذيب سميت ساحة الدار عرصة لان الصبيان يعرصون فيها اى يلعبون ويمرحون والمراد هنا ارض الموقف والمحشر (بصفة الحمد) وهو الثناء على الجميل الاختيارى على جهة التعظيم وقيل حقيقته اظهار الصفات الكمالية باللسان او بغيره وفيه كلام فى شرح الزوراء للجلال الدوانى (ويبعثه ربه مقاما) اى فى العرصات (مقاما محمودا كما وعده) بقوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا

﴿ ونصب ﴾

ونصب مقاما على المفعولية بتضمين بعث معنى يعطى او على الظرفية لمشابهته للمبهم اوهو حال على مافصل فى الكشاف وشروحه ثم بين محموديته بقوله (يحمده فيه الاولون والآخرون) اى جميع الخلق لانهم تحت لوائه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مقام الشفاعة العظمى حين اعترف جميع الرسل بالعجز وقيل له اشفع تشفع (بشفاعته صلى الله تعالى عليه وسلم لهم) فى فصل القضاء كما تقدم (ويفتح عليه فيه) اى فى ذلك المقام (من المحامد) جمع محمدة بمعنى حمد اى يلهمه الله محامد عظيمة يحمده بها تمه واصل الفتح ضد الخلق فاستعير للاعطاء والالهام وتيسير الامور كما استعير المغلق للصعب ومن بيان لمقدر اى امرا ونحوه اولما بعده ان قلنا بجوازه كامر وقوله (كما قال عليه الصلوة والسلام) اشارة الى وروده فى الحديث كما تقدم (مالم يعط غيره) من الانبياء و يعطى مبنى للمجهول وغيره بالرفع نائب الفاعل (وسمى) الله تعالى لعلمه من السياق اوهو مجهول وهو الاولى (امته فى كتب ابيائه) كالتورية والانجيل كما ورد فى الاحاديث (بالحامدين) اى المبالغين فى الحمد وروى الدارمى عن كعب انه قال نجد مكتوبا فى التورية محمد رسول الله مولده بمكة وهجرته بطيبة وملكه بالشام وامته الحمادون الى آخره (فحقيق ان يسمى محمدا واحمد) اى بان يسمى لانه يتعدى بالباء وقد يتعدى بعلى كما فى حقيق علىّ ان لا اقول على الله الا الحق لما فيه من معنى الوجوب كما فى الحجة لابى على وتعريفه على ماقبله لانه اذا احمد عما لم يحمده غيره وحمده الاولون والآخرون وكثر حمد امته كان جديرا بذلك (ثم فى هذين الاسمين) محمد واحمد اى فى تسمية الله له بهما قبل وجوده (من عجائب خصائصه) اى من العجائب التى خصه الله بهما ولم يسق احد لمثلها (وبدايع آياته) اى غريب علاماته التى اخترعت وتفسير البديع بالحسن فيه مسامحة (من آخر) اى نوع آخر غير ماتقدم (وهو ان الله جل اسمه) اى عظم فى ذاته وفيه مناسبة وايماء لعظمة اسم نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم ادقرنه باسمه وخصصه كما اختص باسمائه الحسنى (حمى) اى منع وصان عن (ان يسمى بها احد قبل زمانه) مع ذكرهما فى الكتب القديمة والامم السالفة كامر وبشر نبى اسمه احمد واعاصان اسمه ليعلم اذا سمى بهما انه النبى الموعود به وعد من الخصائص لانه بعد الاعلام باسمه منع من التسمية به مع انهما اعلام مقولة فلايرد ان كثيرا من الاعلام المرتجلة للانبياء وغيرهم لم تسق تسمية غيرهم بها كآدم وشيث ونوح ويحيى قال تعالى * ولم نجعل له من قبل سميا (اما) اسمه (احمد الذى اتى فى الكتب) الالهية السالفة (وبشرت به الانبياء) كعيسى وموسى كما قال تعالى * ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه احمد * وقال تبع الاول كما نقل فى السير * ويملك بعدهم رجل عظيم * نبى لايرخص فى الحرام * يسمى احمد باليت انى * اعمر بعد مخرجه بعام (شمع الله بحكمته) اى بسبب حكمته

او معا ملتبسا بعلمه وحكمته التى استأثر بها او اطهرها لبعض خلص عباده (ان يسمى به احد غيره ولا يدعى) مبنى للمجهول بوزن يرمى اى يسمى (به مدعو قبله) يسمى قبله قال اكثر العلماء ان هذا هو الصواب وما نقل من ان الخضر عليه الصلوة والسلام اسمه احمد قول مردود واه كما قاله ابن دحية واما احمد بن عجيان بضم العين المهملة وسكون الجيم وشاة تحتية بزنة سفيان وبفتح الجيم وتشديد الياء فلا اصل له وقيل تسمى فى الجاهلية قبل الاسلام بزمان طويل احمد بن تمامة الطائى واحمد بن دوماء الكيلى واحمد بن زيد بن خراش السكسكى ومن القبائل بنو احمد فى همدان وبنو احمد فى بكيل وبنو احمد فى طى ولم يكن قريبا من عهده من تسمى صيانة له واما بعده فاول من تسمى به احمد بن عمرو ابن تميم الفرهودى او الفراهيدى ابو الخليل النحوى الزاهد وبركة هذا الاسم كان له من العلم والتقوى ما لم يكن لغيره ثم بين حكم صيانته بقوله (حتى لا يدخل على ضعيف القلب لبس) اى التباس واشتباه لعدم تمييزه وضعف القلب من لا عقل له تام ورأى صائب ونظر مفرق بين الحق والباطل فيتردد فى صدق مدعى النبوة بمجرد شئ سبق له فيجوز كونه احمد الموعود به فى الكتب فضعف القلب كناية عن قلة العقل الذى هو محله وقوته كناية عن ضده وان اشتهر فى الجرأة وعدمها (او شك) معطوف على لبس ويجوز ان يراد به هنا ما يقابل الوهم والظن ومطلق التردد وعدم الجزم ومن ظن يقينه هنا وتأييده بما لا يجدى لبس شئ (وكذلك محمد) اى مثل احمد فى عدم التسمية به قبل بعثته صلى الله تعالى عليه وسلم وجعله مشبها به لانه لم يسم به اصلا على الاصح (ايضا) مصدر آض بمعنى عاد ورجع ويراد به فى العرف التشبيه فهو تأكيد لقوله كذلك (لم يسم به احد من العرب ولا غيرهم الى ان شاع واشتهر قبل وجوده صلى الله عليه وسلم) قيل فى النسخ مصحف كعيد لتقليل زمانه وتقريبه (وميلاده) عطف تفسير على وجوده اى ولادته اوزمانها وقيل الميلاد وقت الولادة والمولد مكانها وجملت به صلى الله تعالى عليه وسلم امه آمنة نهارا وولد ليلا فى شعب ابى طالب عند الجمرة الوسطى ووافق مولده يوم عشرين من نيسان سنة اثنين وثمانين وعاما ئة من التاريخ الاسكندرى وقيل كان فى الساعة العاشرة لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الاول فكان كما قيل * ربيع فى ربيع فى ربيع * وقيل ولد فى شعب بنى هاشم بعد الفيل بشهر او اربعين او خمسين او تسعة وخمسين يوما وقيل غير ذلك وسيأتى تفصيله ان شاء الله تعالى (ان نبيا يبعث) اى يرسل من بعث بمعنى اثار وقد فصل زمان بعثه بعثه وسنه اذ بعث فى السير (اسمه محمد فسمى قوم قليل من العرب ابناءهم بذلك) الاسم (رجاء ان يكون) اى لاجل رجاء ان يكون الولد المسمى به (احدهم) اى احد ابنائهم المسمى بمحمد (هو) اى النبى الموعود ببعثه فهو اسم يكون واحدهم منصوب

خبر مقدم اومرفوع اسمها وهوخبرها استعير فيه ضمير الرفع لضمير النصب والاصل اياه والاول اولى (والله اعلم حيث يجعل رسالاته) اقتباس لبيان انه لم يقدهم ذلك اذلبس كل محمد رسول ولا كل فاطمة بتول والآية رادة لهم كما تبطل قول من زعم من الحكماء ان النبوة والرسالة تكتسب بالمجاهدة وتصفية الباطن فانها موهبة الهية وان اختصت بمن جد فى العبادة والتصفية حتى صار احسن الناس حلقا وخلقا الى غير ذلك مما يستعد به لتلقى وحيه ومشاهدة ملائكته وحيث ظرف متصرف هو هنا مفعول به لفعل مقدر اى يعلم لان افعل لاينصب المفعول وان صح تعلق الجار والظرف به ولبس هو هنا ظرفا لان علمه تعالى لايوصف بانه فى مكان اوزمان لقدمه وتعاليه فى كتب العربية ويجوز افراد رسالته كما قرئ به هنا وانما سموا ابناء هم به لما بلغهم من الاخبار والكهان وروى فى المبشرات وتسروا بقرب زمانه وكانوا ينتظرونه انتظار المحب لحبيب له سيقدم (وهم) اى المسمون باسمه قبل ظهوره صلى الله تعالى عليه وسلم رجاء لكونه المبشر به (محمد بن احيحة بن الجلاح الاوسى) وقال البلاذرى انه محمد بن عقبة بن احيحة وتردد فيه ابن حجر فى الاصابة واحيحة بضم الهمزة وحاء مهملة مفتوحة يليها مثناة تحتية ساكنة ثم حاء مهملة مفتوحة وهاء والجلاح بضم الجيم وفتح اللام المخففة ثم الف وحاء مهملة والاوسى نسبة للاوس قبيلة الانصار (ومحمد بن مسلمة الانصارى) ابن خالد بن عدى بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الاوس الانصارى ووصف هذا بالانصارى دون محمد بن احيحة وهو من قبيلة الانصار لانه لم يسلم وانما يقال الانصارى لمن اسلم منهم ولذا قال الذهبى من عد محمد بن احيحة من الصحابة فقد وهم لانه لم يدرك الاسلام وانما هذا ابو عبد الرحمن المدنى حليف بنى عبد الاشهل المولود قبل البعثة باثنين وعشرين سنة وهو ممن سمى محمدا فى الجاهلية كما فى الاصابة عن الواقدى من غير تردد فيه وهو صحابى شهد بدرا وكان عمر رضى الله تعالى عنه يعده لكشف المعضلات فى خلافته ومات بالمدينة سنة ثلاث واربعين وقيل غير ذلك وهو من قدماء الصحابة وقول بعض الشراح ان ذكر المصنف لمحمد ابن مسلمة ليس فى محله لانه يصدد ذكر من سمى محمدا قبل مولده وهو ولد بعد مولده بنحو عشرين سنة لاوجه له لما سمعته من خلافه مما هو مصحح فى السير نقلا عن الواقدى وما قاله قول مرجوح وان ما قاله معلطاى فى سيرته (ومحمد بن براء البكرى) نسب لبكر قبيلة مشهورة وبراء بموحدة تحتية مفتوحة وراء مهملة تليها مدة وهو ابن طريف بن غشوارة بن عارب بن لهب بن بكر بن عبد مناف بن كنانة واسم ابيه براء رأيته مصححا كذا فى حواشى الحلبى وفى غيره بدا بفتح الوحدة وتشديد الدال المهملة قيل وقد تخفف وقال البرهان الحلبى ان محمد بن احيحة ومحمد بن مسلمة

ومحمد بن براء لم يدركوا الاسلام بل هلكوا في الجاهلية فعدهم فيمن اسلم امر عجيب فلا يليق بالمصنف وان كانوا ممن سمي بمحمد قبل البعثة (و) كذا (محمد بن سفيان بن محاشع) التميمي فانه لم يدرك الاسلام وقد خطئ ابو نعيم في عده من الصحابة (ومحمد بن حمران الجعفي) بضم الحيم نسبة لجعفة قرية معروفة وحمران بضم الحاء المهملة وسكون الميم وراء مهملة ثم الف ونون وفي بعض نسخ السير عمران بدله وهذا ايضا لم يدرك الاسلام كما قاله البرهان (ومحمد بن حزاعي السلمي) بضم السين المهملة وفتح اللام وميم وياء نسبة لقبيلة وحزاعي بضم الحاء وزاي معجمتين والف وعين مهملة نسبة لحزاعة وهو من بني ذكوان واسم ابيه علقمة وهو لم يدرك الاسلام ايضا كما قاله البرهان الا ان هذا لا يعترض به على المصنف لانه انما عد من تسمى محمدا قبل الاسلام اسلم ام لا وهم ست (لا سابع لهم) وهذا على ما اختاره المصنف ومنهم من نقص عددهم كالسهيلي فانه لم يزد هم على ثلاثة ومنهم من زاد حتى بلغ العشرين كما قاله ابن حجر مع تكرار في بعضهم وتردد في بعض وسيأتي لهم سابع وقد علمت ما طعن به في محمد بن مسلمة (ويقال ان اول من تسمى به) اي باسم محمد قبله صلى الله تعالى عليه وسلم وفي نسخة بمحمد (محمد بن سفيان) ابن محاسع التميمي السابق ذكره (واليمن) اي اهله فهو من اطلاق اسم المحل على الحال فيه (تقول) وفي نسخة يقولون لم يسم به اولا هذا (بل) الذي سمي اولا (محمد بن اليحمد من الازد) وفي نسخة الاردي نسبة الى الازد من اليمن ابو هم ارد ذي العوت ويقال اسد وفي نسخة بعد ما ذكر ومحمد بن سراة بالسين ايضا ومن نسله الانصار كلهم وازد شنوءة عمان والسراة واليحمد قال البرهان انه في النسخ بفتح الياء وسكون الحاء وضم الميم وقال ابن ماكولا انه بضم الياء وسكون الحاء المهملة وكسر الميم واصحاب الحديث يضمون الميم وفي شرح مسلم للنووي انه بضم الياء وسكون الحاء وكسر الميم وكذا في تقييد المهمل للعساني وهو علم منقول من المضارع وآل مقاربة لقوله لا داحلة بعد العلمية فانه شذ قبلها كقوله * ما انت بالحكم الترضى حكومته * ولا كيف به بعدها * وقال ان هذا ليس من السنة فيكون سابعا وهو ينافي قوله هما لا سابع لهم وفي سيرة معلطاي زيادة محمد بن عدي بن ربيعة المقري ومحمد بن عثمان السعد قال واظنهما واحدا ومحمد الاسيدي ومحمد بن عتواة الليثي ومحمد بن جرمان العمري ومحمد بن حولة العمالي ومحمد بن يزيد بن ربيعة ومحمد بن ابرواية بن مالك فزاد تسعة او ثمانية وتوقف المصنف رحمه الله تعالى في واحد منهم وقد قيل في بعض هؤلاء انه ادرك الاسلام وكلام المصنف لا ينافي هذا الا في قول الانصاري كما تقدم والامر فيه سهل اذ لا مانع من اطلاقه على من لم يسلم لقرابته منهم تسمحا (ثم حمى الله) اي صان ومنع بصرفه الهمة (كل من تسمى به) اي بمحمد قبله صلى الله تعالى عليه وسلم (ان يدعي النبوة) تقديره من ادعى ادعائها بنفسه بان يقول انا نبي

(او يدعيها احد له) بان يقول هو نبي (او يظهر عليه) بفتح الياء التحتية وضمها مبني للفاعل ويجوز بناؤه للمجهول والاول اظهر وضمير عليه لمن (سبب تمسكه احد في امره) اي شيء في ذاته يكون سببا موقعا للناس في شك في انه هو النبي الموعود كنجابته وصفاته الباهرة كما وقع له صلى الله تعالى عليه وسلم من الارهاصات والاخلاق الباهرة او يجري على يديه ما يشككهم من سحر ومخرقة والعطف بأو بعد حتى الذي هو في معنى النفي والنهي يفيد العموم كقوله ولا تطع منهم آثما او كفورا ولو عطف بالواو اوهم ان المحمي عنه المجموع وان وقع بعض منها (حتى تحققت) اي ظهرت وتبينت في الخارج (السمتان) اي الصفتان اللتان هما المحمدية والاحمدية اللتان هما علتان لموافقة اسمه لمسماه وفي بعض النسخ السيمتان بياء بعد السين وهو خطأ كما قال التلمساني وطغيان من القلم (له صلى الله عليه وسلم) متعلق بالفعل او بالسمتان وهو تسميته بما هو دال على انه المبشر به في الكتب السالفة والامم الماضية فادعى الرسالة وشهدت له الكائنات بصدق دعواه (ولم ينازع فيهما) بفتح الراي المعجمة والنون للمجهول اي لم ينازعه احد في السمتين (واما قوله) صلى الله تعالى عليه وسلم في هذا الحديث (وانا الماحي الذي يمحو الله به الكفر) بيان لمعناه المراد منه ولذا اتى بقوله بعده (فمسر في الحديث) بالفاء التفسيرية ومسر مبني للمجهول اي فسره النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بقرينة قوله في الحديث وهو صفة له وقيل علم منقول وال للمح الوصفية ولما ترآى هاسؤاء لان احدهما انه تقدم فلا حاجة لاعادته كما قيل وان المحو معناه الازالة بالكلية والكفر موجود في كثير من الناس والبلدان اشار الى دفعهما بقوله (ويكون محو الكفر اما من مكة) بعد الفتح اذ اظهره الله تعالى عليهم ولم يبق بها منه عين ولا اثر (وبلاد العرب) الظاهر انه وجه آخر والمراد بها جزيرة العرب وساحة الاسلام فانه لم يبق منه الا ما تلاشى واضمحل حتى صار كالعدم وقد كانت مملوءة بالشرك فاستأصله الله على يد حبيبه من حلقه (و) كذلك قوله و (ما روى له من الارض) اشارة لما ورد في الحديث من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم رؤيت لي الارض مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها واصل الزوي بالزاي المعجمة الجمع ومنه انزوى احلولد بالتاء اي انه تعالى جمع له جميع الارض بيد قدرته وطواها في قبضة قدرته حتى نظرها كلها وبشره بان امته تملكها كلها حقيقة بعد نزول عيسى ابن مريم عليه الصلوة والسلام او قبله ان قلنا ان ما ملكوه منها اعظمها واشرفها وهو الذي ارتضاه المصنف لقربه (ووعد) اي الله او النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما ورد في الحديث (انه يبلغه) اي يصل اليه ويجوزه (ملك امته) بضم الميم ويجوز كسرها اي تملكها وسلطانها على الوجه السالف وقد ورد انه زوى له حانبا من الارض واخبره بانه يبلغه ملك امته ويمحو

ما فيه من الكفر لاضمحلاله حتى يصير ما بقى منه كالعدم ولما كان محو الكفر بامره وشرعه وبركته نسب المحو له صلى الله تعالى عليه وسلم فكأنه الماحى حقيقة وقد قيل انه كله جواب واحد وقوله (او يكون المحو عاما) شاملا لجميع الارض وليس المراد بها ارضا مخصوصة (بمعنى الظهور والعلبة كما قال الله تعالى ليظهره على الدين كله) جواب ثان فيبقى على عمومه ولايخص بما مر فالمراد بالمحو علو الدين وعلبته لغيره من الاديان بنسخها وبيان ما غير وبدل منها وعلو اهله على جميع من عداهم بتسلطهم عليهم وقهرهم وايقاع الرعب فى قلوبهم كما هو مشاهد قال الله تعالى عز وجل * هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله * ويوضحه ان المحو لغة اذهاب الاثر وهو قد يكون مع بقاء العين وان ما لا اثر له كالعدم ولذا عبر بالماحى دون المزيل وما قيل من ان هذا جعله المصنف وجها واحدا وجعل المحو على ازالة يدهم عن تلك الاراضى وجعل بعض اهل الارض كالعبيد بضرب الجزية عليهم وجعلهم بازالة تصرفهم كالموتى وجعل محو آثار غيرهم كمحو ذواتهم ونسخ اديانهم وكتبهم التى هى بمنزلة ارواحهم وابطال شوكتهم وقهرهم كازالة ذواتهم ونحوها من صحائف الوجود ففيه مجاز باعتبار وجوه مختلفة (وقد ورد تفسيره) اى الماحى بغير ما مر (فى الحديث) والتفسير المذكور (انه الذى محيت به سيئات من اتبعه) بما انعم الله تعالى به على امته من المكفرات وبما قبله من شفاعته لهم فى الدنيا والآخرة والعفو كالمغفرة موافق للمحولغة ومعنى وهذا مروى عن المصنف وقد سقط من بعض النسخ فاساده الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مجاز اذ هو سببه والعافى والغافر حقيقة هو الله تعالى وهذا من خصائص امته وقد فسر قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر بيغفر لامتك وقد روى هذا التفسير الذى ذكره المصنف للماحى الحاكم فى مستدركه وابو نعيم والبيهقى وقال ابن دحية انه حديث مرسل صحيح الاسناد وقال السيوطى انه متصل ولفظه واما ماحى فان الله محى به سيئات من تبعه وقال ابن حجر فى شرح الشمائل معناه ان من آمن به صلى الله تعالى عليه وسلم يمحى ذنب كفره وما عمله فيه قال الله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وفى الحديث الاسلام يجب ما قبله او يهدم ما قبله وخص بهذا نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم لانه لم يمح احد الكفر كما محاه اذا جاء على فترة وقد عم الكفر وعبد الحجر فبلغ مسير الثيرين والمراد بكونه من خصائصه ان الله تعالى لطف بامته بكثرة المكفرات كثرة لم تكن قبله فهو مطلق مخصوص لوقوع خلافه فى الآيات والآثار كقول نوح عليه الصلاة والسلام لامته استغفروا ربكم انه كان غفارا (وقوله) فى هذا الحديث (وانا الحاشر) فسره صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله بعده (الذى يحشر الناس) جميعهم مؤمنهم وكافرهم لدخولهم كلهم فى شفاعته العظمى لتخليصهم من هول الموقف والمحشر وتعجيل

الحساب لانه صلى الله تعالى عليه وسلم رحمة للعالمين (على قدمي) بالتخفيف والتشديد كما مر وفي رواية على عقبي ولما كان ظاهره انه يسوق الناس للمحشر وليس بمراد فسره بقوله (اى على زماني وعهدي) وهما بمعنى لانه يقال هذا كان على عهد الخلفاء في عصرهم ثم قال (اي ليس بعدي نبي كما قال وخاتم النبيين) فهو اما تقدير مضاف اي على اثر قدمي من غير فاصل او القدم سواء كان مفردا او مثنى ما يتبعه الناس فيه وهو الشريعة وقال الكرماني معناه على اثري كما جاء على عقبي او على زماني ووقت قيامي على القدم ظهور علامات الحشر فيه اذ لا نبي بعده ويحتمل انه يريد اول محشور لانه صلى الله تعالى عليه وسلم اول من تنشق عنه الارض كما تقدم والقدم معروفة وهي مؤنثة لتصغيرها على قديمة ويجوز بها عن معان اخر كما في الاساس فيقال حط الله تحت قدميه اذا عفا عنه وله قدم في كذا اى تقدم فنسب له ذلك لتقدمه فيه وكونه السبب فيه ثم انهم يحبسون في المحشر حتى يشفع لهم وهو حاشر في هذا الحشر الثاني الى مقرهم من جنة او نار فتبعه صلى الله تعالى عليه وسلم جمع الخلائق فهو على هذا حاشر حقيقة وهذا هو المراد في رواية من روى قدمي بالتشديد مثني وقول الكرماني ويحتمل الخ سبقه اليه الخطابي وان كان ظاهره من بنات افكاره وارتضاه ابن دحية وما ذكره المص وان سبق اليه فيه حقا الا ان يريد ان القدم مجاز عن الاثر كناية او مجازا الا انه يتكرر مع قوله العاقب وقال السيوطي ان الله وصف نفسه بالحشر في قوله ويوم نحشرهم فيكون هذا من اسمائه التي سماه بها فان سلم ما قاله كان ما قبله كذلك وحشر الناس في وقت بوته لية اعلمته لانها لا تنسخ وليس بعدها شرع آخر فلا يرد عليه ان الساعة تقوم وليس على وجه الارض من يقول الله وتقدم ان كونه خاتم النبيين اى آخرهم او من حتموا به على قراءة الفتح لا ينافيه نزول عيسى عليه السلام بعده لانه ينزل تابعا له صلى الله تعالى عليه وسلم عاملا بشرعه ولذا يدفن في غده لانه آخر خلفائه وقيل المراد انه صلى الله تعالى عليه وسلم آخر من جيء وعيسى جيء قبله وان مات بعده كالخضر والياس على قول سمي حاشرا لانه حشر بني النضير من حصونهم وحرب ارضهم وهو ضعيف رواية ودراية (وسمي عاقبا لانه عقب غيره من الانبياء) عليهم الصلوة والسلام اى خلفهم في الخير ومنه عقب الرجل لولده وفسر بمن لا نبي بعده فان العاقب الآخر وقد فسر في حديث مروي عن ابن جبير فهو اصح واحسن (وفي الصحيح وانا العاقب الذي ليس بعده نبي) وقيل العاقب عند العرب من يكون خلف سيد لقوم فعناه خليفة الله لانه احق بخلافته من جميع الرسل ومن العرب ما قيل انه اسمه عند اهل النار من امته لان الله تعالى يسميهم اسمه محمدا فاذا ذكروه ارتفع عنهم العذاب وهو ضعيف (وقيل معنى على قدمي انه يحشر الناس بمشاهدتي) اى بقربي ومعنى مراي مني اسبق الناس في القيام من القبر (كما قال الله تعالى لتكونوا

شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم سهيدا) وهذا بناء على انه من الشهادة بمعنى المشاهدة والمعاينة والجمهور على انه الشهادة الحقيقية كما ورد في الصحيحين من ان امته تشهد للرسل بالتبليغ وهو صلى الله تعالى عليه وسلم يشهد لامته بالصدق وهو معنى جعلهم امة وسطا اى عدولا وخيارا كما مر بيانه واحر المصنف رحمه الله تعالى هذا وهو متعلق بما قبله من معنى الحاشر اشارة الى انهما بمعنى (ومعنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لى خمسة اسماء) جواب عن سؤال مقدر تقديره انه صلى الله تعالى عليه وسلم اسماء كثيرة فجعلها خمسة او عشرة ان قلنا بمفهوم العدد مخالف للواقع والا فهو زيادة بغير فائدة (قيل انها موجودة في الكتب المتقدمة) المنزلة على الانبياء عليهم الصلوة والسلام كالتورية والانجيل (وعند اولى العلم من الامم السالفة) اى السابقة فتخصيصها بالذكر لهذه الفائدة ومر صدر لما سيأتى من انه صلى الله تعالى عليه وسلم له اسماء اخر في الكتب القديمة ايضا وكون العدد لا مفهوم له لا يدفع السؤال كما توهم وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يقف على هذه الزيادة حتى ذكره بعيد (والله اعلم) بوجه التخصيص فيما ذكر (وقد روى عنه عليه الصلوة والسلام) في حديث رواه ابو نعيم في الدلائل وابن مردويه في تفسيره من طريق يحيى التميمي وهو وضاع عن سيف بن وهيب وهو ضعيف عن ابى الطفيل (لى عشرة اسماء) وقد تقدم انه لا معارضة بينه وبين غيره من الاحاديث (وذكر منها طه ويس كما حكاه مكى) تقدمت ترجمته وقد تقدم هذا وانما اعاده لينبه على تفسيره الذى ذكره وقال ابو بكر ابن العربى في احكام القرآن اختلف الناس في معناه على اربعة اقوال الاول انه اسم من اسماء الله تعالى قاله الامام مالك وروى عنه اشهب قال سألته هل يدعى لاحد ان يسمى يسين قال ما اراه يدعى لقوله تعالى * يس والقرآن الحكيم * اى هذا اسمى يسين قال ابن عباس يس يا انسان بالحبشة وياطه ويا رجل وروى عنه انه اسم الله كما قال مالك الثالث انه كنى به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قيل له يس اى ياسيد كما يأتى الرابع انه من فواتح السور وروى عن ابن عباس انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سمانى الله تعالى فى القرآن سبعة اسماء محمدا واحمد وطه ويس والمزمل والمدثر وعبد الله وهذا حديث لم يصح وروى اشهب عن مالك لا يتسمى احد بيسين لانه اسم الله وهو كلام بديع وذلك ان العبد يحور له ان يسمى باسم الرب اذا كان فيه معنى منه كعالم وقادر وانما منع مالك من التسمية بهذا الاسم لانه من الاسماء التى لا يدرى ما معناها فربما كان ذلك معنى يتعذر به الرب فلا ينبغى ان يقدم عليه من لا يعرف لما فيه من الخطر فاقتضى النظر المنع منه فان قيل فقد قال الله تعالى * سلام على آل يسين * قلنا ذلك مكتوب بهمزة فتحور التسمية به وهذا بس عتهجى وهو الذى تكلم مالك عليه لما فيه من الاشكال انتهى وهو كلام نفيس الا

ان فيه بحثا لان تجويزه للتسمية يس من وجه و منعه من آخر وانه عند التلفظ لايعرف منه الهجاء وعده منه اللهم الا ان يقال مراده المنع فى غير ماورد فى القرآن فتدبر (وقد قيل فى بعض تفاسيره انه ياطاهر ياهادى) على انه اسم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه السيوطى عن ابى الطفيل وتقدم انه قيل انه من اسماء الله وماذكره السيوطى رحمه الله مروى عن الواسطى واراد به ان كل حرف منه يروى من اسم فالطاء من طاهر من كل عيب وذنب و الهاء من هاد الى كل خير فهو اسم مركب من اسمى حرفين كما فى الم وفى البخارى عن سعيد بن جبير معناه يارجل بلغة عك وقيل معناه اطمئن و قيل معناه طاء الارض و الهاء ضمير الارض وقيل يارجل بالسريانية فعرب و قيل هو بالنبطية وهى لغة اهل سواد العراق قال معناه بلغة عك يا حبيبى وقيل طوبى لمن هدى (و) قيل (فى) بعض التفاسير (يس انه يا سيد حكاه السلمى) بضم السين وفتح اللام وهو ابو عبد الرحمن كما تقدم فى ترجمته (عن الواسطى) نسبة الى واسط بلدة معروفة وقد تقدمت ترجمته (وجعفر بن محمد) هو جعفر الصادق الامام المشهور كما تقدم وهذا مروى فى اسمائه عن ابى الطفيل و رواه البيهقى فى دلائله مسندا وقال السهيلى لو كان من اسمائه لقيل يا يسين بالضم وقال ابن دحية هذا غير لازم مع انه روى عن الكلبى انه قرأه بالضم ايضا و قيل معناه يا انسان بلغة طى و اصله يا ايسين فاقتصر على بعض منه وقد بسطنا الكلام عليه فى حواشى البيضاوى وكذا فيما مر اوائل الكتاب وقيل معناه يارجل وقيل ياسيد البشر (وذكر غيره) اى غير الواسطى انه روى (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لى عشرة اسماء وذكر الخمسة التى فى الحديث الاول) الذى سمعته آنفا (و) زاد عليها و(قال وانا رسول الرحمة) لقوله تعالى * وما ارسلناك الا رحمة للعالمين * لانقاذهم من العذاب فى الدنيا والآخرة فمن اتبعه نجا فى الدنيا من القتل او من ذلة الكفر والجزية وفى الآخرة من العذاب المخلد والحرى المؤبد واراحهم من اتعاب وهما فلذا سمى بذلك كما قال (ورسول الراحة) لانه صلى الله عليه وسلم راحة للمؤمنين فى الدنيا لما رفع عنهم مما كان فى الامم السالفة من الاصر والمشاق على شريعته من الرخص والتخفيفات وفى الآخرة راحتهم العظمى لامنهم وازالة تعبهم ورفع التكليف عنهم وراحة للكافرين بترك قتلهم وسبى ذراريهم اذ قالوا الجزية فعرلوا فى حرم الايمان آمنين وامنت امته من عموم الخسف والمسخ وسترت عليهم معاصيهم وكان من قبلهم اذا عصى اصبح وقد كتب على باب داره ولان فعل الليلة كذا وكذا وتسميته صلى الله عليه وسلم نبى الرحمة رواه ابن ماجة والحاكم مسندا عن ابى هريرة وصححوه وورد فى بعض طرقه نبى الراحة وماسبق انسب بالاية (ورسول الملاحم) جمع ملحمة وهى الحرب والقتال سميت بذلك

لاتحام الاطال فيها اى ازدحامهم فيها لانه صلى الله تعالى عليه وسلم ارسل بالسيف وامر بالجهاد ولم يقع لنبي ولامته من الجهاد والقتال ماوقع له صلى الله تعالى عليه وسلم ولامته ولايزالون كذلك حتى يقاتلوا الدجال وينزل عيسى ابن مريم عليه الصلوة والسلام وهذا لاينافي كونه صلى الله تعالى عليه وسلم رحمة لانه رحمة حقيقة اذ في قتاله غنيمة للمسلمين وهداية بعض الكافرين الى الاسلام وامن دار الاسلام وغير ذلك مما لايحصى والجواب بانه صلى الله تعالى عليه وسلم رحمة لاوليائه حرب لاعدائه مع مافيه لياس العالمين (وانا المقفى قفيت النبيين) كلاهما بتشديد القاف كما قال تعالى ثم قفينا على آثارهم وهوانا بمعنى التابع الذى جاء على اثرهم لان معنى قفا تبع ومنه القافية وفيه من الفضل انه صلى الله تعالى عليه وسلم وقف على احوالهم وشرايعهم فاختار له الله من كل شئ احسنه وكان في قصصهم له ولامته عبر وفوائد اوالمراد انه خاتمهم وآخرهم ووقع في بعض النسخ المقتفى بزيادة التاء الفوقية واقتصر عليه بعض الشراح وقاله عن الطيبي ثم ان المقفى ذكره غير الطيبي ولم يرد به نص صريح وفيه نظر (وانا قيم) بالقاف ومثناة تحتية بزنة سيد (و) فسره المصنف بقوله و(القيم الجامع الكامل) اى الجامع لمكارم الاخلاق النفسية الكامل فيها اوالجامع لشمل الناس بتأليفه بينهم وجمع شتاتهم لان القيم يكون بمعنى السيد لقيامه بامر الناس وامر الدين كما قاله ابن الاثير ولما ولد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه الآمدي * بدأت دينا بعد دين قد يدم * * وكنت في الدين كاتى في طلم * ياقيم الدين اقما استقم * كما ورد في الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال اتاني ملك فقال انت قيم وخلقك قيم * اى مستقيم حسن وفي النهاية القيم القائم بامور الخلق ومدبر العالم في جميع اموره وهو مرادف للقيوم الذى هو من اسمائه تعالى ولابعد ان يسمى النبي صلى الله عليه وسلم بشئ من اسماء الله تعالى بمعنى يليق كالقيم اذا كان بمعنى القيوم كما يسمى بغير ذلك من اسمائه والقيم ايضا من اسماء الله تعالى كما ورد في الحديث في قوله صلى الله عليه وسلم * انت قيم السموات والارض ومن فيهن * وقال ابن دحية هو بمعنى القائم كما نقله السيوطي في الرياض الانيقة (كذا وجدته) اى تسميته صلى الله تعالى عليه وسلم بالقيم في كتب الحديث (ولم ارمه) بطريق من الطرق المعتبرة عند المحدثين الا انى وجدته فيما رواه غيره وهذا عند المحدثين يسمى الوجادة وله شروط عندهم وهو مما يستأنس به وهذا رواه الديلمي في مسند الفردوس وفي النهاية الاثيرية ايضا كما مر (وارى ان صوابه) بحسب الرواية (قيم بالياء) المثلثة المفتوحة المخففة وصم القاف فرأى انه تصحف عليهم وهو معدول عن قائم ممنوع الصرف كما ذكره ابن فارس وغيره ورواه ابن اسحق في حديث غريب هو قال رسول الله صلى الله

تعالى عليه وسلم * اتاني ملك فقال انت قثم وحلقك قثم ونفسك مطمئنة * قال ابن دحية في اشتقاقه معنيان احدهما من القثم وهو الاعطاء يقال قثم له من العطاء اذا اعطاه فسمي صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك لجوده وعطائه والثاني من القثم وهو الجمع يقال للرجل الجامع للخير قثوم وقثم وقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم جامعا للفضائل وجميع الخير والمناقب وقد علمت ما فيه (كما ذكرناه بعد) بالبناء على الضم اي فيما سيأتي (عن الحربي) قال البرهان لهم ابو اسحق الحربي واسحق بن الحسين الحربي والثاني ثقة حجة سمع من هودة وحسين بن محمد وغيرهما ووثقه الدارقطني وصحح عليه في الميزان وذكر الذهبي انه مبهم (وهو اشبه بالتفسير) يعني انه اقرب شبها بتفسيره المأثور بالجامع وفيه نظر لان قثم بالمثلثة بمعنى مجمع ايضا كما تقدم آنفا وقد كان عبد الله ابو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يكنى بابي محمد وابي قثم وقالوا انه الجامع للخير اولسمل امته ويأتي ان هذا لاسم معروف في جماعة من اهل البيت منهم قثم شقيق الحارث عم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وابن عبد الملك وبه سميت محلة بسمرقند دفن فيها وبها مدرسة قثم ايضا وقثم بن عبد الله بن العباس ثم عاد المصنف الى ذكر القيم بالتحتية واشار الى ما يصححه فقال (ووقع ايضا في كتب الانبياء) المنزلة من السماء كصحف ابراهيم وداود (قال داود عليه الصلوة والسلام اللهم) اي يا الله والحقوا الميم في آخر هذا الاسم ايذانا بجمع اسمائه وصفاته فالسائل اذا قال اللهم وكانه قال ادعو باسمائه وصفاته فاتى بالميم المؤذنة بالجمع في آخره ايذانا بسوء ادبه باسمائه كلها ولذا قال العطار دي اللهم فيها تسعة وتسعون اسما من اسمائه وقال النضر من قال اللهم فقد دعا الله بجميع اسمائه ووجه هذا بان اللهم بمنزلة واو الجمع فانها من مخرجها فكان الداعي بها يقول يا الله لذي اجتمعت له الاسماء الحسنى والصفات العلى وسددت لتكون عوضا عن الواو والسون في نحو مسلمون (ابعث لنا محمدا يقيم السنة) اي الطريقة الشرعية والدين (بعد الفترة) اي انقطاع الوحي والرسل وضميرا ما للناس (فقد يكون القيم بمعناه) اي بمعنى المقيم للسنة المأخوذ عماد كرلدلالته عماد ته عليه فيكون اذا سلم انه اسم للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا المعنى وقد قالوا انه اسمه في الزبور كما يشير اليه كلام المصنف وفي التورية كما نقله السيوطي ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بان يقولوا لا اله الا الله فالسنة سنة الرسل وهي الشريعة والتوحيد والفترة ما بين كل رسولين من الزمان وهو المراد وقد يخص ما بين عيسى ونبينا صلى الله تعالى عليه وسلم واصل معناها الضعف وتسمية ترك العادة فترة منه فليس معنى اصليا كما توهم فان كان ضميرا له ولقومه فحملة ابعث الدعائية تتمنى ان يبعث في زمنه وقيل ضمير بمعناه لقثم بالمثلثة وفي كتاب فضل الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لابن القيم ان اللهم لا تستعمل الا في الطلب

نحو اللهم اغفر لى فلت وهذا ينافى قوله بعد هذا انه يسوغ استعماله فى موضع لا يكون بعده دعاء نحو اللهم لك الحمد واليك المشتكى فتأمله (وروى النقاش) تقدمت ترجمته (عنه عليه السلام) انه قال (لى فى القرآن سبعة اسماء) تقدم المراد بالاسماء وانها تسمل الصفات غير الاعلام ثم ذكرها فقال (محمد واحمد و يس وطه والمدثر والمزمل وعبد الله) تقدم الكلام على بعضها وسيأتى تتمته ومحالها من القرآن معلومة فى اوائل السور وغيرها كقوله وانه لما قام عبد الله يدعوه واقتصر على هذه لشهرتها والا فقد ورد فيه غيرها كالرسول والنبى والخاتم والرؤف والرحيم والصاحب ومفهوم العدد غير معتبر وقيل انه كان قبل وصف الله له بهذه والمراد ما يختص به كما يشعر به تقديم الخبر والجواب بان رؤف ورحيم صفتان لا اسمان لتعلق الجار بهما كما فى قوله تعالى * بالمؤمنين رؤف رحيم * ثم استفيد كونهما اسمين بعد القرآن غير مسلم لما مر وقوله فى القرآن يشير الى ان له اسماء اخر ليست فيه وفى الصحيحين فى فترة الوحى بينا انا امشى اذ سمعت صوتا من السماء فرفعت بصرى فاذا الملك الذى جاءنى بحراء على كرسى بين السماء والارض فرعبت منه ورجعت فقلت زملونى زملونى وفى رواية دثرونى فانزل الله تعالى * يا ايها المدثر قم فانذر والمدثر والمزمل اسمان من الحالة التى كان عليها حين النزول والمدثر المتلفف فى الدثار وهو الثياب والمزمل بمعناه واصله المتدثر والمتزمل فقلب وادغم كما هو معلوم من علم التصريف وقال ابن الوردى انما نزل يا ايها المدثر عقيب قوله زملونى لان هذا الترمل اريد به الدثار من برد يعترى المروع كالمحموم كما كان يعتريه صلى الله تعالى عليه وسلم عند نزول الوحى عليه فخاطبه بما طلب من ترمله اى يا ايها المترمل المتدرع الدثار وحه فى الانذار تأييسا له من الروع وتنشيطا له على فعل ما امر به كما تقول لمن ارسلته لامر فتخوف وتثبط عنه يا ايها المتخوف امض لامرك وقال السهيلى فيه ملاطفة لانه ورد يا ايها الدثر العريان ووصفه بالانذار مع الدثار تملح بالطباق وهو مرع بديع وكان تدثره صلى الله تعالى عليه وسلم بقطيفة فى بيت خديجة وذكر عائشة بدل خديجة خطأ لانه كان بمكة وعائشة انما كانت معه بالمدينة وقيل معناه المدثر بالمرأة وقيل معنى المزمل الحامل لاعباء الرسالة من الزاملة فهو استعارة تصريحية وقال السهيلى ليس المزمل من اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم وانما هو مشتق من حالته المتلبس بها حال الخطاب والعرب تفعل ملاطفة ومعاتبة كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لعلى كرم الله وجهه وقد نام على الارض قم يا ابا تراب ملاطفة لما كان بينه وبين فاطمة رضى الله تعالى عنها من المعاتبة وما روى عن عائشة رضى الله تعالى عنها انه كان يمر لها من ملا مرطا طوله اربعة عشر ذراعا تصنعه عليها وهى نائمة لا اصل له فان رول يا ايها المزمل بمكة ودخوله صلى الله تعالى عليه وسلم على عائشة انما كان بالمدينة وقد علمت ان عبد الله سماه الله تعالى به فى آيات

والعبودية اشرف صفاته صلى الله تعالى عليه وسلم واصل معناها الخضوع والتذلل وان العبد هو الانسان رقيقا ام لا وقال المشايخ العبودية القيام بحق الطاعات بشرط التوفيق والنظر لما صدر منه بعين التقصير وفي بعض النسخ (وفي حديث عن جبير بن مطعم هي) اسماؤه صلى الله عليه وسلم (ست محمد واحمد وخاتم وحاشر وعاقب وماحي) وقد علمت معانيها (وفي حديث ابي موسى الاشعري رضي الله تعالى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يسمي لنا نفسه اسماء فيقول انا محمد واحمد والمقفى) وفي رواية كما تقدم المقتى (والحاشر ونبي التوبة) هذا الحديث اسنده السيوطي في الرياض الانيقة وقد مر تفسير هذه الاسماء غير الاخير ومعناه ان توبة امته مقبولة من غير حرج عليهم حتى تطلع الشمس من مغربها او يعرغر وكانت الامم السالفة منهم من لا تقبل توبته اصلا ومنهم من تقبل توبته بشرط امور شاقة كما لم تقبل توبة بني اسرائيل من عبادة العجل الا بقتل انفسهم وهذه الامة تقتل منهم مضلقا وان تكررت مع تكرر الذنوب وبه فسر قوله تعالى * ان الله يحب التوابين * بشرط الدم والعزم على عدم العود ورد حقوق العباد او استحلالهم ونحوه كما فصلوه في محله فهو لا ينافي قبول توبة غيرهذه الامة في الجملة (ونبي الملحمة) تقدم تفسيره (ونبي المرحمة ورحمة وكل صحيح ان شاء الله) رواية ودراية كما تقدم ايضا (ومعنى المقفى هو معنى العاقب) كما مر مفصلا والاولى تفسير كلا منهما بمعنى هربا من التكرار فمعنى المقفى التابع لهدى النبيين وسنتهم والعاقب الخاتم لباب النبوة والرسالة واليه اشار بقوله (قيل) معنى المقفى (المتبع لهدى النبيين واما نبي الرحمة والتوبة) يأتي جواب اما وقبل معنى نبي التوبة انه كثير التوبة والاستغفار لنفسه لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم اني لاستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة (والمرحمة والراحة) لان من رحمه الله تعالى فقد اراحه من العقاب واداعلمه بذلك اراحه من القلق (وقد قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) دليل وتفسير لما قبله وقد تقدم انه لا ينافي انه نبي الملحمة والسيف اي القتال به لما تقدم وفي شرح السنة ان الامم السالفة كان من كفر منهم بعد ظهور المعجزات يعذب بالاستيصال فامر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالجهاد بسيفه ليرتدعوا عن الكفر فالسيف فيه بقية لهم ويؤيده نزول ملك الجبال عليه صلى الله تعالى عليه وسلم ليطبقها عليهم واباؤه ذلك رجاء ان يكون من ذريتهم من يعبد الله ورفع عنهم الاصر والاغلال الكثير على العمل القليل مع قصر اعمارهم وقد اثاب الله تعالى الامم السالفة مع كثرة اعمارهم واعمالهم باقل من ذلك وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وفي جعله صلى الله تعالى عليه وسلم عين الرحمة وتعميم العالمين بها مبالغة ظاهرة (وكما وصفه) اي مثل وصفه الذي وصفه به في هذه الآية

وصفه له فى غيرها (بانه يزكيهم) اى يطهرهم من الاخلاق الذميمة والاثام المدنسة لهم بقاله وحاله وضمير يزكيهم للعالمين وقبل لامته (و يعلمهم الكتاب) اى القرأن (والحكمة) اى العلوم النافعة و العقائد الحقة و معانى القرأن و فسرت ايضا باصابة الحق قولا وفعلا ووردت بمعنى القرأن ايضا والحكمة من الله معرفة حقايق الاشياء وايجادها على غاية الاحكام و من الناس معرفة الموجودات وفعل الخيرات وهو الذى وصف به لقمان و يصح ارادته هنا ايضا (و يهديهم الى صراط مستقيم) اى يدلهم على طريق لاعوج فيه بالوحي والشريعة يوصلهم الى سعادة الدارين (و بالمؤمنين رؤف رحيم) قدم متعلقه للتخصيص اوللاهتمام والتشريف مع رعاية الفاصلة وموافقة نظم القرأن قصد الالتفات عن مشكاته وتقديم الرؤف كما مر لانه السفقة والتلطف بالمنعم عليه وهو مقدم على ما مر وبما قيل من انه قدم للفاصلة وخفقه التأخير بناء على انه اشد الرحمة تقدم رده (وقد قال) النبى صلى الله تعالى عليه وسلم او الله فى غير القرأن اذ لم يقع فيه بهذا اللفظ (فى صفة امته ايها امة مرحومة) فى الدنيا والاخرة فى الحياة والممات والامة امة الدعوة او الاجابة (وقد قال تعالى فيهم) اى فى حقهم وشانهم (وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة) معطوف على جملة الصلة فى قوله تعالى الذين آمنوا (اى ترحم بعضهم بعضا) اى اوصى بعضهم بعضا بالصبر على طاعة الله وعن معاصيه و بالرحمة على خلق الله (فبعثه الله) وفى نسخة فبعثه صلى الله عليه وسلم ربه (رحمة لامته) متفرع على ما قبله باعتبار العلم والظهور و هو فى الحقيقة سببه و رحمته المختصة بهم ظاهرة ورحمة مفعول له اوحال من الله اومن ضمير النبى بمعنى راحما لهم (ورحمة للعالمين ورحيما بهم) اى جعله عين الرحمة لارشاده لهم ولطفه بهم و حمله على ذلك فلا تكرار فيه مع ما قبله (ومترحما) و (مستغفرا لهم) اى داعيا لهم بالرحمة والمغفرة لشفقته صلى الله عليه وسلم عليهم ففيه حسن ترتيب وايهام للتأكيد (وجعل امته امة مرحومة ووصفها بالرحمة) لاجابة دعائه وتحقيق رجائه لهم ويجوز ان يكون سببا للامر لاعتنائه وتفضيله (وامرها) اى الامة (عليه الصلوة والسلام بالتراحم واثنى عليهم) اى امر امته بان يرحم بعضهم بعضا ثم فسره بقوله (وقال) عليه الصلوة والسلام (ان الله يحب من عباده الرحماء وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (الراحمون يرحمهم الرحمن) وهذا خبر لفظا مأل معناه الامر فلذا اردفه بصريحه بقوله (ارحموا من فى الارض يرحمكم من فى السماء) بالرفع والجزم و حديث ارحموا الخ صحيح مشهور مسلسل بالاولية قيل و يؤخذ من كونه صلى الله تعالى عليه وسلم رحمة انه لا ينبغى ان يدعى له بالرحمة فقال اللهم ارحم محمدا ورده العراقى بان كونه رحمة للعالمين من جملة الرحمة فهو دليل لهم لا عليهم وما ورد فى الحديث يتبع وقيل انه مخصوص بالشهيد لعدم ورود

فى غيره وسيأتى تفصيله فى بحث الصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم (واما رواية نبى الملحمة فاشارة الى ما يعب به من القتال والسيف وهى صحيحة) متنا وسندا كما ذكره المحدثون وظاهرة معنى لانه صلى الله تعالى عليه وسلم فرض عليه القتال واحلت له الغنائم ونصر بالرعب ووقع له من الحرب والجهاد والنصرة ما لم يتفق لغيره من الرسل وبقى ذلك فى امته الى يوم القيامة وما احسن ما قيل

* جمع الشجاعة والخشوع لربه * ما احسن المحراب فى المحراب *

فلاختصاصه بذلك اضيف له (وروى حذيفة) وفى نسخة عن حذيفة وهذا رواه احمد والترمذى فى الشمائل (مثل حديث ابى موسى) الاشعرى السابق اى بمعناه ولفظه (وفيه ونبى الرحمة ونبى التوبة ونبى الملاحم) بالجمع للكثرة اشارة الى انه اختص بكثرتها (وروى الحرث) تقدم ذكره وانه متعدد ولم يعينه المصنف رحمه الله تعالى ورواه ابو نعيم فى الدلائل عن يونس بن ميسرة (فى حديث انه عليه الصلوة والسلام) بيان لانه مرفوع (قال اتانى ملك فقال انت فثم) بالثاء المثلثة كما مر اى مجتمع اى مجموع فيك كل كمال وخير فكنى عن ذلك بكونه مجتمع فى ذاته ولذا عقبه بقوله (قال والقثوم الجامع للخير) كله فى ذاته ولغيره (وهذا اسم) له صلى الله عليه وسلم (هو فى اهل بيته معلوم) فسمى به غيره كما تقدم هو وتفسيره (وقد جاءت من القابه) وهى اسماؤه المنقولة واللقب ما اشعر بمدح واما قوله تعالى ولا تنابزوا بالالقاب فمخصوص بما فيه ذم مؤكد كما ذكره المفسرون (وسماته) بمعنى صفاته او هو عطف تفسيرى والسمة فى الاصل الوسم والكى ثم عم لكل علامة واستهر بمعنى الصفة او المراد الصفات الواردة (فى القرآن) لان اكثر ما فيه صفات منزلة منزلة الاعلام (عدة كثيرة سوى ما ذكرناه) مما تقدم ذكره ومنها ما هو حقيقة ومنها ما هو استعارة (كالنور والسراج المنير) كما قال تعالى قد جاءكم من الله نور وقال وسراجا منيرا وفسر بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فانه نور لا يطفى ويأبى الله الا ان يتم نوره وهذا بناء على ما اختاره ومنهم من فسره بالقرآن ولكل وجهة والذى حققه المسايخ نور الله تعالى مراقدهم كما فى مشكاة الانوار لحجة الاسلام ان حقيقة النور هو الظاهر بنفسه المظهر لغيره والعالم مشحون بالانوار الظاهرة المحسوسة والباطنة المعقولة التى يفيض بعضها على بعض قال والنور الحقيقى هو الله فهو نور السموات والارض ونور الانوار وقال الاسعرى انه نور ليس كالانوار والروح النبوية القدسية لمعة من نوره والملائكة شرر تلك الانوار وبهذا صرح فى هيا كل النور فلذا سمى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم نورا ولاقتباسه من الانوار الالهية سمى سراجا لما فاض عليه من الانوار العلوية فليس الوصف به لغوا ولا مؤكدا فان فهمت فنور على نور فهو فى الاصل استعارة ثم ان كان سمى به صار حقيقة (والمدثر والنذير)

وهما متقاربان معنى واصل الانذار الاعلام بما فيه تخويف قال تعالى * انما انت منذر ولكل قوم هاد * وقال انى انا النذير المبين * وفى البخارى انما مثلى ومثل ما بعثنى الله به كمثل رجل اتى قوما فقال ياقوم انى رأيت الجيش بعينى وانا النذير العريان فالنجاة النجاة فاطاعه طائفة من قومه فادلجوا وانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبته طائفة فاصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فاهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من اطاعنى واتبع ما جئت به ومثل من عصانى وكذب ما جئت به من الحق والنذير للمبالغة فى صدقه وحده فى انذاره ووصفه بالعريان لانه ابلغ فى انذاره وقيل كان النذير يتجرد من ثيابه ويلوح بها مع الصياح تأكيدا لانذاره (والمبشر والبشير) قال تعالى * انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا * ونحوه من الآيات وهما من البشارة بكسر الباء وضمها وهو الاخبار بخبر سار وقوله تعالى * فبشرهم بعذاب * تهكم وسميت بهما لتغيير هما بسرة الوجه اى ظاهره وقيده بعضهم بالخبر الصادق وبنوا عليه ما لو علق عليه طلاقا اوعتاقا كما بين فى كتب الفقه والاصول وقيل انه يعم الخير والشر حقيقة وقد مر ذلك كله وقال السيوطى انه من اسماء الله ايضا لقوله يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وفيه نظر (والشاهد والشهيد) قال تعالى انا ارسلناك شاهدا ويكون الرسول عليكم شهيدا * ونحوه والشهادة كما فى الصحاح الخبر القاطع واصل معنى الشهادة المعاينة وسمى به لشهادته على الامم لتبليغ انبيائهم لهم ويشهد على امته بالايمان كما ورد فى الحديث ويأتى ان الشهيد من اسماء الله تعالى ومعناه العالم او الشاهد على عباده يوم القيامة ثم سمى به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (والحق المبين) قال تعالى * حتى جاءهم الحق ورسول مبين وقال قد جاءكم الحق من ربكم * ونحوه وفسر به صلى الله تعالى عليه وسلم والحق والصدق متقاربان وفرق بينهما الامام بان الصدق نسبة الشئ الى الواقع والحق نسبة ما فى الواقع الى الشئ من حق اذا ثبت وسمى به صلى الله تعالى عليه وسلم لحقية نبوته ورسالته وما جاء به وجعل عين الحق مبالغة والمبين من ابان ويكون متعديا ولازما بمعنى تبين معناه الظاهر فى نفسه والمظهر لغيره قال تعالى * لتبين للناس ما نزل اليهم وان المبين من اسمائه تعالى لتبين الوهيته وعظمته ولتبيينه لعباده امر معادهم ومعاشهم وشرايعهم (وخاتم النبيين) بكسر التاء اسم فاعل وبفتحها اسم آلة كطابع كانه ختمهم بنفسه فهو استعارة فى الاصل شاع وصار حقيقة قال تعالى * ولكن رسول الله وخاتم النبيين * من ختمت الامر اذا تممته وبلغت آخره وفى الصحيحين مثلى ومثل الانبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا واحسنه واكمله الا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون ويقولون هلا وضعت تلك اللبنة فانا تلك اللبنة وانا خاتم النبيين وحكمة كونه خاتما ليكون الختم رحمة ولئلا يطول مكث امته تحت الارض ولئلا تطلع الامم على احوال

امته ولئلا تنسخ شريعته ولذلك نزل عيسى عليه السلام على شريعته كما تقدم (والرؤف الرحيم) تقدم معناهما مفصلا (والامين) فعيل بمعنى مفعول مبالغة ويكون بمعنى فاعل كقوله تعالى * وهذا البلد الامين * وتسميته به مشهورة قبل البعثة ووقع في القرآن في قوله تعالى * انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين * في قول بعض المفسرين ان المراد به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما مر وان كان المشهور خلافه وانه جبريل وقال المصنف انه قول اكثر المفسرين كما نقله السيوطي عنه وقيل انما لم نعلمه في القرآن في غير هذه والراجح خلافه الا انه وقع فيه بطريق الالتزام لانه وصف به فيه من هو دونه كقوله تعالى * في موسى ابى لكم رسول امين * وفيه تكلف وقد سمي به وبالمأمون في الجاهلية قال كعب بن زهير

* سقاك بها المأمون كأسا روية * فانهلك المأمون منها وعلكا *

ومر انه لما تشاحت قريش فيمن يضع الحجر الاسود قالوا اول من يدخل من هذا الباب تضعه فدخل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما رأوه قالوا قد جاء الامين وانه كان مشهورا به قبل البعثة فكانت توضع عنده الودايع والامانات (وقدم الصدق) كما عده كثير من اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم وفي البخاري عن زيد ابن اسلم في قوله تعالى * وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم * قال هو محمد صلى الله عليه وسلم ومر الكلام عليه مفصلا اول الكتاب وعن علي كرم الله وجهه كما اخرجه ابن مردويه انه قال في تفسيره هو محمد شفيع وفيه اشارة الى وجه التسمية تشبيه بان يشفع لهم لان من عادة الشافع تقدمه على من يشفع له فعلى هذا انه سماه الله تعالى به وكذا روى عن ابي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه ان معناه شفيع مصدق ومر عنه في كلام المصنف رحمه الله تعالى شفيع صدق عند ربهم ومر فيه عن سهل ان معناه سابقة رحمة اودعها الله تعالى اي عهد له بها ازلا انه سيجعله رحمة لهم ولذا عقبه المصنف رحمه الله بقوله (ورحمة للعالمين) فهو كالتفسير له والقدم واحد الاقدام ويطلق على التقدم لانه يكون بها ويقال لفلان قدم اي مقدم كما قال ذو الرمة

* لكم قدم لا ينكر الناس انها * مع الحسب العادي طمت على البحر *

وكونه رحمة لجميع العالمين كما في قوله تعالى * وما ارسلناك الا رحمة للعالمين * وقد مر الكلام عليه (ونعمة الله) فهو صلى الله عليه وسلم نعمة لهم وعن ابن عباس في تفسير قوله تعالى بدلوا نعمة الله كفرا قال هم كفار قريش ونعمة الله محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فسمي نعمة كما سمي رحمة وذلك حقيقة لمن اتبعه ولذا قال (والعروة الوثقى) قال ابن دحية وابو عبد الرحمن السلمي في قوله تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى * هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم والعروة ما يتمسك به من الحبل والوثقى الوثيقة المتينة فيه استعارة تمثيلية تصريحية لان من اتبعه لا يقع في هوة الضلال كما ان من

عسك حبلا متبا صعد من حضيض المهالك (و) من اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم (الصراط المستقيم) ذكره ابن دحية وقال ابو العالية في قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم واخرجه ابن ابي حاتم وسمي به لانه طريق الى الله تعالى موصل اليه وتقدم ان الصراط بالصاد والسين والزاي السمة الطريق المستوى او الواضح والمستقيم الذي لاعوج فيه فاستعيره صلى الله تعالى عليه وسلم لان اتباعه له واصل لسعادة الدارين ناح والمنحرف عنه ضال غير مهتد ولذا عقبه بقوله (والنجم الثاقب) اشارة لقوله تعالى وبالنجم هم يهتدون وروى عن السلف في قوله تعالى والنجم الثاقب انه محمد صلى الله عليه وسلم وقيل قلبه وهو بعيد وقدم رهدا وماقبله في كلام المصنف رحمه الله عن جعفر الصادق في تفسير والنجم اذا هوى وان الثاقب بمعنى المضيء المتوهج قال * اضاءت لهم احسابهم ووجوههم * * دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه * وهو تشبيه بليغ او استعارة من مطلق النجم او من نجم مخصوص وهو زحل لانه يهتدى به صلى الله تعالى عليه وسلم كما يهتدى بالنجم او لانه استنارت به ظلمة الجهل فان رحص بزحل فوجه الشبه الاضاءة مع الرفعة كما قيل (والكريم) المتفضل او العفو او الكثير الخير او العلي كما يأتي وكله صحيح في حقه صلى الله تعالى عليه وهو سمي به في قوله تعالى * انه لقول رسول كريم * بناء على انه المراد به وقيل المراد جبريل كما مر ويأتي والخلاف في تفسيره مشهور ولا حاجة لاثباته بهذه الآية لاتصافه صلى الله عليه وسلم به وبمعناه في الاحاديث الصحيحة (والنبي الامي) قال الله تعالى * الذين يتبعون الرسول النبي الامي * وهو من لايقرؤ ولايكتب وقيل هو الذي يقرؤ ولايكتب ورجحه السبكي والسيوطي وفيه اقوال احدها وثانيها هذان وقيل كان يقرؤ ويكتب وقيل كان لايقرؤ ولايكتب في اول امره ثم لما زالت الشبهة عنه الله ذلك وذهب الى هذا بعض المحدثين من علماء المغرب ومن تبعهم وسيأتي تفصيله مع انه مقدم مرارا والامي منسوب الى الام كانه على الحالة التي ولدته امه عليها او الى ام القرى وهي مكة او الى امة العرب وكني به عما ذكر لان القراءة والكتابة لم تكن معروفة فيهم وقيل منسوبة الى الامة لانه امة بنفسه وامته معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم وان عدت منقصة لغيره لانه مع ماظهر منه من العلوم والمعارف اللدنية ومعرفته بالاخبار الامم السالفة وشرايعهم وهو لايقرؤ ولايكتب ولم يدارس ولم يتلق ممن قرأ وكتب امر غريب عجيب والمقصود من القراءة والكتابة ذلك لانهما آلة وواسطة له غير مقصودة في نفسهما فاذا حصلت له الثمرة المطلوبة منهما استغنى عنهما بخلاف غيره مع مافي ذلك من الرتبة والاستعلاء بكناية عن ملاقاته كما قال الله تعالى * وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون * وروى انه صلى الله تعالى

عليه وسلم قال لاارید الخط لئلايقع ظل القلم على اسم الله تعالى رواه الترمذى ولم يسنده فجازاه الله تعالى على ذلك ان يرفع ظله عن الارض فلا يوطأ وان لا ترفع الاصوات على صوته وسيأتى ان من وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بالامية على وجه يشعر بالتنقيص له حكم السب (وداعى الله) اى داعى الناس الى توحيد الله وطاعته كما قال الله تعالى * وداعيا الى الله باذنه واجيبوا داعى الله ونحوه وفى الحديث الصحيح ان ربكم فتح دارا وصنع مأدبة فمن اجاب الداعى رضى عنه السيد ودخل الدار واكل من المأدبة فالسيد هو الله والداعى محمد والدار الاسلام وقال البخارى الجنة وكذا المأدبة قال السيوطى وقد وصف الله تعالى نفسه بانه داع فى قوله تعالى * والله يدعو الى دار السلام * فهو من جملة اسماء الله تعالى التى سماه بها وقال على لسان الجن اجيبوا داعى الله ففيه دليل على انه صلى الله تعالى عليه وسلم مبعوث اليهم وقال مقاتل لم يبعث الى الجن نبى قبله وفسر قوله بعثت الى الاسود والاحمر بالانس والجن كما تقدم وهو مشكل بسليمان عليه والسلام وقد يوفق بينهما بان الله سخر له الجن مع امره لهم بتوحيد الله تعالى لانه لايرضى الكفر الا انه لم يكلفهم بفروع شريعته والنبى صلى الله عليه وسلم مأمور بدعوتهم وتكليفهم العمل بشرعه ولم يؤمر باستخدامهم وتسخيرهم له كسليمان (فى اوصاف كثيرة وسمات جليلة) عظيمة محلها اى ورد ماذكر فى القرآن والاثار مع صفات اخرى كثيرة اطلقت عليه كاطلاق الاسم على مسماه فحمل الكثير باشتماله على غيره كالظرف المحتوى على مظروفه وسمات جمع سمة وهى العلامة لكن تجوز بها عن مطلق العلامة كالمرس للانف وشاع حتى صار كالحقيقة او بمنزلتها ثم تجوز بها عن الصفة وهو المراد هنا وعبر به للتفنن فى العبارة (وجرى بها وكتب الله المتقدمة مثلها) اى وقع منها فى كتب الله المتقدمة على القرآن كالتورية والانجيل وغيرهما وجرى حقيقته اسرع من المشى وفى المبايعات بمعنى سال كجرى النهر ثم شاع عرفا بمعنى وقع وحدث فيقال جرى الماء على كذا ولذا تلطف الشاعر فى قوله * ويحدث الماء الزلال مع الصدا * جرى السيل عليه يسمع ماجرى (وكتب انبيائه) قيل المراد بها كلمات مقولة فان لهم عليهم الصلوة والسلام احاديث دونها احبارهم فى زمانهم قبل نسخ احكامهم ونقلها المسلمون عنه ودونها كالاسرائيليات وهذا يعلم من مقابلته لما قبله (واحاديث رسوله) صلى الله تعالى عليه وسلم الواقع فيها وصفه او تسميته لنفسه او قالها اصحابه ينقل عنه ودونوه وهذه كلها تسمى احاديث ايضا (واطلاق الامة) غير الصحابة والمراد الاعم اى تسميتهم له صلى الله عليه وسلم ووصفهم فان اطلاق اللفظ بمعنى استعماله سواء كان حقيقة ام لا مشهور ومتعارف وهو فى الاصل من الاطلاق بمعنى فك الوثاق ثم نقل عرفا لما ذكر واسماؤه صلى الله عليه وسلم وان كانت توقيفية عند بعضهم

كاسماء الله تعالى فما استهر فيها وتلقى بالقبول فى حكم المنقول فان الامة لاتجتمع على الضلالة وقد وقع هكذا فى كثير من اسمائه وصفاته (حملة شافية) فاعل حرى من شفا المريض اى شافية من داء الجهل اومن شفا العليل وهو حر العطش لانه يروى الظمأ و يثلج الصدر (كتسميته بالمصطفى والمجتبى) هذا مما اطلقه عليه الامة ولم يرد فى كتاب ولاسنة وهما بمعنى وفى الصحاح احتباه بمعنى اصطفاه واختاره واصله كما قاله الزاعب من جبيت الماء فى الحوض اذا جمعته لجمعه صلى الله تعالى عليه وسلم المكارم والصفات الحميدة بفيض الهى من غير سعى كما قال تعالى الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب * قال السيوطى المصطفى من اشهر اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم ومثله المختار وفى مسند الدارمى ان فى التوراة محمد رسول الله عبدى المختار الى آخره (وابى القاسم) وهذا اشهر كنية له صلى الله عليه وسلم ومنها ابو ابراهيم كما يأتى وابو المؤمنين وابو الارامل كما ذكره السيوطى وهذا ورد فى الحديث الصحيح ففى مسلم عن جابر رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال تسموا باسمى ولا تكنوا بكنيتى فانى ابو القاسم اقسم بينكم ويأتى الكلام فى اوائل القسم الرابع ومثله مافى كتاب الدخائر والاخلاق فى ادب النفوس ومكارم الاخلاق انه كنى به لانه يقسم الجنة بين اهلها يوم القيامة والذى جزم به اهل السير انه كنى بابنه القاسم وهو اول اولاده صلى الله تعالى عليه وسلم من خديجة ولادة ووفاة وظاهر النهى فيه تحريم التكنى بكنيته مطلقا وهو الاصح من مذهب الشافعى وقيل انه جائز بعد موته صلى الله تعالى عليه وسلم والنهى مخصوص بحياته ورجحه النووى ووجهه ان النهى عن ذلك لئلا يتأذى باجابة دعوة غيره فيجد المنافقون فرجة لاذاه وهو يزول بوفاته صلى الله تعالى عليه وسلم ولذا لم ينه عن اسمه مع منع الله تعالى من ندائه به وفى قول يحرم لمن اسمه محمد دون غيره لما روى عن جابر مرفوعا من تسمى باسمى فلا يتكنى بكنيتى ويأتى بسط ذلك فى القسم المذكور قال السبكى وحيث حرمناه فالمحرم الكنية وهو وضع الكنية لاحد والتكنى وهو قبول المسمى لذلك واما الاطلاق فامر ثالث الا ان يكون ذلك الشخص لايعرف الا به فيكون عذرا واختلفوا فى عمر ابنه القاسم فقيل سنتان وقيل غير ذلك (والحبيب) وحبيب الله تعالى وهذا ثبت بالحديث الصحيح الذى رواه البيهقى فى الشعب عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه اتخذ الله ابراهيم خليلا وموسى نجيا واتخذنى حبيبا وقال وعزتى وجلالى لاوثرن حبيبى على خليلى ونجيى وقد مر الكلام على المحبة والخلة والفرق بينهما والكلام على ايهما افضل وهذا الحديث صريح فى تفضيل المحبة لان لها معنيين احدهما مطلق وهو فى الخلق مطلق الميل وفى الله ايثاره وتفضيله على غيره وخاص وهو فى الناس ايثاره على نفسه وغيره وجعله نصب عينه بحيث لايغفل عن ذكره وتملكه لقلبه بحيث لايكون فيه محل لسواه والخلة المودة والمعاونة مع ميل ما ولاشك انها

بهذا المعنى افضل واعلى فقول ابن القيم فى كتاب الداء والدواء ما يظنه بعض الغالطين من ان المحبة اكمل من الخلة فى حقه فان المحبة عامة والخلة خاصة فانها انهاية المحبة فانه صلى الله تعالى عليه وسلم اخبر بانه لم يتخذ خليلا غير ربه مع احساره صلى الله عليه وسلم بمحبته عائشة وغيرها لم يصادف محزه (ورسول رب العالمين) لم يطم هدا فى سلك ماوقع فى القرأن لانه وان ورد فيه كثيرا الا انه لم يقع فيه مضافا لرب العالمين قال الازهرى الرسول المبلغ لاحسارمن بعثة من قولهم جاءت الابل رسلا اى متتابعة والفرق بينه وبين النبى مشهور (والشفيع المشفع) اى المقبول شفاعته وسمى شافعا ايضا وقد تقدم ان له صلى الله تعالى عليه وسلم شفاعات سبعة كما تقدم تفصيله (والمتقى) والتقى والاتقى لحديث مسلم انا اتقاكم لله والتقوى لها مراتب مفسرة فى تفسير البيضاوى (والمصلح) للخلق بارساده وهدايته قال المصنف رحمه الله وجد على بعض الحجارة القديمة محمد نبى مصلح امين لانه الف بين قلوب الناس وازال مابينهم من الضغائن كما كان بين العرب والعجم وقبائل العرب كما قال الله تعالى واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم (الطاهر) بالمهملة لطارته صلى الله عليه وسلم من النقايص والادناس الحسية والمعنوية حتى ذهب الشافعية الى طهارة فضلاته كمائطه وبوله ودمه ورجحه السبكى والبلقينى وافتوا به كما مر وقد شربت بوله ام ايمن وشرب جماعة من دمه ولم ينكره صلى الله تعالى عليه عليه وسلم وطهارته من الذنوب والاخلاق الردية كما تقدم (والمهيمن) ويأتى ان هذا سماه به عمه العباس رضى الله تعالى عنه فى شعره المشهور الذى مدحه صلى الله تعالى عليه وسلم به وقد تقدم راويته له وفيه

*حتى احتوى بيتك المهيمن من * خندف علياء تحتها النطق*

وميمه الاولى مضمومة والثانية مكسورة وروى فتحها ايضا وهو كما انه اسم له صلى الله عليه وسلم صح انه من اسماء الله تعالى ومن اسماء القرأن قال الله تعالى وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه وفسر فى الآية بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم على انه حال من كاف اليك والراجح تفسيره بالقرأن على انه حال بعد حال من الكتاب ولذا لم يذكره المصنف فى اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم الواردة فى القرأن وقال ابن قتيبة انه من اسماء الله تعالى معناه الشاهد وقيل المحيط وقيل الرقيب وقيل القائم على خلقه وقيل الامين اى وتبعه المصنف فى بعض ذلك كما يأتى بيانه واصله مؤيمن قلبت همزته هاء وقيل المهيمن وهو فى اسماء النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالمعنى الاول اوالرابع اوالخامس انتهى وهو عنده اى المصنف مصغر مؤمن على ماسيأتى وتصغيره للتعظيم وقد رد هذا وشنع عليه فيه بان اسماء الله واسماء النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والقرأن بل كل معظم

لايجوز فيها التصغير كما يأتي ولم يرد مثله ولذا ارتضى ابو علي في الحجة انه اسم مكبر ورد بهذه الرتبة كالمبقر والمسيطر وفتح ميمه يدل على ماقاله واذا وصف به القرآن فعناه رئيس الكتب العالي عليها لحفظه من التغيير والتبديل واعجازه ببلاغته ومزاياه وقيل معناه المصدق ويبعده تعديته بعلى الا ان يقال انه لما فيه من معنى العلو وعلى انه من الامن ظاهر لانه امنهم من الخوف (والصادق والمصدوق) وسمي بالصدق ايضا والمصدق اسم فاعل بالتشديد كما ذكره ابو بكر ابن عربي وفي صحيح البخاري حدثنا رسول الله وهو الصادق المصدوق قاله ابن مسعود وكذا ورد هذا في عدة احاديث رواه السيوطي لانه صدق الانبياء والكتب التي قبله والمصدوق اسم مفعول من صدق المتعدي كما ورد صدق وعده والصادق من اسماء الله ايضا ورد في حديث الاسماء كما قاله السيوطي رحمه الله تعالى (والهادي) عده جماعة من اسمائه اخذا من قوله وانك لتهدي الى صراط مستقيم وهو من اسماء الله تعالى ايضا ويأتي ان الهداية تطلق على خلق الاهتداء ويوصف بها الله تعالى خاصة وهو المنفي في قوله انك لاتهدي من احببت على قول وعلى البيان والدلالة بلطف وهذه يوصف بها الله تعالى والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويطلق على الداعي ومنه ولكل قوم هاد ولاتستعمل الا في الخير وقوله واهدوهم الى صراط الجحيم تهكم وهدايته صلى الله عليه سلم لما فيه من صلاح المعاش والمعاد ظاهرة وقد اشبعنا الكلام عليه في حواشي القاضي (وسيد ولد آدم) وقد ورد اطلاقه عليه في احاديث كثيرة صحيحة كما في حديث الشفاعة انطلقوا الى سيد ولد آدم وفي الصحيحين انا سيد الناس يوم القيامة وهو من اسماء الله تعالى ايضا كما اثبته البيهقي في كتاب الصفات فيجوز اطلاقه على الله تعالى وعلى غيره مطلقا وهو احد اقوال اربعة فقيل يختص بالله مطلقا وقيل يختص به معرفا وقيل يختص بغيره ولايجوز اطلاقه عليه واستدل للاول بانه لما قال له صلى الله عليه وسلم وفدي عامر انت سيدنا قال السيد هو الله وهو حديث صحيح كما مر وتحقيقه انه على الاطلاق معناه العظيم المحتاج اليه غيره وهذا مما يوصف به الله وغيره واما تخصيصه بغير الله كما روى عن مالك فلانه لم يثبت عنده اطلاقه على الله تعالى ولان معناه رئيس القوم الذي يفخر ويعز باتباعه وسيد القوم منهم وهذا لايليق بالله تعالى ولذا فسر اذا اطلق على الله بمالك واما اختصاصه بالله فلان معناه المالك المتصرف في امور غيره وهذا في الحقيقة انما هو لله واما التفصيل فلانه معرفا المعهود بالعظمة وكونه ملجأ لكل احد وهو مختص به تعالى وهذا اضعفها فان قلت اذا صح الاول فما تصنع بالحصر في حديث السيد هو الله قلت اذا ثبت وصف لشيء وحده او مع غيره واريد رده فللعرب فيه طرق اظهرها ان يؤتى بصريح الحصر كقولك لا معبود الا الله قلبا وافرادا او يعرف الطرفان كالمعبود

الله وهو كالذى قبله معنى الا انه قد يختار ايماء لمطمئة مخاطبه فهو ابلغ فى مقامه او يجعل من اثبته الزاعم له الصفة عين من هى له فى نفس الامر كما يقال للدهرى الدهر هو الله اى لا دهر ولا تصرف لسوى الله فاثبت له التصرف ونفاه عما عداه بطريق برهانى كقوله ان كان للرحمن ولد الى آخره وهذا نوع ادق من عبره سماه السبخ التنويع وذكره سيبويه فى باب الاستثناء فقوله السيد هو الله يحتمل احراؤه على ظاهره وان يكون من هذا القبيل فلا دليل فيه على انه من اسماء الله تعالى فضلا عن اختصاصه فاعرفه فانه من نفائس الدخاير المكنوزة فى دفائن الخواطر وقد قدمنا ذلك اول الكتاب فى الباب الاول وانما اعدناه لطول العهد به والمراد بولد آدم النوع الانسانى وكذا كل جماعة سموا باسم ابيهم حقيقة اطلاق الاولاد عليه واطلاقه عليهم كما يقال تميم له ولاولاده وكذا يقال بنو تميم لما يشمل تميم وهو القبيلة وهذا مجاز شائع حتى صار حقيقة عرفية كما نصله القرافى فى كتاب العقد المنظوم وعده من الفاظ العموم فى قال الولد للواحد والجمع فان كان مفردا يدعى ان يكون الاضافة للاستغراق بقرينة المقام اى انا سيد كل واد آدم وان كان للجمع والامر ظاهر ويلزم من كونه سيد ولد آدم سيادته على آدم اذ فيهم من هو افضل من آدم كابراهيم وموسى عليهم الصلوة والسلام فقد تكلف ما لا حاجة اليه لعدم وقوفه على ما ذكرومن فى الحديث انا سيد ولد آدم يوم القيامة وانه خص يوم القيامة لانه يظهر فيه سيادته على سائر المرسلين من غير مدارع فيه وان كان سيدا فى الدارين كما مر (وسيد المرسلين) كما ورد فى احاديث صحيحة واذا كان صلى الله تعالى عليه وسلم افضل من سائر المرسلين فهو افضل من سائر النبيين لان الرسول افضل من النبى وان اختلف فى تفصيل الرسالة والنبوة (وامام المتقين وقائد الغر المحجلين) جمعهما المصنف رحمه الله تعالى لورودهما كذلك فى حديث رواه البزار انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ليلة اسرى بى انتهيت الى قصر من لؤلؤة يتلألأ نورا واعطيت ثلاثا قيل لى انك سيد المرسلين وامام المتقين وقائد الغر المحجلين وقد ورد تسميته صلى الله عليه وسلم بامام النبيين وامام المتقين وامام الناس وامام الخير كما فى رياض لايقة ولاون ذكره ابن سيد الناس فى سيرته وعن قتادة فى قوله تعالى * يوم ندعو كل اناس بامامهم ان الامام المراد به النبى صلى الله عليه وسلم والامام فى اللغة المقتدى به ويطلق على الواحد كقوله تعالى * انى جاعلك للناس اماما وعلى الجمع كقوله تعالى * واجعلنا للمتقين اماما * قاله ابن الانبارى وسمى صلى الله تعالى عليه وسلم امام النبيين لانه اسقهم فى النبوة الروحانية ولانه امهم فى الاسراء كما مر واخرج احمد والترمذى اذا كان يوم القيامة كنت امام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم وفى رواية لاحمد كنت امام الناس وسمها احمد تسميته صلى الله تعالى عليه وسلم به وامام المتقين

ان اريد به امته صلى الله تعالى عليه وسلم فظاهر وان اريد الاعم موافقة لرواية إمام الناس فلاقتداء الانبياء به وفي بعض الشروح ان كل متق سواء كان من امته اومن الامم السالفة مقتد به لانهم في السير الباطني اشرفوا على المقام المحمدي وآمنوا به واهتدوا بهديه وامام الخير ورد في حديث رواه ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال اذا صليتم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاحسنوا الصلاة عليه فانكم لاتدرون لعل ذلك يعرض عليه قالوا له فعلمنا قال قولوا * اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير وقائد الخير رسول الرحمة اللهم ابعثه المقام المحمود الذي يغبطه به الاولون والآخرون * وقايد اسم فاعل من القود وهو مقدمه على من يتبعه باختياره وهو يقودهم الى الجنة برضاهم وفي القاموس القود نقيض السوق والعرجمع اعرواصل الغرة بياض في جبهة الفرس فالمراد به مطلق بياض الوجه هنا والتحجيل بياض في القوائم وفي الصحيحين ان امتي يدعون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء وورد بمعناه من طرق كثيرة وفيه رد على من انكر ذلك وقد جعل ذلك علامة لهم يعرفون بها بين الامم يوم القيامة والتعبير به وبالقود مما هو معروف من صفات الخيل فيه اشارة الى انهم جياد سابقون على غيرهم ففيه استعارة مكنية وتورية كقوله * الناس للموت كخيل الطراد * والسابق السابق منها الجواد * وبها استدل على ان الوضوء من خصائص هذه الامة وقيل انه غير مختص بهم وانما المختص بهم الغرة والتحجيل لحديث هذا وصوئي ووضوء الانبياء من قبلي واجيب بضعفه واحتمال ان يكون الانبياء عليهم الصلوة والسلام اختصوا به دون امتهم على تقدير صحته بعيد وكون بياض الغرة اثر الوضوء لايأبى في كونه من اثر السجود وادعاء انه غيره فيه نظر (وحبيب الله) تقدم بيانه مفصلا (وخليل الرحمن) تقدم تحقيقه (وصاحب الحوض المورود) رواه ابن حبان والحاكم وقال السيوطي حديث الحوض مروي عن اكثر من خمسين صحابيا وتقدم سرد بعضهم في كلام المصنف ومنهم ابو برزة الاسلمي وحديثه قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ان لي حوضا ما بين ايلة الى صنعاء عرضه كطوله فيه ميزابان من الجنة احدهما من ورق اي فضة والآخر من ذهب ماؤه احلى من العسل وابرد من الثلج وابيض من اللبن من شرب منه لم يظمأ حتى يدخل الجنة فيه اباريق عدد نجوم السماء وقال القرطبي ذهب جماعة الى ان حوضه صلى الله عليه وسلم بعد الصراط والصحيح ان له حوضين احدهما في الموقف قبل الصراط والثاني في الجنة وكلاهما يسمى كوثرا واختلف هل هو قبل الميزان او بعده والصحيح انه قبله والمعنى يقتضيه فان الناس يخرجون من قبورهم عطاشا او يراد عطشهم

فى السعى الى المحشر فيردونه قبل الميزان والصراط و و رد ايضا تسميته صلى الله عليه وسلم بصاحب الكوثر و سمى به لاختصاصه به وفى بعض الكتب لكل نبى حوض و تسميته به صلى الله تعالى عليه وسلم لعظم حوضه و ر يادته ومثله يحتاج لنقل والمورود اسم مفعول من الورد بالكسر وهو الذهاب للماء ويلزمه الشرب عادة فلذا عبر به وهو وان كان اسم مفعول لايدل على المبالغة فالمراد به كثرة الواردين عليه ولولاه كان الوصف به لغوا وقد ورد التصريح به (والشفاعة) اى من اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم صاحب الشفاعة وقد تقدم بيانه (و) صاحب (المقام المحمود) وهو مقام الشفاعة العظمى كما مر (و) صاحب (الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة) الوسيلة السبب الموصل لامر عظيم سمى به لانه سبب لكل خير وفسر فى الحديث بمنزلة مخصوصة كما ورد فى حديث مسلم السابق سلوا الله لى الوسيلة فانها منزلة فى الجنة لاتنبغى الا لعبد من عباد الله وارجو ان اكون هو واصل الوسيلة كما قال السيوطى القرب من الله و لمرتبة عنده وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم صاحب فضيلة ودرجة عالية رفيعة حساومعنى فى الدنيا والآخرة عى عن البيان (وصاحب التاج) قيل المراد بالتاج هنا العمامة ونقل عن المصنف رحمه الله تعالى والعمائم تيجان العرب لكونها معروفة عندهم دون غيرهم فكنى به عن انه من صميم العرب واشرفهم حسا ونسا و روى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه لم يلبس العمامة غيره من الانبياء وفى مقدار عمامته وكيفيتها تفصيل فى السير ولنا فيه رسالة مستقلة وكان له صلى الله تعالى عليه و سلم عمامة تسمى السحاب تحتها قلنسوة ودخل مكة فى الفتح وعلى رأسه عمامة سوداء وهو لاينافى رواية انس رضى الله تعالى عنه انه كان على رأسه مغفر ولبس صلى الله تعالى عليه و سلم عمامة حمراء ايضا ولم يلبس خضراء اصلا (و) صاحب (المعراج) وهو السلم فهو اسم آلة وقال السيوطى هو عروجه وصعوده صلى الله تعالى عليه وسلم للسماء والاسراء سيره من مكة الى القدس فهو مصدر سمى فيهما فرق وان اطلق كل منهما على الآخر كما مر وهو الذى تصعد عليه الارواح و الملائكة و لم يصعد عليه فى الدنيا بجسده احد غيره صلى الله تعالى عليه وسلم فلذا خص بالتسمية به (و) سمى ايضا صاحب (اللواء) قال السيوطى المراد به لواء الحمد الذى تقدم وقد تحمل على اللواء الذى كان يعقده صلى الله تعالى عليه وسلم للحرب فهو كناية عن القتال قال وهو مما يحمل فى الحرب ليعلم به صاحب الجيش يحمله هو بنفسه وقد يحمله غيره وقريب منه الراية وفرق بينهما وفى الترمذى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كانت رأيته صلى الله تعالى عليه وسلم سوداء ولواؤه ابيض وقيل كان مكتوبا عليه لا اله الا الله محمد رسول الله واول ما حدثت الرايات فى الاسلام يوم خيبر وما كانوا يعرفون قبل ذلك الا الالوية

(والقضيب) اى من اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم صاحب القضيب وهو السيف كما قاله المصنف رحمه الله تعالى وتبعه السيوطى ويأتى انه وقع مقسما به فى الانجيل حيث قال معه قضيب من حديد يقاتل به وانه يحتمل ان يراد به القضيب الممشوق الذى يمسكه الخلفاء وفى كتاب البيان للحلى خط انه كانت له صلى الله تعالى عليه وسلم مخصرة وقضيب وعنزة تحمل ما بين يديه وهكذا كانت عادة عظماء العرب وخطائهم فاذا اريد الاول فهو كناية عن جهاده وكثرة قتاله وان كان الثانى فعبارة عن كونه من صميم العرب وخطائهم واقيل من ان المراد به القضيب الذى اعطاه صلى الله تعالى عليه وسلم لبعض الصحابة فانقلب سيفا كما هو معروف فى معجزاته تكلف باش من ضيق العطن (وراكب البراق والباقة والبجيب) البراق دابة عراب من المخلوقات العلوية روى ان وجهه كوجه الانسان وجسده كالفرس وقوائمه كالبقر وذنبه كالجمل وليس مذكر ولا انثى وسمى به لسرعته اولياضه وصفائه اولما فيه من قليل سواد من قولهم ساة برقاء ورد انه صلى الله عليه وسلم لما اسرى به واختلف فيه هل ركبه غيره من الانبياء ام لا وهل ركب معه جبريل ام لا كما تقدم ذلك كله فان قلنا لم يركبه غيره ووجه التسمية به ظاهر وان قلنا ركبه غيره فوجهها ركوبه. بهذه السرعة وصعوده به الى السماء مخصوص به على ان وجه التسمية لا يلزم اطراده والبجيب الجمل وقد سمى براكب الجمل ايضا فى الكتب القديمة كما سمى عيسى عليه الصلوة والسلام براكب الحمار ولذا قال الحاشى لما جاءه كتابه صلى الله تعالى عليه وسلم وآمن به اسهدان نشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل وسمى به مع ركوبه صلى الله تعالى عليه وسلم الفرس والبغل والحمار لانه كناية عن تواضعه او لهجرته عليه او كونه من صميم العرب وكان له صلى الله تعالى عليه وسلم جمال ونوق مذكورة فى السير وقيل المراد بالبجيب الناقة وقيل لبجيب اسم فرس له صلى الله تعالى عليه وسلم استراه من اعرابى وهو الذى شهد له خزيمة وهو عربى (وصاحب الحجة) وهى الدليل الذى يحج به الخصم وهو المراد او المراد المعجزة وقد بلغت القا واعظمها القرآن (والسلطان) بضم السين وسكون اللام وقد تضم وهو يذكر ويؤنث وله معان منها البرهان والملك والسبوة والغلبة ويصح ارادة كل منها وسمى صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا فى كتاب سعيا وبعض الكتب القديمة (والخاتم) اى صاحب الخاتم بالكسر والفتح وهو خاتم النبوة الذى كان بين كتفيه صلى الله تعالى عليه وسلم كزر الحجلة وبيضة الحمامة وقيل انه كان فيه كتابة الله وحده لا شريك له او محمد رسول الله او توجه حيث شئت فانك منصور وذكره مع السلطان لانه ورد مقرونا به فى كتاب سعيا وقيل المراد به الخاتم المعروف لانه لم يعرف فى العرب ولا فى الانبياء من ختم الكتب سواه وفيه نظر (والعلامة) اى علامة السنة وفى الخاتم ايضا وقد ورد

نعته به فى الكتب القديمة وهو من شواهد نبوته صلى الله عليه وسلم والدال على ان الانبياء حتموا به كما ورد فى حديث ويجوز ان يراد به مطلق العلامات التى كان اهل الكتاب يعرفونه بها كما يعرفون ابناءهم (وصاحب الهراوة) بكسر الهاء ثم راء مهملة والف وواو وتاء تأنيث وهى العصا قال فى النهاية لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يمسك بيده القضيب ويمشى بالعصا بين يديه ويغرز له ليصلى اليها وقال الجوهرى هى العصاة الضخمة وجمعها هراوى كخطايا وقال المصنف كما يأتى انها العصا الواردة فى حديث الحوض انه يذودها الناس عنه وقال النووى انه ضعيف او باطل لان المراد وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بما يعرفه الناس ويعلم اهل الكتاب انه المبشر به فى كتبهم فلا وجه لتفسيره بامر يكون فى الآخرة فالصواب ما تقدم ومن سنن الانبياء حمل العصا تواضعا (والنعلين) اى صاحب النعلين وقد ورد تسميته صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا فى الانجيل وفى كيفية نعليه كلام مفصل افرده بعض اهل العصر بالتأليف وكان له صلى الله تعالى عليه وسلم نعلان سبتية بكسر السين اى لا شعر عليها او مدبوغة وما قيل من انه سمى به لما فيه من مخالفته لاهل الجاهلية من تنعلهم فى رجل واحدة وقد ورد النهى عنه فى الحديث الاول تركه (ومن اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم فى الكتب) الالهية المنزلة على من قبله من الانبياء عليهم الصلوة والسلام (المتوكل) هو اسمه فى التورية ونصها انت عبدى ورسولى سميتك المتوكل وهو الذى يكل امره الى الله ويعتصم به والتعلق بالله على كل حال وقيل التوكل ترك تدبير النفس والانخلاع من الحول والقوة وهو فرع التوحيد وكان صلى الله عليه وسلم ارسخ الانبياء قدما فيه وتوكل العوام مباشرة الاسباب مع الاعتماد على مسببها والى الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم لو توكلتم على الله حق التوكل لرزقكم كما ترزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا وتروح خماصا وتوكل الخواص وهو ترك الاسباب بالكلية (والمختار) اسم مفعول من الاختيار وهو الاصطفاء لانه من خيار وفى التورية عبدى المختار لا فظ ولا غليظ (ويقيم السنة) سمى به فى التورية وان بور فى قوله اللهم ابعث لنا محمدا يقيم السنة بعد الفترة لم يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء والمراد سنة من قبله من الانبياء عليهم الصلوة والسلام وطريقتهم باظهار التوحيد ودعوة الخلق من قامت السوق نفقت ففيه استعارة مكنية بجعل ذلك كالامتعة المرغوب ويعد لها ويسوق (والمقدس) بالتشديد اسم مفعول وفى الرياض الانيقة معناه المفصل على غيره وقال ابن دحية معناه المطهر المنقى من دنس الذنوب والنقايص من التقديس وهو التطهير ومن اسماء الله تعالى القدوس اى المنزه عن سمات النقص والحدوث وقيل تقدست عليه الصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم (وروح القدس) بضمتين وضم وسكون وهذا سقط من بعض نسخ السماء اى الروح

المقدسة من النقايص وروح القدس فى القرأن فسر بجبريل عليه الصلوة والسلام والقدس الطهارة او الله واضافة الروح له تشريفية كروح الله لعيسى (وروح الحق) الحق هو الله وقال الشيخ ابن عربى فى الفصوص انه اسم الله الاعظم وهو صلى الله عليه وسلم مظهره (وهو) اى روح القدس وروح الحق (معنى البارقليط فى الانجيل) فانه فيه سمى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الفارقليط وفسر بما ذكر وروايته مفسرا به فى شرح الانجيل للمسيحى الطبيب الا انه حرفه وقال المراد بروح الحق احد الاقانيم الثلاثة عندهم قاتلهم الله (وقال ثعلب) وهو احمد بن يحيى الشيبانى البغدادى امام اهل اللغة والعربية المشهور ومولده فى حدود المأتين ووفاته فى جمادى الآخرة سنة احدى وتسعين ومأتين فى تفسيره (البارقليط الذى يفرق بين الحق والباطل) قال ابن دحية وهو اسمه صلى الله تعالى عليه وسلم فى الكتب المنزلة القديمة وروى عن ابن عباس ايضا وروى بالغاء المعجمة وبالباء غير صافية وفى المقتنى للحلبى الذى احفظه انه بموحدة فى اوله والف وراء مكسورة وقاف ساكنة ثم لام تليها ياء مثناة تحتية ساكنة وطاء مهملة وهو الصحيح وفى بعض الحواشى انه روى بفتح الراء وقد تسكن وقاف تفتح مع السكون وتسكن مع الفتح ومعناه محمد وفى الرياض الانيقة معناه الحامد او الحماد والذى عليه اصحاب الانجيل ان معناه المخلص وعبارة الانجيل انى ذاهب الى ابى وابيكم ليبعث اليكم البار قليط وفى شرح هياكل النور للدوانى انه بالغاء ثم الف وراء مكسورة وقاف ساكنة ولام مكسورة ثم طاء مهملة والف مقصورة وهو لفظ عبرانى معناه الفارق بين الحق والباطل والمراد مظهر الولاية التى هى باطن النبوة والمراد بابى وابيكم ربى وربكم والاوائل يسمون المبادى بالاباء انتهى فالحاصل انه ياء مسبوقة بغاء وآخره الف ثم عرب بياء وغاء وحذفت الالف من آخره فعليه ثلاثة اوجه وقالوا حقيقته المخلص كما علمت وتفسيره بالفارق الى آخره بيان لحاصل المعنى ومن كذب جهلة النصارى ان البار قليط نازل على التلاميذ من السماء نهايا معلوم العجايب وفى ترجمة الانجيل اذا وجدتمونى فاحفظوا وصيتى وانا اطلب ليعطيكم فارقليط آخر يكون معكم الدهر كله قال بعض اهل العلم بالكتب السابقة هذا صريح فى ان الله يبعث اليهم من يقوم مقامه فى تبليغ رسالته وتكون شريعته مؤيدة وليس الا هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وهم يختلفون فى معنى البارقليط والذى صح عنهم انه الحكيم الذى يعرف السر وفى الانجيل ما يدل على ان الرسول قاله قال هذا الكلام الذى تسمعونه ليس هو لى بل للاب الذى ارسلنى كلمكم بهذا وانا معكم واما البار قليط فروح القدس الذى يرسل الى باسمى فهو يعلمكم كل شئ ويذكركم جميع ما اقول لكم وهم يزعمون ان روح القدس تفسير للبارقليط كما رأيته فى شرح الانجيل واما لاب فكلمة تعظيم للعلم وهم يسمون العلماء آباء روحانية وقوله يرسل باسمى اى يشهد بصدق

رسالتي وبهذا انصح لك لفظه ومعناه وهذا مما انتخبته من كتب عديدة فاحفظ
(ومن اسمائه صلى الله عليه وسلم في الكتب السالفة ماذماذ ومعناه طيب طيب) وروى
موذ موذ وميذ وميذ الاول هو الذي صح روايته عند المصنف والثاني ذكره العز وقال
انها سمعه صلى الله تعالى عليه وسلم في صحف ابراهيم وذكر الثالث وقال انه اسمه
صلى الله تعالى عليه وسلم في التورية وهو ميم مفتوحة والف غير مهموزة وذال
معجمة ساكنة كما في المقتفى وقال انه ينبغي ضم ذاله لانه اسم غير منصرف للعلمية والعجمة
وتقديره انت ماذ ماذ اي ياماذ ونقل الشهاب الحجازي الاديب شيخ السيوطي نقلا
عن السهيلي ان ميمه مضمومة والفه مهموزة بين الواو والالف وقال انه سمعه من
بعض احبارهم والظاهر انه تكرار للتأكيد والمراد انه طيب في نفسه وفي دنياه وطيب
في صفاته وآخرته وكونه اسما واحدا مثل مرمر او مركب خلاف الاصل وقيل ان
داله مهملة وفي شرح رسالة الكندي المنسوب للعزالي انه سمع ممن اسلم من احبار
اليهود انه في التورية اشارة لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم في قوله لابراهيم اني
قد استجبت لك في اسمعيل وانا اباركه واعظمه بما د ماذ وهو محمد من طريق العدد
لان فيه ميمين في مقابله وباء موحدة والعين والدالين باثني عشر وهو عدد الحاء
والدال من محمد وهذا يقتضي ان داله مهملة وهذا مما لم يذكره احد من ارباب الحواشي
والشروح وما قاله التلمساني من انه يحتمل ان يكون مأخوذا من الماذي وهو العسل
الابيض لحلاوته في ذاته وصفاته او الماذي بمعنى الدرع الليلة السهلة لانه حصن
حصين للعالمين ليس بشيء لانه يقتضي انه عربي ولم يقل به احد قط (وحمطايا)
هذا وما قبله رواه ابو نعيم في الدلائل عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وضبطه
السمهودي في حاشيته بفتح الحاء المهملة وفتح الميم المشددة وطاء مهملة مخففة والفين
بينهما مثناه تحتية وفي العربيين انه بكسر الحاء وميم ساكنة تليها ياء مثناة تحتية
والف ثم طاء والف هكذا حيطا وفي المواهب انه بفتح الحاء وسكون الميم ومثناة تحتية
والف وطاء مهملة والف بعدها وقال انه بكسر وياء اونون واما معناه فقال ابو عمرو
عن بعض الاحبار ان معناه يمنع من الحرام ويحمي الحرم اي يمنع ما كان في الجاهلية
من الانكحة وغيرها من المحرمات فالحرم بفتحتين او بضم ثم فتح وفي الرياض الانيقة
معناه حامي الحرم او نبي الحرم (والحاتم والحاتم ذكره كعب الاحبار) تقدمت ترجمته
واحلف السراج في ضبطه وروايته فقيل هما بالحاء المعجمة الا ان الاول بفتح التاء
والثاني بكسرها او بالعكس وهو بعيد لانه تقدم فلا وجه لاعادته وقيل الاول معجمة
والثاني مهملة وفسر بانه احسن الانبياء خلقا وخلقا وكما ذكره الطاهر انه من الختم
وهو الاحكام لاحكام القضاء والاحكام ويجمع على حتوم كما قال امية ابن ابي الصلت

* عبادك يخطئون وانت رب * بكفيك المنايا والحتوم *

والحاتم القاضي كما في الصحاح ووجه الاول انه جمال الانبياء كالحاتم الذي يتزين به فهذا اذا كان تفسيرا للخاتم بالمعجمة فهو في قوله (وقال ثعلب والخاتم الذي ختم الله به الانبياء والحاتم احسن الانبياء خلقا وخلقا) تكون اشارة الى تفسيره على وجه يسقط به التكرار وسكت عن الثاني لظهوره وان كان الاول هنا بالمعجمة والثاني بالمهملة كما ضبط في الشروح والحواشي وهو مروي عن المصنف ففيه مع التكرار ان تفسير الحاتم بالمهملة بما ذكر ليس معروفا في اللغة وانما معناه ما تقدم حتما الا ان يتكلف انه من الحتم بمعنى الحائص وقد قالوا فيه انه مقلوب من المحت ولك ان تقول انه من الحثامة وهي بقية الطعام كانه آخر ما بقي من نعم الله تعالى وقرن بالحاتم وان تكرر لهذه النكتة والعجب من الشراح اذ لم يتعرضوا لهذا مع ظهوره (ويسمى بالسريانية) وهي لغة آدم عليه الصلوة والسلام واول اللغات ومنها تشعبت سائر اللغات ثم صارا صول اللغات ثلاثا السريانية والعبرانية والعربية وفي بيان معنى نسبتها كلام لا حاجة اليه هنا وهي بضم السين وراء ساكنة اومكسورة وما قيل انه من السر لان الله تعالى علمها لآدم سرا بعيد وقال السيوطي رحمه الله تعالى ان سؤال القبر بالسريانية (مشعم) بضم الميم وفتح السين المعجمة وعاء مفتوحة اومكسورة مشددة فيهما وروي بالقاف وحاؤه مهملة وسمي به صلى الله تعالى عليه وسلم في كتاب شعيا وقال البرهان لا اعلم صحته ولا معناه ونقل بعض اهل العصر عن ابن فورك ان معناه محمد لانهم يقولون شفح لاها اي يحمد الله وتبع فيه التلمساني (والمحمطا) قال البرهان هو بضم الميم وبوو ساكنة ثم حاء مهملة مفتوحة وميم مكسورة ونون مفتوحة مشددة والف مقصورة وقال التلمساني الميم الثانية مثلثة ومعناه روح القدس وهو بالسريانية محمد وبالرومية البرقليطس ونحو مه في تذكرة الصفدي وضبطه بعضهم بفتح الميمين ونقله السيوطي عن ابن دحية وقال ابن سيد الناس في السيرة معناه محمد وهو محتمل لانه اسم له ولكونه بمعناه (واسمه في التورية احيد) قال السمعي هو بضم الهمزة وسكون الحاء المهملة وفتح المساة التحتية وكسرها ودال مهملة وقيل انه بفتح الحاء المهملة وسكون الياء التحتية والمحموط فتح الهمزة وسكون المهملة وفتح التحتية وهو غير عربي وفي الكامل رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم قال اسمي في القرآن محمد وفي الانجيل احيد وفي التورية احيد واء سميت احيد لاني احيد امتي عن نار جهنم وكذا اخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ويؤيده انه ضبط بكسر الحاء مع فتح الهمزة وضمها وهو عربي من حاد يحيد اذا عدل ومال ان لم يكن من توافق اللغات وذكره الماوردي في تفسيره وضبطه بمد الالف وكسر الحاء كما في الرياض الانيقة وفي السيرح الحديدان الذي في النسخ بضم الهمزة وحاء مكسورة مهملة ومساة

تحتية ساكنة والمشهور فتح الهمزة وسكون الحاء وفتح الياء وفى نسخة بفتحها وكسر الحاء وسكون الياء وماقيل انه من الواحد لانفراده فى ذاته وصفاته فيه مالايخفى (وروى ذلك ابن سيرين) الامام الحجة الثقة الزاهد الورع الشايع صيته فى الآفاق ابو بكر محمد بن سيرين الانصارى وروى عنه الائمة الستة وتوفى بعد مائة وعشر وهو من اعلم التابعين رضوان الله عليهم اجمعين ثم انه رجع الى تفسير بعض الاسماء السابقة فقال (ومعنى صاحب القضيب اى السيف) كما تقدم ومعنى مبتداء خبره (وقع ذلك مفسرا فى الانجيل قال) اى الله فى الانجيل وكون فاعله ضمير الانجيل تجوزا تكلف وفى القاموس القضيب السيف القاطع كالقاضب سمى به من القضب لانه اقتطع من الحديد (معه قضيب حديد يقاتل به وامته كذلك) اى يقاتل بالسيف الاعداء ثم اشار الى معنى آخر فقال (وقد يحمل على انه القضيب الممشوق) اى قد يعسر به وهو مجاز من الحمل على الظهر فيجعل التأويل به كجعله عليه استعارة صارت حقيقة شايعة فيه وقد للتحقيق وقد تجعل للتقليل لقلة تفسيره بالنسبة لماقبله وقضيب فعيل بمعنى فاعل من قضبه بمعنى قطعه فهو فى السيف بمعنى انه بالغ فى القطع الى حد لم يصل اليه سواه فهو عبارة عن شجاعته وكثرة جهاده وكثرة غزواته وفتوحاته وغنايمه فان كان بمعنى العصا فهو بمعنى مفعول لانه مقطوع من الشجر وقد مر انه كان له صلى الله تعالى عليه وسلم عصا على عادة العرب فى اتخاذ عظمائهم وخطبائهم عصيا يشيرون بها كما قال الشاعر * فى كفه خيزران ريحه عبق * فى كف اروع فى عرنينه شمم * كما فى كتاب العصا للجاحظ وفى القاموس قضيب ممشوق طويل دقيق من المشق وهو جذب الشئ ليطول وكان له صلى الله تعالى عليه وسلم قضيب يسمى الممشوق ومحجن يستلم به الركن وقال ابن الجوزى كان له صلى الله تعالى عليه وسلم قضيب وهو (الذى كان يمسكه عليه الصلوة والسلام وهو الآن عند الخلفاء) يمسكونه تبركا به فكان لهم واحدا بعد واحد (واما الهراوة التى وصف بها) وصفا لغويا فى تسميته صاحب الهراوة وتقدم تفسيرها فكان صلى الله تعالى عليه وسلم يحملها ويتوكأ عليها وهو من سنن الانبياء (فهى فى اللغة العصا واراها والله اعلم) بضم الهمزة اوفتحها بمعنى اظنها اواعتقدها اوان المراد بها ها فى التسمية (العصا المذكورة فى حديث الحوض) الذى قال فيه صلى الله تعالى عليه وسلم (اذود الناس عنه بعصاى لاهل اليمن) اذود بمعنى اطرد وامنع وهذا بدال مهملة فى اوله ومعجمة فى آخره وهذا الحديث رواه مسلم فى المناقب هكذا لاهل اليمن اى لاجلهم فانهم على بعد شقتهم احابوا دعوته صلى الله تعالى عليه وسلم من غير تردد وقتال فاوردهم الحوض قبل غيرهم ليريحهم كما اراحوه فالجزاء من جنس العمل وفيه روايات فروى لاهل اليمن كما ذكر ومع صحته

معنى قالوا انه من طغيان القلم وعن النووى ان هذا التوجيه ضعيف او باطل لان المراد بتعريفه صلى الله تعالى عليه وسلم بصفة يعرفها الناس ويستدل بها عليه وانه المبشر به فى الكتب السالفة التى ميز فيها العنوان فلا وجه لتفسيره بما فى الآخرة مما لم يتيقنوه ولكن يكفى فى ذلك ذكره ماوقع فى الكتب الالهية التى لم يقرأها او يقول من فسره بهذا انما اراد تفسيره بامر مختص به ويصيره علما له وتقدم انه قيل الاحسن حمله على العصا التى اعطاها صلى الله تعالى عليه وسلم لبعض الصحابة فانقلبت سيفا فانه معجزة له كما قال الصرصرى يمدحه صلى الله تعالى عليه وسلم * وعصاه لما مسها بيمينه * فضلت عصا صارت الى ثعبان * يعنى انها صارت معجزة اقوى من معجزة موسى عليه الصلوة والسلام بعصاه (واما التاج فالمراد به العمامة) كما تقدم (ولم يكن حينئذ) اى فى عهد مبعثه وحياته صلى الله تعالى عليه وسلم (الا للعرب والعمائم تيجان العرب) اى قائمة مقام تيجان العجم المعهودة بينهم والتاج مايوضع على الرأس من الذهب المرصع بالجواهر والعمائم جمع عمامة وسيأتى الكلام على عمامته صلى الله تعالى عليه وسلم ولما لم يقع فى وصف الحبيب المعمم بمامر قال (واوصافه) اى الاوصاف التى اطلقت عليه (والقابه وسماته) جمع سمة وهى العلامة كما تقدم (فى الكتب كثيرة) اراد بها كتب الحديث والسير او الكتب الالهية (وفيما ذكرناه مقنع ان شاء الله) اى فى المقدار الذى ذكره مايحصل به القناعة عن غيره مما فى الكتب وفى المصباح مقنع كجعفر مايقنع به يعنى انه اسم مكان تحوز به عما يقنع به وقيل انه مصدر ميمى من قنع بمعنى رضى والاول اولى وفى بعض النسخ هنا زيادة من الحاق المصنف وهى (وكانت كنيته المشهورة) والكنية ماصدر باب اوام ونحوه (ابا القاسم) اشتهر بها صلى الله تعالى عليه وسلم لانه اول اولاده صلى الله تعالى عليه وسلم كما تقدم (وروى عن انس رضى الله تعالى عنه) رواه احمد فى مسنده والبيهقى (لما ولد له) اى للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولده (ابراهيم) من امارية القبطية جاريته المشهورة (جاءه جبريل عليه الصلوة والسلام فقال السلام عليك يا ابا ابراهيم) فكساه به كما كناه بالقاسم ومما كنى به صلى الله تعالى عليه وسلم ابو الارامل وابو المؤمنين وقرئ فى الشواذ وارواحه امهاتهم وهو اب لهم وقيل ان هذا وامثاله مما لم يضف للابناء الحقيقية لقب لاكنية كابى تراب ﴿فصل فى تشريف الله تعالى له صلى الله تعالى عليه وسلم﴾ اى تعظيمه وتفضيله (بما سماه به من اسمائه) عز وجل والباء سببية او للتعدية (الحسنى) اى الحسنة الجليلة لدلالتها على معان محمودة وقال الراغب الفرق بين الحسن والحسنة والحسنى ان الحسن يقال فى الاعيان والاحداث وكذلك الحسنة اذا كانت وصفا لااسما اذا كانت اسما فهى متعارفة فى الاحداث والحسنى تكون

فى الاحداث دون الاعيان انتهى (ووصف به من صفات العلى) بالضم جمع عليا ككبر وكبرى وفى بعض النسخ العليا وفى المصباح العليا كل مكان مشرف ولاوجه لتخصيصه بالمكان وقال الراغب العلى جمع لتأنيث اعلى بمعنى افضل واشرف والصفتان كاسفتان (قال القاضى ابو الفضل) هو عياض المصنف (رضى الله عنه) وهو مما عبر به عن نفسه من غير قصد التمدح لاشتهاره اوزاده تلاميذه كقوله فى بعض النسخ (وفقه الله) والتوفيق تهيئة الاسباب الموافقة وهى جملة دعائية معترضة (ما احرى) بفتح الهمزة وحاء ساكنة مهملة وراء مقصور بمعنى احق واولى وهى صيغة تعجب من زيادة لياقته (هذا الفصل) قال البرهان الفصل ضبط فى الاصل بالرفع والظاهر نصبه لان ما تعجبية كما تقول ما اكرم زيدا كما هو معروف فى النحو (بفصول الباب الاول) المعقود لثناء الله عليه واظهار عظيم قدره وهذه التسمية دالة على ذلك كما اشار اليه بقوله (لانخراطه فى سلك مضمونه) اى لدخوله فيما تضمنه ودل عليه من المناقب التى حرست عدها السنة الاقلام وفى السلك استعارة تخييلية ومكنية عيرانهم فسروا الانخراط بالانتظام وقد تتبعت اللغة وكلام العرب فلم اجد الانخراط بهذا المعنى بل هو مناف له فان اختراط السيف اخراجه من غمده واخترط ورق السجر ازالته عنه بجمع الكف ومنه خرط القتاد الا انهم استعملوها كثيرا فى كلام المصنفين الموثوق بهم كالزمخشرى والسكاكى ولم يزل هذا يختلج فى صدرى ولم احدثما يلجه حتى وجدت ابن عباد قال فى جامع اللغة خرطت الجواهر جمعتها فى الخريطة وهى الكيس فعلمت ان هذا منه غير انهم تسمحوا فى استعمالها فذكروا السلك مكانه لانه مثله فى جمع الجواهر فحمدت الله على ذلك (وامتزاجه) اى اختلاطه بحيث لايتميز احدهما عن الاخر ومنه المزاج (بعذب معينها) وهو بفتح الميم وكسر العين المهملة بمعنى الجارى مطلقا اوعلى وجه الارض واصله معيون فاعل كبيع فهو من عين الماء وميه زائدة وقيل ان وزنه فعيل ومعناه البعيد مجراه من امعن فى سيره والعذب الحلو الذى يتعذى به وفى تفسيره بالعزير مسامحة ووجه الاستعارة فيه ظاهر ثم استدرك الاعتذار عن عدم ذكره فى الباب الاول فقال (لكن الله لم يشرح الصدر للهداية الى استنباطه) اى لم يفتح الله عليه به اولا باحراجه فى محله واصل الاستنباط اخراج الماء فعبر به مع ماقبله مناسبة لطيفة وفى ذكر الحوض الاتى بعده لطف *يزيدك وجهه حسنا * اذا مازدته نظرا* وقوله (ولااثار) اى دل دلالة واضحة (العكر) بكسر الفاء وسكون الكاف اوفتحها جمع عكرة (لاستخراج جوهره والتقاطه) اى استخراجه من بحاره اواخذ لقطته وهذا باطر لانخراطه فى سلكه ففيه استعارة ولف ونشر غير مرتب ففيه درة ودرة (الاعند الحوض فى الفصل الذى قبله) اى لم يهده الله للوقوف عليه الاعند الشروع

فيما قبله واصل الخوض السروع فى المرور فى الماء فاستعير لمطلق السروع الا انه كما قال الراغب اكثر ما ورد فى القرآن فيما يدم السروع فيه (فرأيا ان يضيعه اليه) اى الى الفصل الذى قبله باب تذكره عقبه لمناسبته له ومراده ان يجعله كالضيف الذى انزل عنده فلذا قال (وتجمع به شمله) اى تضمه اليه والشمل بمعنى المتفرق اى تجمع ما تشتت منه ويكون بمعنى الجمع فهو من الاضداد (فاعلم) خطاب لكل من يصح توجيه الخطاب له كما مر (ان الله خص كثيرا من الانبياء عليهم الصلوة والسلام بكرامة) اى بامر اكرمه وشرفه به (خلعها عليهم من اسمائه) اى اعطاها لهم وانبسها اياهم والاصل فى الخلعة انها ثوب يلقيه الملك على من يكرمه او يوليه ولاية وشاع فى عرف الكتاب تسمية الخلعة تشريفا واليه اشار المصنف رحمه الله تعالى بقوله فى اول هذا الفصل فى تشريف الله له بما سماه باسمائه ففيه لطف لم يتنبهوا له وفى نسخة عليه بالافراد وفى نسخة جعلها بدل خلعها والصحيح الاول للمعرفة وفيه استعارة تبعية بجعل الاسم خلعة لما فيها من الشهرة واظهار التكريم (كتسمية اسحق واسمعيل بعليم وحليم) فى قوله تعالى * وبشروه بغلام عليم * يعنى اسحق وقوله تعالى * فبشرناه بغلام حليم * يعنى اسمعيل وهذا بناء على ان المبشر به اسحق وقيل هو اسمعيل قيل ولهذا جمع المصنف رحمه الله تعالى هنا بين اسحق واسمعيل (وابراهيم بحليم) فى قوله ان ابراهيم لاواه حليم (ونوح بشكور) اى كثير الشكر فى قوله تعالى * ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا * فى الاسراء بناء على ان الضمير له لا لموسى عليهما الصلوة والسلام كما تقدم (ويحيى وعيسى ببر) فى قوله وبرا بوالديه وبرا بوالدتى وهو صفة مشبهة من البر والبر خلاف البحر لما فيه من السعة توسعوا فيه فاشتقوا منه اى التوسع فى فعل الخير وينسب ذلك تارة الى الله تعالى نحو انه هو البر الرحيم وتارة الى العبد فيقال بر العبد ربه اى توسع فى طاعته فمن الله الثواب ومن العبد الطاعة وذلك ضرب ان ضرب فى الاعتقاد وضرب فى الاعمال وقد استعمل منه قوله تعالى * ليس البر ان تولوا وجوهكم * الآية ولذا لما سئل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن البر تلا هذه الآية وبرا بوالدين التوسع فى الاحسان اليهما ويستعمل البر فى الصدق لكونه بعض الخير المتوسع فيه قاله الراغب (وموسى بكريم وقوى) فى قوله تعالى * وقد جاءهم رسول كريم * وقوله ان خير من استأجرت القوى الامين وفى بعض النسخ بدل كريم كليم والصحيح الاول لانه لم يسم به الله وان كان الكلام من صفاته (ويوسف بحفيظ عليم) اى حافظ كثير العلم وهذا فى قوله تعالى * اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم (وايوب بصابر) فى قوله تعالى * انا وجدناه صابرا نعم العبد (واسمعيل بصادق الوعد) فى قوله تعالى واذكر فى الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد لشهرته بوفاء ما وعد به من صبره

على الذبح ووفائه به ولايرد عليه ان فيما ذكر ماهو من كلام الملائكة والانبياء لانه تعالى حكاه واقره فكان فى الحقيقة وصفا من الله بما ذكر واسمعيل هو ابن ابراهيم عليهما السلام لا ابن حزقيل عليه السلام فانه قول غير مشهور وماقيل من ان هذه الصفات يوصف بها كل من قامت به فكل من قام به علم اوحلم يقال له عليم وحليم مثلا فلا اختصاص لهذه الاسماء بمن ذكر والجواب بالفرق بين شاء الله تعالى وشاء غيره فالاختصاص من حيث ان الله تعالى وصفهم بها وفيه غاية الاختصاص وشاء الله على كثير من المؤمنين بالصبر والصدق ايضا لاينافيه لان الثناء بهذه الصفات على هؤلاء من حيث ان الله تعالى جبلهم عليها وكذا ما قيل من ان عيسى عليه الصلوة والسلام هو الذى وصف نفسه بما ذكر الا انه لما كان فى حال الطفولية والله هو الذى انطقه على خرق العادة فالواصف هو الله فى الحقيقة كلها تكلفات نحن فى غنية عنها فان المصنف لم يذكر الاختصاص وانما قال ان من اسماء الله تعالى ماسمى به رسله تشريفا لهم وبيانا لتخلقهم باخلاقه ولاشك اذا اجريت على الله تعالى فلها معان لاتليق بغيره ولما كان سمى ببعض منها بعض رسله دل على انها بمعنى لايليق بغيرهم ايضا وقد قال ابن القيم فى كتاب الفوائد ان الاسماء التى تطلق على الله تعالى وعلى غيرها اختلف فيها فقيل انها حقيقة فى الله مجاز فى غيره وقيل على العكس وقيل انها مشتركة بينهما وان كان هذا محتاجا للبسط والبيان (كما نطق بذلك الكتاب العزيز) اى دل عليه القرأن نصا وتصريحا فالنطق مجاز عما ذكر كما فى قولهم نطقت الحال والعزيز بمعنى الغالب لغيره من الكتب باعجازه واستيعابه لما ليس فى غيره من الكتب (من مواضع ذكرهم) اى مستفادا من مواضع ذكرهم فيه وان حكاه عن غيره ففيه اشارة لما تقدم (وفضل محمدا نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) فى القرأن على غيره ممن ذكر (بما حلاه منها فى كتابه العزيز) الباء سببية متعلقة بفضل وحلاه بفتح الحاء المهملة وتشديد اللام من الحلية وهى الصفة الظاهرة اوالحلى التى يتزين بها اى بما وصفه اوزينه وكرمه بما وصفه وسماه به فى القرأن (وعلى السنة انبيائه) فى الكتب المنزلة عليهم اوفيما نقل لنا عنهم (بعدة كثيرة) بكسر العين وتشديد الدال اى بعدة اسماء وصفات كثيرة غيره بكثرتها لان كثرة الاسماء تدل على شرف المسمى (اجتمع لنا منها جملة) اى انه جمع منها اسماء متعددة (بعد اعمال الكفر) مصدرا عمله اى جعله فاعلا لما يريده فكأنه استخدم افكاره فى السطر فيما يؤخذ منه ويدل عليها (واحضار الذكر) اى استحضارها وتذكرها وذاله معجمة مكسورة وجوز ضمها وتفسير الذكر بالقرأن هنا لاوجه له والحاصل انه اجتهد فى جمعها وبذل فيها جهده وطاقته (ان لم نجد من جمع منها فوق اسمين) قيل هما رؤف رحيم فى سورة براءة (ولا من تفرغ فيها للتأليف فصلين)

الفراغ خلاف الشغل الحسى والمعنوى يقال تفرغ لعمله اذا اشتغل به وترك غيره واذ تعليل لما قبله (وحررنا منها فى هذا الفصل نحو ثلاثين اسما) نحو هنا بمعنى قريب اى يقرب من هذه العدد فلا يضر زيادة او نقص قليل منها كما ان فوق فيما سبق بمعنى ازيد والتحرير بمعنى الكتابة او التهذيب والتحقيق كما مر (ولعل الله تعالى) اى ارجو من الله تعالى عز وجل الذى الهمنا ان يتم ما الهمنا والمراد الدعاء (كما الهم الى ما علم منها) ضمن الهم معنى ارشد وهدى فعداه بالى فانه يتعدى بها وباللام وعلم بتشديد اللام اى علمنى من هذه الاسماء (وحققه) اى بين حقيقته او جعله محققا متيقنا واطلعه عليه (يتم) هذه (النعمة) وهى التعليم والتحقيق (بابانة) اى اظهار (ما لم يظهره لنا) حتى نقف عليه والكاف للتشبيه وقدم المشبه على المشبه به اهتماما به او هى للمبادرة كما فى قولهم كما يد خل صلى (الآن) مبنى على الفتح والالف واللام لازمة زائدة اى لم يظهره الى حين تحرير هذا الفصل (ويفتح غلقه) بفتح العين المعجمة وفتح اللام والقاف وهو ما يغلق اى يقفل به كما فى المقنى وفى بعض الشروح انه بضمتين وهو الباب المغلق ففيه استعارة تصريحية مرشحة ويجوز ان يكون بفتحة ثم بكسرة بزنة كتف من قولهم كلام علق فالاستعارة تبعية فى قوله يفتح (من اسمائه تعالى الحميد بمعنى المحمود) فهو فعيل بمعنى مفعول لاستحقاقه الحمد (لانه حمد نفسه وحمده عباده) بناء الفعل للفاعل فيهما وذكر الاول توطئة للثانى وبيانا لانه المحمود الحقيق وحمد غيره له انما هو باقداره عليه وخلقه لقوة النطق فيه وكأنه فى الحالين حمد نفسه وبهذا فسر قوله الحمد لوليه اى لمولیه ومعطيه فليس احد مستحق الحمد سواه (ويكون ايضا) اى الحميد فى اسمائه كما يكون بمعنى المفعول يكون بمعنى الفاعل كما قال (بمعنى الحامد لنفسه ولاعمال الطاعات) والاعمال الصالحة الصادرة من عباده وقال الغزالى فى شرح الاسماء الحسنى انه يجوز ان يطلق على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الحميد لانه من حمدت جميع اخلاقه وعقائده واعماله الا انه لما لم ينقل لم يذكره المصنف فاشار الى انه ورد اطلاق ما هو بمعناه عليه فقال (وسمى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم محمدا واحمد) وهما بمعنى حميد على الوجهين (فمحمد بمعنى محمود) لان كلا منهما اسم مفعول دال على مبالغة فى كونه محمودا (وكذا وقع اسمه) صلى الله تعالى عليه وسلم اى تسميته بمحمود (فى زبور داود) وفى نسخة زبر بكسر الزاى وضمها وضم الباء وسكونها وهو مصدر او جمع يجعل كل جزء منه زبورا بمعنى مزبور فلا يرد عليه ان هذا لا دليل فيه على تسميته باسم الله تعالى فلا يناسب ما هو بصدده ثم اشار الى المعنى الثانى بقوله (واحمد بمعنى اكبر من حمد) بالموحدة وحمد مبنى للفاعل (واحل من حمد) بالبناء للمفعول ففيه لف ونشر (والى نحو هذا) اى كون اسمه بمعنى

ماذكر (اشار حسان) بن ثابت الانصارى المشهور (بقوله) فى شعر له من قصيدة مدح بها النبى صلى الله عليه وسلم وشق له من اسمه ليجله * فذو العرش محمود وهذا محمد * والشعر هكذا بتمامه

* الم تر ان الله ارسل احمدا * ببرهانه والله اعلى وامجد *
* وشق له من اسمه ليجله * فذو العرش محمود وهذا محمد *
* نبى اتانا بعد يأس وفترة * من الدين والاوثان فى الارض نعبد *
* فارسله ضوء منيرا وهاديا * يلوح كما لاح الصقيل المهند *

وشق مبنى للفاعل من شق الشئ اذا جعله قطعتين اى اشتق له صلى الله تعالى عليه وسلم من اسمه اسما اجله وعظمه وهمزة اسمه مقطوعة للضرورة وانما قال المصنف رحمه الله تعالى نحو ولم يقل الى هذا لان ما فى الشعر انه مأخوذ من محمود والمصنف رحمه الله تعالى بصدد اخذه من حميد وريد فى هذا

* اغر عليه للنبوة خاتم * من الله من نور يلوح ويشهد *
* وضم الاله اسم النبى الى اسمه * اذا قال فى الخمس المؤذن اشهد *

وشق الخ والبيت المذكور رواه البخارى فى تاريخه وعراه لابى طالب وهو منقول عن على بن زيد فحسان رضى الله تعالى عنه توارد معه اوضمنه واستعان به (ومن اسمائه تعالى الرؤف الرحيم وهما بمعنى متقارب) لان الرأفة نوع من الرحمة وقد تقدم تحقيقه (و) قد (سماه) الله (فى كتابه) اى القرأن (بذلك) اى الرؤف الرحيم (فقال بالمؤمنين رؤف رحيم ومن اسمائه تعالى الحق المبين ومعنى الحق الموجود والمتحقق امره) اى المتصف بالوجود الازلى الابدى من ذاته لذاته لانه واجب الوجود والمتحقق بمعنى المتيقن وجوده لثبوته بالبراهين القاطعة وامره بمعنى شانه ومايجب ثبوته من صفاته وافعاله والمتحقق بفتح القاف ويجوز كسرها وللحق معان اخر (وكذلك المبين) اسم فاعل من ابان اللازم لانه ورد لازما ومتعديا (اى البين) الظاهر (امره وآلهيته بان وآبان بمعنى) واحد فيكون متعديا ولازما وابان يكون بمعنى قطع وفصل ايضا وبينه على اللزوم وعلى التعدى (ويكون بمعنى المبين لعباده امر دينهم) فى الدنيا (ومعادهم) فى الآخرة (وسمى النبى) صلى الله تعالى عليه وسلم (بذلك) اى الحق المبين (فى كتابه فقال) تعالى (حتى جاءهم الحق ورسول مبين) بناء على ان المراد بالحق محمد صلى الله عليه وسلم ومبين بمعنى ظاهر بعظيم آياته ومعجزاته فلا وجه لما قيل ان هذا ليس على وجه التسمية وانما هو وصف للرسالة (وقال) تعالى (وقل انى انا النذير المبين) اى المحذر لكم من الله والمبين لكم امور دينكم (وقال) تعالى (قد جاءكم الحق من ربكم) على ان المراد به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل المراد به القرأن (وقال) تعالى (فقد كذبوا بالحق لما جاءهم) من الله (قيل) هو (محمد) اى المراد به فى هذه الآية وتكذيبه صلى الله تعالى عليه وسلم

بتكذيب رسالته وماجاء به (وقيل) المراد به (القرآن) بدليل التكذيب (ومعناه) انى الحق (هنا صد الباطل) من حق بمعنى ثبت (والتحقق صدقه وامره) هو تفسير لما قبله اومعنى آخر وفى تفسير البيضاوى الحق الثابت الذى لايسوغ انكاره فعم الاعيان والافعال الصائبة والاقوال الصادقة من قولهم حق الامر اذا ثبت ومنه توب محقق محكم النسج (وهو بالمعنى الاول) ضميرهو راجع الى قوله التحقق صدقه وامره والمراد بالمعنى الاول كون الحق اسما لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم (والمبين) على هذا التفسير (الدين) الظاهر الذى لايخفى (امره ورسالته) وهذا على كونه من بان اللازم (او) هو (المبين) بتشديد المثناة التحتية المكسورة (عن الله ما بعثه به) للخلق كافة وعداه لتضمنه معنى المبلغ اوهو حال بتقدير ناقلا (كما قال) تعالى (لتبين للناس مانزل اليهم) من شرايعه واحكامه وهذا على انه من ابان المتعدى (ومن اسمائه تعالى النور) وقد قدمنا ما قاله الغزالى انه حقيقة فى ذات الله تعالى لان معناه الظاهر بنفسه المظهر لغيره واليه ذهب الحكماء ويشير اليه قول الاشعرى رحمه الله تعالى انه نور ليس كالانوار وما قاله السهيلى فى الفرق بينه وبين الضياء بانه ذات المنير والضوء والضياء اشعته المنتشرة عنه ولذا قال جعل الشمس ضياء والقمر نورا لكثرة اشعتها فلا وجه لما يتوهم من ان الظاهر العكس ولاحاجة لتأويله اذا اطلق على الله فاذا اردت فطالع مشكاة الغزالى والمشهور فيه التأويل كما اشار اليه بقوله (ومعناه ذو النور وخالقه) عطف تفسير وهذا تأويل له بتقدير مضاف فيه لما مر (اومنور السموات والارض) فعلى الاول هو حقيقة وعلى هذا هو مجاز كعدل بمعنى عادل لانه المنعم على اهلهما (بالانوار) الفائضة عليها بواسطة الكواكب ودونها والنور على هذا بمعناه الحقيقى (اومنور قلوب المؤمنين بالهداية) ولذا ورد تفسيره بالهادى وهذا على استعارة النور للهداية لما فيها من الدلالة ثم استعماله بمعنى المنور الهادى ففيه مجازان على مجاز لاشتهار الاول حتى صار كالحقيقة (وسماه) اى سمى الله نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم (نورا فقال قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين قيل) المراد بالنور فى هذه الآية (محمد) صلى الله تعالى عليه وسلم لظهور آياته (وقيل القرآن) لازالته ظلمة الكفر والجهل ولايشكل على الاول افراد الضمير بعده فى قوله يهدى به الله من اتبع رضوانه مع تعابرهما وعطفهما بالواو دون او كما قيل لان الضمير راجع اليهما معا باعتبار المذكور اولانهما كالشئ الواحد وهداية احدهما عين هداية الآخر وقد صرح الفراء فى تفسيره بجواز مثله جوازا مطردا وبه ورد القرآن فى آيات كثيرة كما بيناه فى السوانح وانشد عليه شاهدا

* زمانى بامر كنت منه ووالدى * بريئا ومن جول الطوى رمانى *

(وقال فيه) اى فى وصف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وشانه (وسراجا منيرا)

فسماه سراجا كما سماه نورا على نهج الاستعارة اوانتشبيه البليغ ثم بينه بقوله (سماه بذلك) كالنور الذى لايخفى (و بيان نبوته) اى كونها بينة ظاهرة (و تنوير قلوب المؤمنين و العارفين به) و بماجاء به و هذا ناظر لقوله و منور قلوب المؤمنين بالهداية وفيه تبيين لاطلاقه على القرآن صما (ومن اسمائه تعالى) التى شرف بها نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم (الشهيد) من الشهادة و هى المعاينة و الاحضار بحاسة اومن الشهود وهو الحضور (ومعناه العالم) لان من شاهد شيئا علمه علما تاما قال تعالى * لم تكفرون بايات الله وانتم تشهدون * اى تعلمون وفى شرح المواقف الشهيد القائم بالعالم و الحاضر ويوافقه اطلاق المصنف فلايرد عليه انه فسر الاحص بالاعم و قول الغزالى اذا اعتبر العلم مطلقا فهو العليم وان اضيف الى العيب والامور الباطنة فهو الشهيد فتدبر (وقيل الشاهد على عباده يوم القيامة) ادبين لهم ماصدر منهم فى حياتهم الدنيا اذلايخفى عليه خافية (وسماه) اى سمى الله تعالى نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم (شهيدا وشاهدا فقال يا ارسلناك شاهدا) مقبولا شهادتك على امتك ولهم وهو حال مقدرة (وقال) تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس (ويكون الرسول عليكم شهيدا) اشارة الى مارواه مسلم من ان الله يسأل الانبياء عليهم الصلوة والسلام هل بلغتم فيقولون نعم فتنكر امهم فيقول من يشهد لكم فيقولون محمد و امته فنشهد امة محمد و يشهد عليه الصلوة والسلام لامته بصدقهم وهذا معنى الآية وهذه الشهادة لهم لاعليهم لكن ضمن شهيد معنى رقيبا و قدم الجار لاختصاصه بهذه الشهادة وفيه فضيلة له صلى الله عليه وسلم فان الانبياء يحاسبون يوم القيامة و هو لايحاسب و فضيلة لامته اذلم يكرروا تبليغه وقد تقدم الكلام على هذه الآية (وهو) اى الشهيد الذي اطلق عليه صلى الله تعالى عليه وسلم (بمعنى الاول) اى الشاهد او بمعنى الشهيد الاول الذى اطلق على الله تعالى والاولية على الوجهين لمطلق التقدم وقيل وصف اسمه الشاهد بالاولية مع كونه ثانيا لذكر امته قبل آية اسمه الشهيد (ومن اسمائه تعالى) اى من اسماء الله التى سمى بها نبيه الكريم (ومعناه الكثير الخير) وهو اصل معناه لغة وان اختص فى عرف اللغة و العرف العام بالسخى الكثير العطاء و اليه اشار المصنف رحمه الله تعالى بقوله (وقيل المفضل) بوزن محسن ومعناه ولذا فسر بمن يعطى عفوا بغير وسيلة وسؤال (وقيل المعفو) فعول من العفو وهو التجاوز عن السيئات من اساء قيل وهو ابلغ من العفور من حيث ان الغفر ستر السيئة والعفو محوها و هو فى الاصل القصد لتناول الشئ فاستعير لقصد ازالة المحو (و قيل العلى) وهو البالغ الى رتبة فوق كل رتبة فهو العلى فى ذاته وصفاته وفسره الغزالى بانه الذى اذا قدر عفا اذا وعد وفى واذا اعطى زاد على مستهى الرجاء ولايبالى كم اعطى ولالمن

اعطى وان رفعت حاجة الى غيره لا يرضى واذا حيى عاتب وما استقصى ولا يضيع من لاذ به والتجا فيعينه على الوسائل واسمعاء فمن اجتمع له جميع ذلك لا باتكلف فهو الكريم المطلق وذلك هو الله وحده لا يباله غيره الا باكتساب وتحمل ومع ذلك لا يستو في جميع انواعه ولذا جاز اطلاقه على غيره تعالى كالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم (وفي الحديث المروي) الذي رواه ابن ماجه في سننه (في اسمائه تعالى) اي في اسماء الله وهو متعلق بالمروي او بمقدر اي عد في اسمائه (الاكرم) الزائد على غيره في صفة الكرم وهذا تقتضي مساركته لغيره في هذه الصفة ان فسرت بمعنى يوجد فيه وفي غيره فان فسرت بما تقدم عن العراقي وهو مختص بالله والتفضيل ليس على بابه بل بمعنى الكريم او على اصله على طريق المسامحة كما في قوله احسن الخالقين قال ابن عبد السلام في اماليه هذا ونحو ارحم الراحمين واحكم الحاكمين مشكل لان افعل يضاف الى جنسه وهذا ليس كذلك لان خلق الله ايجاده وهو من غيره بمعنى الكسب وهما متباينان والرحمة من الله ان حملت على الارادة صح لان المعنى اعظم ارادة من سائر المريدين وان جعل من مجاز التشبيه وهو ان معاملته تشبه معاملة الراحم صح ايضا لانه مشترك بينه وبين عباده فان اريد ايجاد الرحمة فهو مشكل ادلا موجد غير الله واجاب الآمدي بان معناه اعظم من يسمى بهذا الاسم واستشكل بان التفاضل في غير ما وضع له اللفظ ويصح على مذهب المعتزلة لان الفاعلين عندهم كثير ثم انه قيل على المصنف ان اثباته تسمية الله بالاكرم بالحديث غفلة عن تسميته بذلك في القرآن في قوله تعالى * اقرأ وربك الاكرم * ولك ان تقول ان الذي في الآية على سبيل التوصيف والذي ذكره انه عد في الحديث في سلك الاسماء الحسنى وهو ادل على مراده (وسماه الله تعالى كريما) اي سمى الله به نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم (بقوله انه لقول رسول كريم قيل) اي قال بعض المفسرين هو في هذه الآية (محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل هو جبريل عليه الصلوة والسلام) وهو قول اكثر المفسرين كما مر لانه الظاهر من السياق (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم انا اكرم ولد آدم) اي اشرف من سائر الخلق الانبياء وغيرهم وقد تقدم مرارا روايته ومعناه ثم اشار بقوله (ومعنى الاسم) اي الكريم والاكرم (صحيحة في حقه صلى الله تعالى عليه وسلم) لاتصافه بغاية الكرم الى انه لاتصافه بمسماه والمراد بالاسم ما يطلق عليه سواء كان اسما او صفة فسقط ما قيل ان تسميته كريما على سبيل التوصيف لا على طريق الاسماء الاعلام وقوله اكرم ولد آدم المراد به تفصيله صلى الله تعالى عليه وسلم عليهم لا التسمية بهذا الاسم بل ينبغي ان يقال باختصاص الاكرم بالله وهو عمدة عما قرراه بل هو باش عن عدم فهم كلام المصنف

رحمه الله تعالى وفى ذلك اشارة الى تشريفه بكونه كريما واكرم (ومن اسمائه تعالى العظيم) وهو الذى عظم حسما اوقدرا اورتبة والمراد الثانى لانه عزوجل هو العظيم على الاطلاق لعلوه عن مرتبة من العظمة لاتحيط بتصورها الافهام ولاتتخيلها الاوهام لتنزهه عن ان تحيط العقول بكنه ذاته وصفاته فلذا قال (ومعناه الجليل الشان) بهمزة اوالف مبدلة منها (الذى كل شئ دونه) اى قاصر عن بلوغ رتبته اذلا كمال يدانو من كماله فى ذاته وصفاته والعظيم والجليل والكبير معانيها متقاربة الا انه قيل ان الكبير هو الكامل فى ذاته و الجليل هو الكامل فى صفاته و العظيم هو الكامل فيهما (وقال) تعالى (فى) حق (النبى عليه السلام وانك لعلى خلق عظيم) فقد جمع الله له من محاسن الاخلاق مالا يتصور فى احد سواه واذا وصف خلقه بالعظيم فقد وصفه به وكان من اسمائه فلا يرد عليه انه وصف خلقه صلى الله تعالى عليه وسلم لانه قياس ولان العظمة مختصة بالله اويقول انه توطئة لقوله (ووقع فى اول سفر من التورية) بكسر السين وسكون الفاء وراء المهملة وهو الكتاب (عن اسمعيل) نبى الله ن حلل الله عليهما الصلوة و السلام وكان الظاهر ان يقول فى حق اسمعيل وكتابه صحفة سفر اى سفر فيه مايصدر عن اسمعيل عليه الصلوة والسلام (وستلد عظيما لامة عظيمة) وفيه مبالغة فى وصفه للعظيمة اذ جعل اتباعه عظماء فما بالك به

* واذا سخر الاله سعيدا * لاناس فانهم سعداء *

(ومن اسمائه تعالى الجبار) وهو صيغة مبالغة على خلاف القياس اذ لم يجئ جبر بل تجبر فهو متجبر وجبار وجبير متعد ولازم يقال جبرت العظم وجبر جبورا وجبر الفقير و يتصف به من الناس الشديد العدوان وله معان فى كلام العرب القهار والمسلط قال الله تعالى وما انت عليهم بجبار كما يأتى والقوى العظيم الجسم والمتكبر والقتال والنخلة الطويلة وتجبر الست طال وجبره على كذا اكرهه والجبر خلاف القدر والجبرية بفتح الباء وسكونها وقال ابو عبيد انه مولد والمجبر الذى يجبر العصام المكسورة اى يصلحها يقال احبرت وجبرت وهو اكثر قال * قد جبر الدين الاله فجبر * ويقال جبرته ايضا ولما ذكر رباه من معناه الحقيقى لغة اختلفوا فى تفسيره حيث وقع صفة كما قال المصنف رحمه الله (ومعناه المصلح) للعالم ولامور عباده تفصلا به من جبرت العظم والفقير فهو من صفات الافعال (وقيل القاهر) فيرجع الى صفة القدرة الذاتية فيما من محاولة الاوهو مقهور فى قبضة تصرفه يفعل به مايريد (وقيل العلى العظيم الشان) من قولهم نخله جبارة وبنت جبار اى طويل استعير من العلو الحسى للمعنوى ولذا فسروه بالعالى فوق خلقه فهو صفة ذاتية (وقيل المتكبر) المتعظم الذى يرى الكل حقيرا بالاضافة الى ذاته من قولهم فيه جبرية وجبروت اى كبر وعظمة ولذا كان صلى الله تعالى عليه وسلم يقول فى سجوده وركوعه سبحان ذى الملك

والملكوت سبحان ذى العزة والجبروت (وسمى النبى صلى الله عليه وسلم) بالبناء للمجهول اى سماه الله تعالى (فى كتاب داود) اى الصحف الالهية المنزلة عليه صلى الله عليه وسلم (بجبار فقال) الله تعالى مخاطبا صلى الله تعالى عليه وسلم لتنزيله منزلة الموجود لتحققه فى علمه الحضورى عنده (تقلد ايها الجبار سيفك) يقال تقلد السيف اذا جعل حمائله على عاتقه وحمله كالقلادة وفيه اشارة الى انه سيؤمر بالقتال (فان ناموسك) اى الوحى النازل عليك او عظمتك فى قلوب الناس وهذا المعنى شايع بين الناس واصل معناه كما فى القاموس صاحب السر المطلع على باطن امرك او صاحب سر الخير وصاحب سر الشر حاسوس وقترة لصايد وهى شئ يختفى فيه الصايد ليأخذ الصيد وفى البيان للجاحظ قال الزبيدى الناموس دويبة تلسع الانسان مشتق من تمس الكلام اخفاه وسمى جبريل عليه الصلوة والسلام بالناموس الاكبر لانه يخفى الكلام حتى يلقيه الى الرسل عليهم الصلوة والسلام انتهى (وشرايعك) يحتمل انه عطف تفسير ولذا وحد الخبر فى قوله (مقرونة بهيبة يمينك) اى بالخوف من سيفك فكنى بما ذكر عنه او تجوز باليمين عما فيه (ومعناه فى حق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى معنى الجبار الذى هو من اسماء الله اذا اطلق فى وصف النبى صلى الله عليه وسلم يقال كذا ورد فى حق كذا اى امره وشانه المتحقق فيه ولو فسر الجبار فى كتاب داود بالمجاهد القتال الذى هو احد معانيه بقرينة ما بعده كان اولى من قوله (اما لاصلاحه لامته بالهداية والتعليم) اى ارشادهم لما فيه صلاح معاشهم ومعادهم وتعليم امور دينهم فعلى هذا سمى صلى الله تعالى عليه وسلم باسم الجبار بمعنى المصلح اولقهر اعدائه) وفى نسخة لقهره اعدائه وهذا اشارة الى انه سمى بالمعنى الثانى الذى مر بيانه (اولعلو منزلته على البشر) فهو مسمى به باعتبار المعنى الثالث وهو العلى ولو قال على الخلق كان احسن وقيل انه يفهم من تفضيله على البشر تفضيله على الحق والملك بالطريق الاولى وفيه نظر (وعظيم خطره) هذا اشارة الى انه اما مستعار من العلو الحسى فيدل الرتبى منزلته ويتخيل فيه انه ارتفع فى مكان عال او علو القدر وهو العظمة وهذان على هذا الوجه وعلى الاول كقول اتى تمام وقد ذكر علو ممدوحه

* ويصعد حتى يطأ الجهول * بان له حاجة فى السماء *

واصل الخطر ما يعطى فى الرهان للمسابقة ثم استعير للشرف فيقال له خطر ورجل خطير وهو من اضافة الصفة لموصوفها ولله در الغزالى رحمه الله تعالى فى قوله الجبار من العباد من ارتفع عن الاتباع وبان درجة الاستماع وتفرد بعلو رتبته بحيث يجبر الخلق بهيئته وصولته على الاقتداء به وعلى متابعته فى سمته وسيرته فيعيد الخلق ولا يستفيد ويؤثر ولا يتأثر ويسمع ولا يتبع لا يشاهده احد الا ويعى عن ملاحظة نفسه ويصير مستوفى الهم به عن ملتفت الى ذاته ولا يطمع احد فى استدراجه

واستتباعه وانما خص بهذا الوصف سيد البشر صلوات الله وسلامه عليه حيث قال لو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعي و انا سيد ولد آدم ولا فخر وفي كلامه لف ونشر وايجاز اذ اصل معناه في حقه عليه الصلوة و السلام كمعناه في حق الله وان لم يكن يساويه او يقاربه ويدانيه ولما كان المعنى الاخير وهو المتكبر لا يصح في حق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بوجه من الوجوه قال (ونهى عنه في القرآن جبرية المتكبر) بفتح الباء كجبروه وجبروت وجبورة كفروجة الكبر كما قاله القرطبي في شرح الاسماء الحسنى واضافها الى التكبر احترازا عن الجبرية بمعنى الجبر وهو خلاف القدر وقال القرطبي الجبرية بفتح الباء خلاف القدرية عن الجوهري وحكي عن الزجاج الجبرية بالاسكان وهو اصوب وعن ابي عبيد انه مولد (التي لا تليق به) صلى الله تعالى عليه وسلم لما تقدم من تواضعه ولان الكبرياء والتكبر من صفات الله التي لا تليق بغيره ومعنى تليق يناسب ويصح (فقال وما انت عليهم بجبار) تفسير لقوله نهى عنه وتقدم انه فسر بمسلط والتكبر هو التعاظم على الغير واستحقاره وهو محرم على كل مخلوق وعما ذكرناه علم ما في قول القرطبي في شرح الاسماء الحسنى انه يجب على كل مسلم مكلف ان لا يتصف باسم الجبار ولا يتعاطاه و انما حظه الاتصاف بنقيضه فان اطلاقه يأباه عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فينبغي تقييده ببعض معانيه و قيل تفسيره بالمسلط اولى لانه نزل في حق اهل مكة وانكارهم لبعثته فامره بان يذكرهم ولا يجبرهم على الايمان ويتسلط عليهم حتى يسلموا والآية منسوخة بآية السيف لانها من سورة ق وهي مكية وانما امر صلى الله تعالى عليه وسلم بالقتال بالمدينة وعلى ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى يكون غير منسوخة (ومن اسمائه تعالى الخبير) وقد ورد في القرآن معرفا ومنكرا وقال * الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير من الخبر بالضم وحقيقته استكشاف باطن المخبور حتى يستوي عنده ظاهره و باطنه ولذا قيل للحارث خبار ويكون بمعنى المخبر والمختبر والله تعالى مختبر لعباده قال تعالى * ونبلوكم بالشر والخير فتنة فهو من صفات الافعال ويكون بمعنى العليم من صفات الذات واذا كان بمعنى المخبر يرجع الى صفة الكلام فقوله (ومعناه) اذا اطلق على الله (المطلع على كنه الشيء) اي الواقف على حقائق الاشياء وكنه الشيء بضم فسكون له معان منها الحقيقة كما في التهذيب يقال اكتنهه اذا بلغ كنهه فقوله في شرح المفتاح انه مولدة لا وجه له وتعديه تعلى لانه بمعنى (العالم بحقيقته) وهي ذاته لا غايته كما قيل (وقيل معناه المختبر) واصله المجرب والمراد به في حقه تعالى استدراج عباده حتى يعلم الصابر من غيره فيلزمه الحجة او يعلم سلوكه المحجة وهو اعلم بهم وفي بعض النسخ المخبر انبياءه ورسله بكلامه المنزل عليهم او المخبر عباده يوم القيمة باعمالهم فانه لا يعزب عن علمه شيء

ثم شرع فى بيان تسمية الرسول صلى الله عليه وسلم به فقال (قال الله تعالى) وهو الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام ثم استوى على العرش الرحمن (فاسئل به خبيرا) اى عنه والباء تجريدية والضمير لخلق السموات والارض والاستواء على العرش المذكور قبله والخبير بمعنى العالم ثم قال المؤلف رحمه الله تعالى (قال القاضى بكر بن العلا) بفتح الموحدة والعين المهملة وهو بكر بن محمد ابن العلا بن زياد القشيرى من ولد عمران بن الحصين رضى الله تعالى عنه توفى ليلة السبت لسبع بقين من ربيع الاول سنة اربع وار بعين وثلاثمائة (المأمور بالسؤال) فى الآية (غير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) من كل من يتأتى منه السؤال لا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لانه المخاطب (والمسؤل الخبير هو النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) لانه العالم بحقيقة ماذكر دون غيره ففيه دليل على تسميته خبيرا (وقال غيره) اى غير القاضى بكر (بل السائل النبى) صلى الله تعالى عليه وسلم لانه المخاطب به (والمسؤل الله تعالى فالنبى خبير بالوجهين المذكورين) اى على التفسيرين فالباء بمعنى على او طرفية اما الاول فظاهر لاطلاقه عليه ولانه لولم يكن خبيرا لم يؤمر بسؤاله واما على الثانى فلان اذنه له فى السؤال دال على اعلامه به وقيل المراد بالوجهين تفسير الخبير بالعالم بالحقيقة وتفسيره بالمختبر (قيل لانه عالم على غاية من العلم بما اعلمه الله من مكسوب علمه وعظيم معرفته) اى سمى خبيرا لما اعلمه الله به من الخفيات والمغيبات التى اطلعه عليها بوحيه وما حمله عليه من المعرفة العظيمة (مختبرا لامته بما اذن له فى اعلامهم به) دون ما لم يؤذن فيه من الاسرار الالهية وما بعد قيل باطر لكونه بمعنى العالم وهذا لكونه بمعنى المختبر والفرق بين هذا وما قبله لانه سمى خبيرا باعتبار ما احاله به بعد سؤاله والقيل باعتبار انه عالم قبل السؤال فتدبر (ومن اسمائه تعالى الفتاح) قال الراغب اصل معنى الفتح ازالة الاغلاق والاشكال وهو ضربان احدهما مايدرك بالبصر كفتح الباب والقفل والمتاع والثانى مايدرك بالبصيرة كفتح الهم والمشكل ومنه فتح القضية اذا فصل الحكم فيها ومنه العاتح والفتاح للقاضى وفتح الممالك الظفر بها عنوة وفتح الله برزقه اذا جاءه من حيث لايحتسب (ومعناه) فى حق الله (الحاكم بين عباده) فى فصل القضاء او بانصاف المظلوم من الظالم فهو من صفات الافعال (او فاتح ابواب الرزق والرحمة) لهم بتيسير ارزاقهم لهم وتهيئة اسبابها وفتح اقفال موانعها والرحمة الانعام اى المنعم عليهم الرازق لهم قال تعالى *مايفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها* وهو استعارة فى الاصل صار حقيقة عرفية (والمعلق من امورهم عليهم) بالجر عطف على ابواب اى فاتح المعلق بمعنى ميسر كل صعب ومسهله وعليهم متعلق بفاتح او بالمعلق (او يفتح قلوبهم وبصائرهم لمعرفة الحق) الذى هو الله او خلاف الباطل او يزيل

اقفال قلوبهم المانعة لهم اوعشاوة ابصارهم و بصائرهم حتى يعرفوه و يهتدوا بهدايته ويفتح مضارع معطوف على فاتح فان الفعل يعطف على الاسم الصفة لانهما بمعنى وفى بعض النسخ بفتح بالباء الجارة والطاهر الاول وهذا معطوف على مقدر اى المتعلق بتبسيره او بفتح الى آخره (ويكون) الفتاح (ايضا) كما كان بمعنى الحاكم (بمعنى الناصر) المعين لان من شان الحاكم نصرة المظلوم ولحفاته استشهد له بقوله (كقوله تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) اى لانه فسر هكذا (ان تستنصروا فقد جاءكم النصر) من عند الله بخذلان اعداء دينه ونصرته للحق (وقيل معناه مبتدئ الفتح والنصر) لان الفتح جاء بمعنى البدء ومنه فاتحة الكتاب لاوله ومبدئه ومعنى مبتدئ النصر انه موجده ومبسره ومما النصر الا من عند الله وقوله ان تستفتحوا خطاب من الله لاهل مكة ابى جهل واضرابه ممن قتل ببدر تعلقوا باستار الكعبة عند خروجهم من مكة وقالوا اللهم انصرا على الحزبين واهدى الفريقين واكرم الحزبين فاجابهم الله تعالى تهكما بهم ان قد نصرتم (وسمى الله تعالى نبيه محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم بالفاتح فى حديث الاسراء الطويل) الذى تقدم ذكره (من رواية الربيع بن انس عن ابى العالية وغيره عن ابى هريرة) والفاتح بمعنى الفتاح والمبالغة التى فيه لا تافى مشاركته له فى اصل معناه كما توهم وكذا ما قيل من انه ليس بخاص به ولا على وجه التسمية ونحوه مما لا ينبغى ذكره (وفيه) اى فى حديث الاسراء (من قول الله تعالى) لنبيه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فيما خاطبه به اذ عرج به (وجعلتك فاتحا وخاتما) اى اول الانبياء وآخرهم لما مر من انه صلى الله تعالى عليه وسلم نبى قبل خلقهم وقد تقدم بيانه او المراد به ما قاله فى شرح قوله (وفيه) اى فى حديث الاسراء (من قول النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى ثنائه على ربه) اذ حمده بمحامد لم يلهمها قبل (وتعديد مراتبه) اى مقاماته بين يدى ربه (ورفع لى ذكرى) بجعله قرينا لذكره كما تقدم (وجعلنى فاتحا وخاتما فيكون الفاتح هنا الحاكم) واما حصه بذلك لانه لم يكن لاحد قبل شريعته كشريعته (او الفاتح لابواب الرحمة على امته) اذ هداهم الى ما ارتدهم الى سعادة الدارين (او الفاتح لبصائرهم لمعرفة الحق والايمان بالله) لدعوتهم الى معرفته تعالى وتوحيده (او الناصر للحق) والدين القويم بجهاده فى سبيله تعالى (او المبدئ بهداية الامة) لتقديمه ذلك على كل مهم له (او المبدأ المقدم فى الانبياء) كما سماه اولا والمبدأ بضم الميم وتسديد الدال المهملة وهمزة كما قاله البرهان فالمقدم تفسير له فان كانت به رواية فمها والا فيحور فتح الميم وسكون الباء الموحدة المفتوحة اولا وتخفيف الدال بمعنى الاول (والخاتم لهم كما قال كنت اول الانبياء فى الخلق) خلقا نور روحه قبلهم واخذ عليهم الميثاق فى اتباع من ادركه منهم (وآخرهم فى البعث)

باعتبار الزمان وبما قررناه علمت الجواب عما قيل من انه لااختصاص لما ذكر غير الاخير به الان يقال انه وقع على اتم وجه بحيث لايشاركه فيه غيره ثم ان المصنف رحمه الله تعالى لم يقل انه لابد فى اسمائه من اختصاص معانيها به فتدبر (ومن اسمائه) اى من اسماء الله التى سمى بها نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم (فى الحديث) الصحيح الذى رواه الترمذى وغيره عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه فى تعداد الاسماء الحسنى (الشكور) وفى القرأن ان ربنا لغفور شكور والشكر معنيان لغوى وعرفى مشهوران واما فى حقه تعالى فـ(معناه المثيب) اى المعطى الثواب الجزيل (على العمل القليل) فهو من صفات الافعال وهو مجاز لان حقيقته الثناء المقابل للاحسان فاطلق على الانعام المقابل للشكر لان العمل شكر اذ هو لايختص باللسان فهو استعارة اومن اطلاق السبب على المسبب كقوله تعالى * لئن شكرتم لازيدنكم * وهذا قريب مما قيل انه الذى يجزى على قليل من عمل الطاعة فى ايام قليلة مالا نهاية له من النعيم المخلد كما قال تعالى * كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم فى الايام الخالية * اى فى الحياة الدنيا لان المغايرة بينهما سهلة جلا ما لمن توهم ذلك (وقيل المثنى على المطيعين) وهذا انسب بمعنى الشكر الحقيقى واقرب وقد اثنى الله على عباده الصالحين كثيرا فى القرأن وكتبه المنزلة وهو الذى خلق فيهم القدرة على الطاعة ووفقهم لها كما قال ابن عطاء الله فى حكمه * من نعمه عليك ان خلق فيك ونسب اليك ومع ذلك يثنى باحسانه عليك * فهو اما اثنى فى الحقيقة على نفسه ثم ذكر مايدل على ان اسماء الله التى سمى بها رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم لايلزم احتصاصه بها فقد تشرف بها غيره كما مر فقال (ووصف) اى الله عز وجل (به نوحا عليه الصلوة والسلام بذلك فقال انه كان عبدا شكورا) قيل ويعلم من وصفه به وصف من هو افضل منه وهو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فلا يأبى ماهو بصدده من ذكر تسمية نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم باسمائه ولاحاجة اليه مع قوله (وقد وصف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم نفسه بذلك فقال) فى حديث مشهور يتقدم ذكره (افلا اكون عبدا شكورا) فان الاستفهام الانكارى يدل على انه وصف مقرر له وما ذكره فى حق نوح عليه الصلوة والسلام مبنى على ان الضمير راجع له لقربه لا لموسى عليه الصلوة والسلام كما ذهب اليه بعض المفسرين (اى معترفا بنعم ربى) مقرا بها (عارفا بقدر ذلك) مؤديا لحقه (مثنيا عليه) بلسانى وأركانى (مجهدا) ربه نعم اى بادلا جهدى وطاقتى ومتعبا (نفسى فى الزيادة من ذلك) اى من الاعتراف والثناء عملا (بقوله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم) من النعم التى شكرتموها وعدا ممن لايخلف الميعاد اذ قال لبنى اسرائيل واذ تأذن ربكم لئن شكرتم لازيدنكم (ومن اسمائه تعالى العليم والعلام وعالم الغيب والشهادة) اى احاط علمه بكل شئ مما غاب وخفى وما حضر وظهر

ودق وجل وعلمه تعالى لا يسعه علم غيره وتحقيقه فى علم الكلام (و وصف نبيه صلى الله عليه وسلم بالعلم وخصه مزية منه) بمزية كعبة بمعنى فضيلة وقال العلامة فى شرح المفتاح لابنى منه فعل وتبعه بعضهم هنا وفى الاساس مزية عليه ومر تنبيه على ذلك وفسر المرية بقوله (فقال وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما) بما خصك به من العلم والمعارف الالهية والامور الدينية وفيه اسارة الى ان له صلى الله تعالى عليه وسلم مزية فى ذلك لم ينلها غيره ولاينافيه قوله (وقال) كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم (ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون) مما لاطريق له سوى الوحى غير المتلو ولذا اعاد الفعل لتغايرهما ولما كان هو المعلم لهم وما علمهم بعض مما علمه الله لم يشاركوه فى هذه المزية واما ذكر هذه الآية وان كان ظاهرها ليس مما هو بصدده لانها تدل على زيادة علمه صلى الله تعالى عليه وسلم وانه معلم لغيره غير متعلم من غير ربه (ومن اسمائه تعالى الاول والآخر) وقد سمى به فى القرآن والاحاديث الصحيحة ومعناه بحسب اللغة و بحسب الاستقاق وكون فائه واوا وهمزة معلوم فى العربية ووزنه افعل ويكون اول اسم تفضيل وطرفا وليس هذا محل الكلام فيه وانما الكلام فى معناه فى اسماء الله تعالى فقال ابن العربى للعلماء فيه عبارات فقيل الاول الموجود قبل الخلق فكان ولاشئ قبله ولامعه قاله ابن عباس رضى الله عنهما وقيل انه الذى لاابتداء له وقيل انه الذى له كل شئ وبه كل شئ ومنه كل شئ كما يقال فلان اول هذا الامر وآخره وقيل الاول بصفاته وقيل بمحبته لاوليائه ومقابله الاخر فقيل هو الموجود بعد الخلق فلاشئ بعده وقيل هو الذى لاانتهاء له وقيل الذى يرجع اليه كل شئ وقال الضحاك هو الذى اخر الاواخر اى الذى جعل لكل شئ آخر وقيل الآخر بقضائه وقدره وقال الغزالى رحمه الله تعالى الاول والآخر متناقضان فالشئ الواحد لايكون اولا وآخرا من وجه واحد فاذا نظرت الى ترتيب سلسلة الموجودات فالله تعالى بالاضافة اليها اول لانها استفادت منه الوجود واما هو فوجود بمعنى انه غير مستفيد لوجوده من غيره فاذا نظرت الى ترتيب السلوك ومنازل السائرين فيه اليه فهو آخر ما يرتقى اليه درجة العارفين ولما كان الاول والاخر مع كونهما كالمتضادين يوهم الانتهاء من الطرفين فسروه بما فيه دقة والى هذا اشار المصنف بقوله (ومعناهما السابق للاشياء) اى جميع الموجودات (قبل وجودها) لانه الذى اوجدها وابدعها (والباقى بعد فنائها) ثم صرح بالمقصود من دفع الابهام فقال (وتحقيقه انه ليس له اول ولا آخر) ولاابتداء ولاانتهاء فلاسابق عليه ولاباقى بعده فهو واجب الوجود وجوده عين ذاته لايتصور انسكاكه عنه فهو من صفات التنزيه وقال القرطبى انه الاول بوجوده فى الازل وقبل الابتداء والاخر بوجوده فى الابد و بعد الانتهاء وعلى هذا يكون من اسماء الذات ويجوز ان يكون

من اسماء الافعال على معنى اول الاول وآخر الآخر فى الوجود ثم اشار الى اطلاقه عليه صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله (وقال عليه الصلوة والسلام كنت اول الانبياء فى الخلق) يعنى انه فى عالم الذر والارواح خلقت روحه و نبئ قبلهم ولذا عبر بالانبياء دون الرسل كما تقدم بيانه ولا وجه لتفسيره بانه كان نورا فى وجه آدم اذ لا يطابق قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (وآخرهم فى البعث) فهو خاتمهم ونبوته صلى الله تعالى عليه وسلم ورسالته لا تقطع موته (وعسر بهذا) اى بتقدم خلقه وتأخر بعثته (قوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح) الميثاق هو ان يؤمنوا بالله ويوحدوه (وقدم محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم) فى الذكر لتقدمه فى الخلق بل والبعث وهذا التفسير رواه قتادة عن الحسن عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه انه سئل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن قوله عز وجل واذ اخذنا الآية فقال كنت اولهم فى الخلق وآخرهم فى البعث واما ما روى عن مجاهد فى ان هذا فى ظهر آدم عليه الصلوة والسلام فتفسير آخر لا وجه لذكره هنا (وقد اشار الى نجوم هذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه) فى قوله كما تقدم لما بكى على النبى صلى الله عليه وسلم اذ توفى بابى انت وامى يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان بعثك آخر الانبياء وذكرك اولهم فقال واذ اخذنا من النبيين الآية واما قال اشار ونحو لانه ليس فيه تصريح بتقديم خلقه صلى الله عليه وسلم اذ التقدم الذكرى ليس صريحا فيه لجواز كونه لشرف رتبته عنده (ومنه) اى من قبيل ذكر كونه اولا وآخرا (قوله نحن الاخرون) اى هو صلى الله عليه وسلم آخر الانبياء بعثة وامته آخر الامم (السابقون) اى اول من يقضى بينهم ويقضى لهم يوم القيامة قبل الخلائق كما صرح به فى حديث مسلم (وقوله) صلى الله عليه وسلم كما تقدم (انا اول من تنشق عنه الارض) فى الخروج من القبر للحشر (واول من يدخل الجنة) هو وامته كما مر (واول شافع واول مشفع) اى مأذون له فى الشفاعة المقبولة وهذا بيان لاطلاق الاول عليه وقوله (وهو خاتم النبيين وآخر الرسل صلى الله عليه وسلم) لبيان اطلاق الاخر عليه ايضا فعلم منه انه يقال له صلى الله عليه وسلم الاول والاخر كما يقال على الله وان كان اطلاقهما على الله بمعنى مختص به كما مر واطلاقهما عليه صلى الله تعالى عليه وسلم بمعنى آخر مقيد بقيود آخر تدل على تغايرهما وكفاه شرفا تسميته باسم الله ومشاركته فى لفظه فسقط ما قيل ليس هذا المعنى بالمعنى الاول قطعا ولا نسبة بينهما فهو عفلة عند ورلة قدم اذ مثله لا يخفى عليه مثله واعلم انه وقع هنا فى بعض الحواشى انه سماه بالاول والآخر والظاهر والباطن وفسر الاول والآخر بما مر والظاهر بانه الذى لا يخفى على عاقل وجوده او القادر والباطن بالمحجوب عن عباده فى الدنيا او الذى لا يحاط به او الذى لا كيفية له وقيل الظاهر القريب والباطن العليم الحكيم وروى فيه حديثا وهو ان جبريل عليه

الصلوة والسلام نزل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وقال السلام عليك يا اول السلام عليك يا آخر السلام عليك يا ظاهر السلام عليك يا باطن فقال يا جبريل كيف تكون هذه الصفة لمخلوق مثلي وهي صفة للخالق لا تليق الا به فقال ان الله تعالى امرني ان اسلم عليك بها وقد خصك بها دون الانبياء والمرسلين وشق لك اسماء من اسمه وصفة من صفته وسماك بالاول لانك اول الانبياء خلقا وسماك آخرا لانك خاتم النبيين وسماك بالباطن لانه عز وجل كتب اسمك مع اسمه بالنور الاحمر على ساق العرش قبل ان يخلق ابانا آدم بالف عام الى ما لا غاية له ولانها ية وامرني بالصلوة والسلام عليك فصليت الف عام حتى بعثك اليه بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وسماك بالظاهر لانه اظهر في عصرك واظهر دينك على الدين كله وفضلك على اهل السموات والارض فامنهم احد الا وقد صلى عليك صلى الله تعالى عليه وسلم فربك محمود وانت محمد وربك الاول والآخر والظاهر والباطن وانت الاول والآخر والظاهر والباطن فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الحمد لله الذي فضلني على جميع النبيين في اسمي وصفتي انتهى وهذا مما لم نره لغيره (ومن اسمائه تعالى القوي وذو القوة المتين) بالتشديد المحكم قوته فالمتين اخص من القوي ولذا وصف بها والقوي وذو القوة ورد اطلاقهما عليه في القرآن واصله قويو فاعل بالقلب والقوة خلاف الضعف وهي ما يجد به القادر نفسه مستطيعا لتقدير المراد وان لم يفعله فهي والقدرة متقاربان وقد يراد بالقوة كثرة الاسباب المعينة كالجند والمال ونحوه ومنه قوله تعالى * واعدوا لهم ما استطعتم من قوة * وقال الخطابي القوي يكون بمعنى القادر ومن قوي على شيء قدر عليه ويكون معناها التام القوة الذي لا يستولي عليه العجز بحال من الاحوال فيما لا يتناهى وهي مخصوصة بالله ولذا قال تعالى ان القوة لله جميعا فلا قوة لعبده الا اذا قواه الله تعالى ولذا تعبدنا بقول لا حول ولا قوة الا بالله كما قيل * بك اسطو اذا سطوت ولولا * بك لما استمسكت قوى اوصالي (ومعناه القادر) وان كان بين القوة والقدرة فرق كما اشرنا اليه ولكنهما متلازمان ولذا فسره به الخطابي واياه القرطبي في شرح الاسماء الحسنى الا انه لا خلاف بينهما (وقد وصفه الله تعالى) اي وصف الله تعالى نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم (بذلك فقال) انه لقول رسول كريم (ذي قوة عند ذي العرش مكين) اي ذي مكانة ورتبة عليه عند الله (قيل) المراد بذي قوة (محمد وقيل جبريل) عليهما الصلوة والسلام وعليه اكثر المفسرين وبه استدل المعتزلة على تفضيل جبريل ولا دليل فيه كما سيأتي (ومن اسمائه تعالى) التي سمى بها رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم (الصادق المصدوق) كما رواه ابن ماجة والمصدوق

بمعنى المصدق فيما جاء به وقد ورد في اسمائه الحسنى (في الحديث المأثور) المروى بسند صحيح (وورد في الحديث ايضا تسميته صلى الله تعالى عليه وسلم بالصادق المصدوق) وتقدم لفظه والكلام عليه في الفصل السابق (ومن اسمائه تعالى الولى) كما قال تعالى * الله ولى الذين آمنوا * اى الذى يتولى امرهم ويقوم بنصرتهم ومن اسمائه ايضا الوالى وهو بمعناه (والمولى) كما قال تعالى * ذلك بان الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم (بمعناهما) اى المولى والولى (الناصر) اى الذى ينصرهم على اعدائهم (وقال تعالى انما وليكم الله ورسوله) والذين آمنوا اى ناصركم ولم يقل اولياؤكم لان نصرتهم واحدة اولان الناصر انما هو الله وغيره بتسميته واعانته كما قال تعالى * وما النصر الا من عند الله (وقد قال عليه الصلوة والسلام انا ولى كل مؤمن) كما رواه البخارى عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ورواه احمد وابو داود انا اولى بكل مؤمن من نفسه وفى البخارى ايضا انا اولى بالمؤمنين من انفسهم فمن مات وعليه دين ولم يترك وفاء فعلى قضاؤه ومن ترك مالا فلورثته وكان صلى الله تعالى عليه وسلم فى اول الاسلام يؤتى بالرجل المتوفى فيسئل هل عليه دين وهل له وفاء فان قالوا له عليه دين وليس له وفاء قال صلوا على صاحبكم والا صلى عليه فلما فتح الله بالفتوح والغنايم قال صلى الله تعالى عليه وسلم * من مات وعليه دين فعلى قضاؤه * فقيل انه كان واجبا عليه وارتضى امام الحرمين والماوردى انه لم يكن واجبا عليه وانما كان يفعله تكرما وهل كان صلى الله تعالى عليه وسلم يقضيه من الغنايم اومن خالص ماله احتمالان (وقد قال تعالى النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم) اى احق بهم من انفسهم فانه يتولى صلاحهم وينصرهم ويقضى ديونهم كما مر ويخلصهم مما يكرهون فى الدنيا والاخرة (وقال عليه الصلوة والسلام) فى حديث رواه الترمذى وحسنه (من كنت مولاه فعلى مولاه) والمراد ولاء الاسلام ونصرته كما قال الشافعى وهذا الحديث ورد فى قصة غدير خم وقيل سببه ان اسامة بن زيد رضى الله تعالى عنهما قال لعلى كرم الله وجهه لست مولاى انما مولاى رسول الله * صلى الله عليه وسلم * فلما سمعه رسول الله * صلى الله تعالى عليه وسلم * قال من كنت الى آخره ولا دليل للشيعة فيه على انه كرم الله تعالى وجهه احق بالخلافة لاسيما والمولى من الولاء وله معان كالنصرة والعتق وغيره فلا حجة لهم فيه (ومن اسمائه تعالى العفو) مبالغة فى العفو عن السيئات وهو محوها وازالتها ولذا قيل انه ابلغ من الغفور لانه من العفر وهو الستر واما الصفح بمعناه الاعراض وهو دونهما لكنه يطلق على ذلك ايضا فلذا قال (وبمعناه الصفوح) فلا يرد عليه انه لا يسوغ تفسيره به (وقد وصف الله تعالى بهذا نبيه) عليه الصلوة والسلام (فى القرآن) اذ امره به فيه اذ قال حد العفو

وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين فامره صلى الله تعالى عليه وسلم بالتخلق بذلك فكان ممتثلا له متخلقا به فيقتضى الاتصاف به على ابلغ وجه واتمه اذ كان جبلة له صلى الله تعالى عليه وسلم فلا يرد عليه انه لم يطلق عليه فى القرأن وانما أمر به ولو سلم اتصافه به لانه لا يعصى له امرا لا يقتضى كونه على وجه المبالغة التى دل عليها صيغة فعول والامر لا يقتضى التكرار على الاصح (والتورية والانجيل وامره بالعفو فقال) بيان لما فى القرأن (خذ العفو وقال ماعف عنهم واصفح) هذا مبنى على ان العفو فى هذه الآية الصفح ويدل عليه ماروى انها لما نزلت قال صلى الله تعالى عليه وسلم لجبريل ماهذا فقال لا ادرى حتى اسئل ربى فسأله ثم رجع فقال ان ربك امرك ان تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك وتحسن الى من اساء اليك وهذا رواه العوى والقرطبى ونقل بصيغة التمريض وعليه اعتمد المصنف بقوله (وقال له جبريل وقد سأله) صلى الله تعالى عليه وسلم (عن قوله حد العفو قال ان تعفو عمن ظلمك) فاحتصره والذى عليه الاكثر ان العفو المال الفاضل عن نفقة العيال كما فى قوله تعالى يسئلونك ماذا ينفقون قل العفو ثم نسخت بآية الزكاة فلا شاهد فيها على مانحن بصدده (وقال) هذا بيان لما فى التورية وفى بعض النسخ التصريح بقوله (فى التورية) والانجيل (فى الحديث المشهور) الذى تقدم عن عبد الله بن عمرو ابن العاص انه صلى الله تعالى عليه وسلم (ليس بفظ ولا غليظ ولكن يعفو ويصفح) وقد تقدم شرحه وان قول النساء لعمر رضى الله تعالى عنه فى قصة الحجاب لانت افظ من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليس التفضيل فيه على اصله وانه فظ على من يستحق الفظاظة كالكفرة (ومن اسمائه تعالى الهادى وهو) الضمير للهداية التى فى ضمن الهادى وذكره لان تأنيث المصدر غير معتبر اولانه بمعنى ان يهدى كما فى الكشاف (بمعنى توفيق الله لمن اراد من عباده) اللام زائدة للتقوية لتعدى التوفيق بنفسه واصل معنى الهداية كما قاله الراغب الدلالة بلطف لما يوصل او الموصلة على الخلاف المشهور وهل على انواع الاول ما يعلم كل مكلف من العقل والعلوم الضرورية والثانى دعاؤه اياهم على السنة رسله والثالث التوفيق الذى يختص به من اهتدى والرابع الهداية فى الآخرة التى فى قوله الحمد لله الذى هدانا لهذا والانسان لا يقدر يهدى احدا الا بالدعاء ولذا نعيت تارة واثبتت اخرى انتهى والى احد انواعها اشار بما ذكره واشار الى الاخر بقوله (ومعنى الدلالة والدعاء) اى الدعوة (قال الله تعالى والله يدعو الى دار السلام) اى الجنة (ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم) اى يرشدهم الى طريق مستقيم يوصلهم الى الجنة بما خلقه فيهم من العقل وارسل من الرسل ووفقهم لاتباعهم وتقدم ان التوفيق خلق قدرة الطاعة فى العبد وصده الخذلان ومن فسر المعنى بالهداية والتوفيق فقد ضل عن الطريق

وكفانا ما يناه عليه من ان تفسير الهداية بما ذكر مبني على مذهب المعتزلة في خلق العباد لافعالهم وان ما ذكره المصنف لاتساعده الاصول الى غير ذلك من الخلط الناشي عن عدم معرفته بقدر المصنف رحمه الله (واصل الجميع) من معاني الهداية وفيه اشارة الى انها معان مختلفة اصلها لغة (من الميل) فمعنى هداه الى كذا صرفه اليه واماله عن غيره لانه من التهادي وهو التمايل وفي الحديث خرج صلى الله تعالى عليه وسلم يتهادى بين اثنين اى يتمايل (وقيل) انها مأخوذة لغة (من التقديم) ومنه هوادي الوحش للمتقدم منها والهادية العنق وهو الذي ارتضاه الراغب ثم شرع في بيان اطلاقه على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال (وقيل في تفسير طه انه ياطاهر ياهادي) على طريق الرمز والاكتفاء بحرفين من الاسمين يدلان على الباقي لما في قوله * قلت لها قفي فقالت قاف * اى وقفت (يعني النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اى يريد الله تعالى بهذين الاسمين نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم لطهارته من كل دنس وهدايته لخلقه (وقال له الله تعالى) خطابا لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم (وانك لتهدي الى صراط مستقيم) اى تدل وتدعو الى الاسلام والطريق الموصلة الى سعادة الدارين وهذا على قراءته مبنيا للفاعل وهي المشهورة وعلى المجهولة هو لله (وقال فيه) اى في حقه وشانه صلى الله تعالى عليه وسلم (وداعيا الى الله باذنه) اى تيسيره وارادته والاذن يستعمل مجازا مشهورا في ذلك واصل الاذن معروف الاجازة وعبر في الاولى بقوله له لكونه بصيغة الخطاب يقال قال له كذا اذا خاطبه ولما لم يكن في الثانية خطابا قال فيه لانه في حقه ووصفه فلا وجه لما قيل انه لاوجه لتغاير المتعلقين ثم اشار الى ان معاني الهداية منها مايختص بالله ومنها مايطلق عليه وعلى غيره فقال (والهداية بالمعنى الاول) وهو التوفيق لخلق الاهتداء (مختص بالله) لانه لايقدر عليه سواه ولذا نفى عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا المعنى (قال تعالى انك لاتهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء) ويريد توفيقه (وبمعنى الدلالة) بكسر الدال المهملة وفتحها وهي اراءة الطريق (تطلق على غيره تعالى) كالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين العلماء لوقوع الدلالة منهم وقوله تعالى * انك لاتهدي من احببت * نزلت في ابي طالب عمه لافي العباس عمه رضي الله تعالى عنه كما قيل وكان صلى الله تعالى عليه وسلم حريصا على اسلامه حتى دخل عليه في مرض موته وقال له ياعماه قل لااله الاالله كلمة احاج لك بها عند الله وعنده ابوجهل وصناديد قريش فقالوا له اترغب عن ملة المطلب فكان آخر ماقال انه على ملة عبد المطلب فنزلت هذه الآية والشيعة يقولون انه قالها حفية وتشهد بذلك فمات مسلما وقد رده الحفاظ وقالوا انه لم يثبت (ومن اسمائه تعالى) التي سماه صلى الله تعالى عليه وسلم بها (المؤمن المهيمن قيل هما) في اسماء الله

تعالى (بمعنى واحد) ولفظهما من مادة واحدة لان الهاء عند هذا القائل مبدلة من همزته (فمعنى المؤمن) على هذا القول (فى حقه تعالى المصدق وعده) اى ماوعد به (عباده) فى الدنيا من الثواب ونعيم الآخرة والنصر العزيز فى الدنيا الى غير ذلك من وعد من لايخلف الميعاد (و المصدق قوله الحق) اى الذى صدق ماقاله من الحق كما قال فورب السماء والارض انه لحق (والمصدق لعباده المومنين ورسله) اى يصدق ماقالوه اوحاعلهم صادقين فى قولهم ملتزمين للصدق فى اقوالهم وعهودهم كما قال الله تعالى* رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه فعلى الاول اللام غير رائدة وعلى الثانى مزيدة للتقوى وتحقيقه ان هذا الاسم سمى الله به نفسه فى القرآن والاحاديث الصحيحة واجمعت عليه الامة وهو من آمن يؤمن ايمانا فهو مؤمن اى مصدق فانه كذلك فى لغة العرب واستعمالهم وعلى هذا فقيل معناه مصدق مؤمن عباده اوالذى لايحاف ظلما وقيل معناه الذى يأمن اولياءه عذابه كما قال الشاعر

* والمؤمن العائذات الطير تمسحها * ركبان مكة بين العيل والسند*

وقال الحاكم معناه انه اذاوعد صدق وعده وقال الخطابى بعد مافسره بالمصدق انه يحتمل وجوها احدها انه يصدق عباده وعده ويفى بماضمنه لهم من رزق الدنيا وثواب الآخرة والآخر انه يصدق ظنون عباده المؤمنين ولايخيب آمالهم كقوله اناعند ظن عبدى بى (و قيل الموحد بنفسه) بقوله تعالى * شهد الله انه لا اله الا هو * و قوله تعالى * انى انا الله لااله الا انا * فصدق مانطقت به الكائنات وحكمته البراهين من توحيده فى الوهيته وهذا كله على انه من الايمان بمعنى التصديق وقوله (وقيل المؤمن عباده) كلهم مؤمنهم وكافرهم (فى الدنيا من ظلمه) لتنزهه عنه ومارك بطلام للعبيد (والمؤمنين فى الآخرة من عذابه) معطوف على قوله عباده مفعول مؤمن بوزن منصف بمعنى معطى الامان فعلى هذا هو من الامن ضد الخوف فهو من صفات الافعال وعلى الاول صفة ذاتية لانه راجع للكلام ثم بعد مابين معنى المؤمن شرع فى بيان معنى المهيمن على انه بمعناه فقال (وقيل المهيمن بمعنى الامين) فوزنه مفيعل وهمزته مبدلة فيه هاء واصله مؤيمن وميمه الاولى مضمومة زائدة ومعناه الاميره كما ذكر وفى بعض النسخ بمعنى الامن وهو من طغيان القلم الاان يراد معنى مادته المأخوذ منها وهو من اسمائه الواردة فى القرآن والحديث واجمعت عليه الامة وورد اطلاقه على غيره تعالى كما سيأتى فى بيت العباس واطلق على ابى بكر ايضا رضى الله عنه فى قول الشاعر* الا ان خير الناس بعد نبيه * مهيمنه التالى على العرف والنكر* ولم ينكره وقال ابن الحصار لانعلم احدا سمى به الا انه ليس فى الشرع مايمنعه وقوله (مصعرمنه) اى مصعر من الامين وهو قول ابن قتيبة الا انه رد بانه قول مرغوب عنه لان اسماء الله تعالى لايجوز تصغيرها لايهامه التحقير وان جاء للتعظيم

فى قوله * دو يهية تصغر مها الاناملى * لانه انما جاء فيما يجوز تصغيره فصغروه تلطفا منهم كما قال وتقدم * ماقلت حبيبى من التحقير * بل يعذب اسم الشئ بالتصغير * واما اسماؤه تعالى واسماء ابيائه عليهم الصلوة والسلام فلا يجوز ذلك فيها قطعا و انما هو اسم فاعل من هيمن فهو مهيمن والياء فيه كياء ضيغم وحيدر ولبست للتصغير وقد جاء فى كلامهم العاط على وزنه كسيطر ومصيطر ومبيطر وهو البطار و يقال له بيطر ايضا والمدبر بالموحدة من الادبار ومجيمر اسم جبل وهذا البناء من النوادر غير متصرف ولم يرد له فعل فلا يقال هيمن يهيمن هيمنة وحكى الخطابى عن بعض اهل اللغة المهيمنة بمعنى القيام على الشئ والرعاية له وذكره ابن الانبارى فى الزاهر ولعرابته اختلفوا فى معناه على اقوال عشرة الاول انه بمعنى الامين كما ذكره المصنف رحمه الله (قلبت الهمزة هاء) لانها اخف منها كما قالوا فى اراق هراق وفى الك هلك وقول المصنف انه مصغر منه اى من مادته ونوعه والافهو من الامن مصغر مؤمن و يجوز ان يعود ضمير منه الى مؤمن فليس مراده انه تصغير امين كما توهمه عبارته الا انه لظهوره لم يوضح عبارته فلا يرد عليه ماقيل انه سهو منه لان تصغير امين امين بضم اوله وتشديد يائه وجعله شاذا لاداعى اليه واسماء الله لا تصغر فياؤه زائدة للتكثير ثم ذكر اسما آخر من هذه المادة فقال (وقد قيل ان قولهم فى الدعاء آمين) بالمد وقد يقصر اسم فعل كصه ومه قال الحسن معناه استجب افعل اولا تخب وامن اذا قال آمين وقائله مجاهد (انه اسم من اسماء الله تعالى) بدل من قوله ان قولهم قيل اصله على هذا امين بالقصر مبنى على الفتح وادخلت عليه همزة النداء وابدلت الثانية الفا وورده ابن قرقول بانه ليس فى اسماء الله اسم مبنى وقال الراغب عن ابى على ان القائل بذلك اراد انه فيه ضمير الله لان معناه استجب وقيل انه عبرانى وقيل سريانى وقيل لايعلم اصله (ومعناه معنى المؤمن) اذا كان اسما لله ولذا قيل ينبغى تقديمه على هذا والكلام عليه مفصل فى التفاسير والقول الثانى فى المهيمن ماشار اليه بقوله (وقيل المهيمن بمعنى الشاهد) اى الحاكم اوالذى يشهد على كل نفس بما كسبت وقريب منه الثالث وهو الشهيد (و) الرابع (الحافظ) للموجودات عن العدم حتى يريد غيره اوالمحصى لاقوالهم وافعالهم والخامس انه بمعنى العلى المتعالى والسادس الشريف وهو قريب مما قبله والسابع المصدق والثامن الوالى قاله عكرمة والتاسع القاضى قاله ابن الزبير والعاشر الرقيب وفيه كلام فى شرح الاسماء الحسنى للقرطبى ثم شرع فى ذكر تسمية النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك فقال (والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم امين ومهيمن ومؤمن) اى يسمى بهذه الاسماء الثلاثة التى سمى الله بها وان لم تتحد معانيها من كل الوجوه لشهادة حديث انى لامين فى الارض وامين فى السماء وكانت قريش تسميه

صلى الله تعالى عليه وسلم قبل البعثة محمد الامين كما مر واشار اليه بعد وسيأتي ذكر المهيمن (وقد سماه الله تعالى امينا فقال مطاع ثم امين) ان لم ينقل المراد به جبريل عليه الصلوة والسلام كما تقدم اى مطاع امره وامين على وحيه واسراره (وكان يعرف بالامين وشهر به قبل النبوة وبعدها) بين اهل مكة وطوائف العرب * وافضل ماشهدت به الاعداء * وهذا مؤيد لما قلناه لان شهرته بذلك بتقدير الله تعالى واظهاره فلا يرد عليه انه بتسمية الله تعالى له صلى الله تعالى عليه وسلم للناس حتى يقال انه لما اقره ورضى به دل على انه باذن الله تعالى وسمي بالمأمون

كما مر في قول كعب حين كتب لاخيه بجير في حال جهالته

* سقاك بها المأمون كأس روية * فانهلك المأمون منها وعلكا *

فلما سمعها صلى الله تعالى عليه وسلم قال مأمون ان شاء الله ان لم ينقل المراد به ابو بكر رضي الله تعالى عنه ثم بين تسميته صلى الله تعالى عليه وسلم بالمهيمن بقوله (وسماه العباس) ابن عبد المطلب عمه عليه السلام (في شعره مهيمنا في قوله) في الشعر الذي قدمناه مع شرحه (ثم اعتدى يبتك المهيمن من * حصد في علياء تحتها الطبق) وتقدم شرحه وانظره (وقيل المراد يا ايها المهيمن) ولولا هذا لم يكن اسما ومرضه المصنف رحمه الله تعالى وتبرأ منه نعزوه لقائله بقوله (قال القتيبي) عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري البغدادي الامام المشهور نسبة لقتيبة جده توفي سنة ست وسبعين ومائتين وتآليفه كثيرة (والامام ابو القاسم القشيري) عبد الكريم بن هوازن منسوب لقشير قبيلته واما مرضه لانه تكلف ضعيف لان العرف بال لا يادى وتقدير ايها مع تقدير حرف النداء لا يرتضيه نحوي واثقل من هذا ماقيل ان البيت هاشمي العز والشرف كما في قوله * ان الذي سمك السماء بنى لنا * بيتا دعائمه اعز واطول * واداعيره وشرفه بالمهيمن كان صفة له على اداع وحه لان صفة لصفة صفة وثل هذه الدقة لا يتحملها الكلام فانه زهرة لا تحتمل الفرك (وقال تعالى) في وصف صلى الله تعالى عليه وسلم انه مؤمن اى مصدق (يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين اى يصدق) لعلمه بخلوصهم واللام لتضمينه معنى يذعن ويسلم اومزيدة والآية نزلت في حقه صلى الله تعالى عليه وسلم لما قالوا في حقه امرا منكرا وقالوا اذا بلغه ذلك نحلف ونعتذر له اذن اى يصدق بكل ما يسمعه فقال تعالى * قل هو اذن خير لكم يؤمن الخ (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم لامتي لا صحابي) هذا طرف من حديث النجوم امنة في السماء فاذا ذهبت اتى السماء ماتوعد وانا امنة لاصحابي فاذا ذهبت اتى اصحابي مايوعدون واصحابي امنة لامتي فاذا ذهب اصحابي اتى امتي مايوعدون يعني ان النجوم اذا رفعت قرب وقت فنائها وانشقاقها ولما كان سقوطها عند بعثته

صلى الله تعالى عليه وسلم اشارة الى قرب الساعة فهو صلى الله تعالى عليه وسلم امان لاصحابه رضى الله تعالى عنهم من وقوع نأسهم بينهم ووقوع لفتن فاذا توفاه الله ابتدأ وقوع ذلك كقصة عثمان وعلى والحسين واصحابه صلى الله تعالى عليه وسلم امان للناس من ظهور الفساد فى البر والبحر فاذا ذهبوا بدأ ظهور ذلك وامنة بفتح الهمزة وضمها مصدر بمعنى الامان او برنة المبالغة كرحل عدل يقع على الواحد وغيره قال الراغب يقال رجل امنة وآمنة يثق بكل احد وامين ويؤمن به انتهى ونحوه فى الاساس وكونه جمع امين وهو الحافظ خلاف الظاهر للاخبار به عن الواحد واما ذكره المصنف رحمه الله تعالى تأييدا لما قبله لانه خارج عما هو بصدده من ذكر تسميته صلى الله تعالى عليه وسلم باسماء الله اذ ليس من هذا القبيل (ومن اسمائه تعالى) التى اطلقت عليه صلى الله تعالى عليه وسلم (القدوس) مبالغة من القدس وهو الطهارة والنزاهة باتفاق اهل اللغة وهو بضم القاف فى الاشهر وان كان الاقيس فتحها وهو لغة منه وقرئ بها وكل اسم على فعول مفتوح الاول كتنور وسمور الا السبوح والقدوس ومنه القدس بفتحتين للسطل والعامة تقول له قادوس وظاهر كلام القرطبى فى شرح الاسماء الحسنى انه سمع والمشهور خلافه (ومعناه المنزه عن النقايص المطهر عن سمات الحدوث) اى علاماته وآثاره فلا يتصف بشئ منها (وسمى بيت المقدس به) اى من هذه المادة بالمعنى المذكور بيت المقدس مخفف بزنة مرحع اسم مكان او مصدر ميمى من القدس وهو الطهر وجاء فيه ضم الميم وفتح القاف والدال المشددة من التقديس وهو التطهير وجاء بكسر الدال المشددة اسم فاعل ويقال له البيت المقدس بالتوصيف والاشهر الاضافة قاله الكرمانى وقد تقدم (لانه يتطهر فيه من الذنوب) بزيارته والعبادة فيه وروى النسائى باسناد صحيح عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان سليمان بن داود عليهما الصلوة والسلام لما بنى بيت المقدس سأل الله تعالى خلالا ثلاثا حكما يصادف حكمه وملكا لا ينبغى لاحد من بعدى وان لا يأتى بيت المقدس احد لا ينهزه الا الصلوة فيه يخرجه من خطيئته كيوم ولدته امه فاعطى جميع ذلك انتهى ولذا تشد اليه المطى كما تشد الى الكعبة ومسجد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ومنه الوادى المقدس) المسمى طوى وهو واد بالشام كلم الله فيه موسى عليه الصلوة والسلام سمى به لان الله تعالى قدسه وشرفه بظهور كلامه فيه وهو من الارض المقدسة ايضا فهو مطهر مبارك وقد فسر المقدس بالمبارك ايضا (و) منه (روح القدس) بضمتين وضم فسكون كما مر وهو جبريل عليه الصلوة والسلام قال الله تعالى قل نزله روح القدس لانه بما يطهر النفوس من القرآن والحكمة والفيض الالهى وهذا هو الاصح وفيه وجوه آخر (ووقع فى) بعض (كتب الانبياء)

المنزلة من عند الله تعالى عليهم (في اسمائه عليه الصلوة والسلام المقدس) هذا هو الصحيح وما في بعض النسخ من انه القدوس من غلط الناسخ قاله فانه يجوز ان يقال في حق مخلوق القدوس مطلقا (اي المطهر من الذنوب) لعصمة الله تعالى له صلى الله تعالى عليه وسلم من التدنس بها ومغفرتها لو فرض وقوع شيء منها يسمي ذنبا بالنسبة له صلى الله تعالى عليه وسلم (كما قال الله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) وقيل المراد ما تقدم من ذنوب امتك وما تأخر منها كما سيأتي بيانه وخوطب لانه سبب المغفرة (والذي يتطهر به من الذنوب ويتعره) ببناء المجهول فيهما التنزه البعد ولذا اخره لاستعارة التطهير بالوقوع وقوله (باتباعه عنها) متعلق بيتعره والهاء سببية لان من اتبعه صلى الله تعالى عليه وسلم واتبع شرعه المطهر لا يرتكب الذنوب وان ارتكبها غفرت ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم (كما قال) الله تعالى هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته (ويزكيهم) يطهرهم من الشرك وخبائث الجاهلية ويعلمهم ما يكمهم من الاثام (وقال ويخرجهم من الظلمات الى النور) اي من الكفر والمعاصي الى الايمان وتقوى الله وطاعته بارشادهم وتوفيق الله لهم ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم ففيه استعارة تصريحية (او يكون مقدسا) الموصوف به صلى الله تعالى عليه وسلم (بمعنى مطهرا من الاخلاق الذميمة بالمجمة اي المذمومة (والاوصاف الدنية) الحقيرة التي لا تليق بجنابه صلى الله تعالى عليه وسلم وفي الشرح الحديد هنا ما تركه خير منه (ومن اسمائه تعالى العزيز ومعناه) الممتنع) الذي لا ينال ولا يدرك والعرب تقول خصص عزيز اذا كان لا يوصل اليه قال الهذلي في العقاب * حتى انتهيت الى مرانئ عزيزة * سيود ارؤبة انعها كالملخصف * كذا قاله القرطبي نقلا في شرح الاسماء الحسنى وهذه صفة ذاتية وقوله (الغالب) القاهر من صفات الافعال فكان ينبغي له ان يقول او الغالب لانه معنى آخر كما صرحوا به في شرح اسماء الله والجمع بينهما على انه مركب من بنت حقيق ونعت تنزيهي كما قيل حليط وحط بعرفه من نصر شرح القرطبي لاسماء الله الحسنى ثم ان اطلاق الغالب على الله لم يأت في عداد الاسماء وورد في قوله والله غالب على امره اي العصاة من مخلوقاته ما يريده احبوا او كرهوا وفي التنزيل كتب الله لاغلبن انا ورسلي وقال الحاكم الغالب واطالب حرت عادتهم باستعمالهما في اليمين اي التمتع اي المهمل اماه عهمل ولا يهمل وهو على الامهال بالغ امره انما على انهم ليزدادوا اثما (او الذي لا نظير له) هذا معنى آخر قال الخطابي العزة تكون بمعنى نفاسة القدر يقال منه عز يعز بكسر العين فيتناول معنى العزيز على هذا انه لا يعدله شيء وانه لا مثل له انتهى وعما سمعته من تفسير العزيز ظهر انما قيل انما تختص في ورد كاسمس والقمر داخل فيه فيحتاج لزيادة قيود احترازية ليس شيء (او لمن يعيره) فهو فعيل بمعنى

مفعيل وهو عزيز فى العربية ولذا اخره المصنف يعنى به انه لا عزيز لا من اعزه
فالعزة له وبيده لا بيد غيره ولذا صح الاستشهاد له بقوله (وقال الله تعالى ولله العزة ولرسوله
صلى الله تعالى عليه وسلم والآية نزلت فى حق المنافق ابى ابن سلول حيث قال
ليخرجن الاعز منها الاذل يعنى بالاعز نفسه وبالاذل المسلمين فرده الله عليه على
طريق القول بالموجب ثم نفاها عنه بتقديم الحصر هنا فلا يتوهم ان انحصار العزة فى الله
لا يقتضى انه معزز بل معزز بالفتح وقد جوز فى الاسم الشريف ان يكون المعزز المعظم
وقد يقال يكفى فى كونه معزا اثبات العزة للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين
وانه محل الاستشهاد (اى الامتناع وجلالة القدر) معطوف على ما قبله لانه
معنى العزة عدم النظير وتقديره وبزيادة المصنف لم ذكر اندفع ما تقدم ايضا
وقال العزالى العزيز من العباد من يحتاج اليه فى المهم وهو الجوهرة الاحرونية وهو مما
يعز وجوده وهو مرتبة الانبياء والخلفاء وورثتهم من العلماء المرشدين وذوى
العدالة من الحكام ثم ذكر اسما للرسول ووصفه بها الله لا على طريق الاسمية
فقال (وقد وصف الله تعالى نفسه بالبشارة والبشارة) الاول بكسر اوله والثانى
بفتحه والبشارة الخبر السار سمى به لانه يؤثر فى بشرة الوجه ولذا لو قال لعبده
من بشرنى بقدوم زيد فهو حر فبشروه على ترتيب عتق الاول ولو قال من اخبرنى
بعتق الجميع كمل والبشارة الاعلام بما فيه وعظ وتخويف وقوله فبشرهم بعذاب اليم
تهكم كما مر (فقال يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وقال ان الله يبشرك بيحيى
وبكلمة منه) اسمه المسيح عيسى ابن مريم ومن يكتفى بوجود المادة يجوز ان يسمى الله
مبشرا ومبشرا ومثله يكفى فى كونه توقيفيا والاشعرى رحمه الله تعالى يقول لا بد من
وروده نعينه (وسماه الله تعالى مبشرا ونذيرا وبشيرا اى مبشرا لاهل طاعته
بما يسرهم فى الدنيا والآخرة (ونذيرا لاهل معصيته) بما يسوءهم من العقاب ونحوه
(ومن اسمائه تعالى فيما ذكره بعض المفسرين طه ويس وقد ذكر بعضهم انهما من
اسماء محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) وشرف وكرم وتقدم الكلام عليه مفصلا
فلا حاجة لاعادته (تنبيه) فى فتاوى السبكى رحمه الله تعالى فى قوله فى سورة الاسراء
انه هو السميع البصير ان الضمير فى قوله انه يعود على الله تعالى وقد ورد فى اربعة
مواضع من القرآن وقال بعضهم ان الضمير هنا يعود على النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم فيكون هذان اسمان من اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم ومعنى وصفه بهما
انه الكامل فى السمع والبصر اللذين يدرك بهما الآيات التى تريه اياها وهو نذير والانذار
بالعقل واعظم الحواس الموصلة الى العقل السمع والبصر فعلى هذا وصفه صلى الله
تعالى عليه وسلم بذلك لا بد لاحد أكمل منه فى الانذار والاستدلال انتهى (اقول يعنى

ان وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بهما هنا على هذا وقع بطريق الحصر المستفاد من تعريف الطرفين وسيق للمدح وهو امر عام ففسره بما يخصصه به ويصيره مدحا له ولا حاجة لهذا مع بعده فانه قد تبين توجيه اظهر منه وهو السميع لكلام الله تعالى من غير واسطة والناظر الى نور جماله وجلاله بعين بصره وهذا مما اختص به صلى الله عليه وسلم ﴿ فصل قال القاضي ابو الفضل ﴾ عياض المؤلف (رضي الله عنه وههنا نكت) وفي نسخة وها انا ذا كر نكتة وها ء حرف تنبيه والاكثر وقوع اسم الاشارة خبرا عن المبتدأ الواقع بعدها نحو ها نا ذا اقول وقد لا يؤتى به كما صرحوا به في طه لا زما و اعترض على المصنف رحمه الله تعالى ولم يصب والنكتة بضم اولها وفتح المثناة الفوقية هي الامر الدقيق المحتاج الى فكر وتأمل سميت بها لان صاحبها كثيرا ما ينكت في الارض بقضيب ونحوه وهو بمعنى النكت لغة (اذيل بها هذا الفصل) اى اختمه بها و اطوله فيكون كذيل الثوب الذي يطول به وفي حديث مصعب بن عمير رضي الله تعالى عنه انه كان في الجاهلية مترفا يدهن بالعنبر ويذيل بمة اليمن اى يطيل ذيلها واليمة برد من برود اليمن ففيه استعارة تصريحية تبعية واليه اشار بقوله (واختم به هذا القسم) الذي فيه ذكر الاسماء (وارمح الاشكال بها فيما تقدم) اى ازيل ما يشكل على سامعه (عن كل ضعيف الوهم) قيل المراد بالوهم الذهن والادراك لا القوة الواهمة المعارضة للعقل فان ضعفها بقوة العقل المزيل للاوهام والاشكال فقوله (سقيم الفهم) كالتفسير له وسقمه بمعنى قلته فهو استعارة و تعبيره في الاول بالضعف و في هذا بالسقم تفنن حسن والوهم بسكون الهاء وفتحها (تخلصه من مهاوي التشبيه) بكسر الواو جمع مهواة وهي كالهاوية الحفرة العميقة التي من يقع فيها يصعب طلوعه ومن اضافة المشبه للمشبه به كلجين الماء وهي تخييلية ومكنية والمراد بالتشبيه تشبيه الله وصفاته بغيرها لان اطلاق بعض الاسماء على الله و على غيره يقتضي ذلك (وترحزحه) اى تزيله وتبعده قال تعالى * فمن زحزح عن النار (عن شبه التمويه) اى الشبه بزنة عنب رجع شهة وهو ما يلتبس واصله ما لا يتميز عن غيره لما بينهما من التشابه والتمويه من الماء والمراد به زحزحة الكلام الذي لا حقيقة له و تحسينه حتى يروج على من لا علم عنده وهو استعارة قال في الاساس سرح مموه مطلي بالذهب او الفضة وحديث مموه مزخرف وما احسن موهة وجهه بهاؤه و رونقه انتهى وانما سمي تمويها لانه يداب حتى يصير كالماء ويقال موه عليه الخبر احمره بخلاف ما سأله عنه (وهو) عائد على ما يفهم مما تقدم وهو ما يزيل الاشكال و يريح الاوهام والعجب ممن اعاده على ضعيف الوهم و سقيم الفهم (ان تعتقد ان الله جل اسمه) اى عظم وتنزه عن الحاد في اسمائه تأويلات الباطلة ولقد اصاب قوله هنا جل اسمه محزه

زحزحه

وطبق مفصله (فى عظمته وكبريائه) الكبرياء الترفع عن الانقياد والعظمة جلالة ذاته فى نفسها ولظهور الاولى ورد فى الحديث الكبرياء ردائى والعظمة ازارى من نازعنى فى شئ منهما قصمته والفرق بينهما فيه تفصيل ليس هذا محله والجار والمجرور متعلق بما سيأتى من قوله لايشبه الى آخره وقيل انه حال لازمة من ضمير اسمه اى متصفا بهما وبما بعدهما وكنى بالظرفية عن تمكنه فيهما من غير تصور ظرفية واستقرار ففيه استعارة تبعية اوهو طرف مستقر كما له لتمكنه وانفراده باعلى مراتبهما فيهما انتهى وفيه تكلف (وملكوته) اى عظمه وعز سلطانه وهى كما مر صيغة مبالغة من الملك كالجبروت وقد يقابل بالملك فيراد به عالم الغيب وبالملك عالم الشهادة وكلا المعنيين صحيح هنا (وحسنى اسمائه) اى اسماؤه الحسنى ووصفت بالحسنى لدلالتها على احسن المعانى وامدحها فهى صفة كاشفة لامخصصة ومنها ما يختص به كالخالق ومايطلق عليه وعلى غيره ولها تقاسيم اخر (وعلى صفاته) بضم العين وفتح اللام مقصورجمع عليا وهى الشريفة الرفيعة وروى على بفتح العين وكسر اللام وتشديد الياء وهما بمعنى (لاتشبه شيئا من مخلوقاته) بالتاء الفوقية اى المذكورات من لفظ العظمة ومابعده وهو خبران ومابعده متعلق به اوحال مما قبله وليس معترضا كما قيل (ولاتشبه به) مبنى للمجهول اضم الفوقية مشدد الباء الموحدة ويجوز ضبطهما بالتحتية اى معانى اسمائه وصفاته لاتشابه غيرها بوجه من الوجوه لقدمها وكونها على اعظم رتبة لايصل اليها غيرها وهو جواب عن سؤال وشبهة نشأت مما تقدم تقديره ان بعض اسمائه تعالى اطلق على نبيه صلى الله عليه وسلم وغيره فيلزمه مشاركة عبيده له فيها كما قال (وان ماجاء) من اسمائه تعالى (بما اطلقه السمع) فى القرآن والاحاديث والكتب الالهية (على الخالق وعلى المخلوق) كسكور وحفيظ وغيره مما تقدم واعاد الجار اشارة الى تغايرهما وان اتحد لفظهما (ولاتشابه بينهما فى المعنى الحقيقى) الذى هو مأخذ الاشتقاق من الشكر والحفظ قال العلامة ابن القيم فى كتابه بدايع الفوائد اسماؤه تعالى التى تطلق عليه وعلى غيره كسميع هل هى حقيقة فيه مجاز فى غيره اومجاز فيه حقيقة فى غيره اوحقيقة فيهما ثلاثة اقوال والاسماء الحسنى منها ما هو علم وصفة والوصف فيها لاينافى العلمية بخلاف العباد فانها مشتركة انتهى وهو كلام مشكل فان منها ما هو حقيقة قطعا كالاله والخالق ومنها ما هو مجاز كالرحيم فان الرحمة رقة القلب وقد صرحوا بانه اطلق عليه باعتبار غايته الا ان يقال انه حقيقة شرعية فان تغايرها باعتبار الصفات كالقدم والحدوث لايستلزم اشتراكها بل كونها منقولة بالسكاك ففوله (ادصفات القديم بخلاف صفات المخلوق) لايتم دليلا على مدعاه (وكما ان ذاته لاتشبه الذوات) اى حقيقته ونفسه ومن ذهب الى ان الذات لم ترد بهذا المعنى ينكر دخول الاسم

الا ان الظاهر صحته و يشهد له قولهم الذوين للملوك اليمن وقوله تعالى ذواتا افنان (فكذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين) وكون ذاته لا تشبه شيئا من الذوات هو الحق الذى ذهب اليه الاشعرى وغيره من المتكلمين خلافا لمن ذهب الى انها تشبه غيرها فى الحقيقة وان امتازت بالوجود والالوهية وغيرهما وتفسيره فى الكتب الكلامية واعلم ان فى اطلاق لفظ الذات على الله تعالى شرعا ولغة خلاف فقيل انه غير صحيح لانه مؤنث ذو ودخول ال عليه غير صحيح لغة وقال السهيلى ذهب كثير الى اطلاقها عليه وجواز تعريفها لانها بمعنى النفس والتأنيث غير مراد فيقولون ذات البارى بمعنى حقيقته ويحتجون بما ورد فى الحديث الصحيح ثلاث كذبات فى ذات الله تعالى وقول خبيب رضى الله تعالى عنه

* وذلك فى ذات الاله وان يشاء * يبارك على اوصال شلو ممزع *

وقد اثبت ذلك البخارى واحمد فى مسنده وقال ابن القيم وابن قدامة لبست هذه اللفظة كما زعموا فى اللغة والشرع الاستقراء ولم يرد الا مجرورا بفى والظرفية غير صحيحة فهى صفة لمؤنث مقدر ومعناها طاعة الله وشريعته كما قال التابعة * محلهم ذات الاله ودينهم * ومن فسره بغير ذلك فقد وهم فتدبر (اذ صفاتهم لا تنفك عن الاعراض والاعراض) الاول بعين مهملة والثانى بعين معجمة او العكس ثم راء مهملة وضاد معجمة فيهما فالاول جمع عرض بفتحتين وهو ما يقابل الجوهر اى لا يقوم بذاته او بمعنى كالمرض ويكون بمعناه ايضا لان ما يعرض للبدن ان استمر فهو مرض عند الاطباء والا فعرض ويطلق كل منهما على الاخر والثانى هو الامر الباعث على وجود الفعل وايجاده وهذا تعليل لكون ذات الله تعالى وما تعلق بها لا يشبه شيئا من المخلوقات فان الخلق وصفاتهم لا تنفك اى لا تفارق الاعراض والله تعالى منزه عن الاعراض المحسوسة والكيفيات النفسانية لانها تابعة للمزاج المستلزم للتركيب المستلزم للحدوث المنافى لوجوب الوجود الذاتى خلافا للحكماء والكرامية وافعاله تعالى لا تعلل بالاغراض وان كان لها عبرات وحكم كثيرة جليلة وهى تسمى غرضا ايضا ولكنه ليس محل خلاف وذهب النسفى و بعض المحققين الى جوازه والخلاف فيه لفظى فان الغرض ان كان ما يستكمل به الفاعل و يحتاج اليه فهو منفى عنه والا فيجوز اتصافه له خلافا للحكماء و ليس هذا محل بسط الكلام فيه وفى كلامه تجنيس (وهو تعالى منزه عن ذلك) فلا يحل به عرض ولا يفعل لغرض (بل لم يزل) موجودا ازلا و ابدا (بصفاته واسمائه) الدالة على ذاته وصفاته فهى قديمة اما صفاته الذاتية فلا كلام فى قدمها ومنها ما هو عينه ومنها ما هو غيره او لا عينه ولا غيره عند الاشعرى واما صفات الافعال كالاحياء والاماتة والخلق فاختلف فيها فقيل انها قديمة والحادث تعلقها عند الماتريدية و المصنف رحمه الله تعالى تبعهم هنا و قيل انها حادثة

اذهى اضافات تعرض له ولامحذور فيه كما حققه المتكلمون وصفاته السلبية قديمة ايضا و اسماؤه على ماذكره قديمة ايضا لانه تعالى سمى نفسه بها فى كلامه وهذا ساء على قدم الكلام اللفظى وهومذهب السلف و بعض الخلف كالشهرستانى (وكفى بهذا) اى يكفى فى اثبات كون ذاته وصفاته واسمائه لاتشبه شيئ فيها (قوله تعالى ليس كمثله شئ) فانه صريح فيه سواء قلنا ان مثله كناية عن ذاته كقولهم مثلك لايبخل والكاف غير زائدة اوقلنا انها زائدة وقيل الفرق بين مثله وكمثله ان الاول يدل على المشابهة من سائر الوجوه وكمثله يدل على المشابهة بوجه ما (ولله درمن قال من العلماء العارفين المحققين) الدر بفتح الدال و تشديد الراء المهملتين اصل معناه اللبن الحليب و يتجوز به عن الخير والعمل الصالح واللام فى لله للتعجب وكذا يستعملوه فيقال لله دره للثناء عليه والتعجب من محاسنه ولم يقولوا لله هو لانه ابلغ بمراتب لتعجبهم من لم ارتصعه كما يقال لله ابوه و بلده واضافوه لله اشارة الى انه لايقدر عليه سواه واراد بالعارفين مشايخ الصوفية لما سيحكيه عنهم فان العارف مختص فى العرف باولياء الله تعالى (التوحيد اثبات ذات) وهى ذات الله تعالى (غير مشبهة للذوات) جميعها بوجه من الوجوه (ولا معطلة من الصفات) اصل معنى العطل فقد الزينة والشغل والمراد به النفى هنا اى غير منفى عنها الصفات كما يقوله المعتزلة هربا من تعدد القدماء والمحذور تعدد ذوات قدماء لاذات وصفات وفيه تشبيه للصفات بالزينة (وزاد هذه النكتة) وهى معنى التوحيد الذى قاله المشايخ (الواسطى) تقدمت ترجمته (بيانا وهى) اى الزيادة التى زادها فهو عائد على مافهم مما قبله (مقصودنا) لدلالتها على ماعقد له هذا الفصل (فقال ليس كذاته ذات) اى ليس كحقيقته حقيقة ولا يشاركه وجه من الوجوه اذ لو شاركته لزم امر آخر مميز ذاته عن ذات غيره والا لاتحدا وهذا يستلزم التركب والحدوث (ولا كاسمه اسم) اى لايشبه مدلول اسمه مدلول اسم آخر كما مر (ولا كفعله فعل) لانه فى غاية الكمال والاتقان وليس لغير ص ولا عرضا كما مر (ولا كصفته صفة) لانها عظيمة قديمة وغيرها ليس كذلك (الا من جهة موافقة اللفظ اللفظ) فى بعضها كسميع و بصير وحى فمثل ذلك فى حقه ليس مثله فى غيره وان كان اللفظ متحدا لمناسبة ما ثم وضحه فقال (وحلت الذات القديمة) اى عظمت وتعالت وتنزهت عن (ان تكون لها صفة حدثية) اى محدثة موجودة بعد العدم لانها ان كانت صفة كما لزم حلو الذات عنها قبل وجودها وهو نقص لايليق بكمالها والا استحال اتصافه وهذا مبنى على قدم صفات الافعال كما تقدم (كما استحال ان يكون للذات المحدثة صفة قديمة) لامتناع وجود صفة قبل موصوفها (وهذا كله مذهب اهل الحق والسنة والجماعة) الماتريدية والجماعة اذا اطلق فالمراد به هؤلاء دون غيرهم من الفرق الضالة المضلة (وقد فسر الامام

ابو القاسم القشيرى) تقدمت ترجمته (قوله هذا) اى قول الواسطى السابق (ليزيده بيانا) و ايضاحا على ايضاح (فقال هذه الحكاية) اى المحكى المنقول عن الواسطى (يستمل) وفى نسخة اشتملت (على جوامع) اى امور جامعة مستوفية (من مسائل التوحيد) وهو اعتقاد ان الله تعالى واحد فى ذاته وصفاته لامثل له ولاضد ولا ند ولاشريك له فى الوهيته واستحقاقه للعبادة (وكيف تشبه ذاته ذات المحدثات) بفتح الدال المهملة اى الامور الحادثة (وهى بوجودها مستغنية) مستقلة غير محتاجة ومستندة لغيرها لوجوب وجودها وكونه عين ذاتها والا كانت ممكنة (وكيف يشبه فعله فعل الخلق) فى حقيقته ولوازمه وكماله (وهو) اى فعله (لغير جلب) بفتح الجيم وسكون اللام وفتحها و باء موحدة وهو التحصيل واصل معناه السوق (انس) اى استباس ودفع وحشة لاستغنائه عن الانيس والجابس (اودفع نقص حصل) اى ليس شئ من افعاله لنفع له بل كله لنفع عباده فانه الغنى المطلق (ولابخواطر واعراض) والباء سببية وفى نسخة لخواطر باللام التعليلية واعراض بعين مهملة اى ليس شئ من افعاله تعالى لخواطر يطرأ عليها وباعث يدعوه لفعله كما تقدم وفى نسخة ولابجواهر واعراض بالمهملة والصحيح رواية ومعنى الاول وهذا تحريف من النساخ وان احتمل رجوع الجواهر لذاته والاعراض لافعاله على مافيه وقوله (وجد) ماض للمجهول كما قاله البرهان ووقع فى مقابلة قوله حصل اى ليس لدفع نقص حاصل ولا لخاطر وغرض موجود وفى بعض النسخ التسروح بكسر الجيم وتشديد الدال اى ليس فعله باجتهاد وجد منه والذى غره قوله (ولابمباشرة ومعالجة) الا ان قوله (طهر) ياباه فان الافعال الثلاثة فيها ضمير عائد على الفعل فان معناه ليس فعله لدفع نقص حصل له اولخاطر وغرض وجد فى نفسه ولا بكد طهر وقت فعله وقد وقع كل من الافعال الثلاثة فى محله فوصف النقص بحصل لانه طارعليه ووصف الخاطر بانه وجد بغتة فى نفسه كما هو شانه كما ان شان المباشرة كونها محسوسة فهذا ناش من عدم تأمل كلامه والمباشرة فعل الشئ بنفسه ومزاولته بجوارحه والفعل صريان بمباشرة وتولد كانه يمس بشرته وظاهر بدنه والمعالجة المباشرة بجد وقوة يقال اعتلجوا اذا اقتتلوا اى ليس فعله كفعل غيره بعلاج واعمال وانما هو بارادته من غير شئ من ذلك انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون (وفعل الخلق لايخرج عن هذه الوجوه) المذكورة من جلب نفع ودفع ضر واغراض ومباشرة ومعالجة (و) قد (قال آخر من مشايخنا) جمع شيخ والشيخ من كبر سنه وفى العرف من تصدر للافادة لانه انما يحصل بانفاق العمر وله جموع منها مشايخ على الاصح وقال بعض اهل اللغة انه لااصل له ولم يسمع فى كلام العرب ورد بانه سمع كما فى شرح الفصيح (ماتوهمتموه باوهامكم) اى كل شئ واقع فى اوهام الناس انه حقيقة البارى ليس كما توهمتموه (اواد ركتموه بعقولكم) اى تصورتموه وعلمته عقولكم (فهو محدث مثلكم) لان

الاوهام والعقول فألوفة بادراك ماتشاهده وتظن ان الله تعالى جل وعلا مثله وتقيس الغائب على الشاهد والله تعالى اجل من ان يحيط به الادراك والادراك المدرك للامور المحدودة المتناهية وهو تعالى منزه عما لايليق به مما الفته النفس من المدركات وليس المراد انه لاتدرك ذاته وصفاته بوجه ما فانه معلوم بالنظر الصحيح والبراهين القاطعة فالمراد انه لايدرك كنه ذاته وصفاته ومسمى اسمائه لكنهه ولم يكلف بهذا وانما كلفنا بمعرفة ذاته وصفاته ووحدانيته وانه لارب ولامعبود سواه (وقال الامام ابو المعالى الحوينى) امام الحرمين عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الحوينى النيسابورى ابو المعالى امام الائمة علما وعلما فريد دهره نجيبة الفلك وكعبة عطارد صاحب المصائل والتآليف الجليلة ولد ثانى عشر المحرم سنة تسع وعشرة واربعمائة فى خامس عشرين من ربيع الثانى وحوين بضم الحاء من نواحى نيسابور وهو شيخ الغزالى ومفخره (من اطمأن) بطاء مهملة ساكنة وميم وهمزة مفتوحة ونون مشددة بمعنى سكن بعد ارتياح اى تقرر وتيقن عنده بعد الشك والشبه (الى موجود انتهى اليه فكره) اى تيقن امرا موجودا على وجه معين ارتسم فى ذهنه انه الله (فهو مشبه) اى معتقد لتشبيه الله تعالى بغيره مما فى خزانة فكره وهو خطأ لانه ليس كمثله شئ وفكره انما هو مدركاته المشاهدة فيأتيه التشبيه منها واحترز بقوله اطمأن عن الوسوسة فانها لبثت بتشبيه لعدم ركون النفس لها (ومن اطمأن الى النفى المحض) الخالص بان نفى ذات البارى حقيقة او حكما كالفلاسفة القائلين لا يصدر عن الواحد بالذات الا واحد (فهو معطل) نافٍ للصانع وهم الدهرية القائلون بالطبايع الى غير ذلك مما لايصدر عن عاقل (وان قطع) اى جزم (بموجود) اله واجب الوجود (اعترف بالعجز عن درك حقيقته) بسكون الراء وقد تفتح اصل معناه اللحوق ثم صار بمعنى العلم كالادراك لوصول العقل اليه اى عجز عن علم كنهه (فهو موحد) لانه عرف الله ووحده واعترف بانه لايقدر على معرفته بكنهه وهو التوحيد الصرف قال الراغب وروى عن ابى بكر رضى الله عنه انه قال يا من غاية معرفته العجز عن معرفته اذ كان غاية معرفته ان يعرف الاشياء فيعلم انه ليس شئ منه ولاعنه بل هو موجد كل ما ادركته انتهى (وما احسن قول ذى النون المصرى) الزاهد العارف بالله تعالى ابو الفيض ويقال ابو الفياض واسمه ثوبان بن ابراهيم الاخميمى كان ابوه نوبيا توفى رحمه الله تعالى سنة خمس واربعين ومأتين وكان عالما بالعلوم والخطوط القديمة وحدث انه قرأ من خط قديم * تدبر بالنجوم ولست تدرى * ورب النجم يفعل ماتشاء * وله ترجمة فى الميزان (حقيقة التوحيد ان تعلم ان قدرة الله فى الاشياء) اى فى ايجادها وابداعها (بلا علاج) اى بلا معالجة ومكابدة واستعمال آلة (و) تعلم ان (صنعه لها بلا مراح) المراح لغة كالمزح الخلط ومارك عليه البدن من الطبايع وعد الاطباء كيفية له من العناصر المتماسة بحيث يكسر سورة

كل منها سورة الاخر وهو بالمركبات العنصرية والمراد ان ايجاده لها لايحتاج الى مادة ومعاونة تركبه منها بل قدرته تعالى العلية اوجدته ابتداء من العدم بعد ان لم تكن بمجرد قوله كن فيكون فلا يحتاج الى شئ من العلل الاربع كما اشار اليه بقوله (وعلة كل شئ صنعه) بمجرده وبمحرد قدرته (ولا علة لصنعه) تعينه فى ايجاده اذ افعاله تعالى لاتعلل بالاغراض (وماتصوره وهمك فالله بخلافه) فان ذاته لاتشبه الذوات وافعاله لاتشبه افعال غيره فهو منزه عن ان تتصوره الاوهام (وهذا كلام يجب بهبس محقق) من النفاسة وهى الشرف وعلو القدر (والفصل الاخير) من كلام ذى النون وهى العقرة الثالثة اعنى قوله وماتصوره وهمك فالله بخلافه (تفسير لقوله) عز وجل اى بمعنى قوله (ليس كمثله شئ) فان مالامثل له لايرتسم فى الوهم (والثانى) اى الفصل الثانى وهو قوله وعلة كل شئ صنعه ولا علة لصنعه (تفسير) وبيان (لـ) معنى (قوله لايسئل عما يفعل وهم يسألون) فانه لاعلة لفعله حتى يقال له لم فعلت كذا بخلاف غيره من عبيده المكلفين (والثالث) فى العدد وهو الاول اعنى قوله حقيقة التوحيد ان تعلم قدرة الله فى الاشياء بلا علاج وصنعه لها بلا مزاج (تفسير لقوله انما قولنا لشئ اذا اردناه ان نقول له كن فيكون) وفى كلامه لف ونشر غير مرتب وهذا تمثيل لسرعة الايجاد والتسخير (بتنا الله واياك على التوحيد) اى على العقيدة الحقة فى اعتقاد وحدانية الله تعالى فى ذاته وانفراده بجميع شؤنه (والاسات) اى اثبات مايليق بذاته لذاته وبصفاته لصفاته وليس المراد اثبات واجب الوجود المنافى للتعطيل فانه معلوم من التوحيد الان يريد بمحرد التوكيد (والتنزيه) لذاته وصفاته عما لايليق بها (وحدنا) اى بعدنا (طرفى الضلالة والغواية من) طرفى (التعطيل والتشبيه) من بيانية واراد بالضلال التعطيل وبالغواية ادعاء التشبيه والتجسيم وجعل للاعتقاد الحق طرفين افراط وتفريط والوسط هو الصراط المستقيم والدين القويم وهذا كله استدلال على ان ما اطلق على الله وعلى غيره ليس لاشتراكهما فى حقيقة المدلول والمسمى كما مر بيانه مبسوطا ولما كانت هذه القسمة تسريحا وتميزا لهم عما عداهم اردفه بما يتم به التميز وهو المعجزات فقال ﴿الباب الرابع﴾ من القسم الاول (فيما اظهره الله على يديه) صلى الله عليه وسلم ما على اليد وما وضع فوقها وكنى به عما كان مشاهدا (من المعجزات) وهى الامور الخارقة للعادة التى يظهرها الله تعالى على يد انبيائه عليهم السلام لالزام من كذبهم اذا تحدى واعى الاتيان بالمثل وهذا هو الفرق بينها وبين الكرامة وليس الفرق ان المعجزة للنبى والكرامة للرسول كما قيل فان الكرامة تكون للنبى ايضا كما اشار اليه المصنف رحمه الله تعالى بقوله (وشرف به من الخصايص والكرامات) اى ماخصه الله تعالى به واكرمه مما لم يكن لغيره والفرق بينها وبين السحر ليس ادعاء النبوة فان الساحر قد يدعيها كاذبا بل انها امر الهى ليس بمزاولة العزائم ونحوها من تسخير الكواكب كما يدل عليه قوله اظهره الله وهى دالة على صدقه فى دعوى النبوة

وما كان قبل البعثة فهو ارهاص اى تأسيس للنبوة وادخلها بعضهم فى المعجزة
قال الزركشى فى البحر اختلف فى دلالتها فذهب القشيرى الى انها وضعية ومادل
وضعا يجوز ان يتبدل واختار الامام فى الارشاد وابو اسحق انها عقلية وقال الامدى
فى ابكار الافكار الذى ذهب اليه المحققون ان دلالة المعجزة على صدق الرسول ليست
دلالة عقلية ولا سمعية اما الاول فلان مايدل عقلا يدل بنفسه ويرتبط بمدلوله لذاته
وقد تقع الخوارق فى عدد تصرم الدنيا مع عدم دلالته على تصديق مدعى النبوة فانه
لا ارسال ولا رسول اذ ذاك واما الثانى فلان الدلالة السمعية تتوقف على صدقه
فلو توقف صدق الرسول عليها كان دورا مل دلالتها على صدقه غير خارج عن
الدلالات الوضعية النازلة منزلة قول الله تعالى صدق عبدى انتهى (قال
القاضى ابو الفضل) عياض المؤلف (رضى الله تعالى عنه حسب المتأمل) بسكون
السين اى يكفيه او كفايته والمتأمل هو المفكر الناظر نظرا صحيحا (ان كتابنا هذا
لم يجمعه) اى لم يؤلفه (لمنكر نبوة نبينا) صلى الله تعالى عليه وسلم ممن كفر به
(ولا لطاعن فى معجزاته) اى معترض ومعارض معاند فى ثبوت بعضها وان كان مظهرا
للاسلام كبعض الزنادقة واصل الطعن الرشق بالسنان ونحوه فاستعير لتعييب الناس
وذمهم يقال طعنه يطعنه بالضم والفتح وقال ابن برى الاكثر فى طعن السلاح بضم عين
المضارع وفى القول فتحها ونقله بعضهم عن غيره من الائمة فتأمله (فيحتاج) بالرفع
على الاستيناف او النصب فى جواب النفى بناء على رأى من جوزه مستدلا بقوله
الم الق بعدهم حيا فاخبرهم الا يزيدهم حبا الى نعمهم*
وقد منعه بعض النحاة وهم نحاة المغرب (الى نصب البراهين عليها) اى على اثباتها
بالادلة القاطعة الملزمة لمن انكرها او طعن فيها ونصبها اقامتها وايضاحها
من قولهم نصب رأيا اذا اشار اليه بان لا يعدل عنه كما فى الاساس (وتحصين حوزتها)
بفتح الحاء المهملة وسكون الواو وفتح الزاى المعجمة وهى الناحية والجانب وتحصينها
جعلها حصينة محفوظة كأن عليها حصنا يحميها وفيه استعارة تمثيلية تخييلية بجعل
المنكر كالعدو والقاصد لخراب المملكة ويقال حمى حوزه وبيضة بلده اذا حفظ جواره
ومايلزمه حفظه (حتى لا يتوصل المطاعن اليها) جمع مطعن وهو الطعن والرد
بالاباطيل الفاسدة التى تصدر عن اهل الالحاد وضمير اليها الحوزة او للمعجزة والاول
اولى وابلغ لان عدم الوصول الى الحوزة يستلزم عدم الوصول اليها ويذكر شروط
المعجزة (والتحدى) بفتح المثناة الفوقية المشددة والحاء المهملة وكسر الدال المهملة
المشددة وياء تحتية وهو طلب المعارضة واصله مقابل للحاديين فى حدى الابل (وحده)
معطوف على يحتاج الداخل فى حيز النفى وحده بمعنى تعريفه منصوب كقوله (وفساد قول
من ابطل نسخ الشرايع ورده) اى لا بذكر فساده ورده معطوف على فسادا وماض

معطوف على ابطل اى لم نجمعه لاجل شئ من ذلك حتى يحتاج الى ذكر مايدفعه ويقيم الحجة على بطلانه كما هو دأب المتكلمين ان يقدموا قبل مباحث اثبات النبوة اوذكر المعجزات مبحث ابطال قول المكرين للنسخ لعدم فرقهم بينه وبين البداء وهم اليهود الذين تمسكوا بذلك فى ابطال نبوة نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ونبوة عيسى عليه الصلوة والسلام لقلهم عن التورية مايدل على تأبيد شريعة موسى عليه الصلوة والسلام مع وقوع النسخ فيها كما فصل فى كتب الاصلين (بل العماء لاهل ملته) اى انما العماء لاهل ملة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من المؤمنين به (المليين لدعوته) بالباء الموحدة المشددة اى القائلين له اذ دعاهم صلى الله عليه وسلم للتوحيد والدين الحق لبيك وهو عبارة عن اطاعته وتصديقه ولذا قال (المصدقين لنبوته) لاقرارهم واعترافهم بكل ماجاء به ولايقال ان جميع التأليف الاسلامية كذلك فانه ليس بشئ مما بين الداعى لتأليفه فقال (ليكون تأكيدا فى محبتهم له) صلى الله عليه وسلم دفعا لما عسى ان يقال ان المؤمنين غير محتاجين له مع اعترافهم واقرارهم بذلك فاجاب بانه مؤكد لمحبتهم له صلى الله عليه وسلم (منماة لاعمالهم) بالنون من النمو بمعنى الزيادة مصدر اواسم محل اى يزيدهم رغبة فى اعمالهم الصالحة او يبلغهم الاعمال او يبلغ اعمالهم الى الله تعالى من نميت الحديث اذا بلغته (وليزدادوا ايمانا مع ايمانهم) بذلك فانه يريده او يثبته فى قلوبهم وفى تقديمه زيادة الاعمال على زيادة الايمان اشارة الى ان زيادته مبنية على دخول الاعمال والقول فى قبول الايمان الزيادة مقرر فى محله (ونيتنا) بالنون والمثناة التحتية المشددة والمثناة الفوقية والنون قبل الالف اى قصدنا وما عزمنا عليه فى هذا الباب (ان نثبت فى هذا الباب) ان نقرر ونكتب وهو بكسر الموحدة مخففة ومشددة رواية من الافعال او التفعيل (امهات معجزاته) اى كبارها وعظامها جمع ام (ومشاهير آياته) غاير بينهما تفننا فان الآيات بمعنى المعجزات ايضا اوالمراد ما اشتهر من كراماته صلى الله تعالى عليه وسلم من غير تحد ى غيره (ليدل) ما اتدثناه على عظيم قدره (عند ربه) لما احراه على يديه من عظيم الآيات (واتيا منها) اى ذكرنا من تلك المعجزات (بالمحقق) اى بما اشتهر وشاع حتى لم يبق فيه شبهة (والصحيح الاسناد) اى ماصح سنده وتقدم ان الاسناد الاتيان بالسند وهو عبارة عن الرجال الذين نقلوا الحديث مقول فى سند الجبل وهو ما ارتفع من سفل الجبل وقد يكون الاسناد بمعنى السند وصحته باستيفاء شروطه المذكورة فى كتاب ابن الصلاح وغيره (واكثره) اى اكثر ما اتيابه (مما بلغ القطع) اى وصل الى رتبة القطع بحيث لايقبل التشكيك كالقرآن (اوكاد) اى قارب بلوغ القطع لشهرته وصحته فهو وان كان ظنيا لكنه قوى حتى صار متيقنا بما حفه من القرائن وحذف معمول كاد شايع فى كلام العرب لاسيما فى السجع كما فيما نحن فيه (واضمنا اليها) اى ضممنا الى المعجزات المحققة

والمقاربة لها (بعض ماوقع فى مشاهير كتب الائمة) يعنى ائمة الحديث الذين تلقى الائمة كتبهم بالقبول كدلائل النبوة للبيهقى والسنن وبقية الكتب (واذا تأمل المتأمل المنصف ماقدماه) اى من نظر بعين الرضاء والانصاف فى صفاته صلى الله تعالى عليه وسلم التى قدمها المصنف رحمه الله تعالى قبل هذا الباب وهذا تأكيد لما قبله من ان ذكر المعجزات ليس لاثبات نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم لان من تأمل صفاته علم انه غير محتاج فى اثبات نبوته الى برهان بذكر معجزاته وانما ذكرت لمحبتها وتأكيد ذلك كما قال المتنبى * صفاته لم ترده معرفة * لكننا لذة ذكرناها * (من جميل اثره) صلى الله تعالى عليه وسلم بفتحتين وهو بقية الشئ وما يبقى بعده من اثار فعله كالصدقة الجارية والولد الصالح والعلم النافع مما يرسم فى صحايف الايام وقيل جمع اثره من اثره يؤثره ايثارا اذا اعطاه ومأثر العرب مكارمها ومفاخرها التى تروى وتذكر (وجميد سيره) جمع سيرة كسدرة وسدر وهى الطريقة والسنة المحمودة (وبراعة علمه) اى علمه الفائق به على غيره يقال برع براعة وبروعا اذا فاق فى علم اوغيره (ورجاحة عقله) اى عقله الرائد بحيث لو وزن بغيره رجح عليه (وحلمه) الراجح ايضا (وجملة كماله) اى جميع كمالاته التى لم تجمع لغيره (وجمع خصاله) جمع خصلة وهو الصفة الحسنة وهى مجاز من الخصل وهى مايعطى فى الرهان فاستعير لما ذكر كما فى الاساس (وتشاهد حاله) اى ماحكى عما كان يشاهد من حاله وفى تعبيره بالشاهد لطف لان فيه ايهام انه ينشهد لمحاسنه وهو بمعنى الحاضر (وصواب مقاله) اى مايحكى من كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم الذى هو صواب كله وحكم وحكم والكل بالجر عطف على جملة وقوله (لم يمتر) جواب اذا اى لم يشك ويستبه عليه ويقع له تردد (فى صحة نبوته) التى ادعاها واظهرها (وصدق دعوته) اى صدقه صلى الله تعالى عليه وسلم فى مدعاه اوفيما دعا الخلق اليه من دينه وتوحيده ونبوته (وقد كفى هذا غير واحد) هذا فاعل كفى وهو اشارة لما ذكر من الجهل ومابعده وغير مفعوله (فى اسلامه والايمان به) اى كفاه ما رأه من احواله صلى الله تعالى عليه وسلم عن طلب برهان وآية على نبوته وصدق رسالته والانقياد لامره فاسلم وآمن به وتبعه من غير تلعثم كابى بكر رضى الله تعالى عنه فان كان كلما رأه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ماخلق هذا الا لامر عظيم فلما دعاه للاسلام قال هذا الذى كنت ارجوه منك (فروينا عن الترمذى) الامام المشهور صاحب السنن وقدمنا ترجمته (وابن قانع) بقاف ونون مكسورة وعين مهملة بعد الف وصحفه بعضهم بنافع بنون وفاء وهو غلط وهو عبد الباقى بن قانع الامام الحافظ كما تقدم (وغيرهما باسانيدهم) جمع اسناد وجمع وان كان مصدرا لنقله الى الاسمية (الى عبد الله بن سلام) الصحابى المشهور وهو بتخفيف اللام وغيره مشدد اللام واختلف فى بعضها

ايضا (قال لما قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة) فى هجرته هووابو بكر رضى الله تعالى عنه (جئته لانظر اليه) جواب لما يعنى انه سمع بقدومه صلى الله تعالى عليه وسلم من مكة وقولهم انه رسول الله فاتاه ليعرف امره وهومن علماء اهل الكتاب صاحب فراسة وذكاء (فلما استبنت وجهه) استفعال من البيان وهوالوضوح والظهور والسين للمبالغة (عرفت ان وجهه ليس بوجه كذاب) اى لاح له من سيماه ونور النبوة فى محياه صلى الله تعالى عليه وسلم ان مثله لايكذب فيما ادعاه فحلق الله تعالى فيه علما ضروريا فصدقه صلى الله تعالى عليه وسلم مع ماكان علمه من صفته فى التورية والكتب السالفة وقال رضى الله تعالى عنه لليهود يا معشر يهود اتقوا الله تعالى واقبلوا ما جاءكم به فوالله انكم لتعلمون انه رسول الله الذى تجدونه عندكم مكتوبا فى التورية باسمه وصفته وانى اومن به واصدقه ثم شرع فى ذكر سنده لما رواه عن الترمذى ولم يقدمه لئلا يفصل بينه وبين ماسيستشهد له به فقال (حدثنا به) اى بحديث ابن سلام (القاضى السهيد ابوعلى رحمه الله تعالى) الحافظ المعروف بابن سكرة كما تقدم (قال حدثنا ابوالحسين الصيرفى) بالتصغير ومن قال ابوالحسن مكبرا فهومخطئ (وابوالفضل ابن خيرون) تقدمت ترجمته (عن ابى يعلى البغدادى) بفتح التحتية وهوالمعروف بابن زوج الحرة كما تقدم (عن ابى على السبحى) تقدم ضبطه وبيان نسبته (عن ابن محبوب) المعروف بالمحبوبى راوى السنن (عن الترمذى) كما تقدم قال (حدثنا محمد بن بشار) بفتح الموحدة وتشديد المعجمة كما تقدم قال (حدثنا عبد الوهاب الثقفى) ابن عبد المجيد بن الصلت بن عبد الله بن الحكم بن ابى العاص الثقفى الحافظ وثقه ابن معين وقيل انه اختلط فى آخر عمره توفى سنة اربع وتسعين ومائة واخرج له اصحاب الكتب الستة وترجمته فى الميزان (ومحمد بن جعفر) هوغندر كما تقدم (وابن ابى عدى) محمد بن ابراهيم بن ابى عدى البصرى الثقة توفى سنة اربع وتسعين ومائة وروى له اصحاب الكتب الستة (ويحيى بن سعيد) بن فروخ ابو سعيد القطان البصرى التميمى الحافظ احد الائمة الاعلام توفى سنة ثمان وتسعين ومائة وترجمته فى الميزان (عن عوف بن ابى جميلة) بفتح الجيم وكسر الميم (الاعرابى) سمى به لسكناه بدرب الاعراب قاله ابن دقيق العيد وهوثقة ثبت توفى سنة سبع واربعين ومائة واخرج له اصحاب الكتب الستة كما فى الميزان (عن زرارة بن ابى اوفى) وفى نسخة ابن اوفى وهو من خلط الناسخ وزرارة بضم الزاى المعجمة وراءين مهملتين وهومكى بانى صاحب قاضى البصرة ثقة عالم تقى امى فى داره فقرأ هاذا نقر فى الناقور وسهق سهقة ومات سنة ثلاث وتسعين وروى له اصحاب الكتب الستة (عن عبد الله بن سلام الحديث) كما تقدم (وعن ابى رمثة التيمى) بكسر الراء المهملة وسكون الميم وباء مثلثة فتاء علم مقول من رمثة نوع من النبات واختلف فى اسمه فقيل رفاعة وقيل عماره وقيل عبد ذلك التيمى

وقيل التميمي اختلف في نسبته لتيم اوتميم وهما قبيلتان مشهورتان وقيل انه بلدي ايضا (اتيت النبي صلى الله عليه وسلم ومعي ابن لي) حكاية لحاله التي جاءه بها والا فلا دخل له في القضية (فاريته) اي ارانيه وعرفني به غيري باشارة ونحوها وهو بضم الهمزة مجهول اراه يريه لانه لم يكن رآه قبل ذلك (فلما رأيته قلت هذا بي الله) اي بمجرد تعلق نظره به اعترف بنبوته صلى الله تعالى عليه وسلم لما شاهده من عظمته ونور نبوته فاوقع الله في قلبه علما ضروريا بصدقه صلى الله تعالى عليه وسلم (وروى مسلم وغيره ان ضمادا) بكسر الضاد المعجمة وميم مفتوحة مخففة والف ودال مهملة وهو ضماد ابن ثعلبة الازدي نسبة لازد شنوءة قبيلة مشهورة وكان صديقا للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم قبل البعثة فلما قدم مكة وسمعهم يقولون فيه ما قالوه تابعه واسلم في اول الاسلام وكان عاقلا يتطبب ويرقي ذكره ابن عبد البر في الصحابة وفي الصحابة شخص آخر يسمى ضمادا وله وفادة ولا ثالث لهما (لما وفد عليه) اي لما قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وهو بمكة في ابتداء الاسلام وقد تقدم ان الوفود القدوم على العظماء من مكان بعيد قصدا وكان راقيا يرقي الناس في الجاهلية فلما سمعهم يقولون ان محمدا مجنون وفد عليه وقال يا محمد اني راق فهل لك من شيء فارقيك فاجابه صلى الله تعالى عليه وسلم دفعا لما قالوه مما نسبوه اليه كما بينه بقوله (فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان الحمد لله) جوزوا في ان كسر الهمزة وتشديد النون وفتح الهمزة مع التخفيف وهو ظاهر والحمد وكون جملته انشائية او خبرية مشهور وحس تأكيده سؤاله له وطلبه ان يرقيه لتوهمه صدقهم فيما قالوه فاجابه صلى الله تعالى عليه وسلم وصدر كلامه بحمد الله اشارة الى ان الله انعم عليه بنبوته ففيه رد لما زعموه على ابلغ وجه ثم قال (نحمده ونستعينه) فاردف الجملة الاسمية بفعلية مضارعية لانه قصد بالاولى ان الحمد ثابت ومستحق له بالاستحقاقين بقطع النظر عن الحامدين والجملة محتملة للخبرية والانشائية ثم اردفها بجملة اخرى لانشاء حمده بنفسه لما انعم الله به عليه من جلائل النعم التي اجلها نعم النبوة المؤيدة بالمعجزات الباهرات ولذا قطعهما عما قبلها واتى بها مضارعية لتدل على الاستمرار التجددي واسنده لضمير المتكلم مع الغير اشارة الى انه لا يقدر وحده على وفاء حق حمده فان كان الضمير له وحده فلبس لتعظيم نفسه بل لتعظيم الحمد والمحمود ونستعينه بمعنى نطلب والمعونة والمساعدة منه على اداء حق حمده او على جميع امورنا التي من جملتها الحمد وفيه اقتداء بما ارشدنا اليه من ان الطالب للشيء يقدم عليه حمد الله وتعظيمه كما في سورة الفاتحة ولذا اردفه بقوله (من يهده الله) اشارة الى انه طلب منه الهداية الى الطريق المستقيم كما في اهدنا الصراط المستقيم ومن شرطية حواذفها قوله (فلا مضل له) اي لا يقدر احد على اضلاله (ومن يضلل فلا هادي له)

وفيه تعريض بمن تعرض له صلى الله تعالى عليه وسلم باسوء له ما لا يليق به وان الله بيده الهداية والضلال (واشهد) اعلم واذعن واعتقد (ان لا اله الا الله) اى لا معبود بحق سوى واجب الوجود المستحق لجميع المحامد (وحده لا شريك له) فى الوهيته وجميع شؤنه وهو مؤكد لما قبله لتضمنه للحصر المقدم عليه (وان محمدا عبده ورسوله) ارسله لهداية خلقه وارشادهم لتوحيده وفيه دعوة اى اعتراف بانه عبده وجواب لما قوله (قال له) ضمير المذكور لما سمع ما قاله صلى الله تعالى عليه وسلم (اعد على كلماتك هؤلاء) المذكورة من قوله الحمد لله الى آخره وانما طلب اعادتها ليتأملها ويفهم ما اراده وهؤلاء واولئك اشارة الى جمع المذكر والمؤنث من العقلاء وغيرهم كما قال الشاعر * ذم المنازل بعد منزلة اللوى * والعيش بعد اولئك الايام * فالمشار اليه هنا الكلمات (فلقد بلغت قاموس البحر) اى اشتهرت مقالاتك هذه فى جميع قطار الارض شرقا وغربا وقاموس البحر وسطه او لجته او قعره كما فى كتب اللغة من قسته اذا عمسته وغربه فاعول وهذه اشهر الروايات واصحها وفيه روايات اخر فروى قاعوس بمثناة فوقية وعين وسين مهملتين بينهما واو ساكنة وروى فاعوس بفاء بدل القاف ورواه ابو داود قاموس او قاوس على الشك فى الميم والباء الموحدة وروى ناعوس بالنون ايضا وقيل ان الكل تصحيف ما عدا قاموس وفاعوس كما قاله ابن قرقول يقال قال فلان قولا بلغ قاموس البحر اى سمعه كل ذى روح حتى دواب البحر وهو مبالغة فى شيوعه وروى قاعوس من القعس وهو حر وج الصدر وبروزه وقيل انه تحف من لم يسمعها ولم يصدق بها من العقلاء مع سلوعها هذا المبلغ (هات) بكسر التاء اسم فعل معناه اعط (يدك ابايعك) بالجزم فى جواب الامر ووجه استشهاد المصنف به انه بمجرد رؤيته وسماع كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم آمن به من غير تردد ولبس فى كلامه ما يدل على صدقه مدعاه ولكنه لما رأى نور وجهه الشريف وحسن بهجته آمن به (وقال جامع بن شداد) فى حديث رواه عنه البيهقى وهو ابو صخرة الاسدى الكوفى الحديث روى عن صفوان وغيره واخرج له ابو داود والنسائى وتوفى سنة ثمان او سبع عشرة او عشرين ومائة (كان رجل مما يقال له طارق) بن عبد الله المحاربى وهو صحابى كما اشار اليه بقوله (فاحدرانه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمربذة) كما قال ابن شداد وغيره ولرؤيته عنه وقال ابن حبان انما رآه بمكة بذى المجاز وهو سوق بيده وبين عرفة فرسخ وهو مخالف لما قاله المصنف (فقال) له صلى الله تعالى عليه وسلم ولمن لقيه معه (هل معكم شئ تبيعونه) انما سألهم لانهم اعراب وانما يقدم مثلهم للبيع والشراء (فلما هذا البعير فقال بكم) تبيعونه (فلما بكذا وكذا وسقا من تمر) بكسر الواو وفتحها وهو ستون صاعا مما يكال (فاخذ بخطامه) بخاء معجمة

وطاء مهملة وميم هو كالزمام و زنا و معنى اى رسنه الذى يقاد به والباء مزيدة اى اخذه ليجره ويذهب به (وسار) اى ذهب من عندنا بالعير (فقلنا) اى قال بعضنا لبعض (بعنا) بعيرنا (من رجل لاندرى من هو) حتى نطالبه بالثمن والوسق المبهم فى الحديث كان ستون صاعا كما ورد التصريح به فى رواية اخرى وقوله من هو معترض ندرى والمعنى لاندرى جواب هذا السؤال وعدى البيع بمن وهو متعد بنفسه اما بناء على مذهب الاخفش من جواز زيادة من فى الاثبات وقال النووى انه لغة فيه فيتعدى بنفسه و بمن كانكح وروح فانه يقال انكحه وزوجه وانكح وروح منه وقد وقع هذا فى كثير من الاحاديث فلا عبرة بقول من عده من لحن الفقهاء وفى مسلم لو بعت من اخيك وفى البخارى بيعه من الصواعين الى عير ذلك مما لايحصى (تنبيه) قوله وسقا منصوب لانه تمييز وكذا مركبة من كاف التشبيه واسم الاشارة ثم كنى به عن العدد وغيره وتكون مفردة ومكررة بعطف ودونه وذهب البصريون الى ان تمييزها لايكون الامفردا منصوبا وذهب الكوفيون الى انها بحسب ما يكنى بها عنه كناية عن ثلاثة الى عشرة وكذا كذا عدد كناية عن مائة فصاعدا وكذا كذا عددا كناية عن احد عشر واخواته وكذا وكذا عدد كناية عن واحد وعشرين الى تسعة وتسعين وكذا عددا كناية عن عشرين واحواته وتفصيله فى شروح التسهيل وقد افرده بالتصنيف ابن هشام وغيره (ومعاطعينة) جملة حالية والمراد بالطعينة المرأة من الطعن وهو الارتحال ولذا قيل ان حقيقته امرأة فى هودج على حمل ثم تجوز به عما ذكر وللهودج بلا امرأة وللحمل نفسه وهو بطاء معجمة وعين مهملة وسميت المرأة طعينة لطعنها مع زوجها (فقالت) اى المرأة لما سمعت كلامهم (انا ضامنة لثمن العير) اى اعطيه لكم من عندى ان لم يجئ لكم منه وانما ارادت انها واثقة بانه لابد ان يجئ به لما وقع فى قلبها من ان مثله صلى الله عليه وسلم لايغدر ولايحلف بغير اسمه حين شاهدته ولذا قالت (رأيت وجه رجل مثل القمر ليلة البدر) هذا اسياق يبادر لوجه ضمانها لمن لم تعرفه بانها رأت فى وجهه صلى الله عليه وسلم نورا وحسنا سماويا تدل على انه ليس ممن يصدر منه شر وسهت وجهه الشريف بالقمر عند كماله وزيادة نوره على عادتهم فى تشبيه الوجه الحسن به والا فمن اين للبدر مثل نوره وحسنه ولقد اجاد بعض الظرفاء فى قوله

لاعيبة البدر وجهك احمل * وما انا فيما قلته متحمل * لكنما التئ بالشئ يذكر كما قيل

* طبى اذا ما بدا محياه * اقول ربى ورب الله * وقد هجا ابن الرومى البدر فقال

* لو اراد الاديب ان يهجو البدر * رماه بالحطة الشعساء * قال يا بدر انت تعذر بالسارى * وتعرى برورة الحسناء * كاف فى سحوب وجهك يحكى * بمشط فوق وجنة رصناء * يعتريك المحاق فى كل شهر * فترى كالقلامة الجماء * ويليك

النقصان فى آخر الشهر * فيمعولك من اديم السماء* (لا يخبس بكم) اى حسن صورته صلى الله تعالى عليه وسلم يدل على حسن سيرته فمثله لا يصدر عنه ما طسموه يقال خاس يخبس ويخوس اذا غدر وكذب فنكث عهده واخلف وعده وهو بخاء معجمة وسين مهملة (فاصحى) اى مضى بعد اخذه صلى الله تعالى عليه وسلم العير يوم وليلة ثم دخلها فى صبيحة يوم بعده (فجاء رجل) من اتباعه صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا الرجل لا يعرف اسمه (يتمرفعال انا رسول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اليكم) ثم استأنف جواب سؤال مقدر او مطوى كانهم قالوا ما فعل او ما يقول فقال (يأمركم ان تأكلوا من هذا التمر) الذى جاء به (وتكتالوا) اى تكيلوا منه ثمن العير (حتى تستوفوا) اى تأخذوا الثمن من التمر الذى جاء به وافيا كاملا عيرما اكلتموه فانه هبة منه لكم وفيه من المكارم وحسن المعاملة ما لا يخفى وفى الحديث خياركم احسنكم قضاء (و) ورد (فى) حديث رواه ابن اسحق فى (حمر الجلدى) وقصته (وهو) اى الجلدى (ملك عمان) وسلطانها فى عهد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وفى القاموس جلدا بضم اوله وفتح ثانيه وهو اللام المخففة ممدودا و بضم ثانيه ويقصر ووهم الجوهرى فقصره مع فتح ثانيه قال الاعشى * وجلدا فى عمان مقيما * ثم قيسا فى حضرموت المنيف * ولا حجة له فيما ذكر لاحتمال انه ضرورة كما قاله تلميذه البرهان الحلبى وفى شرح المفصل لابن الحاجب الاولى ان لا يدخل عليه الالف واللام ومعناه القوى المحمل من الجلادة كما قاله المعبى فى رسالة العمران وعمان بفتح العين المهملة وتشديد الميم مدينة قديمة بالشام و بالضم والتخفيف صقع عند البحرين وفى السروح نقلا عن الذهبى ان له شعرا يدل على اسلامه وهذا يدل على عدم حزمه به والذى نقله السويرى فى تاريخه الجزم به وانه صلى الله تعالى عليه وسلم بعث عمرو بن العاص فى سنة ثمان من الهجرة الى حيفر وعبد ابنى الجلندى وهما من الازد والملك منهما حيفر وكتب اليهما كتابا فلما قدم عمان عمد الى عبد وكان اعلمهما واحسنهما خلقا وقال انى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اليك والى اخيك فقال اخى مقدم على فى السن وهو الملك وانا اوصلك اليه فمكث عنده اياما ثم دخل عليه ودفعت اليه الكتاب فقص خاتمه وقرأه ثم دفعه الى اخيه فقرأه فقال دعنى يومى هذا وارجع الىّ غدا فلما رجعت اليه قال انى فكرت فيما دعوتنى اليه فاذا انا اضعف العرب ان ملكت رجلا ما فى يدى فقلت انى خارج فلما ايقن بمخرجى ارسل الىّ واخاب الى الاسلام هو واخوه وصدقا بالنبى صلى الله عليه وسلم وخلا بينى وبين الصدقة والحكم بينهم فلم ار ملكا مقيما بينهم حتى بلغنى وفاة رسول الله عليه السلام انتهى وهذا يدل على ان ملك عمان اى الجلدى لا هو الا ان يقال كل من ملك عمان يسمى جلدى واما ما فى بعض الشروح من ان فى بعض النسخ ملك عثمان بتشديد السين كسداد

اسم قبيلة ولعل تلك القبيلة سكنت تلك البلدة وكان الجلدى ملكها اهـ لا يعول عليه لمخالفته الرواية والنسخ الصحيحة هو الذى صححه السهيلى والشراح كلهم (لما بلغه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يدعوه الى الاسلام) كما سمعته مفصلا (قال الجلدى والله لقد دلنى على هذا النبى الامى) الذى لا يقرأ ولا يكتب ووصفه به لشهرته صلى الله تعالى عليه وسلم به فى الكتب القديمة ولانه مدح له كما تقدم (انه لا يأمر بخير الا كان اول آخذ به) اى اول عامل بما امر به صلى الله تعالى عليه وسلم (ولا ينهى عن شئ الا كان اول تارك له) كما قال صلى الله عليه وسلم انى لا تقاكم لله واخشاكم له وهو كما قيل * لا تنه عن خلق وتأتى مثله * عار عليك اذا فعلت ذميم * وقوله انه الى آخره اسم تأويلا وهو فاعل دل (وانه يغلب) اعداءه ويتصر عليهم وهو مبنى للفاعل (فلا يبطر) اى لا يطغى ويتجاوز يظهر الفرح وهو حفة مذمومة و بطر من باب علم (و يعلب) بالبناء للمفعول اى يغلب احيانا فان الحرب سجال كما جرت به عادة الله فى ايامه (فلا يضجر) اى يقلق ويجزع بل يصبر ويتحمل ما اصابه فى سبيل الله احتسابا لاجره ورضاء بما قدره الله تعالى كما هو عادة الانبياء عليهم الصلاة والسلام (ويفى بالعهد) فاذا عاهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم احدا لا ينكث عهده كما قال الله تعالى واوفوا بالعهد (ويجز الموعود) اى يجعل ما وعد به لكرمه فالموعود اسم مفعول ويجوز ان يكون مصدرا فانه جاء على مفعول الا انه نادر (واشهد انه نبى) لما تحققه من اخلاقه وكمال صفاته صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا شاهد لما عقد له الفصل من ان من تأمل صفاته صلى الله تعالى عليه وسلم صدق بنبوته وان لم يشاهد معجزته (وقال بعطويه) ابراهيم بن محمد الامام الجليل بن عرفة بن سليمان الازدى الواسطى النحوى المفسر الاديب وقد تقدمت ترجمته وضبط اسمه بفتح اوله وواوه وسكون يائه وان المحدثين يضمون ما قبل الواو ويسكنونها لما مر (فى قوله تعالى) مثل نوره كمشكوة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كانها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية (يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار هذا مثل ضربه الله لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم) هذا بناء على الوقف على قوله الله نور السموات والارض وان معنى قوله مثل نوره وان الضمير فى قوله مثل نوره لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وان المشكاة هو او صدره والمصباح علمه والزجاجة قلبه والزيتونة نبوته والمعنى ان نبوته تظهر وان لم يبد معجزة و برهانا عليها وقد تقدم ذكر المصنف لهذه الآية وان هذا احد تفاسيرها وانه بعيد وانما اعاده هنا لما فيها على هذا من دلالتها على المقصود من ان المتأمل يشهد و يصدق بنبوته وان لم يقم برهانا عليها فلا تكرار فى كلامه كما توهم

وهو على هذا تشبيه تمثيلي وهو ظاهر (يقول) الله تعالى (يكاد منظره) اى ما يتعلق به النظر من ذاته صلى الله تعالى عليه وسلم وصفاته (يدل على نبوته وان لم يتل قرآنا) اى وان لم يظهر صلى الله عليه وسلم معجزة وخص القرآن لانه اعظم معجزاته وتلاوة القرآن معلومة وروى وان لم يقل قرآنا ثم استشهد له بما يدل على معناه فقال (كما قال ابن رواحة) رضى الله عنه وهو عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الانصارى الصحابى احد شعراء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد شهد معه المشاهد الا الفتح فانه مات شهيدا بمؤتة سنة ثمان من الهجرة وهو احد الامراء الثلاثة بها وهم زيد بن حارثة وجعفر بن ابى طالب ومما روى من مدحه صلى الله عليه وسلم قوله

* لو لم يكن فيه آيات مبينة * لكان منظره ينبيك بالخبر *

ومبينة بكسر الياء المشددة اسم فاعل وبفتحها اسم مفعول ومنظره مرآه وظاهره وفى رواية كانت بداهته وهذا على نهج قوله نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه اى مما يترتب الجواب فيه على وجود الشرط وعدمه وهو على فقد الشرط اولى ويجوز ان يبقى على حاله لانه عند ظهور الايات لا يحتاج الى الاستدلال بظاهر الحال فلا اشكال فيه اصلا واصل ينبيك ينبؤك بالهمزة فابدلت ياء واسكنت على حد قراءة باريكم وفى جعل المنظر مخرما من اللاعن ما لا يخفى (وقد آن ان تأخذ) اى نسرع (فى ذكر النبوة والوحى والرسالة) يقال اخذ فى القراءة اى شرع فيها واصل الاخذ التناول باليد ثم تجوز به عن معان منها هذا وآن بمعنى قرب اوانه (وبعده) اى بعد ذكرها نشرع (فى معجزة القرآن وما فيه من برهان ودلالة) اى دليل قاطع على نبوته وهى بفتح الدال وكسرها مصدر ويستعمل بمعنى الدليل ﴿فصل اعلم﴾ امر بالعلم اهتماما بما بعده والخطاب عام لكل من وقف على كتابه اولمن سأله تأليفه كما تقدم (ان الله جل اسمه) اى عظم وعظمت اسماؤه وجلالة اسمه تدل على جلالته بالطريق الاولى (قادر على خلق المعرفة) وهى العلم بالجزئيات ويكون بمعنى مطلق العلم ايضا (والعلم بذاته) علما يقينيا وان لم يكن بالكنه والحقيقة (واسمائه وصفاته) الدالة وغيرها (وجميع تكليفاته) التى الزمهم بها من الامور الشرعية والعادات (ابتداء) فسره بقوله (دون واسطة) يتوسط بينه وبينهم فى اعلامهم وتعليمهم ما ذكر (لو شاء كما حكى عن سنته) اى عادته تعالى وطريقته (فى بعض الانبياء) عليهم الصلوة والسلام اذ عرفهم بعض الامور السابقة بدون واسطة بان اوقع ذلك فى قلوبهم وكشفه لهم او الهمهم اوراهم ذلك فى مناماتهم الصادقة وهذا مما شاع وذاع وملاء الاسماع وكون كل علم منقسما الى نظرى وضرورى المراد به غير علوم الانبياء كما صرحوا به وفى الكشاف جرت العادة بان كل علم نظرى كسبى ثم فى قدرة الله تعالى احداث علم واحداث القدرة عليه من غير تقدم نظر قال بعضهم كعلوم

الانبياء التي ليست ضرورية ولا نظرية فيخلق فيهم العلم بلا تقدم نظر لئلا يكونوا زمان التطر شاكين وذلك لا يصح عليهم في التوحيد ولو كان ضروريا لم يكن عليه اجر فجمع بين كونه مقدورا لينالوا الاجر وعدم تقدم النظر لينتفي الريب وهذا هو الذي ارتضاه المحققون فانقل عن بعض مشايخ الصوفية ان علوم الانبياء جميعها ضرورية غير مسلم (وذكره بعض اهل التفسير في قوله وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا) بناء على ان الوحي يشتمل الالهام ونحوه وليس المراد به ما كان بواسطة الملك فقط (وجائز ان يوصل) الله معطوف على قوله اولا قادر (اليهم جميع ذلك) المذكور من العلوم السالفة (بواسطة يبلغهم) صفة واسطة بالفوقية او التحتية اي يوصله بكلام يدل عليه (وتكون تلك الواسطة اما من غير البشر كالملائكة مع الانبياء) عليهم الصلوة والسلام سواء رأوهم متمثلين بصورة غير صورتهم او على صورتهم الاصلية كما وقع لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم اولم يروهم كما كان يأتيه صلى الله تعالى عليه وسلم الوحي احيانا كصلصلة الجرس وليس رؤية الملك مخصوصا بالانبياء عليهم الصلوة والسلام بل قد يراه غيرهم من خلص عباده كمريم (او من جنسهم كالانبياء مع الامم) الذين يبلغونهم عن الله ما امرهم بتبليغه (ولا مانع لهذا) المذكور تسميه (من دليل العقل) اي من دليل هو العقل فالاضافة بيانية او هي حقيقية بمعنى انه غير مستحيل حلا ما للبراهمة الذين جعلوه مستحيلا لذاته فمنعوا ارسال الرسل كفرا وضلالا عما نطقت به الكتب الالهية ودلت عليه الادلة العقلية كما بين في الكتب الكلامية كما اشار اليه بقوله (واذا جاز هذا ولم يستحل) اي لم يعد محالا عقلا (وجاءت الرسل تدل على صدقهم من معجزاتهم) الظاهرة المحققة (وحب تصديقهم في جميع ما اتوا به عن الله وبلغوه لامتهم (لان المعجزة مع التحدي من النبي) اي اظهار النبي معجزة له وطلبه ممن انكر نبوته الاتيان بما يماثلها لان معنى التحدي هو الطلب المذكور لانه مأخوذ من حدى الابل اذا تحدى لها لينشطها ومن دأبهم فيما ان يتقابل شخصان يتبارزا ويبان ذلك فهو من النبي (قائم مقام قول الله) لذي اقدره على ذلك وامره به (صدق عبدي) ورسولي فيما ادعاه لما معه من البرهان الذي لا تقدر عليه احد من جنسه (فاطيعوه واتبعوه) في كل ما يأمركم به لانه من عند الله (وشاهد على صدقه) في كل ما يقوله وهو معطوف على قوله قائم حبران وقد تقدم الكلام على دلالة المعجزة وانها سمعية او وضعية والفرق بينها وبين الكرامة والسحر (وهذا) الكلام (كاف) فيما قصدناه (والتطويل فيه خارج عن الغرض) الذي صنف الكتاب لاجله (فمن اراد تتبعه) اي الوقوف عليه (وجده مستوفى) حبر من اوجوائها اي يقف عليه تماما وتفصيلا (في مصنفات ائمتنا) وعلمائنا وفي نسخة في كتب ائمتنا (والسوة في لغة من همزه) اشارة الى ان فيه لغتين الهمز وتركه الا ان الهمز هو الاصل

كما ذهب اليه كثير من اللغويين والنحاة وان كان ترك الهمز هو الاكثر ولذا قيل انه لغة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وانه انكر على من قال له يا نبئ الله بالهمز و يأتى الكلام عليه (مأخوذ من النباء وهو الخبر) لانبائه واخباره عن الله تعالى وقال الراغب النباء الخبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم او غلبة ظن فلا يقال لما سمع حتى يتضمن هذه الاشياء الثلاثة و يكون صادقا فالخبر اعم منه (وقد لا يهمز) بالتاء الفوقية والنون للمجهول اى السوة و يجوز قراءته بالمثناة التحتية باعتبار اللفظ (على هذا التأويل) اى تفسيره بالنباء (تسهيلا) اى تبدل همزته واوا تخفيفا لكثرة الاستعمال فتبدل من جنس الحركة التى قبلها وهى الضمة والتسهيل عند القراء بمعنى جعل الهمزة بينها و بين الحرف الذى منه حركتها وليس مرادهنا (والمعنى) اى معنى النبى المفهوم من الكلام على هذا القول (ان الله اطلعه على غيبه) اى اعلمه واخبره بمغيباته (واعلمه انه نبيه) الموحى اليه (فيكون نبيا مبئا) بصيغة المفعول مشددا الباء الموحدة ويجوز تخفيفها اى يكون من اطلعه واعلمه نبيا بمعنى منبئا (فهو فعيل بمعنى مفعول او يكون) معناه (مخبرا) بكسر الباء اسم فاعل (عما نبأه الله به ومنبئا) اسم فاعل بتشديد الباء وتخفيفها (عما اطلعه الله عليه) من علمه ومغيباته فهو (فعيل بمعنى فاعل) على هذا (و يكون عند من لم يهمزه) اى يقول بان اصله المهموز من النباء مأخوذ (من النبوة) مصدر بمعنى سلوة فى الاصل بقل وشاع بمعنى المرتفع (وهو) ذكر ما عتبار اللفظ اى نظرا للخبر اى (ما ارتفع من الارض) فهو كالربوة لغطا و معنى ثم بين المراد منه بقوله (معناه ان له) عند الله وفى الواقع (رتبة شريفة ومكانة عليهة) اى عالية مشهورة والبه ضد الحامل لتنه سعده من نومة الخمول و المكانة كالرتبة تختص بالمدارك المعنوية فجعل علوه معنى ظهوره كعلوه حسا (عند مولاه) وربه الذى تولى امره (منيفة) عالية لا يصعد لها سواه وهو على هذا ايضا فعيل بمعنى مفعول لانه اى النبى مرفوع على غيره او بمعنى فاعل لانه مرتفع لما له من رفيع الدرجات (فالوصفان) اى وصفه بالنبى بمعنى المخبر او بمعنى المرتفع (مؤتلفان) اى متوفقان بحسب المعنى لان من نبأه الله واطلعه على ما لم يطلع عليه غيره له منزلة عالية ومن له مقام عال يطلع على ذلك او اريد بالوصفين فعيل بمعنى فاعل او مفعول والذى ارتضاه سيبويه انه مهموز كالذرء والبرية التزم تخفيفه فى الاكثر وكلاهما لغة وانهما قرئ فى السبع كما يأتى وقرأ نافع بالهمز فى جميع القرآن الا فى موضعين او هبت نفسها للنبى لا تدخلوا بيوت النبى والخلاف انما هو فى ايهما اصل ولذا قدم المصنف رحمه الله تعالى المهموز (واما الرسول فهو المرسل) اسم مفعول من ارسله اذا بعثه لامر وتبليغ رسالة (ولم يأت فعول) بفتح اوله اسم مفعول من الافعال (بمعنى مفعل) بضم الميم وفتح العين المهملة (فى اللغة) اى لغة العرب وكلامهم و يجوز ان يراد به علم اللغة وكتبها (الا نادرا) اى الا فى الغالط

قليلة قال السمين في الدر المصون فعول بمعنى مفعول قليل جاء منه ركوب وحلوب بمعنى المركوب والمحلوب والرسول بمعنى المرسل انتهى وكلام المصنف رحمه الله تعالى يقتضي ان البادر فعول بمعنى مفعل من المزيد وكلام العرب انه قليل بمعنى المفعول مطلقا فان الغالب فيه معنى الفاعل كصبور وشكور الا انه ان قيل ان الرسول في الاصل مصدر بمعنى الرسالة لم يكن مما نحن فيه بل مجاز للمبالغة كالدرهم ضرب الامير اى مضروبه وقد ورد في قول كثير بهذا المعنى وهو قوله

* لقد كذب الواشون ما بحت عندهم * بسر ولا ارسلتهم برسول *

اى برسالة فما قيل ان فيه شيئا ليس بشيء (وارساله امر الله له بالابلاغ الى من ارسل اليه) اى تبليغهم شريعته ودينه بنفسه او بواسطة (واشتقاقه من) الارسال بمعنى (التابع) اى التوالي والتكرار لتبليغه فالمناسبة بينهما ظاهرة (ومنه قولهم جاء الناس ارسالا) بفتح الهمزة جمع رسل بفتحتين اى فرقة بعد فرقة متتابعين يتبع بعضهم بعضا كما بينه بقوله (اذا اتبع بعضهم بعضا) كما ورد في الحديث انهم صلوا عليه صلى الله تعالى عليه وسلم ارسالا يتبع بعضهم بعضا ثم بين وجه اشتقاقه بقوله (فكانه) صلى الله تعالى عليه وسلم (الزم تكريره التبليغ) مرة بعد اخرى الى امته (والزمت الامة اتباعه) فرقة بعد فرقة وامة بعد امة لعموم رسالته فالتكرار والتتابع اما في نفس تبليغه او باعتبار اتباعه وامته ولو عطفه بالواو كما في نسخة كان احسن فما قيل من ان في كلامه بحثا لانه مأخوذ من جهة المعنى والاشتقاق من الالفاظ وان قولهم جاء الناس ارسالا ليس مصدر ارسلته لاختلاف المعنى كلام باش من عدم فهم كلام المصنف رحمه الله تعالى فيه خلط وخبط لا يخفى على من له بصيرة (واختلف العلماء) في جواب قولهم (هل النبي والرسول بمعنى) واحد فهما مترادفان (او بمعنيين) فهما متغايران غير مترادفين وفي نسخة ام بمعنيين والاول اقل ان لم اقل احسن هما وفيه كلام في المعنى وشروحه ليس هذا محله (فقيل هما سواء) اى متساويان او مترادفان لان الاول يساوي في الما صدق دون المفهوم كالانسان والناطق والثاني يساوي فيهما وعبارته شاملة لهما الا ان ما بعده اقرب الى الاول فمعناهما كل من اوحي اليه بشرع (واصله من الارسال وهو الاعلام) والارسال فيه اعلام ايضا لانه انما ارسل لذلك فهما متساويان وان اختلف مفهومهما وترك بيانه للعلم به مما قبله ولا يرد عليه ان الاعلام اعم لانه قد يعلمهم بما لم يرسل به من نبوته وكذا قوله ان الآية لا تدل على ما ذكر فانه من تلقي الركبان (واستدلوا) على تساويهما (بقوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي) لانه علق فعل الارسال بهما فاذا ارسل النبي لزم ان يكون الرسول هو والنبي رسولا وليه اشار بقوله (فقد اثبت لهما مع الارسال قال) المستدل (ولا يكون النبي الا رسولا ولا لرسول الا نبيا) وقيل عليه ان الآية انما تدل على ان النبي اعم من الرسول

فانها ترق من ذكر الاخص الى ذكر الاعم والحديث الاتى الناطق بزيادة عدد الانبياء على عدد الرسل يأباه واعادة الى تقتضى المغايرة فاذكر ممنوع (وقيل هما معترقان من وجه) فبينهما عموم وخصوص وجهى فكل رسول نبى وليس كل نبى رسولا فأله الى موجبة كلية وسالبة جزئية كما سيأتى بيانه والمشهور انه على هذا من اوحى اليه بامر الهى امر بتبليغه ام لا والرسول من اوحى اليه بذلك وامر بالتبليغ وقيل انه من كانت له شريعة ناسخة لغيرها وقيل من ارسل عليه كتاب والى هذا اشار المصنف رحمه الله تعالى بقوله (اذ قد اجتمعا) اى النبوة والرسالة (فى النبوة التى هى الاطلاع) بتشديد الطاء وتخفيفها اى سكونها (على الغيب) اراد به مالم يعلمه من اوامر الله تعالى وتشريعه له مايختص به اوبه وبغيره (والاعلام) من الله تعالى (بخواص النبوة) اى مايختص بالنبوة الشاملة للرسالة كالعصمة والوحى بواسطة الملك او بدونها كما وقع لموسى عليه الصلوة والسلام اذ كلمه الله تعالى قبل ارساله (اوالرفعة بمعرفة ذلك) المذكور من الاطلاع والاعلام وفى نسخة لمعرفة باللام بدل الباء السببية (وحوز درجتها) اى درجة النبوة العلية والحوز بحاء مهملة مفتوحة وواو ساكنة وزاى معجمة وهى حيازتها وتحصيلها وقوله الاطلاع والاعلام اشارة الى انهما من الشئ المهموز ومابعده الى انه من النبوة الواوى وهى الرفعة كما تقدم ولاتكلف فى شئ من كلامه كما توهم (وافترقا) اى النبوة والرسالة (فى زيادة الرسالة) اى الامر بالتبليغ المعتبر (فى الرسول) دون النبى (وهو) اى الرسالة وذكره مراعاة للخبر وهو (الامر بالانذار والاعلام) بمامر بتبليغه وهذا القيد المخصوص هو الذى حصل به الافتراق فى ماصدق عليه النبى ولامخالفة بينه وبين ماقاله المنطقيون كما قيل لانهم اعتبروا ذلك فى ماصدقا عليه لافى المفهوم وهذا كلام ناش من قلة التدبر (كما قلنا) اشارة الى ماقرره اولا (وحجتهم) اى دليل القائلين بان بينهما العموم والخصوص من وجه وليسا مترادفين مأخوذة من الآية نفسها التى استدل بها من ذهب الى القول فهى عليهم لالهم (التعريق بين الاسمين) يعنى النبى والرسول فان العطف واعادة الى يدل على تغايرهما (ولوكانا سيئا واحدا لما حسن تكرارهما فى الكلام البليغ) وليس المقام مقام اطناب وداتأكيد اذلوكان كذلك حسن التكرار كقوله تعالى كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون ونحوه (قالوا والمعنى) ان معنى الآية على هذا (وما ارسلنا قبلك) اى اوحينا واعلمنا (من رسول الى امة) امر بتبليغهم ما ارسل به وفى بعض النسخ من نبى والاولى اوفق بالنظم واظهر (اونبى مرسل الى احد) فافترقا على هذا التفسير افتراقا ظاهرا وفى كلامه نوع خفاء اراد بعضهم ان يصلحه فافسده وفى الآية ترق لانه ترقى فى الى بذكر العام بعد الخاص وفى الاثبات ترقى به على العكس كما تقول مافى الدار انسان ولاحيوان اوعكسته كان ذكر الانسان بعده لغوا فان قلت الذى استدل به اولا

تعلق ارسلنا بهما فانه يقتضى ان النبي مرسل ايضا وماذكره المصنف لايدفعه قلت وجه دفعه بما ذكر انه لما اقتضى هذا العطف التغاير لزم تأويل ارسلنا بمعنى يسملهما اى ماارسلنا ملائكتا بوحينا لاحد من نبي اورسول لان ارسل متعد بنفسه اوهو من قبيل * وزججن الحواجب والعيونا * ومن زائدة بعد النفي اى ماارسلنا ولانبيا بدا فتأمل (وقد ذهب بعضهم) مجاز من الذهاب وهو الخروج من مكان الى آخر قال فى الاساس ذهب فلان الى قول ابى حنيفة اذا اخذبه واتخذه مذهبا (الى ان الرسول من جاء بشرع مبتدأ) ولم يكن مقررا لشرع غيره فشرعه لم يسبق اليه ومبتدأ بفتح التاء صفة شرع ويجوز كسرها على انه حال من ضمير جاء والاول اولى (ومن لم يأت به) اى بشرع مبتدأ لم يسبق اليه (نبي غير رسول وان امر بالابلاغ والانذار) فبينهما عموم من وجه آخر (والصحيح والذى عليه الجماء الغفير) بمد الجاء وفى نسخة الجم والمعنى واحد اى الجماعة الكثيرة والجم بفتح الجيم وتشديد الميم والغفير بغين معجمة وفاء وفى الصحاح الجماء الغفير جماعة الناس يقال جاؤا جماء غفيرا يمد ويقصر والجماء الغفير بالمد وجم الغفير والجم الغفير اى جميعا وال زائدة والغفير صفة لازمة للجماء لايفرد بدونها من الغفر وهو الستر كانهم لكثرتهم ستروا وجه الارض ومعناه جاؤا جميعا بجملتهم شريفهم ووضيعهم وهو اسم ينصب كالمصدر كجاؤا جميعا وقاطبة والجم الكثير وينصبه لانه اسم وضع موضع المصدر وقيل انه مصدر ولايلزم نصبه عند الكسائى وعليه يمشى كلام المصنف رحمه الله تعالى لاعلى من الزمه النصب وليس المراد الجميع بل الاكثر حتى يستكملها ويجاب بانه لم يعتد بغيرهم وصيرهم كالعدم (ان كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا) وهو صادق القولين الاخيرين فبينهما عموم وخصوص وجهى لانه يشترط فى الرسول دون النبي ان يؤمر بالتبليغ او يكون له شرع جديد اوارل عليه كتاب والاول هو المشهور ولذا قال المحدثون اذا ورد فى الحديث ذكر احدهما او قال قال رسوله اونبيه لايجوز له ان يبدله من يرويه وقيل انه لايلزم ولكنه اولى وهذا فى غير الاذكار فانها توقيفية ولذا ورد فى حديث ان بعضهم قال فى بعض الادعية آمنت بكتابك الذى انزلت وبرسولك الذى ارسلت فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم قل وبنبيك الذى ارسلت كما فى شرح مسلم وفيه بحث وقيل الرسول اعم يشمل رسل الملائكة كجبريل عليه الصلوة والسلام لكن الكلام انما هو فى رسل البشر وقال صاحب القاموس فى كتاب الصلاة ان النبي من اوحى اليه بامر يختص به فى نفسه حتى لا يجوز لغيره ان يتبعه فان امر بتبليغ ما امر به لامة مخصوصة او لجميع الناس فهو رسول فان لم يكن له حكم مختص به فهو رسول لا نبي وان كان مع التبليغ له ما يختص به كنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فهو نبي ورسول فعلى هذا بينهما عموم وخصوص مطلق وليس كل رسول نبي وقال انه الحق الذى لاشك فيه وهو مخالف لكلام

المصنف رحمه الله تعالى واعلم ان النبي ان كان من النباء فهو مهموز وان كان من النبوة فغير مهموز كما تقدم وكلاهما جائز وبهما قرئ في السبعة واما قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لاعرابي قال له يا نبئ الله اي بالهمزة لست بنبئ الله ولكني نبي الله لان نباء في لغة بمعنى خرج من ارضه وطرد فلا يهامه ذلك منعه وورد ايضا لاتنبؤا باسمي فانما انا نبي الله ومعنى لاتنبؤا لاتهمزوا وليس في هذا ما يقتضي منعه على الاطلاق كما قاله ابن سيدة (واول الرسل آدم وآخرهم محمد صلى الله تعالى عليهما وسلم) ولاينافي هذا مافي البخاري في حديث الشفاعة من انهم يقولون لنوح عليه الصلوة والسلام انت اول الرسل الى اهل الارض لانهم لم يقولوا انه اول الرسل مطلقا بل اول الرسل الى اهل الارض في عصره ولذا قال في الدعاء عليهم لاتذر على الارض من الكافرين ديارا و آدم عليه الصلوة و السلام انما ارسل الى بنيه وهم مؤمنون به وادريس وشيث عليهما الصلوة والسلام لم تعم رسالتهما وهذا لاينافي اختصاص نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم بعموم الرسالة الى آخر الزمان فلم تختص بعصر ولا قوم وعمت رسالته الانس والجن والملك كما تقدم (وحديث ابي ذر) الذي رواه احمد في مسنده وابن حبان والحاكم في مستدركه وسيأتي بطوله (عنه) صلى الله تعالى عليه وسلم (ان الانبياء مائة الف واربعة وعشرون الف نبي) وقد قال الحاكم في مستدركه انه طعن في بعض رواته وقيل انه منكر وقال القرطبي انه اصح حديث ورد في عدد الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وقيل ان اصحابه عليهم الصلاة و السلام كانوا بهذه العدة ايضا عند وفاته صلى الله تعالى عليه و سلم وعن كعب الاحبار انهم الى الف ومائتي الف وعن مقاتل انهم الف الف واربعمائة الف واربعة وعشرون الفا وقد عرفت ان الاول اصح مافي الباب (وذكر ان الرسل منهم) اي من الانبياء عليهم الصلوة و السلام (ثلاثمائة وثلاثة عشر اولهم آدم عليه الصلوة والسلام) وقيل اربعة عشر كعدد اصحاب طالوت و يوافقه ان احرف اسم نبينا بالجمل الكبير ثلاثمائة واربعة عشر اذ فيه ثلاث ميمات لان الحرف المشدد بحرفين ولفظ ميم ثلاثة احرف فجملتها مائتان وسبعون ولفظ دال بخمسة وثلاثين ولفظ حا بتسعة وهي اسمه الكريم اشارة الى ان جميع الكمالات الموجودة في المرسل موجودة فيه صلى الله عليه وسلم وزيادة واحد على القول الاول والحديث الاول طويل اورده الحاكم في مستدركه كما مر ونقل عن البرهان مافي بعض رواية من الكلام وطويناه لانه لاثمرة له هنا (فقد بان لك معنى النبوة والرسالة) على الاقوال الثلاثة من الترادف و العموم و الخصوص من وجه او مطلقا كما فصلناه (ولبسنا) اي النبوة و الرسالة (ذاتا للنبي عند المحققين) اي لبسنا امرا ذاتيا في الرسول حتى طبعه الله عليها كالعقل و غيره من الغرائز و لبست النبوة

مكتسبة برياضة وتصفية باطن كما ذهب اليه الحكماء وانما هي امر طارئ عليه بارادة الله تعالى وفضله والله تعالى اعلم حيث يجعل رسالته (ولا صفة ذات) اى ليست صفة قائمة بذاته موجودة فيه قبل الوحي اليه (خلافا للكرامية) فهؤلاء قالوا انهما امران غير الوحي وامر الله له بتبليغ شريعته فصاحبهما متصف بهما وان لم يوح اليه (اقول ان اراد هؤلاء ان الله تعالى خلق له نفسا قدسية واودع فيها قوى يستعد بها لتلقي الوحي والعلم به وان سمي النبوة هذا وان اطلقوها على ما يترتب عليها وانه ركب فيه نورا كان يشاهد في آبائه وينقل في اصلابهم وذلك من نعم الله ايضا كايجاد ما ابتداء فالامر فيه سهل والا فهو لعوص القول والكرامية بتشديد الراء وتخفيفها على القولين وفتح الكاف وكسرها على التخفيف قال في المعرب اخبرني صديق الثقة ابن خولة ان عبد العزيز العرجي ذكر في تاريخه هذا الرجل وهو محمد بن كرام الذي نسب اليه الكرامية فقال كرام بوزن حذام وقطام وقيل انه كرام على لفظ جمع كريم وهو الجاري على السنة اهل سجستان وهي بلدته كما قال فيه البستي

* ان الذين لجهلهم لم يقتدوا * بمحمد بن كرام غير كرام *
* لفقه فقه ابي حنيفة وحده * والدين دين محمد بن كرام *

فهم منسوبون لمحمد بن كرام بفتح الكاف وتشديد الراء كما قاله السمعاني وقال لان والده كان يحفظ كرما ويعمل فيه وكذا صححه في المران وقال ابن صلاح انه لا معدل عنه وكذا صححه ابن ماكولا والذهبي وانكره ابن الهيضم وهو من اهل مذهبه ادعى انه ادرى كما مر عن البستي وانما هو مخفف الراء مع فتح الكاف بمعنى كرم او كرامه وبكسرها على لفظ الجمع وكان صاحب مذهب في العقائد وغيرها وله رواية في الحديث وكان يجوز الكذب على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في الترغيب والترهيب لانه له لا عليه فعليه ما عليه ومات في القدس في صفر سنة خمس وخمسين ومائتين (في تطويلهم) في بيان مقالتهم وتأييدها (وتهويل) اى تحويف وتقريع لمن عدل عن مذهبهم في هذا (ليس عليه تعويل) اى هو مع ذلك ساقط ضعيف لا يعتمد عليه ولا يلتفت اليه ويجوز ان يريد بالتهويل تزيين الباطل وزخرفته في القاموس التهويل الالوان المختلفة وزينة النصارى وهذا اقرب لتسمية المصنف (واما الوحي فاصله) اى معناه الحقيقي الذي وضع له اولا (الاسراع) وفي الحديث اذا اردت امرا فتدبر عاقبته فان كان شرا فانته وان كان خيرا فتوحه اى اسرع فيه والهاء للسكت وقال الاعشى * مثل ريح المسك ذاك ريحها * صهباء السافي اذا قيل توح * ويقال اوحى بمعنى اومأ اوتكلم بكلام خفي (فلما كان النبي

صلى الله تعالى عليه وسلم يتلقى ما يأتيه من ربه بعجل سمى) اى ما يأتيه من ربه (وحيا) اى متلق بسرعة فاطلق عليه المصدر مبالغة ثم صار حقيقة فى كل ما يوحى اليه (وسميت الانواع الالهاميات وحيا) كقوله تعالى واوحى ربك الى النحل (تشبيها بالوحى الى النبى) فى سرعة وقوعها فى القلب فهو استعارة تحقيقية والا لهام القاء امر فى الروع باعث على الفعل او الترك (وسمى الخط وحيا) على الاستعارة التحقيق ايضا او المجاز المرسل (لسرعة حركة يد كاتبه) هو وحه السه بهما (ووحى الحاجب واللحظ) هو فى اصل مؤخر العين ثم اطلق على النظر فيقال لحظه بعينه وهو هنا مستعار (لسرعة اشارتهما) اى حركتهما بسرعة للاشارة بهما (ومنه) اى من اطلاق الوحى على الاشارة (قوله تعالى فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا اى اومأ) بهمزة فى آخره وقد استعمل منقوصا ايضا بالالف كاوحى لعطا ومعنى (ورمز) بتخفيف الميم اى اشار بالعين او بالشفة (وقيل) معناه هنا (كتب) لان الوحى يكون بمعنى الكتابة كما تقدم (ومنه قولهم) اى قول العرب (الوحاء الوحاء) بفتح الواو والمد والقصر ويقال الوحاك بكاف الخطاب ايضا كما فى الاساس وهو منصوب بفعل مقدر للاغراء (اى السرعة) والعجلة (وقيل اصل الوحى) لغة (السر والاخفاء ومنه) اى من كونه بمعنى الاخفاء (سمى الالهام وحيا) لخفائه وهو اظهر مما تقدم من ان معناه السرعة (ومنه) اى من هذا القبيل (قوله تعالى وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم) اى من يوالوهم ويصادقونهم من المشركين (اى يوسوسون فى صدورهم) اى يلقون فى قلوبهم والمراد بالشياطين مردة الجن والمراد باوليائهم كفرة قريش اومردة الانس من مجوس هجر وفارس والوسوسة كالالهام الالقاء فى القلب الا ان الاول يختص بالخير وهذا بغيره ولذا اتبعه بقوله (ومنه) قوله تعالى (واوحينا الى ام موسى) ان ارضعيه (اى الق) بناء المجهول (فى قلبها) منا ما والهاما وقيل انه وحى حقيقى كالوحى للانبياء عليهم الصلاة والسلام (وقد قيل ذلك) التفسير السابق (فى قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا اى ما يلقيه فى قلبه دون واسطة) والذى رجحوه فى هذه الآية ان المراد بالوحى فيها المنافهة بكلام الله تعالى لنبينا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج وكلامه لموسى عليه الصلاة والسلام وحديث ابى ذر المشار اليه هو هذا قال دخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جالس فجلست اليه فقلت يا نبى انت وامى امرتنى بالصلاة فاى الصلاة قال الصلاة خير موضوع استكثر منه او اقل قال فقلت فاى الاعمال افضل قال ايمان بالله وجهاد فى سبيل الله فقلت اى المؤمنين اكمل ايمانا قال احسنهم خلقا فقلت اى المسلمين اسلم قال من سلم المؤمنون من يده ولسانه فقلت اى الهجرة افضل فقال هجر السيئات فقلت اى الصلاة افضل قال طول القنوت قلت اى الليل افضل قال

جوف الليل العار قلت اى الصلاة افضل قال فرض يجزى عند الله وعند الله اضعاف كثيرة قلت اى الصدقة افضل قال جهد من مقل يصير الى نقير قلت فاى الرقاب افضل قال اعلاها ثمنا وانفسها عند اهلها قلت فاى الجهاد افضل قال من هرق دمه وعقر جواده قلت اى شئ اعظم مما انزل الله قال آية الكرسى يا اباذر ما السموات السبع والارضون السبع فى الكرسى الا كحلقة ملقاة فى فلاة من الارض وفضل العرش على الكرسى كفضل تلك الفلاة على الحلقة قلت بابى انت وامى فكم الانبياء قال مائة الف واربعة وعشرون الفا قلت فكم الرسل من ذلك قال ثلثمائة وثلاثة عشر جم غفير قلت من كان اولهم قال آدم قلت نبى مرسل قال نعم خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه ثم سواه قال يا اباذر اربعة سريانيون آدم وشيث واخنوخ وهو ادريس وهو اول من خط بالقلم ونوح واربعة من العرب هود وصالح وشعيب ونبيكم يعنى نفسه صلى الله تعالى عليه وسلم وابراهيم وسائرهم من بنى اسرائيل فاول الانبياء آدم وآخرهم اما واول الابناء من بنى اسرائيل موسى وآخرهم عيسى قلت فكم كتاب انزله الله تعالى قال مائة كتاب واربعة كتب انزل على شيث بن آدم خمسين صحيفة وانزل على اخنوخ ثلاثين صحيفة وانزل على ابراهيم عشر صحايف وانزل على موسى قبل التورية عشر صحايف وانزل التورية والانجيل والزبور والقرآن قلت فما كان فى صحف ابراهيم قال كانت امثالا كلها منها ايها المغرور المسلط انى لم ابعثك لتجمع الدنيا بعضها الى بعض ولكن لترد عنى دعوة المظلوم فانى لا ارد دعوتها وفيها على العاقل ما لم يكن مغلوبا على عقله ان لا يكون ظاعنا الا فى ثلاث تزود لمعاد وحرفة لمعاش ولذة فى غير محرم ﴿فصل اعلم ان معنى تسميتنا ما جاءت به الانبياء﴾ عليهم الصلوة والسلام (معجزة هو ان الخلق عجزوا عن الاتيان بمثلها) العجز عند العرب ان لا يقدر على ما يريده يقال عجز بفتح الجيم يعجز بكسرها ويقال ايضا بكسر الجيم فى الماضى وفتحها فى المضارع كما حكاه الاصمعى وغيره ويقال عجزه كذا اذا فاته وقيل العجز فى الحقيقة هو الله خالق العجز فيمن تحدى فلم يقدر على المثل فان من حرجت عن مقدوره لا يتصور فيهم العجز لعدم قدرتهم ومالهم عليه قدرة لا يتصور عجزهم عنه ايضا فان العجز يقارن المعجوز عنه فلو عجزوا وجدت المعارضة منهم ولم توجد فالمعنى مجاز امتناع المعارضة وانتفاء القدرة وحقيقة ان الاعجاز اثبات عجز المرسل اليهم فاستعير لاظهار العجز واسند لسببه الذى هو اظهار الخوارق وجعل اسما له فاتاء للنقل من الوصفية الى الاسمية او للمبالغة كتاء علامة وفيه بحث لا يخفى (وهى) المعجزة (على ضربين) اى هى اسم شامل لنوعين مقدور وغير مقدور (ضرب هو من نوع قدرة البشر) اى مقدورهم الذى يمكنهم الاتيان

بما يماثله من نوعه (فعجزوا عنه) الفاء فصيحة اى فطلب منهم فعجزوا عنه (فتعجيزهم عنه) اى جعلهم عاجزين والمصدر مضاف لمفعوله اى تعجيز الله اياهم (فعل الله دل على صدق نبيه) اى خلق العجز فيهم ومنعهم عما من شانهم القدرة عليه فهو فى قوة قول الله تعالى صدق عبدى فيما ادعاه والعادة جارية بان يقع بعده علم ضرورى بصدقه (كصرفهم عن تمنى الموت) اى منع الله اليهود عن تمنى الموت لما قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى فكذبهم الله تعالى والزمهم بقوله قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين * اى قل لهم يا محمد ان كنتم احباب الله تعالى والجنة مختصة بكم فاطلبوا الموت فان من احب الله احب الله لقاءه ومن كانت داره الجنة يبادر لدخولها فلم يتمنه احد منهم ولو بلسانه لصرف الله لهم عن ذلك ولذا ورد ولو تمنوه لم يبق على وجه الارض يهودى وسيأتى بيان هذا مطولا فى محله وهذا اعظم حجة على صدق صلى الله عليه وسلم كما قاله المفسرون وهذا وان كان تركا وعدما متضمن لمعنى وجودى وهو السكوت والخوف ونحوه فسقط ما قيل ان المعجزة فعل خارق وليس هذا من قبيل الافعال (وتعجيزهم عن الاتيان بمثل القرآن على رأى بعضهم) القائل بان اعجازه بالصرفة اى بصرف العرب الفصحاء عن معارضته مع تحديه لهم وتقريعهم بذلك على رؤس الاشهاد حتى عدلوا عن محادلة الحروف الى مجالدة السيوف كما هو المشهور معروف وهذا مذهب الظام وبعض المعتزلة والشيعة فقيل صرفهم بان لم يكن دواعى وبواعث لذلك وقيل سلبهم المعارف المركوزة فى طبايعهم من معرفة فنون البلاغة واساليبها على القولين المشهورين فى الصرفة والذى عليه الجمهور المحققون ان اعجازه انما هو بما تضمنه من الفصاحة والبلاغة وغرابة الاساليب وبلاغة التراكيب وحوالتها وانواع البديع ومطابقة المقامات وبدايع الفواتح والمقاطع وروائع الاستعارات الى غير ذلك مما خرج عن طوق البشر وبلغ الى ذروة لا تصل اليها خطى الافكار مع حلاوة وطلاوة تعين السامع الى غير ذلك مما قرروه وقيل اعجازه بما فيه من المغيبات وقيل بجميع ذلك والاقوال معروفة مقررة فى الاصول والمعانى وغيرها من كتب السلف (ونحوه) مما نوعه مقدور لهم (وصرف) من المعجزة (هو خارج) عن قدرتهم ادتحداهم به (فلم يقدروا على الاتيان بمثله كاحياء الموتى) الذى وقع لابراهيم ولعيسى عليهما السلام فيما قيل ان ما كان بدعاء عيسى عليه السلام معجزة له انما كان من الله لامه بشهادة واحيى الموتى باذن الله واذ تخرج الموتى باذنى لاوحه له وهذا ايضا مما وقع لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فيما وقع لابويه على الصحيح (وقلب العصا حية) معجزة لموسى

صلى الله تعالى عليه وعلى نبينا وسلم وسيأتي انه ما من معجزة لنبي من الانبياء الا ولنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم مثلها وزيادة (واحراج ناقة من صخرة) بلا واسطة واسباب معتادة معجزة لصالح عليه الصلوة والسلام لما اقترح عليه جندع ابن عمرو سيد قومه ان يخرج لهم من صخرة اسمها كاتبة ناقة عشراء فصلى ودعا ربه فتمخضت تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء وهم ينظرون ثم نتجت مثلها في العظم فامن جندع في جمع من قومه وتمادى غيرهم في الكفر حتى عقروا الناقة فاخذتهم الرجفة (وكلام النحرة) وفي نسخة السحر وهذا مما وقع لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ومثله حنين الجذع المشهور (ونبع الماء من الاصابع) اي من بين اصابعه صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا مما وقع له صلى الله عليه وسلم ايضا كما سيأتي ولله در الابوصيري في قصيدة عارض بها بانت سعاد حيث قال

*ومنبع الماء عذب من اصابعه * وذاك صنع به فينا جرى النيل*

(وانشقاق القمر) معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم حتى صار فلقتين تشاهده الناس وقد ثبت هذا في الاحاديث الصحيحة وروى من طرق متعددة خرجها السيوطي وبه فسر قوله تعالى * اقتربت الساعة وانشق القمر ولعل التوبة تقضي لتفصيله وهذا النوع كله وامثاله (مما لا يمكن ان يفعله احد الا الله) عز وجل (فيكون) اجراء (ذلك) الذي لا يفعله الا الله (على يدالنبي) اي وقوعه من نبي من انبيائه بحسب الظاهر فعله وهو في الحقيقة (من فعل الله تعالى) الذي اظهره على يده بقدرته (وتحديه) بتشديد الدال مصدر مضاف للفاعل وهو ضمير النبي ويجوز عوده على الله لامره به وهو طلب المعارضة والاتيان بمثله كما تقدم وهو مبتدأ وقوله (من يكذبه) مفعوله قوله (ان يأتي بمثله) بتقدير الجار اي لان يأتي بمثله او بدل من تحديه او خبر وقوله (تعجيزله) خبر بعد خبر اي يظهر عجزه عن ذلك (واعلم ان المعجزات) جمع معجزة وقيل جمع معجز لانه لما لم يعقل (التي ظهرت على يدنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) وصدرت منه (ودلائل نبوته وبراهين صدقه) عطف تفسير له كانشقاق القمر ونحوه مما تقدم وسيأتي مما لا تحصى (من هذين النوعين معا) حيران اي بعضها مقدور وبعضها غير مقدور كالقرآن ونحوه (وهو) اي نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم (اكثر الانبياء معجزة) منصوب على التمييز اي معجزاته اكثر من معجزات سائر الانبياء عليهم الصلوة والسلام (وابهرهم آية) تمييز والآية المعجزة لانها علامة للنبوة وابهر افعل تفضيل من بهر بمعنى ظهر او علب يقال بهر القمر فهو باهر اذا ملاء الارض ومن ذلك قول عمر ابن ابي ربيعة

* ثم قالوا تحبها قلت بهرا * عدد الرمل والحصى والتراب *

وفيه وجوه ذكرها الادباء فالمعنى ان معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم اكثر واظهر

واقوى (واظهرهم برهانا) هذا اعم مما تقدم لان البرهان وهو الدليل القاطع اعم من المعجزة ويجوز ان يريد المعجزة ايضا (كما سنبينه) فى آخر هذا الباب وفى قوله اكثر واظهر مايدل على ان سائر الانبياء تت بدلائل ومعجزات و براهين و معجزات نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم و براهينه اقوى واظهر وانها تسمى بذلك كما تسمى به آيات بينا وقد اطلق عليها آية و برهان الا انه لم يطلق عليها فى القرآن معجزة قيل ولا فى السنة والمعجزة مخصوصة بالانبياء عليهم الصلاة والسلام وخوارق الاولياء تسمى كرامة وقد يطلق عليها واطلق عليها المعجزة ايضا الامام احمد بن حنبل واباه غيره (وهى) اى معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم فى كثرتها لا يحيط بها ضبط اى لا يحيط بها حصر وعدد او حفظ لان الناس يطلقونه على هذا تجوزا من الضبط بمعنى الاخذ باليد والحفظ بمعنى الصيانة واما اطلاقهم الضابط على القاعدة الكلية فمولد من كلام المصنفين و وجه التجوز فيه احاطته بافراده فهى كلامه استعارة مكنية وتخييلية ولم يتعرض له فى الاساس ثم بين ذلك بقوله (فان واحدا منها) اى معجزة واحدة من جملة معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم (وهو القرآن) فانه بجملته معجزة وكذا آياته وسوره قال الامام مجد الدين فى نهاية العقول التحدى وقع مرة بالقرآن كقوله تعالى على ان يأتوا بمثل هذا القرآن ومرة بعشر سور كقوله تعالى بعشر سور ومرة بسورة كقوله تعالى فاتوا بسورة من مثله ومرة بآية كقوله فليأتوا بحديث مثله وذلك نهاية التحدى وهو كقول الرجل لمن يعارضه هات قوما كقومى هات كنصفهم هات كربعهم هات كواحد منهم انتهى والى هذا اشار المصنف رحمه الله تعالى بقوله (لا يحصى) اى لا يعد ويضبط وكانوا يعدون ما كثر بالحصى ثم استعمل فى مطلق العدد ولذا قال الاعشى * ولست بالاكثر منهم حصى * واما العدة للكاثر * (عدد معجزاته) اى معجزات القرآن (بالف ولا الفين) لما فى كل آية من الاعجاز ولا اكثر من ذلك لما فى الفاظه من البلاغة وصورها كالتوكيد والتلميح والتشبيه والاستعارة والايجاز وحسن الفواتح والخواتم والفواصل الى غير ذلك مما لا يحصى (لان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قد تحدى بسورة منه) اى طلب منه من بلغاء قريش (فعجز عنها) فاعل عجز من تحداه المعلوم مما قبله او هو مبنى للمجهول وهو اولى (قال اهل العلم) بالقرآن و بلاغته (واقصر سورة) من القرآن وهو منون او هو جمع مضاف لضميره (انا اعطيناك الكوثر) سميت بجزئها هذا كما تسمى سورة الكوثر لذكره فيها لانها ثلاث آيات وسورة قل هو الله احد كذلك و سورة العصر الا ان حروف هذه اقل منهما (فكل آية) طويلة من القرآن بعدد حروفها ومقدارها (او آيات منه) اى القرآن (بعددها) اى بعدد الكوثر آيات وحروفا وكلمات (وقدرها معجزة) للبلغاء عن معارضتها لما فيها من البلاغة وهذا يان اقل مراتب الاعجاز فيه ومنه يعلم

كثرته (ثم فيها نفسها) اى فى سورة الكوثر (معجزات) كثيرة (على ما سنفصله) بديء تفصيلا (فيما انطوى) اى اشتمل القرأن (عليه من المعجزات) التى لاتحصى ولا تحصر (ثم معجزاته صلى الله عليه وسلم على قسمين) اى علم وابتقرا نقسامها انقسام الكلى الى جزئياته فشبه استقرارها باعتلاء الراكب على مركوبه لانها اما ان تعلم علما يقينيا قطعيا اولا فالاول (قسم منها علم قطعا ونقل الينا تواترا كالقرأن فلا مرية) بكسر الميم وضمها وسكون الراء المهملة وبثناة تحتية وهى الشك والتردد كما تقدم بيانه (ولا حلاف يحيء النبى صلى الله تعالى عليه وسلم به) الباء الاولى بمعنى فى واثبية صله المجيء (و) لاحلاف ولامرية فى (طهوره من قله) بكسر القاف وفتح الباء الموحدة ومعناه جهته وجانبه كما سيأتى فى قوله من قل الله على ما فيه (واستدلاله) اى استدلال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على صدقه وبيونته (بحجته) الاضافة بيانية اى بحجة هى القرأن (وانما كرهذا) المذكور الذى لامرية فيه (معاند جاحد) اى مكابر له عنادا مع علمه به (فهو كانكاره وجود محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فى الدنيا) وهو سفسطة وانكار للمحسوسات التى لاتسمع ولاتصدر من عاقل (وانما جاء اعتراض الجاحدين) اشارة الى ان انكارهم لما علموا حلافه (فى الحجة به) اى الاحتجاج به وانه كلام الله كقول المشركين هذا سحر مبين واساطير الاولين وما انزل الله على بشر من شيء الى غير ذلك (فهو) اى القرأن (فى نفسه) اى فى كلامه الفرد (وجمع ما نضمه) واشتمل عليه (من سحر) اى من كل امر معجز كالبلاغة والاخبار عن المغيبات (معلوم ضرورة) علما ضروريا لمن كان من اهل البلاغة ولذا قال الوليد بن المغيرة لما سمعه ان له حلاوة وعليه طلاوة واسفله مغدق واعلاه مثمر وما هو من كلام البشر كما يأتى بيانه والفصل ما شهدت به الاعداء (فوجه انكاره معلوم ضرورة) عند اهل اللسان لاعند كل احد لما فيه من فنون البلاغة (ونظرا) اى استدلا لاعند غيرهم اولافتقار بعض وجوهه اليه (كما سنشرحه) بينه قريبا (قال بعض ائمتنا) اى علماء الحديث والتفسير لا المالكية اذ لا اختصاص لما ذكر بمذهب (ويجرى هذا المجرى) بفتح الميم اسم مكان او مصدر ميمى اى يقارب ما تقدم ويشبهه لان ما جرى فى مجارى شيء ساواه (على الجملة) اى اجمالا من غير تفصيل لوجوه المشابهة وفاعل يجرى (انه قد جرى على يديه) اى صدر منه (صلى الله تعالى عليه وسلم آيات وخوارق عادات) عطف تفسيرى او من عطف الخاص على العام والاول اولى (ان لم يبلغ) اى يصل (واحد منها مبلغا) اسم مفعول حال من النكرة لوصفها ولو رفع كان اولى (القطع) والجزم مفعول يبلغ (فبلغه جميعها) اى مجموعها وهذا يسمى التواتر المعنوى كشجاعة على وزهد الحسن البصرى فان كل حال من احوال

هؤلاء لم يبلغ مبلغ التواتر ومجموعها احمالا بلغ ذلك بحيث لم يبق شبهة فيه كدليله الحيرة مما شاهدوه من خوارق عاداته وانقياد الملوك له وغير ذلك (فلا مرية في جريان معانيها على يديه) مشهورة باطقة بتصديقه شاهدة برسالته (ولا يختلف مؤمن ولا كافر) من الامم السالفة (انه) اى نبيهم قد (حرت على يديه عجايب) اى امور خارقة للعادة حيرت ابصارهم وبلابهم حتى تعجب المعجب منها (وانما) وقع (خلاف المعاند في كونها) اى تلك العجايب صادرة (من قبل الله) بكسر القاف وفتح الباء اى من المبدأ الفياض المبدع البديع (وقد قدمنا) اولا (كونها) بيان كون العجايب (من قبل الله وارد ذلك بمثابة قوله) اى الله عز وجل لرسوله (صدقت) في نبوتك وما ادعيته ومعنى مثابته مرتبته وفي حكمه مفعلة من اثابه كما ادا عوضه ومنه الثواب باثام المثلثة لحراء لطاعة والحاحد العنيد يزعم تارة انه سحر وكهانة وان ما سمع من كلام الشحروالكهاد كلام حق سحرها الى غير ذلك من الخرافات التي صاروا اليها سحرة اذا عرفت هذا (فقد علم وقوع مثل هذا) الذي وقع الانبياء عليهم الصلوة والسلام و لامم السالفة مما علمه كل مؤمن وكافر و بروفاجر (ايضا) كما وقع لاولئك (من نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ضرورة) اى علم علما ضروريا تواترا تواترا معنويا (لاتفاق معانيها) اى لتوافقها كلها في معنى واحد (كما يعلم ضرورة جود حاتم) الطائي وشهرته تغني عن ذكره واخباره في الجود مشهورة ايضا وكان في الجاهلية قريبا من مبعثه صلى الله تعالى عليه وسلم وادرك ابنه عدي الاسلام وكان من كبار الصحابة رضي الله تعالى عنهم (وشجاعة عنترة) بالهاء ويقال له عنتر ايضا وهو عنترة بن معاوية بن شداد العبسي وهو علم منقول من عنتر وهو نوع من الذباب ازرق وتوبه اختلف في زيادتها و هو من فرسان العرب و شجعانها المشهورين (وحلم احنف) بن قيس التميمي ادرك الاسلام واسلم لكنه لم يرالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم و هو من كبار التابعين واحنف بفتح الهمزة وسكون الحاء المهملة معناه مائل الرجل وله كلمات من الحكم مشهورة في كتب وعنه في الحلم حكايات عجيبة وكان من المعمرين ثم وضح ذلك على طريق اللف والنشر المرتب فقال (لاتفاق الاخبار الواردة) اى المروية (عن كل واحد منهم) ثم ابدل من قوله عن كل واحد قوله (على كرم هذا) يعني حاتما (وشجاعة هذا) يعني عنترة (وحلم هذا) يعني احنف باشارة هذا القريب كرمهم وحضورهم في الذهن (وان كان كل خبر من اخبارهم ولاء الدلالة (نفسه) اى وحده (لا يوجب العلم) القطعي (ولا يقطع بصحته) لعدم تواتره باسناده واما المتواتر ما يحصل من مجموعها كالكرم والشجاعة والعلم والحاصل ان ما جرى على يديه صلى الله تعالى عليه وسلم تواتر تواترا معنويا لا لفظيا حقيقيا والمعنوي هو حصول العلم القطعي من مجموع امور جزئية واخبار

واردة مستفيضة كما اذا اخبر واحد بان حاتما اعطاه دينارا وآخر بانه اعطاه بعيرا وآخر بانه وهب عنما وآخر بانه كساه وآخر بانه ذبح له فرسه فقد اتفقوا كلهم على مطلق الاعطاء والتواتر الحقيقي ان يخبر جماعة عن جماعة الى آخره يؤيس تواطئهم على الكذب في خبر واحد متفق اللفظ والمعنى وكلاهما يفيد علما ضروريا عند سماعه من غير حاجة الى نظر واستدلال بشروط مقررة في الاصول خلافا لامام الحرمين والرازي فانه عندهما يفيد علما نظريا لتوقفه على مقدمات اخر ولا يشترط فيه عدد محصوص ولا اسلام (والقسم الثاني) من المعجزات (ما لم يبلغ مبلغ الصرورة والقطع) عطف تفسيري اي لم يصل الى مرتبته (وهو على نوعين نوع مشتهر ميسر) اي له شهرة وشيوع بين الناس ويسميه المحدثون مشهورا ومستفيضا (رواه العدد) الكثير (وشاع الخبر به عند المحدثين) الحفاظ الذين رووه وهو لا يبلغ رتبة المتواتر المفيد للعلم الضروري ولا النظري وذهب بعض الاصوليين الى انه يفيد العلم القطعي وقيل انه يفيد العلم النظري والمشهور انه يفيد الظن ولابد ان تكون شهرته عن اصل ورواية فان اشتهر لا عن اصل وهو المسمى بالمشهور على الالسنة لم يعتد به المحدثون ما لم يعلم اصله فان علم ذلك يقوى بشهرته في الجملة (والرواة ونقلة السير) جمع ناقل بتخفيف ككاتب وكتبة والسير جمع سيرة كما مر وهي اخبار المغازي (والاخبار) عطف تفسيري (كنبع الماء من بين الاصابع) اي اصابعه صلى الله تعالى عليه وسلم (وتكثير الطعام) الذي رواه انس وغيره كحنين الجذع وكلام الضب والذراع الذي رواه البخاري وغيرهما (ونوع منه) لم يشتهر ولم ينتشر بل (اختص به) رواية (الواحد والاثنان ورواه العدد اليسير) اي القليل (ولم يشتهر اشتهار غيره) كالقسم الاول والنوع الاول من القسم الثاني ويسمى عزيزا وهو لا يفيد العلم الا بقرينة كما في جمع الجوامع وقيل لا يفيده مطلقا وقال احمد انه يفيد العلم مع عدالة راويه لوجوب العمل به ولو لم يفده لم يجب العمل به وله ادلة مذكورة مع الجواب عنها في الاصول (لكنه اذا جمع الى مثله) من احاديث المعجزات (اتفقا في المعنى) من اصل الانجار وثبوته كما اشار اليه بقوله (على الاتيان) اي اتيان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (بالمعجز كما قدمنا) من حنين جذعها على يديه وانضمام بعضها الى بعض المقوى له (قال القاضي ابو الفضل) عياض المصنف (رضي الله تعالى عنه وانا اقول صدعا بالحق) تقديم المسند لافادة التقوية ويجوز ارادة الحصر لانفراده بعبارته المخصوصة ومجموع ما قاله وقوله صدعا اي صادعا صدعا فهو حال او مفعول لاجله او مطلق لمقدر او لاقول لانه بمعناه كقوله فاصدع بما تؤمر مستعار من صدع الزجاج ونحوه من الاجرام الصلبة لاظهار الحق والجهر به كانه يصدع قلبه او يصدع شبهته ويبطلها

أومن انصداع الفجر لظهوره ويقال للفجر صديع لهذا (ان كثيرا من هذه الآيات) والمعجزات (المأثورة عنه) اى المروية عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (معلومة بالقطع) لتواترها حقيقة اومعنى (اما انشقاق القمر) اى اما معجزته صلى الله تعالى عليه وسلم بانشقاق القمر له بمكة حين سأله كفار قريش آية غير ما جاء به اولا فاراهم ذلك فهى ظاهرة باهرة (فالقرآن نص بوقوعه) اى صرح به فى قوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وقرى وقد انشق اى اقترب وقد حصل من آيات اقترابها انشقاقه ولتضمنه معنى صرح عداه بالباء والافهو متعد بعلى فقد تواتر ذلك لفظا على القراءة المشهورة ومجيئه بقد يأبى تأويله بان معناه انه سينشق اذ اقامت القيامة والتعبير عنه بالماضى لتحقق وقوعه فهو استعارة تبعية وقرينتها اقترانها بلفظ الساعة فلا يرد عليه انه ليس معه قرينة تصحبه كما توهم الا انه لا يدفع كونه خلاف الظاهر (واحبر بوجوده) فى هذه الآية وقراءة انشق تؤيد التأويل فقد تعاضدا ويرجح الاول انه الاصل والمتبادر منه (ولا يعدل عن ظاهر) بالتنوين اى عن ظاهر القرآن (الا بدليل) قوى يقتضى العدول عنه وتأويله بما تقدم وقولهم انه لو وقع شاهده الناس كلهم يرده انه آية ليلية قد تخفى على بعض الناس (وجاء برفع احتماله صحيح الاخبار) اى احتمال خلاف الظاهر ورد فى الاخبار الصحيحة ما يرفعه ويدفعه كما سيأتى (من طرق كثيرة) تؤيد حمل الآية على ظاهرها لا سيما وقد روى فى الصحيحين وقد قال خاتمة الحفاظ ابن حجر ان ما روى فى الصحيحين يفيد علما نظريا وان لم يتواتر وقد صرح بهذا قبله ابو اسحق الاسفرائينى والحميدى وابو الفضل بن طاهر فان احتف به قرائن وورد من طرق احرز اد قوة وبلغ العلم المستفاد مرتبة تقرب من القطعى ثم اشار الى انه لا يلتفت لخلاف من خالف فى مثل هذه المطالب فقال (فلا يوهن) بالتخفيف والتشديد اى يضعف (عزمنا) اى ما عزمنا عليه وقصدناه جزما من اثبات هذه المعجزات وحمل النصوص الواردة بها على ظاهرها من غير تأويل (حلاف احرق) بالاضافة اى مخالفة احمق واصله الذى لا يحسن العمل بيده كانه يخرق ما يريد زبه وقال الثعالبى فى فقه اللغة فى انواع الحمق اولها الحمق ثم البله فان كان معه عدم الرفق فهو احرق فالحاصل ان المخالف فى مثله جاهل لا دراية له ولا معرفة بالاحاديث ثم وصف ذلك المخالف بقوله (محل عرى الدين) فهو بالجر صفة احرق اى هو مع حمقه قليل الدين ضعفه لعدوله عن ظاهر النصوص وتشبثه باذيال السفه وعرى بضم العين وفتح الراء المهملتين والف مقصورة جمع عروة وهى ما يعقد فى الحبل ليتمسك به وقال الراغب العرا مقصور الناحية ومنه العروة هو ما يتمسك به قال الله تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى وهو على طريق التمثيل انتهى فان شبه الدين بالعروة فهو من اضافة المشبه للمشبه به كلحين الماء

وان شبه بالحبل للتوصل به لما يعلو كما فى الحديث كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض فان الحبل مستعار فى كلام العرب كقوله ابى بحبلك واصل حبلى فهو استعارة مكنية وتخييلية والمراد انه غير متمسك بالدين (ولا يلتفت الى سخافة مبتدع) الالتفات الانحراف للنظر الى شئ ثم صار كالنظر كناية عن الرعاية بلطف واحسان ومنه قوله تعالى ولا ينظر اليهم يوم القيامة والسخافة اصلها عدم احكام النسج ثم تجوز به عن قلة العقل فيقال هو سخيف العقل لمن عقله وفكره غير قوى والمبتدع مرتكب البدع وهو المحدث على خلاف الشرع وقوله (يلقى السك على قلوب ضعفاء المؤمنين) اشارة الى ما هو من شان اهل البدع من القائهم الشبه والمشككات على الضعفاء العقول من المؤمنين وخصهم بذلك لان غيرهم لا يقبل مثل هذه الآراء الواهية واما ضعيف العقل فقد يأخذ باقوالهم فينعقهم ويعتقد (بل يرغم بهذا انفه) اى يرد ما قاله و يظهر جهده وسخافة عقله حتى يفتضح ويذل ويخزى لان اصله ان يلصق انفه بالرغام وهو التراب فتجوز به عن الاذلال والتسخير وكنى به هاهنا فسرناه به وهذا اشارة الى ما ذكر من القول الصحيحة التى لا تصرف عن ظاهرها بغير دليل (وينبذ بالعراء سخفه) النبذ بنون وموحدة ودال مهملة يقال نبذه ينبذه كضربه يضربه اذا طرحه والقاه والعراء بالمد المكان الخالى الذى لا ستر فيه و بالقصر الناحية ويقال عراه اذا قصده وسخفه قلة عقله ودينه ونبذ سخفه بالعراء اى القاه فى مكان خال عن الناس وهو عبارة عن ابطاله الكلية وهذا ابلغ من عدم الالتفات الذى هو معنى الاعراض وعدم الاعتداد بالشئ وهذا ترق لان الاول يكون مع استماعه وحضوره عنده وهذا ابعاد له لرميه بالعلاة ولا تكرار فى كلامه وتعبيره باهماله مهمل لا يلتفت اليه وحاصله ان اشقاق القمر فى الآية على ظاهره لوروده فى الاحاديث الصحيحة من طرق متعددة فحمله على ان المراد انه سينشق اذا قامت القيامة يوم تشقق السماء لم يأت بشئ وان ارتضاه جمع لانه لو وقع ساع وزاع وملاء الاسماع لانه آية عظيمة وقيل معناه ظهر الامر لان العرب يضرب المثل بالقمر لما وضح كما قال النسترى فى لامية العرب

وقد حب الحاجات والليل مقمر وشدت لطيات مطايا وارحل *

وقيل معناه اتساق الظلام عند طلوعه كما يقال اتسق الصبح واتسق كما قال البابغة

* فلما ادركوا ولهم دوى * دهاهم دسق الصبح داعى *

والداعى لهم على هذا عدم الوقوف على ما ورد فى السنة وانفهم لاقوال الحكماء الداهين الى امتناع الخرق والالتيام فى الاجرام الفلكية ونحوه من الخرافات الفلسفية

﴿ وكذلك ﴾

(وكذلك قصة مع الماء) من بين اصابعه صلى الله تعالى عليه وسلم (وتكثير الطعام) القليل بركة وضع يده الشريفة فيه (رواها) اى القصة (الثقاة) من حفاظ المحدثين (والعدد الكثير من الجم الغفير) تقدم معناه مفصلا ويأتى ايضا مع زيادة (عن العدد الكثير من الصحابة) كالشيخين عن انس رضى الله عنه والبخارى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قيل استعمل الجم الغفير مجرورا بالحرف والذى فى كتب العربية انه لازم النصب وجوز بعضهم رفعه كما تقدم ولا وجه له لان من لم يقل بلزوم نصبه يجوز جره ايضا اذ لا مانع منه (ومنها) اى رواية قصة تكثير الماء والطعام (ما رواه الكافة عن الكافة) اى ما رواه جماعة عن جماعة ومثل هذه العبارة من تعريف كافة وجره وقع فى كلام كثير من العلماء والفصحاء وقد خطأهم فيه الحريرى فى درة الغواص وتبعه صاحب القاموس وغيره بناء على انه يلزم تنكيرها ونصبها وقد صرح به كثير من النحاة قال فى القاموس لا يقال جاءت الكافة لانه لا يدخلها ال ولا تضاف ووهم الجوهرى وقد بسطنا الكلام عليه فى شرح الدرة وبينا انه مردود رواية ودراية انه سمع فى كلام العرب فاردت معرفة ذلك فانظره (متصلا عن مثل حدث بها) اى بتلك القصة (من جملة الصحابة واحبارهم) بفتح الهمزة وكسرها مرفوع معطوف على قوله ما رواه (ان ذلك) بفتح الهمزة اى بان الى آخره ويجوز كسرها (كان فى موطن) بمعنى محل فاصله محل التوطن (اجتماع الكثير منهم فى يوم الخندق) بالمدينة وهو بفتح الخاء المعجمة وسكون النون وفتح الدال المهملة وقاف وهو فارسى معرب كنده بمعنى الحفر والمراد غزوة الخندق وتسمى غزوة الاحزاب لاجتماع احزاب المشركين واليهود بها حول المدينة فامر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بحفر خندق حول المدينة اشار عليه سلمان الفارسى رضى الله تعالى عنه ولم يكن ذلك معروفا عند العرب وانما هو من مكائد الفرس وكان ذلك فى شوال وقيل فى ذى القعدة سنة اربع او خمس من الهجرة النبوية وقد فصلوها فى السير (وفى غزوة بواط) بضم الباء وفتحها وهو اسم جبل من جبال جهينة بينه وبين المدينة اربعة برد بقرب رضوى وهو جبل ايضا وهى التى طفر فيها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعير قريس سنة اثنين ولم يكن بها حرب ايضا وبواط قيل فيه الصرف وعدمه والظاهر الاول واشار بالاول الى قصة جابر رضى الله تعالى عنه لما دعا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لعاتق ذبحها مع صاع من شعير حزه فاتاه صلى الله عليه وسلم ومعه ناس كثير وكان دعاه وحده فاكلوا وشبعوا وفضل ذلك الطعام وكانوا يحوالف وبالثانى الى قصة بواط وهى انه وضع عنده صلى الله تعالى عليه

وسلم ماء قليل للوضوء فقال لجابر ادع الناس فلما توا وضع يده الشريفة في الماء فنبع الماء من بين اصابعه حتى توضؤا كلهم كما سيأتي (وعمرة الحديبية) بالجر عطف على المجرور بفي قبله والحديبية مصغر كدويهية اسم مكان او بئر فيه قرية من مكة سميت بشجرة حدباء فيها وهي التي وقع تحتها بيعة الرضوان وهي بتخفيف الياء الثانية على الصحيح وشددها بعضهم واليه ذهب كثير من المحدثين وكانت في سنة ست والآية التي كانت فيها انه صلى الله تعالى عليه وسلم خرج من المدينة معتمرا فلما وصل اليها صده المشركون عن البيت وكان بين يديه ركوة فتوضأ منها وماء البئر قليل جدا فزعه الناس وشكوا العطش الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنزع سهما من كنانته واعطاه لناجية ابن عميرة فغرزه في البئر فجاش ماؤها وجاءت حارية من الانصار معها دلو فاقبلت به على ناجية وهو في القليب وقالت منشدة

* يا ايها الماتح فينا دلوي دونكا * اني رأيت الناس يحمدونكا *
* يثنون خيرا ويمجدونكا * ارجوك للخير كما يرجونكا *

الى آخر ما فصل في السير وسيأتي بتمامه (وعمرة تبوك) في السنة التاسعة من هجرته عليه الصلوة والسلام او السابعة وهو اسم موضع بين الشام والمدينة غير مصروف سميت بعين ماء بها امرهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان لا يمسوا ماءها فسبق رجلان بسهمين جعلاهما فيها ليكثر ماؤها فزجرهما رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال لهما مازلتما تبوكانها اي تحفرانها ليخرج ماؤها واشار المصنف الى آية فيها رواها ابو هريرة رضي الله تعالى عنه وهي ان الناس اصابتهم مجاعة فقال عمر رضي الله تعالى عنه يا رسول الله ادع بفضل الازواد فدعا بنطع وبسطه ودعا بفضل ازوادهم فجعل الرجل يجيء بكف من ذرة والآخر بكف من تمر والآخر بكف من شعير فجمع ذلك وبرك عليه ثم قال خذوا فاخذوا في اوعيتهم حتى ما بقي في العسكر وعاء الا ملؤه واكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة وعقد المصنف رحمه الله تعالى لكل آية فصلا كما سيأتي (واعتنائها في محافل المسلمين) مجرور معطوف على موطن والضمير للعبرات المذكورة والمحافل جمع محفل من حفل القوم اذا اجتمعوا وكثروا وقيل المحفل مجمع الرجال والمأثم مجمع النساء والنادي مجمع الناس في الشتاء ودار الندوة والمصطبة مجمع العرباء وقيل محل اجتماعهم لامورهم والمجلس مقر الناس في بيوتهم والخان محل المسافرين والحانوت محل البيع والشراء وقد يخص بمحل بيع الخمر (ومجتمع العساكر) اي محل اجتماعهم وهو المعركة والعساكر جمع عسكر وهو الجيش والجمع الكثير مطلقا من الرجال والخيل وقيل انه معرب (ولم يؤثر) بالبناء للمجهول اي لم ينقل من اثره اذا نقله ومنه الاثر بمعنى الخبر وقد يخص بغير الحديث (عن احد من الصحابة مخالفة للراوي)

نائب الفاعل (فيما حكاه) الراوى من الامور والآيات المذكورة (ولا) نقل عن احد (انكار لما ذكر عنهم) وذكر مبنى للمجهول نائب فاعله (انهم رأوه كما رآه) اى لم ينقل انكارا انهم رأوا من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما رآه منهم الاحر بل سكتوا حين سمعوا من بعض الرواة انه شاهد بعض آياته صلى الله تعالى عليه وسلم (فسكوت الساكت منهم كنطق الناطق) لانه فى محله اقرار (انهم المنزهون عن السكوت على باطل) يسمعه من غيره ولا يصرح له بانكاره وكون السكوت كالنطق ليس على اطلاقه كما ذكره الفقهاء واهل الاصول ولذا قالوا السكوت فى محل الحاجة بيان (و) المنزهون عن (المداهنة فى كذب) فان الصحابة كلهم عدول لا يخشون فى الله لومة لائم والمداهنة الملايمة والمطاوعة الا ان الفرق بينها وبين المداراة ان المداراة فى الحق والمداهنة فى غيره ولذا جعلت من الدهن قال الله تعالى افبهذا الحديث انتم مدهنون وهى استعارة من الدهن للين كلام صاحبها وحانه وهى مذمومة لانها نفاق (وليس هناك رعبة ولا رهبة تمنعهم) اى الصحابة رضى الله تعالى عنهم ليسوا ممن يطمع ويرغب فى دنيا غيره ولا يخافون احدا عدل عن الحق لصلابة دينهم فلا يداهنون لان الحامل على المداهنة هذان الامران فليس عندهم ما يمنعهم من الانكار على من كذب (ولو كان) الاحسن ان يقول فلو بالفاء لترتبه على ما قبله (ما سمعوه منكرا عندهم) اى فى اعتقادهم (وغير معروف لديهم) اذ لم يبلغهم عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مثله (لانكروه) على قائله تنزها عن الاقرار على الباطل ومايخالف الظاهر واما احتمال ان غيرهم سمع مالم يسمعه وحمل قائله على الصلاح فغير مساعد هنا لان الصحابة رضى الله عنهم فى العصر الاول كان عندهم حرص على معرفة احواله صلى الله تعالى عليه وسلم واقواله لتوفر دواعيهم على نقلها والعمل بها والمعجزات المتحدى بها العرانتها وعظمها ليس مما يخفى مثله نعم بعد عصرهم يجوز هذا لأن خبر الاحاد مقبول فتدبر (كما انكر بعضهم) اى بعض الصحابة (على بعض) منهم (اشياء رواها من السنن) اى سنن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم جمع سنة بمعنى طريقة والمراد الاحاديث النبوية (والسير) جمع سيرة وهى احوال العزاة (وحروف القرآن) اى قرائته المتعددة فان كل وجه من القراءة يطلق عليه حرف وبه فسر حديث انزل القرآن على سبعة احرف اى لغات ووجوه منقولة على المعنى المشهور من معانيه وفى السنن الستة ان عمر رضى الله تعالى عنه انكر على هشام بن حكيم قراءة قرأ بها فى سورة الفرقان لم يسمعها فجاء به الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقال سمعت هذا يقرأ بغير ما اقرأتنيها فقال اقرأ ياهشام فقرأ فقال هكذا انزلت ثم قال اقرأ يا عمر فقرأ فقال له هكذا انزلت ان هذا القرآن انزل على سبعة احرف فاقرؤا ما تيسر منه وفيه بيان لحكمته وكما وقع بين عمر وابن عباس رضى الله عنهم

فى انكاره عليه ماقاله فى نكاح المتعة وامثاله كثيرة فى كتب الحديث (وخطأ بعضهم بعضا ووهمه فى ذلك) يعنى ان بعض الصحابة نسب بعضهم الى الخطاء والوهم اذا ذكر امرا لم يكن معروفا عندهم مما يتعلق بسنن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وسيره او بالقرآن وغير ذلك مما يتوقف على النقل ولا يقال بالرأى فانهم لامداهنة عندهم ولامداراة فى الحق الا ترى ان عمر رضى الله تعالى عنه مع جلالته لما قبل الحجر الاسود وقال انى اعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولكن رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقبلك فقبلتك فسمعه على كرم الله وجهه فقال له لا تقل كذا فان الله تعالى لما اخذ العهد على ذرات بنى آدم اودع كتاب العهد فيه وقال من قبله فقد وفى بالعهد فينبغى له الحجر بذلك يوم القيامة فدعا له عمر وقال لا عدمناك يا ابا الحسن والوهم والخطاء هنا بمعنى وروى وهمه بالنون من الوهن وهو الضعف فى الرأى (مما هو معلوم) بيان لذلك (وهذا النوع كله) من المحرات المروية بطريق الاحاد ولم يشتهر اشتهارا يقرب من التواتر (يلحق) بفتح اوله وضمه (بالقطعى) اى يعد من قبيل المقطوع به (من معجزاته كانباءه) من نقل بعض الصحابة له نقلا صحيحا وسكوت غيرهم عليه ممن بلغه فهو كالاجماع السكوتى (وايضا) لما وجه يؤيد كونها كالقطعى (فان امثال) هذه (الاخبار) المتعلقة بالمعجزات الثابتة فى عصر الصحابة لو لم تكن صحيحة وكانت من الاخبار (التى لا اصل لها) رواية (و بنيت على باطل) بان كانت كذبا محضا تبطل وتضمحل اذ (لابد مع مرور الازمان) عليها فى نقلها فى عصر بعد عصر (وتداول الناس) اى تلقى الناس لها فيما بينهم عصرا بعد عصر قال الراغب يقال تداول القوم كذا اذا تناولوه واحده بعضهم من بعض قال الله تعالى وتلك الايام نداولها بين الناس (واهل البحث) اى التفتيش عنها والمراد علماء الحديث الذين يبحثون عن رواة الحديث صحة وسقما (من انكشاف ضعفها) اى ظهوره (وخمول ذكرها) بان تنسى ولا يشتهر لها ذكر لكونها لا اصل لها (كما يشاهد) بالمشاهدة التحتية او الفوقية ويجوز قراءته بالنون اى يعرف ويتحقق (فى كثير من الاخبار الكاذبة) التى ظهرت فى بعض الازمنة ثم تبين كذبها وصارت كان لم تكن شيئا مذكورا كاخبار مسيلمة الكذاب واضرابه (والاراجيف الطارئة) اى الاكاذيب التى حدثت فى بعض السنين الخالية والاراجيف جمع ارجاف بكسر الهمزة وفتحها وقيل انه جمع رجفة من الرجف وهو الاضطراب والتحرك بحركات متوالية ولذا سمى البحر رجافا لاضطراب امواجه وقال بعض الشعراء فيمن اصابته رعشة فى يده

* ما كان من رجاف كفك مكثر * فالبحر من اسمائه الرجاف *

وهى هنا بمعنى الاخبار السيئة التى تشيع بين الناس ثم تنسى لظهور كذبها والطارئة

بالهمزة والياء التحتية من طرأ اذا حدث وتجدد (واعلام نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) بفتح الهمزة جمع علم بمعنى علامة اورايةكبيرة والمراد معجزاته المعلومة المشهورة (هذه الواردة) اى المروية (من طريق الاحاد) بالمد اى التى رويت احادا ولم تتواتر (لازداد مع مرور الازمان الاظهورا) ولوكانت غير صحيحة ازدادت خفاء وضعفا (ومع تداول الفرق) اى تكلم الناس بها فرقة وهو بكسر الفاء وفتح الراء جمع فرقة (وكثرة طعن العدو) من اعداء الدين الكفرة والطعن القدح والدخل بالمعارضة (وحرصه على توهينها) اى تضعيفها وفى نسخة بدل حرصه حضه بضاد معجمة اى حثه وتحريضه (وتصعيف اصلها) بالانكار والعناد وادعاء انها سحر وافتراء (واجتهاد الملحد) اى بذل طاقته وقوته والملحد العادل عن الحق من الزنادقة والالحاد الميل عن الاستقامة والحد ولحد فى دين الله حاد عنه وعدل وعن ابن عباس فى قوله تعالى * ان الذين يلحدون فى آياتنا * هو تبديل الكلام ووضعه فى غير موضعه وفى نسخة باجتهاد بدون تاء من اجهد اى اتعابه نفسه وكدها (على اطفاء نورها) اى ابطالها فشبه المعجزات لسراج منير وبار على علم فى الظهور والتحقق على طريق الاستعارة المكنية واضاف الاطفاء اليها على طريق التخييل وعدى الاجتهاد بعلى مشاكلة لما قبله اوضمنه بمعنى الملازمة والانكباب فهم كما قال الله تعالى * يريدون ليطفؤا نور الله بافواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره * ومن حكم اهل الهدان الرجل ذو المروة والعقل يكون خامل المنزلة غامض الامر فما تبرح به مروته وعقله حتى يستبين ويعرف كالشعلة من النار التى يصوبها صاحبها وتأبى الا ارتفاعا ومنه اخذ ابن الرومى قوله

* كالذى طأ طاء الشهاب ليحبى * وهو ادنى له الى التضريم *

ومنه اخذ الارجانى قوله

مالشانك يلتظى من عرور وله آخر ترقب قعه *
*كلما رام منه للرأس رفعا *زاد حفضا كانه نار سمعه*

واحسن من هذا كله قولى فى بعض الحساد

*رام بالذل ان ينكس قدرى *حاسد زادنى سناوسناء*
قلت ان الشهاب شعلة نار كلما نكسوه زاد ضياء*

وقوله (الاقوة وقبولا) معطوف على قوله الاظهورا كما ان قوله ومع تداول الفرق معطوف على قوله مع مرور الازمان وقوته بظهور حقيته وتيقنه وهو مقابل لما فى ضده من التضعيف والقبول باذعان العقول السليمة له وهو مقابل لطعن الطاعنين وانكارهم (وللطاعن) اى المنقص الذى يعيبها ويسعى فى ابطالها والجار والمجرور حال من المستثنى بعده بعدما كان صفة وعداه بعلى فى قوله (عليها) لانه ضمنه معنى

المتعدى عليها لانه يتعدى بنى وقوله (الاحسرة) وهوالتأسف والتندم على مهم
فاته وآيس منه (وعليلا) بالعين المعجمة واصله حرارة وتلهف فى الجوف من سدة
العطش والمراد به هنا مجازا الحقد المضمر والحسد معطوف عليه وان لم يتاركه
فى متعلقه الابتأويل فتدبر (وكذلك) اى كاعلامه بفتح الهمزة فيما ذكر من
الاردياد (اخباره) بكسر الهمزة مصدر اخبر (عن الغيوب) جمع غيب وهوما خفى
علمه عن الناس كالدجال والمهدى ودابة الارض وغير ذلك مما اخبر به بعض
الصحابة رضى الله تعالى عنهم (وانباؤه) بوزن اخباره ومعناه (بما يكون) فى
المستقبل من اشراط الساعة ومايقع بين امته عليه الصلوة والسلام من الفتن
وغيرها (و) ما (كان) فى الماضى كاحوال الانبياء عليهم الصلوة والسلام والامم
السالفة ونحوه مما لايعلم الابوحى اوحفظ الكتب الالهية التى لم يقرأها ولم ير من
عرفها (معلوما) انه (من آياته) ومعجزاته الخارقة للعادة اما الاول فظاهر
واما الثانى فلانه عليه الصلاة والسلام امى ولا يخالط من علم ذلك
كذلك بالعلم فى الامى معجزة فى الجاهلية والتأديب فى اليتم*
(على الجملة بالضرورة) اى معلوم بعلم ضرورى مجموعه واحاله وان لم يكن كل فرد
كذلك (وهذا حق) اى امر محقق متيقن (لاعطاء عليه) ظاهر منكشف من غير لبس
وشبهة فيه (وقد قاله) اى اعتقده وصرح به يقال قال كذا اذا نطق به
يقاله اذا ذهب اليه واختاره (من ائمتنا) المقتدى بهم من الاشعرية اوالمالكية
(القاضى) ابوبكر الباقلانى الاصولى المالكى لانه المراد به اذا اطلق وبه صرح
صاحب المقتفى هنا قال والمراد بقوله (والاستاذ ابو بكر) ابن فورك كما تقدم من كلام
المصنف وقيل المراد بالاول ابو بكر ابن العربى شارح الترمذى وبالثانى ابو بكر الباقلانى
اوالعكس والاول هو الذى عده المصنف من المالكية وعده السبكى فى طبقاته
من الشافعية وقال التلمسانى ان المراد بالثانى ابو بكر محمد بن الوليد الفهرى الطرطوشى
والاستاذ بضم الهمزة وآخره ذال معجمة معناه الماهر وهو معرب فارسية بالدال
المهملة والمولدون يريدون به الطواشى وقد بسطنا الكلام عليه فى كتابنا شفاء الغليل
فيما فى كلام العرب من الدخيل (وغيرهما) من الائمة اى ذهب هؤلاء كلهم الى
انها معلومة بعلم ضرورى قطعى فهى متواترة بحسب المعنى وان لم تتواتر مفرداتها
(وما عدى اوجب قول القائل) وفى نسخة تأخير ما عن عدى وهى نافية ومعنى
عدى فى اعتقادى وحكمى وهو متعلق اوجب (ان هذه القصص المشهورة من
باب خبر الواحد) اى من قبيل خبر الاحاد التى لاوجب العمل واوجب بمعنى اقتضى
واستلزم والحاصل اى لم يلجئه لذلك (الاقلة مطالعته للاخبار) السوية ومطالعتها
الاطلاع عليها (وروايتها وشغله) بضم اوله اى اشتغاله (بغير ذلك من المعارف)

غير الاحاديث من العربية والامور والعلوم العقلية وفيه تأدب مع العلماء وعدم المجاهرة بالقدح فيهم (والا) اى لو لم يقل بقلة اطلاعهم لاستعالهم عما ذكر (من اعتنى) اى كانت له عناية واستعال (بطرق النقل) اى الامور النقلية السماعية (وطالع الاحاديث والسير) السوية بان درسها وقرأها (لم يرتب) اى لم يحصل عنده ريبة وشك (فى صحة هذه القصص المشهورة) عند المحدثين والحفاظ (على الوجه الذى ذكرنا) من جمع طرقها وضم بعضها لبعض حتى تقوى وتصير متواترة بحسب المعنى قيل وقوله لم يرتب قاض رد اعتراضه على من قال انها احاد اذ لم يرد به مجموعها بل جميع افرادها وفيه نظر ثم اشار الى دفع شبهة هى انه لو كانت الاحاد تصل رتبة التواتر بالاعتناء بالنقول ومطالعة الاحاديث كانت متواترة معنى عند غيره فقال (ولا يعد ان يحصل العلم بالتواتر) الحقيقى (عند واحد ولا يحصل عند آخر) فالطريق الاولى التوسر المعنوى وقد قيل بمثل هذا فى السملة وجمع بين الخلاف وبين الائمة فان اثباتها فى اوائل السور واسقاطها قراءتان متواترتان من السبعة كما قاله ابن حجر ومن تبعه وان جرى على كثير (فان اكثر الناس يعلمون بالخبر) المتواتر (كون بغداد موجود) وهى المدينة المشهورة بدار السلام اما السلامة اهلها من فساد وتغير المراح اولان نهرها يسمى السلام وهى فارسية معربة ومعناها محل الدساتين لان باغ معناه بستان وقيل بع اسم صنم وداد معناه العطية اى عطية الصنم ولذا كره بعضهم تسميتها بذلك وفيها ست لغات اهمال الدالين واعجامهما واهمال الاول واعجام الثانى وعكسه و بغذان بالنون مع الاهمال وزاد يعقوب ابدال الذال ميما مع الدال والنون والاهمال والاعجام والاهمال اصح وقالوا بغدين ايضا (وانها مدينة عظيمة ودار الامامة والخلافة) بكسر اولهما وهما بمعنى والخلافة هى الولاية العامة لانه خليفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهى السلطنة بحق وسميت امامة لان الامامة والخطبة فى عهد الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والخلفاء الراشدين لازمة له لا يقوم بها غيره الا بطريق النيابة عنه كالقضاء والحكومة ولذا احتاجت لتقليد السلطان ونحوه ومعنى دارها مقرها ومحلها واول من بنى بغداد هذه ابو جعفر المنصور المعروف بالدوانيقى بانى خلفاء بنى العباس (واحاد) بالمد جمع واحد (لا يعلمون اسمها) لعدم سماعه (فضلا عن وصفها) من كونها دار الخلافة مترهة عظيمة البناء وفضلا منصوب بالمصدرية يفيد اولوية ما بعدها والكلام فيها مبسوط فى العربية مشهور ثم ذكر مثالا آخر فى الشرعيات فقال (وهكذا) اى مثل امر بغداد (يعلم الفقهاء من اصحاب مالك) المقلدين لمذهبه فتحور بالصحة عما ذكر تحوزا مشهورا (بالضرورة) اى بالعلم الضرورى اى البديهى لا الاضطرارى لتواتره عندهم فقوله (وتواتر النقل عنه)

كالمفسر له (ان مذهبه ايجاب ام القرأن) اى الفاتحة ووجه التسمية مشهور (فى الصلوة للمفرد والامام) دون المأموم فان قراءة امامه قراءة له وان لم يسمعها ولافرق بين الصلوة الجهرية وغيرها وكذا مذهب ابى حنيفة رضى الله تعالى عنه كما فصل فى كتب الفقه (واجزاء البية) اى نية صوم رمضان كله (فى اول ليلة من رمضان عما سواه) الضمير راجع لاول فلا يحتاج فى بقية الشهر الى نية اخرى اكتفاء بتلك البية والاجزاء بمعنى الكفاية والاعماء وقيل معناه سقوط القضاء ورده الاصفهانى فى شرح المحصول والفرق بينه وبين الصحة مفصل فى كتب اصول الفقه (وان الشافعى رضى الله عنه يرى) من الرأى بمعنى المذهب (تجديد البية كل ليلة) قيل الصحيح مذهبه ان البية واجبة فى كل ليلة لامسنونة وهذا معلوم بالضرورة عند الفقهاء لتواتره عند اصحابه وغيرهم لان صوم كل يوم عبادة مستقلة فيفتقر الى نية جديدة لحديث انما الاعمال بالنيات والمراد الاعمال الشرعية اى انما صحتها وغيره يقدر انما كمالها كما بين فى محله (والاقتصار على مسح بعض الرأس) اى ويعلم ضرورة ان الاقتصار على مسح بعض الرأس يجرى عند الشافعى لتواتر نقل ذلك عنه خلافا لمالك فانه يجب عنده مسح الرأس كله احتياطا (وان مذهبهما) اى مالك والشافعى (القصاص) اى وجوبه (فى القتل بالمحدد) اسم مفعول مسدد الدال وهو حديد له حد جارح كالسيف ونحوه (وغيره) مما لاحد له كالعصا والحجر والشجر (وايجاب النية فى الوضوء) فهى واجبة عندهما لانه عبادة فلابد من البية فيه ليكون قربة ولتتميز العبادة عن العادة باخلاص العمل بالنية (واشتراط الولى) وهو من تكون له ولاية شرعية على المنكوحة كالاب والسيد (فى النكاح) اى فى صحته وانعقاده كما فصل فى كتب الفقه (وان ابا حنيفة) النعمان بن ثابت الامام المشهور شهرته تغنى عن ذكر ترجمته (يخالفهما فى هذه المسائل) فلا يوجب القصاص فى غير المحدد بل الدية ولا يوجب النية فى الوضوء وخالف فيه بعض الحنفية كما فى الاسرار للدبوسى ولا يشترط فى النكاح الولى كما فصلوه يعنى ان مذهبه يخالف مذهبهما فى هذه المسائل فانه لم يرهما حتى يخالفهما والفقهاء يستعملون مثل هذه العبارة كثيرا فى كتبهم فيقولون خالف فلان فى كذا فلانا وان تقدم عصره عليه (وغيرهم) اى غير الفقهاء واصحاب المذاهب (ممن لم يشتغل بمذاهبهم) اى مذاهب الفقهاء ومن ذكر من الائمة (ولا روى اقوالهم) ممن قلدهم واشتغل بكتبهم (لايعرف هذا) الا الامر الذى وقع فيه الخلاف منهم (من مذاهبهم) واقوالهم (فضلا عما سواه) اى سوى هذا من دقايق المذاهب ومسائلها العربية (وعند ذكرنا آحاد هذه المحرمات نريد الكلام فيها بيانا) بتفصيلها وذكر ما يتعلق بها من الفوائد (ان شاء الله تعالى) ذلك

﴿ فصل فى انجار القرأن ﴾

اى فى بيان اعجازه و القرأن بالهمزة وقد تسهل وتبدل و وزنه فعلان على الصحيح وتقدم بيان الاعجاز وهو جعل غيره عاجزا عن معارضته والاتيان بمثله (اعلم وفقنا الله واياك) اى رزقنا التوفيق والجملة دعائيه وتصديره باعلم تنبيها له على مابعده امر مهم يلزم علمه (ان كتاب الله العزيز) بفتح الهمزة وهو ومابعده ساد مسد مفعولى اعلم وتقدم ان العزيز بمعنى القوى الغالب و بمعنى الذى لانظير له و يجوز فيه الجر والنصب على انه صفة الله اوالكتاب ولك ان ترفعه قطعا والكتاب المراد به القرأن لغلبته فيه و له معنيان الكلام النفسى و مابين الدفتين وكلاهما قديم عند بعض المحققين كالشهرستانى والكلام فيه مشهور والمراد الثانى لانه هو المتصف بالاعجاز (منطو) اى مشتمل ومحتوافتعال من الطى و هو معروف (على وجوه من الاعجاز كثيرة) اى انواع يعرف بها اعجازه وكونه لايقدر عليه البشر (و تحصيلها) اى محصلها اجمالا فالمراد بالمصدر اسم المفعول مبالغة كالدرهم ضرب الامير اى مضروبه و الضمير للوجوه (من جهة ضبط انواعها) اى حصرها و جعلها مضبوطة محفوظة (فى اربعة اوجه) جر تحصيل اومتعلق بقوله ضبط (اولها حسن تأليفه) اى نظم كلماته مؤتلفة متوافقة (والتيام كلمه) عطف تفسير اى كونها متناسبة بحسب الدلالة بحسب مقتضى مقاماتها والكلم اسم جنس جمعى لكلمة كتمر وتمرة لاجمع ولااسم جمع على الاصح (وفصاحته) قدمها على البلاغة لتوقفها عليها بمعناها المشهور فى كتب المعانى (ووجوه اعجازه) اى قلة لفظه وكثرة معانيه ووجوهه معروفة فى المعانى (و بلاغته الخارقة عادة العرب) عادة بالنصب مفعول خارقة بمعنى خارجة عن عادتهم كما يقال خرق الاجماع اذا خالفه وخرج عنه ثم بين ذلك فقال (وذلك) اى ماذكر من عادتهم (لانهم) اى العرب (كانوا ارباب هذا الشان) الشان هو الامر العظيم والمراد به البلاغة وجعلهم اربابها اى اصحابها المالكون لها الذين بيدهم ازمتها وهو مبالغة فى اتصافهم بالفصاحة و البلاغة (وفرسان الكلام) جمع فارس اوجمع فرس الذى هو جمعه والفرس يكون ايضا جمع فارسى بمعنى عجمى كما فى شرح شواهد الايضاح و منه قولهم لغة الفرس فنسبه الكلام الذين تمكنوا من التصرف فيه بجواد علوه وتسابقوا به فى ميادين البلاغة والرهان وفازوا بقصب السبق فيه (قد حصوا من البلاغة والحكم) اى حصهم الله تعالى من دون الناس ببلاغة كلامهم المخصوصة ببلاغتهم وربما تضمنه من الحكم اى المعانى المحكمة الدقة وما يحث على مكارم الاخلاق ومحاسن الصفات وفيه كلام تقدم (بما لم يخص به غيرهم) قيل كان الظاهر ان يقول مما لم يوجد فى غيرهم لكنه عبر به لبشاكل ماقبله ولان نى الوجود يفهم من اختصاصهم به دون غيرهم فلا يقال انه لايلزم من نى الاختصاص نى الوجود وهو المقصود وفيه بحث

(من الامم) اى جميع الامم السالفة واللاحقة (واوتوا) بالبناء للمجهول اى اعطاهم الله (من ذرابة للسان) المراد الجارحة المعروفة و الكلام نفسه والذرابة بذال معجمة وراء مهملة وموحدة اصل معناها حدة السيف والسنان ونحوه و قيل هى ان تسقى السم والذراب السم فاستعير لطلاقة اللسان مع الحلو عن اللدغة قال

*ارحنى واسترح منى فانى * ثقيل محملى ذرب لسانى *

وهذا امر محمود وقد يكون بمعنى كونه سليطا صخابا فيكون ذماكالحدة قال الله تعالى سلقوكم بالسنة حداد (مالم يؤت انسان) اى لم يؤته غيرهم من الامم لكسبه اتى بما ذكر لقصد السجع والخطابة كقوله (ومن فصل الخطاب) اى الخطاب البين الفاصل عند المحاجة الذى لالبس فيه ولاخفاء كما تقدم (مايفيد الالباب) جمع لب وهو العقل و يقيدها بمعنى يحبرها اذا سمعته حتى كانها قيدت ومنعت عن الحركة لدهشتها من حسنه وبراعته (جعل الله لهم ذلك) المذكور الذى خصوابه (طبعا وخلقة) مركوزفى طبايعهم لابتكلف وتقليد لغيرهم (وفيهم غريزة) اى جبلة وسجية مركوزة فيهم (وقوة) المراد بالقوة مقابل الفعل وليس بمعنى الشدة وهذا استعمال مولد وهو قريب من الطبيعة ايضا وتكرار الالفاظ المتقاربة لابأس به هنا لانه مقام خطابة اوالمراد بالقوة القدرة اى هذا امر طبعهم الله عليه وجعل لهم زيادة قدرة فيه فلداعقه بقوله (ياتون منه على البديهة بالعجب) اصل معنى البديهة الفجاءة ولذا قيل لكل كلام من غيراتعاب فكرو نظر بديهة فيقال اجاب على البديهة وله بدايع بداية وهذا معلوم فى بداية العقول ولحقه فى بداية جرمه و العجب بمعنى الامر الذى يعد عجبا لحسه و حزالة معناه فكانه لم يعهد ماقيل انه غير صحيح هنا لاوجه له (ويدلون به) بضم المثناة التحتية وسكون الدال المهملة و باللام من ادلى دلوه فى البئر اذا نزله لاحد الماءم عبر به عن مطلق التوصل كما قال عمر رضى الله تعالى عنه لما استسقى بالعباس رضى الله تعالى عنه وقد دلونا اليك مستشفعين اى توسلنا (الى كل سبب) اى طريق ووسيلة الى حصول مهمات امورهم كالرام الخصوم وجلب محبة القلوب واستعطاف الملوك والرؤساء فاذا ذكر واهذه الوسائل عبروا عنها بعبارات بليغة رائقة تسحر السامعين وتقود بعنان البيان سواد القلوب والخواطر وفى قوله سبب هنا تورية لانه فى الاصل بمعنى الحبل فذكره بعد الادلاء فيه لطف وقيل المراد اقلنا وسقنا من الدلو وهو السوق والرفق وقيل المراد بالسبب الطلب العالى الشبيه باسباب السموات اى نواحيها كانه شبه ذلك الطلب فى عزة نيله بنواحى السماء والعرب كانوا يصلون الى هاتيك المطالب بما الوه من القرايح الزكية ولعل المراد بالاسباب مقتضيات الاحوال وقد بين ذلك بقوله (فيحطبون) الى آخره انتهى ولايخفى انه لايلائم مانحن فيه (بديها) اى ينشؤن الخطب بمقتضى

طبايعهم بديهة من غير تكلف (فى المقامات) اى محافل الناس ومجامعهم على رؤس الاشهاد بديهة من غير تصنع جمع مقام اومقامة يقال قام بين يدى الامير بمقامة حسنة اذا تكلم بعظة وكانوا يخطبون قياما فلما سميت مقامة ثم اطلقت على نفس الكلام المقول فيها كمقامات البديع والحريرى وغيرهما (وشديد الخطب) اى الامر العظيم الشان الذي من شانه ان يقع فيه المحاطبات والمنازعات فكان لكل قوم خطيب يقوم بينهم يحثهم على مهماتهم وقيل ان الخطر الشان عظم اوصغر وسبب الامر ولاينا سب المقام والتكلم بكلام بليغ ارتجالا يدل على قحة وعبقرية قوية (ويرتجزون به) اى ينشدون رجزا فى تلك المقامات بديعة يعدونه كالخطب ولذا ذهب بعضهم الى انه لبس بشعر (بين الطعن والضرب) كما ينشدون فى انديتهم وهذا كقول على رضى الله عنه لما بارز مرحبا بخيبر * انا الذى سمتنى امى حيدرة * كليث غابات كريه المنظرة * اكيلكم بالسيف كيل السندرة * وامثاله مما لايحصى (ويمدحون) من يستحق المدح فى مقاماتهم بديهة بابلغ الاسعار (ويقدحون) اى يذمون ويهجون يقال قدح فى عرضه اذا عابه ومن فسره بقوله اى يقدحون افكارهم فيستخرجون معجز الكلام فى احسن نظام لم يصب معجز الكلام (ويتوسلون) بما ذكر من بليغ الكلام نظما ونثرا (ويتوصلون) عطف تفسير اى بالمذكور الى مطالبهم العالية (ويرفعون) من مدحوه بمدايحهم حتى يرتقى بمرتبة لم يكن له بشهرة مدحه فيصيرنا به الذكر بعد ان كان خاملا كما وقع للحلق لما نزل عنده الاعشى ضيفا فنحر له وسقاه وعنده بنات لم يرغب احد فى تزوجهن فمدحه بقصيدة قافية مشهورة فلم يمض زمن حتى خطبوا بناته ورغبوا فيهن (ويضعون) مقدار من ذموه بقدحهم حتى يصير سبة يسبهم فيه لف ونشر (فيأتون من ذلك) المذكور كله (بالسحر الحلال) السحر فى الاصل اللطف ولكل مادق ثم انه يسمى به الكلام البليغ الذى تلذبه النفوس وتجذب له القلوب ومنه ان من البيان لسحرا فهو تشبيه بليغ والسحر معناه الحقيقى معروف وهو قبيح محرم فوصفه باحلال بيان للمعنى المراد منه وتجريد للتشبيه والسحر حق واقع وهو بامور يعرفها اهلها سيأتى الكلام عليها عند قوله وقولهم ان هذا لسحر يؤثر (ويطرقون) بالتشديد من الطوق وهو مايجعل فى العنق من ذهب ونحوه (من اوصافهم) البديعة للبيعة وفيه استعارة مكنية وتخييلية اى من وصفهم لغيرهم بمدحهم (احل من سمط اللآل) احل بمعنى اربى واحسن وسمط بكسر وسكون المراد به خيطه لعمومه بالاضافة من قال صوابه سموطه لم يصب وهو السلك مادام فيه الدر والا فهو خيط وقال البرهان السمط الخيط مادام فيه الدر والا فهو سلك وتبعه الانطاكى ونسبه للجوهرى وقال ان غيره

قال ان السمط الجوهر والسلك المحرز والنظام للابر وفيه نظر وفصله عقد المدايح على اللآلى لانه لايفنى ولايقاومه ثمن لعزته واصل اللآلى اللآلئ بهمزة فى آخر معابدالها ياء لكونها وقعائم عاملة معاملة المعتل فى الوقف فاسقطها كاسماص (ويجدعون الالباب) الجداع هو انكر واطهار امر على خلافه لمن تريد به امرا مكروها والالباب جمع لب وهو العقل كامر والمراد انهم يستميلون العقول حتى تنقاد لهم فيه استعارة مكنية وتخييلية وتقدير ذوى العقول يدهب رونق الكلام (ويدللون الصعاب) اى يسهلون بمصاحتهم الامور الصعبة فان كان من الدل بالكسر والدال مهملة من الارض الدلول وهى التى يسهل المسى فيها ففيه استعارة تبعية وكذا ان كان من الذل بضمها والمراد على كليهما انهم يجعلونها مطيعة لهم ويجوز ان تكون مكنية وتخييلية على ان الصعاب جمع صعبة وهى الفاقة التى لاتنقاد (ويدهسون الاخر) بكسر الهمزة وفتح الخاء المهملة جمع اخية بكسر فسكون وهى الحقد (ويهيجون الدمن) بضم اوله وفتح ثانيه وكسر المثناة التحتية المشددة ويجوز كسر الهاء مع سكون الياء اى يحركونها ويظهرونها والدمن بكسر الدال المهملة وفتح الميم والنون جمع دمنة وهى فى الاصل مافى مبارك الابل من بعرها المتلبد بما عليه من ابوالها استعير للحقد المضمر المجتمع فى الباطن وهى استعارة بليغة شايعة فى كلامهم قال

* ارعى الامانة لاتخون ولاترى * ابدا دمن عرضة الاخوان *

وكون المراد به آثار السكان فى الديار والمعنى انهم يندبون الاطلال وسكانها فيهيجون الاشواق بذكرها وان سلم من التكرار بعدها فلابأس بماقيل (ويجرؤن الجبان) بالتشديد والهمز من الجراءة وهى الاقدام والشجاعة والجبان ضد الشجاع اى يجعلونه شجاعا بعد جبنه (ويبسطون يد الجعد البنان) باضافة الجعد الى البنان والبنان الاصابع وعقدها وبسطها ضدها وادهاب حمودتها وهى انقباضها والجعد اذا اضيف الى اليد والبنان كان للذم بمعنى البخيل اللئيم فان اطلق كان بمعنى الجواد الكريم والجعودة ضد السبوطة وهى الانبساط والمعنى انهم بمصاحتهم يصيرون البخيل كريما قال ابوعبيد الجعد فى صفة الرجال يكون مدحا ويكون ذما فى المدح معناه شديد الخلق مدبر للامور اوان شعره جعد غير سبط لان السبوطة اكثر فى العجم وفى الذم معناه القصير اوالبخيل (ويصيرون الناقص كاملا) بحثه على اكتساب الكمال حتى يصير التطبع طبعا وان كانت الطباع يعسر تغييرها وتبدلها (ويتركون السيف) المشهور (حاملا) اى حامل الذكر متروكا بعد شهرته بسبب ذمهم له وتنقيصه بالهجاء ونحوه ثم قسمهم فقال (منهم) اى من العرب (البدوى) وهم سكان البادية النازلون فى الاخبية والدارات وهو بالباء الموحدة والدال المهملة المفتوحتين الذين لايسكنون القرى والامصار وتسمى ساكنها حضرا وحاضرة

لحضور بعضهم لبعض فيها والنسبة للبادية اوللبدو بالكون على خلاف القياس ويقال بداوى بفتح الباء وكسرة اوهونسة للمدا كالفتى بمعنى البادية ايضا (ذواللفظ الحزن) اى صاحب اللفظ المحكم القاطع الفاصل ويكون الحزل بمعنى الكثير ايضا ومنه الثواب الجزيل (والقول الفصل) بالصاد المهملة اى الفاصل بين الحق والباطل قال الله تعالى * انه لقول فصل وماهو بالهزل * واصل معنى الفصل الحجز ومنه فصول الكتب (والكلام الفخم) اى المفخم المعظم لشهامتهم وعدم مداراتهم اوالممتلئ المعانى الرائقة يقال حد فخم اذا كان بهجا ومهابة اوهو من التفخيم ضد الترقيق لاعتيادهم باحراج الحروف من اعماق مخارجها والجهر بها لقوله (والطبع الجهورى) اى طبعوا على جهر الصوت وعلوه ومنه الحروف المجهورة قال فى القاموس جهر ككرم وفخم الصوت ارتفع وكلام جهر ومجهر وجهورى عال وفى الحديث نادى بصوت جهورى وفى نسخة جوهرى نسبة للجوهر وهو الخالص النفيس اوالقديم الحرى فان كان من الجوهر المعروف كالياقوت والزمرد ونحوه فهو استعارة للنفيس وفى القاموس الجوهر كل حجر يستخرج منه شئ ينتفع به ومن الشئ ماوضعت عليه حلية والجرى القديم انتهى والواو زائدة وقيل انه بمعناه المعروف معرب والعرب تمدح بالجهر بالكلام وتعيبه عن البهاء والحسن كما قال الاعرابى

* جهير الرواء جهير الكلام * جهير العطاس جهير النعم *

وهذا اشبه بطريقة المصنف رحمه الله تعالى فى فصاحته (والمنزع القوى) مفعل من النزع وهو الجذب والاخذ ونزع الماء من البئر اخرجه ونزع القوس جذبه وهو مصدر ميمى اواسم مكان والاول اظهر اى يأتون بنوع من الكلام يستخرجونه من بين انواع الكلام بطابعهم السليمة بحيث اذا سمعه السامع شق عليه (ومنهم الحضرى) نسبة الى الحضر بفتحتين مقابل البدو وهو الحاضرة ايضا والحضارة سكنى الحضر وهى الامصار والقرى (ذواللاعة الدارعة) اى الفائقة من درع اقرانه اذا فاقهم برقة طبعه وتهذيب كلامه (والالفاظ الناصعة) اى الخالصة من الالفاظ الوحشية العربية السالمة من الركاكة (والكلمات الجامعة) للمعانى الكثيرة فى الالفاظ القليلة الموجزة (والطبع السهل) اللين المنقاد بسهولة لسلامة ذوقه وانسجام كلامه الذى هو ارق من النسيم يكاد من عذوبة الالفاظ تسربه مسامع الحفاظ فيدخل الاذن بلا اذن (والتصرف فى القول القليل الكلفة) فيخرج من نوع الى نوع من غير تكلف لكونه سجية له والقليل صفة للتصرف او القول فلا يورد فى كلامه مايعسر فهمه على السامع لغرابته اوتعقيده (لكثير الرونق) اى الحسن واللطافة من رونق السيف وهو ماؤه وحسنه كما قال البحترى

*وبديع كانه الزهر الضاحك * فى رونق الربيع الجديد *
* مستبق فى جواب السمع ما * يخلقه عود معلى المستعيد *

(الرقيق الحاشية) اصل الحاشية طرف البرد والثوب ورقة حاشيته عبارة عن رقته وحسن نسجه والكلام يشبهه بالحلل والبرود والتكلم بالنسج وفى الاساس من المجاز عيش رقيق الحواشى وكلام رقيق الحواشى وهو عبارة عن سهولته وسلاسته بان يكون لفظه رشيقا عذبا ونحماسهلا ومعناه طاهرا مكشوفا وقريبا معروفا (وكلا لايين) اى كلا القسمين من كلام السدوى والحضرى فى مقامه ومحله وعند اهله (فلهما فى اللاعة المجد البالغة) قيل ان فى الكلام تقديرا واصله واما كلا البابين الى آخره فالفاء واقعة فى جواب اما المقدرة ولا يخفى انه ركيك ولو حذفها كان اولى ولو قيل كلا مبتدأ خبره مقدر تقديره وكلاهما مما احتصوا به اوما له شان عظيم وما بعده مبنى عليه كان احسن لان اما حذفها من غير عديل ليس سهلا والحجة البرهان والدليل من حجه اذا حصمه والزمه والبالغة بمعنى الواصلة والاصح افراد ضمير كلا رعاية للعطفه ومعناه وان جاز تثنيته وقد جمع بينهما لقائل فى قوله

* كلاهما حين جد الجرى بينهما * قد اقلعا وكلا انيهما بارى *

(والقوة الدامغة) اى العالية لغيرها من سائر اللغات واصل الدمغ الضرب على الدماغ ثم اريد به ما ذكر من العلة والقهر يقال دمغ الحق الباطل اى ابطله ودمغت فلانا قهرته (والقدح العالج) بكسر القاف وسكون الدال والحاء المهملتين واحد قداح الميسر وهو سهم بغير ريش وقداح الميسر التى كانوا يقامرون بها فى الجاهلية ولها اسماء مشهورة ومنها ما له نصيب زائد ومنها ما لا نصيب له والعالج بالعاء واللام والجيم بمعنى الفوز يقال فلج امره اى ظفر وسعد اى لهذه اللغة شرف وفور عند سامعها وقيل المراد ما تتجه الافكار واصابة الآراء وحودة الانظار وهو امر لا تعلق له بنفس الكلام والكلام فيه (والمهيع الناهج) فتح الميم وسكون الهاء وفتح المثناة التحتية وهى الطريق الواسع والناهج بمعنى البين الواضح المسلوك واصله السالك فتجوز به عن السلوك كما دافق بمعنى مدفوق وعيشة راضية واراد به سعة لغتهم وظهور دلالتها (لا يتكون ان الكلام طوع مرادهم) قيل كان الاحسن الظاهر ان يقول لا يسلك بناء المجهول ليكون ابلغ وهذا من عدم معرفته بمقاصده فان هذا هو لما سبق هو بصدده فان البليغ العائق اذا كان هذا حاله كان له اقدام على المعارضة عند التحدى فلله دره ما دق نظره والمراد انهم يعلمون ما جبلوا عليه من اللاعة والقدرة على ايراد كل كلام بليغ فى مقامه على ما يقتضيه حاله وسكه فى قوالبه ونظره لاساليبه المطاوعة له ومعرفته بذلك (واللاعة ملك قيادهم) بكسر القاف وهو حبل تقاد به الدابة اى واللاعة مملوكة لهم منقادة واصله ملكهم وفى قيادهم فعدل

عنه لما ذكره لانه ابلغ ففيه استعارة فى الملك و القياد وهى اضافية على حد قوله مكر الليل يعنى انهم متصرفون فى افانينها من غير تكلف (قد حووا دونها) اى جمعوا وحازوا انواع البلاغة واقسامها والفنون جمع فن (واستنبطوا عيونها) اى استخرجوا حيارها ومحاسنها واصل معنى الاستنباط استخراج الماء من الابار والعيون النابعة فعيونها فى موقعها وفيها توريه لايهامه لعيون الماء و المراد حيارها لان عين كل شئ حياره ولبس من اطلاق اسم الجزء على الكل كما توهم (ودخلوا من كل باب من ابوابها) اى سهل عليهم الوصول الى مقاصدهم باى عبارة ارادوها كالحقيقة والمجاز والكناية و بسط الكلام فى مقام وايجاره فى مقام آخر والتصريح والاخفاء وفيه استعارة مكنية وتخييلية بجعل مقاماتها قصورا واسعة لها ابواب متعددة ولذا عقبه بقوله (وعلوا صرحا) وهو البيت العالى المزخرف بناؤه والبيت المفرد وعلوا بتخفيف اللام بمعنى صعدوا ويجوز تشديدها (للوغ اسبابها) جمع سبب وهو كل ما يتوصل به لشئ آخر كالحبل والسلم وهو علة للعلو اى علوا قصر البلاغة ليصلوا الى ما فيه من الاسباب الموصلة لمهماتهم ومطالبهم النفيسة كمن يدخل قصر الى قابل الملك فيسأل عند لقائه انعامه واحسانه وفيه ايماء لقوله تعالى ياهامان ابن لى صرحا لعلى ابلغ الاسباب الآية فما قيل ان الاحسن ان يقول صرح اسبابها تركه احسن منه لان معناه انهم علوا ذروة البلاغة فوصلوا بها لكل ما ارادوه فعبروا بعبارتهم لمقاصدهم واللام لام العاقبة هنا وفيه استعارة مكنية تخييلية للتشبيه مرتبة الاعجاز التى عجزوا عنها سيما لم يصلوا اليها (فقالوا) اى تكلموا بكلامهم البديع (فى الخطير) اى فى الامر العظيم الذى له خطر اى شرف ومزية على غيره (و المهين) بفتح الميم اى الحقير من المهانة وهى الحقارة (وتصرفوا) اى اتوا بكل فن من فنون الكلام متصرفين (فى العث) بفتح العين المهملة وتشديد المثلثة واصله اللحم المهزول الذى يكره تناوله فاستعير للامر القبيح والفاسد (و) ضده (السمين) وفى حديث ام زرع روحى لحم جمل غث وفى المثل غث حير من سمين عيرك وقد علمت ان قالوا قالوا فى اكثر النسخ بالقاف من القول وفى بعضها فعالوا بالعين المهملة وفتح اللام اى رادوا والاول رواية الابطاكى وفسره التلمسانى بانشاد المديح والهجاء والمدح والذم او الجد والهزل و له وجه (وتقاولوا) تفاعل من القول اى اذا رواالكلام بينهم (فى القل و الكثر) بضم اولهما واحار البرهان كسرهما اى القليل والكثير مدحا وذما وجدا وهزلا قيل وفيه نقل ولو قال فى الكثير والقركان احسن واخف وانسب بقوله (وتساجلوا فى النظم والنثر) و التساجل تفاعل من السجل بالفتح وهو الدلو الكبير وسجلت الماء صببته ثم لما كانوا يتناوبون فى سقى الماء استعاروا المساجلة للعطاء وللمفاخرة كما قال * من يساجلنى يساجل ماجدا *

يملوا الدلو الى عقد الكرب * وقيل الحرب سجال اى تارة يغلب وتارة يغلب (كما قيل
* فيوما علينا ويوما لنا * ويوما نساء ويوما نسر *
فالمراد انهم تنابزوا وتفاخروا وتعارضوا فى عد المآثر كما هو متعارف عندهم وليس
المراد به المبارزة بان يدعو احدهما الآخر للقتال فيرزم الصف كما قيل عليه لا وجه له
هنا وهى حائزة لفعل الصحابة رضى الله تعالى عنهم لها ومنعها بعضهم شرعا
لما فيها من المخاطرة والظلم والشرعنى عن البيان (فما راعهم) اى بينما هم كذلك
فجاءهم امر بغتة لم يكن لهم علم به ولم يطرق مسامعهم مثله وفى الاساس ما رعنى لا
تحنك اى ما شعرت الابه وهو من الروع بمعنى الخوف والفزع (الا رسول كريم) بعث
صلى الله تعالى عليه وسلم بين اظهرهم (بكتاب عزيز) لا يطيره شريف ومنيع
بحماية الله وهو استيناء مفرغ من عام مقدرا اى لم يعجأهم ويمنعهم شئ سوى
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جاءهم من الله اتاهم بخلاف هواهم وعكس
ما هم اذكاوا يتوهمون ان رتبتهم فى البلاغة لا يوفقها كلام فاتاهم بكتاب احرس
شقا سقفهم واصم اسماعهم والتاء للمبالغة اى مؤيد بكلام معجز (لا يأتيه
الباطل) اى لا يأتيه باطل وامر فاسد بحسب العقل والشرع او ما يبطله كالنسخ
والطعن المقبول (من بين يديه) اى قدامه وفى مقابلته (ولا من خلفه) اى وراء ظهره
والمراد من جهة من الجهات فلا يجد سبيلا يوصله اليه وما وقع من المطاعن اضمحل
وانمحق حتى صار كالعدم ولذا قال تعالى * لا ريب فيه * وقال تعالى * جاء الحق
وزهق الباطل (تنزيل من حكيم) محكم لمصنوعاته وتدبيره لجميع مخلوقاته (حميد)
محمود يحمده جميع الكائنات بلسان القال والحال (احكمت آياته) اى نظمت نظما
محكما لا يعتريه فساد ولا خلل وصانها الله تعالى وحفظها من التبديل والتحريف الذى
وقع فى غيره من الكتب فهو من احكمت الدابة اذا وضعت فى فمها حكمة تمنعها
الجماح او جعلت حكيمة لاشتمالها على امهات الحكم النظرية والعملية من حكم بالضم
اذا صار حكيما وآيات القرآن جمع آية وهى جملة كلمات من القرآن لها ابتداء ومقطع
(وفصلت كلماته) اى فصل وبين ما فيها من الفوائد الجمة كالعقائد الحقة والاحكام
الشرعية والمواعظ والاخبار الصادقة او جعلت سورا وآيات ونجما نجما
او فرقت بين الحق والباطل وجمعت الوعد والوعيد (وبهرت) اى بلغت وادهشت
(بلاغته العقول) جمعها لغرابة اسلوبها وحسن بديعها الذى اعجز البلغاء
(وظهرت فصاحته) اى اتضحت كالشمس وسط النهار او علت وارتفعت مرتبة
اعجازها (على كل مقول) اى كل كلام نظما ونثرا (وتظاهر) بالظاء المشالة كما فى
اكثر النسخ تفاعل من الظهر وهو الفوز ويل الامانى (ايجازه) اى قلة الفاظه الوافية
باداء المعانى من غير خلل (واعجازه) اى كونه فى اعلى مراتب البلاغة المعجزة للبشر

فالمعنى ان الايجاز اخذ من الاعجاز مايليق به والاعجاز استوفى من الايجاز مايحق له ففيه مع المبالغة استعارة مكنية وتخييلية فمن قال انه لم يجد في كتب اللغة مايفسره به فقد قصر وفي بعض النسخ بالضاد المعجمة اخت الصاد المهملة بمعنى تعاونا وتقويا على منع معارضته والاتيان بمثله من ضفر الحبل والشعر اذا جمع بعضه على بعض ليتقوى وهو مجاز مستعمل يقال تضافر القوم اذا تجمعوا وتعاونوا وقيل انه بالطاء المهملة من الطفرة بمعنى الوثوب اى وثب كل منهما والمراد انهما بلغا العناية في بابهما والاوجه الثلاثة معانيها متقاربة فلا وجه لتصويب بعضها دون بعض (وتظاهرت حقيقته ومجازه) اى تعضد كل منهما الآخر وقواه لما صار له ظهيرا ومستندا لما بينهما من العلاقة او تشابههما في الظهور لوضوح معانيه وظهور قرائنه كما لا يكون في بعض المجازات من الخفاء والتعقيد (وتبارت في الحسن مطالعه ومقاطعه) اى تشابهت وتساوت اوائله واواخره من قولهم فلان يبارى فلانا اذا فعل مثله والتبارى يكون بمعنى التسابق في الجرى فالمعنى ان مطلعه وهو مبدؤه ومقطعه وهو منتهاه وغايته كفواتح السور والآيات وخواتمها يجارى كل منهما الآخر ويسابقه ليحوز قصب السبق من الفصاحة وصحة المعانى وهو عبارة عن تشابههما (وحوت كل البيان) اى ما ينبغى بيانه واظهاره (جوامعه) اى جوامع كلمه التى جمعت المعانى الكثيرة في الفاظ قليلة (وبدائعه) اى ما ابتدع فيه مما لم يسبق مثله في كتاب وكلام الله تعالى مما لا يقبل تحريفا ولا يخشى تصحيفا وكفى بالدهر ممثلا وبالذوق مستمليا (واعتدل) اى استقام من غير افراط ولا تفريط (مع ايجازه) وعدم تطويل لفظه (حسن نظمه) اى تناسب كلماته لفظا ومعنى وقلما يكون ايجاز كذلك وهذا من ادلة اعجازه وليس هذا مكررا مع قوله حوت كل البيان جوامعه وبدائعه كما توهم (وانطوى) اى واحتوى (على كثرة فوائده) اى معانيها التى تفيدها (مختار لفظه) اى لفظه المهذب الذى كأنه انتخب وانتقى وهذا من وجوه الاعجاز ايضا لان اللفظ الذى يفيد معانى كثيرة من الفصحاء يحتاج عالما الى ترك الفاظ غير صحيحة (وهم) اى فصحاء العرب من كل بلد وحاضر (افسح ما كانوا في هذه الباب مجالا) اى اوسع يقال فسحت مجلسه فتفسح فيه ومنه فسحت له ان يفعل كذا اى وسعت له فهو في فسحة مرة وما كانوا بمعنى اكوانهم فما مصدرية واضافة افعل للمصدر على التجوز كاحطب ما يكون الامير قائما والمجال محل الجولان وهو الحركة والجملة حالية من ضمير راعهم ومجالا تمييز عن النسبة محول عن الفاعل والمراد بالباب جنس البلاغة وجعله بابا لوصولهم به الى قصدهم اى جاءهم صلى الله تعالى عليه وسلم بالكتاب المجيد ومجالهم في غاية الاتساع وتفسير المجال بالاتساع وان كان بيّنا عنه

فيه تكلف (واشهر) اى اعظم شهرة وفى نسخة واشهرهم بالاضافة لضمير الناس (فى الخطابة) بفتح الخاء اى انشاء الكلام فى المحافل وقوله (رجالا) تمييز كالذى قبله واسهر معطوف على خبرهم اى ورجالهم من غيرهم فى هذا وليس المراد بالرجال مطلق الذكور بل الاشراف كما يقال رجالات قريش لاشرافهم وليس هذا منافيا لقوله حصوا بالبلاغة والحكم بما لم يخص به احد من الامم لان اسم التفضيل يقتضى مشاركة غيرهم لهم فيما كان مختصا بهم لان اختصاصهم بما ذكر على ظاهره والتفضيل مجازى بان يكون على طريق الفرض كما فى حديث ما رأيت ناقصات عقل ودين اذهب للب الرجل منكن اذا الخطاب لخمس النساء او نقول انه على حد قوله الحلو احلى من العسل اى انه فى حوضة اقوى من العسل فى حلاوته ولاسم التفضيل استعمالات احر ذكروها فى المطولات (واكثر فى السجع) وهو الكلام المنثور الذى له فواصل مقفاة كالشعر وهو منقول من سجع الحمام لكونه على وتيرة واحدة ولذا لا يجوز اطلاقه على القرآن (والشعر) وهو الكلام الموزون المقفى بالقصد (ارتجالا) اى تكلما به من غير فكر وروية وهو فى الاصل الانتصاب والقيام على الارجل فاطلق على التكلم قائما لانه كان عادة لهم ثم نقل لما ذكر وشاع حتى صار حقيقة فيه وفى كتاب بدايع البداية انه فى الاصل الانتصاب بسهولة ومنه شعر رجل وقيل هو من ارتجال البئر وهو ان ينزلها برجليه من غير حبل كالبديهة وهو من بدهه بمعنى باغته كما قالوا مدحه وبدهه الا ان الارتجال اسرع من البديهة وبعده الزوزنى انتهى وفى نسخة واكثر فى الشعر والسجع سجالا والمراد بالسجال هنا المحاورة واصل معناه الدلو كما تقدم وقيل المراد به المفاخرة (واوسع فى الغريب) المراد به ما يستغرب من الكلمات والمجازات البديعة لتصرفهم فى الكلام وقيل المراد به ما يحتاج الى تفتيش وتفحص من كتب اللغة وهو بالنسبة اليها ان قلت هذا مما يخل بالفصاحة وسياق الكلام لمدحهم (قلت قال ابن هلال فى كتاب الصناعتين انه ليس مخلا بها لان كانت لعتهم من الاعراب والقبح من العرب العرباء طلاق اهل المعانى غير صحيح ولم ارمن سبه عليه (واللغة مقلا) اللغة معناه الكلام ولكل قوم لغة ويكون اسما لعلم مدون يبين فيه معناها والمراد هنا الاول والمقال مصدر ميمى بمعنى القول يعنى ان لغة العرب اكثر من سائر اللغات لغاط فقلما يكون معنى الا وله اسما مترادفة حتى انه يوجد فى كلامهم ماله مائة اسم فاكثر وقد افردوه بالتأليف وهذا كناية عن كونهم اقدر على الكلام من غيرهم فاذا اعجزهم القرآن فغيرهم يعلم عجزه بالطريق الاولى وعطف اللغة على العرب من عطف العام على الخاص (لغتهم التى بها يتحاورون) لحسار والمحرور صفة كاشفة او حال منه والتحاور ادارة الكلام والمراجعة فيه سؤالا وجوابا من الحور وهو الترد د والضمير راجع للعرب وقيل لقريش لان القرآن نزل بلغتهم

فان كان ماقبله كذلك فلا اشكال فى كلامه (ومارعهم) بفتح الميم والنون وراى معجمة وعين مهملة جمع منزع بالفتح مجرور بالعطف على لغتهم من النزع وهو كما مر الجذب والاخذ والمنزع مصدر ميمى بمعنى النزع واسم مكان ويكون اسما للسهم الذى يرمى به يقال رماه بمنزع اى سهم بعيد المرمى قل * فهو كالمنزع المرتش من الشوحط آلت به يمين المعالى * قاله فى لاس قبل وهو المراد هنا لمناسبته لقوله (التى عنهـا يتناصلون) بالضاد المعجمة اى يترامون بالسهام يقال ناصلته وحرحوا يتناصلون و يتضلون وتضلت من الكناية بسهما احترقه وفر المجاز ناصل عن قومه اذا دافع وحامى والمناصلة المفاخرة مشبه الكلام الدائر بينهم فى المخاصمة والمفاخرة بالسهام واثبت له المناصلة تخييلا وقيل المنزع هنا اسم مكان والمعنى انهم يتعالون فى كلامهم نظما ونثرا فى حال المنازعة وهى المجاذبة فى الاعيار والمعانى وهو بعيد وابعد منه ماقيل ان المنزع مايرجع اليه الرجل من رأيه وطريقته اى اتاهم الكتاب مماهو دينهم الذى لايتركونه فاكبوا على معاندته (صارخا بهم فى كل حين) حال من الكتاب اوالرسول من الصراخ وهو الصياح والنداء بصوت شديد يسمع من بعيد اى مصرخا بدعوته فى كل وقت يتلو القرآن عليهم ويبكتهم ويدعوهم لمعارضته (ومقرعا) بضم الميم وفتح القاف وتشديد الراء المهملة و بعين مهملة اى معيرا وموبخا لهم من القرع وهو الضرب ومنه القرعة (لهم بصعا وعشرين عاما) سنة وهو بكسر الباء الموحدة وضاد معجمة ساكنة وعين مهملة وهو من الثلاث الى التسع من كسور العدد و يقال بضعة ايضا فى لغة قليله وفيه اقوال اخر فى القاموس هذا اصحها و يستعمل مع العشرة ومافوقها الى تسعين ولايخص ببعض العقود منها وهذه المدة مدة دعوته صلى الله عليه وسلم من بعثته الى وفاته وقداختلف فيها مع انه بعث على رأس الاربعين وحياته بعده قيل عشرون وقيل ثلاث وعشرون وهو الاصح وقيل خمس وعشرون ولذا قال بضعا من غير تعيين العام والسنة معنى وقد تختص الثانية بالتسمية والاول بالقمرية ولذا اختاره لان بها حسابهم ولانها قد يعبر بها عن الشدة والقحط واعلم ان البضع ليس كصريح العدد فى انه يذكر مع المؤنث ويؤنث مع المذكر وما نقله فى القاموس عن ميرمان يرده مافى الحديث الايمان بضعة وسبعون شعبة فلا يرد على المصنف ان الصواب ان يقول بضعة وعشرون كما قيل ولا حاجة للتأويل (على رؤس الملاء اجمعين) الرؤس جمع رأس وهو العضو المعروف الشريف السيد والملاء الجماعة وهو يخص بالاشراف ويقال كلمه على رؤس الناس وعلى رؤس الاشهاد اذا صرح بما يريده واشاعه لان من يزيد ذلك يقوم فى المحافل مستعليا على رؤسهم اى انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يزل مظهرا لدعوته مدة بعثته منذرا لهم قائما عليهم بين اظهرهم

والجار متعلق بقوله مقرعا اوتنازعه مقرعا وصارخا (ام يقولون افتراه) هذا حال ايضا اى قائلا وتاليا لهم ام يقولون الخ ولم يعطعه رعاية لنظم القرأن فيكون اقتباسا من منكاة انواره والافتراء كالاختلاق الكذب والاستفهام انكارى توبيخى (قل) ان كان الامر كما زعتم (فأتوا بسورة مثله) فى النظم والبلاغة فانه نزل بلغتكم وانتم فصحاء (وادعوا من استطعتم) اى كل من قدرتم على دعوته ليعينكم على افتراء كلام يضاهيه (من دون الله) اى غير الله تعالى فانه القادر على كل شئ (ان كنتم صادقين) فى قولكم انه افتراء وهذا توبيخ وتقريع بتعجيزهم عن اقل مراتبه وليس مقابلا للسجعة الاولى كما قيل لم انه اتى بآية اخرى فى معناها فقال (وان كنتم فى ريب) فى شك وسهة (مما نزلنا على عبدنا) اى نزل منجما بحسب الوقايع (فأتوا بسورة من مثله الى قوله ولن تفعلوا) وقوله من مثله صفة سورة اى بسورة كائنة من مثله والضمير لما نزلنا ومن للتبعيض اوللتبيين وزائدة عند الاخفش اى بسورة مماثلة للقرأن فى البلاغة وحسن النظم اولعبدنا ومن للابتداء اى بسورة كائنة ممن هو على حاله من كونه بشرا اميا لم يقرأ الكتب ولم يعلم العلوم اوصلة فأتوا والضمير راجع للعبد وهذه الآية ابلغ مما قبلها للدلالة على عجزهم فى المستقبل بقوله ولن تفعلوا والكلام على الآيات مما كفانا المفسرون مؤنته (وقل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرأن) نظما وبلاغة (لايأتون بمثله الاية) وهو جواب قسم مقدر ولذا لم يجزم ولم يذكر الملائكة لان اتيانهم بمثله لاينافى اعجازه فتأمل (وقل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات) اى محض كذب واختلاق منكم وخص الكذب بالذكر لقوله (ودلك) اى طلب الاتيان بالمفترى تهكما وتمريعا (ان المفترى) اسم مفعول (اسهل) تلفيقا (ووضع الباطل اقرب) تناولا وارواج تخييقا ومع ذلك لم يقدروا عليه (واللفظ اذا تبع المعنى الصحيح كان اصعب) لانه يلاحظ فيه مافى الواقع ونفس الامر ثم يؤتى باللفظ على طبقه وترتيبه بحيث لايخرج عنه (والمختلق) بفتح اللام اسم مفعول بمعنى الكذب المفترى كما قال الله تعالى وتخلقون افكا وهو من الخلق بمعنى التقدير لانه امر مقدر فى النفس من غير نظر للواقع وقيل انه من الخلق وهو الثوب البالى لان الحق يزيد كل يوم جدة والكذب يرداد بلى (على الاختيار اقرب) المراد بالاختيار ضد الالجاء والاضطرار فان الصادق مضطر الى اتباع الحق وقد يضيق عليه نطاق البيان بخلاف الكاذب فانه يجد براحا واسعا كما قال تعالى * الم تر انهم فى كل واد يهيمون * وقيل ههنا بحث وهو ان التحدى بقوله فأتوا بسورة الى آخره ان كان الاتيان بما هو واقع على وجه الحق فهو غير ممكن قطعا وان كان بالاتيان بمثله وعلى صورته لعطا فلايخرج عن كونه مفترى وحينئذ يستوى الامران والذى دار فى خلدى ان ذكر مفتريات لمناسبة قوله

افتراء تهكما وتقريعا لا لما قاله المصنف رحمه الله تعالى انتهى وليس بشئ لانا نختار الثانى ويقولهم ادهم لعجزهم لايستويان وهو فى غاية الظهور فتدبر وضمن اقرب معنى اهون ولذا عداه بعلى كقوله تعالى وهو اهون عليه ولولا ذلك عداه بالى او اللام (ولدا) اى لكون المختلق اسهل و اقرب من الحق الصحيح عبارة (قيل) اى قال الادباء ومن لهم دربة فى صناعة الصياغة للكلام (فلان) اى المنشئ لرسائل الملوك ونحوه ممن يقول الحكم والمواعظ من الفصحاء (يكتب كما يقال له) اى كتب فى شان امر واقع لرسالته ففتق اكمام الكلام عن زهر المعانى الزاهية الزاهرة حتى يفوح عبيرها فى نادى البراهة (وفلان) ممن ينسئ المقامات (يكتب كما يريد) من كل مايطرؤ على خاطره من غير نظر لصدقه وكذبه فاذا صعب عليه التعبير عن معنى عدل عنه لغيره فهو يكتب كما يريد لا كما يراد وهذا اشارة كما حكى عن بديع الزمان انه رتب له مراتب بين كتبة الديوان فلم يقدر على كتابة الرسائل فلما احس الصاحب بذلك قال دعوه فانه يكتب كما يريد لا كما يراد وحكى مثله عن الحريرى ايضا (وللاول) الذى يكتب كما يقال له (على الثانى) وهو الذى يكتب كما يريد و المراد بالكتابة هنا مطلق الكلام وان لم يكتب (فصل) اى زيادة شوف و رتبة (وبينهما سأو) اى مسافة ومدى (بعيد) والسأو بفتح السين المهملة وسكون الهمزة وقد تبدل الفا وبالواو بمعنى السبق والغاية والامد فتحور به عن المسافة ثم كنى به عن التفاوت الزائد (فلم يزل صلى الله تعالى عليه وسلم يقرعهم) اى يعيرهم ويعيبهم و يشنع عليهم لما تحداهم بالقرأن (اشد التقريع) لاندارهم بالهلاك والعذاب الاليم (ويوبخهم غاية التوبيخ) هو بمعنى ماقبله لكن المقام مقام اطناب وخطاب يحسن فيه مثله (ويسفه احلامهم) اى يصفهم بالسفه وهو قلة العقل وخفته والسفه الخفة والاحلام جمع حلم بضمتين وصم وسكون وهو العقل (ويحط اعلامهم) بحاء مهملة مضمومة واعلام جمع علم بفتحتين وهى الراية الكبيرة والجبل والسيد والاسم المختص والكل محتمل هنا اى يكس رايا تهم و يهد جبالهم ويذل ساداتهم ويزرى بالتيامهم والمعنى على كل حال انه يحقرهم ويقهرهم بطعنه فيهم واظهار ضلالهم وسوء حالهم (ويشتت نظامهم) اى يفرق جمعهم و يبطل آراءهم بحدا له وحلاده والنظام مايتظم به الدرر ونحوها والتشتيت التفريق كما مر فا ستعير لما ذكر (ويدم آلهتهم) اى اصنامهم التى عبدوها فى الجاهلية (وآباءهم) الذين اقتدوا بهم فى الكفر وقالوا انا وجدنا اباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون والآباء بالمد جمع اب (ويستبيح ارضهم وديارهم) بجعلها مباحة للمسلمين باسيلائهم عليها واجلائهم عنها (واموالهم) ماملكوه من الاثاث والمواشى وغيرها (وهم فى كل هذا) المذكور من التوبيخ والتسفيه وما بعده الى استباحة الاموال والديار (ساكتون) يقال

نكص على عقبيه اذا احجم وتأخر فاستعير للاعراض عن معارضته فيما دعله وما اتى به للقرآن (عن معارضته) والاتيان بمثله والجملة حالية من الضمير قبلها (محجمون عن مماثلته) اى عن الاتيان بشئ مماثل اقصر سورة منه لما تحداهم واحجم كنكص بمعنى تأخر وهو كناية عن عدم القدرة يقال حجمته فاحجم وهو من النوادر كمثل كبته فاكب (يخادعون انفسهم) اى يمنون انفسهم اماني كاذبة و يؤملون آمالا فارغة و يكررون مكرا يعود عليهم بالوبال فكانهم بذلك خادعوا انفسهم فهو كقوله تعالى ومايخدعون الا انفسهم وتحقيقه فى الكشاف وشروحه (بالتسعيب) وهو تهييج الشر والفتن من الشعب بفتح العين المعجمة وسكونها (والتكذيب) اى بادعائهم كذب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيما جاء به من الحق الذى لامرية فيه وقيل هو من قولهم كذبته نفسه اذا خيلت له آمالا تحثه على اتباع الباطل وهو تعسف لاوجه له والذى غره قوله (والاغراء بالافتراء) هكذا فى النسخ الصحيحة بعين معجمة وراء مهملة ومدة وفى بعضها الاعتراء افتعال منه وقال التلمسانى صوابه الاعراء بعين وتاء وهو المولع بالحث والتحريض قال تعالى فاغرينا بينهم العداوة اى الزمناها اقول قال بعضهم اصله من العراء الذى يلصق به وعلى هذا فالاعتراض ساقط لما فى القاموس من انه يقال اعتراه اذا لصقه والمصنف اجل من ان يوهم فى اللغة ماله قدوة فيها ولاحاجة الى انه لمشاكلة الافتراء والافتراء الكذب كما تقدم وصيغة الافتعال تفيد مبالغة لبست فى المجرد كما قرروه فى قوله لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت (وقولهم) بالجر معطوف على التكذيب (ان هذا الا سحر يؤثر) اى ينقل و يروى عن السحرة كاهل بابل وغيرهم وسبب نزول هذه الاية ان الوليد لما سمع منه صلى الله تعالى عليه وسلم حم السجدة قال سمعت من محمد كلاما ليس بكلام انس ولا جن وانه ليعلو ولا يعلى فقيل قد صبا الوليد فقال ابن اخيه ابو جهل لعنه الله انا اكفيكموه فجلس عنده حزينا وكلمه بكلام احماه فقال لهم ترعمون ان محمدا مجنون هل رأيتموه يخنق ورعمتم انه كاهن هل رأيتموه يكهن وانه شاعر هل رأيتموه قال شعرا قالوا لا فقال ماهو الا ساحر ما رأيتموه يفرق بين المرء واهله وولده فاشتهر النادى فرحا و يأتى ذلك كله مبسوطا واعلم ان السحر كما نقله الاكمانى فى ارشاده قد صنف فيه كتب كثيرة اكبرها غاية الحكيم للمجريطى وهو حقيق وغير حقيق يقال له الاخذ بالعيون والى القسمين الاشارة بقوله سحروا اعين الناس وقوله واسترهبوهم وجاؤا بسحر عظيم ولما خفيت اسبابه اختلفت طرقه فطريقة الهند تصفية النفس وتجريدها لانهم رأوه افعالا تصدر عن النفس وطريق البيطار عمل اشياء مناسبة للغرض المطلوب مضافة لرقية وعزيمة ودخنه فى وقت مناسب وتلك الاشياء تماثيل وتصاوير وعقد يعقدون فيها وكتابة تدفن اوتعلق

فى الهواء وتحرق والعزايم تصرع للكواكب المؤثرة عندهم وطريق اليونان تسخير روحانية الافلاك والكواكب دون اجرامها فى وقت خاص وطريق القبط والعبرانيين والعرب الاعتماد على اسماء وعزايم مجهولة لانهم يحاطون بها حاضر الاعتقاد انها تصدر عن الجن بتسخير الملائكة واوضاعه ثلاثة الاستخدام والاستزال والاستحضار وتكون بقطة بتوسط تلبس الروح بدن منفعل ينطق بلسانه كصبى وامرأة حال غيبته عن الحس ويختص باسم الاستحضار فان كان منامًا اختص باسم الجليان انتهى ملخصا (وسحر مستمر) اى دائم باق لما رواه من تتابع الوحى غضا طريا اومحكم متقن واصله من مر الحبل وهو فتل مراثره وهى طاقاته اوداهب عيرقارمن المرور اومستشع من المداق (وافك افتراه) اى كذب احترعه واختلقه والافك اسوأ الكذب (واساطير الاولين) اى شئ احدثه مما سطره الاولون ورحرفوه وهو جمع سطر اى صف من الكتابة على خلاف القياس وقال المبرد انه جمع اسطورة كارجوحة واراجيح على القياس اوله مفرد مقدر كاسطارة واسطيرة وقائل هذا هو النضر بن الحارث بن كلدة وفيه نزلت الآية وقتل يوم بدر (والمناهتة) بالجر عطفا على التكذيب وهى بمعنى المهتان وهى الكذب الذى يبهت ويدهش سامعه وكذا قوله (والرصاء بالدنية) بالهمزة وتبدل فتدغم ومعناه الخصلة الحقيرة الخسيسة المنحطة التى لايرضى بها من له عقل ومروة وفسرها بقوله (كقولهم قلوبنا علف) لان ظاهره الوصف بالحماقة وعدم الفهم وهو امر مذموم لايرتضيه العقل وهو جمع اعلف اى فى علاف يقال سيف اعلف فهى بمعنى فى اكنة جمع كنان بزنة كتاب عطاء ومعناها معطاة وعلام اعلف بمعنى اقلف والعلفة القلفة وقيل انه جمع علاف واصله علف بضم اللام ككتب وبه قرئ ثم خفف بالسكون اى هى اوعية للعلم مملوءة به فلاتحتاج للتعلم منك وعلى الاول معناه لانفهم ماتقول ولاتصل اليه وهذا هو الملايم لكلام المصنف ولقوله (وفى اكنة مما تدعونا اليه) وهو القرآن والايمان (وفى آذاننا وقر) اى صمم واصل معناه الثقل والحمل (ومن بيننا وبينك حجاب) اى مانع عن وصول مايقوله لنا وفى من اشارة الى انه مبتدأ وانه استوعب المسافة المتوسطة بينهما بحيث لم يبق فراغ وهو تمثيل لنفورقلوبهم عن ادراكها مادعاه له ومج اسماعهم له وامتناع مواصلتهم وموافقتهم له (و) قال الذين كفروا (لاتسمعوا لهذا القرآن) اى لاتصغوا وانصتوا له (والغوا فيه) بفتح العين المعجمة وضمها من لغى يلغى ويلغو والاول اصح وهو المقروء به والمراد هنا رفع الاصوات باى كلام كان حتى يشوش على قاريه فيقطع قراءته او يمنع من استماعه ولغو الكلام مالايعتد به وهو من اللغا وهى اصوات الطيور يقال لغى لغوا ولغا وقد يسمى كل

كلام قبيح لغوا قال تعالى لايسمعون فيها لغوا اى صخبا كما قاله الراغب وانما فعلوا هذا لعجزهم عن معارضته (لعلكم تغلبون) قاربه بقطع قراءته فعلتهم انما هى بالجهل والسفه كما هو شان العاجز المعاند ومثله دنية لاترضى (ولادعاء) محرور كالذى قبله (مع العجز بقواهم ولوشاء لقلنا مثل هذا) وهذه وقاحة لفرط عنادهم ومكابرة ولواستطاعوه مامنعهم ان يبدؤا وقد تحداهم وقرعهم بالعجز عشرين سنة ثم قارعهم بالسيوف فلم يقدروا مع اشتراكهم معهم فى ان يعلموا خصوصا فى الفصاحة وقائل هذا هوالنضر بن الحارث ايضا لكنه اسنده الى الجميع كاسناد فعل الرئيس الى المرؤسين اوعلى حد قولهم بنو فلان قتلوا قتيلا والقاتل واحد منهم (وقد قال لهم الله تعالى) مكذبا لهم (ولن تفعلوا) فى قدرتهم فى المستقبل فلوقدروا لحميتهم فعلوا ولم يقل فلن تأتوا بسورة من مثله لما فيه من الكناية والايجاز (فافعلوا ولاقدروا) نفى الفعل ظاهر والقدرة فى الانسان قوة غير محسوسة ففيها يعلم من انهم وبخوا وعيروا فلم ينطقوا بست شعة مع شدة غيرتهم واشتعال نارحميتهم (ومن تعاطى ذلك) اى فعله وتكلم بما توهمه معارضة واصل معناه المناولة (من سخفائهم) ممن له طيش وقلة عقل (كمسيلمة) تصغير مسلمة فلامه مكسورة وميمه مضمومة والعامة تفتح لامه وهوخطأ منهم والضمير للعرب وهوكذاب يضرب به المثل فيقال اكذب من مسيلمة وهو ابن حبيب اليمنى من بنى حنيفة قبيلة وهذا لقبه واسمه هارون ويقال له ابونمامة وكان وفد على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يسلم حتى قتله خالد بن الوليد فى خلافة ابى بكر رضى الله عنه وقيل قتله وحشى قاتل حمزة رضى الله تعالى عنه وكان له حيل وبرنجات يوهم انها معجزات وارسل للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم مكتوبا صورته من مسيلمة رسول الله سلام عليك اما بعد فانى قد اشركت معك بان لنا نصف الارض ولقريش نصفها ولكن قريشا يعتدون علينا (فاجابه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكتب اليه من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب سلام على من اتبع الهدى اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين انتهى ومن هديانه الذى زعم انه وحى نزل عليه والزارعات زرعا والحاصدات حصدا والطاحنات طحنا والخابزات خبزا والناردات نردا صفدع بنت ضفدع بنت ضفدع نقى كم تنقين لا الماء تكدرين ولا الشراب تمنعين الى غير ذلك مما تمجه الاسماع وتستقبحه الطباع (وكشف عواره) وفى نسخة بدون فاء وابياتها احسن اى اظهر مما قاله من الكلام السخيف الركيك عيه وحماقته وهو بضم العين المهملة بربة عراب على الافصح وآخره راء مهملة وتفتح العين ايضا وقيل انها الافصح (لجميعهم) اى العرب ممن سمعه وقد نقل صاحب الدلائل منه كلاما كثيرا وشرحه ولاحاجة لتسويد وجه الصحف به والعوام أحوذ

من عور العين وفيه اشارة الى ما نقل من انه مسح عين من استشفى بمسحه فابيضت عينه (وسلبهم الله) اى اخذ منهم والضمير لمن وجمع نظرا لمعناه (ما الفوه) اى اعتادوه بطباعهم (من فصيح كلامهم) بيان لما اى لما رادوا المعارضة لم يقدروا على كلام مثل كلامهم قله ولبس هذا قولا بالصرفة كما توهم لان من فعل هذا لبس له صرفة وهذه الجمله معطوفة على جمله ما فعلوا ولبست الواو للمعية ولا حالية كما قيل (والا) اى وان لم يسلبهم الله فصاحتهم المألوفة (فلم يخف على اهل المير) بفتح الميم وسكون التحتية وزاى المعجمة اى التميز والعقل وزاد الفاء فى الجواب لانه ماض لفظا ومعنى او بتقدير المبتدأ اى فهم لم يخف الى آخره ووجهه دفع توهم كون الاسنسائية فاندفع ما قيل ان الصواب اسقاطها لصحة مباشرته للشرط يقال مازه يميزه اذا ميزه اى لو نظر تلك الجمل ومازها ظهر انه كلام ماراق ومارهى (انه ليس من نمط فصاحتهم) بفتحتين ونون وميم وطاء مهملة اى من نوع الفصاحة وعلى طريقتها التى اعتادها فانه معجز خارق عن طوق البشر وضمير انه للقرآن يقال عندى متاع من هذا النمط وهذا ابلغ من ليس فصيحا لانه نفى عنه كونه من جنسه (ولا جنس بلاغتهم) لركاكته وفصاحته (بل ولوا عنه مدبرين) اصراب عن مثله ومدبرين اى معرضين حال مؤكدة لولوا بمعنى رجعوا واعرضوا (وآتوا مدعنين) بدال معجمة وعين مهملة اى منقادين مسلمين والادعان الانقياد واما اطلاقه على العلم فى قولهم ادعان السنة تصديق مولد ليس من كلامهم (من بين مهتد) اى مصدق بحقيقته وانجازه لهداية الله تعالى له (و بين مفتون) متحير فى امره مكر لاعجازه وفيه لف ونشر مشوش (ولهذا) اى لكونه ليس من نمط كلامهم (لما سمع الوليد بن المغيرة من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله يأمر بالعدل والاحسان الاية) لما سأله ان يقرأ عليه شيئا من القرآن لينظر فى امره وقرأ هذه الاية عليه دون غيرها لمناسبتها له لانه من اقاربه وفيها عطفة له وتنبيه وهو من رؤساء عقلائهم فرحا بذلك ان يهديه الله للاسلام قال السيوطى وهذا الحديث رواه البيهقى عن عكرمة مرسلا وفى المقتنى فى الاحياء فى آداب تلاوة القرآن حديث ان خالد بن عقبة جاء الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال اقرأ على فقرأ عليه ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى الآية فقال اعد فاعاد فقال ان له لحلاوة الى آخر ما ذكره المصنف هنا وكذا ذكره ابن عبد البر فى الاستيعاب بغير اسناد ورواه البيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس بسند جيد الا انه قال ان الوليد بن المغيرة بدل خالد بن عقبة كما قاله المصنف رحمه الله تعالى وكذا ذكر ابن اسحق فى سيرته فان صح فهما قصتان والوليد والد خالد بن الوليد والمغيرة بضم الميم وكسر العين المعجمة هو ابن عبد الله

المخزومي وباقي نسبه معروف مات كافرا وترجمته معروفة (قال) لما سمع ما تلاه عليه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (والله ان له) اى لما تلا (حلاوة) اى عذوبة وفصاحة عند من له ذوق فهو استعارة لما يستلذه السمع (وان عليه لطلاوة) بضم الطاء ويجوز فتحها لغة ومشاكلة وتكسر ايضا فهو مثلث ومعناها الحسن والقبول والرونق وجاء بمعنى السحر ايضا وهو استعارة كالذى قبله وأكده بالقسم وان والاسمية وقدم الخبر للحصر اشارة الى انه لا يشبه غيره من الكلام (وان اسفله لمغدق) بلام التوكيد وضم الميم وسكون العين المعجمة وكسر الدال المهملة كما فى النسخ كلها من الغدق بفتحتين وهو كثرة الماء ورواه ابن اسحق وان اصله لمغدق وان فرعه لجناة والغدق فيه بفتح العين المهملة وسكون الدال المعجمة هو النخلة التى اصلها ثابت وزاد ابن هشام لغدق بفتح المعجمة وكسر المهملة من الغدق بفتحتين قال السهيلي ورواية ابن اسحق افصح لانها استعارة تامة فيها اجراء الكلام لشبه اوله واجداه بفتح الجيم والمد الثمرة (وان اعلاه لمثمر) اى له ثمر طيب كثير والجملة الثانية بتمامها استعارة تمثيلية والمراد انها كلام اصله قوى لبس من جنس كلام البشر ومعانيه مفيدة مرشدة لسعادة الدارين وحسن العاقبة وهو كقوله تعالى ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها فى السماء او استعارتان تمثيليتان واراد باسفله ما تضمنه من المعانى كما يقال تحت هذا الكلام معان غزيرة وان اراد باعلاه ما يتجه من الفوائد والعوائد التى تظهر من فهم معانيه وتيقنها فشبه الكلام لفصاحته وبلاغته بشجرة شربت عروقها ماء غزيرا فاهتزت وربت وانبعث ثمرتها وكثرت وعذبت ويحوز ان تكون مكنية وتخييلية قلت اختلاف الروايات يدل على تعدد القصة ثم بنى على هذا قوله (ما هذا بقول بشر) لانه لا يشبه كلامهم بوجه من الوجوه وفى نسخة ما يقول هذا بشر بصيغة المضارع اى ليس من كلام البشر لحلاوة نظمه وبديع اسلوبه وبلاغة معانيه وجزالة مبانيه يعنى انه ليس مفترى مختلقا وخص البشر لانهم المعروفون بالبلاغة والا فهو سحر للحس ايضا مع ان فى هذا الخبر التصريح بذلك حيث قال وليس بشعر فاليكم رجل اعلم بالشعر منى ولا اعلم برجزه ولا بقصيده منى ولا باشعار الجن والله ما يشبه الذى يقول شيئا من هذا وانه ليعلو وما يعلى وانه ليحطم ما تحته كما رواه البيهقى فى الدلائل ثم انه روى الفهرى ان القارى على الوليد عثمان بن مظعون لا النبى صلى الله عليه وسلم كما رواه المصنف رحمه الله تعالى فان عثمان رضى الله تعالى عنه قال ما اسلمت ابتداء الا حياء من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حتى نزلت ان الله يأمر الآية وانا عنده فاستقر الايمان فى قلبى فقرأتها على الوليد بن المغيرة فقال يا ابن اخى اعد الى آخر الحديث وهذا يؤيد ما سبق من تعدد القضية (وحكى ابو عبيد) القاسم بن سلام بتشديد

اللام الامام فى الفقه والحديث واللغه البغدادى الحبر الهمام الجليل اخذ عن الشافعى
وعيره وكان عدا روميا لرجل من هراة واحمالله وترجمه معروفة توفى سنة اربع
اوثلاث وعشرين ومأتين (اى اعرابيا سمع رجلا يقرؤ فاصدع بما تؤمر) واعرض
عن المشركين اى اجهر بما امرت تبليغه ولا تبال بما يقولوه وما موصولة او مصدرية
واصل معنى الصدع التفريق والتمييز فاستعير لما ذكر لتفريقه بين الحق والباطل
وما قيل من انه لا يجوز ان يكون مصدرية لانه بمعنى امرك وهو مصدر مبنى للمفعول
والصحيح عدم جوازه ولا موصولة لانه يحتاج لتقدير العائد اى تؤمر به ولا يجوز
الا اذا اخر بما حر به الموصول واتحدا متعلقا والاول متعلق باصدع والثانى تؤمر سهو
من قائله وان سبقه اليه بعض المعربين لا خلاف فى المصدر الصريح لا فى ان
والفعل كما فى هذه الآية ولانه اما حذف العائد بعد حذف الجار ونصبه (فسجد)
الاعرابى لما ادهشه من بلاغته (وقال سجدت لفصاحته) اذ ليست آية سجدة وانما
هى الحث لفصاحته حتى ذل وسرع وجهه فى التراب وكان هذا معروفا فى مثله حتى
قال بعضهم للشعر سجدات وليس لمعنى سجدت لله لا حل فصاحته كما توهم
وضمير فصاحته للكلام المقروء لا لقارئه كما توهم لانه لا يناسب المقام (وسمع) اعرابى
(اخر رجلا يقرؤ) قوله تعالى (فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا) اى لما يئسوا من
يوسف عليه الصلوة والسلام وزيدت السين والتاء للمبالغة فى اليأس وخلصوا معنى
اعتزلوا وانفردوا ونجيا بمعنى متناجين فى تدبير امره وهو يطلق على الواحد المذكر
وغيره (فقال اشهد ان مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام) لاعجاز بلاغته وخروجها
عن طوق البشر فانك اذا وزنت قولك لما لم يطعمهم يوسف عليه الصلوة والسلام
ولم يحسن بهم وتشاوروا فيما يقولون بعد هذا وكيف يرجعون لابيهم بهذا الخطب
عرفت الذوق انه لا مناسبة بينهما ولو لا خوف السآمة فصلنا وجوه البلاغة فيها
(وحكى ان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كان نائما فسجد) اى مسجد رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة والظاهر ان مراده بقوله نائما مضطجعا لانه
قد يستعمل كثيرا بهذا المعنى لقوله (وعلى رأسه قائم) اى فى جانب رأسه رجل
منتصب القامة وليس المراد انه واطئ لرأسه وهو حقيقة عرفية فى تلك والجملة حالية
والضمير لعمر رضى الله تعالى عنه وفى نسخ فاذا هو بقائم على رأسه فاذا فجائية والباء
للملابسة (يا شهيد شهادة الحق) اى يقول اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
(فاستخبره) اى طلب عمر رضى الله تعالى عنه الاخبار عن سبب تسميته وعن
حاله (فاعلمه) ذلك الرجل المشهد (انه من اصاغرة الروم) بطارضة جمع بطريق
بكسر الراء معرب بترك ومعناه الرئيس وقائد الجيش وقد تكلمت به العرب قديما قال
الخوالقى فى كتاب المعرب البطريق بلغة الروم وهو القائد للجيش وجمعه بطارقة

وقد تكلموا به ولما سمعت العرب باسم البطارقة اهل رياسة وصفوا الرئيس به
يريدون المدح قال ابو ذؤيب
* هم رجعوا بالعرح والقوم شهد * هوارون تحدوها حماة بطارقة *
انتهى وهذا يقتضي ان بصريق هو المعرب وهو المعروف وقال ابن حالويه في كتاب
ليس البطريق عربت بطريق عربته العرب قديما قال
* يعلو الطوافر فردا في التلال له * كبطرك قد مشى في غيط كتان *
وهذا مما يتعجب منه فحرره والروم جيل من الناس معروفون سموا باسم جدهم روم بن
عيصو بن اسحق وكان اصفر فلذا قيل لهم بنو الاصفر والواحد رومي وقول
الجوهري رامي غلط منه (ممن يحسن كلام العرب وغيرها) من العبرانية والسريانية
والرومية وانما قال هذا توطئة لانه يفهم القرآن والانجيل ويقدر على النظر في معانيهما
ولذا قال (وانه سمع رجلا من اساري المسلمين) بضم الهمزة وفتحها جمع اسير واصله من
الاسر وهو الشد بالقيد ثم عم لكل من اسر وصار في يد عدوه (يقرأ آية من كتاب
ايها المسلمون يعني القرآن (فتأملتها) اي نظرت بفكري في معناها (فاذا قد جمع
فيها ما انزل الله على عيسى ابن مريم) عليه الصلوة والسلام في الانجيل (من احوال
الدنيا والآخرة) بيان لما اي من الاحوال التي تلزم العبد في الدنيا التي هي سبب للفوز
والنجاح في الآخرة (وهي) اي الآية التي سمعها (قوله) عز وجل (ومن يطع الله
ورسوله) في امره بما فرض وسن ونهيه عن غيره (ويخشى الله ويتقه) اي يخافه
ويتجنب ما تستوجب عقوبته (فاولئك هم الفائزون) بسعادة الدارين وقوله جمع
بالبناء للمفعول ويجوز بناؤه للفاعل ويقرأ بالافراد فاعله ضمير رجل وقيل انه روي
يقرؤن بضمير الجمع للاساري وهو محتاج للتكلف (وحكى الاصمعي) بصاد مهملة
ساكنة وميم مفتوحة وعين مهملة وهو عبد الملك بن قريب بالتصغير ابن اصمع وهو
لقب جده ومعناه صغير الاذن وهو امام اللغة والنحو والادب والنوادر ولد بالبصرة
سنة ثلاث وعشرين ومائة وتوفي بها سنة عشر ومائتين (انه سمع جارية) اي امرأة
شابة من العرب تتكلم بكلام فصيح (فقال لها قاتلك الله ما افصحك) تعجب من
فصاحة لسانها وبالغ في تعجبه فانها تقال لمن اتى بامر بديع غريب وهي في الاصل
جملة دعائية يراد بها شدة الاستحسان كانه ممن يستحق ان يحسد ويدعى عليه
(فقالت اوتعد) بفتح الهمزة الاستفهامية والواو العاطفة والهمزة مقدمة من تأخير
او داخلة على مقدر معطوف عليه ويعد بالياء التحتية مجهول او الفوقية معلوم
(هذا) الكلام (فصاحة) اي فصيحا (بعد قول الله) اي مع فصاحة القرآن
لا يقال لكلام غيره انه فصيح لمن سمعه فانه ازري بكل فصاحة فصيرها كالعدم
كالمتاع النفيس اذا نسر بجنب ما هو اعظم نفاسة منه فانه يعد غير نفيس كما قيل

* ولا قبح فيها غير ان جمالها * يصير كل الغانيات نياحا * (واوحينا الى ام موسى) اى الهمناها او اريناها منا ما (ان ارضعيه الآية) اى فاذا حفت عليه فالقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين فجمع في آية واحدة بين امرين) ارضعيه والقيه (ونهيين) لا تخافي ولا تحزني (وخبرين) اوحينا وحفت عليه (وبشارتين) رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين والمراد بالفصاحة هنا اللاغة فانها تطلق عليها كما ذكره التبع عبد القاهر (فهذا) اى الجمع بين ما ذكر في آية واحدة (نوع من اعجازه) اى القرآن (مفرد بذاته) اى مستقل بنفسه غير محتاج لغيره (غير مضاف لغيره) اى غير تابع لنوع غيره من البلاغة (عن التحقيق) لما في الواقع عند من عرفه (والصحيح من القولين) بالجر معطوف على التحقيق والظاهر ان مراده بالقولين هنا كما قاله بعضهم القول بان اعجاز القرآن هل هو مجموع بلاغته واسلوب نظمه او هو متحقق بكل واحد منهما على حدته وان مراده بدون اضافة احدهما الى الآخر هان كلامهما خارق للعادة خارج عن طوق البشر وهذا هو المتبادر من سياقه وقيل والمراد بالقولين القول بان اعجازه ببلاغته التي لا يرتقي احد الى مرتبتها والقول بانه معجز بصرفه كالصرفة والاخبار بالمغيبات ولا شك في ان من يقال باعجازه للاغته واسلوبه يقول ايضا انه باسطر لمعناه ايضا اذ لا يمكن قطع النظر عنه كما قاله العلامة الزركشي في برهانه اذ قال اكثر المحققين على ان اعجازه من جهة البلاغة لكن لعذر الاحاطة بتفصيلها فان اجناس الكلام مختلفة ومراتب البيان متفاوتة فيها البليغ الرصين الجزل والفصيح القريب السهل والجائز الطلق الرسيل فهذه اقسامها المحمودة والاول اعلاها والثاني اوسطها والثالث ادناها وقد حارت بلاغة القرآن من كل شعبة فانتظم له نمط جمع الفخامة والعذوبة وهما كالمتضادين لان العذوبة تتاح السهولة والمتانة والجزالة يعالجان الرعورة فكان اجتماعهما فصيلة خص بها القرآن ليكون آية مبينة وانما تعذرت على البشر لان علمهم لا يحيط بجميع اللغة العربية وطروق معانيها وافهامهم لا تدرك جميع معانيها ووجوه نظمها فتخيروا احسنها حتى يأتوا بمثله وانما يقوم الكلام بلفظ حامل ومعنى عليه قائم ورباط له ناظم فاذا تأملت القرآن وجدته استوفى ذلك كله ورقى لاعلى درجاته وهذا لا يتيسر لغير العليم القدير فاعتبار معجزا لانه جاء باحسن الالفاظ وادع النظم والتأليف واصح المعاني من الادعاء للتوحيد وطاعة الرب المجيد والتحليل والتحريم والعظة والتقويم والارشاد الى محاسن الاخلاق والزجر عن مساويها واصعا كل شئ في موضعه بحيث لا ترى محلا اولى من محل موضوعا فيه مثلات اخبار القرون الماضية مشتملا بالحوادث المستقبلة ابرمانها حاسما للصحيح والمحتمل له والمؤكدة للزوم ما دعا له ولا شك ان استيفاء هذه الامور منسقا احسن نسق لا يمكن

لغيره عز وجل (وكون القرآن من قبل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) بكسر القاف وفتح الباء الموحدة واللام اى من عنده قال الله تعالى فيما للذين كفروا قد اك مهدعين ويستعار للقوة والقدرة على المقابلة اى المحاراة يقال لا قبل لى بكذا ومنه قوله بحمد لا قبل لهم بها والمراد كونه بلغته فقوله (وانه اتى به) عطف تفسير فليس المراد انه كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم (معلوم ضرورة) لتواتر وتوفر الدواعى على نقله (و) كذا (عجز العرب عن الاتيان به) اى بمثله (معلوم ضرورة) لمشاهدتهم له (و) كذا (كونه) صلى الله تعالى عليه وسلم (متحديا) اى طالبا منهم الاتيان بمثله (معلوم ضرورة) لسماعهم له (و) كذا (كونه فى فصاحته) فى سببية مستعارة استعارة تبعية بتشبيه السبب باطرف المتمكن فيه (خارقا للعادة) اى مخالفا للعادة فصحاء العرب فى كلامهم الفصيح من قولهم خرق الصف اذا تجاوزه وتعداه (معلوم ضرورة للعالمين بامصاحة وسجوه البلاغة) اى انواعها ومقاماتها المقتضية لها لعجزهم عن معارضته وقد سلك منهم ذلك مسرار الاتحصى وهم احرص الناس على ذلك (وسبيل من ليس من اهلها) اى طريق من ليس من اهل الفصاحة الجبلية الموصلة لمعرفة اعجازه كالمولدين والعجم (علم ذلك) اى الاعجاز واسم الاشارة قائم مقام الضمير (بعجز المكرين من اهلها) لاعجازه وانه ليس من كلام البشر اذا تحدوا (عن معارضته) والاتيان بمثله وعن متعلق بعجز (واعتراف) هو فى الاصل افتعال من المعرفة صار بمعنى الاقرار بما عرفوه فقوله (المقرين) بانه كلام الله المعجز من اقامة الظاهر مقام الضمير (باعجاز بلاغته) لهم ولغيرهم عن ان يرفوا بينت شفة الامر غلب عليه السفه وتعلق هذا بمانحن بصدده اظهر من الشمس وانكاره مكابرة وقوله سبيل مبتدأ وعلم برة مسك خبره مصدر علم يعلم والمبتدأ معرفة باضافته لمن الموصولة والخبر باضافته لاسم الاشارة ولا رباب الحواشى هنا خبط يتعجب منه فمنهم من قال انه علم مجرور بدل من من الموصولة وذلك مفعوله وبعجز الى آخره خبره اى سبيل علم من ليس اهلا لذلك اى كونه خارقا للعادة وهو بعجز الى آخره واعجب منه قوله ان علم بفتح العين وسكون اللام بمعنى علامة من علمت شفته اذا اسعت فهو اعلم وبعجز متعلق بمقدر وقيل علم فعل ماض مبنى للمجهول اوللمعلوم وهو تخليط لاداعى له ثم ذكر آيات استوضح بها ماقدمه فقال (وانت اذا تأملت) اى امعنت النظر ودققته كمن ينظر لماله فيه امل وانت فاعل فعل مقدر يفسره مابعده على حد قوله تعالى اذا السماء انشقت ان مصاد حولها على الجمل الاسمية (قوله تعالى ولكم فى القصاص حيوة) ومااودع فيه من البدايع الروايع مع لطائف الايجاز وانوار الاعجاز الساطعة من مسكاته ورسوخ عروقه فى الفصاحة وحلاوة ثمرات بلاغته

فى الذوق وما اشتمل عليه من بديع البديع كالاعراب بجعل القتل الذى هو ضد الحياة طرفا لها لان من علم انه اذا قتل اقتص منه كف عنه فكان سببا لحياة من يهم بقتله وهو اوجز مما عدوه من افصح كلامهم وهو قولهم القتل انفى للقتل مع مافيه من التكرار والقتل مطلقا لا ينفيه بل القصاص تصريح بالمعنى المراد القتل قد يكون ظلما وفيه كلام وفوائد كثيرة فى شروح الكشاف والمفتاح والثمرة تدل على السحرة ولا اقول البعرة تدل على البعير لما فيه من نجاسة سوء الادب (وقوله ولو ترى اذ فزعوا) من حلول الاجل او من بعثهم من القبور او فى يوم بدر (فلا فوت واخذوا من مكان قريب) اى من ظهر الارض الى بطنها او من الموقف الى النار او من صحراء بدر الى قليبها فى هذه الآية من الايجاز والبلاغة وعذوبة الالفاظ ما يعرفه من له بصيرة (وقوله) تعالى (ادفع بالتى هى احسن) اى ادفع سيئة من اساء اليك بالخصلة التى هى احسن من كل شئ حسن او باحسن ما يمكن دفعه ولا حاجة الى القول بان احسن بمعنى حسن وعدل عنه للمبالغة فانظر ما فى هذه الآية من الايجاز بحذف مفعول احسن وهو السيئة لانه لا يدفع الحسن ولطف المعنى وما تضمنه من المبالغة ومكارم الاخلاق وهذا كقولهم احسن الى من اساء كى المسئ فعله وفى طى ذكر السيئة نكتة سنية واما دعوى المناسبة للمقام بما فيها من دفع السائل وتكلف المناسبة بينهما وبين قوله (وقوله) تعالى (وقيل يا ارض ابلعى ماءك ويا سماء اقلعى) فبعيدة بمراحل وتكلف من غير طائل وفى هذه الآية من البلاغة المعجزة مع الايجاز انه نادا هما كما ينادى العقلاء وامرهما بما يؤمرون به تمثيلا لباهر قدرته وعظمته لانقيادهما لما اراد كالمأمور المطيع المبادر للامتثال حذرا من سطوة امره والبلع استعارة للجفاف والاقلاع الامساك ومنها لطائف اخر مفصلة فى شرح المفتاح (الآية) وتمامها وغيض الماء وقضى الامر واستوت على الجودى وقيل بعدا للقوم الظالمين (وقوله) تعالى (فكلا) ممن ذكر قبله من المكذبين (اخذنا بذنبه) اى عاقبناه به (فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا) اى ريحا عاصفة فيها حصباء وهى الحجارة الصغيرة او ملكا رماهم بها وهم قوم لوط عليه الصلاة والسلام (الآية) وتمامها ومنهم من اخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا والاول قوم ثمود ومدين والثانى قارون والثالث قوم نوح وفرعون وفى الآية من وجوه البلاغة الاجمال والتفصيل وحسن السبك والنظم والاعلام باحوال من مضى للاعتبار والايجاز والانسجام الرائق (واشباهها) اى ما اصاهى ما ذكر فى البلاغة ووجوه الاعجاز (من الاى) اسم جنس جمعى ككلم وكلمة او اسم جمع وهو منصوب معطوف على مفعول تأملت ثم اضرب بيانا لانه لا يحصر فى آيات مخصوصة مشيرا الى وجوه من الاعجاز فيها فقال (بل اكثر

القرآن) وجواب اذا قوله (حققت ما بيته) لك آنفا (من ايجاز الفاظها وكثرة معانيها) مع لطائف ودقائق (و) لطائف (ديباجة عبارتها) قيل معنى الديباج نوع من الحرير له و يقال فلان يلبس الديباج ويركب الهملاج وقيل انه معرب اصله ديباز يدفيه الجيم كما يقال فى قولون وهو من الامراض قولنج ثم استعير فقالوا ديباج المطر الارض اذا زينها بالنبات والرياض وفلان يصون ديباجتاه اى خداه وفى ضده يتذللهما ومنه اخذ ديباجة الكتاب والقصيدة لاوله والحواميم ديباج القرآن اى رياضه التى يرتع فيها القارى فالمراد حسن عبارته فيه استعارة مكنية وتخييلية شبهت العبارة بحمى واثبت له الديباج بمعنى الرياض والنبات ثم كنى به عما مر (وحسن تاليف حروفها) حيث كانت سالمة من التنافر والثقل (و) حسن (تلاءم كلماتها) بالهمزة وقد تبدل ياء فيقال تلايم وملايمة اى مناسبة وموافقة واما ابدالها واوا فهو خطأ من يسمى الهمزة الواو [illegible] قراءة بعض المحدثين [illegible] على معنى فيه تعقيد ولا ضعف تاليف وتنافر كلمات (وان تحمل كل لفظة منها حملا كثيرة) اى فيها معان كثيرة وفوائد عزيزة وجعل ما يدل عليه تحته تجوزا (وموصولاجة) اى انواعا كثيرة من محاسن الكلام كما يقال جعل الكلام فصلا فصلا والجم الكثير وغاير بينهما تفننا كقوله (وعلوما زواخر) بزاى وخاء معجمتين ثم راء مهملة اى علوما كثيرة كالبحار الزواخر من زخر البحر اذا كثر ماؤه وارتفعت امواجه ففيه مكنية وتخييلية ويجوز ان يكون تشبيها بليغا واستعارة مصرحة وزواخر ممنوع من الصرف وملف بعض النسخ من تنوينه لمناسب لاوجه له (ملئت الدواوين) اى امتلأت كتب التفسير وغيره من الفنون (من بعض ما استفيد) بالبناء للمجهول اى اخذه كل باحث عنه بحسب فهمه واذا ملأها بعضه فكله لا يمكن حصره ولا يحويه كتاب كما قال الله تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربى ودواوين جمع ديوان وهو الكتاب وقد تقدم الكلام عليه (وكثرت المقالات) اى كلام الائمة والمصنفين (فى المستنبطات عنها) اى فى المعانى والاحكام المستخرجة بطريق الاشارة والدلالات الالتزامية وهو من قولهم استنبط الماء من البئر اذا استخرجه فما استفيد هو ما دل عليه صريحا وما استنبط غيره (ثم هو) اى القرآن وعطفه ثم لتراخى رتبته عما قبله (فى سرد القصص الطوال) اى ذكرها فى اثنائه مستعار من سرد الدرع لنسجه (واحبار القرون السوالف) معطوف على القصص جمع قصة والمراد بالقرون السوالف الامم المتقدمة على عصر النبوة من سلف بمعنى تقدم والقرن مدة من الزمان مختلف فيها والمراد اهلها (التى يضعف فى عادة الفصحاء عدها الكلام) صفة للقصص والاحبار اى انها لطولها اذا اريد ذكرها بتمامها

يضعف على الفصيح حكايتها ويضعف نطقها عن ادائها واجمالها لمن لا يعلمها لا تفيده فائدة يعتد بها ولبس المراد بانه واقع في الخارج يعجز الفصيح عن مطابقة حكايته له (ويذهب ماء البيان) اى رونقه وحسنه لانه لطوله قد لا تناسب كلماته ويشق نظامه ويحكم ارتباطه والبيان ايضاح المعاني وهو معطوف على يضعف الصلة ففيه عائد مقدر كالذى قبله (آية لمتأمله) اى علامة بينة لمن تأمل نظمه وسرده القصص والاخبار وآية خبر المبتدأ الذى هو ثم هو مبتدأ مؤخر والجار والمجرور خبر مقدم والجملة خبر هو والرابط الالف واللام القائمة مقام الضمير الذى هو فى سرد قصصه آية لمن تأمله حق التأمل وقوله (من ربط الكلام) صفة لآية ومن بيانية او متعلق بمقدر اى يظهر كونه آية دالة على اعجازه من ارتباط الكلام (بعضه ببعض) بالجر بدل من الكلام اى من كون اجزائه الى غاية التناسب حتى كان كل كلمة مرتبطة باختها (والتئام سرده) بالهمزة والياء اى مناسبة كلماته المسرودة اى المتتابعة كحلق الدرع الداخل بعضها فى بعض مع فصاحتها وحسن تأليفها (وتناصف وجوهه) المراد بالوجوه انواع بلاغته من الاستعارة والكناية وتناصف تفاعل من النصفة والانصاف يقال اعضاؤه متناصفة حسنا اى لا ينقص حسن بعضها عن بعض وهو من بليغ الكلام الذى لا يعرفه الا من ذاق حلاوة البلاغة كما اشار اليه المبرد رحمه الله تعالى فى الكامل قال الشاعر

* لما عرضت الى تناصف وجهها * عرض المحب الى الحبيب الاول *

واصل معنى الانصاف المواساة ونحوها كأنك تعطيه نصفا وتأخذ نصفا ومن ظن عدم تعاير هذه المعانى فقد وهم (كقصة يوسف عليه الصلوة والسلام على طولها) قصها الله تعالى على اعجب ترتيب وابدع تهذيب بحيث لم ينصدع ما بينها ولم يخل عقد نظامها مرتبطة الهوادى بالاعجاز على الاصح وجه واوضح فهم (ثم اذا ترددت) اى اذا كررت (قصته) المذكورة فى القرآن من قولهم فلان يتردد على فلان اذا كان يكثر الاتيان اليه كقول بعضهم

* اذا كنت لم اكثر زيارة حبكم * فحتى لكم بغير تردد *

اى ما كرر من قصص القرآن ليس تكرارا مخلا اذ قد (اختلفت العبارات عنها) فذكرت من كل مكان لمعنى ضربت له مثلا غير المكان الآخر وحكيت بعبارات مختلفة النظم والالفاظ وان كان المعنى واحدا (على كثرة ترددها) وتكرارها والحال والمجرور حال من ضمير عنها وهذا من عظيم قدرة قائلها ويحكى عن ابن عباد رحمه الله تعالى انه مات له ولد فاستد حزنه على فقده فلما صلوا على جنازته فى محفل عظيم قام الناس لتعزيته فلم يعد عبارة للمعزين له مع كثرتهم وكونه فى حالة حرب والم حتى تعجب الحاضرون من بلاغته (حتى تكاد كل واحدة) من القصص

(تنبيه في البيان صاحبتها) يعني ان سامعها كأنه انما سمعها الآن ولم يسبق لها ذكر فيما ذلك لان العبارات غير الاولى والسياق ومناسبة المقام تفيد فوائد اخرى وتحدد لمن سمعها حظا عظيما للعبارات المغايرة لما تقدمها (وتناصف في الحسن وجه مقابلتها) لتعاونها باعتبار المقامات المحكية فيها كقصة آدم وحواء وموسى عليهم الصلوة والسلام مع بني اسرائيل (ولا نفور للنفوس من ترديدها) وتكريرها اوهذا اشارة الى الجواب عما قاله بعض الطاعنين في القرآن بان فيه مكررات كثيرة وهو مما ينفر الطبع السليم (ولا معادات لمعادها) اى لا يعادى الطباع المكررة المعدد في القرآن من قصصه كما قال الشاعر * طبع النفوس معادات المعادات * وفيه تمليح لما ذكر وتجنيس لطيف

﴿فصل الوجه الثاني﴾ من وجوه اعجاز القرآن (من اعجازه صورة نظمه العجيب والاسلوب الغريب) اشار بالاسلوب والصورة الى رشاقة عبارته وفخامة معانيه وهذا باعتبار نظمه وطريقه الوارد فيها فانه مع ازعدة لا يشبه الشعر ولا الخطب ولا غيرهما مما كان عادتهم ومحاورتهم قبل الاسماع عوائد عوائده وبهذا اضمحل ما قيل انه بحسب المعنى راجع للاول لان حسن تأليف والتيام كله راجع لصورة نظمه فان قيل ان قوله (المخالف لاساليب كلام العرب) مغن عنه قلت لا لان قوله الخارق للعادة بمعناه انتهى والاساليب جمع اسلوب وهو الفن والنوع وفي كلامه اشارة الى ان الاعجاز ليس مداره على الالفاظ ولذا عبر بالنظم دون اللفظ قال عبد القاهر توخي المعاني على حسب الاغراض التي صيغ لها الكلام لاتواليها في النطق وضم بعضها لبعض كيف ما اتفق (ومناهج نظمها ونثرها) مجرور معطوف على اساليب اى مخالف لمناهجها جمع منهج وهو الطريق اى لا يشبه كلامهم المنظوم وهو الشعر ولا المنثور من الخطب وغيره (لدى جاء عليه) صفة نسق اى النظم الذي جاء عليه من عند الله تعالى واردا على اسلوب العجيب الذي لا يشبه كلام البشر (ووقعت مقاطع آيه) جمع آية مضاف لضمير القرآن وفي نسخة آياته والمقاطع جمع مقطع وهو آخر كلام الذي يقف عليه القارئ وقفا تاما او كافيا واسناد الوقوع اليها مجاري والواقف انما هو القارئ وهو معنى انتهت ووصلت ولذا عداه بالى وهو معطوف على لصله (وانتهت فواصل كلمه اليه) وفي بعض النسخ ووقعت مقاطع آيه عليه والفواصل جمع فاصلة وهي الكلمة الاخيرة من الفقرة ونحوها والضمير للموصول بتقدير مضاف الخ قالوا لا يقال في القرآن انه سجع وانما يقال فواصل لقوله فصلت آياته (ولم يوجد) اى لم يسمع كلام بليغ (قبله ولا بعده نظير له) يماثله في بلاغته وعلو مرتبته وغرابة اسلوبه (ولا استطاع) وقدر (احد ممثلة شيء منه) بان يأتي بكلام ما يشبهه في الحلاوة والبلاغة (بل حارت فيه عقولهم) فوقفوا في الحيرة فالعباد يعجزهم من الاعتراف

وظهور اعجازه يكذبهم فى قولهم انه مفترى اوسحر اونحو ذلك مما لايقبله الطبع (وتدلهت به دونه احلامهم) بضم الدال المهملة واللام المشددة اى دهشت وتحيرت فى شانه فهو مما قبله وفى نسخة تولهت بواو بدل الدال من الوله وهو الحيرة ايضا والاحسن ان يقصر التدله بذهاب العقل من الهوى فيكون ترقى من حيرته الى ذهابه ودونه بمعنى ما لم يبلغ منزلته كما فى قوله تعالى * لاتتخذوا بطانة من دونكم * والاحلام جمع حلم وهو بمعنى العقل وله معان اخر يعنى ان عقولهم لم تصل اليه اذ تحيرت فيما هو اقل منه فكيف به (ولم يهتده الى مثله) اى لم يسمعوا به من فصحائهم ولم يقدروا على الاتيان بشئ يماثله او يقرب منه (فى حسن كلامهم) الذى يقدرون عليه ويرتقى به قواهم البشرية (من نثر) كالخطب والرسائل (اونظم) من القصائد والنشد (اوسجع) وهو الكلام المقفى غير المنظوم وهو يطلق على مجموع هذا وعلى الكلمات الاخيرة من النثر ويطلق على الاتيان به ونفس التوافق الواقع فيه (اورجز) وهو نوع من الشعر معروف واورده بالذكر مع دخوله فى النظم لانه خلافه فى عدم التزامهم رويا واحدا فعدنوعا مستقلا من الكلام افرد باسم يخصه ولم يعده بعضهم من الشعر حتى سمى قائله راجزا لاشاعرا (اوشعر) لولم يذكره كان احسن لانه مكرر مع النظم (ولما سمع كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم الوليد بن المغيرة) تقدم ضبطه وانه ابوخالد وكان من صناديد قريش وعقلائهم وفصحائهم الا ان الله لم يهده الى الاسلام كما مر واسم ولده خالد رضى الله تعالى عنه سيف الله (وقرأ عليه القرآن) اى اسمع الوليد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعض القرآن رجاء اسلامه (رق) قلبه ومال طبعه الى الاعتراف به والاسلام واصل الرقة ضد الغلظة فتجوز به عن الملايمة والميل كما قال ابن سعيد المغربى

* قد طال شوقى الى نعور * ملأى من الشهد والرحيق *
* عسها احذت الذى تراه * يعذب من شعرى الرقيق *

فجاء ابوجهل) لعنه الله تعالى لما بلغه ميله الى كلام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليصده عنه وكان ابن اخيه واسمه عمرو بن هشام (منكرا عليه) عمله له واستحسانه لما قرأه صلى الله تعالى عليه وسلم عليه وهو حال من فاعل جاء (فقال) الوليد رد الانكار الى جهل عليه (والله مامنكم) يامعشر قريش (احد اعلم بالاشعار منى) انكارا لقولهم انه شاعر (والله مايسه الذى يقوله) محمد صلى الله تعالى عليه وسلم من القرآن (شبئا من هذا) الشعر الذى ينشد واشار اليه بالقرب لشهرته وحضوره فى الذهن كالشاهد المحسوس (وفى خبره الآخر) اى فى خبر آخر عن الوليد رواه البيهقى عن ابن عباس رضى الله عنهما (حين جمع) الوليد (قريش) يعنى اشرافهم ورؤساؤهم (عند حضور الموسم) مفعل من الوسم وهو العلامة

والمراد موسم الحج وهو زمن احتماعهم لانها معالم كانوا يجتمعون فيها بمكة وحضوره محنة وفتنة أو مجيء اهله ولما كان يجتمع فيه جميع قبائل العرب من كل فج خشى ان يسمعوا باثر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيشيعوه فجمعهم وحدهم ليتشاوروا ويروا رأيا فيما يصد الناس عنه صلى الله تعالى عليه وسلم كما اشار الى بيان ذلك بقوله (وقال ان وفود العرب) جمع وفد وهم كما مر الجماعة الذين يقدمون من بلادهم الى مكة من غير اهلها واصل معنى الوفد الاشراف (ترد) اى يقدمون من غير البلاد واصل الورود الذهاب للماء (ما جمعوا فيه) اى فى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وامره اى دروا وتداركوا (رأيا) اى امرا يعتقدون له فائدة ونتيجة واجمعوا بقطع الهمزة من الاجماع يقال اجمعت كذا وكذا واجمعت عليه واكثر ما يقال فيما يكون جمعا يتوصل اليه بالكفر نحو فاجمعوا امركم وشركاءكم ويقال اجمع المسلمون على كذا اذا اجتمعت آراؤهم عليه ويجوز ان تكون همزته همزة وصل ايضا لانه يقال جمع له رأيا ايضا وبه فسر قوله تعالى ان الناس قد جمعوا لكم اى جمعوا آراءهم وتدبيرهم كما قال الراغب ولا عبرة بانكار الحريرى فى الدرة لصحته كما بيناه فى شرحها (لا يكذب بعضكم بعضا) اى اتفقوا على امر قبل قدومهم حتى لا يحصل افتراق كلمة واختلاف فى شانهم (فقالوا نقول) هو (كاهن) وهو الذى يخبر عن المغيبات ويدعى معرفة الاسرار وكانوا فى العرب كثيرا كشق وسطيح وكان لهم كلام مسجع مصنع فمنهم من له جنى يخبره ويلقى اليه الاخبار ومنهم من يدعى معرفة ذلك باسباب وامور يأخذها من كلام السائل وفعله وحاله ويقال له عراف واكثرها امور ظنية تخطئ وتصيب احيانا (فقال) الوليد لهم (والله ما هو بكاهن) اى حاله لا يشبه حال الكهان وكلامه لا يشبه كلامهم المسجع الذى كانوا يلفقونه ويتمقعونه وفيه اكاذيب باطلة فليس هذا رأيا مقبولا يروج عند العقلاء (ما هو برمزته ولا سجعه) الضمير للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم والباء للملابسة اى ليس معروفا برمزته اوللكلام المفهوم من السياق اى وما كلامه مشبها برمزته والرمزمة صوت خفى لا يكاد يفهم وكان للكهان زمزمة مر فيه يحضرون بها الجن وزمزمة المجوس قراءتهم وكلام الكهان كان مسجعا ولذا كره النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قول القائل فى الجنين كيف يرى من لا اكل ولا شرب ولا استهل ومثل ذلك بطل وقال هذا من اخوان الكهان وهذا لا يدل على كراهة السجع مطلقا فينا فى كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم به احيانا فلما لم يرض الوليد هذا الرأى فيه صلى الله تعالى عليه وسلم (قالوا نقول) هو (مجنون) اى رجل اختلط عقله فاختل كلامه وفعله وذلك باصابة الجن له وهو المعروف عند الاطباء واصله من جنه

واجنه اذا ستره لاستار عقله ومنه الجان والجنين (قال) الوليد رذا لرأيهم هذا (ماهو بمجنون ولابمخنقة ولاوسوسة) اى لايشبه حالهو حال المجانين والخنق بفتح الخاء المعجمة وسكون النون مصدر وهو الاختناق والجنون يقال له خنق بكسر النون وفتحها والوسوسة بفتح الواو مصدر وهو شئ يأتى فى القلب او فى السمع بصوت خفى وقد يحدث المرء به نفسه ولذا سمى حديث النفس (قالوا فنقول شاعر قال) اى الوليد (ماهو بشاعر) اى ليس كلامه بشعر ولاوزنا ولامعنى اذ الشعر مدح وهجو وتشبيب وليس فيما سمعوا منه صلى الله تعالى عليه وسلم بشئ من ذلك (قد عرفت الشعر كله) بانواعه واوزانه ومعانيه ثم فصل بعضا منه بقول (رجزه) هو نوع من الشعر معروف يسمى بالرجز ويقال للقصيدة منه ارجوزة وجميعها اراجيز وسمى رجزا لاضطرابه فى وزنه واختلاف اوزانه واختلاف قوافيه (وهزجه) بفتحتين ومجمتين وهو اسم لبحر من بحور الشعر معروف وبه فسرها ولكن الذى قالوا ان اسماء البحور منقولات اصطلاحية نقلها الخليل ابن احمد فهى منقولة من الهزج لنوع مضطرب من الاغانى ولو قيل انه اسم لضرب من الشعر كانت العرب تستعين به كان اقرب وانسب بقوله (وقريضه) لانه ليس اسم بحر من بحور العروض لانه فى اللغة بمعنى الشعر مطلقا من قرضه بمعنى قطعه فعول بمعنى مفعول لان الشاعر يقتطع نوعا مخصوصا من الكلام لعرض له فالظاهر ان المراد به مايقابل القصائد وهى المقطوعات وقرض الشعر ملكة يقتدر بها على نظمه وفى العرف معرفة محاسن الشعر وقبيحه (ومبسوطه) اى مطولات قصائده مطلقا المقابلة لما قبله فيتناول جميع انواعه من الطويل والبسيط وغيره فمن فسره ببحر البسيط وقال زيادة الميم فيه لمساكلة قوله (ومقبوضه) فقد تكلف مالادليل عليه وكان المراد بمقبوضه مختصر اوزانه المسمى فى العروض بالمجرو والمهوك وليس المراد مصطلح العروضيين وهو المحذوف ثانى السبب الخفيف الذى هو خامس مفاعيلن الذى حذفت يا ؤه فصار مفاعلن لان هذا اصطلاح احدثه المولدون لاتعرفه العرب قديما وقوله رجزه وما عطف عليه منصوب بدلا من الشعر لا من كله لانه توكيد لايصح البدل منه لا لانه لايقع مفعولا كما توهم (قالوا فنقول) هو (ساحر قال) اى الوليد (ماهو بساحر) اى انكره لما يعلمه من ان الساحر هو الذى يستعين على ما يأتى من خارق العادة بامر علوى او بعزائم يسحر بها الجن او بظلمات يستمر بها السفلى بالعلوى والناس جميعهم يعلمون انه صلى الله عليه وسلم ليس كذلك ولذا قال (ولانفثه ولاعقده) بفتح العين المهملة وسكون القاف او بضم ففتح جمع عقدة والنفث النفخ مع ريق والعقد عقد حبال او سعر مضفور ونحوه كما يعرفه السحرة مما يؤثر امورا خارقة للعادة فى الخارج عنه وكنى به عن انه ليس عمل مما يعمله

السحرة فقد تربى صلى الله تعالى عليه وسلم بين اظهرهم ولم ير احد منه ذلك فلذا خطأهم الوليد فى وصفهم له صلى الله تعالى عليه وسلم وبين لهم ان تدبيرهم الباطل لا يروح على عاقل كما قيل * يا سطوة الله حلى عقد ما ربطوا * وشتى سمل اقوام بنا احتلطوا * الله اكبر سيف الله قاطعهم * وكلما قصدوا فى ذمهم هبطوا * (قالوا فما نقول) بالنون او بالمثناة الفوقية اى نحن او انت يا وليد وما رأيك (قال ما انتم بقائلين من هذا) اى من مثل هذه الاراء (شيئا) فى حقه (الا وانا اعرف انه باطل) ليس بمقبول عندى ولا عند العقلاء الذين يعرفونه وتقديم الضمير لتقوية الحكم لانه يقدم لتقوية الكلام او للحصر لتعسفه اعتقاد بعض جهلهم فيه والجملة حالية مستثناة يجوز اقترانها بالواو وعدمه (وان اقرب القول) فى حقه وان كان مفترى (انه ساحر) بفتح الهمزة وكسرها كما فى كل ما وقع بعد افعل تفضيل مضاف للقول على انه المصدر خبر ان والجملة المحكية وان لا تحتاج الرابط لانها على المبتدأ هنا وهذا رجل عاقل ختم الله تعالى على قلبه وسمعه ونسجت عنا كب الضلالة على بصيرته ثم بين وجه اقربيته بحسب النظرة الحمقى بقوله (فانه ساحر) اى كالساحر ووجه المشابهة انه (يفرق بين المرء وابنه) بالباء الموحدة والنون او الياء المثناة التحتية ومعناهما ظاهر (والمرء واخيه) وفى نسخة بين المرء وابيه واخيه (والمرء وزوجه) اى امرأته وفيه لغتان هذه وزوجته بتاء التأنيث (والمرء وعشيرته) اى اقاربه الادنون المعاشرين له وقد كان ذلك فان من ذاق حلاوة الاسلام ترك ما عداه لاجله صلى الله تعالى عليه وسلم كما كان مشاهدا فى الصحابة رضى الله تعالى عنهم ومنهم من ترك ملكه كسير زبن النجاشى كما فى سيرة ابن هشام والتوفيق بين هذا وبين ما حكاه الزمخشرى عن الوليد هذا من انه قال لهم ما هو الا سحر اما رأيتموه يفرق بين المرء الخ وما حكاه عنه من قوله ان هذا الا سحر يؤثر كما تقدم انه اراد ما هو امس انه كالساحر فيما ذكر لكنه ساقه فى معرض الحزم وليروح عندهم او انه قال مرة ثم راجع عقله فرجع عنه وهو الاوفق بما فى الآية ومناسبة ما ذكر لما هو بصدده فى غاية الظهور فالقول بان الاولى ان يذكر ما حكى عنه من انه قال لبنى مخزوم والله قد سمعت محمدا يقول انها تقول كلا ما هو ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه يعلو ولا يعلى كما تقدم ولا وجه له (فتفرقوا) من المجلس الذى جمعهم للمشاورة فيه (وجلسوا على السبل) بضمتين جمع سبيل وهو الطريق ليخبروا الوافدين بما قالوه حتى لا يتبعوه صلى الله تعالى عليه وسلم و (يحذرون الناس) منه حتى لا يصدقوه فيقولون لكل من رأوه محمد ساحر كذا وكذا فاحذروه لا يفتنكم عن دينكم والجملة الاولى معطوفة او حالية بتقدير قد وكذا الثانية من ضمير تفرقوا وهما حالان متداخلتان فقالوا ذلك لكل من قدم للحج فغشا امره صلى الله تعالى عليه

وسلم فى قبائل العرب وخشى ابوطالب من ذلك ومن تعييب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لآلهتهم وسبها ان يقع منهم مايحرضهم على ضرره فقال فى قصيدته اللامية الطويلة المشهورة يمدحه صلى الله عليه وسلم ويذكر حسن حاله وماهو عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فيها قوله

*لعمرى لقد كلفت وجدا باحمد * واخوته دأب المحب المواصل *

الى آخرها ولولا خوف الاطالة اوردتها لما فيه من مدحه صلى الله تعالى عليه وسلم وبيان حقيقته وتقيده بحميته (قاتل الله فى الوليد) وقصته المذكورة التى هى سبب النزول وهذا من اقامة الظاهر مقام الضمير للتسجيل عليه بذم الله تعالى له (ذرنى ومن خلقت وحيدا الآيات) اى دعنى معه فانا اكفيه من كيد اعدائه وان كان وحيدا منفردا عن اهله وعشيرته ليس معهم له اولا نظير له وتمام النظم وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا ومهدت له تمهيدا ثم يطمع ان ازيد كلا انه كان لآياتنا عنيدا سأرهقه صعودا انه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم ادبر واستكبر فقال ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر* والكلام على هذه الآيات مفصل فى التفسير والمقام لايسعه (وقال عتبة بن ربيعة) بن عبد شمس ابن عبد مناف والد هند ام معاوية رضى الله تعالى عنهما وهذا قتله عبيدة بن الحارث فى غزوة بدر كافرا (حين سمع القرآن ياقوم لقد علمتم انى لم اترك شيئا الا وقد علمته وقرأته وقلته) هذا عبارة عن انه عنده علم بالكتب المنزلة لقراءته بعضها وانه قرأ القصص السالفة وقال الشعر وله سعة علم باللاعة وليس ظاهره بمراد اذ لايمكن لمثل ماادعاه (والله لقد سمعت قولا) يعنى به القرآن العظيم الذى سمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يتلوه (والله ماسمعت مثله قط) هو للاستغراق فى الماضى (ماهو بالشعر) الباء زائدة اى ليس بشعر ولايسمه كما مر (ولا بالسحر ولا بالكهانة) اى ليس يشبه كلام السحرة والكهنة المسجع المتكلف ولم يكن فى قائله شئ من اعمال السحرة المعهودة والكهانة مصدر كهن يكهن بكسر الكاف وفتحها كالكتابة والقسامة كما قاله السريسى فى شرح المقامات (وقال النضر) بفتح النون المشددة وسكون الضاد المعجمة علم منقول من النضارة بمعنى الحسن (ابن الحارث) ابن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار الذى قتله النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالصفراء صبرا وقصته مذكورة فى السير (نحوه) اى مثل ماقاله عتبة والوليد فى اعترافه بالقرآن وانه لايشبه كلام البشر (وفى حديث اسلام ابى ذر) الغفارى الصحابى رضى الله تعالى عنه وهو جندب بن جنادة كما مر وغفارة قبيلة من العرب مشهورة وغفار قبيلة من كنانة وهو غفار بن مليك بن ضمرة بن بكر بن عبد مناف بن كنانة بن خزيمة وحديثه رواه مسلم وغيره ووصفه البيهقى فى دلائل النبوة واسنده الى عبد الله بن الصامت وهو حديث طويل وكان اسلامه بمكة رابع اربعة

فلذا كان يقول كنت رابع الاسلام وقوله (ووصف اخاه انيسا) بالتصغير ووصف ماض والجملة حالية بتقدير قد (فقال) تفسير لوصفه المذكور (والله ما سمعت باشعر من احي انيس لقد ناقض) نقاف وضاد معجمة من المناقضة مفاعلة من النقض وهو هدم البناء وحل طاقات الحبل ثم صارت بمعنى كون الكلام بحيث لا يمكن اجتماعه مع نقيضه كزيد قائم وزيد ليس بقائم وهذا اصطلاح المنطقيين وعند العرب نقايض الشعر في الجاهلية انه اذا قال احدهم شعرا ذكر فيه افتخارا بآبائه وشرفهم على قوم غيره او ذكر فيه هجاء غيره ومثالبه ونقيض حسبه وآله فيعارضه غيره بشعر يذكر فيه ضد ما قاله فيسمى ذلك مناقضة ويقال للقصائد نقايض ومنه نقايض جرير والفرزدق لقصائد من الطرفين جمعت وشرحت وفي الاساس يقال في كلامه تناقض وهذا مناقضه ونقيضه وتنقيضه وتناقض القولان والشاعران وناقض احدهما الآخر يقول قصيدة فينقضها صاحبه عليه وهذه القصيدة نقيضة قصيدة فلان وهما نقايض ومنه نقايض جرير والفرزدق انتهى وفسره في الشرح الجديد بما في النهاية من ان المناقضة مفاعلة من نقض البناء وهو هدمه اي ينقض قولهم وينقضون قوله واراد به المراجعة والمراودة انتهى وهو تفسير لايبي بالمقصود لما عرفته (اثنا عشر شاعرا في الجاهلية) اي عارضهم في قصائدهم فاتى بمثلها وهذا يدل على فصاحته ومعرفته بالشعر وقدرته على انشائه وزمان الجاهلية كان فيه الشعراء الفحول كثيرا وذكر هذا تمهيدا لما سيأتي من انكاره عليهم في قولهم ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم شاعر (اتا احدهم) ذكره اعترافا بقوة شاعريته (وانه) اي اخاه انيسا (انطلق الى مكة) اي ذهب اليها بعد ما كان في غنم لهما ترعى فقال لاخيه انت لي صاحبا بمكة ما كفني امر الغنم حتى آتيك فانطلق حتى اتى مكة فابطأ عليه فلما ذرتم اتاه فقال ما حبسك قال رأيت رجلا يزعم انه على دينك الى آخر القصة التي ذكرها البيهقي واشار الى بعض منها المصنف بقوله (وجاء بخبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الى) اخيه (ابي ذر) وكان اسلم بمكة قبل اخيه واسلم اخوه بعده فهما صحابيان (قلت) له بعدما اخبرني (فما يقول الناس) فيه صلى الله تعالى عليه وسلم (قال) يقولون (شاعر كاهن ساحر) اي بعضهم يقول هذا وبعضهم يقول هذا ثم اشار الى بطلان ما قالوه بقوله (لقد سمعت قول الكهنة) جمع كاهن مثل كاتب وكتبة (فما هو) اي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم او كلامه ملتبس (بقولهم ولقد وضعته) بالضاد المعجمة المفتوحة والغين المهملة الساكنة اي وضعت قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (على اقراء الشعر) يعني انه قابله وقاسه بالشعر ونزله عليه لينظر هل فيه ما يشبهه وهو مجاز من قولهم وضع النعل على النعل اي طابقه به لينظر هل هو مساو له والاقراء بفتح الهمزة والمد جمع قلة اريد به الكثرة هنا قال في القاموس من اقرأ الشعر انواعه وانحاؤه اي امثاله فهو جمع قرء

بالضم وقيل انه جمع قرء بالفتح وهو طرفه واتواعه وتجوزه وقال الزمخشري انه قوافيه التي يختم بها كاقراء الطهر التي ينقطع عندها الدم واحدتها قرء فتحا وكسرا وضما فهو مقاطع آياته وحدودها (فلم يلتئم) بالهمز من الملايمة اى لم ار ه متناسبا ولاموافقا لمعطا ولامعنى واين الثريا من الثرى ولذا قال الفقهاء رحمهم الله تعالى لاتكتب فيه البسملة واجازها بعضهم مع الكراهة قال وهذا فى مدح النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ونحوه من التوحيد ومنظومات العلوم واما الهجاء فينبغى ان لا يختلف فى عدم كتابتها فيه كما قاله التلمساني (ومايلتئم) اى يتيسر ويتفق (على لسان احد بعدى انه شعر) بفتح همزة انه اى لاينتظم لاحد غيرى ان يقول انه شعر لانه ليس احد اعلم بالشعر واقدر عليه منى فلو امكن لاحد ان ينزله على الشعر ويعارضه به كنت فعلت فحيث لم يتيسر لى لايتيسر لغيرى والمراد ابطال كونه سحرا وكهانة فلذا عقبه بقوله (وانه) اى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (لصادق) فى قوله انه كلام معجز من عند الله (وانهم) اى الكفرة (لكاذبون) فى جميع ماقالوه ونسبوه له من الاباطيل وتتمة الخبر انه قال لاتيس هل انت كاف حتى انطلق فانظر قال نعم وكن على حذر من اهل مكة ما تطلقت حتى اتيت مكة فقلت لرجل اين هذا الذى تدعونه الصابى فاشار اليه فمال على اهل الوادى يرجمونى حتى حرجت معشيا على ثم اتيت زمزم فتسربت منها وغسلت الدم ودخلت تحت استار الكعبة ولبثت نحو ثلاثين ليلة ومالى طعام الا ماء زمزم فسمنت وما وجدت جوعا فبينما انا فى ليلة وامرأتان تطوفان وتدعوان اسافا ونائلة فلما رأياني ولتا وانطلقتا فاستقبلهما ابو بكر ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ها بطين من الجبل فقالا ما لكما قالتا صابى بين الكعبة واستارها فجاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وابو بكر فاستلما الحجر وطافا ثم صليا فاتيته وحييته بتحية الاسلام وكنت اول من حياه بها فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته فمن انت قلت من غفار فرفع رأسه ثم قال متى كنت ههنا قلت منذ ثلاثين ليلة ويوم قال فما كان طعامك قلت ماكان لى طعام الا ماء زمزم فسمنت حتى تكسرت عكن بطنى فقال انها مباركة انها طعام طعم وشفاء سقم فقال ابو بكر يارسول الله ائذن لى فى طعامك الليلة فانطلقت معهما حتى فتح ابو بكر بابه وجعل يعيض لى من زبيب الطائف فكان ذلك اول طعام اكلت بمكة ثم اتيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال انى وجهت الارض ذات نخل ما احسبها الا يثرب فهل انت تبلغ عنى قومك لعل الله ينفعهم بك ويواجرك فانطلقت حتى اتيت اخى انيسا فقال لى ماصنعت قلت اسلمت وصدقت فقال مابى رغبة عن دينك فانى اسلمت وصدقت ثم اتيت امى فقالت مثله ثم احتملت واتيت قومى فاسلم بعضهم قبل ان يقدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

المدينة وكان يؤمنا حناف وهو سيد قومه فلما قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة اسلم بقية قومه وجاءت اسلم فقالوا يارسول الله نسلم على الذى اسلم عليه اخوانا فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم غفار غفر الله لها واسلم سالمها الله وهذا خبر اسلامه باختصار (والاخبار فى هذا) الذى ذكر من اعتراف الدلعاء بالعجازه وانقياد من هداه الله تعالى منهم للايمان به (صحيحة كثيرة) مع اختلاف انواعها ورواياتها (والاعجاز) لجميع الخلق بتعجيزهم عن الاتيان بمثله (بكل واحد من النوعين) الذين ذكرهما والنوع الاول منهما (الايجاز والبلاغة بذاتها) اسارة الى قوله فى اول هذا الفصل اولها حسن تأليفه والتيام كلمه وفصاحته ووجوه ايجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب وحاصله ان اعجازه من نفس جوهر كلامه بكونه فى اعلا طبقات البلاغة والفصاحة بحيث يسلم عن ضعف التأليف وتنافر الحروف والكلمات والعجز ونعاية معانى ووجوه يقتضيها المقام وتضمن نكات يعجز عنها طاقة البشر منها والنوع الثانى ما اشار اليه بقوله (او الاسلوب الغريب) يعنى كونه على نمط لايشبه نمط كلامهم المنظوم ولا المنثور فانه ليس بشعر ولا سجع ولا خطب فان وقع فيه من غير تكلف سجع احيانا ونظم حتى ذهب الخطيب فى تكملة العمدة ان النظم الواقع فيه مقصود كالابيات واشعارها التى تقع فى اساء الانشاء نادرا ولا يسمى بها الكلام شعرا لانه لم يقصد بالذات وهو قول غريب وقوله بالذات بمعنى فقط وتعاير النوعين ظاهر وان لم يفرق بينهما بعض الشراح وقال ان فى النوعين تداخلا اذا لم يتصور كونه اسلوبا غريبا دون البلاغة الى آخر ما ذكره مما لاطائل تحته (اذ كل واحد منها) بضمير الواحدة المؤنثة الراجع للبلاغة وفى نسخة منهما مثنى والضمير للنوعين وقيل الاولى اولى وكل مبتدأ خبره (نوع اعجاز على التحقيق) غير محتاج الى الآخر تم بين اعجازه بقوله (لم يقدر العرب على الاتيان بواحد منها) وفى نسخة منهما كما تقدم (خارج عن قدرتها) لانه (مباين) اى مخالف (لفصاحتها وكلامها) لما فيه من وجوه البلاغة التى لاتحيط بها قدرهم ولم تألف طباعهم مع انسجامها وعذوبة الفاظه (والى هذا) القول الدال على ان كل واحد منهما نوع مستقل من الاعجاز كاف فى اباته (ذهب غير واحد) اى جماعة كثيرة (من ائمة المحققين) لعارفين بالبلاغة ووجوه الاعجاز يعنى ان منهم من قال بلاغته باسلوبه الغريب ونظمه العجيب الذى لايشبه كلام البشر ولايطيقه القوى والقدر مع انه بلغتهم وكلماته كلماتهم التى يعرفونها كما قيل فى معنى الحروف فى اوائل السور نحو الم والمر يعنى انه كلام مركب من هذه الحروف التى تركب منها كلامهم فلم يأتوا بمثله (وذهب بعض المقتدى بهم) اسم مفعول بوزن مصطفى (الى ان الاعجاز فى مجموع البلاغة والاسلوب) لاكل واحد منهما وحده (واتى على ذلك) القول الذى

اختاره وشمس اتى معنى استدل فمداه بعلى (بقول محمد) بضم الميم وجوز بعضهم فتحها اى برميه ولايعتد به (الاسماع) بفتح الهمزة جمع سمع بمعنى الاستماع وبمعنى جارحة السمع يقال مج الماء من فيه اذا طرحه ففيه استعارة مكنية وتخييلية تشبيه الاذن الفم و الكلام بالماء فى الرقة والعذوبة وتبريد الحرارة كما قال بعض اهل العصر

* يكاد من عذوبة الالفاظ * تشربه مسامع الحفاظ *

وقال العزى * وتعبير المعتاد يحسن بعضه * كورد حد بالانوف يقل *

(و تنفرعنه القلوب) من النفار وهو الذهاب بسرعة فكان القلوب تهرب منه لعدم قبولها له وهو عبارة عن كونه قول ضعيف مردود ولذا قال فى الاول انه قول الائمة المحققين واشار بالمقتدى بهم الى ان هذا القول له وجه ايضا ليس كالقول بالصرفة (والصحيح ماقدمناه) من ان كل واحد منهما وجه فى الاعجاز كاف فيه (و العلم بهذا كله) اى العلم بايجازه و بلاغته و اساليبه العجيبة على ان القولين (ضرورة و قطعا) بنصبهما اى من سمعه قطع بما عنده من العلم الضرورى فى انه اعلى طبقات الكلام او هو مما يدرك بالذوق و لايدرك الوصف كالملاحة والطريق له تتبع كلام البلغاء وخدمة علم البلاغة الذى يورثه علما ضروريا ولذا قال (ومن تمرس فى علوم البلاغة) اى عرف رسومها ومارسها حتى حصل له ملكة يعرف بها خواص التراكيب ووجوه ايرادها فى طرقها المختلفة فى الوضوح وانواع محاسنها البديعة وهو من علمى المعانى والبيان وتوابعها (وارهف) اى سن وحدد ودقق من قولهم ارهف السيف فهو مرهف اذا سنه ودقق حده (خاطره ولسانه) اى فكره ونطقه بحيث يسهل عليه تصوره والتعبير عنه واصل الخاطر المعنى الذى يخطر على قلب الذى هو محل العقل والفهم و يراد به نفس الفهم و العقل فارهافه ممارسته حتى يتمكن من عمله و اللسان الجارحة ويراد به نفس الكلام فشبه ذلك بالسيف المسنون فى سرعة نفوذه ودقته و ارهف فعل ماض فاعله (ادب هذه الصناعة) اى صناعة البلاغة وعلم المعانى والبيان وادب يورد تارة يكون بمعنى الظرف والحسن والعلم يقال اديب فاحسن تأديبه اى علمه واصله من المأدبة وهو الطعام الذى يدعى له كما قيل الادب مأدبة ما لاحد منها مأدبة ويصح ارادة كل واحد منها واقربها الاخير واما اطلاق الادب على علمى النظم والنثر فولد وان قرب من معناه الاصلى واصل الصناعة معرفة مايزاول بالجوارح كالخياطة ثم شاع فى معنى العلم (لم يحف عليه ماقلنا) اى جميع ماتقدم وان كلا منهما نوع مستقل (وقد اختلف اهل السنة فى وجه عجزهم عنه) اى فى سببه ومنشأه بوجه عجز لصحاء عن معارضته (فاكثرهم يقول) اى قال وعبر به لحكاية الحال الماضية حتى كانها حاضرة (انه) وجه اعجازه ما ش (مما جمع فى قوة حرالته) الحرالة العلطة

والصلابة والقوة يقال حطب حرل ثم يطلق على الكثرة فيقال عطاء جزيل فاستعيرها لاحكام نظمه وهدم ركاكته واضاف اليه القوة اشارة الى انه فى اعلى مراتب الاحكام حتى لايتطرق اليه خلل اصلا ولايختلف نظمه ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ولاحاجة لتفسيره بالقوة ويقال للقوة قوة ويصح اضافتها اليها (و نصاعة العاطه) بفتح النون والصاد والعين المهملتين اى وضوحها وحلوصها ومنه ابيض ناصع وقيل الحرالة القطع ومنه القصاء الجرل اى القاطع للشك ونصاعته باضه وهو تكلف لاداعى اليه وكونه اشارة الى المحسات البديعة لاوجه له (وحسن نظمه وايجازه) لسلاسته وانسجامه (و بديع تأليفه) وتراكيب كلماته المؤتلفة المتواخية (واسلوبه) طريق ملاءته اى لايسلكها كلام غيره وقوله مما جمع مقدم من تأخير متعلق بقوله (لايصح ان يكون فى مقدور البشر) مقدور اسم مفعول او مصدر على وزن مفعول بمعنى القدرة اى لايمكنهم القدرة على مثله لما جمعه مما لاتطيقه قدرتهم (وانه من باب الخوارق) اى جنسها و نوعها يقال هذا من باب هذا وبابته اى من جنسه (الممتنعة عن اقدار الخلق عليها) اى التى لايقدرون عليها كانها امتنعت منهم وابت مطاوعتهم وهو من بليغ الكلام (كاحياء الموتى) بفتح الميم جمع ميت وهذا مما وقع لعيسى عليه الصلاة والسلام وابراهيم الخليل صلى الله تعالى عليه وسلم (وقلب العصا حية) كما وقع لموسى عليه الصلاة والسلام وسيفا حديدا كما وقع لنبينا واطلقه المصنف رحمه الله تعالى ليشملهما فيكون فيه ذكر لمعجزة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم هو المناسب لقوله (وتسبيح الحصا) فى كفه صلى الله تعالى عليه وسلم كما ثبت فى معجزاته ثم ذكر مذهبا آخر فقال (وذهب الشيخ ابو الحسن) الاشعرى امام اهل السنة وقد تقدم بعض من ترجمته (الى انه) اى القرآن المعجز (مما يمكن ان يدخل مثله تحت مقدور البشر) اى انه فرد من افراد الكلام البليغ داخل فيه مندرج فى جنسه ومثله قولهم الحيوان جنس تحته الانسان والفرس وهو تجوز معروف (و يقدرهم الله عليه) عطف تفسير لما قبله على مذهبه من خلق الافعال (و لكنه لم يكن هذا) فيما مضى (ولايكون) فى الحال والمستقبل (فمنعهم الله عن هذا) اى عن معارضته والاتيان بمثله وهذا هو القول بالصرفة وفيه اختلاف ايضا فقيل معناه ان فيهم قدرة على التكلم بمثله وعندهم بوجوه البلاغة واساليبها حائدة التحدى لكن الله صرفا دواعيهم عن ذلك مع توافر اسبابها من التقريع و التبكيت وتكرير الطلب وهو قول النظام والاستاذ من اهل السنة وقيل بل سلبهم الله عند التحدى القدرة والعلم بعلوم البلاغة فاذا ارادوا ذلك لم يقدروا عليه و تسمية التحدى صرفا بحسب ظاهر حالهم وما علم من اقتدارهم وهذا مذهب المرتضى علم الهدى من الشيعة ونقل عن الاشعرى الا انه لم يستهر عنه وكلام المصنف محتمل للوجهين فان قلنا هذا اشارة الى الاتيان

بمثله فهو المذهب الاول وان قلنا الاقتدار فهو الثاني وحمله بعضهم على الثاني وقال يحتمل ان يكون المراد بابي الحسن رجل آخر غير الاشعري ولا حاجة لمثله من التكلف (وعلى الطريقين) بل الطريق من اعجازه ببلاغته واسلوبه والصرفة (فعجز العرب عنه ثابت) محقق مع كمال بلاغتهم وفرط تهالكهم ونفخ عنادهم لاطفاء نوره ومارادوه الا اشتمالا واصاءة (واقامة الحجة عليهم) بتكليفهم باقل قليل منه (مما يصح) اي يمكن وينبغي فانه ورد بهذا المعنى في اللغة (ان يكون في مقدورهم) على مذهب الاشعري (وتحديهم) مصدر مضاف لمفعوله اي طلب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من العرب الفصحاء (ان يأتوا بمثله) اي مثل القرآن في البلاغة وعجز العرب مبتدأ خبره ثابت واقامة مبتدأ خبره (قاطع) بعجزهم عما لاريب فيه (وهو) اي ماذكر والتحدي عما هو مقدورهم (ابلغ في التعجيز) بغيره مما لايقدرون كاحياء الموتى (واحرى) افعل تفضيل بحاء وراء مهملتين بمعنى احق واولى (بالتقريع) وهو التوبيخ والتعيير من القرع بالحصا وهو الضرب (والاحتجاج بمعجز بشر مثلهم) من جنسهم واهل لغتهم (بشيء ليس من قدرة البشر لازم) على القول الاول من اجباره عادته وصرفه (وهو) اي المذكور من عدم قدرتهم (ابهر آية) اي اظهرها واعلبها لسائر الآيات الباهرة لارتفاع شانه وعلوه في مرتبة لايدانيها كلام بليغ كما مر تفصيله (وافع دلالة) بالنصب على التمييز والجر على الاضافة والدلالة بكسر الدال مصدر او بمعنى الدليل وافع من قمعه اذا قهره وردعه واذله لحزمهم عن معارضته (وعلى كل حال) من الاحوال السابقة اي سواء قلنا بانه معجز ببلاغته او بالصرف عن معارضته فقد عجزوا (فاتوا في ذلك بمقال) اي لم يسمع منهم كلام عارضوه به ولو صدر منهم ذلك شاع وذاع (بل صبروا على الخلاء) بفتح الخاء والمد وهو ترك الوطن والمال (والقتل) لفرط عنادهم وعدم انقيادهم (ويجرعوا) اي شربوا جرعة بعد جرعة (كاسات) جمع كأس وهي ما يشرب به الخمر ونفس الخمر (الصغار والذل) بفتح الصاد المهملة وهو المذلة فالعطف تفسيري وفيه استعارة تصريحية اومكنية اي صبروا على التحقير والاهانة وتجرعوا غصصها (وكابوا من شموخ الانف) بفتح الهمزة والمد وضم النون جمع انف كذا ضبطوه ويجوز فتح الهمزة وسكون النون بالافراد والشموخ بضم الشين المعجمة مصدر شمخ اذا ارتفع وهو كناية عن غاية التكبر والجملة حالية بتقدير قد (واباءة الضيم) بكسر الهمزة والموحدة والمد مصدر ابى اذا امتنع مما يكرهه والضيم الذل والتحقير (بحيث لايؤثرون) بالمثلثة اي لايرضون (ذلك) اي الذل والضيم (اختيارا) اي لاختيارهم وعدم حبرهم وقهرهم (ولايرضونه الا اضطرارا) اي قسرا والجاء عطف تفسير لماقبله ونصبهما على التمييز اوالمفعول المطلق (والا)

عن كتب من ان الشرطية ولا النافية اى واب لم يكن الامر كما ذكر (فالمعارضة) للقرأن بالاتيان بمايماثله (لوكانت من قدرتهم) بضم القاف وفتح الدال المهملة جمع قدرة اى لوكانت المعارضة مقدورة لهم (والسعى بها اهون عليهم) حملة حالية اى استعالهم معارضته اسهل عليهم من الصبر على ماذكر (واسرع بالبحح) بضم الموحدة وسكون الجيم وحاء مهملة وهو الطمر والفور بمطلوبهم وهو ابطال الحجة عليهم (وقطع العذر) اى قطع ما اعتذروا به من عدم المعارضة من الاعذار الفاسدة (وافحام الخصم) اى اسكاته بما قرعهم به (لديهم) اى عندهم وهو متعلق بجميع ماقبله من اسرع واهون وقطع وافحام (وهم من لهم قدرة) تمييز والجملة حالية وليس قدرة حال بمعنى مقتدرين كما قيل لتكلمه وهم مبتدأ اول ومن استفهامية وهم الثانى خبره او بالعكس على المذهبين والجملة خبرهم اى وهم اى شئ هم اى هم امر عظيم لايقدر قدره ولايعلم كنهه وهو من ابلغ المدح كقولهم زيد ومايزيد كقوله تعالى الحاقة ما الحاقة وهو مشهور كما فى كلام العرب والعجم وقد يقال [illegible] بدون من اى هم القوم المعروفون بالبلاغة وشهامة النفس واباءة الضيم الذين لايعادلهم فيه احد فماهيك بما اوقعهم فى حضيض الذل ومزقهم الصبا والدبور ايدى سبا (على الكلام) متعلق بقدرة (وقدوة) اى مقتدى بهم وهو منصوب رواية ودراية معطوف على قدرة (فى المعرفة به) اى بمعرفة الكلام وصياغته لسلامة فطرتهم وصفاء قريحتهم (لجميع الانام) متعلق بقدوة واتى به للقافية اى هم فى كل ذلك ائمة مقتدى بهم لاتبعا لغيرهم فكيف عجزوا ورضوا بما رضوا ثم انهم لما ذكر سئمم انفسهم وتكررهم ربما توهم متوهم ان تركهم للمعارضة لعدم تنزلهم وعدم مبالاتهم فدفعه بقوله (وماسهم) احد (الا من جهد) ماض برئ صرف فالاستثناء مفرغ عن عام مقدر (جهده) بفتح الجيم وضمها الطاقة والمشقة وقيل الجهد بالفتح المشقة وبالضم الوسع وقيل الجهد بالضم ما يجهد الانسان فيه اى يجتهد فيه ويتعب نفسه كقوله تعالى لايجدون الا جهدهم فالمعنى انهم بذلوا ماعندهم فى الطلب فلم يقدروا على شئ منه (واستفيد ماعده) بالدال المهملة اى استفرغ ما فى طاقته وقوته (فى احصاء طهوره) اى القرأن اوالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم (واطفاء نوره) ويأبى الله الا ان يتم نوره ولوكره المشركون (فاخلولوا) اى اطهروا من جلاء العروس على المنصة بزينتها لذكر البنات بعده (فى ذلك) اى ماحتشدوا فيه وحاولوه (حبيئة) بفتح الحاء المعجمة وكسر الباء الموحدة وسكون المثناة التحتية والهمزة والهاء فعيلة بمعنى مفعولة اى مختبأة فى ضمائرهم ومستورة تحت استار سرائرهم (من بنات سفاههم) اى كلمة لفظوا بها سفهت بالبنت والسفة بالام لظهورها منها وهى استعارة مشهورة

مكية اومصرحة (ولا اتوا بطعة) بضم النون وسكون الطاء المهملة والفاء وهى الماء الصافى من نطف بمعنى صب والناطف السائل والمراد القطرة القليلة وفى بعض النسخ نقطة بالقاف مقدمة على الطاء وتسمى اللؤلؤة نطفة ايضا كما قاله الراغب والنطفة تطلق على قليل الماء وعلى كثيره كما جاء فى الحديث فجاء رجل بنطفة فى اداوة وهو المراد هنا (من معين مياههم) المعين الماء الجارى ظاهرا والميم زائدة من العين وقيل انها اصلية من معن بمعنى سار فى الارض ومياه جمع ماء واصله موه اى لم يقدروا على شئ مما طلب منهم وهو استعارة مصرحة مرشحة اومكنية اى مع مالهم من موارد فصاحتهم وجارى كلامهم لم يجدوا قطرة من عذب قطراته (مع طول الامد) اى اتساع زمن التحدى (وكثرة العدد) من فصحائهم (وتظاهر) اى تعاون ومساعدة (الوالد وماولد) اى الكبير والصغير وهذا دفع للشبه وازالة الاعذار اذ لو ضاق الزمان وقل الاحوال كان لهم معذرة ما (فلم يلبسوا) بالياء للفاعل وفتح الهمزة يقال ألبس اذا آيس قيل ومنه ابليس لأيأسه من رحمة الله تعالى ولو كان اسمه عزازيل ويكون بمعنى الانكسار والحزن والمراد الاول (فما بسوا) بنون وباء موحدة مفتوحة مخففة وورد بتشديدها كما فى قوله * ان كنت عير صائد فبس ومعناه نطقوا قيل هو مختص بالنفى واورد البيت المذكور وقد يقال المخصوص بالنفى المخفف فتدبر (ومنعوا) بالياء للمجهول (فانقطعوا) عن المعارضة لعجزهم وقد يقال هذا اشارة الى القولين فالبسوا مما بسوا يشير لعجز طاقتهم عن بلاغته ومنعوا اى منعهم الله ايماء للصرفة وفى الارشاد لامام الحرمين فان قيل ان العرب لم تترك المعارضة للعجز بل لعدم الاكتراث به قيل هذا ركيك من القول لا يخطر ببال عاقل وقد كانوا اذا قال شاعر شاعرا فى حقهم هاموا المعارضة فكيف وقد وبخوا اشد توبيخ وحقرت اصنامهم وسفهت احلامهم وقوتلوا حتى بكست اعلامهم وقد مر ما بهنا لك عليه من اشارة المصنف رحمه الله تعالى لهذا وجوابه والاصرار لتوكيد فى المعارضة كما يقال ما تكلم زيد بل سكت عجزا (فهذان نوعان من اعجازه) الاشارة الى اعجازه بنفس كلامه وحواصل تراكيبه وبصورة نظمه واسلوبه ولم يلتفت للصرفة لضعف القول بها عنده كما تقدم * (فصل الوجه الثالث من وجوه الاعجاز) * اى اعجاز القرآن الكريم بوجه آخر غير الوجهين السالفين اوغير الوجوه الثلاثة (ما انطوى عليه) اى اشتمل عليه ووقع فى ضمنه (من الاخبار) بكسر الهمزة مصدر (بالمغيبات) بفتح الياء المثناة التحتية المشددة جمع مغيب اومغيبة اسم مفعول وهو شامل لما سبق مما لم يدركه هو ولا اهل عصره وما سيقع بعد ذلك مما لا يعلمه الا الله والمراد هنا الثانى لان الاول يمكن الوقوف عليه فلذا عطف قوله (وما لم يكن ولم يقع) فى فسره بما كان ووقع من القرون الماضية بناء على ان الاصل فى العطف التغاير فقد خالف كلامه الاتى من جمع

بما تمثل به وان كان صحيحا فى نفسه لاندراجه فيها (عوحد) بعد ذلك مطابقا لخبره ومصدقا له وعبر عنه بالماضى وان كان مستقبلا بالنسبة لما قبله (على الوجه الذى اخبر) به فى هذه الآية (كقوله تعالى) فى سورة الفتح (لتدخلن المسجد الحرام) اللام داخلة على جواب قسم مقدر للتأكيد والتحقيق (ان شاء الله) علقه بالمشية مع تحققه تعليما للعباد اوتلويحا بعدم دخول بعضهم لموته اوغيبته او حكاية لما قاله ملك الرؤيا اوالنبى صلى الله عليه وسلم (آمنين) حال من فاعل لتدخلن والشرط اعتراض لانه صلى الله تعالى عليه وسلم رأى وهو بالمدينة قبل عام الحديبية انه دخله مع اصحابه واخبرهم بذلك فظنوه انه فى ذلك العام فلما صدهم المشركون عن الدخول شق عليهم ذلك فاخبرهم الله بانه سيقع بعد ذلك وكان كما اخبر (وقوله تعالى وهم من بعد غلبهم سيغلبون) فاخبر الله تعالى ان الروم تغلب فارس بعد مدة اقل من عشر سنين وكان كما اخبر الله به فى كتابه وذلك بان الروم كانوا اهل كتاب وفارس لا كتاب لهم كالمشركين فكان المشركون كلما تحارب فارس والروم يرجون غلبة فارس ويفرحون بذلك تفاؤلا بغلبتهم للمسلمين فبعث كسرى جيشا الى الروم فالتقيا باذرعات وبصرى فغلبت فارس الروم ففرح المشركون وشق ذلك على المسلمين فانزل الله تعالى هذه الآية واخبر ابو بكر رضى الله تعالى عنه المشركين بذلك وقال ستظهر الروم على فارس فلا تفرحوا وقد اخبر الله تعالى نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك فقال له امية بن خلف كذبت فقال بل انت كذبت ياعدو الله فقال اجعل بينى وبينك اجلا عشر قلائص يأخذها الصادق مما فراهنه على ذلك لثلاث سنين واخبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك فقال له مد الاجل وزد فى الرهان فان الله قال فى بضع سنين وهى من الثلاث الى التسع فجعل القلائص مائة الى تسع سنين ففعل فوقع ذلك بعد سبع سنين فاخذ القلائص ابو بكر رضى الله عنه فقال له صلى الله عليه وسلم تصدق بها وكان هذا قبل تحريم القمار وانما امره بالتصدق بها لانه قد علم حتمها لانها ستحرم او شكر الله على تصديق مقالته وتكذيب مقالتهم (وقوله تعالى ليظهره على الدين كله) هذا وعد من الله تعالى بان دين رسول الله سيظهر ويعلو سائر الاديان وتقهر امته صلى الله تعالى عليه وسلم جميع الامم فان العزة لله ولرسوله وكان كما قال من غير شبهة وكم شاهدنا من تأييد الله لحزبه ونصرهم مع ما للكثرة من الكثرة فى المال والجند (وقوله وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم الآية) اى ليجعلنهم خلفاء فى ارضه مالكين لها منصورين على اعدائهم وهذه الآية وان كانت عامة المراد بها خلفاء المسلمين لاهل الردة فى خلافة ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه (وقوله اذا جاء نصر الله الى آخرها) اى الى آخر السورة وهذه

الآية وان كانت شاملة لكل فتح لكنها نزلت مبشرة بفتح مكة ناعية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولما نزلت وتلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم على العباس رضي الله عنه فقال مايبكيك ياعم فقال نعيت اليك نفسك فقال انه كما تقول وعبر بالمجيء ايماء الى ان المقدرات متوجهة من الازل الى اوقاتها المعينة لها مترقبة القدوم وفيه من اللاعة مالايخفى ثم اشار الى تفسير ماذكر بقوله (فكان جميع هذا كما قال) الله عز وجل مطابقا لما اخبر به والاشارة الى ماتقدم من المغيبات المخبر بها وكان بمعنى تحقق ووقع بعد الاخبار به ثم فصله على اللف والنشر بقوله (فغلبت الروم) وهم جيل من الناس معلومون (فارس) وهم الفرس اى قوم العجم ويطلق على بلادهم ايضا وهو لفظ معرب فان اريد الثاني فقد اهل وقد تقدم بيانه وهو ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث (في بضع سنين) اى سبع سنين كما مر اى في رأس سبع سنين وآخرها والرأس يطلق على ذلك مع الزمان ويكون بمعنى الاول ايضا (ودخل الناس في الاسلام افواجا) اى جماعات كثيرة بعد جماعات كثيرة وفوجا بعد فوج لما اعز الله الدين ويسر اعلامه في الخافقين وهذا اشارة لما في سورة النصر السالفة (فاقامت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وفي بلاد العرب كلها موضع لم يدخله الاسلام واستخلف الله المؤمنين في الارض) اى جعلهم خلفاء لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم بعده وآخر هذه الآية عن ذكر سورة النصر لان الاستخلاف وقع بعد ذلك الدخول وان تقدمت فيما ذكر قبله وهذا مبني على عموم الذين آمنوا في قوله وعد الله الذين امنوا الآية لجمع الامة وعدم اختصاصها بابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه كما تقدم (ومكن فيها) اى في الارض (دينهم) وهو دين الاسلام اى جعله متمكنا قارا الى يوم القيامة يقال مكنه ومكنت له فتمكن وهو في الاصل من المكان (وملكهم اياها) اى الارض لان اشرف المعمور منها في ايديهم وباقيها في انقياد لهم فهم بالقوة كالمالكين لها اوانه باعتبار ماسيكون بعد نزول عيسى ابن مريم عليه الصلوة والسلام الى الارض على دينه معدودا من امته صلى الله تعالى عليه وسلم ولذا قال (من اقصى المشارق الى اقصى المغارب) اى ابعد مكان من جانب المشرق الى ابعده من جانب الغرب وقدم المشارق اقتداء بالكتاب والسنة او لشرفه لانه محل الرسل وفيه الاراضي المقدسة وقد وقع للادباء مفاخرة بينهما فقال محيي الدين بن عنين * من اين للغرب فضل الا لمن يتعالى * والشمس تفقد فيه * والبدر يلمى هلالا * دلائل النقص فيه * فكيف يحوي الكمالا * وقال

* فلا تبخس الشرق حقا وخذ * من الوصف فيه على ما اتفق *
* مهب الصباء ومفيد الضياء * ووجه الزمان ونعم العلق *

وعارضه الودا عي رحمه الله تعالى فقال

* الغرب خير وعند ساكنه * امانة اوجبت تقدمه *
* والشرق من نيريه عندهم * يودع دينارة ودرهمه *
ثم انصف من قال
* حوى كل من الافقين فضلا * يقربه العجم مع العربه *
* فهذا مطلع الانوار منه * وهذا منبع الابواء فيه *

وهذه لحداديه ونفحة مسكية احضرتها (كما قال عليه الصلوة والسلام) في حديث صحيح رواه مسلم عن ثوبان رضي الله تعالى عنه (زويت لي الارض) اي رأى مجمعة و واو وياء مبنى للمجهول اي جمعت وطويت (فاريت) مبنى للمجهول من المريد اي اراني الله (مشارقها ومغاربها) اي جميع اماكنها وما دانيها (وسيبلغ ملك) بضم الميم (امتي ما روى لي منها) وجمع بمرأى عيني وما روى منها هو المشارق والمغارب السالفة وتوهم بعضهم انه غيره واما اول الحديث مخالف لآخره ثم جمع بينهما بان المراد بما روى العموم منها ومامن شانه ان يملك فكانه قال جميعها وفيه ما لا يخفى وقدم المصنف رحمه الله تعالى خبر الله على الحديث رعاية للادب بتقديم الاصل الاشرف (وقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) فاخبر بانه تعالى تولى حفظ القرآن من التبديل والتغيير في سائر الزمان بدلالة الاسمية المؤكدة (فكان كذلك) في المستقبل كما اخبر فلا مبدل لكلماته بخلاف سائر الكتب فانه تعالى وكل حفظها للامم المنزلة عليهم فقال بما استحفظوا من كتاب الله اي طلب حفظه منهم فوقع فيها التبديل والتحريف حتى صارت لا يوثق بما نقل منها والمراد بالذكر القرآن (لا يكاد يعد) بالبناء للمجهول اي لا يعد لكثرته (من سعى) اي اجتهد (في تغييره وتبديل محكمه) ويكاد بمعنى يقرب و نفي القرب من العدد اراد به نفي العدة وقال تبديل محكمه دون تبديله ارشاد الى ما به من تبديله وقوله (من الملحدة) بيان لمن اي من الطائفة الملحدة من الالحاد وهو الميل كما مر سموا بذلك لعدولهم عن ظواهر الشريعة وتأويلها بامور سخيفة ويسمون باطنية وهم الاسماعيلية وزعم بعضهم ان مصحف عثمان رضي الله تعالى عنه نقص منه بعض القرآن كما ذكره القرطبي في اول تفسيره (والمعطلة) الذين نفوا الصانع وتستروا برى الاسلام حوها من القتل وسعوا في نقض الدين وترين ما يروح على بعض العقول القاصرة (لا سيما القرامطة) هم طائفة من الملحدين ايضا قال السمعاني في الانساب القرمطي بكسر القاف وسكون الراء وكسر الميم والطاء المهملة نسبة لطائفة حسنة وهم من اهل هجر والحسا واصلهم رجل من سواد الكوفة يقال له قرمط وقيل حمدان ابن قرمط وسبب ظهورهم ان جماعة من اولاد بهرام جور ذكروا آباءهم وحدودهم وما كانوا فيه من العز والملك وزوال ذلك بدولة الاسلام في ايام ابي مسلم الخرساني ونقله

الخلافة المروانية وهو من الموالى وهم من اولاد الملوك فاتفقوا على رفع الاسلام وقالوا ينبغى ان نفرقهم ونفسد الرعايا عليهم فقسموا الدنيا اربعة اقسام لكل ربع رجل منهم واحد ذهب الى الكوفة فاول من اجابه حماد بن قرمط فاعانه على الدعوة وقيل انما سموا قرامطة لان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم رأى عامرا يمشى وهو من اهل المدينة فقال انه ليقرمط فى مشيه انتهى اى يقارب خطاه ومنه الخط المقرمط وعلى هذا فهو عربى وقيل انه معرب وان جدهم كان يسمى كرمد فغيروه وعربوه وكان رجلا احمر العينين من سواد الكوفة فالكاف عجمية فى الاصل من الكرمية وهى الحمرة وكان ظهوره فى سنة ثمان وسبعين ومائتين فلم يزل يظهر الصلاح حتى اجتمع عليه الخلق فزعم ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بشره وانه الامام المنتظر فابتدع مقالات وزعم انه انتقل اليه كلمة المسيح وجعل الصلوة ركعتين بعد الصبح وركعتين بعد المغرب والصوم يومين بالنيروز والمهرجان فكانت له وقايع وحروب ودعاة وخلفاء مذكورة فى التواريخ حتى ظهر منهم سليمان ابن الحسن الجنابى فعاث فى البلاد وافسد وقصد مكة فدخلها فى يوم التروية سنة سبع عشرة وثلاثمائة فى خلافة المقتدر فقتل الحجاج ورماهم بزمزم وقلع باب الكعبة واحد كسوتها واخذ الحجر الاسود فبقى عندهم سنين ثم ردوه مكسورا فنصب فى محله وقد كان بذل لهم فيه خمسون الف دينار فابوا ولم يزالوا كذلك حتى اخذوا الشام وغيرها حتى قاتلهم جوهر القائد فهزمهم وقتل منهم خلقا كثيرا وكانت مدة خروجهم ستا وثمانين سنة وكانوا يحرفون القرآن ويتأولونه بتأويلات فاسدة لم تقبلها العقول ومابعد سيأتى تحوير فيه وجوه الاعراب الثلاثة كما تقدم بيانه (فاجمعوا كيدهم) بقطع الهمزة والمراد بالكيد الحيلة والمكر فى تحريف القرآن (وحولهم وقوتهم) اى اعملوا حيلهم وبذلوا قوتهم وقدرتهم فى ان يحرفوا القرآن (اليوم) منصوب على الظرفية قيل بتقدير اعد اليوم او بنزع الخافض اى الى هذا اليوم والمراد مطلق الزمان والوقت الحاضر فى زمن المصنف (بيفا) بكسر الياء المشددة وسكونها بعد نون مفتوحة ومعناه الزيادة اى مدة تريد (على خمسمائة عام) وهى مدة سعى هؤلاء فيما ذكر (ما قدروا) فى هذه المدة الطويلة (على اطفاء شئ من نوره) عثيل لحالهم فى سعيهم فى تحريف القرآن بمن اراد اطفاء نور عظيم منتشر فى الافاق (ولا على تغيير كلمة من كلامه) تفسير لما قبله بجعل كلام الله نورا (ولا تسكيك المسلمين فى حرف من حروفه) فضلا عن كلمة من كلامه فهو ترق (والحمد لله) على هذه المنة العظيمة وهى حفظ الله تعالى لكلامه وبقاء رونق نظامه وحيث سعى من سعى فى اطفائه واقتصاح جهلة اعدائه (ومنه) اى مما اخبر به من المغيبات المحررة (قوله) عز وجل (سيهزم الجمع ويولون الدبر) نزلت بمكة فلما رأى الصحابة رضى الله

تعالى عنهم ما المراد بها حتى كان يوم بدر بعد سبع سنين من نزولها فلبس صلى الله تعالى عليه وسلم درعه وهو يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر قال ابن عمر رضي الله تعالى عنهما فعلمت المراد منها اى سيهزم كفار قريش ويولون المسلمين ادبارهم اى يجعلون المسلمين متولين على ادبارهم بالطعن والضرب فعبر عن شدة انهزامهم بابلغ عبارة ففيها الاعجاز لفظا ومعنى (وقوله قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم الآية) اى ينجزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين وفيها من الاخبار عن الغيب ان ناسا من اليمن وبني خزاعة اسلموا وبقوا بمكة بعد الهجرة فلقوا من المشركين اذى شديدا فشكوا ذلك لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال اصبروا وابشروا بفرج قريب فنزلت هذه الآية وكان بعدها ما اوقع الله تعالى بهم من القتل وبصيرة المؤمنين التي شفيت بها صدورهم وخرابهم بالسبي والجلاء وشتات نعمهم (وقوله هو الذي ارسل رسوله بالهدى الاية) فيها اخبار بالغيب من ظهور دينه على سائر الاديان على رغم انفهم وقد تقدم الكلام على هذه الآية (وقوله لن يضروكم الا اذى) اى لايقدرون عليكم الا باذية يسيرة كالطعن فيهم وتهديدهم (وان يقاتلوكم الآية) اى يولوكم الادبار ثم لاينصرون فاخبر انهم كلما قاتلوا علوا وكانت عاقبة النصر لما عليهم والامور بخواتيمها والحرب سجال (فكان كل ذلك) اى وقع كما اخبر الله تعالى به قبل على طبق خبره من هزيمة جموعهم وتعذيبهم بما يشفي صدور المؤمنين واظهار دينه وتولية الدبر كل من قاتل منهم (و) مما في القرآن من المغيبات (ما فيه) اى القرآن (من كشف اسرار المنافقين) اى اظهار ما اخفاه المنافقون في قلوبهم مما لايعلمه الا الله تعالى مما انزله في حقهم في سورة المنافقين (و) كشف اسرار (اليهود ومقالهم) اى اظهار ما قالوه فيما بينهم وهم يظنون انه لايشعر به غيرهم (وكذبهم في حلفهم) اى كذب المنافقين وقسمهم عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على مقالتهم انها صادقة والله يعلم انهم لكاذبون كما ذكر في سورة المنافقين ومثله كثير في القرآن (وتقريعهم بذلك) اى توبيخ الله تعالى اياهم بسبب ما قالوه وحلفهم بايمان فاجرة ثم مثل لما ذكر فقال (كقوله) عز وجل (ويقولون في انفسهم) اى قول اليهود فيما بينهم وفي خلوة تناجيهم (لولا يعذبنا الله بما نقول) اى هلا يعذبنا الله بقولنا في حق محمد اوكان نبيا دعا علينا حتى نعذب او بما كانوا يقولون هم والمنافقون فيما بينهم في حق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والمسلمين فاخبر الله تعالى بذلك وفضح سرائرهم وراد قوله حسبهم جهنم يصلونها وبئس المصير (وقوله تعالى يحلفون في انفسهم مالايبدون لك الآية) يعني انهم يسرون في ضمائرهم عن ما يظهرونه لك اذا اتوك وهذا بيان لحال المنافقين ومكرهم والذين ادعوا قولهم يوم احد وقد غشيهم النعاس

ولم يكن لهم هم غير تخليص انفسهم من القتل وقال بعضهم لبعض فى خلوة من المؤمنين لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ها هنا الآية فاعلم الله رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك فاخبرهم بما قالوه وهو من جملة المغيبات (وقوله) عز وجل (ومن الذين هادوا سماعون للكذب الآية) اى سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه (وقوله من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بالستهم وطعنا فى الدين) دعا عليهم بالصمم او بالموت اولا تسمع ما ندعيا اليه فاخبره الله تعالى بتحريفهم كتابهم ومقالتهم وعدم اطاعتهم وهو من الاخبار بالغيب الدال على اعجاز القرآن وهذا فى حق اليهود وفى الآية كلام مفصل فى التفاسير واحتمالات اخر ووجوه من الاعراب ليس هذا محل تفصيلها وقوله فى هذه الآية وراعنا ليا بالستهم وطعنا فى الدين اى بالتكذيب والاستهزاء والسخرية فهذا اخبار بالغيب عما كان اليهود يقصدونه من التحقير ويرمزون به فى صورة التوقير فيقولون راعنا وصفاله صلى الله تعالى عليه وسلم بالرعونة موهمين التماس نظره ورعايته لهم مكرا منهم وليا بالستهم وكلامهم (وقد قال) الله تعالى حال كونه (مبينا) بالياء اى مظهرا (ما قدره الله) وقضى به (واعتقده المؤمنون) من الظفر باحدى الطائفتين العيرا والنفير (يوم بدر) اى فى وقعتها لان اليوم يطلق على ذلك فى قولهم ايام العرب كما تقدم وهو من المغيبات التى اخبرهم بها بقوله (واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم) بدل مما قبله (وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم) الشوكة مستعارة من الشوك المعروف للقوة والحدة لكثرة السلاح والرجال ومنه شاكى وشاك السلاح للرجل المستعد للحرب بالآية وهذا اخبار للمؤمنين بامر وقع فى انفسهم ودوه واحبوه وهو مغيب عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اعلمه به جبريل عليه الصلاة والسلام فلما تلاه عليهم زاد ايمانهم باعجاز القرآن وذلك ان المسلمين لما علموا بقدوم عير المشركين اموالهم من التجارة واحبوا الخروج اليها علم الكفار بذلك فخرج ابوجهل بمقاتلة مكة وهم النفير ولما علم ابو سفيان بخروج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لذلك احد بالعير الى جانب ساحل البحر فقيل لابى جهل ارجع بالناس فابى وسار بمن معه الى بدر فوعد الله تعالى نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم باحد الامرين الظفر بالعير او قتل النفير وكانت الصحابة رضى الله تعالى عنهم يودون فى انفسهم احد العير لما فيها من المال وقلة ما عندهم من السلاح والرجال فقد ر الله تعالى انهم يلقون العدو ليقطع دابر الكافرين فقتل صناديدهم وايد الله المؤمنين واعز الدين (ومنه) اى من اخباره بالغيب فى كلامه المعجز (قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين) وهم خمسة من الكفار او سبعة كانوا يؤذونه صلى الله عليه وسلم اشد الاذى ويسخرون به فاخبره

الله تعالى بهلاكهم سريعا وكفايته امرهم قبل وقوعه فكان كما قال وهذا من جملة المغيبات التي اخبر بها رسوله كالذي قبله ولذا جعلهما في قرن كما اسار اليه في سبب نزول هذه الآية كما رواه الطبراني في الاوسط (فلما نزلت) هذه الاية عليه صلى الله عليه وسلم (بشر بذلك اصحابه) اي بهلاكهم لما كان عندهم من الالم من شدتهم فاخبرهم (بان الله تعالى كفاه اياكم) باهلاكهم (وكان المستهزؤن نفرا بمكة) من اهلها (يتعرون الناس عنه) صلى الله عليه وسلم بطعنهم واستهزائهم (ويؤذونه فهلكوا) وهم الاسود الزهري بن عبد يغوث والاسود بن عبد المطلب والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل السهمي وعدي بن قيس وقيل منهم الحارث بن غيطلة وفكيهة ابن عامر الفهري والحارث بن الطلاطلة ذكرهما الماوردي في اعلام النبوة وروى ان جبريل اخبره صلى الله تعالى عليه وسلم بهلاكهم وكيفيته وقد مر وابه رجلا رجلا وكيفية هلاكهم مفصل في السير وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انهم هلكوا في ليلة واحدة والذي ذكره غيره انهم هلكوا في ايام متقاربة بعد مادعا عليهم بفناء البيت فاجاب الله تعالى دعوته صلى الله تعالى عليه وسلم وانزل عليه الاية كما قال في الهمزية

* وكفاه المستهزئين وكم ساء * نبيا من قومه استهزاء *
* فرماهم بدعوة من فناء البيت * فيها للظالمين فناء *
* خمسة كلهم اصيبوا بداء * والردا من حنوده الادواء *

(و) من الاحسان بالعبد (قوله والله يعصمك من الناس) اي يحفظك من جميع الناس الذين يريدون بك سوء وكان الصحابة يحرسون النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في اسفاره فلما نزلت منعهم من الحراسة ومر ان هذا لا ينافي ما اصابه صلى الله تعالى عليه وسلم باحد لان الآية نزلت بعدها او المراد حفظه من القتل كما فصله الخيضري في خصايصه (فكان كذلك) اي محفوظا معصوما كما اخبر الله تعالى وكان هنا تامة وكذلك اي وقع ووجد كما اخبر به اوناقصة وكذلك خبرها وقوله (على كثرة من رام) اي قصد (ضره) مفعوله وفسره بقوله (وقصد قتله) اشارة الى ما تقدم عن الخيضري من ان العصمة انما هي عن القتل لا عن غيره من انواع الاذى كما مر (والاخبار بذلك معروفة صحيحة) كما في صحيح مسلم عن جابر ابن عبد الله قال غزونا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قبل نجد فادركنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في واد كثير العضاة فنزلت تحت شجرة فعلق سيفه بعض من اغصانها وتفرق الناس في الوادي يستظلون بالشجر فاتاه رجل وهو صلى الله عليه وسلم نائم فاخذ السيف فاستيقظ وهو قائم على رأسه والسيف مصلت في يده فقال له من يمنعك مني قال الله ثم قال ذلك ثانيا فقال الله فشام السيف قال وها هو جالس ثم لم يعرض له رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ملك قومه

فانصرف حين عاعه وقال والله لا اكون فى قوم هم حزب لك و مثله كثير

﴿فصل الوجه الرابع﴾ من وجوه الاعجاز القرأنية (ما انبأ به) اى ما اخبر الله به (من اخبار القرون السالفة) هو جمع قرن وهم اهل كل عصر وزمان من الاقتران لاقتران زمانهم واحوالهم فقيل هو اربعون سنة وقيل ثمانون وقيل مائة وقيل هو مطلق الزمان اى اخبار الامم والملل المتقدمة والبلاد البعيدة مما لا يطلع عليه الا من تتبع التواريخ اوساح فى اقطار الارض وقد عمر عمرا طويلا وكلا الامرين منتف فى حقه صلى الله عليه وسلم (والامم البائدة) الهالكة الذين افناهم الموت وطحنتهم رحى الدهر حتى اندرست آثارهم (والسرايع الدارة) بدال مهملة وثاء مثلثة من درّ اذا اندرس ولم يبق له اثر والدثور ورد بمعنى النسيان فالمراد معرفته بالشرايع القديمة التى نسبت ونسخت احكامها من تدرّ بثيابه اذا تلعف بها وفى تعبيره نوع من البلاغة تسمى التفنن لان السالفة والبائدة والداثرة متعاورة اللفظ متقاربة المعانى (مما كان لا يعلم به القصة الواحدة) بيان لما فى قوله من اخبار على حد قوله تعالى كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا على ما حقق فى شروح الكشاف (الا الفذ) العذ هو الفرد والشاذ وهما بمعنى وكلاهما بدال معجمة وفى الحديث لا تدع شاذة ولا فاذة (من اخبار اهل الكتاب) اخبار جمع خبر بكسر الخاء المهملة وفتحها وسكون الموحدة وراء مهملة ومعناه العالم الحافظ الواسع علمه والعرف يخصه بعلماء اهل الكتاب ومنه كعب الاحبار التابعى المشهور ويقال له كعب الخير ووجه اطلاقه انه من الخبر وهو المداد الذى يكتب به واليه نسب كعب المذكور فقيل كعب الخير لكثرة كتابته بالخبر حكاه الازهرى وعن الفرا الخبر العالم والجمع احبار مثل حمل واحمال ويقال الاحبار ايضا اى عالم العلماء وكذا فى تهذيب الاسماء للنووى وحينئذ فلا عبرة بقوله فى القاموس كعب الخبر بالفتح ويكسر ولا بقول كعب الاحبار (الذى قطع عمره فى تعلم ذلك) اى تعلم احبار من سلف وشرايعهم فاذا كان لا يعلمه الا من قرأه ودرسه طول عمره واما من كان اميا فى امة امية لم يقارن من له علم بذلك فعلمه به واحباره مفصلا امر خارق للعادة فى حقه محال لا لذاته بل لذاته (فيورده) متفرع على قوله انبأ اى اذا اخبر به النبى فى الوحى المتلو المنزل عليه يورده اى يذكره (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على وجهه) حال من الفاعل او صفة مصدر مقدر اى ايرادا كائنا على وجهه اى على اتم حال يليق به وينبغى له كما يقال دبر الامر على وجهه كما فى الاساس (ويأتى به على نصه) اى فى غاية مرتبة من كماله ورفعته يقال بلغ الشئ نصه اى نهايته كما فى الاساس لان معنى نص رفع ومنه المنصة وفيه تورية لان عبارة القرأن تسمى نصا (فيعترف العالم بذلك بصحته وصدقه) اى من يعلم تلك الاحبار والسرايع

اذا سمعها ممن لم يسمع بها علم صحة كلامه وصدقه فيما قاله (او ان مثله) اى مثل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم او مثل هذا الكلام (لم يتله) اى لم يصل اليه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (بتعليم) اى من البشر بل بوحى من الله تعالى (وقد علموا) اى علم الناس من المسلمين والمشركين (انه صلى الله تعالى عليه وسلم امى) اى لايعرف القراءة ولا الكتابة فقوله (لايقرؤ ولا يكتب) صفة له مفسرة وموضحة وقول النحاة الجملة المفسرة لامحل لها من الاعراب ليس على اطلاقه ولما كان هذا لايكفى لاحتمال ان يسمعه ممن قرأ وكتب قال (ولا يستعل بمدارسة) اى بحفظ وتلق من الافواه (ولا مثابرة) بضم الميم وتليها مثلثة ثم الف وفاء وبون اى مداومة طلب ومجالسة تحتك فيه الركب بالركب حتى يؤثر فيها الاحتكاك وهو عبارة عن كثرة الجلوس مع اهل العلم بالاخبار والسرايع للتعلم منهم وهو مجاز من ثفن البعير اذا برك والثفنة ركبه التى يبرك عليها حتى يغلظ من جلد الارض كثفنته على كذا اذا اعتنه وكان يقال بن عباس ذو الثفنات لطول جلوسه فى طلب العلم اولكثرة سجوده حتى يصير فى جبهته اثر السجود وهذا ابلغ مما قبله وهو الصحيح الموافق لدأب المصنف فى بلاغة وماقيل من انه بمثلثة وقاف وموحدة من نقث رأيه اذا نعذ وذهن ثاقب واى الاول بمعنى الثفنت يد الرجل بكسر العاء اذا علطت من كثرة العمل فهو من تحريف الكتبة الذى لايلتفت اليه من له علم بكلام العرب وان نقله عن بعض السراح وقد تقدم ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان اميا لايقر والخط ولايكتبه وانه من معجزاته ورد ماقيل انه مخصوص باول امره وانه كتب بيده الشريفة عام الحديبية فكان ذلك معجزة له اخرى وقد شنع على قائله علماء الاندلس ونسبوه بالزندقة كما مر مبسوطا غير مامرة (ولم يعب عنهم) اى لم يغب صلى الله عليه وسلم عن قومه غيبة يحتمل انه تعلم فيها ما اخبرهم به (ولا جهل حاله احد منهم) من ولادته صلى الله تعالى عليه وسلم الى وفاته حتى يتوهم تعلمه ذلك من اهل الكتاب (وقد كان اهل الكتاب) اى احبار اليهود والنصارى (كثيرا مما يسألونه) اى فى كثير من الاحيان وهو منصوب على الظرفية ومامزيدة لتأكيد معنى الكثرة اوهو صفة مصدر مقدر اى يسألونه (صلى الله تعالى عليه وسلم) سؤالا كثيرا (عن هذا) اى عن خبر من تقدم من الامم السالفة (فينزل عليه) عقب سؤالهم جوابا لهم (من القرآن مايتلو عليهم منه ذكرا) المراد بالذكر القرآن المذكر لهم (كقصص) مصدر بالفتح اوجمع قصة بالكسر اى سير (الانبياء مع قومهم) فيذكره صلى الله تعالى عليه وسلم لهم مفصلا بابلغ عبارة والطف اشارة (وخبر موسى والخضر) بفتح الخاء وكسر الضاد المعجمتين ويجوز سكون ثانيه مع فتح اوله وكسره وهو ماقصه الله تعالى فى سورة الكهف وموسى هو بن عمران الكليم على الاصح لانبى آخر كما يزعمه اهل الكتاب والخضر هو الياء بن ملكان على اقوال فى الاختلاف فى اسمه وقد اختلف ايضا

فى نبوته ورسالته وانه هل هو حى الى الآن اومات قبل تمام المائة الاولى اوقبل زمانه صلى الله تعالى عليه وسلم واكثر علماء الصوفية على انه حى الى الآن الان الله تعالى اخفاه عنا وقد اطبق اكثر الصالحين على ذلك وانهم يلاقونه ويتحدثون معه وانه يحج فى كل سنة وليس فى ذلك دليل قاطع ولكن حسن الظن يصدق ماقالوه والاكثر انه ولى لانبى ومن العريب ماقيل انه ملك وقيل انه لايموت الا فى آخر الزمان حين يرتفع القرآن وفى صحيح مسلم فى حديث الدجال انه يقتل رجلا ثم يحييه قال ابراهيم ابن سفيان راوى كتاب مسلم يقال انه الخضر وكذلك قال معمر فى مسنده وسمى خضرا لانه اذا جلس على ارض اخضرت له اولانه اذا صلى اخضر ما حوله وفى جامع الاصول عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال صلى الله تعالى عليه وسلم انما سمى بذلك لانه جلس على فروة بيضاء فاخضرت تحته وفى صحيح البخارى من حديث همام بن منبه عن ابى هريره مرفوعا انما سمى الخضر لانه جلس على فروة فاذا هى تهتز من خلفه خضراء والفروة الارض اليابسة اوالحشيش اليابس قال بن فارس الفروة كل نبات مجتمع اذا يبس وقال الخطابى الفروة وجه الارض انبتت واخضرت بعدان كانت جردا (ويوسف واخوته) وهى واسماء اخوته والخلاف فى كونهم انبياء ام لا سيأتى مفصلا وقد كان اليهود سألوه صلى الله تعالى عليه وسلم عنها فانزل الله عليه السورة (واصحاب الكهف) ومعناه المغارة لانهم وجدوا بها واختلف فى مكانها ولهم اسماء يونانية اختلف فى ضبطها وكانوا فروا من ملك يسمى دقيانوس وقصتهم مفصلة فى التفاسير وسبب رولها ان قريشا بعثوا النضر بن الحارث وعقبة بن ابى معيط الى احبار اليهود ليسألوهم عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وامره لانهم عندهم علم من الكتاب الاول فقدموا المدينة قبل الهجرة وسألوهم عن ذلك فقال لهم الاحبار سلوه عن ثلاث فان اخبركم عنها فهو نبى مرسل والافهو متقول سلوه عن فتية ذهبوا فى الدهر الاول ما كان امرهم العجيب وعن رجل طاف مشارق الارض ومغاربها ما كان شأنه وسلوه عن الروح ماهى فان لم يبينها فهو نبى مرسل فمايأتى فسألوه عن ذلك فقال اخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله فانقطع عنه الوحى اياما اختلف فى عددها فارجف بذلك كفار مكة وحزن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم انزل الله عليه ماقصه فى سورة الكهف (وذى القرنين) اختلف فيه وفى اسمه وسبب تسميته فقيل يونانى اسمه هرديس وقيل حميرى اسمه الصعب بن ذى مراثد وفى حطمة لقس بن ساعدة * اين الصعب ذو القرنين * ملك الخافقين * واذل الثقلين * وعمر الغسين * ثم كان كلحظة عين * وهو الاسكندر وسمى ذا القرنين فقيل لانه عمر مدة قرنين وقيل لانه ضرب على قرنى رأسه وقيل لذوابتين له وقيل القرن الشعر وقيل غير ذلك (ولقمان وابنه)

وهو قيمان بن عنقاء بن مرواد كان وليا صالحا قيل انه نبي والاصح خلافه وقيل انه نوبي من اهل ايليا واسم ابيه فاران عذابي قتبة (واسماه ذلك من الانباء والقصص) و الاخبار المذكورة في القرآن عمن مضى من الامم السالفة (وبدء الخلق) اى ابتداء خلق الله للدنيا وما جرى في ذلك مما لا يطلع عليه الا من قرأ الكتب ودرسها وخلقه للسموات والارض (وما في التورية والانجيل) من احكام الشرايع والتوحيد (والزبور وصحف ابراهيم وموسى) من المواعظ والاذكار وذكره لبدء الخلق لما تضمنه من الاخبار عما سلف ايضا من اخبار الامم فلا يرد عليه ما قيل من ان بدء الخلق اخبار عن فعل الله تعالى وهو حديرا بالحاقه بالاخبار بالغيب (مما صدقه فيه العلماء بها) اى الاخبار من اهل الكتاب حين ذكرلهم (ولم يقدروا على تكذيب ما ذكر منها) لكونه مطابقة للواقع ولما عندهم مما لم يمكن انكاره (بل اذعنوا لذلك) فاقروا به واصغوا منقادين له (فمن موفق) اسم مفعول من التوفيق اى الذين سمعوا ما قصه صلى الله عليه وسلم عليهم وعرفوا حقيته منهم من وفقه الله تعالى فهداه و (آمن) بالمد فعل ماض مفتوح الآخر (بما سبق له من خير) اى بسبب ما سبق له في علم الله الازلي وحكم بانه سعيد فسبق فعل ماض بسين مهملة وباء موحدة وقاف والخير هو احسان الله وانعامه عليه بهدايته ويجوز كسر سينه قبل ياء ساكنة تحتية ماض مجهول ساقه اى بما ساقه الله تعالى واوصله اليه من الخير (ومن شقي معاند حاسد) اى اشقاه الله تعالى حتى حمله العناد و الحسد على عدم الانقياد لما علم حقيته كما حمل الحسد ابليس لعنه الله تعالى على ضلاله لما كتب له من الشقاوة الازلية فلم يصدق ولم يؤمن (ومع هذا) العناد والحسد الذي اظهروه (فلم يحك) بالبناء للمجهول ونايب فاعله انه انكر الواقع بعد سطور وهو بالعاء التفريعية تفصيل وتبيين لقوله لم يقدروا على تكذيب ما ذكر منها والمقام مقام اطناب وخطابة فلا وجه للاعتراض عليه بانه لا موقع له بعد ما تقدم اى لم يذكر (عن واحد من النصارى واليهود على شدة عداوتهم له) صلى الله عليه وسلم اى هم مع انهم اشد الناس عداوة له وعلى بمعنى مع قوله وانه لحب الخير لشديد اى على حب الخير لسديد (واحرصهم على تكذيبه) اى على شيء من كلامه يقدرون على نسبته الى الكذب فيه (وطول احتجاجه) عليه الصلوة والسلام (عليهم) اى اقامة الحجة عليهم (بما في كتبهم) المنزلة على انبيائهم عليهم الصلوة والسلام (وتقريعهم) اى توبيخهم وتفضيحهم (بما انطوت عليه مصاحفهم) جمع مصحف بتثليث الميم كما نقل عن ثعلب والفتح غريب من اصحف اذا جمع على الصحف فهي بمعنى الصحف ها (وكثرة سؤالهم له عليه الصلوة والسلام) عما لا يعلمه الا من له تبحر في العلم منهم (وتعنتهم اياه) تفعيل من العنت وهو المشقة والتعب اى تكليفهم بما هو شاق (عن اخبار انبيائهم) متعلق بسؤالهم

(واسرار علومهم) اى الامور الخفية الدقيقة من علومهم (ومستودعات سيرهم) اى سؤالهم عما اودع فى مصاحفهم من سيرا نبيائهم (واعلامه لهم بمكتوم شرايعهم) وفى نسخة بمكنون بدل مكتوم اى اخباره صلى الله تعالى عليه وسلم لمن سأله منهم عن امور مكتومة مخفية عندهم وستروها عن غيرهم (ومضمنات كتبهم) اى ما تضمنتها كتبهم من الاحكام وغيرها (مثل سؤالهم عن الروح) فى الحديث الصحيح الذى رواه الشيخان كما تقدم بيانه (وذى القرنين واصحاب الكهف وعيسى) لما قال علماء اليهود للمشركين سلوه عنها فان سكت او اجاب عن الجميع فليس بنبى وان اجاب عن الاولين و سكت عن الروح ووكل علمها الى الله فانه كذلك فى التورية فهو نبى مرسل (وحكم الرجم) اى سؤلهم له صلى الله تعالى عليه وسلم عن حكم الرجم للزانى المحصن الذى انكروه فبينه لهم صلى الله تعالى عليه وسلم كما فى التورية (وما حرم اسرائيل على نفسه) اسرائيل هو يعقوب عليه الصلوة والسلام ومعناه صفوة الله وكان اليهود سألوه اخبرنا بما حرم على نفسه فقال لحوم الابل والبانها و لعرق وما عليه عرق فصدقوه لانه كان سكن البدو حوفا من اخيه العيص ثم بدا له ان دخل بيت المقدس سليما من الامراض والآفات ان يذبح آخر اولاده واعزهم عليه فلما ستر وقرب منه بعث الله ملكا وكز فخذه فمرض بعرق النساء حتى كان من وجعه ما كان وذلك ثلاثة ايام فحرم ولده فحرم على نفسه مامر لانه يضر عرق النسا وكان ذلك باجتهاد منه والانبياء يجوز لهم الاجتهاد على الصحيح و يعقوب مات بمصر فحمله يوسف عليهما الصلوة والسلام ودفنه عند ابيه بوصية منه (و) سألوه ايضا عن (ما حرم عليهم) اى على بنى اسرائيل (من الانعام ومن الطيبات) من المأكل (كانت احلت لهم) اى حعلها الله حلالا لهم (فحرمت عليهم بعينهم) اى حرمت عليهم عقوبة بسبب ظلمهم يشير الى قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الآية فحرم الله تعالى عليهم مالم يكن منفرق الاصابع من البهائم والطيور كالابل والنعام والاوز والبط و قيل كل ذى مخلب من الطيور وكل ذى حافر من الدواب وحرم عليهم شحم الثرب والكليتين الا ما اتصق بالظهر والجنب كما بينه المفسرون وفصلوه فى سورة الانعام وقوله بعينهم اى بقتل انبيائهم واخذهم اموال الناس بالباطل فقالوا ان الله لم يحرم علينا شيئا فمرلتهذه الآيات تكذيبهم حتى افتضحوا وادعوا (و) مثل (قوله) تعالى (ذلك مثلهم فى التورية ومثلهم فى الانجيل الآية) الاشارة الى قوله تعالى سيماهم فى وجوههم من اثر السجود كزرع اخرج شطأه الى آخر ماذكره فى سورة الفتح فاخبرهم الله تعالى على لسان رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم

كتبهم (وغير ذلك من امورهم التي نزل بها القرآن) مما لا يعلم مثله الا بوحي (فاجابهم) عما سألوه (وعرفهم) بما كتموه (بما اوحى اليه من ذلك) السابق ذكره كله (انه انكر ذلك او كذبه) بفتح همزة ان والمصدر المسبوك منها ومما دخلت عليه نائب فاعل لم يحك وهو ظاهر ثم اضرب عن ذلك اضرابا انتقاليا على سبيل الترقي فقال (بل اكثرهم صرح) اي تكلم بكلام صريح ناطق (بصحة نبوته) اي قال انه صلى الله تعالى عليه وسلم صادق في دعوى النبوة وان له نبوة صحيحة (وصدق مقالته) اي صدق كل ما قاله صلى الله عليه وسلم مما ادعاه ومما نقله عن كتبهم وصدق مصدر مضاف للفاعل ومقالته مجرور او فعل ماض مشدد الدال ومقالته منصوب مفعوله (واعترف بعناده وحسده اياه) اقر بان حمله لما قاله صلى الله تعالى عليه وسلم محض عناد وحسد وافراد ضمير حسده رعاية لافراد لفظ اكثر وروي بضمير الجمع رعاية لمعناه وليس حسده فعل ماض لقوله اياه فانه يأباه (كاهل نجران) بفتح النون وسكون الجيم وراء مهملة قيل اعجمي وهم قوم من نصارى نجران العرب منزلهم بين مكة واليمن على سبع مراحل من مكة سموا بنجران بنجران بن زيدان سبأ وسيأتي الكلام عليهم (وان صوريا) بضم الصاد وراء مهملتين وواو ساكنة قبل الراء ومثناة تحتية مقصور وحوز الفرهاء مده وهو عبد الله بن صوريا وهو حبر من احبار اليهود الذين كانوا بالمدينة وهو الذي وضع يده على آية الرجم وهو لفظ عبراني واختلف في اسلامه فقيل انه اسلم وقيل مات على كفره (وابني اخطب) تثنية ابن واخطب برفع فعل التفصيل بخاء معجمة ساكنة وطاء مهملة مفتوحة وموحدة علم لابيهما وهما حيي بضم الحاء المهملة وفتح الياء المثناة التحتية بليها ياء مشددة وابو ياسر وهما يهوديان من يهود المدينة معروفان ماتا على كفرهما وحيي هذا ابو صفية ام المؤمنين رضي الله تعالى عنها قالت كان عمي ابو ياسر احسن رأيا مني كان يقول الست تجده في كتبنا فيقول نعم هو هو فيقول له فما في نفسك منه فيقول معاداته (وغيرهم) من احبار اليهود والنصارى (ومن باهت في ذلك بعض المباهتة) اي لم يقر بحقية ما جاء به صلى الله تعالى عليه وسلم وادعى انه كذب مكابرة منه يقينا بهته وباهته اذا كذب به ونسبه للبهتان * ومكر طيب المسك كذب به الشذاء * وقوله بعض المباهتة اي في بعض اموره التي يمكن المكابرة فيها وفيه اشارة الى ان من انكاره صلى الله تعالى عليه وسلم ما لا يمكن انكاره من احد من العقلاء وقد علمت انه يقال بهته بكذا وباهته كما في الاساس ومن انكاره فقداتي ببهتانين من عنده (وادعى ان فيما عندهم) من كتبهم (من ذلك لما حكاه) متعلق بقوله (مخالفة) بالنصب اسم ان ومن الموصولة في قوله ومن باهت مبتدأ خبره (دعى) بالبناء للمجهول اي دعاه الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم باذن ربه (الى اقامة حجته) اي الى دليل بالاتيان بنص من كتبهم

يخالف ما اخبرهم به (وكشف دعوته) اى بيان ما ادعاه (فقيل له) اى قال الله له صلى الله تعالى عليه وسلم قل لهم (فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين الى قوله الظالمون) يعنى قوله تعالى فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فاولئك هم الظالمون وسبب نزولها ان اليهود قالوا له صلى الله تعالى عليه وسلم تزعم انك على ملة ابراهيم وانت تأكل لحم الابل ولبنها وذلك يحرم فى شرعه وقيل ان المسلمين قالوا لهم انما حرمت عليكم الطيبات ببغيكم فقالوا انها كانت محرمة قبل ذلك فامروا باحضار التوراة حتى يتلى ما فيها من تحريم ذلك فلم يجدوا ذلك فيها وافتضحوا وقيل انهم اتوا برجل وامرأة زنيا فقال لهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كيف تفعلون فقالوا نجمعهما ونضربهما فقال لهم ان الذى فى التوراة رجمهما فانكروه فقال لهم كذبتم ايتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين فأتوا بها وقرؤا حكم الزنى فيها فوضع القارئ يده على آية الرجم وقرأ ما قبلها وما بعدها فانتزعت من يده ووجد فيها الرجم فرجما (فغرع ووبخ) اى قرعهم وغيرهم بتكذيبهم وافترائهم على الله صريحا وتلويحا وجعلهم ظالمين (ودعا الى احضار ممكن غير ممتنع) وهو امرهم بالاتيان بالتوراة وهى حاضرة بين ايديهم فصاروا قسمين (من معترف عما جحده) واذكر من احكام التوراة (ومن متوافح) بضم الميم والمثناة فوقية مفتوحة وقاف مكسورة وحاء مهملة اى متكلف للوقاحة وهى قلة الحياء وصلابة الوجه حتى لا يبالى بافتضاحه والمراد به ابن صوريا الذى وضع يده على آية الرجم فقال له ابن سلام ارفع يدك يا اعور فابى فاشار اليه بقوله (باق على فضيحته) اى ما به فضحه ويجعله سخرة بين الناس (من كتابه) اى من الكتاب الذى جحد (يده) اى يضعها عليه وعلى الآية التى فيها ما يخالف دعواه ويكذبه (ولم يؤثر) بالبناء للمجهول بمعنى يقل معطوف على قوله فلم يحك المتقدم ونائب فاعله (ان واحدا منهم) اى من اهل الكتابين (اظهر خلاف قوله) صلى الله تعالى عليه وسلم (من كتبه) اى من الكتب التى عندهم مما انزل على انبيائهم (ولا ابدا) اى اظهر نقلا (صحيحا ولا سقيما) اى محرفا لفظه او مأولا معناه (من صحفه) جمع صحيفة وهى الكتاب (قال الله تعالى) يا ايها الذين اوتوا الكتاب آمنوا بما انزلنا مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت وكان امر الله مفعولا (يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب) كصفته صلى الله تعالى عليه وسلم وقصة الرجم وبشارة الكتب بنبوته صلى الله تعالى عليه وسلم وشمائله (ويعفوا عن كثير) لحلمه وستره عليهم رجاء هدايتهم بتوفيق الله (الآيتين) وهما قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم ﴿ فصل هذه الوجوه الاربعة من انحاء بيئة ﴾ فى غاية الظهور (لا نزاع فيها) اى

لا يجتمع احد من العقلاء فى كونها ثابتة معجزة (ولامرة) بكسر الميم وضمها كما مر بمعنى سهة وشك فى ذلك وهى عامة فى جميع الآيات وفى جميع الاخبار الواقعة فيها كما قال الله تعالى ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب (ومن الوجوه الشبيهة فى اعجازه من غير هذه الوجوه) الاربعة (آى) جمع آية واسم جنس جمعى كتمر وتمرة وليس كل ما يفرق بينه وبين واحده بالتاء اسم جنس جمعى كما فصله الدربى مالك فى باب الجمع من شرح الالفية والآية جملة من القرآن لها مبدأ وموطع كما مر (وردت تحجير قوم) اى جاء فيها اظهار عجز طائفة مخصوصة من الناس (فى قضايا) جمع قضية وهى الحادثة لو قعة فى حكم قضاه الله تعالى وقدر (واعلامهم انهم لايفعلونها) لاعلام بكسر الهمزة مصدر اعلم مجرور معطوف على تحجير والضمير للقضايا (فما فعلوا ولاقدروا على ذلك) المذكور من تلك القضايا وفى القدرة ما علم من فحوى العلم (لقوله) عز وجل (لليهود) لما ادعوا دعاوى باطلة لقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى فكذبهم والزمهم الحجة فقال خطابا لمحمد صلى الله عليه وسلم (قل ان كانت لكم الدار الآخرة) وهى الجنة (عند الله خالصة) اى خاصة بكم وهو حال من الدار الآخرة والخطاب لاهل الكتاب (من دون الناس) اى اقيهم من المؤمنين وغيرهم (فتمنوا الموت ان كنتم صادقين) فى قولكم انكم من اهل الجنة وانها مخصوصة بكم لان من تيقن دخول الجنة اشتاق لها واحب التخلص من هذه الدار واكدارها ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه (ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم) فنفى عنهم تمنى الموت فى جميع الازمنة المستقبلة بقوله لن وابدا وما قدمته ايديهم الكفر بالله وتحريفهم التورية فما فى هذه الآية من المعجزات لانه اخبار بالغيب وهو كما اخبر اذ لم تمناه احد منهم مع توفر الدواعى على نقله اشتهر وانتفى وان كان من اعمال القلب الخفية لما يأتى فالمعتمد به وقولهم تمنيا مما لا يخفى ولو تمنوه ماتوا فهم لحرصهم على الحياة وخوفهم لن يتمنوه وقد صرفهم الله تعالى عن ذلك معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم وقد استشكل ما قاله المصنف هنا بان ما ذكره هنا داخل فى الوجوه السابقة فان قوله لن يتمنوه ابدا مثل قوله فأتوا بسورة من مثله الى قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا لاعلامهم بانهم لايفعلون لعجزهم وعدم قدرتهم فهو داخل فى النوع المتقدم لانه اخبار عما استأثره الله بعلمه فى المستقبل فجعله ادنى منه غير مسلم وقد سوى بينهما فى الكشاف والجواب عنه ان ما تقدم امر معجز فى نفسه فى سائر الازمنة بخلاف ما نحن فيه فان قول احدهم ليتنى اموت ونحوه امر ممكن لهم ولغيرهم واعجازه انما هو مجرد الاخبار عن عدم وقوعه فهو مغاير لما قبله وادنى منه بمرتب (قال ابو اسحق الزجاج) فى تفسيره المسمى بمعانى القرآن وهو تفسير جليل يعتمد عليه الزمخشرى فى كشافه وهو أحد ما مر وهو العلامة

فى فنون العربية التى تلقاها عن المبرد واسمه ابراهيم بن السرى بن سهل بن الزجاج نسبة نصبه توفى سنة احدى عشر وثلثمائة يوم الجمعة تاسع عشر جمادى الآخرة كما تقدم (فى هذه الآية اعظم حجة واظهر دلالة على صحة الرسالة) اى رسالة نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (لانه قال فتمنوا الموت واعلمهم انهم لن يتمنوه ابدا فلم يتمنه واحد منهم) وفى نسخة احد منهم وفى الكشاف فان قلت التمنى من اعمال القلوب وهو سر لا يطلع عليه احد فمن اين علمت انهم لن يتمنوه قلت ليس التمنى من اعمال القلوب وانما هو قول اللسان بلسانه ليتنى كذا وليت كلمة تمن ومحال ان يقع التحدى بما فى الضمائر والقلوب ولو كان بالقلوب لقالوا قد تمنيناه بقلوبنا ولم يقل انهم قالوه وفى حواشيه للقطب انه استدلال على ان التمنى ليس من افعال القلوب لان التحدى انما يكون بامر ظاهر وفيه ان التحدى انما يكون باظهار المعجز لا لزام من لم يقبل الدعوى والتمنى ليس بمعجز فهو كقول الخصم احلف لى ان كنت صادقا ويمكن ان يقال التحدى هنا بطلب دفع المعجزة فان اخباره بانهم لن يتمنوه ابدا معجزة طلب دفعها تمنيهم والدفع لا يكون الا بامر ظاهر وهو كلام حسن معه قول من لم يصل الى المعقول وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث روى البيهقى من طريق الكلبى عن ابى صالح عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما بهذا اللفظ الاتى واحد فى مسنده عن ابن عباس مرفوعا بسند جيد بلفظ لو ان اليهود تمنوا الموت لماتوا (والذى نفسى بيده) اقسم بالله قسما ما ساله المقسم عليه فان معناه ان روحه بيد الله ان شاء ارسلها فيحيى وان شاء امسكها فيموت وكان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كثيرا ما يقسم به (لا يقولها) اى كلمة التمنى المفهومة من السياق (رجل منهم) اى واحد من بنى اسرائيل والرجل على ظاهره والمراد ما يعم المرأة (الا غص بريقه) غص بضم العين المعجمة وفتح الصاد المشددة المهملة او بفتحهما وفاعله ضمير الرجل وعليه اقتصر بعضهم ولا يأتى الاول كونه لا رما كما توهم والغصة ما يقف فى الحلق فيمنع النفس حتى تهلكه يقال غص بالطعام وشرق بالشراب وسخى بالعظم وحرض بالريق وقد يستعمل كل منهما مكان الآخر والريق رطوبة الفم وغصص الدهر مصائبه وهو كناية عن سرعة وقوع الموت بهم كما فى النهاية واليه اشار بقوله (يعنى يموت مكانه) اى فى مكانه الذى غص فيه فلا يمهل لانتقاله لغراسه (فصرفهم الله عن تمنيه) مصدر مضاف لمفعوله وهو ضمير الموت (وحرعهم) بفتح الجيم وتشديد الراى المعجمة وفتحها وفتح العين المهملة وفى نسخة فى حرعهم وكونه حرعهم براء مهملة غلط (ليظهر صدق رسوله) صلى الله تعالى عليه وسلم (وصحة ما اوحى اليه) ثم بينه بقوله (اذ لم يتمنه احد منهم) لخوف الموت

ليتبين صدق خبره (وكانوا على تكذيبه احرص لوقدروا) على تكذيبه بان يفروا ولايموتوا والجملة حالية بتقدير قد (ولكن الله) بالتخفيف والتشديد (يفعل مايريد) من تعميمهم وعدمه (فظهر بذلك) اى بصيرفهم عما هم احرص عليه (معجزته وبانت حجته) بصدق خبره عن الغيب (قال ابو محمد الاصيلى) تقدم الكلام عليه وعلى نسبته (من اعجب امرهم) اى اليهود (انه) الضمير للسان (لايوجد منهم نجاعة ولاواحد منهم يوم) اى من حين (امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم) بقوله قل لهم فتمنوا الموت (يقدم عليه) اى على تمنى الموت (ولايحب اليه) الى قوله تمنوا الموت اوالى قول احد تمنى الموت لسدة حوفهم ولما جبلهم الله عليه من حرصهم على حب الحياة كما قال ولتجدنهم احرص الناس على حياة (وهذا) المذكور من امتناعهم عن التمنى (موجود مشاهد لمن اراد ان يمتحنه منهم) اى كل من اراد ان يعرفه اذا ذكره لهم طهر به ما فى طباعهم والامتحان هو التجربة ولعله ذكره دفعا لما يقال لعله التمنى امر خفى فقد يقال انه موجود ولم يطلع عليه (وكذلك آية المباهلة) اى مثل قصة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى بنى اسرائيل قصة المباهلة فى نصارى نجران لان فيها تكليسا بالتكلم بامر لوقالوه هلكوا وقد اخبره الله تعالى به قبل وقوعه فكان كما اخبر ولم يجبه احد منهم الى ماد عاهم اليه كما لم تمن اليهود الموت فهو (من هذا المعنى) يعنى انهما متقاربان كما قررناه آنفا واصل معنى المباهلة كما حققه الراغب من البهل وهو الاهمال كارسال البعير وكل صغار الماشية يقال ابتهلت ولانا ذا حليته وارادته ومنه الابتهال وهو تضرع الدعاء قال ومن فسره باللعن فلما فيه من الاسترسال فيه قال الشاعر * نظر الدهر البهم فابتهل * اى استرسل اليهم فاماهم انتهى وفيه رد على بعض اهل اللغة اذ ظن ان حقيقته الملاعنة ويؤيده ظاهر قوله تعالى ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين (حيث وفد عليه) الوفد هو القادمون من غير اهل الديار كما مر وحيث هما للزمان اى لما قدموا عليه من ديارهم (اساقفة نجران) جمع اسقف بضم الهمزة والقاف وبينهما سين مهملة وآخره فاء مشددة وهو رئيس النصارى فى دينهم قاضيهم وامامهم قيل سمى به لانحنائه وخضوعه ونجران بفتح النون واسكان الجيم بلدة كانوا فيها وهى بين مكة واليمن على سبع مراحل من مكة قدموا منها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ستون راكبا منهم اربعة عشر رجلا رؤساءهم ومنهم ثلاثة هم يدهم كل امرهم واميرهم اسمه العاقب كما يأتى وذو رأيهم كالوزير اسمه المسيح وثمالهم السيد وصاحب رحالهم الايهم وابو حارثة بن علقمة اخو بكر بن وائل اسقفهم وامامهم وقصتهم مشهورة فى الاسلام (وابه الاسلام) اى امتنعوا ان يسلموا لادعائهم حقية دينهم وعدم نسخه (فارل الله عليه) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حقهم (آية المباهلة بقوله

من حاجك فيه الآية) وتمامها من بعد ماجاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ومعنى وانفسنا وانفسكم اى ليدع بعضنا بعضا فان الانسان لايدع نفسه وكيفيتها كما قصه الله تعالى ان يجمع كل من المتخاصمين اهله ثم يتوجه كل منهما الى الله تعالى ويقول اللهم ان هذا يقول كذا وكذا وانا اقول كذا وكذا اللهم فاجعل لعنتك على الكاذبين منا فان عذاب الله يحل ممن كذب من بطر وهذا لم ينصح فان سلطان العلماء العز بن عبد السلام اسند اليه بعض اهله شيئا لم يقله فقال اباهله الى الله فقعل فلم يمض سنة حتى هلك من باهله وانما جمع الاهل تخويفا لهم بحلول العذاب من الله بهم اجمعين ومن قال هنا معنى البهلة بالضم والفتح اللعنة لم يصب كما مر عن الزاعب وهذا مما نحن فيه من وجه ومن قال الاسقف مشتق من السقف كما قاله ابن السكيت والهاء للعجمة فى كلامه تناقض (فامتنعوا منها) اى من المباهلة وخافوا لما شاهدوه من الهلاك على انفسهم بدعائه (ورضوا باداء الجزية) وهو الخراج المرطف على الناس ويطلق على مايعين على الاراضى فاختاروها مع مافيها من المذلة وكانوا قالوا له صلى الله تعالى عليه وسلم مالك تشتم ربنا فتقول عبد الله فقال هو عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى العذراء البتول فغضبوا وقالوا هل رأيت انسانا من غير اب فانزل الله عز وجل ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم الخ ثم دعاهم للمباهلة (وذلك ان العاقب عظيمهم قال لهم قد علمتم انه نبى وانه ما لاعن قوما نبى قط فبقى كبيرهم ولا صغيرهم) اى هلكوا جميعا لاجابة دعائه عليهم ثم قال لهم ان ابيتم الا الاقامة على دينكم فصالحوه وانصرفوا الى دياركم وروى ان القائل لهذا منهم هو السيد الذى كان يسمى شرحبيل فقال لهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اسلموا يكن لكم وعليكم ما للمسلمين وعليهم فابوا فقال نقتلكم فقالوا مالنا طاقة بحربك ولكن نصالحك على ان لاتغزونا ولاتخيفنا ولاتردنا عن ديننا على ان نؤدى اليك كل عام الى حلة الفا فى صفر والفا فى رجب فصالحهم صلى الله تعالى عليه وسلم على ذلك وقال لو تلاعنوا مسخوا قردة وخنازير واضطرم عليهم الوادى نارا وفيه دليل على مشروعية الملاعنة قال فى المواهب وقد حررته وانه لايمضى على الكاذب سنة كما سمعته وقد علمت ان هؤلاء امتنعوا من الملاعنة كما امتنع اليهود من تمنى الموت ولذا اورده المصنف رحمه الله تعالى هنا

(ومثله قوله وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا الى قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا) اى مثل قوله فمن حاجك فيه (فاخبرهم) الله تعالى فى هذه الآية (انهم لايفعلون) فى المستقبل ابدا وهو مادل عليه الجملة المعترضة بين الشرط وجزائه وهى قوله ولن تفعلوا (كما كان) فى الماضى الدال عليه فان لم تفعلوا فان عجزهم عن معارضة القرآن

امر محقق ووقع والمعاتى بان الشرطية وكان مقتضى المقام اذا باعتبار ماعندهم من الشك فى قدرتهم تهكما بهم (وهذه الآية) اى قوله تعالى وان كنتم فى ريب مما نزلنا الى آخره (ادخل فى باب الاحبار بالعيب) اى اندراجها فيه اظهر واوضح لتحقق المبى فى المستقبل بالمبى فى الماضى الذى علم من التحدى بخلاف آية تمنى الموت وآية المباهلة لعدم تقدم شئ من وقوعها وقيل لان فيها تصريحا بنفى فعلهم فى المستقبل بخلاف آية المباهلة فان فيها اشعارا بالعجز عن المباهلة فى الحال والاشعار بالنفى فى المستقبل الذى هو من الاخبار بالعيب من لوازمها لا من صريحها وفيه بحث (ولكن فيها من التحير ما فى التى قبلها) اى فى اية سورة البقرة التى فيها تحيرهم عن الاتيان بمثل سورة ما من مثله تحير كتحيرهم عن المباهلة وفيه نظر لانهم لم يعجزوا عن المباهلة واما خافوا من عاقبتها فاجمعوا عنها ولو ارادوها لم يكن عندهم مانع منها وتدبره ﴿فصل منها﴾ اى من وجوه اعجاز القرآن وجه غير الوجوه الاربعة التى تقدمت (الروعة) بفتح الراء والعين المهملتين المرة من الروع وهو الفزع والخوف الذى يطرأ عند سماعه لجلالته وهيبته كما وقع لسيدنا عمر رضى الله تعالى عنه لما سمع اول سورة طه فاسلم من غير تردد لما وقع فى قلبه عند سماعه (التى تلحق قلوب سامعيه) اصله تلحق قلوب السامعين فحذفت نونه لاضافته لضمير القرآن (واسماعهم) بالنصب معطوف على قلوب مفعول تلحق وهو جمع سمع بمعنى الحاسة وفيه تسامح لان الفزع لا يلحق السمع وانما يلحق القلب بواسطة وهو كقوله ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى اى لتذكر احداهما الاخرى اذا ضلت كما حقق فى الكشاف وشروحه وانما عطف عليه ليفيد ان هذه الروعة تلحق من يفهمه ومن لا يفهمه مؤمنا كان او كافرا فانه قبل ان يفهم هذا وجها مستقلا من وجوه الاعجاز نظرا الانه معنى رائق على النظم مشروط بتدبره وهو فى المؤمن واضح واما فى الكافر فلتقريبه ليس ببعيد لما الفى السمع وهو شهيد وقوله (عند سماعه) بايائه والضمير للقرآن (والهيبة) بالرفع معطوف على الروعة ومعناه الخوف يقال هابه اذا خافه كما فى القاموس وهو قريب من الروعة ولتحقيق انهما ليسا بمعنى واحد كما فى عروس الافراح قال ربما يتوهم ان الروع المهابة واحد وليس كذلك بل الروع الفزع والمهابة الاجلال * اهابك اجلالا ومابك قدرة * على ولكن ملء عين حبيبها وقال * الشريف فى قول السكاكى ادخال الروعة وتربية المهابة والمهابة يراد بها عرفا الحالة التى تكون فى قلوب الناظرين الى الملوك وتربيتها تقويتها والروعة الخوف الذى يتجدد بمخاطبتهم انتهى (لى تعريتهم) التى تطرأ عليهم وتعتريهم (عند تلاوته) وقراءته والاول ناظر للسامع والثانى للقارئ بقسميه هم بمعنى (لقوة حاله) اى لما فيه من الحالة القوية باعتبار ما فيه من المواعظ والاندار وهذا

ناظر للروعة عند من فهمه (وافاقة خطره) اى علو مرتبته على غيره من الكلام الذى يهابه سامعه فهو ناظر للهيبة ويمكن كل منهما لكل منهما (وهى) اى الروعة والهيبة وافراد الضمير لانهما شئ واحد او كل واحد (على المكذبين به اعظم) منها على المؤمنين لشدة خوفهم منه كما قيل الجانى خائف والمؤمن وان هابه فهو متلذذ به مطمئن قلبه بشارته (حتى كانوا) اى المكذبون (يستثقلون سماعه) لصعوبة مافيه عليهم (ويريدهم) سماعه (نفورا) عن الحق والاصغاء اليه (كما قال تعالى) واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده ولوا على ادبارهم نفورا اى ولوا معرضين عنه لعدم ذكر آلهتهم فيه (ويودون) اى يحبون (انقطاعه) اى قطع تلاوته عندهم (لكراهتهم له) لجهلهم بما يعقبهم كما تضر رياح الورد بالجعل (ولهذا) المذكور من محبة انقطاعه وكراهتهم له (قال صلى الله تعالى عليه وسلم) فى الحديث الذى رواه الدارمى وغيره عن الحكم بن عمير وسيأتى بتمامه (ان القرآن صعب) فى نفسه بمعنى انه لايقدر احد على محاكاته وضبط الفاظه وحفظها بسهولة كما قال الله تعالى انا سنلقى عليك قولا ثقيلا (مستصعب) بفتح العين وكسرها اى يعسر فهمه وتفسيره بالرأى ولايمكن تغييره وتحريفه لانه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لانه ليس من جنس كلام البشر (على من كرهه) من الكفار والمنافقين (وهو) اى القرآن (الحكم) بفتحتين اى الحاكم الفاصل بين الحق والباطل بما تضمنه من الاحكام والبر والفاجر بما نصب فيه من الادلة الدالة على حقيته ولذا قيل له فرقان وهذا فى حق غير المؤمن (واما المؤمن) معادلة لاما مقدرة معلومة مما قبله اى اما غير المؤمن فلايزال صعبا عليه لكراهته له واما المؤمن (فلا تزال روعته به) بفتح الراء اى فزعه وخوفه من زواجره ومواعظه وهيبة منزله الحاصلة بسببه (وهيبته اياه) الضمير الاول للمؤمن والثانى للقرآن او بالعكس (مع تلاوته) اى قراءته من تلاه اذا تبعه اوهو بمعناه اللغوى اى اتباعه لاوامره ونواهيه والتلاوة فى العرف تختص بالقرآن وقيل لاتختص به (توليه) اى تعطيه من اولاه معروفا اذا اعطاه فهو بضم المثناة الفوقية وسكون الواو وكسر اللام المخففة (انجذابا) بنون وجيم وذال معجمة وموحدة من جذبه اذا اماله لجهته بشدة اى يستميل قلبه وسمعه لمحبته له وشده الشئ منجذب اليه (وتكسبه) بضم التاء الفوقية وسكون الكاف (هساشة) بفتح الهاء والشين المعجمة اى مسرة وخفة ولينا لما فيه من البشائر السارة والمعانى اللذيذة التى تجعله فى نشاط (لميل قلبه اليه وتصديقه به) فهو دائما يرتع فكره منه فى روضات انيقة فاذا عرف من يناجى وانه حلبس الرحمن سر ونشط ثم استشهد لهذا بقوله (قال الله تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) اى يعرض لجلود ابدانهم قشعريرة

انى قيام من الخوف من هيبته فاذا تأمله وتدبره لان قلبه وجلده لانسه وسروره به ولذا ترى بعض الصالحين اذا تلى القرآن تواجدوا وصاحوا وقد يتعدى ذلك الى العتى وشق الثياب ونحوه ومثله لاينكر ومن لم يذق لايعرف ولايأبى هذا انه لم يقع من الصحابة رضى الله تعالى عنهم لان مقامهم مقام تمكين وقد بسط هذا فى الاحياء فان اردته فارجع اليه وعدى تلين بألى لما فيه من معنى الميل وذكر الجلود فى الاول وضم اليها القلوب فى الثانى اشارة الى ان الاول قبل التدبر التام فاذا تدبر ذلك وقر فى قلبه وزالت تلك الحالة الطاهرة عنه (وقال) تعالى (لو انزلنا هذا القرآن على جبل الآية) يعنى لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون وهذا تمثيل لما فيه من الروعة التى تهد الجبال فما بالك بالرجال والآية مبينة فى التفاسير ولاحاجة للبسط وبما ذكرنا فيها (ويدل على ان هذا) اى ما يحدث للقلوب والاسماع من الروعة والهيبة [illegible] القرآن دون غيره من الكلام (انه) امر (يعترى) اى يطرأ ويحدث (من لايفهم معانيه ولايعلم تفاسيره) ممن لايمارس كتبه ويقرؤها حتى يقف على دقائقه ولطائفه فعلم من هذا ان تأثر السامع به لسر فيه وامر ربانى ولذا كان يثاب قاريه وسامعه وان لم يفهمه بخلاف غيره (كما روى عن نصرانى) ليس من شانه فهم القرآن ولا الوقوف على تفسيره ففيه ايضاح لما قبله (انه مر بقارئ) يتلو القرآن جهرا (فوقف) ليسمع قراءته وهو (يبكى فقيل له مم يبكيت) وانما سئل عن سبب بكائه لانه لايصدق به ولايفهمه (فقال للسجا والتطم) الشجا بفتح الشين المعجمة والجيم مقصور يقال شجا يشجى شجى وهو شجى اذا حزن اوطرب اوغضب والثانى انسب هنا كما قاله البرهان والمراد بالتطم رونق انتظامه وحسن انسجامه فاثر ذلك فى نفسه وهو لايفهمه حتى ابكاه وسمع بعض العرب بخراسان معنية حسنة الصوت تغنى بالفارسية فشوقه ذلك واشجاه وقال

* ومسمعة يحار السمع فيها * ولايفهمه لا تصم صداها *
* ولم افهم معانيها ولكن * وربت كدى فلم افهم سجاها *
* فكنت كانى اعمى معنى * يحب الغانيات ولا يراها *

ولم يذكر المصنف رحمه الله تعالى ان ذلك القارى قرأ بصوت حسن حتى يكون تأثره وطربه لمعناه وهو ابلغ وادل على ماقصده (وهذه الروعة) الحاصلة عند سماع القرآن لمن لم يتدبره (قد اعترت جماعة) وحصلت لهم (قبل الاسلام) اى قبل اسلامهم (وبعده) ثم فصل حال من اعترته الروعة قبل اسلامه لكنه تسمح فى العبارة لان القضية تقتضى عروض الاسلام فلا يأتى فى قوله ومنهم من كفر وكذلك قوله بعده فعبارته لاتخلو من المسامحة وكان الظاهر ان يقول اعترت جماعة منهم

من اسلم ومنهم من بقى على كفره بقوله (فمنهم من اسلم لها) اى لهذه الروعة (الاول وهلة) بفتح الواو وسكون الهاء وهى المرة من الوهل وهو الفزع يقال وهل مثلثة واليه اذا فزع ثم قيل اول وهلة لاول مايقرع السمع ويقع فى الوهم والفكر وهو المراد كما اشار اليه فى الاساس واسلم بمعنى اقر واعترف (وآمن به) اى صدق بقلبه (ومنهم من كفر) اى دام على كفره لاصراره على عناده لحماقته وجاهليته (فحكى فى) الحديث (الصحيح) الذى رواه الشيخان مسندا (عن جبير بن مطعم) بن عدى بن نوفل بن عبد مناف الصحابى رضى الله تعالى عنه وقد تقدمت ترجمته وانه اسلم فى فتح خيبرا وفتح مكة انه (قال سمعت رسول الله) وفى نسخة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (يقرأ فى) صلاة (المغرب) وذلك قبل اسلامه (بالطور) اى بسورة الطور (فلما بلغ هذه الآية ام خلقوا من غير شئ) اى من غير خالق لهم كما تقول الدهرية (ام هم الخالقون) لانفسهم بشهادة قوله بعده ام خلقوا السموات والارض وقرأ (الى قوله ام هم المصيطرون) اى المدبرون للاشياء كما يريدون وبدهما بل لايوقنون ام عندهم خزائن ربك يقال مصيطر ومسيطر للسيد المالك (كاد قلبى ان يطير) اى حدث عندى فزع وخوف شديد ظننت ان قلبى ذاب وفنى حتى لم يبق معى وطيران القلب يراد به نارشدة الخوف وهو المراد هنا لان القلب متحرك دائما لحرارته فاذا زالت الحرارة العزيزية لخوف اوسدة شوق وحب زاد خفقانه فبشه حينئذ بطائر يخفق جناحه كما قال القائل

*كان قطاة علقت بين اضلعى * لان فؤادى دائم الخفقان *

وقلت * عجبا لقلبى طائر فزعا * وعليه ناحل اضلعى قفص *

وعليه قول العرب افزع روعه كما حقق فى كتب اللغة (وفى رواية) اخرى غير رواية الشيخين (وذلك اول ماوقر الايمان فى قلبى) وقر بالقاف بزنة ضرب بمعنى سكن وثبت وذلك انه كان مشركا فى اسارى بدر اوفى فداء اساراها فلما سمع الآية وفهمها علم مافيها من برهان الايمان القاطع لعرق الكفر لدلالتها على انه لاخالق يستحق العبادة الا الله فسكن قلبه بعد اضطرابه حتى كاد يطير وهذه رواية البخارى ايضا فى المغازى وفى رواية فصدع قلبى وفيه دليل على صحة رواية المسلم مايحمل حال كفره وفيه بيان لروعة القرآن لمن سمعه وان تلك الروعة سبب لاسلامه (وعن عتبة بن ربيعة) هو ابو الوليد بن عبد شمس بن عبد مناف المشهور وهو ممن قتل كافرا ببدر فلا يتوهم اسلامه بقول المصنف رحمه الله تعالى عن عتبة هاوهذا الحديث رواه ابن اسحق فى سيره والبغوى فى تفسيره (انه كلم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيما جاء به من خلاف قومه) يشير لما فى السير من ان اباجهل لعنه الله تعالى قال لقريش قد التبس علينا امر محمد فلو اتاه منا من كلمه فذهب اليه عتبة وكان ذارأى

وحزم وقال له يا محمد انت خير ام هاشم انت خير ام عبد المطلب فلم تشتم آلهتنا وتسفه احلامنا وتضللها وانت منا بسطة قومنا فان كنت تريد الرياسة عقدنا لك اللواء وكنت رئيسنا وان كان بك الباءة زوجناك من تختار من بنات قريش وان كنت تريد المال جمعنا لك من اموالنا حتى تكون من اكثرنا مالا وان كان لك ريئ لا تستطيع رده طلبنا لك الطب وبذلنا فيه اموالنا اوكما قال والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم يسمع كلامه ثم فرغ فقال له افرغت يا ابا الوليد قال نعم قال اسمع مني ما اقول (فتلا عليهم) اى على الوليد ومن معه او من علم انه سيبلغه ما تلاه عليه وفي نسخة عليه بالافراد من سورة (حم) تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب (فصلت) آياته (الى قوله) فان اعرضوا فقل انذرتكم (صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) اى الصاعقة التي اهلكت قوم هود وقوم صالح (فامسك عتبة على فيه) اى وضع يده على فم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حتى يقطع كلامه وناشده بالرحم ان يكف عما هو فيه من هذه السورة لخوفه من وقوع ما انذرهم به وفي نسخة فامسك عتبة بيده على في النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (وناشده الرحم ان يكف) اى سأله مقسما عليه بالرحم وهي القرابة القريبة المقتضية للرحمة والتعطف عليهم من حلول ما ذكره من العقاب بهم يقال ناشدته وتشدته اذا اقسمت عليه قسم استعطاف (وفي رواية) اخرى لابن اسحق في سيرته عن كعب القرظي (فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ) قال الراغب جعل لفظ عام في الافعال كلها اعم من فعل وصنع واخواتهما وتأتي على اوجه فتجري مجرى صار وطفق فلا يتعدى تقول جعل زيد يقول كذا الخ فالمعنى انطلق في قراءة السورة وقوله لا يتعدى اى هي من افعال الشروع والفعل خبرها لا مفعولها والشروع لا ينافي الاستمرار كما توهم (وعقبة مصغ) بزنة اسم فاعل معتل بزنة منذر اى مستمع لقراءته منصت لها (ملق يديه خلف ظهره) لاعتماده عليهما فقوله (معتمد عليهما) فالتفسير له (حتى انتهى) اى وصل (الى) آية (السجدة فسجد) صلى الله تعالى عليه وسلم (وقام عتبة) من عنده (لا يدري بم يراجعه) اى يكلمه بعد تلاوته لروعته التي ادهشته بما سمعه منه صلى الله تعالى عليه وسلم (ورجع الى اهله) اى دخل عتبة منزله ولم يقابل احدا ممن كان ينتظر خبره (ولم يخرج) من بيته (الى قومه) واستمر في بيته (حتى اتوه) ليسئلوه عن انقطاعه عنهم ما سببه (فاعتذر لهم) عن عدم خروجه لهم واخباره بما جرى له معه صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال) فيما اعتذر لهم به (والله لقد كلمني) النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (بكلام) والله (ما سمعت اذناي بمثله قط) اى بمماثل له في حسنه وجزالته وتأثيره في القلوب (فما دريت ما اقول له) فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين وفيه دليل لما نحن فيه من الروعة والهيبة لمن بقي على كفره

ممن اضله الله على علم وفي رواية لما رأوه قالوا والله لقد جاءكم ابو الوليد بغير الوجه
الذي ذهب به فلما جلس اليهم قالوا ماوراءك يا ابا الوليد قال وراءي اني سمعت قولا
والله ماسمعت مثله قط والله ماهو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة يامعشر قريش
اطيعوني وخلوا بين هذا الرجل و بين ماهو فيه واعتزلوه فو الله ليكونن لقوله
الذي سمعته نباء عظيم فان تصبه العرب كفيتموه بغيركم وان يظهر على العرب
فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم اسعد الناس به فقالوا سحرك والله يا ابا الوليد قال
هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم (وقد حكي) بالبناء للمجهول (عن غير واحد)
اي عن كثير وغير الواحد شامل للقليل وللكثير ولكنه خص عرفا بهذا كما مر
(ممن رام معارضته) اي قصد ان يأتي بكلام يماثله في البلاغة (انه اعتراه) اي
حدثت له واصابته (روعة وهيبة) حين تلاه وسمعه (كف لها) اي بتلك
الروعة والفزع (عن ذلك) اي المذكور من المعارضة ثم ذكر بعد ماسخف عقله
ممن هم بذلك فقال (فحكي ان ابن المقفع طلب ذلك ورامه) اي قصد معارضة
القرآن والكلام بمايماثله وفي المقتفى للبرهان الحلبي المقفع بضم الميم وفتح القاف
والفاء المشددة قبل العين المهملة ولم يتعرض ابن ماكولا لبيان حركة الفاء وهي
مضبوطة في النسخ بالكسر والذي احفظه الفتح وذكر ابن ماكولا شخصا يقال له
مروان بن المقفع فليحرر هل هو هذا ام لا انتهى وهو غريب من مثل هذا الحافظ فانه
بالفتح من غير شبهة قال في القاموس مقفع اليدين كمعظم متشنجهما ومروان بن
المقفع تابعي وابو عبد الله بن المقفع فصيح بليغ وكان اسمه روزبة اوراز بة بن داود
حسبس قبل اسلامه وكنيته ابو عمرو ولقب ابوه بالمقفع فتقفعت يداه اي تشنجتا
وهذا مما يعرفه الخاصة والعامة الا ان التلمساني قال في حواشيه المقفع اليابس
اليدين والرجلين من برد وقال ابن مكي في تثقيف اللسان ان الصواب فيه المقفع
بكسر الفاء لانه كان يعمل القفاع جمع قفعة وهي شئ يشبه الزنبيل بلا عروة
من خوص ولبس بالكبير وقيل انه كاتب المنصور وهو اول من هذب المنطق وقتله
سفيان المهلبي لما ولي البصرة وحضره اهلها وفيهم ابن المقفع فذكر عنده الوطبس
فلم يعرفه وسأل عنه من حضر فضحك ابن المقفع ثم انصرفوا فامر ابن المقفع
بالجلوس حتى خلا المجلس فامر بتنور عظيم وامر بان يسجر بطرحه فيه فاحترق
كما في مشكاة انوار الخلفاء وكان ابن المقفع من جملة قوم زنادقة كانوا يجتمعون لذكر
مطاعن القرآن وصياغة هذيان يعارضونه بها كما اشار اليه المصنف رحمه الله
تعالى بقوله (وشرع فيه) اي في المعارضة وذكره لان تأنيث المصادر غير معتبر لتأويله
بان والفعل (فجر بصبي يقرأ وقيل يا ارض ابلعي ماءك) وقد تقدم بيان بلاغتها
ومافيها من الاعجاز على مافي المفتاح وشروحه (فحمي) جمع (ماءه) يعني غسله

وابطال مافى صحفه لمارأها لامناسبة بينهـا وبين شئ من الكتاب العزيز (وقال اشهد) اى اقروا عترف اواعلم كل احد (ان هذا لايعارض) اى لايقدر احد على الاتيان بمثله (وماهو من كلام البشر) لظهور اعجازه (وكان افصح اهل وقته) فليس ممن قال ذلك بغير علم لمعرفته بصناعة الصياغة والمراد بوقته زمانه وعصره الموجود فيه (فائدة) قال ابو الفرج ابن الجوزى نقلت من خط ابى الوفاء على بن عقيل الحنبلى صاحب الفنون قال وحدث فى تعاليق محقق من اهل العلم ان سبعة مات كل منهم وله ست وثلاثون سنة فحصت من قصر اعمارهم مع بلوغ كل واحد منهم الغاية فيما كان فيه وانتهى اليهم فهم الاسكندر ذو القرنين وابو مسلم صاحب الدولة العباسية وابن المقفع صاحب الخطابة والفصاحة وسيبويه صاحب التصانيف والتقدم فى علم العربية وابو تمام الطائى وما بلغ فى الشعر وعلومه وابراهيم النظام المتعمق فى علم الكلام وابن الراوندى وما انتهى اليه من الفنون فى هؤلاء السبعة لم يجاوز احد منهاستا وثلاثين سنة بل اسوا على هذا القدر من العمر انتهى قلت انظر الزركشى فانه لم يجاوز الاربعين فانه مات فى ست وثلاثين فيضم اليهم وكذا شيخ الاسلام تقى الدين السبكى فانظر الى مؤلفاته التى زادت على اكثرمن ثلاثين مابين مبسوط ومختصرمات عن خمسة وعشرين سنة فيضم اليهم (وكان يحيى بن الحكم) بفتح الحاء المهملة وكاف مفتوحة بعدها وقيل انما هو الحكيم بوزن الطبيب كما ذكره الذهبى وقال انه من شعراء المائة الثانية توفى بعد مائة وخمسين ولست على ثقة منه وذكره ابن خلكان فى تاريخه وقال انه من شعراء الاندلس وذكره فى الذخيرة ايضا (الغزال) بمعجمتين وراؤه مشددة وقيل انها مخففة عند الذهبى ايضا فى كتاب المشتبه فعلى الاول هو وصف منسوب لصنعة الغزل وعلى الثانى هو علم منقول من اسم الحيوان وهو بكرى قرطبى الدار كان فى زمن هشام بن الحكم اقول الذى ذكره ابن حيان فى المقتبس تاريخ الاندلس انه يحيى بن الحكم البكرى الجيانى لقب بالغزال فى صغره لحسنه وكان فى المائة الثالثة حكيم الاندلس وشاعرها وله شعر فى غاية الحسن وارتحل لمصر ثم عاد للاندلس وعمر اى بلغ من العمر مائة وثلاثين سنة وارسل رسولا لبلاد الفرنج فاعجب ملكها فنادمه وسألته امرأته عن سنه فقال عشرين سنة فقالت له فاهذا الشيب فقال امارأيت مهرا ولد لشهب فضحكت والى هذا يشير بقوله فى قصيدة

*قالت ارى فوديه قد نورا * دعابة توجب ان ادعيا *
* قلت لها ما بالله انه * قد ينتج المهر كذا اشهبا *

قال وحكى انه اراد ان يعارض سورة الاخلاص فعرضت له حالة اوجبت توبته وهو ماذكره المصنف رحمه الله تعالى الاتى (بليغ الاندلس فى زمنه) اى معروف بالبلاغة

وفصاحة النظم والنثر فى عصره والاندلس بفتح الهمزة وضم الدال وفتحها وضم اللام ليس الا وهى معربة لم تتكلم بها العرب قديما وانما تعربتها فى الاسلام قال ياقوت فى معجمه اشتهر على الالسنة انها تلزمها الا وقد وردت بدونها فى قول بعض العرب * سألت القوم عن اندس فقالوا * باندلس واندلس بعيد * وهى بلغاتها الاربعة سواء قلما فعلل وفعلل والظاهر ان الهمزة زائدة لان بعدها احرف ولو كانت عربية جاز ان يقال وزنها انفعل فان قلت قال سيبويه انفعل الشيخ المسن ولا يعرف ما فى وله زيادتان للبس حاريا على الفعل قلت هو فى العربى البحت وهى بجاية تونس ارض تحتوى على بلاد ولبست جزيرة الا ان البحر يحيط بها من ثلاث جهات هى اكثرها فلذا سماها بعضهم جزيرة (فحكى) بالبناء للمجهول (انه رام متنبئا من هذا) اى معارضة القرآن ونسج كلام على منواله فى الفصاحة (فنظر فى سورة الاخلاص) التى هى اقصر سورة اى تدبر فى نظمها ليأتى من عنده بمثلها وسميت سورة الاخلاص لاشتمالها على ما يجب اخلاص اعتقاده من التوحيد لذات الله وصفاته (ليحذو على مثالها) من حذوته بحاء مهملة وذال معجمة اذا قدرت بحذائه اى مقابلته وحذا النعل بالنعل اذا قطعها بمقدارها وقالها فالمعنى ليقول مثلها وفى الحديث لتركبن سنن من قبلكم حذو النعل بالنعل اى تعملون مثل اعمالهم من غير زيادة ونقص فهو استعارة تمثيلية (وينسج نسجه) براى معجمة مثلثة وهو الظن واكثرما يستعمل فى الكذب فان زعم مطية الكذب (على منوالها) هو بمعنى ما قبله والمنوال بكسر الميم خشبة ينسج عليها الثياب فهو استعارة تخييلية ومكنية بتشبيه التكلم والكلام بنرود تنسج واثبت لها ماله من النسج والمنوال او هى تمثيلية اوتبعية وهو امر سهل (قال) اى ابن الحكم (فاعترتنى) اى عرض لى فى حال النظر (حشية) اى خوف وتعظيم له (ورقة) اى رقة قلب وخشوع او ضعف ولين (حملته) التعات اذ الظاهر حملتنى والحمل الالجاء والقسر (على التوبة) كما كنت هممت به والندامة على ما عزم عليه (والانابة) اى الرجوع عنه وفى نسخة والاوبة وتركه لذلك لعلمه بانه امر لا يقدر عليه البشر * فصل ومن وجوه اعجازه المعدودة * اى الذى عده العلماء منها اشارة الى انه مسوق بذكره (كونه آية) ومعجزة (باقية) فسره بقوله (لا يعدم ما بقيت الدنيا) اى مدة بقائها الى قيام الساعة وما ورد فى حديث حذيفة من انه تأتى ليلة يرفع فيها القرآن لا يبقى فى الارض منه آية هو بعد نزول عيسى ابن مريم عليه الصلوة والسلام وظهور يأجوج ومأجوج وهو فى حكم الساعة ووجود الدنيا حينئذ والعدم سواء و بقاؤه ببقاء تلاوته محفوظا من النسخ والتبديل والتغيير وهذا فصل يتميز به عن سائر الكتب الالهية فضلا عن غيرها وما قيل من ان عد هذا من وجوه الاعجاز لا وجه له فانه لا تعلق له بالنظم المعجز ساقط فان بقاءه كما ذكر من لوازم اعجازه بعدم مشابهته لكلام البشر حتى يؤتى بمثاله

او يدخل فيه مالبس منه اوتقول انه من جملة ما اخبر الله به عنه فهو من عينه وهذا انسب بقوله (مع تكفل الله تعالى بحفظه فقال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) والمراد بالذكر القرآن وضمير له لا له صلى الله تعالى عليه وسلم فلما تولى حفظه بعظمته وجلال ذاته ولم يكله لغيره كغيره المقول فيه بما استحفظوا فيه من كتاب الله لما تقدم تأبد وتأيد حفظه لبقاء حافظه ورفعة نعمة حفظه (وقال لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه الآية) فلا يجد اليه سبيلا من جهة من الجهات ما يبطله ولا يكون قبله ولا بعده ما يكذب به او ينسخه (وسائر معجزات الانبياء) والرسل عليهم الصلوة والسلام اى بقيتها غيره (انقضت) اى مضت وذهبت (بانقضاء اوقاتها) اى بعد عصرهم وزمن وجودهم انعدمت (فلم يبق الا خبرها) اى الاخبار المأثورة عنها دون ذواتها ونفسها كعصا موسى وناقة صالح وانفلاق البحر وغيرها مما هو مذكور في السير كما قيل [illegible] فكن حديثا حسنا لمن وعى * (والقرآن العزيز) اى المنيع المحمى بحماية من قاله (الباهرة آياته) اى الغالبة لغيرها والظاهرة وآياته بمعنى انواع معجزاته السالفة او كل آية متلوة منه فقوله (الظاهر معجزاته) على الاول توضيح وتوكيد وعلى الثانى بيان وتأسيس باقية (على ما كان عليه اليوم) الى يومنا هذا فتعريف اليوم للتعريف الحضورى كهذا الآن والجار والمجرور خبر المبتدأ وهو القرآن والمراد باليوم عصر المؤلف كما اشار اليه بقوله (مدة خمسمائة عام وخمس وثلاثين سنة) وروى سبع بدل خمس والصواب الاول لانه روى ان تأليفه للشفاء كان فى ايام قضائه فى سنة خمس وثلاثين وخمسمائة قال التلمسانى هكذا نقله الثقاة عن ابى عبد الله بن مرزوق ولم اسمعه منه انتهى (لاول نزوله الى وقتنا هذا) اى من ابتداء الوحى ونزول القرآن على نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم الى وقت تأليف المصنف رحمه الله لهذا الكتاب فاللام بمعنى من نحو سمعت له صريحا اى منه كما ذكره النحاة ويدل عليه مقابلته بالى (حجة قاهرة) المراد بالحجة نفس القرآن اى هو حجة غالبة لمن كفر به او المراد ما فيه من الحجج والادلة (ومعارضته ممتنعة) اى لاتيان بمثله لا يمكن ولم يقع (والاعصار كلها طافحة) الاعصار جمع عصر بفتح فسكون لا ضم وسكون لان جمع الجمع غير قياسى وطافحة بطاء وحاء مهملتين بينهما الف وفاء من طفح اذا فاض وتدفق (باهل البيان) متعلق بطافحة فان كان مجازا مرسلا بمعنى ممتلئة فظاهر وان كان استعارة تخييلية على ان البيان مشبه بالماء على طريق الكناية والمعنى بيان اهل الكتاب والمراد العارفون بايراد التراكيب البليغة على حسب مقاماتها (وحملة اللسان) حملة جمع حامل ككاتب وكتبة وهو الحافظ اللسان بمعنى اللغة العربية (وائمة البلاغة) اى العلماء بعلم البلاغة من المعانى والبيان وقرض الشعر وغيره من العلوم

الادبية (وفرسان الكلام) الذين لهم فطرة مجبولة على القدرة على التكلم بكلام بليغ نظما ونثرا وتزيد فيه استعارة مكنية تخييلية اذ شبه الكلام بجواد قاره والمتكلم برجل يعارق برياضته والسبق به وأثبته له (وحهابذة البراعة) اى اساتذة الفصاحة الفائقة فى بابها جمع جهبذ بكسر الجيم والباء وبينهما هاء ساكنة وآخره ذال معجمة يقال جهبذ اى عالم بحرير وهو لفظ معرب واصل معنى الجهبذ النقاد البصير والسمسار الخبير فاستعير لما ذكر كذا قالوا والذى عندى فى هذه التراكيب الخمسة ان المراد بها اهل اللسان العارفون به بحملة نقادة وطبيعة وقادة والعلماء بعلوم العربية واللغة فالمراد باهل البيان الفصحاء وبالحجة علماء اللغة وبالائمة البلغاء الخطباء من العرب العرباء وبالفرسان الشعراء واهل الابتداء المحدثين وبالجهابذة العلماء بقرض الشعر وانشاء النثر فلا تكرار فى بلغاء وان كان فى مقام خطابة يحمد فيه البسط والاسهاب ولذا كان هؤلاء فرقتان مهتد ولا يكد طعنه فى العاد وضده (والملحد فيهم كثير) الملحد اسم فاعل من الحد عن الحق اذا مال ومنه لحد القبر والالحاد كما قال الراغب ضربان الحاد الى الشرك بالله والحاد الى الشرك بالاسباب والاول ينافى الايمان ويبطله والثانى يوهن عراه ويحل عقدته (والمعادى للشرع عتيد) اى مهيأ حاضر باذل جهده فى عداوته واعتدوا عد متقاربان لفظا ومعنى اى مع كثرة من يريد المعارضة (فامنهم من اتى بشئ) من الكلام (يؤثر) اى يحفظ وينقل (فى معارضته) والاتيان بما يماثله (ولا الف كلمتين فى مناقضته) المناقضة التكلم بما يخالفه ويبطله ومنه نقايض جرير كما تقدم وهى المراجعة والمحاورة (ولا قدر فيه على مطعن صحيح) اى لم يعنه ولم يعترض عليه باعتراض يسمع منه وقد فعل ذلك بعض الزنادقة فافتضح وصار سخرة كما بين فى طوا عن القرآن التى ذكرها السلف (ولا قدح) القدح ذكر المعايب يقال قدح فى نسبه وعرضه اذا ذمه وقدح الزناد ضربه لاجل النار والمراد الاول لكن فيه توريه بالثانى لقوله (المتكلف من ذهنه فى ذلك الابرد سحيح) والمتكلف هو الذى يفعل ما لا يحسنه بكلفة منه والذهن قوة الفكر وذلك اشارة الى القدح والطعن والشحيح البخيل استعارة للزند الذى لا يخرج منه شرر منيرة اى لم يعده قدحه سبئا غير الخيبة يقال زند سحيح اذا كان لا يورى ولله در المصنف رحمه الله تعالى ما الطف طعمه ومن لم يذق حلاوة كلامه قال لو قال ولا ضرب المتكلف بسيفه ذهنه الارتد وهو حريح وحسن استعارته كون الذهن يوصف بالتوقد والاشتعال كما قيل * ويكاد يحرقه توقد ذهنه * لولا مياه الجود فيه والداء * لكن لا تقدم الحسناء ذاما فالمراد بلع السكوت فى محل (مل المأثور) والمقول (عن كل من رام ذلك) اى قصد الطعن فيه بذكر ما يؤدى ذكاه حمقه (القاؤه فى المحز بيديه) الالقاء بالقاف بمعنى الرمى ومفعوله محذوف اى القاؤه نفسه ورميها فى مهالك العجز ومهاويه

كشبه العجز ببئر ونحوه مما يهلك الواقع فيه وليديه متعلق به اى هو الرامى والطارح لنفسه وقيل معناه القى نفسه بهما فى العجز ولازمه له جعله ظرفا له وهو معنى ركيك وقول التلمسانى انه العا بالغين المعجمة من لغو الكلام الذى يحسن السكوت عنه لا عليه (والكوص على عقبيه) اى المأثور الرجوع كما قاله الاعتراف بعجزه يقال نكص على عقبيه وهما مؤخر الرحل اذا رجع القهقرى وقال الراغب الكوص الاحجام عن الشئ وفى القاموس نكص على عقبيه رجع عما كان عليه من خير فهو خاص بالرجوع عن الخير ووهم الجوهرى فى اطلاقه وقيل عليه ان قلت معارضة القرآن شر فكيف يكون الرجوع عنها نكوصا على العقبين قلت هو مبنى على زعمه او هو تهكم به كما اطلق على رجوع الشيطان يوم بدر عن اعانة قريش على النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى فلما تراءت الفئتان ينكص على عقبيه على ان الاصح جواز اطلاقه على خلافه نادرا اقول هذا استشهاد عن رجوع القهقرى لانه معنى الرجوع على العقبين فيجوز به عن العود الى حاله الاول مطلقا شرا كان او خيرا فالحق ما قاله الجوهرى ❊ فصل وقد عد جماعة من الائمة ومقلدى الائمة ❊ ضبطه بفتح لام مقلد لمناسب ما قاله وقيل انه بكسرها والمراد بالاول المجتهدين ولك ان تقول انه اشارة الى ضعف اقوالهم (فى اعجازه وجوها كثيرة منها ان قارئه لا يمله) اى لا يسام طبعه من كثرة قراءته ولو اعاده مرارا كثيرة مع ان الطباع جبلت على معاداة المعاداة (وسامعه لا يمجه) اى لا يكره تكراره على مسامعه يقال مج الشراب ونحوه اذا رماه من فيه فالمج حقيقة طرح المايع من الفم فان كان غير مايع يقال لفظه فاقيم الاذن مقام الفم واللفظ مقام الماء لرقته ولطفه وهى استعارة لطيفة كما قال العرى فيما تقدم

❊ وتعير المعتاد يحس بعضه ❊ للورد حد بالانوف يقل ❊

فاستعير لتركه استعارة تبعية او مكنية وتخييلية فكانه كالنفس الذى يكره لا يمل منه لانه مادة الحياة كما قال المعرى ❊ ردى حديثك ما املت مستمعا ❊ ومن يمل من الانفاس ترديدا ❊ ومجه يمجه بضم ميم المضارع كقتله يقتله فهو من باب قتل (بل الاكباب على تلاوته) اى ملازمة قراءته وتكراره فهو مجاز من الاكباب وهو الوقوع على الوجه كما قال افمن يمشى مكبا على وجهه وفى اختياره على الوقوع اشارة الى وجهه اليد قال لبيد ❊ ينوح الهالكى على يديه ❊ مكبا يجتلى نقب الصال ❊ (يزيده حلاوة) اى ترداد قراءته تزيده حلاوة ففيه ترق من عدم الملل الى زيادة حلاوته واصاب به المحز لان ما يمج يكون مرا او مالحا يكرهه الطبع وهو كقول الشاطبى ❊ وخير جليس لا يمل حديثه ❊ وترداده يزداد فيه تجملا ❊ (وترديده) اى اعادته وتكريره (يوجب له محبة) لزيادة حلاوته وحسنه (لا يزال) كلما كرر (غضا)

اى خديدا وهو مجاز من عض الصوت والطرف قال جارية بثبت شبابا عصا (طريا) اى رطبا ناعما فلا تتعير بهجته ونضارته قال النابلسى رحمه الله تعالى
*واخلق به اذ لبس يخلق جده * جديدا واليه على الجد مقبلا*
وكانه فى كل مرة قريب عهد بالنزول (وعيره من الكلام ولو دام من الحسن والبلاغة مبلعد) اى لو فرض ان بعض كلام البشر وصل الى رتبته فى البلاغة (يمل) بالبناء للمجهول اى يمل قارئه وسامعه (مع الترديد) اى مع التكرير مرارا (ويعادى اذا اعيد) اى يكره ويثقل وتنفر منه النفس كما تنفر ممن يعاديها وهذا على فرض المحال والا فقد تقدم انه لا يوجد مثله ولا ما يقرب منه * وابن الثريا عن يد المتناول* (وكابنا) معاشر الامة المحمدية النازل الينا بواسطة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهو القرآن (مستلذ يفوق الخلوات) اى يجد قارئه لذة اذا اختلا بقراءته وخص الخلوة لانها محل اجتماع الحواس واطمئنان القلوب بذكر الله تعالى فهو فيها اعظم لذة ايضا وان كان له لذة ايضا بقراءته بين الناس ايضا (ويؤنس) بالبناء للمجهول اى يجد به انسا يدفع وحشته (فى الازمات) جمع ازمة وهى الشدة كما فى حديث اشتدى ازمة تنفرجى ولام خلوة وزاى ازمات ساكنتان فى المفرد والجمع لانه جمع على فعلات يسكن فى الاسماء ويحرك فى الصفات كما بين فى التصريف والضمير فى كابنا للجماعة المؤمنين لا للتعظيم لانه لا يناسب المقام قيل ولو قال كابنا يستأنس به فى الخلوات ويستعان به على الازمات كان احسن وما قصده المصنف اعلى مما قاله لان الخلوة انسب باللذة وقرينتها لان المرء يستلذ الخلوة بمن يحبه * ولذة الاحمق مكشوفة * يسعى بها كل عدو رقيب * والشد انك لا تجد فيها رفيقا يعين عليها ويدفع كربها والمعالى قليلة الرفقاء ولكل وجهة (وسواه من الكتب) سوى اذا ضم اوله او كسر قصر واذا فتح مد والرواية على القصر وهو بمعنى غير لكنه تفنن وعبر فى الاول بغير وفى هذا بسوى والظاهر ان المراد بالكتب الكتب المنزلة قبله كالزبور (لا يوجد فيها ذلك) اى اللذة والانس المذكورين (حتى احدث اصحابها) اى اخترعوا والفوا والمراد باصحابها من يقرؤها (لها لحونا) اى للكتب التى يدرسونها واللحون جمع لحن واحد الالحان الاعلى والنغمات التى ترين بها الاصوات وتوزن بضروب الموسيقى على مقاماتها وشعبها مما هو معروف عندهم يقال لحن فى قراءته اذا طرب وللحن معان منها هذا والايماء والرمز وان اشتهر فى خطاء الاعراب والمراد به هنا ترجيع الاصوات للتطريب والغناء تحسينا للقراءة والشعر وفى الحديث اقرؤا القرآن بلحون العرب واصواتها واياكم ولحون اهل العشق واهل الكتابين يعنى اليهود والنصارى يقرؤن كتبهم بنحو من ذلك وهكذا يفعل اهل مصر بقراءتهم فى مجامع الناس المعروفة بالجوق وهى مما حرمه الفقهاء وتشددوا

التكبير على فاعله وهو لاينافى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرأن على احد المعنيين فان المراد به الحان العرب المذكورة من غير تمطيط و تغيير كما فصل فى ادب القارى (وطرقا) جمع طريق وهى مايجرى على قانون الموسيقى وضربها الموزونة (يستجلبون) اى يطلبون وجودها او يجلبونها لهم ولمن يسمعهم (بتلك اللحون) والنغمات (تنشيطهم) اى وجود نشاطهم وطربهم (على قراءتها) اى على تطويل قرأتها وزيادتها او على ان يقرأها غيرهم كقراءتهم ان اريد باللحون نغمى القارى نفسه ويحتمل ان يريد بما احدثوه مايكون مع القارى من آلات الطرب كالمزامير و مايسمى ارغنون من اوتار كثيرة تضرب مع القرأة وتألف بعضها ببعض حتى كان القارى على نغماته على قرين الآية * يملى على عوده انغامه * وتراه يفرك اذنه ان قصرا * (ولهذا) اى لما احتص به القرأن من عدم مماثل قارئه وما بخصه (وصف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم [illegible] رواه الترمذى عن على كرم الله وجهه بدون قوله الاتى هو الذى لم يلتبه الجن الخ (بانه لايخلق) بفتح الياء وضم اللام اى لايبلى و لايتغير حاله بمرور الزمان ويجوز فتحها وضم اوله وكسر ثالثه من احلق بمعنى حلق لانه ورد متعديا ولازما فلامه مثلثة بمعنى واحد (على كثرة الرد) بمعنى مع وارد كالترديد بمعنى كثرة التكرار فى قراءته وردده وترديده بمعنى كرره وكثرة التكرار فى العادة توثر وتمحى ماكرر كالثوب اذا تكرر لبسه كما قيل

* اما ترى الحبل بتكراره * فى الصخرة الصماء قد اثرا *

وفيه استعارة مكنية وتخييلية لتشبيهه بمبرد رقيق يلمس ليتحمل به والمراد به اما الملل منه فهو بمعنى ماتقدم من ان قارئه لايمله وكل مكرر يمل و لايتغير بتحريف ونسخ ولاينسى وقد وردان بعضهم كرر آية واحدة طول ليله (ولاتنقضى عبره) بكسر العين المهملة وفتح الباء الموحدة جمع عبرة بسكونها والمراد بها عجايبه اومواعظه التى تعمل بها و يعتبر وهو عبارة عن كثرتها و بقائها والثانى اولى لئلا يتكرر مع قوله (ولاتفنى عجائبه) اى لكثرتها لا تنفد وتنتهى جمع عجيبة وهى مايتعجب منه فكلما اعيدت النظر فيها ظهر لك ما هو اعرب واعجب مما عرفته اولا (هو الفصل) اى الجد الفاصل بين الحق والباطل يقال كلام فصل اى حق مبين محكم اوالمفصول المتميز من غيره فهو فعل بمعنى فاعل اومفعول (ليس بالهزل) كما قال تعالى وماهو بالهزل اى ليس فيه لعب ولا كلام سخيف وهو فى الاصل من الهزال ضد السمين فهو كلام سمين لاغث فيه لما فيه من الاوامر والنواهى التى بها بها سامعها (لا تشبع منه العلماء) اى لاتستغنى عنه ولا تزال تستنبط منه معانى وفوائد فى كل حين وفى الحديث منهومان لايشبعان طالب علم وطالب دنيا فشبهه بما كول به قوام حياته الاان كل ما كول لايشبع آكله اذا امتلأ منه جوفه وهذا مخالف لذلك ففيه استعارة تبعية اومكنية

وتخييلية * فوائد فوائده ممدودة * والوان لذائذه غير مقطوعة ولا ممنوعة (ولا تزيغ به الا هواء) بفتح المثناة الفوقية وزاى وعين مهملتين بينهما تحتية ساكنة من زاغ اذا مال وعدل عن منهجه والاهواء بالمد جمع هوى وهو ما تهواه وتشتهيه الانفس من الضلال اى لا يضل من اتبعه ويميل الى هوى نفسه الامارة (ولا تلتبس به الالسنة) جمع لسان وهو الجارحة المعروفة شاع فى الكلام واللغات فالمعنى انه لا يشبه غيره من الكلام فلا يمكن اختلاطه به وادخاله فيه لان اسلوبه ونظمه لا يشبه غيره فالمراد انه لا يمكن ان يدس فيه دسيسة وقيل المعنى انه لا يحسن قراءته على المؤمنين وهو بعيد لانه افتعال من اللبس وهو الاشتباه وقوله (هو الذى لم تنته الجن حين سمعته ان قالوا) اصله معنى انتهى بلغ النهاية وهى آخر الشئ وغايته ويكون بمعنى كف وترك وهذا هو المراد هنا اى لم يكف الجن عن هذه المقالة ومن لم يترك شيئا بادر اليه واقبل عليه ولذا قيل معناه لم يلبثوا وان مصدرية بفتح الهمزة ومحله نصب او جر بتقدير عن وما قيل انه فى معنى العلة اى لم ينتهوا عن القول من اجل قولهم لقومهم اذا رجعوا اليهم فيه خلط وحط (انا سمعنا قرآنا عجبا) اى عجبا فى بلاغته وعلو رتبته وبركته وعرته (يهدى الى الرشد) اى يدل على الصواب من الايمان والتوحيد وهو تبكيت لقريش اذ مكثوا سنين مع معرفتهم بالفصاحة لم يفهموه وهؤلاء الجن بمجرد سماعهم من غير توقف آمنوا به و قال البرهان كانوا سبعة تناصر وماصر ومنقذ وماشى والاحقب وهؤلاء الخمسة ذكرهم ابن دريد فى مناقب عمر بن عبد العزيز قال بينما هو يمشى بفلاة اذا هو بحية ميتة فكفنها بفضل ردائه ودفنها فاذا قائل يقول يا سرق اشهد بالله لقد سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ستموت بارض فلاة ويدفنك رجل صالح فقال عمر رضى الله عنه من انت رحمك الله قال رجل من الجن الذين سمعوا القرآن من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم يبق منهم الا انا وسرق وهذا سرق قد مات وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه انه كان فى نفر من اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يمشون فرفع لهم اعصار عظيم ثم انقشع فاذا حية قتيل فعمد رجل منا الى ردائه فنفضه وكفن الحية ببعضه ودفنها فلما جن الليل اذا امرأتان تسألان ايكم دفن عمرو بن جابر فقلنا ما ندرى من عمرو فقالتا ان كنتم ابتغيتم الاجر فقد وجدتموه ان فسقة الجن اقتتلوا مع مؤمنيهم فقتل عمرو وهو الحية التى رأيتموها وهو ممن استمع القرآن من رسول الله صلى الله تعالى عليه و سلم قال الذهبى الذى دفنه بالعرج صفوان ابن المعطل وهو من الصحابة وسماه عمرو بن طارق ومن لقى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مؤمنا منهم عد من الصحابة والاعتراض بانه ينبغى ان يعد منهم الملائكة ايضا كجبريل وميكائيل رده الذهبى بانه ارسل اليهم

ولم يرسل للملائكة وبيانه يحتاج لتفصيل ليس هذا محله ومشى شيخنا الرملي على مقتضى كلام الذهبي تبعا لوالده والمعتمد خلافه وارساله صلى الله تعالى عليه وسلم عام لكل الخلق حتى الملائكة وهؤلاء من جن نصيبين بلدة بالحريرة لا باليمن كما قيل والكلام على الجن مبسوط في كتاب لقط المرجان في احكام الجان وسيأتي بيانه في الكلام على نطق الشجر (ومنها) اي من وجوه اعجازه التي ذكرها بعضهم (جمعه لعلوم ومعارف) اي علوم كلية كانت في الامم السالفة كعلم النجوم ودقائقه وعلم الطب كما في قوله لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر وقوله وكلوا واشربوا ولا تسرفوا والمعارف الجزئية كالاخبار عن قصة يوسف عليه الصلوة والسلام وتفصيلها مما لا يعرفه الا من شاهدها ومن ذلك ما قيل ان قوله تعالى الى ظل ذي ثلاث شعب انه اشارة الى شكل المثلث وبعض احكامه المذكورة في الهندسة وفيه نظر [illegible] (لم تعهد العرب) بالبناء للمفعول اي لم تعرف في عهدها وزمانها (عامة) اي جميع العرب وعامة منصوب على الحال لافادة العموم مثل كافة وطرا (ولا محمد صلى الله عليه وسلم قبل نبوته) ونزول الوحي بها عليه (خاصة) اي لم يعرف له صلى الله تعالى عليه وسلم بخصوصه علم بها قبل البعثة اما بعدها فقد اطلعه الله تعالى على علوم الاولين والآخرين (بمعرفتها) متعلق بتعهد والضمير للعلوم والمعارف (ولا القيام بها) بمداومته عليها (ولا يحيط بها احد من علماء الامم) اي لم يحط علم احد من علماء السلف كالحكماء والاحبار من اهل الكتاب بشيء منها (ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم) اي لم يدون قبله حتى يقال انه اخذ علمه منها وفسر ما ذكره بقوله (فجمع فيه من بيان علم الشرايع) جمع مبني للمجهول اي جمع الله تعالى في كلامه ما ذكر والشرايع جمع شريعة وهي والملة والدين بمعنى متحد المصداق متغاير المفهوم وهي وضع الهي سائق الى ما فيه الخير في الدارين منقولة من الشريعة وهي مورد الماء اذ الطريق الواسع كالشارع (والتنبيه على طرق الحجج العقليات) اي تنبيه الناس وارشادهم الى نصب الادلة العقلية وكيفية الزام الخصم بها كما في قصة ابراهيم عليه الصلوة والسلام ونظره للكواكب لاقامة الحجة على وجود الصانع وكما في قوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وغيره مما لا يحصى كما يأتي بيانه (والرد على فرق الامم) الضالة ممن عبد الكواكب وغيرهم (ببراهين قوية) محكمة الالزام جارية على قانون المناظرة والجدل وآداب البحث (بينة) ظاهرة (سهلة الالفاظ) يفهمها كل من يسمعها * تكاد من عذوبة الالفاظ * تشير بها مسامع الحفاظ * كما مر (موجزة المقاصد) قليلة العاطها الدالة على معانيها المهمة الكثيرة فليس فيها اختصار مخل ولا عبارة معلقة (رام التحد لقون نعد) بالبناء على الضم اي نعد

للوقوف عليها والمتحذلق بوزنة اسم الفاعل بحاء مهملة وذال معجمة ولام وقاف وهو مدعى الحذق وهو سرعة الفهم اى قصد مدعى الذكاء فى العلم واقامة البراهين يقال حذلق اذا اظهر الحذق وادعى اكثر مما عنده كتحذلق فهو مأخوذ من الحذق ولامه زائدة (ان ينصبوا ادلة مثلها) نصب الدليل واقامته ذكره فى مقام المخاصمة (فلم يقدروا عليها) اى لم يكن لهم قدرة على الاتيان بمثل ادلته و براهينه (كقوله اولیس الذی حلق السموات والارض) رد على منكرى الحشر والمعاد الجثمانى اى من قدر على اختراع مثل هذه الاجرام العظيمة من العدم (بقادر على ان يخلق مثلهم) اى مثل هذه الاجسام الحقيرة الصغيرة و يعيدها وهو اهون عليه كما قال الله تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس فهذه حجة ظاهرة (و) قوله (قل يحييها الذى انشاها اول مرة) اى من اوجدها من عدم محض قادر على اعادتها واحيائها بطريق الاولى وفى هذا ايضا حجة باهرة (و) منها قوله (لو كان فيهما) اى فى السماء والارض (آلهة الا الله لفسدتا) فلو تعددت الالهة لفسد نظام العالم و بطل وفيها برهان قوى قطعى ولبس اقناعيا كما فى شرح العقائد و يسمى برهان التمانع وفى بيانه واعرابه كلام مفصل لايسعه هذا المقام وقد افرده بالتأليف خاتمة المحققين مصلح الدين اللارى فحسبك من القلادة ما احاط بعنق التقليد فان لكل مقام مقالا (الى ماحواه) اى مضمونا ماذكر من البراهين الى ما اشتمل القرآن عليه (من علوم للسير) جمع سيرة وهى الطريقة والاخلاق الحميدة و يخص فى العرف بالغزوات واخبار الجهاد ولكل وجهة هنا (و انباء الامم) اى اخبار من مضى منهم (والمواعظ والحكم) اى امور الترغيب والترهيب وجوامع الكلم المحكمة المرشدة لتكميل النفوس بالملكات الفاضلة (واخبار الدار الآخرة) من الجنة والنار والحشر واهوال الموقف وغير ذلك (ومحاسن الاداب) جمع ادب وهو الاوصاف المحمودة التى يشرف صاحبها (والشيم) بسين معجمة ومثناة تحتية و يجمع ايضا بزنة عنب جمع شيمة وهى الطبيعة واهل مصر تستعملها بمعنى دارات الماء كقول القيراطى رحمه الله تعالى *لك يا نيل مصرنا* كرم اهل الديم * انت روحا حقيقة * طاهر الوصف والشيم * وهى لغة عامية لا اصل لها (قال الله جل اسمه ما فرطنا فى الكتاب من شئ) اى لم نترك شيئا يحتاج اليه الا بيناه فى القرآن بناء على ان المراد بالكتاب القرآن لا اللوح المحفوظ كما قيل والتفريط الترك المخل ضد الافراط وهو يتعدى بفى من غير تضمين معنى اعفلنا كما توهم والمعنى انه مشتمل على جميع ما يحتاج اليه اجمالا تصريحا وتلويحا كما بينه المفسرون ومن زائدة بعد النفى فى المفعول الذى تعدى اليه بتضمين تركه ونحوه مما رد فيه بآية تؤيد ان المراد بالكتاب القرآن فقال (وانزلنا عليك) يا محمد (الكتاب تبيانا لكل شئ) اى مبينا لكل شئ يحتاج اليه وهو

بكسر التاء مصدر على خلاف القياس بمعنى مبين ولا ثانى له غير تلقاء على كلام فيه بعد (ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل) ضرب المثل معلوم اى آتينا لكل امر مهم بمثال يوضحه لما فى ضرب الامثال من الفوائد المهمة (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث رواه الترمذى عن على رضى الله تعالى عنه تقدم بعضه منه واورد بقيته هنا مع زيادة فيه (ان الله انزل القرآن) من اللوح المحفوظ منجما بحسب المصالح وانزل ونزل يستعمل كل منهما بمعنى الآخر فاذا جمع بينهما او قامت قرينة اريد بالانزال الدفعى وبالتنزيل التدريجى كما فصلوه (آمرا) بالمد حال من الفاعل او المفعول على الاسناد المجازى (وزاجرا) اى مانعا وكافيا وناهيا والزجر الطرد بصوت يستعمل تارة فى الطرد واخرى فى الصوت كما قاله الراغب (وسنة خالية) اى طريقة متبعة مستقيمة لمن كان قبلكم من الامم من خلاء بمعنى ذهب ومضى ويكون بمعنى تفرغ

(ومثلا مضروبا) جعله عن [redacted] الالهية وهى معروفة بالمثل له لتنزيل المعقول منزلة المحسوس فان تنبيه الاولى والاخرى اكثر الله والانبياء والحكماء فى كلامهم من الامثال وقوله (فيه نبأكم) بالرفع كالمعطوف عليه ان كان نائب فاعل مضروبا فهو بتقدير مضاف اى مثل نبائكم وان كان مبتدأ ففيه خبر مقدم والجملة حالية وتغيير الاسلوب يحتاج لنكتة فمكانها الاشارة الى انها حال اخرى غير مختصة بالقرآن كالتى قبلها والنبأ الخبر عن امر عظيم والخطاب للامة وقيل للصحابة رضوان الله تعالى عليهم (وخبر ما كان قبلكم) عبر بالخبر تفننا واشارة لشرف هذه الامة وما شامل لمن يعقل تغليبا للاكثر او لصفات من يعقل كقوله تعالى او ما ملكت ايمانكم (ونبأ ما بعدكم) اى ما بعد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه رضى الله تعالى عنهم او لما يقع بعدهم من الفتن واشراط الساعة وغير ذلك الى يوم القيمة (وحكم ما بينكم) اى بيان للاحكام فيما يقع ويحدث بينكم معاشر هذه الامة المحمدية وهو بضم الحاء المهملة وسكون الكاف (لا يخلقه طول الرد) تقدم معناه وانه بضم اوله وفتحه من الثلاثى والمزيد اى لا يبليه ويفنيه تكرار تلاوته (ولا تنقضى عجائبه هو الحق ليس بالهزل) تقدم تفسيره (من قال به صدق) اى من اختار ما فيه وحكم به فقد اتى بامر صادق لا ريب فيه وفى القاموس قال به على ومنه سبحان من تعطف بالعز وقال به وهذا لا يناسب قوله صدق (ومن حكم به عدل) اى قضى بما فيه من الاحكام فهو عادل فانه حكم الله ومادبك بطلام للعبيد (ومن خاصم به) اى خاصم بحجة وادلة مأخوذة منه (فلج) اى غلب وفاز بالنصر على من خاصمه وهو بفتح الفاء واللام وبجيم يقال فلج اذا فاز وظفر بالعلبة (ومن قسم به قسط) بفتح القاف والسين المخففة اى من تولى قسمة امر فقسمها بما فى كتاب الله كقسمة المواريث والغانم وغيرها عدل يقال قسط اذا جار واقسط بالهمزة اذا عدل فهو مقسط فالهمزة للسلب كاشكيته اذا ازلت شكايته وهو مأخوذ من القسط

وهو الميزان كالقسطاس وفى الحديث ان الله يخفض القسط و يرفعه وهو تميل ويقال قسط اذا عدل ايضا فهو من الاضداد (ومن عمل به اجر) بالبناء للمفعول اى حاز الاجر والثواب الجزيل (ومن تمسك به هدى الى صراط مستقيم) هو كقوله تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى ففيه استعارة مكنية وتخييلية هنا بتنزيل المعقول منزلة المحسوس لايصاله لمن اقتدى به الى الطريق الحق و هو الصراط المستقيم الذى لاعوج فيه ولاضلالة (ومن طلب الهدى من غيره) كعقله و قوال غيره (اضله الله) اى جعله شقياضا لا لعدوله عن الطريق الحق (ومن حكم به) حكم (غيره قصمه الله) اى قتله واهلكه هلاكا شديدا واصل معنى القصم القطع باباية وانفصال فاستعير لما ذكر وجوز فى هذه الجملة ان تكون خبرية ودعائية انشائية (هو الذكر الحكيم) الذى بمعنى القرآن والحكيم ذو الحكمة لاشتماله عليها اوسمى باسم قائله اى الحكيم قائله ففعيل بمعنى فاعل اى الذى يحكم الاشياء و يتقنها او الحاكم لهم وعليهم او المحكم الذى لاخلل فيه (والنور المبين) الواضح البين الذى تهتدى بانواره العقول الى الخروج من ظلمة الجهل والضلالة (والصراط المستقيم) اى الموصل الى السعادة الابدية فيصل الناس به ومنه الى المقصد الاسنى كما تصل من الطريق الى ما تريد من الدار ومنزلها (وحبل الله المتين) اى عهده وامانه الذى يؤمن العذاب وكل مايكره و يشق على النفس ويتوصل به الى ما ينجيه ويوصله لمطالبه والمتين بمعنى القوى المحكم يقال متن اذا صلب (والشفاء النافع) اما ان يراد بالشفاء ظاهره لانه يسترقى به فيشفى من بعض الامراض او يراد مطلق النفع على طريق المجاز كالمشفر او على طريقة الاستعارة بان يشبه الجهل بالداء و يجعل ما يزيله كالدواء والعلاج النافع الذى لاسقم بعده لنفعه فى الدنيا والآخرة (عصمة لمن تمسك به) بكسر العين وسكون الصاد المهملتين دعلة من العصم و هو الامساك والاعتصام التمسك و يجوز ضم عينه ايضا والاكثر الافصح الكسر وتجئ العصمة بمعنى السوار ومنه المعصم لانه محلها والمراد انه حام ومانع لمن اتبعه وعمل به عن ارتكاب الفاحشة والزلل (ونجاة لمن اتبعه) اى منج له ومخلص مما يخشاه (لايعوج) بفتح اوله وتشديد جيمه ورفعه اى ليس فيه حلل لفظا ولا معنى كما قال تعالى ولم يجعل له عوجا والعوج بفتحتين الميل والانعطاف المدرك بالبصر و بكسر اوله مايدرك بالبصيرة (فيقوم) بالنصب فى جواب النفى اى لايحتاج الى تقويم يزيل عوجه فليس كسائر الكلام المحتاج للاصلاح (ولايزيغ) بمعجمتين بوزن نصر اى لايميل عن الحق والصواب (فيستعتب) بالنصب اى لايستحق العتاب واللوم لعدم خروجه عن الاستقامة والعتب مخاطبة ادلال وموجده ففيه استعارة مكنية وتخييلية وفى رواية الترمذى ولاتزيغ به الاهواء اى تميله (ولاتنقضى عجايبه ولايخلق على كثرة الرد)

تقدم بيانه (ونحوه) اى نحو هذا الحديث المروى عن على كرم الله وجهه مارواه الحاكم (عن ابن مسعود وقال) اى ابن مسعود رضى الله تعالى عنه (فيه ولايختلف) اى لايقع فيه مايخالف بعضه بعضا مع طوله و بعد عهده ولوكان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا (ولايتشان) بفتح الياء التحتية والتاء الفوقية والسين المعجمة والف بعدها نون مشددة تفاعل من الشن وهى القربة البالية فهو مستعار للبلا والفناء بمعنى قوله فى الرواية الاخرى لايخلق على كثرة الرد وفى رواية لايتفه ولايتشان والتفه الحقارة وشئ تفه حقير كذا هو فى اكثر الروايات وصححوه وفى نسخة ولايتشأ بياء تحتية مفتوحة او مضمومة وتاء فوقية مفتوحة وشين معجمة والف بعدها نون وهمزة من الشئ وهو البعض والعداوة فاستعير لتنافر الكلمات وعدم تناسبها حتى كان بينها عداوة اوتخالف معانيه فهو كقوله ولايختلف معنى وهو معنى ظاهر مكشوف فاقيل الصواب هو الاول ان ارادوا بحسب الرواية فسلم وان ارادوا بحسب الدراية فلا وجه له (فيه نبأ الاولين والآخرين) تقدم بيانه بمايغنى عن اعادته (وفى الحديث) الذى رواه ابن الضريس فى فضائل القرآن عن كعب الاحبار انه قال فى التورية انزلت على محمد فذكره واخرج ابن ابى شيبة فى المصنف عن مغيث بن سمى مرسلا انزلت على توريه الخ (قال الله عز وجل لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم انى منزل عليك توريه) اى كتابا سماويا شبيها بالتورية لكثرة ما اشتمل عليه من الاحكام والمواعظ والوعد والوعيد والامثال والحكم والعقائد اليقينية فاطلاق التورية عليه استعارة تصريحية اومجاز مرسلا اوحقيقة ان قلنا انه عبرانى معناه كتاب وانما عبربه لشهرته وعظم شانه فانه اجل كتاب نزل قبل القرآن ولشهرته بين اليهود من اهل الكتاب الذين هم اقرب اليه وهو حديث قدسى نزل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم قبل الوحى اوفى ابتداء امره (حديثة) اى قريبة عهد بالنزول وهو كقوله مايأتيهم من ذكر من ربهم محدث فلادليل فيه لمن يقول بحدوث القرآن ولما كان كلام الله تعالى يسمى نورا وشفاء قال (تفتح بها اعينا عميا) اى ترشد بها من كان فى ضلالة كالاعمى لعدم اهتدائه للحق (وآذانا صما) اى وتسمع بها آذانا لاتسمع الحق فتقبله (وقلوبا غلفا) لا يصل اليها مايهديها الى السعادة كاديها فى علاف وعساء مانع عن وصول الحق اليها وعن الفهم وقد تقدم بيانه فسمى ازالة المانع مطلقا فتحا اوهو من قبيل قوله متقلدا سيفا ورمحا (وفيها) اى فى التورية يعنى القرآن (ينابيع العلم) جمع ينبوع وهى العين التى ينبع منها الماء الجارى فشبه العلم النابع بالماء الذى تحيى به النفوس على طريق الاستعارة المكنية واثبت له الينبوع على طريق التخييل (وفهم الحكمة) اى مايفهم الحكم وهى المواعظ وكل كلام محكم نافع جعل الفهم كانه فيها مبالغة لكونها ينبوعه ومعدنه (وربيع القلوب) الربيع يكون بمعنى الخصب والمطر اى

فيها ما تحيى به القلوب و تنموا وتخصب و تمرح وتنشرح وتتنزه وتتفرح ففيه استعارة لطيفة (وعن كعب) ابن ماتع المعروف بكعب الاحبار كما تقدم (عليكم بالقرأن) اسم فعل بمعنى الزموا وتمسكوا يقال عليك كذا و بكذا فالمراد ملازمة تلاوته وتدبر معانيه (فانه فهم العقول) اى مفهم للعقول ما يخفى عليها فهو مصدر بمعنى اسم فاعل مبالغة لا بمعنى مفعول كنسج بمعنى منسوج فانه ركيك كما يرشد اليه قوله بعده هذا بيان للناس (ونور الحكمة) اى منورها اوهو كالعين الماء اى فيه حكم يشرق نورها و يتلألأ وضوحا و يهتدى بها (وقال الله تعالى ان هذا القرأن يقص على بنى اسرائيل اكثر الذى هم فيه يختلفون) يعنى انه بين فيه لاهل الكتاب ما اشتبه عليهم واختلفوا فيه مما يهمهم فوقوه من كتابهم فقيه اشارة الى ان القرأن احمع للاحكام من غيره من الكتب المنزلة قبله واوضح (وقال) تعالى (هذا بيان للناس وهدى الآية) اى لجميع الناس (من اهل الكتاب) وغيرهم وموعظة للمتقين والآيتان مما يؤيد ما قاله كعب ثم وضح ما قاله وفسره بقوله (فجمع فيه) اى فى القرأن (مع وجازة الفاظه) اى اختصارها وقلة الفاظه مع كثرة معانيه (وجوامع كلمه) معنى جوامع الكلم انها الكلام الجامع للمعانى الجمة فى الفاظ قليلة واضحة وتطلق على القرأن كما فى حديث اوتيت جوامع الكلم (اصعاف ما فى الكتب قبله) مفعول جمع اى جمع ما يزيد على سائر الكتب مثله اومثليه (التى الفاظها على الصعف منه مرات) اى مع زيادة الفاظها عليه بامثاله جمع من المعانى ما يزيد على امثاله معانيه وضعف الشئ يكون بمعنى مثليه وامثاله والتضعيف الزيادة مطلقا وفيه كلام لاهل اللغة ليس هذا محله (ومنها) اى من وجوه الاعجاز التى ذكروها (جمعه فيه) اى جمع الله فى القرأن (بين الدليل والمدلول) الدليل هو الدال المرشد الى ما يمكن التوصل بالنظر فيه الى مطلوب خبرى والمدلول هو المطلوب بالدليل هنا وان كان بمعنى المعنى مطلقا ثم بين معنى الجمع المذكور بقوله (وذلك) اى الجمع بينهما (انه احتج) بالبناء للمجهول فهو بضم اوله وثالثه اى ان الله اقام فيه الحجة على ما اراد اثباته والالزام به لمن اقيمت عليه الحجة (بنظم القرأن) اى بنظامه البديع المعجز (وحسن رصفه) براء وصاد مهملتين وفاء لابوا وكما فى بعض النسخ وهو من رصف البناء وهو ضم بعضه الى بعض فالمراد حسن نظمه وتأليفه كما يؤلف البناء شيئا بعد شئ حتى يتم و يكمل فى غاية الاحكام وصير انه لله او القرأن (وايجازه و بلاغته) وفى نسخة اعجازه اى كونه فى اعلى طبقات البلاغة المعجزة لكل بليغ (واشاء هذه البلاغة) بالنصب على الظرفية خبر مقدم اى فى خلالها واثناء بالمد على وزن افعال جمع ثنا بالضم والقصر وهو ما اثنى ودخل بعضه فى بعض كما اشار اليه ابن هشام اللخمى فى شرح الدريدية كما مر وهذا هو الدليل السابق ذكره ثم ذكر المدلول فقال (امره ونهيه ووعده ووعيده) وغير ذلك من المقاصد العظيمة التى اراد ها الله

تعالى (فانتالى له) اى القارى بفهم وتدبر لمعانيه (بفهم موضع الحجة والتكليف) بالجر والنصب (من كلام واحد وسورة منفردة) عن غيرها مما هو حجة او محتج به يعنى ان كل مقدار معجز منه دال على مقصد من مقاصده يكون دالا على مطلوب ومدعا وعبارته الدالة عليه برهان مصدق له لاعجازها وقيل المعنى انه وقع فيه الجمع المذكور كما فى قوله فى سورة الواقعة لما حكى كلام منكرى المعاد وهو ائذا متنا الخ عقبه بما قطع عرق شبهتهم بقوله افرايتم ماتمنون الى آخره وقيل انه كقوله فلا تقل لهما اف انه حجة لتحريم التأفيف ومكلف باجتنابه وقوله فصل لربك وانحر حجة لوجوب الصلوة والاضحية وانه مكلف بهما وهذا كلام لامحصل له ومحل يحتاج للتحرير (ومنها) اى من وجوه اعجازه (ان يجعله فى حيز) يقال تحيز وتحوز تفيعل وهذه المادة معناها فى كلام العرب يتضمن العدول من جهة اخرى من الحيز وهو فناء الدار ومرافقها ثم قيل لكل ناحية فالمستقر فى موضعه كالجبل لايقال له متحيز ويراد بالمتحيز عند غير العرب ما يحيط به حيز موجود وهو اعم من هذا والمتكلمون يريدون به اعم من هذا وهو كل ما اشير اليه سواء كان له حيزا ولا فالعالم كله متحيز كما قاله ابن تيمية (المطعوم الذى لم يعهد) اى المؤلف الواقع على طريق لايشابه شيئا من كلامهم المطعوم لاشعرا ولاخطبة ولارسالة مع كونه واضح الدلالة بلسانهم وهذا انما يعرفه من له معرفة بكلام العرب نظمه ونثره وسجعه كما بينه فى كتاب الابانة ثم قال فان قلت وماهذه المباينة العظيمة التى بين القرآن وبين سائر كلام العرب وجميع المطعوم والاوزان حتى صار لاحلها معجزا باهرا قلت هى ما فى القرآن من البلاغة التى لايقدر اشد اهل البلاغة واللسن مقدما فى البيان ان يأتى بمثلها اومايقارنها (ولم يكن فى حيز المنثور) اى لم يشبه اقسام منثورهم من السجع الملتزم حروف كحروف روى الشعر ولاخطابة لمقاطع فصول الخطب ومواضع استراحاتها لاشتماله على الفواصل كما توهم (لان المنظوم اسهل على النفوس) اى الكلام المنسق نظمه وتأليفه على نهج واحد والمفضل عليه المنثور بالمعنى السابق (واوعى للقلوب) جمع قلب اى ادخل فى وعائه وهو القوة الحافظة له وفى الحديث بعد ذكر الانبياء الذى رأهم فى السماء اوعيت منهم اى ادخلته فى وعاء قلبى فهو اسم تفضيل من المبنى للفاعل على القياس واللام داخلة على الفاعل كما يقال هو اوعى لى ولاقلب فيه والصواب والقلوب اوعى له كما توهم (واسمح فى الاذان) بسين وحاء مهملتين اى اسهل مستعار من السماحة وليس من اسمح المزيد كما قيل وليس ايضا بخاء معجمة من السماخ وهو الصماخ اى منفذ الاذن كما توهم (واحلى على الافهام) اى يستعذبه الذوق السليم فيجد له لذة وحلاوة (فالناس اليه اميل) اى اكثر ميلا ومحبة كما قال الشنفرى * فانى الى قوم

شواكم لاميل * (والاهواء اليه اسرع) جمع هوى وهو ميل النفس وانجذابها اى ميل القلوب نحوه اشد من ميلها لغيره (ومنها) اى من وجوه اعجازه (تيسيره تعالى حفظه لتعليمه) اى تسهيل حفظه لمن يريده (قال تعالى ولقد يسرنا القرأن للذكر) فى الكشاف معنى الآية سهلناه للادكار والاتعاظ بان شحنا ه بالمواعظ الشافية وصرفنا فيه من الوعد والوعيد وقيل معناها سهلناه للحفظ واعنا من اراد حفظه ويجوز ان يكون معنى يسرناه هيأناه من يسر ناقته للسفر اذا رحلها وفرسه للغزو اذا اسرجه والجمه كما قال

* وقت اليها باللجام ميسرا * هالك يحرمنى الدى كنت اصنع *

وعلى هذا الوجه الثانى نبى المصنف استشهاده بالآية (وسائر الامم) التى قبل هذه الامة من اهل الكتابين وغيرهم (لايحفظ كتبها الواحد منهم) اى لايوجد فيها واحد يحفظ كتابهم المنزل على انبيائهم الا نادرا وروى عن ابن جبير ان بنى اسرائيل لم يكن فيهم من يحفظ التورية فكانوا لايقرؤنها الا نظرا فى صحفها غير موسى وهارون ويوشع بن نون وعزير فقيل انها رفعها الله تعالى وقيل انها حرقت فجاء عزير وتلاها عليهم كما انزلت من حفظه فافتنوا به وقالوا انه ابن الله وقد من الله تعالى على هذه الامة بان يسر عليهم حفظ كتابه وجعل فيهم حفظة له لاتحصى الى الان (فكيف الجماء) منهم اى فاذا لم يتيسر ذلك لواحد منهم الا نادرا كيف يتيسر للكثير والجماء بفتح الميم المشددة والمد بعد جيم مفتوحة من الجموم وهو الاجتماع والكثرة لاتعد وفى بعض النسخ فكيف الجم بعد مد وكلاهما صحيح رواية ودراية وفى الاساس عدد جم وحشد حباجما وجاؤا جما غفيرا والجماء الغفير اشتق من جمة الشعر وماقيل من ان الصواب الجم لانه لايتلفظ بالجماء الا موصوفا نحو جاؤا الجماء الغفير لااصل له وذلك انما هو اذا كان منصوبا كما ذكره اهل العربية (على مرور السنين عليهم) اى مع طول اعمارهم وامتداد ارمنتهم لم يتيسر لهم حفظ كتبهم (والقرأن ميسر حفظه للعلمان) اى لغلمان هذه الامة واطفالهم فى مكتبهم (فى اقرب مدة) اى فى زمن قليل كسنة ونحوها كما شاهدناه وعلمان بكسر العين المعجمة وهو من حين يولد الى ان يشب (ومنها) اى من وجوه الاعجاز عند بعضهم (مشاكلة بعض اجزائه بعضا) اى مشابهة بعضه لبعض قال الراغب المشاكلة فى الهيئة والصورة والند فى الجنسية والشبه فى الكيف والشكل الدل وهو فى الحقيقة الاتس الذى بين المتماثلين فى الطريقة ومن هذا قيل الناس اشكال وآلاف واصل المشاكلة من الشكل اى تقييد الدابة بالشكال ومنه شكل الكتاب (وحسن ايتلاف انواعها) اى مناسبة انواع تلك الاجزاء فتكون كلماته متناسبة وجمله المركبة ايضا بينها الفة وحسن مناسبة تامة (والتيام اقسامها) بهمزة ويجوز ابدالها ياء ايضا اى توافقها وانضمام كل قسم

الى متناكله (وحسن التخلص من قصة الى اخرى) وهو ان يوافق مطلع السابقة مداؤ اللاحقة حتى يصير كالقصة الواحدة (والخروج من باب الى غيره) اى الانتقال من نوع من الكلام الى نوع اخر وفى ذكر الخروج مع الباب لطف ظاهر (على اختلاف معانيه) الضمير للقرآن وعلى بمعنى مع اى تراه مع لختلاف مقاصده لايخرج عن المناسبة التامة فى جمله وتفاصيله وهذا يعلم من كتاب المناسبات وقد صنف فيه كتب اجلها مناسبات البقاعى وحسن التخلص مما اعتنى به البلغاء والشعراء كقوله

* يقول فى قوس محنى وقد اخذت * منى السرى وخطى المهرية القود *
* امطلع الشمس تبغى ان تؤم بنا * فقلت كلا ولكن مطلع الجود *

والانتقال من غير مناسبة يسمى اقتضابا (وانقسام السورة الواحدة على امر ونهى وخبر واستخبار) اى استفهام وهو احد اقسام الانشاء المقابل للخبر وعدى الانقسام على والباء فى قوله بقية باق الى اقسامه وانما تعدى بنحو الى لتضمنه معنى

فتقول قد ينقسم الى دراهم و دنانير وتقول قسمته على الفقراء والمساكين فاذا استعمل احدهما فى مكان الآخر واراد الكلام كان تجوزا لنكتة وهى هنا جعل القسم الكلى كانه امر خارج قسم على افراده اوانواعه فنال كلا حصة منه لوجوده فى ضمنه فلا يحسن ذلك فى كل محل ولا من كل قائل (ووعدو وعيد واثبات نبوة وتوحيد) كقوله وما كنت ثاويا فى اهل مدين اذ قضينا الى موسى الامر وقوله انما الله اله واحد (وتقرير) لبعض ماشرع اولا (وترغيب وترهيب) بوعد من اتقى بالنعيم المخلد وان من كفر فى سواء الجحيم منضما ما ذكر (الى غير ذلك من فوائده) كضرب الامثال وذكر القصص للعبرة بها (دون خلل) اى امر يخل به و ينقصه (يتخلل فصوله) اى يكون فى اثناء فصوله والفصل عبارة عن جمل من الكلام مستقلة وقيل انه بمعنى الفاصلة وهى الكلمة مما يضا هى السجع (والكلام الفصيح) من كلام البشر (اذا اعتوره) اى ورد عليه وطرأ وتداولة (مثل هذا) اى تضمن انواعا من المقاصد كوعد ووعيد وعبرة وتخلل فصوله التى يشتهيها المتكلم الفصيح (ضعفت قوته) لانه يكل خاطر قائله بتعدد انواع المقاصد فينزل عن مرتبتها التى ساقها فى اوله (ولانت جرالته) اى صلابته وشدته تنقلب لضدها (وقل رونقه) اى صفاؤه ونضارته (وتقلقلت الفاظه) اى اضطربت والقلقلة فى الاصل الحركة بعنف ويقال تقلقل فى البلاد اذا طال سفره فاستعير لتنافر الكلام الطويل (فتأمل) اى تدبر واطل التطر والفكر (اول) سورة (ص) والقرآن ذى الذكر الى آخره (وماجمع فيها) بالبناء للفاعل او المفعول واث ضميرا ول لانه بمعنى الفاتحة اولا كتسابه التأنيث مما اضيف اليه من اسم السورة (من احبار الكفار) اى كفار قريش من تعجبهم بان جاءهم نذير منهم وقولهم انه ساحر كذاب وغيره (وشقاقهم) اى عداوتهم لله ورسوله صلى الله عليه وسلم بقوله بل الذين كفروا فى عزة وشقاق (وتقريعهم) وتوبيخهم

(بإهلاك القرون من قبلهم) بقوله كم اهلكنا من قبلهم من قرن (وماذكر) فيها (من تكذيبهم بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم) فى قولهم ماسمعنا بهذا فى الملة الآخرة ان هذا الا اختلاق (وتعجبهم مما اوتى به) فى قولهم انزل عليه الذكر من بيننا الى آخره (والخبر عن اجتماع ملائهم على الكفر) الخبر هنا بمعنى الاخبار والملأ جماعة الاشراف والرؤساء وذلك انه لما اسلم عمر رضى الله تعالى عنه شق عليهم اسلامه فاجتمعوا عند ابى طالب وقالوا له انت شيخنا وكبيرنا وقد رأيت ما فعل هؤلاء السفهاء فاقض بيننا وبين ابن اخيك فجاء بهم له صلى الله عليه وسلم وقال له يا محمد هؤلاء قومك يسألونك القصد فلا تمل عليهم كل الميل فقال لهم ماتسئلونى قالوا دعنا وآلهتنا وندعك وآلهتك فقال ارأيتم ان اعطيتكم ماسألتموه اتعطينى انتم كلمة واحدة تدين لكم بها العرب والعجم قالوا نعم وعشرا قال قولوا لااله الا الله فقالوا امشوا واصبروا على آلهتكم ان هذا لشئ يراد (وماظهر من الحسد فى كلامهم) اى ماظهر فى كلامهم مما يدل على حسدهم له صلى الله تعالى عليه وسلم على ما آتاه الله فى قولهم انزل عليه الذكر من بيننا مما دل على اعترافهم وتيقنهم بصدقه صلى الله تعالى عليه وسلم الا ان الحسد اخرس السنتهم واعمى قلوبهم (وتعجيزهم) حيث قال ام عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما فليرتقوا فى الاسباب فانهم لما انكروا اختصاصه صلى الله تعالى عليه وسلم من بينهم بالنبوة بين لهم انها رحمة منه يصيب بها من يشاء ممن ارتضاه من عباده فلا مانع لما اراد فانهم لايملكون خزائنه والتصرف فيها حتى يضعوا النبوة فى صناديدهم فان انكروا ذلك فليصعدوا الى السماء وينزلوا الوحى لمن ارادوه وفى هذا غاية التهكم بهم واظهار عجزهم وقصورهم (وتوهينهم) اى اظهار ضعفهم ووهن كيدهم وتحقيرهم بقوله جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب اى هؤلاء الذين كذبوك وتحزبوا عليك جند ذو حقارة لاقدرة لهم على التصرف فى الامور الربانية فلاتكترث بهم (ووعيدهم بخزى الدنيا) بهزيمتهم (والآخرة) بذوقهم العذاب فيها (وتكذيبهم الامم قبلهم) اى وعيدهم بذكر من كذب من الامم قبلهم (واهلاك الله لهم) بقوله كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون الى قوله فحق عقاب (ووعيد هؤلاء) يعنى كفار قريش الذين كذبوه كما كذب الامم السالفة رسلهم فسيحل بهم ماحل بهم (مثل مصابهم) منصوب بقوله وعيدهم (وتصبير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على اذائهم) اى امره بالصبر بقوله اصبر على مايقولون الى آخره (وتسليته بكل ماتقدم ذكره) من بيان مال اليه امرهم وان له صلى الله تعالى عليه وسلم فيمن تقدمه من الرسل اسوة (ثم اخذ) اى شرع بعد تصبيره وتسليته (فى ذكر داود عليه الصلاة والسلام) بقوله واذكر عبدنا داود الى آخره قيل لما فى قصته من تقطيع المعصية بذكر ماصدر منه من خلاف الاولى الذى صدر منه فعوتب عليه

فاستغفر ربه وخر راكعا واناب * فما بالك بغيره فهذا وجه ذكره هنا فتدبر (وقصص الانبياء) بفتح القاف وكسرها كسليمان وايوب وابراهيم واسحق ويعقوب عليهم الصلاة والسلام بقوله ولقد فتنا سليمان الى آخره فذكرهم الله تعالى مثنيا عليهم (كل هذا) المذكور فى اول سورة ص مذكور (فى اوجز كلام واحسن نظام) مع فائدة ارتباط من غير خلل يريل رونقه ويقل ماء فصاحته (ومنه) اى من اعجاز القرآن وفى بعض النسخ ومنها ويحتمل ان يريد مما ذكر فى اول سورة ص (الجمل الكثيرة) من المعانى لقوله (التى انطوت عليها) واشتملت (الكلمات القليلة) بالنسبة لمعانيها وفى القلة والكثرة طباق البديع وقيل عليه ان محصل هذا انه ايجاز وقد تقدم ذكره غير مرة فلا حاجة لاعادته وعده وحها مستقلا ولذا استدركه بقوله (وهذا كله) اى ما ذكرهنا (وكثير مما ذكرنا) فى هذا الفصل [illegible] (انه ذكر فى اعجاز القرآن) مضافا (الى وجوه كثيرة لم يذكرها الائمة اكثرها داخل فى بلاغته) اشار بقوله اكثرها الى ان منها ما لا يدخل فى البلاغة كتسهيل حفظه وان كان يرجع اليه بوجه بعيد والا لم يعده الائمة من وجوه الاعجاز (فلا يجب ان يعد فنا منفردا فى اعجازه) بل يجعل من توابعه اوثمراته (الا فى باب تفصيل فنون البلاغة) فيعد فنا منها كشاكلة اجزائه وحسن التخلص فانه فن مفرد من البلاغة لا من الاعجاز فانه لا يتوقف عليه اذ من المعجز ما لا يكون فيه ذلك كسورة الاخلاص مثلا (وكذلك) اى من مثل المذكور (كثير مما قدمناه عنهم) اى عن الائمة (يعد فى خواصه وفضائله لا اعجازه) لانه لا مدخل له فيه (وحقيقة الاعجاز) عند من لم يقل بالصرفة انما هى (الوجوه الاربعة) التى قدمها المصنف رحمه الله تعالى اولا كما قال (التى ذكرنا فليعتمد عليها) فى تحقيق الاعجاز ويسند اليها من اراد تحقيقه (وما بعدها) مما ذكر فى هذا الكتاب فانما هو (من خواص القرآن) التى لا توجد فى كلام غيره (وعجايبه التى لا تنقضى) اى لا تعد ولا تتناهى (وبالله التوفيق) اى ما التوفيق والهداية للوقوف على عجايبه التى لا تتناهى الا من الله وعنايته وفى بعض النسخ والله الموفق وفى حديث قدسى من شغله القرآن عن دعائى ومسألتى اعطيته افضل ثواب الشاكرين اللهم فاجعله ربيع قلبى وشفاء همى وغمى ثم عقب معجزة القرآن التى هى اعظم معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم بمعجزة اخرى عظيمة متناسبة له فى انها سماوية ومعجزة علية فقال فصل

تم الجلد الثانى من نسيم الرياض على الشفاء
ويليه الجلد الثالث بمنه تعالى